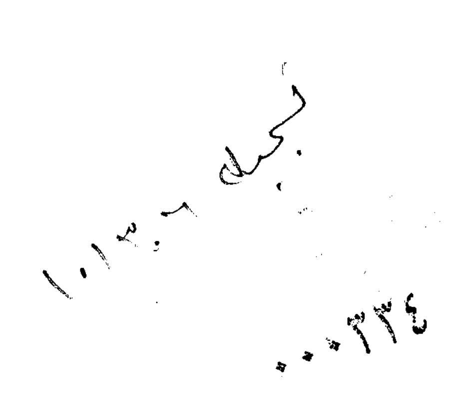
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



موقف العقاد من شبهات خصوم الإسلام



عرض ونقد

بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير

إعداد الطالب
طيب بن موسى بن عبده المعشي

إشراف الأستاذ الدكتور
بركات بن عبد الفتاح دويدار

١٤١٦ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القـــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : ...الحبيب سعود بن عبيد الله المطيري... كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : ......العقيدة..............

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : ...الماجستير............ في تخصص : ....العقيدة.............................

عنوان الأطروحة : ((......موقف العقاد من شبهات خصوم الإسلام عرض ونقد......)) .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٧ / ٢ / ١٤٢٧هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : الدكتور بركات عبد الفتاح دودار	الاسم : د. أ. أحمد عبد الرحيم السايح	الاسم : بشير محمد عطا إبراهيم
التوقيع : [illegible]	التوقيع : [illegible]	التوقيع : ......[illegible]......

يعتمد

رئيس قسم

الاسم : د . أ . [illegible]

التوقيع : [illegible]

٢٢ / ٢ / ١٤٢٧

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

لقد بحثت في نفسي لمن أهدي هذا البحث فلم أجد أعزَّ على نفسي من هؤلاء النفر :

أمي ، أبي ، حفصة ابنتي ، وعمر ابني الذي لقَّبْتُه بالبرَّاق عسى الله أن يجعله في خير وإلى خير ، وإلى التي كانت تذب عن المكتبة كثيراً كثيراً من صولات حفصة وعمر أعني بها أم حفصة وعمر ، غفر الله لأبي ونوَّر عليه قبره ، وحفظ أمي في طاعته ، وبارك في حفصة وعمر وأمهما .

آمين يا رب العالمين

شكر وتقدير

أولاً : الشكر لله عز وجل أولاً وأخيراً ثم للشيخ الدكتور مصطفى حلمي الذي وجهني إلى القراءة عن حملة نابليون .
ثانياً : الشكر لله ثم للدكتور فاروق الدسوقي الذي ألزمني بقراءة دائرة المعارف واستقراء ما ورد من الشبهات حول القرآن والرسول ﷺ ، فرب ضارة نافعة .
ثالثاً : وإن كنت أنسى فلا أنسى توفيق الله جل جلاله بأن وفقني بلقيا الدكتور أبي عزت بركات بن عبد الفتاح دويدار ، فقد أُعيد جدُّ نفسي معه لما رأيته من خلق وحرص شديد على إتمام بحث ابنه روحياً ... وأشهد ثم أشهد ثم أشهد أنه لولا الله ثم تشجيع هذا الشيخ الأجل لما أتممت هذا البحث ، فوالله يا أبا عزت إني سادعو لك ما هبت الرياح في جنب ابنك الروحي ، ولن أنساك إن شاء الله الواحد الأحد والله يغفر لي هذا ، فإن هذه نفثات أبت إلا أن تخرج ، لأنه ليس منا من لا يشكر الله ثم يشكر عباده ، فلك يا شيخنا من اسمك نصيب والله حسيبك ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال : " الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما

تناكر منها اختلف "[1]

رابعاً : أشكر كل من عاونني ولو بدعاء وأخص منهم الأخ أبا عبد الرحمن مصطفى بن صالح بن حسن ، والأخ محمد بسيوني ، والأخ عصام ، والأخ محمد بن نجر ، والأخ علي الشيخ كل هؤلاء أدلوا بدلاء المعونة بعد الله ... ولا سيما جاري أبو عبد الرحمن مصطفى فله الدعاء والشكر وأقول جزاك الله بكل ثانية قضيتها معي مُفَهرِساً أجراً وخيراً .

خامساً : أشكر كليتي الموقرة من عميد ووكيل ورئيس قسم.

سادساً : أشكر الدكتور أحمد الناصر على ما كان يبديه من مودة وتعاطف ، والله يجمعني بهؤلاء في الجنة بعد طول عمر صالح وعمل صالح .

سابعاً : أشكر جامعتي التي وفرت لنا بعد فضل الله من المراجع التي كنا نطوف من خلالها عالم المستشرقين ونحن في مكة بلد الله المحرم ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

---

(١) انظره في صحيح الأدب المفرد للشيخ الألباني ، برقم : ٦٩١ ، ص ٣٣٤ ، من منشورات دار الصديق ، الجبيل ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٤هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على نبيه محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، ثم أما بعد :

فإن هذه الرسالة التي تحمل عنوان (**موقف العقاد من شبهات خصوم الإسلام ، عرض ونقد**) قد جاءت في :

مقدِّمة ، وثلاثة عشر فصلاً ، وخاتمة ، وتوصيات .

أما المقدمة : فبينت فيها منهجي ، وسبب اختيار هذا البحث .

وأما الفصل الأول : فهو عن حملة نابليون وأثرها على العالم الإسلامي ، وبينت أنها كانت أول بذور التغريب في جسم الأمة الإسلامية .

وأما الفصل الثاني : فعن التعريف بالمستشرقين ، وحقدهم وخطرهم على الأمة الإسلامية .

وأما الفصل الثالث وحتى الفصل الثاني عشر : تضمن التعريف بالعقاد ، وشبهات المستشرقين وردوده عليهم .

وجعلت الفصل الثالث عشر عن منهج العقاد في الردود ، وتقويمه على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

ثم الخاتمة والتوصيات .

وكانت من أهم نتائج البحث ما يلي :

١) أن حملة نابليون كانت بداية (الصراع بين الفكرة الإسلامية ، والفكرة الغربية) .

٢) أن المستشرقين كانوا الساعد الأيمن لجنود (الاستعمار) .

٣) أن ردود العقاد زامنت هجمة الاستشراق ، فكان فعله هذا محموداً ، وكان يهاجم لا يدافع في ردوده رحمه الله .

٤) أن الخطأ من العقاد كان يأتي (عفويًا) ، لا قصداً مقصوداً ، وذلك أنه كان (مفكرًا جوابًا) .

والله المسئول أن يرزقنا القبول والإخلاص في الأقوال والأعمال .

وصلى الله على محمد ، وآله وأصحابه وسلم

الطالب	المشرف	وكيل عميد الكلية
طيب بن موسى بن عبده المعشي	**أ.د بركات بن عبد الفتاح دويدار**	**د. عبد الله محمد شفيع**

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات والأرض ، وملء ما شاء من شئ بعد ، أهلَ الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، أحمدك بالمحامد كلها التي حمدك بها أنبياؤك ورسلك وعبادك الصالحون ... أنت الله الذي قامت على أمرك السماء والأرض ومن فيهن كل لك قانت وساجد ، كيف لا ؟ وأنت الحي الذي لا يموت ، فسبحانك وبحمدك ، على حلمك بعد علمك ، فسبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك ، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ويحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون .

ربنا إننا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين .

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . ثم أما بعد :

فإن هذه الأمة حظها وقدرها الإسلام ، عزها باتباعه ، وذلها بمفارقته .

إن هذه الأمة هي المهيمنة لأن كتابها مهيمن ، إن هذه الأمة سيدة العالمين ، لأن رسولها ﷺ سيد الأولين والآخرين .

إن هذه الأمة الخاتمه هي أقصى ما يبلغه الإدراك العقلي ... فمن ثم انعقد العز والشرف لها بهذا القرآن المبارك الذي يهز النفس هزاً ولا سيما إذا رتل في هزيع الليل الشاتي البارد .

إن أي صوت قد يؤثر في حنايا النفس تأثيراً يسخن معه الجسم وذلك مثل الأغاني والترانيم ولكنها تحرق الجسم وتجعله مفتوحاً لدخول الشياطين ...

لكن القرآن ... غير هذا تماماً ... نعم : إنه صوت ولكن لا يحرق الجسد بل يحييه ويوقظه ، إنها قشعريرة يحسها من أنصت لهذا القرآن بقلب خال من الخواطر والوساوس .

إنه نسناس الروح ودبيب الحياة تدب في هذا الجسم فتخضار له كل لحمة وكل عصبة من لحم وأعصاب الجسم ... إنه يحييها بعد موتها بعواصف الشك والاضطراب

إن الاستماع للغناء شقاء وفناء ... لكن القرآن نجاة وحياة جديده يهبها لك ...

إن القرآن هو ماء الحياة الذي يدب في كل نفس توجهت إليه ...

إن القرآن هو الماء الذي يحيي القلوب وتَزْكُو به الأرواح ...

فمن هنا أدرك أبناء الصليب أن القرآن غذاء أرواح الشرق الإسلامي الذي يوحي بالطلوع والظهور والعلو ، بينما الغرب يوحي بالهاوية والأفول ...

إن النفس لتذوب كما يذوب الجسم هماً وغماً مما وصل إليه حال المسلمين أمام هذا الغرب الكافر ... مع وجود كتابهم بين ظهرانيهم ... إنه لم يختلف ... ولكن الذي اختلف هو التَّلَقِّي ...

نعم : أدركوا أن القران هو سر حياة المسلمين فأجمعوا أمرهم وأتوا صفاً واحداً يرقبون كل ثغرة من ثغور الإسلام .... فجمعوا كيدهم وأجلبوا بخيلهم ورجلهم على الشرق الأسلامي فانقسموا أقساماً :

قسم بسلاحه وعتاده يعيث فساداً ويسعى فيه دماراً وخراباً وهذا سوس الأرض ومن عليها .

وقسم بسلاح الشهوات ينخر في جسم الأمة ... وهذا سوس الأجساد خاصة .

وقسم بسلاح الشبهات ينخر في عقول أبناء الأمة ... وهذا سوس العقول خاصة

وقسم بسلاح التثبيط وبث الهزيمة النفسية في قلوب الشرق أن لا قبل لكم بالغرب وهذا سوس القلوب الذي عمدته الإشاعة والبهتان والإرجاف....

وهم بجملتهم عقدوا الراية أن يشدَّ بعضُهم بعضاً ...

فتعاون مفسدو البلاد والأجسام والعقول والأرواح على سلب الأمة ذاكرتها ...

ولكن أبى الله إلا أن تكون نفوس المسلمين متطلعة نحو السماء ...كيف لا وهم يسمعون الأذان ينادي الله أكبر .

إن هذا النداء لمن تأمله هزة ثانية للروح بعد القرآن إنه التوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين .

ثم تأتي الصلاة ذلك المعراج الروحي الذي يوصل صاحبه إلى السماء في رحلة قد تستغرق دقائق معدودات ... الصلاة صلةٌ تذكرني دفءَ جسم أخي المسلم الذي أحس حرارة ذراعيه تمشي في حنايا جسمي ... إنها معقل الإسلام ، وحصنه الأعظم وسوره المتين ووقود الأخوة ورباط التقوى ..هذه الشعائر الثلاث ظاهر علوها مع الحج الأكبر .

أدرك أبناء الصليب هذا تماماً ووعوه في ذاكرتهم كما يعي أحدنا صورة أبيه أو ابنه ... كيف لا ؟ وهم يرونه ويسمعونه ليل نهار ، ويرقبونه كل عام ، لقد دَخَل عليهم دورُهم ، فأزعجهم وأَقَضَّ مضاجعهم ... فمن ثم سعوا مفسدين في البلاد والعباد ...

فهنا نفثت الأفاعي سمومها مخدرة أبناء الشرق ...ولكن الله رحيم بهذه الأمة فتراهم يَعْطِفُ بَعْضُهم على بعض فكيف لا يغار على أسه وأساسه القرآن ؟

فمن هنا انبرى رجال نحسب أن ضنك الحياة قد غمرتهم ... نحسب أن زحمة الحياة قد اقتطعتهم منا ... فإذا بالرحم يعطفهم على الدين ... رحم العقد ورحم الوعد ... ورحم جذوة الإيمان وأصله .

إن الناس يبدو لهم أو يخيل إليهم أن الذي يتولى الردود على هؤلاء هم العلماء مشائخ الدين ... وما كانوا يتوقعون أن الأدباء والصحفيين يفعلون هذا .

نسوا أن رحم الدين بين المسلمين مشترك .. يستوي فيه العالم وغيره ...

فعلى هذا انبرى العقاد ليدلي بدلوه في الذب عن حياض رحمه وأصله وأسه ، كيف لا وعليه أمه وأبوه ...

ولا غرابة فالحق ينتصر له من لم يولد مسيخاً ميتاً ...

فعلى هذا إذا قرأ الناس ردود العقاد الأديب سيكون لها بين قارئيه أثرٌ أعظم وأفضل مما جاءت من علماء الإسلام ومشائخه ...

فبناء عليه **اخترت هذا الموضوع لأسباب أنظمها في ثلاثة مقاصد :**

الأول : الاطلاع على الأفكار المخذِّلة لأبناء أمة محمد ﷺ .

الثاني : الوقوف على التيارات المتضاربة والمذاهب المتحاربة المتحدة على الإسلام والمسلمين .

الثالث : سبر أغوار البذور والأفكار والمذاهب التي تضافرت في إسقاط هذه الأمة من عليائها من كونها قائدة ومتبوعة إلى مقودة وتابعة ...

وبعد التأمل في هذه البذور يأتي التفكير الجاد وإخراجه للواقع حلاً وأخذاً بيد هذه الأمة إلى عزها وشرفها وذكرها أي مراجعة الأمة دينها ...

بعدما وضعت في ذاكرتي المقاصد الثلاثة التي كانت سبب البحث ، رجعت إلى نفسي وقلت لابد من العودة إلى الجذور والبذور التي كانت سبباً في إحداث الخصام

وتفريق صفوف المسلمين ، فكان ذلك دافعاً لي أن أرجع إلى تاريخ حملة نابليون بونابرت ، وكان هذا توفيقاً من الله جل وعلا ثم باستشارة وإشارة الدكتور أبي محمد مصطفى حلمي حفظه الله في طاعته .... فمكثت سنة كاملة أقرأ عن حملة نابليون ، قراءة كانت تأخذ من فريقين مختلفين : مؤيد لها وكان هذا الفريق يرى أنها ملهمة الشرق ... ثم مخالف لها ... وكان هذا الفريق يرى أنها بذرة التغريب والعلمانية .

وانطلقت من هذين التيارين المختلفين وبعد سبر وتقسيم ونظر مصحوب بشرع الله ـ ونعوذ بالله من العُجْب ـ تبين لي أن المخالفين ما قالوا إلا عشر معشار ما جنته هذه الحملة على الأمة المحمدية ثم خرجت وانا على يقين بحمد الله خالط عليَّ لحمي وعظمي من ظهور حكمة حث الإسلام الى تأمين ثغور بلاد المسلمين ، وحراسة عقولهم من الشبهات .حفاظا على دين المسلمين وأمنهم .

وخرجت أيضاً من ضحضاح القراءة أن هذه الحملة كانت فاتحة باب غزو الأمة في عقر دارها في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين .

أي كانت سابرة غور المسلمين فأثبتت لبلاد أوربا أن عليكم بالغنيمة فأنه لا راعي لهذه الأمة وبلادها فافعلوا ما تشاؤون ...

لكن بلاد أورباخاصة بريطانيا مكثت ما يقرب من إحدى وثمانين سنة تنتظر بذور هذه الحملة حتى تظهر آثارها التي تولى سقيها من ينطقون بلسان الأمة الإسلامية من بني جلدتها فلما آتت ثمارها وظهرت للساقي والرقيب عندئذ نادى صائحو أوربا أن دراك دراك الغنيمة فأخذوا يقتطعون جزءً ثم أجزاءً من بلاد أمة محمد ﷺ ..

وتألّب الغرب كله نصرانيه ويهوديه وملحدوه على هذه الأمة ...

فلما تأكّد للغرب حال أمة محمد ﷺ وما وصلت إليه من هزائم نفسية أمرت أفاعي قراصنة الكتب وسوس العقول والقلوب أن ينفثوا سمومهم حتى يقضوا تماماً على هذه الأمة ... لأن الجنود تبين لهم أن وقود المعركة الملتهبة عليهم منبعه القرآن المبارك الذكر الحكيم .

فهنا تجمَّعت الأفاعي على أذنابها وأصدرت فحيحاً على حين نوم هذه الأمة فوجدت من يسمعها ويباركها لأنها جاءت من أسياد البلاد ... وما يقولونه فهو الحق ... فعندها عَرَّجت على معاني الشبهة في اللسان العربي وتأكد لي أن أباطيلهم لا تكون أهلاً لتسميتها بالشبه وإنما هي إشاعات وأخبار قذفتها عقول مخمورة وصدور محصورة .

ثم عرَّجت على معنى الإستشراق وبدايته وأسبابه وأهدافه ومصادره ومناهجهم في البحث والدراسة فوجدتهم يتبعون الظن وما تهوى الأنفس .

ثم استقر موج البحث على شبه المستشرقين **كما حكاها العقاد ـ رحمه الله ـ فوجدتها لا تخرج من : أنَّ الإسلام أصله اليهودية أو النصرانية أو أنه نتيجة صرع أو قول شاعر ... مع العلم أنهم قالوا : إنما هو استفاض من عقله الباطن** ، فبأيها نأخذ ونصدق ؟ ..

وهي كما ترى من نظر فيها ودقق ليجدنَّ أن حاصلها الجمع بين المشرق والمغرب والأرض والسماء ... فلاهاً لاهاً لأمة أضاعت عقدها الثمين وعهدها الأمين حتى صارت مرمية بشهب المخمورين الحيارى ، فيا لله العجب .

ثم إن المستشرقين لم يكتفوا بتأليب أحزابهم على الأصول بل تناولوا الفروع بكلام من تأمله يجد فيه الإقرار بالأصل الأصيل التي وقعت فيه المعركة اللسانية ... وما ذلك إلا أن سهامهم طاشت وضل سعيها حين ارتدت من جنبات الحصن الحصين ... فعندها ولوا وجوههم نحو السور لعلهم يجدون بغيتهم ولكن كيف يجدونها وهم بفعلهم هذا يشبهون من يفكر في الوصول إلى السماء ويلمسها ... فهل استطاعوا ؟

وبعد هذا العرض **أوجز منهج البحث في الآتي :**

١ ـ كتابة الشبهات وحكايتها كما رواها العقاد من غير تصرف فيها ....

٢ ـ أرُدُ فيها بردود العقاد ، فكنت أقرأ ردوده سطراً سطراً وكلمة كلمة مرة بعد مرة فأذا كانت مباشرةً أضعها بين قوسين وأشير إلى الكتاب الذي أخذتها منه .

فأن لم تكن مباشرة فأني أعود مرة ثانية في فَلْيها تكراراً ومراراً حتى أستوحي منها ما يريده العقاد ـ رحمه الله ـ ثم أنثرها نثراً بكلامي وفهمي [1] ... فربَّ كلمة من العقاد كانت تقدح في ذهني كلمات ... ورب سطر من كلامه كان يقدح في ذهني سطوراً .. مما جعلني أدمج عباراته بعباراتي ... فالتحمت العبارتان بنسق واحد ...

---

(١) ولي في هذا سلف الفقهاء الأولون حيث يدمجون الشرح بالمتن ، وكذلك من المعاصرين الشيخ عبد الفتاح القاضي والشيخ عبد الرحمن بن سعدي عليهما سحائب الرحمات ، ومَنْ قَلَّد القوي فما ضعف ومن أحال على مليءٍ فقد برئت ذمته من العهدة خصوصاً في فن الكتابة .

مما سيراه القارئ في الردود الأولى بالذات [1] ... فإن نسيت ما انقدح في ذهني أعود إلى بعض المراجع التي عالجت الموضوع نفسه وأشير إليها في الحاشية ....

وأما إذا نقل العقاد عن كاتب غربي فإني أصرح باسمه تارة في المتن وتارة في الحاشية ... وإذا وضع الكلمة بين قوسين فإني أنبه أن هذا من وضعه ـ رحمه الله ـ ... وإذا تكلم بنا الدالة على الفاعلين أو بضمير المتكلم فإني أنبه على ذلك في الحاشية ، وإذا مرَّ ذكر « محمد » فإني أصلي عليه وأسلم تارة في المتن وتارة في الحاشية بأبي وأمي هو ﷺ .

وليعلم القارئ أني دمجت فصلي القرآن والرسول ﷺ فجعلتهما فصلاً واحداً وذلك أن الشبه التي تلقى على القرآن هي نفسها التي تلقى على الرسول ﷺ . فرأيت باجتهادي القاصر أن ذلك مصلحة تخدمها الردود سوياً .

ثم إني لم أعقب إلا ثلاث مرات فقط على شبهة أنه ألّف القرآن في عهد الصحابة وعلى أخذه من حاخام يهودي أو قسيس نصراني أي على أخذه من اليهودية والنصرانية ... وكذلك ضممت معهما شبهة الصرع من طرف خفي

حيث ورد في التعقيب المذكور أنه يستحيل عقلاً أن يأتي التحدي من مجنون وأن يأتي هذا الكتاب الذي أخرج أمة من وسط الصحراء من صرع كما زعموا وكان التعقيب الثالث على امرئ القيس وذلك أني بحثت عن هذه الأبيات وكنت حريصاً عليها كل الحرص من مظانها فلما لم أجدها تبين لي بالدليل القاطع والبرهان الساطع أنهم أكذب من الكفار ، فالكفار قالوا شاعر واكتفوا بذلك ، بينما هؤلاء قالوا امرؤ القيس .

فما دام أنهم كذبوا في هذا الأمر الذي يبدو سهلاً ميسوراً فمن باب أولى أن يكذبوا فيما سواه .

ولم أعقب على شبهات الفروع ليقيني وقناعتي أن المعركة اللسانية في الأصل

---

(١) ونتج منها التكرار الذي سيراه القارئ وإنما فعلت هذا مسقطاً عليه حكمة التكرار التي تقول : تَذَكُّر ما بعد ، ولم أحل القارئ على موضوع سابق أبداً، حتى لا أتعبه في الإحالات، فإن انقدح جديد في ذهني ذكرته ، وإلا تصرفت بالمتكرر ، ولي في هذا سلف الشيخ ابن سعدي في تفسيره ، حيث لم يذكر في تفسيره أنه سبق تفسير هذه الآية في الموضع الفلاني فراجعه ... ومن أراد أن يُحَقِّق ذلك فعليه بمقدمة تفسيره ـ رحمه الله ـ .

والحصن لا في السور ، هذا أولاً ... وثانياً رأيت العقاد أجاد وأفاد ، والله يغفر لي تقصيري ، ويرحم العقاد بما بذل .

وكنت سواءً في ردود العقاد أو التعقيب دللت على مواضع الآيات ، حيث أذكر اسم السورة ورقم الآية ... ومكان هذا كله في المتن ...لأني رأيت القرآن مكانه العلو لا السفل فلم أشر إلى رقم الآية في الحاشية الا قليلا.... ثم إذا استدل العقاد بحديث أخرِّجه وأدل على موضعه بالكتاب والباب ورقم الحديث .... حيث هذه وصية الدكتور الشيخ عبد العزيز العثيم رحمة الله عليه ونوَّر عليه قبره ... ولم أذكر الجزء والصفحة للاكتفاء بما ذكر .

وأما التعقيب فأذكر موضع الحديث مثلما فعلت في التخريج السابق ...

وإذا استشهدت بكلام لأحد العلماء * اذكر اسمه في المتن مثلاً : قال الإمام البغوي أو الزمخشري ونحوهما حتى يعلم القارئ أنه تفسير لأحد من استشهدت بتفسيره ثم أضع الجزء والصفحة في الحاشية .

وعند تصحيح حديث لم يرد في البخاري أقدم تصحيح الأولين وتحسينهم كابن حجر ونحوه ثم أستأنس بتصحيح أهل عصرنا كالألباني وتلميذيه الأرناؤوطين ثم عموم طلبة الحديث ... وإن كان في الحديث ضعف فإني أضعه في الحاشية لا المتن ، ولم أضع حديثاً ضعيفاً إلا في مطلب منهج العقاد في الردود وهو (المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) .

أحياناً يمر عليَّ حديث مخرج في حاشية شرح السنة للبغوي أو حاشية سير أعلام النبلاء للذهبي فأقول انظره هناك وذلك أنه ينتابني حياء أن أدعي جهد غيري فلا أملك إلا أن أقول انظره هناك .

وأحياناً لا يدلون برقم الحديث في البخاري ومسلم فلم أملك وسيلة أعزي بها نفسي إلا أن أرجع للموضع الذي ذكروه وأذكر رقم الحديث ...

أما أحاديث البخاري ومسلم فكان قائدي بعد الله عز وجل وتوفيقه حيث كنت

---

* أحياناً أترجم له وأحياناً أكتفي بسنة ولادته ووفاته ثم أشير إلى المرجع الذي أخذت ذلك منه . وأما الصحابة فلم أترجم إلا لنفر قليل، نظراً لشهرتهم واستفاضة أخبارهم، وأما بعض الأعلام فلم أتمكن من التعريف بهم إما لعدم شهرتهم وإما لكثرة تكرار أسمائهم بين طلاب العلم كأعلام المحدثين والمفسرين والقرّاء .

أدعو الله وقت تخريج الحديث أن يدلني على موضعه ، ورب حديث أخذ مني ساعات طوالاً - وهذا يشهد الله - ليس عُجباً ولا خبراً عن نفسي وإنما هو من باب أن الجلد في البحث يثمر مع الإخلاص والاحتساب .

فكان الكشاف الذي أستخدمه للوصول إلى أحاديث الشيخين الآتي :

١ - دليل القاري إلى موضع الحديث في صحيح البخاري ، وضعه الشيخ عبد الله الغنيمان بارك الله فيه ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ . فإذا قلت أخرجه البخاري ، فإنما أقصد به البخاري مع الفتح .

٢ - فهارس الأستاذ فؤاد عبد الباقي لصحيح مسلم في المجلد الخامس .

وكنت إذا أعياني طرف الحديث من صحيح مسلم أستقرئ أبواب الكتاب كاملة - نعوذ بالله من الرياء - وهذا من فضل الله عليَّ حيث كنت أشعر بلذة لا يعلمها إلا من هو قائم على كل نفس بما كسبت .

وأما أحاديث السنن والمسند فكان كشافي الآتي :

١ - فهارس شرح السنة المجلد ١٦ .

٢ - فهارس صحيح ابن حبان المجلد ١٧ ، ١٨ .

٣ - الجامع المفهرس لكتب الألباني المطبوعة ، لتلميذه سليم الهلالي ، منشورات دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٤ - صحيح الجامع للألباني ، وصحاح السنن الأربعة له أيضاً .

٥ - كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني [1] .

وأما المسند فكان كشافي إليه :

فهرس أحاديث وآثار المسند مرتباً على حروف المعجم ، بإشراف * د/ سمير طه المجذوب ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، عمَّان ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ .

---

(١) ولم أستخدم الحروف رمزاً لأسماء أصحاب السنن والجوامع إلا مرة واحدة في الحاشية قلت أخرجه (د) أي أبو داود ، (ت) للترمذي ، (ن) النسائي ، (جه) لابن ماجة، والله ولي الصالحين .

* ستظهر الهمزة أحياناً مكررة على حرف الألف وهذا لا يستقيم لغةً ، وإنما هو بسبب الطباعة بهذا الخط ونظراً لكثرة تكراره فقد تركت تصحيحه ، ولذلك جرى التنبيه .

أما المعجم المفهرس فلقد استنكفت إباءً ونخوة أن أستخدمه مهما بذلت من الجهد والوقت ولم أرجع إليه إلا في مادة « حيض » حيث أثبت أنهم يعلمون أن رسول الله ﷺ خالفهم في كل شئ ، فكيف أخذ عنهم ؟

وبعد ... **فلقد جاءت الرسالة في :**
ثلاثة عشر فصلاً وخاتمة وتوصية .

فالفصل الأول : عن حملة نابليون وأسبابها وآثارها .
وأما **الفصل الثاني** : فتعريف بمعنى الشبهات لغة وتعريف بالمستشرقين .
و **الفصل الثالث** : تعريف بالعقاد وحياته وسيرته واتجاهه وعقيدته .
و **الفصل الرابع** : شبهاتهم حول القرآن والرسول ﷺ .
و **الفصل الخامس** : تعقيب على أخذه من اليهودية والنصرانية وعلى اخذه من امرئ القيس كما زعموا .
و **الفصل السادس** : حول الصحابة وردود العقاد عليها .
و **الفصل السابع** : حول القضاء والقدر وردرد العقاد عليها .
و **الفصل الثامن** : علم الغيب .
و **الفصل التاسع** : الجهاد وانتشار الإسلام وردود العقاد عليها .
و **الفصل العاشر** : الرق .
و **الفصل الحادي عشر** : تعدد الزوجات .
و **الفصل الثاني عشر** : الحدود والمعاملات .
و **الفصل الثالث عشر** : منهج العقاد في رد الشبهات ، و تقويم العقاد في ضوء الكتاب والسنة .
ثم **الخاتمة والتوصيات** .
ثم **الفهارس** .

ونظراً لما استدللت به من آيات القرآن المبارك فصارت كثرة كاثرة ، ولا سيما أني تتبعت ما استطاعه حفظي عن أهل الكتاب من سورة البقرة إلى البيِّنَة فلم أصنع للآيات فهارس تدل عليها ، وحسبي أني بذلت الجهد في اسم السورة ورقم الآية ، وبالله ما أصدق الشاعر حين قال :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام [1]

وبعد : فلقد ظهرت بشاشة الفرح والسرور والغبطة على محيًّا الباحث ، حينما طار إلى سمعه أن الشيخ أبا أسامة محمد قطب حفظه الله في طاعته سيكون مقوِّماً لبناية بحث تلميذه ، مما ينتج منه اشتداد أودِ البحث وصلابةُ عوده ، وفوق ذلك احتياج أي باحث إلى السكينة التي عهدناها من الشيوخ حفظهم الله في طاعته .

وزاد غبطتي ، وعَظُم فرحي لما علمت أن الدكتور أحمد بن عبد الرحيم السايح سلَّمه الله سيكون سابراً غور هذا البحث ، وما زاد فرحي إلا العلم بأنه ممن جالس العقادَ وكتبَ عنه ووزن هفواته ، مما سيكون لتقويمه ثقله ، ولتوجيهاته مكانة ومعنى ينشرح لهما الصدر .

ومع هذا أو ذاك فلا أنسى ربِّيَّ هذا البحث ومشرفه وموجِّهه الشيخ الدكتور بركات بن عبد الفتاح دويدار حفظه الله في طاعته ، فلقد عايشته وصاحبته فرأيت منه الأبوة الصادقة وأفدت منه دُرْبَة الشيوخ وسكينتهم ، فرب كاتب عجل يهفو ولا يشعر . فهو بحاجة إلى من يَزُمُّه بزمام التأني والحلم والحكمة .

فانطلاقاً من هذه المعاني بَصَّرني حفظه الله في طاعته بعد كرم الله جل جلاله أن اصطحاب حسن الظن بالمسلمين خاصة الذين لم يقصدوا للشر هدفاً مطلب شرعي أصيل للباحث . وأوصاني غفر الله لي وله ولجميع المسلمين بأن قليل الكلام خير من كثيره إلا ما دعت إليه الحاجة ، وما ذاكم إلا لأن القلة مظنة التركيز وسبكِ الكلام ، مما تكون حصيلتها قلةَ الخطأ ، فأن وجد فأنما سببه الابتداء بالكتابة ، وهو قابل للنماء والجودة مع التوجيه والارشاد والدلالة ، فلما أفدت هذه النعم مجتمعة توجهت إلى الذي يعلم السر وأخفى بالحمد والشكر ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ وهل بعد نعمة القرآن من نعمة إلا اليقينَ في حسن عافية . فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والله أسأل أن يرزقني وإياهم وجميع المسلمين حسن الخاتمة بعد طول عمر صالح وعمل صالح ، والله الموعد ، وصل اللهم على محمد وآله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

---

(١) انظره في : شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، ٢٧٥/٤ . طبعة الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ .

الفصل الأول :

تمهيد : وتحته مطلب ومبحثان

مطلب :

مدخل إلى التمهيد

المبحث الأول :

حالة العالم الإسلامي من حملة نابليون
إلى سقوط الخلافة الإسلامية

المبحث الثاني :

حملة نابليون وتحته مطالب :

١ـ بدايتها
٢ـ لماذا اختار مصر
٣ـ أسبابها
٤ـ آثار حملة نابليون على العالم الإسلامي
٥ـ موقف العقاد من حملة نابليون

مطلب :

مدخل إلى التمهيد

إن دراسة البيئة التي سبقت « العقاد » توصلنا إلى معرفة الحالات الثقافية ، والتيارات المختلفة ،التي نتج عنها الصراع (بين الأفكار والقيم الإسلامية ، والأفكار والقيم الغربية)[١]

وحيث إن « العقاد » شخصيةُ علاقةِ تأثرٍ وتأثير ، مما نتج عنه نشوء أجيال على قراءة كتبه ، وكان له على الساحة الثقافية في مصر والبلاد العربية والإسلامية مكانة مرموقة ، فرأينا قبل الحديث عنه وعن مصادر ثقافته أن نمهد لذلك ببيان تغير البيئة الثقافية في مصر في العصر الحديث ، التي يؤرخ لها عادة من بدء الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م)* لكي يساعدنا على معرفة موقف العقاد من ذلك .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ، « أبو الحسن الندوي » دار القلم ، الكويت ، ط ٥ ، سنة ١٤٠٥هـ ، ص٧ .

* كانت أمنيتي في إستعمال التاريخ الهجري في كتابتي كلها هربا من إستعمال التاريخ الميلادي الذي فيه مشاركة للنصارى وولاء لهم في إحياء شعائرهم وتشبه بهم فلم أتمكن من تحقيق هذه الأمنية لأني رأيت المصادر التي رجعت إليها درجت على إستعمال التاريخ الميلادي فلم أملك شيئا أعزي به نفسي إلا أني عزمت وضعه بين قوسين لأعبر على أنه دخيل على الشرع الإسلامي واللسان العربي ، وهو من مظاهر التغريب ، ومن (مظاهر غربة الإسلام وسط أهله وبنيه) اهـ «الوصية بالأشهر العربية » لسعيد بن عبد العظيم ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، مصر ، ص ٦ . بدون عدد الطباعة وتاريخها .

المبحث الأول:

حالة العالم الإسلامي من حملة نابليون إلى سقوط الخلافة الإسلامية

إن هذه (الحقبة التي ندرسها في هذا البحث تعد من أهم فترات تاريخ مصر الحديثة)[١]، وقبل أن نسترسل في الكلام على حملة « نابليون » ومدى تأثيرها على الصعيد المصري فيما بعد ، لابد من النظر في حالة العالم الإسلامي من حملة نابليون حتى سقوط الخلافة .(إن الغرب يدرك تماما أن مستقر ومنبعث « الجامعة الإسلامية » هي الخلافة)[٢] فلذلك سعوا في القضاء عليها حتى يسهل عليهم تمزيق العالم الإسلامي شيعاً وأحزاباً ، ولم تقو عزائم الغرب على تمزيق العالم الإسلامي إلا عندما (أغار الترك على أسوار « فينا » (سنة ١٦٨٣م) فردوا على أعقابهم خاسرين ، عندها أيقنت أوربا حينئذ أن هناك كان منقلب قوة المملكة العثمانية)[٣] فلذلك أخذت حملات أوربا تغشى الشرق الإسلامي ، (وتكر على المملكة العثمانية الكرة بعد الأخرى ، منتاشة منها ما تستطيع .... فلم يمض غير اليسير من الزمن

---

(١) الصحافة المصرية وموقفها من الإحتلال الإنجليزي ، د/سامي عزيز، دار الكاتب العربي، القاهرة ، بدون عدد الطباعة ، سنة ١٣٨٨هـ ، من منشورات الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة ، ص٥ .

(٢) حاضر العالم الإسلامي ، لوثروب ستودارد الأمريكي ، ترجمة عجاج نويهض مع حواشي شكيب أرسلان ، دار الفكر ، بيروت ، القاهرة ، ط ٤ ، سنة ١٣٩٤ هـ ، جـ١ ص ٢٩١ بتصرف . مع تحفظي من هذا الكاتب وصدق الشيخ مصطفى صبري رحمه الله حين قال : « فقد قرأت كتاب « حاضر العالم الإسلامي » من ترجمة العربية فأحسست أن مؤلفه الأمريكي كتبه لتنفير المسلمين العرب من الترك » ص ٩١ ، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ، المجلد الأول ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤٠١هـ . ومع ذلك يقول عنه شكيب أرسلان إنه (من أوفر المؤلفين الأوربيين إنصافاً وتحريا) حاضر العالم الإسلامي : ٢٠٩/٣ .

(٣) نفس المصدر جـ١ص٢١. مع تصرف يسير جدا . هكذا عبر المؤلف وهو نصراني .

حتى كانت دول أوربة الكبرى قد اقتسمت جميع العالم الإسلامي)[1] وكان يزامن هذه الكرات ما يسمى « بحركة تطويق العالم الإسلامي » (التي بدأت عام ١٦٠٠م وامتدت إلى ١٧٩٨م)[2] وكان همها الإلتفاف حول العالم الإسلامي من جهة الغرب ، وخاصة بعد إكتشافها رأس الرجاء الصالح ولم يُخْفِ « فاسكوداجاما » هدف هذا الإكتشاف حين قال : الآن طوقنا رقبة الإسلام ، ولم يبقَ إلا جذب الحبل فيختنق ويموت)،(إنها رحلة صليبية واضحة الأهداف)[3] إن هذه الرحلة مهدت لأخذ أطراف الدولة العثمانية ولاسيما الأوربية ، بل أطمعت الغرب في السيطرة على أجزائها العربية مما نتج منه تفاقم الخطر على هذه الدولة التي كانت تذود عن حياض الإسلام ، وفَتَحَ ثغرات وجبهات لم تستطع الدولة العلية غلقها ، فـ (أخذ يطرأ الضعف على صمصام الدولة العثمانية)[4] التي بأنتهائها وإنتهاء الخلافة إنتهاء دولة الإسلام ، هكذا كانت تردد دول أوربا الصليبية[5].وهكذا ظل مقاومة الإسلام المتمثل في الخلافة العثمانية الشغلَ الشاغل لدول أوربا المسيحية فأخذت تبذل جهودا دائبة (للقضاء على تركيا ، بتشجيع كل مناوئ لها ، وخارج عليها ومذيع لمساوئها ، ومصور لفساد الحكم فيها)[6] فتوالت المحن على العالم الإسلامي وأخذ طوفان الإستعمار الغربي (يمتد من قطر إلى قطر ، حتى شرَّق العالمَ الإسلاميَّ وغَرَّبَ ، وما انتصف القرن التاسع عشر حتى غدت معظم الأمم المسلمة عبيدا

---

(١) نفس المصد ر، جـ١ ص ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ مع بعض التصرف .

(٢) اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار ، لأنور الجندي ، بواسطة : السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية ، إعداد الأستاذ : محمد قربان نيازملا ، نشر وتوزيع مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، ط١ سنة ١٤٠٨هـ ، ص ١٦ .

(٣) واقعنا المعاصر ، الشيخ محمد قطب ، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، ط١ سنة ١٤٠٧هـ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ مع تصرف يسير .

(٤) موقف العقل والعلم ، مصدر سابق : ١/ ٩٠ .

(٥) انظر المصدر السابق : ١/ ٨٠ .

(٦) الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، الشيخ الدكتور محمد بن محمد حسين رحمه الله، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٧ سنة ١٤٠٥هـ : جـ١ ص٩ .

للغرب الأوربي وخولا له ، والتي لم تدخل منها في عبوديتة ، لم تسلم من الخضوع لسلطانه ورهبة بأسه وسطوته)[1] كل ذلك بسبب تفريط المسلمين في دينهم ، فلما هان في نفوسهم - وهوعزهم وشرفهم - هانوا على هؤلاء ، أما علم المسلمون (أن الإسلام صلب الشرق . فأذا وهن الإسلام وهن الشرق كله)[2]وصدق الله ﴿ **وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين** ﴾ الزخرف آية ٧٦.

إني تذكرت والذكرى مؤرقة　　مجدا تليدا بأيدينا أضعناه

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد　　تجده كالطير مقصوصا جناحاه [3]

وخَيَّم على العالم الإسلامي الخمول والإستكانة ، ولكن لم يكن هذا التدهور نهاية المعارك بين الغرب والعثمانيين بدلالة أن الغرب مازال (يبعث البعوث الصليبية والجحافل الجرارة دراكا لقتال الشرق الإسلامي في سبيل الصليب)[4] حتى انفرط عقد وحدتهم بألغاء الخلافة « الجامعة الإسلامية » التي ظلت النظام السياسي الإسلامي منذ وفاة النبي ﷺ ، وقبل أن نغادر حال العالم الإسلامي إلى حملة « نابليون » يجدر بنا أن نلخص أهم الكوارث التي أصابت المسلمين في مقتل مما كانت سببا في ضياعهم وتمزيقهم دويلات لكل منها حاكم وعلم ونشيد وحدود جغرافية مصطنعة .

وتتلخص هذه الكوارث في أمرين :

أولاهما : (تضافر القوى اليهودية والصليبية للقضاء على الخلافة العثمانية

---

(١) معركة الحجاب ، القسم الأول ، جمع وترتيب محمد أحمد بن إسماعيل ، دار طيبة ، الرياض ، ط ٣ ، سنة ١٤٠٦ هـ ص ١٥ .

(٢) التبشير والإستعمار في البلاد العربية ، د/عمر فروخ ، مصطفى خالدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٣ ، سنة (١٩٨٦م) ، ص ٧ .

(٣) من شعر « محمود غنيم » رحمه الله في قصيدة « محنة العالم الإسلامي » وانظرها في كتاب الأدب ، الثالث ثانوي ، وزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، ص٢٦٢ ، ط٧ سنة ١٤١٠هـ ، وانظر ترجمته الأعلام للزركلي : ١٧٩/٧ شاعر مصري توفي سنة ١٣٩٤هـ .

(٤) حاضر العالم الإسلامي ، مصدر سابق : ١٤/١ وانظر عبد الحميد وأثره في الدعوة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٥.

بأعتبارها التجسيد الحي للأمة الإسلامية وقتذاك ، فأخذ الغرب يقتطع أجزاءها ، فاقتطعت روسيا سنة (١٧٦٢ ـ ١٧٩٦م) بعض الأراضي والولايات ، ثم توالت بعدها الحملات العسكرية الإستعمارية ، فهاجم نابليون مصر عام (١٧٩٨م) ثم احتلت فرنسا الجزائر عام (١٨٣٠م) وتونس عام (١٨٨١م) ومراكش عام (١٩١٢م) ... كما احتلت إيطاليا ليبيا عام (١٩١١م) ... وكانت الدول متفقة على إقتسام ميراث السلطنة العثمانية عند زوالها من الوجود ، فكانت بريطانيا تطمع في بترول الموصل ، وضمان إنشاء خط ثان للهند ، وهو خط بري يمتد من فلسطين إلى الخليج الفارسي [1] وكانت فرنسا تجاهر بأنها ستصيب إستقلالها الإقتصادي بما تجنيه من القطن في حلب ، ومن الحرير في لبنان ، والصوف في سوريا ، وكانت إيطاليا مقتنعة بالإستيلاء على القسم الغربي من الأناضول . وكانت روسيا تطمع في قسم من تراقية والأستانة وأرمينيا وكردستان . كما احتلت بريطانيا عدن عام (١٨٣٩م) وبسطت حمايتها على لحج والمحميات من حدود اليمن الجنوبية ، إلى شرق الجزيرة ، وكان الإنجليز قد استولوا على الهند قبل ذلك ، وانتزعوا بأستعمارهم لها سيادة المسلمين . ثم استولوا على مصر عام (١٨٨٢م) وعلى السودان عام (١٨٩٨م) . واستولت هولندا على جزر الهند الشرقية ، وحصرت* أفغانستان تحت الضغط الإنجليزي والروسي ، كما حوصرت إيران .

ولم يكف الغربيون عن إشعال الثورات في داخل الدولة العثمانية بأعتبارها الدولة الإسلامية التي تمثل المسلمين ، فحرضوا شعوب البلقان على الثورة منذ عام (١٨٠٤م) وأمدتهم بالمساعدات حتى انفصلت عن الخلافة سنة (١٨٧٨م) كما حرضت اليونان على الثورة منذ عام (١٨٢٠م) حتى استقلت اليونان عن تركيا عام (١٨٣٠م) . ولم يكتف أهل الغرب بذلك بل شجعوا الحركات الإنفصالية داخل الدولة بين الترك والعرب ، وحركوا الثورة العربية بواسطة عملائهم ..... وأثاروا فتنة القوميات والعصبيات الإقليمية بغرض التفرقة والتفتيت .

ثانيهما : انتهت حركات التطويق والإغارات والتفتيت بأنهاء وجود الدولة

---

(١) هكذا والصحيح أنه الخليج العربي .

* هكذا في الأصل .

الإسلامية بشكلها الأخير ـ الخلافة العثمانية ـ عام (١٩٢٤م)[١] (وليت الغرب اكتفى بالبلاد والعباد عقب إنحلال عقد الخلافة ، ولكنه طمع في تغيير دينهم)[٢] وما أطمعهم في ذلك إلا لـ(أن سياج الإسلام قد انخرق بتمامه ، ولم يبق مانع من مد اليد إلى دين المسلمين كما امتدت إلى دنياهم)[٣] غير أنه من النصف أن نقول أنه ظهرت بوادر لليقظة الإسلامية وبشائر في العالم الإسلامي من هنا وهناك (توقظ المؤمنين وتدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم)[٤] وأخيرا لقد ظلت الدولة العثمانية (كفؤا للدول الأوربية مجتمعات أو متفرقات حتى تداعت أركانها وتصدع بنيانها)[٥] . (وبعد إنتهاء الدولة العثمانية ، لم تظهر دولة أخرى تقوم مقامها في الذود عن حياض الإسلام بسلاحها ، فانتهت قوة السيف في الإسلام)[٦] .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) مقدمة الشيخ الدكتور : مطصفى حلمي لكتاب « النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة » دار الدعوة ، الإسكندرية ، ط٢ سنة ١٤٠٩هـ ص ٢٦ ـ ٢٨ مع تصرف يسير .

(٢) المصدر السابق ص٦٤ .

(٣) شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ، مصدر سابق ، جـ٣ ص٣٣٧

(٤) نفس المصدر : ١/ ٢٦٠

(٥) الإسلام في القرن العشرين ، « العقاد » دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ سنة (١٩٦٩م) ، ص ١٧ .

(٦) موقف العقل والعلم ، مصدر سابق ، مصطفي صبري ، ١/ ١٠١ .

المبحث الثاني

حملة نابليون وتحته مطالب

١ - بدايتها

٢ - لماذا اختار مصر

٣ - أسبابها

٤ - آثار حملة نابليون على العالم الإسلامي

٥ - موقف العقاد من حملة نابليون

حملة نابليون العسكرية على مصر

١ - بدايتها :

إن أصل العداوة المزمنة التي يشعر بها الأوربيون للمسلمين هي راجعة إلى العداء الشديد الواقع بين النصرانية والإسلام ، وذلك أن المسلمين كانوا مرعبين أوربة بل خضعت لهم أسبانية مع عظمتها ، ولقد ورث الأوربيون هذه العداوة الظاهرة من آبائهم الذين أججوا الحروب الصليبية [١] على بلاد المسلمين ، لانهم توهموا أن الصليب يتغلب على كل شئ [٢] ، فجاءهم مالم يخطر في حسبانهم وهو أن هناك أمرا واحدا يقهر الصليب وأهله بل يجعلهم يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون ذلكم هو الإسلام الذي يحمله الأتراك المسلمون ، فمن ثم سعوا أن يكونوا صفا واحدا لمحاربة الأتراك . فهب أهل الصليب يجمعون أمرهم وكيدهم وأسروا النجوى أنه لا قِبَل لهم بهذا الدين الذي (عمل ما لم يقدر أن يعمله بل ما لم يجرؤ أن يعمله دين آخر)[٣] فبهتوا ورجعوا إلى أنفسهم ليستخرجوا مكنون أفكارهم ، فتسابق مفكروهم ومكروا مكرا حيث محضوا قومهم النصيحة في تقسيم تركيا حاملة لواء الإسلام ، بل أوغروا صدور العرب المسلمين على الأتراك ، وجندوا بني ملتهم الذين يعيشون في كنف المسلمين أن يشيعوا أنَّ الأتراك[٤] مغتصبون وأنهم غرباء ، فأشعلوا الفتيل بين العرب والأتراك إنطلاقا من صيحاتهم المتتالية التي جَوَّبت بلاد الأوربيين ووقع صداها في قلوب أبناء الصليب ، تلكم الصيحة هي

---

(١) بل كانوا يسمونها الحروب الصليبية المقدسة انظر : ح. العالم العالم الإسلامي : ١٤/١.

(٢) المصدر السابق : ٢١٨/٣

(٣) حاضر العالم الإسلامي : ٢١٨/٣ .

(٤) الإشاعة أولا : هي التي لا يدري من بدأ بها » الفتح : ١٨٦/١ .

وثانيا : ذكر الأستاذ « أنور الجندي » حفظه الله أن كلمة الأتراك مغتصبون وغرباء (كلمة شاعت في مؤلفات بعض الأدباء في لبنان وفي مصر ، وأغلبهم من أتباع المدارس الأجنبية ومعاهد الإرساليات) اهـ : خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث : ص ٢٠٣ ، ط ١ سنة ١٣٩٥ هـ ، دار الإعتصام ، دار العلوم للطباعة ، القاهرة .

(الواجب جمع كلمة المسيحيين وتفريق كلمة المسلمين)[١] ، فجدوا فيما يُظْهِرُ ويجعل كلامهم واقعا ، فاتبعوا أحد مشاريع تقسيم تركيا التي بلغت مائة مشروع[٢] ، وكان منها (المشروع الرابع والأربعون) وهو أنه قبل كل عمل لابد من فتح مصر ونصه :

« أنه إذا انتزعت مصر من يد الاتراك آل أمرهم إلى البوار »[٣] فتولى كبر تفريق شمل المسلمين وتوهين قواهم « نابليون بونابرت »[٤] الذي جاء حين (أمسى العالم الإسلامي مرتديا رداء الخمول ، ففترت وبردت حرارة المبشرين المسلمين ، وسكنت تلك الروح

---

(١) حاضر العالم الإسلامي : ٢٤٤/٣ . وهي صيحة البابا « أكليمنصوس » وهو المشروع الثامن والعشرون في تقسيم تركيا وتاريخه (١٥٩٤ - ١٦٠٠ م) انظر المصدر السابق : ٢٤٣/٣ .

(٢) كتاب « مئة مشروع تقسيم تركيا » تأليف : دجوفارا ، أحد وزراء رومانيا . انظر حاضر العالم الإسلامي : ٢١٨/٣ .

لفظ « مشروع » لم أجده فصيحا وإنما وجدت « شرعة الماء » أي مورد الشاربة ، وقوله « مشارع الماء » وهي الفرض التي تشرع فيها الواردة : انظر مادة «شرع» لسان العرب : ١٧٥/٨ - ١٧٦ . وقلت هذا بحثا لحرصي على التقيد باللسان العربي ما أمكنني ذلك وفوق كل ذي علم عليم . ويمكن أن يقال المشروع على الفكرة قبل بدء تنفيذها وعند أول البدء .

(٣) ح . العالم الإسلامي : ٢٦٣/٣ .

(٤) ولد هذا الرجل الشهير في (١٥ أغسطس سنة ١٧٦٩م) بمدينة « أماكسيو» بجزيرة « كورسيكا » تألبت عليه الدول أجمع وقهرته في واقعة « وترلو » ببلاد « البلجيك » في (١٨ يونيو سنة ١٨١٥م) وأرسل أسيرا إلى جزيرة « سانت هيلانة » إحدى جزر أفريقيا للإنكليز ، وتوفي بها (٥ مايو سنة ١٨٢١م) ودفن بها ثم نقلت جثته إلى « باريس » في (سنة ١٨٤٠ م) أهـ ملخصا من كتاب « تاريخ الدولة العلية العثمانية » تأليف : محمد فريد بك المحامي ، ص ٣٧٢ ، دار النفائس ، تحقيق : د / إحسان حقي ، ط٢ سنة ١٤٠٣هـ بيروت . وهناك ترجمة موسعة لحملة نابليون في الموسوعة السياسية ، تأليف رئيس التحرير : د / عبد الوهاب الكيالي وإخوانه ، ٥٨٣/٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ (سنة ١٩٨١م) بيروت .

٢٦٧٣

الثائرة الجوابة)[١] التي همدت عقب ظهور روح الشقاق في أوساط المسلمين حيث تعتبر أول بذرة أدت إلى سقوط هيبة المسلمين [٢] من نفوس الأوربيين فأطمعتهم فيهم ، وأغرت بهم الحملات (التنصيرية) المنظمة ، فجاءت هذه الحملة فاتحة طريق حملات (التنصير) وهي لا شك في ذلك إمتداد للحروب الصليبية ، فكانت هذه الحملة ممهدة لإنطلاق القوى الإستعمارية على العالم الإسلامي منذ (١٧٩٨م) إلى أن تكاملت في نهاية الحرب العالمية الأولى[٣] .

هذه الحملة التي كانت سببا مباشرا في التغيرات الحادثة في عالمنا الإسلامي فيما بعد ، فيصفها " الجبرتي " رحمه الله بأنها (أول سني الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة ، والنوازل الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور ، وتوالي المحن ، واختلال الزمن ، وإنعكاس المطبوع ، وإنقلاب الموضوع ، وتتابع الأهوال ، وإختلاف الأحوال ، وفساد التدبير ، وحصول التدمير ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب ﴿ **وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** ﴾)[٤] إن الحملة الفرنسية على مصر لم تنبت في رأس نابليون وحده ، بل كانت تتردد في الأذهان في مختلف العصور ، في عهد « لويس التاسع » الذي إنهزم في واقعة المنصورة (سنة ١٢٥٠م) ثم في عهد « لويس الرابع عشر » ، .... ثم في عهد « لويس الخامس عشر ، والسادس عشر » ، ثم نابليون وإنفاذ الحملة[٥] .

---

(١) ح . العالم الإسلامي : ٣٠١/١ .

(٢) المصدر السابق : ٤/١ .

(٣) انظر : السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية ، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث : ص ٧٥ . لإنور الجندي .

(٤) تاريخ عجائب الأثار : ١٧٩/٢ ، ط دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ وهنا ألحظ أن «الجبرتي » رحمه الله خلط بين آيه الأنعام ١٣١ ، وآية هود ١١٧ والصواب هكذا ﴿ **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** ﴾ هود ١١٧ .

(٥) انظر : ٧٠/١ ، ٧١ ، ٧٥ من تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، عبد الرحمن الرافعي ، ط ٤ ، سنة ١٣٧٤هـ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

جامعة أم القرى مكة المكرمة - عمادة شؤون المكتبات - المكتبة المركزية - الإهداء - UNIVERSITY

ولا يغيب عن الذهن (أن البابا « سيلفستر » الذي عاش في أوائل الألف سنة بعد المسيح ، كان أول من نادى المسيحيين في أوربا لمحاربة المسلمين)[١] فالحملة على العالم الإسلامي قابلها الشعب الإفرنسي بحماسة زائدة ، وعلا الصراخ :

هكذا يريد الله ، بل أخذ فرسان البيوتات الفرنسية يتسابقون في هذا المضمار[٢] فهل يا ترى أن يكون من التوافق أن يكون « نابليون » هو المنفذ لما جال في خاطر الفرنسيس ، الذين سعوا في تدمير المسلمين فوق أراضيهم ، إنتصارا للصليب ، فجاء هذا « المِلْطُ » لِيَضْمنَ بسط سلطان فرنسا وسيادتها في بلاد المشرق إلى ما شاء الله ، ويكسب عطف المسيحية ، ويستحق ثناءها ، وهنا لا يخسر عطف أوربا بل سيجدها مجمعة على الإعجاب بتحطيم المسلمين في عقر دارهم [٣] وأخيرا إن جذور غزو مصر تأصلت في نفس نابليون ، ولها ما يرفدها من محاولة ملوك وصيحات قسس فرنسا .

٢ ـ لماذا إختار مصر ؟

لقد ظهرت في النصف الثاني من القرن السابع عشر عدة إقتراحات تدعوا دولة أو أكثر من دول البحر المتوسط إلى إحتلال مصر لأهميتها بالنسبة لدول البحر المتوسط [٤]، هذه وجهة مادية ولا سيما أنها قريبة النظرمن حيث إعتبار هذا الإحتلال وسيلة للتنافس التجاري مع دول الأطلنطي [٥] ولكن لو أردنا أن نحرر إختيار =

---

(١) حاضر العالم الإسلامي : ٢١٥/٣

(٢) المصدر السابق : ٢١٦/٣ ، ٢٦٢ .

(٣) انظر تاريخ الرافعي ، مصدر سابق ، ٧١/١ .

والمِلْط : الخبيث وقليل الخير ومختلط النسب ، انظر مادة : ملط . لسان العرب : ٤٠٦/٧ ، ٤٠٧ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٣٥١/٥ .

(٤) انظر : دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر : د / عمر بن عبد العزيز عمر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (سنة ١٩٧٥م) ، ص ٧١ ـ ٩٨ بتصرف .بدون عدالطباعة.

(٥) نفس المصدر السابق والصفحات ، وقد تمت حملة نابليون على مصر بناءً على التقارير التي كتبها المستشرق الفرنسي فونتور دوبارادي ١٧٣٩ـ ١٧٩٩ توفي متأثراً بمرض =

« نابليون » لمصر لوجدنا أنه جاء ليقضي على الإسلام فيها ، بسبب مركزها الحيوي المؤثر في قلب العالم الإسلامي ، وبالذات بسبب وجود الأزهر فيها ، مما جعلها مركز الإشعاع الروحي والثقافي للعالم الإسلامي كله [١] ، وكان « نابليون » صريحا وواضحا في تحديد إختياره لمصر عندما قال : (سأستعمر مصر ، سأستعمر مصر ، وأستورد الفنانين والعمال من جميع الأنواع ، والنساء والممثلين) [٢] بل كان منفذا لتخطيطات سابقة كانت ترمي إلى (أن السيطرة على الشرق لا تتم إلا بعد الإستيلاء على مصر والشام وتحطيم الخلافة العثمانية) [٣] ولا سيما أن « نابليون » كان يثير أهل مصر على المماليك الذين لا يستحقون حكم مصر (الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها) [٤] ولذلك قضى (بحملته الصليبية التي غزت مصر ، على أكبر قوة مقاتلة في دار الإسلام ، بعد قوة دار الخلافة ، قضى على بأس المماليك المصرية ، وشتتهم ومزقهم كل ممزق ، وتتبعهم ينهب القرى في الأقاليم ويبيد من أهلها ما يبيد) [٥] والخلاصة أنه إختار مصر :

١ ـ لما لها من مركز حساس ، ولما تتمتع به من صدارة تؤهلها للقيادة الفكرية يقر بها الجميع .

٢ ـ أنها ميزان قوة العرب والمسلمين ، فحالها يبين لنا حال العرب قوة وضعفاً.

٣ـ أنها قلعة الإسلام الصامدة ومركز ثقله ، وقد وصفها الشاعر بقوله :

= الزحار أثناء الإنسحاب من عكا) وقد لاحظ في تقاريره بأن مصر قد تكون سهلة للغزو ولكن الإحتفاظ بها سيكون صعباً بالتأكيد انظر مجلة الفيصل . ص ١٠٩ ، العدد : ٢٠٤ ، جمادي الآخرة سنة ١٤١٤ هـ تصدر عن دار الفيصل الثقافية .

(١) واقعنا المعاصر للشيخ محمد قطب ص ١٩٧ .

(٢) ودخلت الخيل الأزهر ، محمد جلال كشك ، ص ١٢٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون ذكر سنة الطباعة ولا عددها .

(٣) جذور العلمانية ، د / السيد أحمد فرج ، ص ٢٨ .

(٤) تاريخ عجائب الآثار ، مصدر سابق : ١٨٣/٢

(٥) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا مطبوعة مع المتنبئ ، ص ٩٣ ، دار المدن ، جدة ، مكتبة الخانجي ، مصر ، سنة ١٤٠٧هـ .

احفظوها إن مصر إن تضع ضاع في الدنيا تراث المسلمين [١]

٣ - أسبابها :

لقد إختلف كل من كتب عن هذه الحملة إختلافا متباينا ، فبعضهم يرى أنها (حملة عسكرية فرنسية إستعمارية [٢] ضد مصر وفلسطين ، كان لها نتائج سياسية وإقتصادية وفكرية بالغة على مصير العرب في العصور الحديثة ، وساهمت في تفكيك السلطنة العثمانية ، تمهيدا لإقتسام ممتلكاتها بين الدول الكبرى ، وفق المنطق الإستعماري ، الذي ساد العالم الغربي في القرن التاسع عشر ، ومطلع القرن العشرين) [٣] وبعضهم أيّد هذا الكلام وقال هي نتيجة المؤتمر الأوربي الذي انعقد في برلين (سنة ١٨٧٨م) حيث إتفقوا على المقررات الآتية :

١ - تحطيم الدولة العثمانية ، التي كانت سدا منيعا في طريق محاولة فرض المسيحية على الشعوب الإسلامية ، وإقتسام تركتها .

٢ - تمزيق البلاد الإسلامية إلى دويلات تقام بينها حدود مصطنعة .

---

(١) انظر عودة الحجاب ، القسم الأول ، ط ٤ ، دار طيبة ، الرياض ، جمع وترتيب محمد ابن أحمد إسماعيل المقدم ، ص ١٢ . وانظر الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د / محمد محمد حسين ١/ ٢٤ - ٣٧ ، وانظر جذور العلمانية ، د/السيد أحمد فرج، ص ٢٨ ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ ، وهو كلام نفيس جدا .

(٢) يقول الأستاذ أنور الجندي حفظه الله عن الإستعمار أنها (كلمة مستحدثة مرتبطة إلى حد كبير بدول مسيطرة بقوة الحديد والنار، تأخذ ثروات الأمم بأبخس الأثمان لتجعلها مواد خامة لمصانعها ثم تعيد إلى هذه الأمم منتوجاتها لتبيعها بأعلى الأسعار) اهـ تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث ، السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية ص ٩٠ ، دار ابن زيدون ، بيروت ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ .

(٣) موسوعة السياسة ، تأليف رئيس التحرير، د/ عبد الوهاب الكيالي وزملائه ،٢/ ٥٨٣ ، مصدر سابق .

مع تحفظي على كلمة « السلطنة العثمانية » هذا لفظ لا يؤدي معنى الخلافة العثمانية فالخلافة تعني هذه الدولة إسلامية ، وأما السلطنة فهي عكس ذلك وهذا قلته بحثا واجتهادا ، والله الموعد .

٣ ـ دعم الأقليات النصرانية الموجودة في البلاد الإسلامية وإستغلالها في إثارة القلاقل والفتن .

٤ ـ مساندة وتشجيع المذاهب المناهضة للإسلام كالقاديانية والبهاءية والتشيع بجميع صوره وأشكاله [١] .

٥ ـ مضاعفة الجهود التبشيرية ، ومساندة النشاط الكنسي بشقيه الكاثوليكي والبروتستاني ، وتركيز هذا النشاط في العالم الإسلامي .

وكان من نتيجة هذه المقررات أن وقعت البلاد الإسلامية فريسة لإستعمار أوربي خبيث ، استهدف نهب ثرواتها ، وقتل مبادئها ، وتشويه مثلها وحقنها بمفاهيم خاطئة هي مع دينها وتقاليدها ومثلها على طرفي نقيض [٢] .

إن هذه الأسباب تلفت إنتباه أي باحث إلى تلك المزاعم التي تعد بسط الآثار الإجتماعية لهذه الحملة (فضولا من القول ، ويصبح في باب الدراسات العليا نوعاً

---

(١) راجع إن شئت التعريف بهذه المذاهب : القاديانية دراسات وتحليل ، البهائية نقد وتحليل ، الشيعة والتشيع ، فرق وتاريخ للإستاذ / إحسان إلهي ظهير رحمه الله نشر إدارة ترجمان السنة ، لاهور .

(٢) انظر : ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٣٧ ـ ٣٨ ، وقد نوه المؤلف أنه نقل من كتاب « صليبية إلى الأبد » لعبد الفتاح عبد المقصود ، انظر حاشية رقم ٢ من كتاب الجبهان الآنف الذكر ص ٣٥ . وللباحث وجة نظر في هذه الكلمات (مبادئ ، تقاليد ، مثل) هذه الكلمات لا تفي أبدا ولا تحل محل (شرعة ، منهاج ، توحيد ، إيمان ، إسلام ، تعاليم) وهي ليست عرفية حتى يمكن إطلاقها على تعاليم الدين بل هي مصطلحات وافدة على لسان الشرع ومن أراد أن يرجع إلى « موقف الإسلام من المصطلحات الأجنبية » من كتاب « حكم الإسلام في الإشتراكية » لعبد العزيز البدري رحمه الله ، ص ١٣٢ .

يقول الشيخ محمد شلتوت رحمه الله ، ومنشأ التقاليد في الأمة إما عرف نبت فيها ثم عم وانتشر ، وإما مجاراة غيرها فيها وأخذها عنه ،وعلى كل حال لم تعهد الكلمة إلا في العادات التي مصدرها العرف أو التوارث اهـ الفتاوى المهمات إستخراج علي بن حسن بن عبد الحميد ص ٩٨ . وانظر معجم المناهي اللفظية لبكر ابن عبد الله أبو زيد ، ص ٢٨٩ كلمة « المبادئ الإسلامية » .

من الطوابع التي تعاد في كل مناسبة تأريخية لهذه الفترة من تاريخ مصر الحديث ،)[١] فهي جاءت على حسب نظر المستغربين لترفع الجهل عن أهل مصر نتيجة الحال التي ترددوا إليها ، مما كانت سببا في جعل (أوربا تجدد عليها غاراتها ، ولكن لا بشكل الحروب الصليبية الممقوتة ، بل بدعوة نشر متاجرها ، وبث علومها وآدابها ، وبمحاربة الواقفين لها في طريقها ، وهذا ما دعا « نابليون » ليقوم بحملته تلك على مصر والشام سنة (١٧٩٨م) ١٢١٣هـ [٢]، فكانت هذه الحملة أول ناشر لعلم أوربا وأدبها في اللغة العربية ، وإن سبقها بقليل بعض الدعاة المسيحيين من أممها)[٣]، نخلص من هذا إلى أنه لا تتوحد وجهة النظر إلى هذه الحملة ، بل كل ينظر إليها بالمنظور الذي يجده في قلبه .

وسبب إختلاف وجهة النظر أن الإستعمار إستطاع أن يجعل له تلاميذ في مصر يدافعون عن وجهة نظرهم تاركين دينهم وما جرته الحملة على مصر من فساد ونحوه . فأخذت أرض مصر على يد الجنود الأجنبية وانتشر فيها الوباء الأخلاقي الغربي .

ويفسر لنا هذا أن الحملة الفرنسية لم تستطع أن تعيش في مصر أكثر من ثلاث

---

(١) نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر ، ص ٣٦ ، عز الدين الأمين .

(٢) الواقع أن الكاتب وضع التاريخ الهجري بين قوسين فخالفته فوضعت الميلادي بين قوسين والهجري بغير ذلك لأن هذا الأصل وذاك الفرع ومن يعود إلى أصله فلا يُسأل لماذا عدت (فالعود إلى الأصل أصل) الهمنا الله عزة هذا الدين في نفوسنا .

(٣) المصدر السابق ص ٣٦ ـ ٣٧. ولا أدري هل يعني « في اللغة العربية » وسطها أم باللغة العربية أم يقصد أثرت على اللغة العربية بأيجاد بعض المصطلحات انظر ص ٣٦ ـ ٣٧ من مقال الأستاذ جمال سلطان الغزو الثقافي في مشاهد وآثار من كتابه « دفاع عن ثقافتنا » حيث أثبت بروز ظاهرة إستيحاء التراث المسيحي في نتاجات الشعراء المتأخرين .

وانظر كتاب « أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي » د / يوسف عز الدين ، دار الصافي للثقافة والنشر ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ ، سلسلة النقد والدراسات الأدبية رقم ٣ ، حيث ذكر ص ٢٣ أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي ، ثم ذكر أن اللغات الأوربية المعروفة الآن لم تتخذ لغة رسمية إلامتأخراً ، ص ٤٣ .

سنوات (١٧٩٨ - ١٨٠١م) أما الحملة الإنجليزية فقد عاشت طويلا لأنه وجدت أرضية إستعمارية في قلوب المصريين وهو ما يطلق عليه بالمستغربين .

٤- آثار حملة نابليون على العالم الإسلامي :

يلخص الدكتور « محمد عمارة » في مقال له في جريدة « الحياة »[1] تحت عنوان : « الحملة الفرنسية على مصر ، وبدايات الإزدواجية » آثارها فيقول :

إن (هذه الغزوة الإستعمارية الحديثة لبلادنا ألقت في واقعنا الفكري - للمرة الأولى في تاريخ المواجهة بين الغرب والإسلام - بفكرة المرجعية الغربية ذات الطابع الوضعي والعلماني والمادي ، وبالنموذج الغربي في النهوض والتغيير ، وبالحلول الغربية التي قدمتها المسيرة الحضارية الغربية لما واجهته دولها وشعوبهامن مشكلات .

فالغزوة التي جاءتنا بالفكر والصحيفة والبعثة العلمية - مع المدفع والبارود والجيش والنهب الإقتصادي - قد أقامت في بلادنا إزدواجيه في الحلول للمشكلات ، وثنائية في مرجعيات مشاريع التجدد والتحديث والنهوض والتغيير ، .

---

(١) الأربعاء ١٠ شعبان ، ١٤١٥هـ ، العدد : ١١٦٤٩ ، ص ١٨ .

والكاتب له وجهات نظر أحيانا تشطح به عن الطريق الحق فهو يعد حديث " الأئمة من قريش " فكراً قرشياً قومياً وهو حديث متواتر ، كما حكاه الإمام ابن حجر وهو يشرح كتاب فضائل الصحابة ، باب ، قول النبي ﷺ " لو كنت متخذا خليلا " من صحيح البخاري يقول رحمه الله ، وقد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيا) الفتح : ٣٢/٧، ويقول رحمه الله ناقلا عن القاضي عياض أن كون الإمام قرشيا مذهب العلماء كافة وقد عدوها في مسائل الإجماع أهـ الفتح : ١١٩/١٣ .

ومع ذلك يقول عنه « عمارة » أنه كذب وإفتراء وهو فكر سياسي قرشي يعكس ثقل قريش في المجتمع العربي ص ٢٤٢ من كتابه « المعتزلة وأصول الحكم » نقلته بواسطة كتاب « غزو من الداخل» للإستاذ : جمال سلطان ، ص٩ فقد ناقش المؤلف مناقشة علمية هادئة في قضايا كثيرة هذه منها . ولما نقلت منه هذا النص من جريدة « الحياة » لأبين أن كبار المستنيرين هم الذين قالوا هذا . والمستنيرأي من من يرى مجاراة الإسلام للواقع وإخضاعه له .

فلم تعد الحلول الإسلامية وحدها هي النموذج والمرجع كما كانت الحال في تاريخنا الطويل ، وإنما أصبحت الحلول الغربية والمرجعية الوضعية والنمودج العلماني والنظريات المادية تزاحم النموذج الإسلامي في تقديم الحلول لمشكلات عالمنا الإسلامي) أهـ

لا شك أن الدكتور « محمد عمارة » كان واضحا جدا في تحديد مسار حملة « نابليون » بينما من بقوا منهزمين نفسيا أحاط بهم الضعف العقلي والمسكنة ، ورموا بأرثهم التليد عند أقدام الدخيل وبين يديه ، فالنور ما جاء من قِبَله ، والظلام ما سواه ، فأضحوا (لا يفرقون بين دخيل يطأ الأرض بحذائه ، أو يسحق التراث بأستعلائه ، سواء كانت وسيلته في ذلك « بندقية » تصفي الجسد أم « كتابا » مهمته تصفية تراث الإسلام وفكر القرآن وحضارة التوحيد) [١] وهم مع ذلك لا يشعرون « بالسوس » الذي نخر عقولهم وسلب إرادتهم فنسبوا النور إلى حملة متظاهرة بـ(مدنيَّة قد أفلست بما بنيت عليه من عبادة المادة) [٢] ، ولو نظرنا إلى أقوال « نابليون » لوجدناها تدحض مقولة « المستغربين » [٣] حين قالوا : (لقد كانت حملة « نابليون » هزة عنيفة لمصر أيقظتها من سباتها العميق ، وبينت لها أنها تعيش في عالم آخر ، وجعلتها تؤمن بأن في الدنيا علوما غير تلك التي كانت تلقى بين جدران

---

(١) المنهزمون ، دراسة للفكر المتخلف والحضارة المهارة ، ليوسف العظم ص ١٠ - ١١ .
ومع تقديري البالغ للكاتب إلا أن لي وجهة نظر لا بد من إظهارها وهو أن إستخدام كلمات « تراث ، فكر ، تقليد » لا ينبغي أن تطلق على الإسلام وذلك من وجهين :
١- أنها تعبيرات عصرية مهزوزة ٢ - لأن التراث « هو نتاج إنساني لا يملك بمفرداته صفة قداسة علمية مطلقة » أهـ الغارة على التراث للأستاذ : جمال سلطان ، ص ١٠ .

(٢) حكم الجاهلية ، للشيخ أحمد بن محمد شاكر رحمه الله ، ص ١٢١ .

(٣) المستغربين : نسبة إلى الغرب وهم من أهل الإسلام ، ويريد هؤلاء : طمس الهوية الإسلامية ، وتدمير كيانها العقائدي والفكري ، وتبدل نظم حياتها وأنماط سلوكياتها .
انظر : التغريب طوفان من الغرب ، لأحمد عبد الوهاب ، ص ١٤ .
فالتغريب أي (طبع المستعمرات الأسيوية والأفريقية بطابع الحضارة الغربية) ص ٤٦ ، الإسلام والحضارة الغربية ، د / محمد محمد حسين رحمه الله .
وانظر ص ٤٥ ، والفصل الثاني بعنوان « التغريب » جدير بالتأمل .

الأزهر)[١]، « فمن أقوال الملط » « نابليون » مما وجهه إلى حاكم المنوفية حين قال له « يجب أن تعاملوا الترك « الأهالي » في منتهى القسوة ، وإني هنا أقتل كل يوم ثلاثة ، وآمر أن يطاف برؤسهم في شوارع القاهرة ، وهذه هي الطريقة الوحيدة لإخضاع الناس ، وعليكم أن توجهوا عنايتكم لإخضاعهم وتجريدهم من جميع أنواع السلاح »[٢] ووجه مرسوما تنص المادة الثانية منه على أن (كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار)[٣] فما يقول المنهزمون نفسيا عن هذا ؟ بل يصرح « نابليون » بقوله : « ولا يمكن إخضاع هؤلاء القوم إلا بالقسوة ، وإني كل يوم آمر بقتل خمسة أو ستة أشخاص ، يجب علينا أن نستعمل الوسائل التي تؤدي إلى إخضاع هؤلاء الناس ، وإخضاعهم لا يكون إلا بتخويفهم »[٤] ، فيا ترى لأي شئ يخضع أهل مصر ؟ وأهل مصر لماذا لم يخضعوا للنور ومدينة « نابليون » ؟ إن أهل مصر كانوا بحاسيتهم المسلمة يرون أن هذا غاز معتدٍ صليبي موتور ، ولم يدر في خلدهم أنه جاء ليحضرهم ، كيف يحضرهم من سَلَّط جيشه عليهم فيجعلونهم يسيرون وهم موثوقون بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال ، فيودعونهم السجونات ، ويطالبونهم بالمنهوبات ، ويقررونهم بالعقاب والضرب ، بل كثير من الناس ذبحوهم ، وفي بحر النيل قذفوهم ، وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم ،

---

(١) الأدب العربي من الإنحدار إلى الإزدهار ، د/ جودة الركابي ، ص٢٥٢، ط : دار الفكر، سنة١٤٠٢هـ بدون عدد الطبعة ، ولقد تأملت كلمة « بين جدران الأزهر » ماذا يقصد بها ؟ أالدين وعلومه أم التقليد المذهبي والجمود؟ أم ماذا يقصد؟ وهذا لفظ مجمل موهم محتمل و أمانة الباحث تقتضي عدم ذكره .

(٢) موسوعة السياسة ، مصدر سابق ، ٥٨٤/٢ .

(٣) عجائب الآثار ، مصدر سابق ، ١٨٤/٢ ، والمرسوم ذكره الجبرتي في : ١٨٢/٢ ومن المعلوم أنه صاغه (في قالبه العربي جماعة من المستشرقين والتراجمة الذين أحضرهم معه) الرافعي ، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر : ٨٣/١ .

(٤) موسوعة السياسة ، مصدر سابق : ٥٨٤/٢ .

ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم [١] ، والمتأمل في حملة نابليون تأملا متمحضا يخرج منه أن هذا « الملط » وحملته « كانت عنايتهم بأفساد الإسلام في مصر - أو بعبارة أخرى - محاولة إخراج مصر من الإسلام - عناية شديدة ، وبذلوا في سبيل تحقيقها جهودا مركزة ، قد تكون أوسع نطاقا وأعمق أثرا من أي محاولة أخرى قاموا بها » [٢] وشاهده أنهم توجهوا إلى المشائخ الذين ألبوا عليهم وأظهروا حقيقتهم لأهل مصر ، فزعم هذا « الملط » أن هؤلاء مثيرو الفتنة فسلط عليهم جنوده حيث (عروهم من ثيابهم ، وصعدوا بهم إلى القلعة ، فسجنوهم إلى الصباح ، فأخرجوهم وقتلوهم بالبنادق ، وألقوهم من السور خلف القلعة » [٣] ألا يتعارض هذا مع مزاعم « الديمقراطية » التي يتبجح بها هؤلاء المنهزمون وأنها تميزت بسماع الرأي المخالف وليكن حرا في إبدائه ؟ فما لهذا « الملط » يستنكر لشعارات ثورته الكبرى ؟ ولكن لا نستغرب من (فرنسا وأهلها) الذين دعوا للإلحاد في الغرب ، بل « قامت ثورتها الكبرى على عداء الدين » [٤] فمعاملته لأهل مصر وإهانتهم (أمر لا يتفق والقواعد الإنسانية في الشعوب) [٥] حين أمر بأعدام من عارض سياسته في مصر وينفذ الحكم فيهم [٦] (ولنا أن نفهم من هذا أن « نابليون » كان ينظر إلى الأمة المصرية بغير العين التي ينظر بها إلى الأمم الأوربية) [٧] وذلك لعلمه أن أهل مصر من الأمة الإسلامية التي هي (نمط فريد في الدهر ، أخرجها الله تعالى للناس من خلال كتابه المعجز ، ونبيه المرسل ودينه القيم) [٨] فجاء بتحديث

---

(١) عجائب الآثار : ٢٢٢/٢ . مع تصرف يسير جدا .

(٢) واقعنا المعاصر ، للشيخ محمد قطب : ص ١٩٨ .

(٣) عجائب الآثار : ٢٢٥/٢ .

(٤) الكتاب والسنة يجب أن يكون مصدر القوانين في مصر ، للشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، ص ٢٠

(٥) تاريخ الحركة القومية ، الرافعي ، مصدر سابق ، : ٥١/١ .

(٦) انظر موسوعة السياسة ، مصدر سابق ، ٥٨٥/٢ .

(٧) الرافعي ، مصدر سابق ، : ٨٨/١ .

(٨) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، د/عبد الستار فتح الله سعيد ، ص٣

الأمة الإسلامية ـ التي أهل مصر عضو من أعضائها ـ (على الطريقة الغربية ، وقد تم لها ذلك ، حيث هيأوا لها بالإرساليات العلمية ظاهرا أنه يراد منها العلم وكسب الخبرات من فرنسا ، بينما المقصود هو القضاء على الإسلام وأهله) [١] فالفكرة التي كان يحملها « نابليون » غير التي دارت في قلوب وعقول المنهزمين نفسيا ، لأن الآثار التي ترتبت عليها (أبلغ من الخبر ، وأصدق من وثائق الأوراق) [٢] فكانت فكرة « نابليون » قائمة على إزالة ديانة أهل مصر وإلحاقها بفرنسا كولاية أو مقاطعة تابعة لها ، (وهذا هو منطق « الإستعمار اللاتيني » الذي تمثله فرنسا وإيطاليا الذي يقوم على إجتثاث أي أمة نزلوا فيها ، وقطعها من ماضيها ولو بالقوة ، ومن هنا تتبين لنا قسوة « نابليون » على أهل مصر) [٣] بعدما غرَّر بهم [٤] حين زعم بقوله مخادعاً لهم : « إنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه والقرآن العظيم) [٥]

فهل صدق هذا « الملط » ؟ نجيب بأجابة « المسيح » عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (حين سئل كيف نعرف الكاذبين ؟ قال : " من ثمارهم تعرفونهم ") [٦] ولله در شيخ الإسلام ابن تيمية النميري حين قال : (ولا ينفق الباطل في الوجود إلا بشوب من الحق) [٧] فلا غرابة أن يخالف تعاليم «المسيح» عليه السلام التي تدعو إلى المحبة والوئام ، لأن « نابليون » يحمل ديانة الغرب التي هي (ديانة مختلفة تمام

---

(١) من مقابلة مع د / عبيدات بتاريخ ١٤١٢/٦/٢٩هـ .

(٢) الديمقراطية في الإسلام ، للعقاد ، ص ٢٣ .

(٣) من مقابلة مع د / حسن باجودة : ١٤١٢/٦/١٢هـ

ومن أراد أن يقف على إهانة حملة « نابليون » لأهل مصر ، فلينظر ٢٤١/٢ وخاصة حوادث شهر رجب سنة ١٢١٣هـ من تاريخ عجائب الآثار .

(٤) هذا ممكن للدهماء لكن بين هذا هو التدليس العلماء فمن ثم قتلهم لأن الباطل لا يظهر عند الحق .

(٥) تاريخ عجائب الآثار ، مصدر سابق ، ١٨٣/٢ .

(٦) أيعيد التاريخ نفسه ، دراسات لأحوال العالم الإسلامي ، محمد العبده ، ص ١٠٣

(٧) مجموع الفتاوى : ١٩٠/٣٥

الإختلاف في روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية ، ديانة مختلفة نبعت قبل كل شئ من رصيدهم الفكري والروحي متمشية مع عواطفهم ونزعاتهم ، وإن صُبت في قوالب تعبيرية لا توافقها تمام الموافقة . وخلاصة : أن الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام) [١] ، فما فعله « نابليون » والآثار التي ترتبت على حملته خير دليل على أنها (معركة بين الهلال والصليب)[٢] كان في حسبانها (تجهيز الفريسة ، وإعدادها ليسهل الإستيلاء عليها ، والإجهاز على بقية مقوماتها وقيمها)[٣] ولاسيما إذا عرفنا أن مطبعته العربية التي كان يصوغ بها رسائله ومراسيمه * (كان قد استصفاها من الفاتيكان ، لطبع تصريحاته ، وبلاغاته ومنشوراته) [٤] لفهم عقول أهل مصر المسلمة ولتسهيل الإدارة الإستعمارية [٥] .

وبعد فلقد كان هم « نابليون » الغربي منحصرا في نسف الحدود التي تحول بين المسلم وبين أخلاقيات الثورة الفرنسية ، وكان جادا في نسف السدود التي تعوق إنسياب التيار القيمي من أخلاقيات أوربا إلى المجتمعات الإسلامية ، بما يحقق تنميط الشخصية الإسلامية على النمط الغربي ، وكان يحمل هم الغرب كله في تحطيم التميز الشعوري الذي يحسه المسلم تجاه الكفر وأهله ، فسعى حثيثا إلى تفتيت الروح الجهادية السامية التي شحنت الأمة المسلمة في الصدر الأول بقيم الرسالة ، فانطلقت في فجاج الأرض وشعابها ، يفتحون بلاد الدنيا بإسم الله ، معلنين حرية

---

(١) شارل جينيير: المسيحية نشأتها وتطورها ،ترجمة د/ عبد الحليم محمود ،ص٢٦٣ - ٢٦٤

(٢) أصل الكلام من مقابلة مع الشيخ محمد قطب : ١٤١٢/٦/٢٥هـ وهذه العبارة موجودة في « قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله » للأستاذ جلال العالم ، ص٢٦.

(٣) د/ عبد الستار فتح الله ، مرجع سابق ص ٥٩ .

* أتحفظ من هذه الكلمة : هل هي فصحى أم لا ؟

(٤) المستشرقون نجيب العقيقي ، ١٣٦/١ .

(٥) انظر : الإعلام والتغريب الثقافي : د/ عبد القادر طاش ، ص ١٥ .

ومن المعلوم أن الذين كانوا يسهلون عليه التخاطب مع أهل مصر ، هم المستشرقون خريجومدرسة اللغات الشرقية بباريس (١٧٩٥ م) انظر : ص ١٠١ ، الإستشراق ، د / السيد أحمد فرج .

الإنسان من عبودية العباد وعبودية الطواغيت بأشكالها كافة ، فكان عازما على تعبيد الأمة المسلمة للسيطرة الأوربية وسيادتها ، وود لو استطاع تدمير حصنها مما ينتج منه الذوبان في الأخلاقيات الأوربية ، وإبعاد حاسة الحذر والنقد والشك وتقويم الإنسان المسلم لكل ما يفد عليه من الغرب والشرق ، ولكم كان حريصا بأن يجعل أهل مصر المسلمين مقتنعين بمبدأ نسبية القيم في النفوس ، فلا شئ ثابت ، ولا شئ مطلق ، كما دعت إلى ذلك الثورة الفرنسية التي حاصلها الضلال والإضلال [1] ، ولكن خاب سعيه وانفرط عقده ، وتحطمت آماله عند صخرة أهل مصر المسلمة ، فلم يقر له قرار ، بل خرج منها مذءوما مدحورا ، وخسئ على عقبيه وانقلب خاسرا ، لكنه بذر بذورا آتت ثمارها وظهرت على مسرح الحوادث مع بدء الصراع الفكري ضد الحضارة الأوربية ، مما صارت رؤوس المسائل التي شغلت الفكر الإسلامي من بعد ولا تزال تشغله ،

وخلاصة : إن هذه الحملة قدمت أنماطا فكرية إجتماعية أوربية سرت في جسم الأمة من طريق المشاهدة والتقليد وحملهم على الرضا بالخنوع للمدنية المادية الغربية الحديثة ، جاءت على (نقص من الدنيا ، وخفة من الدين ، وسوء ذات بين)[2] فزالت الحواجز القائمة بينها وبين الشعوب المسلمة التي كانت تسبب النفور من الكافر فيحس بالغربة بين ظهراني المسلمين مما يجعل بقاءه غير مأمون العواقب [3] .

لقد مهدت هذه الحملة في إعداد العالم الإسلامي ومصر خاصة لقبول التغريب ، فعصفت بيقينها أمراض التحديث الكاذب ، ورسمت لها مناهج السياسة التي تقاد بها وتقود بها غيرها وفقا للنمط الغربي الكافر ، مما جعله يتحكم في مصيرها من الفلبين إلى مراكش ، ونسي العالم الإسلامي أن الإسلام قدرهم وحظهم من الأديان السماوية ، وأنهم حظ محمد رسول الله ﷺ من الأمم ، إن مهمة نابليون وحملته كانت « بداية

---

(١) انظر : دفاع عن ثقافتنا ، للأستاذ جمال سلطان ، ص ١٠٧ ، ١١٠ .

(٢) فتح الباري : ٩٢/١٣ .

(٣) انظر الإسلام والحضارة الغربية ، د/محمد حسين رحمه الله ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .وانظر التبشير والإستعمار ، د/عمر فروخ ومصطفى الخالدي ص ٢٥ .

التحرك الصليبي لمحاولة القضاء على الإسلام في مركز الإشعاع الروحي والثقافي »[1]

وشاهده أن « نابليون » اقتحم « الأزهر » مما كان إهانة للأمة أو إعلاناً لهزيمتها على يد غاز بربري ، وباقتحامه على هذا النحو سقط كل زيف حاول الغزاة أن يستروا أهدافهم خلفه ، وأصبحوا وجها لوجه ضد الأمة المسلمة ، وذلك نعلمه يقينا من تعليمة « نابليون » لرئيس أركان الحرب بتاريخ (٢٣ اكتوبر) بأن « يهدم الجامع الأكبر ليلاً إذا أمكن ، وترفع الحواجز والأبواب التي كانت تسد الشوارع »[2]

وبعد هذا كله تسقط دعوى « تنوير » هذه الحملة للعالم الإسلامي لعدة أسباب منها : ١ ـ أن الذي تولى كبر هذه الإشاعة المستشرق « هاملتون جب »[3] .

٢ ـ أن الذين روجوا لهذه الحملة أنها يقظة نبهت الشرقيين هم الكتاب النصارى في مصر والشام[4].

---

(١) هلم نخرج من التيه ، للشيخ محمد قطب ، دار الوطن ، الرياض ص ٨٧ ، ط ١ سنة ١٤١٥ هـ ، .

وهي أي الحملة تمثل الإتصال المباشر بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية ، هذا الكلام يؤكد أن أوربا لم تعرف الحضارة بمعنى التقدم المادي إلا في أواسط القرن السادس عشر الميلادي ، فـإذا كان هـذا صحيحا ، فإن بعض من يرون أن تأثير هذه الحملة محدود ، نظروا من زاوية أن مدتها قصيرة ، وبما قوبلت به من الروح العدائية من المصريين المسلمين ، فلم تظهر آثارها سريعة لكننا لو تلمسنا آثارها التي أعقبتها لتغير القول أنها فعلا ليست محدودة الآثار ، انظر : سيد قطب الأديب الناقد ، لعبد الله الخباص ، ص ٢٨ ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الأولى : سنة (١٩٨٣ م) .

(٢) ودخلت الخيل الأزهر ، محمد جلال كشك ، ص ٢٣٥ ، ونقله عن « الرافعي » مؤرخ الحركة القومية في مصر .

وانظر إن شئت ص ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٧ . من نفس الكتاب المذكور .

(٣) أحد مستشاري وزارة الخارجية البريطانية ، انظر ص٢٦٢ ، خصائص الأدب العربي لأنور الجندي ، ولا ننسى أن هذا المستشرق يحمل روحا غربية من أصل نشأتها ص٢٦٧ ، نفس المصدر ، وانظر الإستشراق ، الذرائع ، النشأة ، المحتوى ، د/السيد أحمد فرج ، ص ٣٩.

(٤) انظر خصائص الأدب العربي ص ٢٠٩ .

٣ - أن المستشرقين والكتاب النصارى في مصر والشام صوروا الدين (في صورة الدين الجامد الذي لا يصلح للتطور ، وكان هؤلاء يعمدون إلى إختيار البيئات الإسلامية التي نالها أكبر قسط من الضعف والهزل ويجعلونها نموذجا للإسلام ، وكانت الغاية من كل ذلك خلق تخاذل روحي وشعور بالنقص في نفوس المسلمين)[١] وأنه سبب تأخر الشرق وقاصم ظهره ، ومثقله والجاثم على صدره ، فجاءت هذه الحملة فهزت كيانه لتدب بها روح الحياة لكن على الطريقة الغربية ، ولن يتم أي تقدم له إلا بهذه ، رغم أنف المتجمدين الذين يريدون إرجاع الأمة إلى عهد الشاة والبعير[٢] ، **وخلاصة الأسباب أن المدعين أحد رجلين :**

أما **مستشرق** يريد أن يرد كل نهضة إلى الغرب ، **أو شرقي مفتون بالتقليد** يريد أن يساير الأجانب في كل شئ[٣] .

ونعود فنقول : إن هذه الحملة كان لها أثر كبير في تغييب النفس المسلمة والعقل المسلم عن الجهاد في سبيل مقاومة الغاصب بحجة أن الدين ليس له مكانة في صد عدوان المعتدين ، بل إن الوطنية ، هي التي تحل محله ، وتصير بديله ، فالوطنية هي المحرك الذي يستطيع بتأثيره صد عدوان المعتدين ، فسقط واندحر التدين من النفوس وحل محله الفجور (والوطنية وحب الوطن بالمعنى القومي الحديث في أوربا ، الذي يقوم على التعصب لمساحة محدودة من الأرض ، يراد اتخاذها وحدة وجودية ، يرتبط تاريخها القديم بتاريخها المعاصر ، ليكونا وحدة متكاملة ، ذات شخصية مستقلة ، تميزها عن غيرها من بلاد المسلمين وغير المسلمين)[٤] ، وهكذا جلبت هذه الحملة بذور الوطنية والقومية وألقتها في التربة الإسلامية ، وتعهدها

---

(١) الإعلام والتغريب الثقافي ، د/ عبد القادر طاش ، ص ١٤ ، وانظر : التبشر والإستعمار في البلاد العربية ، فروخ ، والخالدي ، ص ٥٢٤ .

(٢) انظر الإعلام الإسلامي ، وخطر التدفق الإعلامي الدولي ، د/ مرعي مدكور ، ص ٦٤ .

(٣) انظر خصائص الأدب العربي ص ٢٦٣ .

(٤) الإسلام والحضارة الغربية ، د/ محمد محمد حسين رحمه الله ، ص ٢١ ، وانظر ص ٢٣ حيث أثبت الشيخ من كلام الطهطاوي وجودمواضع متفرقة عن الفراعنة سيقت في أسلوب الفخر والإعتزاز ، ونعوذ بالله من الإفتخار بجثاء جهنم .

من جاء بعدها بالسقي والرعاية حتى نمت وضربت جذورها في الأرض [١] فأفقدت الأمة الإسلامية بصرها وبصيرتها إلا ما رحم ربي ، وظهرت آثارها الخطيرة في عقل المفكر العربي ومواقفه من التحديات الكبرى لأمته [٢] ، فإذا تمهَّد هذا في عقولنا ونظرنا إلى هذه الحملة بمنظور إسلامي فسنجد أن (نتائجها السياسية والفكرية والأدبية والإقتصادية كان لها أعظم الآثار السيئة والتي أخذت صفة الإستمرار والانتشار) [٣] ، فإذا رأى أهل التنوير » نجاح فكرة « الوطنية والقومية » في بلاد أوربا فلها ما يجعلها صالحة النماء هناك ، هذا من ناحية [٤] ، ومن ناحية أخرى لا (يمكن أن ننقل هذه الفكرة برمتها إلى واقعنا العربي الإسلامي لتحقيق النهضة فيه ، وذلك لأنها فكرة نبتت ونجحت في مناخ اجتماعي تاريخي مغاير لمناخنا الإجتماعي التاريخي) [٥] التي يراد من ورائها ذبذبة ولاء المسلمين ، ليسهل انزلاقهم في النهاية بعيداً عن الإسلام ، هذه أولى آثار الحملة الفرنسية » ،

وأما ثانيها :

فهي أنها أعطت الأوربيين مثالا يحتذى في نجاح ما يسمونه « بالصليبية الروحية » (التي ترتكز على الغزو السلمي لعقول المسلمين عن طريق تعلم الأوربيين

---

(١) انظر : الإسلام والحضارة الغربية ، مصدر سابق ، ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) انظر جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي ، جمال سلطان ، ص ٩٥ ، ٩٧ .

(٣) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر ، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ، د/ حمد بن صادق الجمال . ٤١/١ ، ط : عالم الكتب ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٤ هـ .

(٤) انظر : هلم نخرج من التيه ، للشيخ محمد قطب ، ص ٥٥ .
وكانوا ولا شك (أول من أثار النعرة الدينية، وغرس بذور الخلاف بين أبناء الوطن الواحد) أهـ من تباشير النهضة في العالم الإسلامي ، ص ٥٠ ، د / محمد ضياء الدين الريس ، دار الأنصار ، القاهرة ، الطبعة الثالثة :١٤٠١ هـ .

(٥) جذور الانحراف ، مصدر سابق ، ص ٩٢ ، وانظر: هلم نخرج من التيه ، للشيخ محمد قطب ، ص ٨٩ .

علوم المسلمين ليتمكنوا من تشويه العقائد الإسلامية وتاريخ الإسلام)[١] ، فهي (رأس عملية « التغريب » أو عملية « التخريب » المقصود لإبعاد مصر عن الإسلام بل عن العروبة كذلك)[٢]

ثالثها وهو أخطرها : إنشاء المحاكم المختلطة من مسلمين وغير مسلمين ، فلقد جهد (أن يغير الشريعة الإسلامية ويستبدلها بالقانون الوضعي ، من أجل ذلك أنشأ في مصر محكمة سماها « محكمة القضايا » وهي هيئة تتكون من اثني عشر تاجرا نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من عباد الصليب ، وأسند منصب الرئاسة فيها إلى قاضي قبطي ، وجعل من اختصاصها النظر في المسائل التجارية ومسائل المواريث .... ثم أنشأ خليفة نابليون « منو » لكل طائفة من الطوائف غير الإسلامية من الأقباط والشوام والأروام واليهود وغيرهم محكمة خاصة ، ويتولى رئيس كل طائفة المحكمة الخاصة بطائفته ، وذلك كي تنافس هذه المحاكمُ المحاكمَ الشرعية)[٣] فكان نتيجة ذلك (ترجمة القوانين المطبقة في المحاكم المختلطة)[٤] وبتطبيقها عمّت العالم الإسلامي إلاما رحم ربي القوانين الوضعية الغربية تاركين وراءهم شريعة الله الغراء[٥]

رابعها : من المعلوم أن الحملة الفرنسية (قد خرجوا على كل دين ، ودانوا بالإباحية والتحلل في الأخلاق والأعراض)[٦] ، فأرادوا أن يعطوا العالم الإسلامي مثالا على الإباحية المطلقة التي لا تلتزم بالقيود والحدود ، واستخدمت الحملة لذلك

---

(١) الإعلام الإسلامي ، د/ مرعي مذكور ، مصدر سابق ، ص ٤١ .

(٢) هلم نخرج من التيه ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .

(٣) الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية ، د / عمر بن سليمان الأشقر ، ص ٦٧ . وانظر : تاريخ عجائب الآثار : ٢٠٩/٢ وانظر: التبشير والإستعمار،لفروخ والخالدي ، ص١٣٢.

(٤) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر ، في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، د/ حمد بن صادق الجمال ، ٥٥/١ ، مصدر سابق .

(٥) انظر : المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، للشيخ الدكتور : محمد بن رشاد سالم رحمه الله ، ص ٧٧ ، ط ٩ ، سنة ١٤٠٩هـ ، دار القلم ، الكويت .

(٦) أحكام الجاهلية ، الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، ص ١٨١ .

إحضار النساء والممثلين ، لعلمه أن سلاح الرذيلة أبلغ أثرا من سلاح القوة ، فينشأ من ذلك جيل مريض روحيا (يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين ، وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضر على الإسلام مما إذا اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها)[١] ، فبذرت في نفوسهم التأثر المباشر وغير المباشر من غير هدى [٢] .

خامسها : تقويض الأسرة المسلمة ، وهدم بنيانها في النفوس ، وتطويح العلاقات الأسرية المسلمة والترابط الأسري وذلك لأنها (هي حجر الزاوية في بناء المجتمع الإسلامي ، فقد كان إهتمام الغرب الصليبي بأمرها أعظم وأخطر ، لأنها تعتبر في الواقع هي عروة العرى في كيان الإسلام ، بما اشتملت عليه من تمسك بأسباب الوقاية والطهر)[٣] ولذلك لم يطمئن أهل مصر إليها بحال من الأحوال ، ولم يخدعوا في حقيقة الأغراض التي كان يرمي إليها « نابليون » من الحملة [٤] التي هي افرازات الثورة الفرنسية القائلة (يجب ألا نقدس شيئا ، وأن نتبع أية وسيلة مادامت تفضي إلى الغاية)[٥] فألقت بذورا من وحي الحياة الإجتماعية الأوربية مثل منع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين ونزع الحجاب وخروج المرأة كاشفة صدرها وظهرها واستحدثت أماكن اللهو والفجور وفتح الصداقة بين الرجال والنساء [٦] .

---

(١) هذا كلام الفرنسي « ميسوايتين لامي » نقلته من : الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالإستعمار والصهيونية العالمية ، محمد فهمي عبد الوهاب ، ص ٨ . دار الإعتصام ، سنة (١٩٧٩م) ، بدون عدد طباعة . وانظر : قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر (١٧٩٨ - ١٩٤٥ م) عادل أبو عمشة ، ص ٣٨ .

(٢) انظر نفخ العود في سيرة دولة الشريف حمود ، ص ٤١ .

(٣) الحركات النسائية ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٤) انظر ودخلت الخيل الأزهر ، ص ١٧٩ ، وانظر : ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٥) الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ، للأستاذ عبد الله التل رحمه الله ، ص ١٦ .
وانظر : الصحافة المصرية وموقفها من الإحتلال الإنجليزي ، د/ سامي عزيز ، ص ٥ .

(٦) انظر عجائب الآثار : ٤٣٦/٢. وانظر شرح أحمد شاكر عند قول الرسول ﷺ : " أيما امرأة خرجت من بيتها متطيبة " الحديث رقم : ٧٩٤٦، المسند : ١٥ / ١٠٨ . وانظر الإسلام والحضارة الغربية ، مصدر سابق ص ٢١ . وانظر الاتجاهات الوطنية ٢٦٤/١ . =

سادسها : وهي أشدها وأخطرها : تفتيت الوحدة الإسلامية ، ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها ، وتحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأة وبالعنف ، وفعلا كانت بذور الشقاق الذي حصل في جسم الأمة حيث دفعهم الغرب الكافر إلى إعلان الحرب على أنفسهم ومزقوهم داخليا في عقر دارهم ، وعندها أيقن الغرب أنه لن يخيفه الإسلام بعد هذا أبدا [١] ، ولقد دعا النصارى بعضهم بعضا إلى الإتحاد على الأتراك [٢] بأثارة الخلافات بين الأوساط الإسلامية وإشاعة التفكك في وحدتهم فينهار بذلك الإسلام [٣] .

سابعها : إنشاء وطن قومي لليهود ، مقابل معونتهم له في حروبه في الشرق [٤] ولقد حددت المنطقة بأنها (محاذية لقناة السويس ، تمهيدا لإحتلالهم فلسطين ، وإقامة دولة يهودية على أرضها ، بعد أن يحتلها الجيش الفرنسي بقيادة نابليون) [٥] .

= وربما أرادوا منع التعدد وتحديد الطلاق ولكنهم فشلوا .

(١) انظر لورنس العرب على خطى هرتزل ، زهدي الفاتح ، ص ٦٤ ، ٧٤ .
وانظر جذور العلمانية د/ السيد أحمد فرج ، ص ٢٨ .

(٢) انظر : حاضر العالم الإسلامي ، مصدر سابق ، ٢١٨/٣ ، ٢٥٠.

(٣) الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي ، مصدر سابق ، ص ٣٨ .
وانظر : قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ، د/ ذكريا سليمان بيومي ، من ص ١٤١ - ١٥٥ ، ط : عالم المعرفة ، جدة ، ط ١ : سنة ١٤١١ هـ ، وهو كتاب جدير بالقراءة .

(٤) بل لقد ناداهم عام (١٧٩٩م) أثناء حصاره مدينة عكا بقوله : (يا ورثة فلسطين الشرعيين : إن الأمة العظيمة تناديكم الآن للعمل على إعادة إحتلال وطنكم فحسب ، وليس بغية استرجاع ما فقد منكم ، بل لأجل ضمان ومؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين) أ هـ من : التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية ، ص ٢٩ د/ عدنان السيد حسن ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٠هـ .

(٥) الأفعى اليهودية ، مصدر سابق ، ص ١٨ والأستاذ التل رحمه الله نقله من كتاب « يقظة العالم اليهودي » ، إيلي ليفي أبو عسل ، مطبعة النظام بمصر سنة (١٩٢٤ م) ، ص ١٠١ ، وفيها نص الإتفاقية . ولا عجب في ذلك ولا ننسى أن نابليون خرج إلى=

ثامنها : تحكيم الهوى وإحلال العلم الدنيوي محل الدين والإنسلاخ منه وهو ما يسمى « بالعلمانية » أو إلغاء معالجة أي قضية نازلة من منظور إسلامي ، وإقامة الحياة على هذا المذهب (اللا ديني الواسع ، الذي يشمل حماية القانون لكل الأعمال والأقوال التي تهز القيم الدينية ، والأعراف الإجتماعية ، وتجاهر بمخالفتها وتسفيهها ، والتي تنشر الفوضى وتفرق الجماعة ، بالتشكيك فيما يلتقي عليه الناس من عقائد وقيم ، والتي تطلق للشهوات العنان ـ لأنها ـ [أي الحرية] لا ترى أن على الدولة إلتزاما لا دينيا ولا خلقيا)[١] وبالجملة مهدت إلى (تجرأ الناس على إرتكاب الموبقات ، والجهر بها باسم الحرية الشخصية التي لم يفهموا إلا أن يحل الناس أنفسهم من كل قيد ، لا يبالون دينا ولا عرفا ولا مصلحة)[٢] . مما نتج منه رفض تحكيم الدين في شئون الحياة .

تاسعها : كانت بذرة الدعوة إلى وضع مدونة قانونية شاملة ، أي القوانين الوضعية على نمط المدونات الغربية الحديثة المستندة إلى الهوى والعقل على قصوره ، وعلى مخالطة الشهوات له[٣] . مما كانت سببا في فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية[٤] ، وإنزال أهواء البشر منزلة حكم رب العالمين ، وكان نهايتها التبعية الحضارية الشعورية لأمم الغرب[٥] التي سادتها (الفلسفة العقلية التي تؤله العقل)[٦]

عاشرها : كانت المدرج إلى المجالس النيابية وفق النمط الغربي ، مع إدخال العنصر النسائي ومساواة النساء بالرجال نظريا وعمليا ومحاكاتهم في الزي وفي

= فلسطين يوم الأربعاء سنة ١٢١٣هـ من شهر رمضان المعظم ، تاريخ عجائب الآثار : ٢/٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، وفيها ضرب غزة ، يافا ، الرملة ، حيفا .

(١) الإسلام والحضارة الغربية ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .

(٢) الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مصدر سابق ، ١/٢٦٤.

(٣) انظر الإسلام والحضارة الغربية ، ٣٢ ، ٣٥ .

(٤) انظر الإتجاهات الوطنية : ١/٢٦٤ .

(٥) انظر جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي ، جمال سلطان ، ص ١٨.

(٦) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر ، مصدر سابق ، ١/ ٢١٠.

وانظر : المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، للشيخ الدكتور : محمد بن رشاد سالم ، ص٧٢.

السلوك [١] .

حادي عشر : تشجيع النصارى على المطالبة بحقوقهم في البلاد الإسلامية ، يقول سلامة موسى[٢] (لما غزا نابليون مصر في أواخر القرن الثامن عشر ، انتعش الأقباط ، ولم يكن الشعب المصري ، مسلمين ومسيحيين يحس الوجدان (الوعي) الوطني الذي نحسه في عصرنا ، وذلك لأن الوجدان الديني كان يقوم مقامه . وفرح الأقباط بدخول نابليون ، واستطاعوا أن يجرءوا على تغيير ملابسهم وأن يرحلوا في الصعيد إلى القاهرة وبلدان الوجه البحري ، وكانوا إلى ذلك الوقت يتعممون بالعمائم السوداء)[٣] وكان لفئات نصارى الشام والأروام والأفرنج المقيمين والأقباط وظيفة كبيرة في نشر الفساد وفي تفكيك المسلمين [٤] بل كانوا المنفذين لسياسة الغرب في بلاد المسلمين [٥]

ثاني عشر : إحداث البنوك المصرفية الربوية وتشجيع حرية الإقتصاد انطلاقا من قاعدة « الغاية تبرر الوسيلة » مما كان سببا في تجارة آلات اللهو والخلاعة وكل ما يدخل الضرر على المسلمين عقلا وقلبا وجسما [٦] فصارت موانع عاقت التقدم عن مسيرته الأصلية وذلك بنبذ الخلف مصالح الأمة العمومية وجريهم وراء

---

(١) انظر : ودخلت الخيل الأزهر ، ص ٣٩٥ ،
وانظر قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر ، ص ٣٩ .

(٢) نصراني أرثوذكسي ولد سنة (١٨٨٧ م) في صعيد مصر السعيدة ، يعتبر واحدا من أكبر دعاة التغريب في مصر في القرن العشرين الميلادي ص ١٦ ، التغريب طوفان من الغرب ، لواء أحمد عبد الوهاب .

(٣) نقلته بواسطة : التغريب طوفان من الغرب ، مصدر سابق ، ص ١٧ ونقله من كتاب « تربية سلامه موسى » لسلامة موسى من ص ٨ - ١٨ .

(٤) انظر عادل أبو عمشة مصدر سابق ، ص ٣٩ .
وانظر عجائب الآثار : ٢/٢٥٤.

(٥) انظر : د/ مرعي مدكور ، مصدر سابق ، ص ٣٨ .

(٦) انظر الإسلام والحضارة الغربية ص ٢١ .وانظر : جذور العلمانية ، د/ السيد أحمد فرج ، ص ٢٣ .

شـهواتهم الخاصة [١] .

ثالث عشـر : كانـت مفـتـاح الأوربـيـين ، أنهم إذا أرادوا الحفاظ على مصالحهم فعليهم بالتشـويـه والخداع والكـذب والمبالغة ، واتبـاع « الـدبـلوماسـيـة » التي تعني الكذب والتزوير والمخاتلة ، والتي لباسها الوصول إلى الغاية بأي وسيلة كانت ولا رادع من دين ولا أخلاق [٢] .

رابع عشـر : مهدت لسـلاحٍ جـديدٍ أكثر خطـورة وفاعلية في تحقيق خطط الغرب والوصول إلى مآربـه ، ذلكم هو حـريـة الطباعة وحرية النشر ولو كان إلحاداً ، لا يهم ما دام أنه يبعد المسـلمين عن ديـنـهم الذي يوحـدهم ويجعلهم أمة واحـدة ، فجعلت العـالم الإسـلامي مـيـدانـا لغزو صحافي صليبي مدمر [٣] محاولة تـغـريـب شعوب الإسلام عن دينهم وبـيـئـاتهم ومحاربة الديـن بالإفتراء عليه وبالطعن فـيه [٤] ، تنفيذاً لسياسة الغرب التي تعني اسـتـعـبـاده للشـرق ، مما جعل الافرنسـيين يسـارعون في (تفكـيـك أواصر القربى الروحية في الأمة الإسـلامية خـاصة ، حتى يسـتطيع الغرب أن يحكم الشـعوب الإسلامية ويستغل بلادها إقتصاديا وحربيا) [٥] .

خامس عشـر : كانـت نـواة (تـطـويـر الإسـلام وحـمله على الحضارة الغربية ، بتفسـيـره على الوجـه الذي يـلائمها ، وحـمـل الحضارة الغربـيـة عليه ، بتبرير مذاهبها وأنماطها بنصوصه بعد تحريفها وتأويلها)[٦] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٢) انظر: د/ مرعي مدكور ، ص ١٢ .

(٣) المـصـدر السابـق . ص ٦٣ ، ٦٤ ، وانـظـر : الإسـلام والحـضـارة الـغـربـيـة ص ٢٩ ، وانظر : رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر ، يوسف العظم ، ص ١١ .

(٤) انظر : د/ مرعي مدكور ، ص ١٢

(٥) التبشير والإستعمار ، لفروخ والخالدي ، ص ٨٩ ، وانظر ص ٣٨ نفس المرجع .

(٦) أزمة العصر ، للشـيـخ الـدكتور : محمد بن محمد بن حسين رحمه الله ، ص ١٢٣ ، دار عكاظ ، جدة ، سنة ١٣٩٩هـ .

وانظر : الإستشراق ، د/ السيد أحمد فرج ، مصدر سابق ، ص ٨٢ ، ص ١٠٦ وهو ما يسمى بعصرنة الإسلام وإعادة تشكيله في قوالب غربية .

سادس عشر : رغبة إجهاض النهضة الإسلامية المتوقعة التي ظهرت لها بوادر في الأقطار الإسلامية الأخرى ، ولا سيما (صيحة الإمام محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية بدعوة التوحيد ، وما كان لها من أصداء في العالم الإسلامي كله . وهذا يسبق وصول الحملة الفرنسية بأكثر من نصف قرن)[١] ، فنبهه المستشرقون رائدو الإستكشاف في أرض الإسلام ، سواء استكشاف الخلل الحاصل في جسم الأمة ، أو استكشاف اليقظة المتوقعة في جزيرة العرب ، ومصر ، وفي بغداد[٢] ، فصاح النذير : خذوا حذركم إن الإسلام قادم ، فثارت روح الصليبية الحاقدة في نفس نابليون فـ (هوى هُوِيًّ العقاب على مهد اليقظة ، في الديار المصرية ، هوى على الاسكندرية فجأة بجحافله وأساطيله ، مزودة بكل أداة للحرب جديدة ، مما تمخض عنه علم أوربا يومئذ)[٣] مسارعا لوأد اليقظة في مهدها قبل أن تتفاقم[٤] .

وبعد فـ (إذا كانت الحملة الفرنسية ، قد فشلت عسكريا ، فأنها قد نجحت في زرع بذور القيم الغربية ، وقدمت الحضارة الغربية للشرق المسلم ، بوجه سافر ، ومن تلك اللحظة بدأت عملية الموازنة بين القديم الموروث والجديد الطارئ بكل أشكاله ومغرياته ، ودخل الشرق ـ ممثلا في مصر ـ صراعا حضاريا ضاريا لم يتوقف حتى الآن)[٥] مما كان سببا في (رفع الحضارة الغربية المسيحية الوثنية ، وتدمير المعاني الإسلامية الربانية)[٦] وكانت ممهدة لـ (خطة « محمد علي » في التحديث استمرارا

---

(١) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، للأستاذ : أنور الجندي ، ص ١٣٢ ، ط المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ وانظر : هلم نخرج من التيه للشيخ محمد قطب ص ٩٠ .

(٢) انظر رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مطبوعة مع المتنبئ ، ص ٨٨ ، ط : دار المدني ، جدة ، مكتبة الخانجي ، مصر ، سنة ١٤٠٧هـ ، محمود شاكر .

(٣) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، ص ٩٢ .

(٤) انظر المصدر السابق،ص٩٩.وانظر هلم نخرج من التيه ، للشيخ محمد قطب ، ص ١١٨.

(٥) عادل أبو عمشة ، مصدر سابق ، ص ٣٩ .

(٦) مجلة البيان ، تصدر من المنتدى الإسلامي ، لندن ، ص٨ ، العدد الأول سنة ١٤٠٦ هـ شهر ذي الحجة .

لخطة نابليون ، وأقام محمد علي دولتـه العلمانيـة التي لا تفرق بين مواطن وآخر ، إلا بمقدار ما يقدمه لها من خدمات) [١] ، بل إن الشـيـخ « محمد عبـده » يقول عن محمد علي إنه (لم يفكر في بناء التربية على قاعدة من الدين والأدب .... أو وضع حكومة منظمة يقام بها الشرع ويستقر العدل ... وحتى الكتب التي ترجمت في فنون شتى ... ترجمت برغبة من الأوربيين ، الذين أرادوا نشر آدابهم في البلاد) [٢] التي (هـزت المفاهيم الإجتماعـيـة التي كان يخضع لها المجتمع المصري ، ومهدت بذلك لقبول التحرر الإجتماعي بوجـه من الوجـوه) [٣] ، وكان « محمد علي » مستمرا في سقي وتعاهد بذور التغريب بدلالة أنه كان يسلط جنوده على الشعب المصري لقتل غيرتهم ، فكان جنوده يدخلون الدار المسكـونة (من غير احتشام ولا إذن ، ويهجمون على سكن الحرم بحجة أنهم يتفرجـون على أعالي الدار فتصرخ النسـاء ، ويجتمع أهل الخطة ويكلمونهم فلا يلتفـتـون إليهم) [٤] مما نفهم منـه أن « محمد علي » استمر على وفـق ما رسمه له صانعوه ، و هكذا نستطيع أن نقول بعبارة وجيزة أن (المجتمع التقليدي كاد أن يزول على يد محمد علي) [٥] وهكذا استمر « محمد علي » في تخطيط مرسوم في تغريب الأمة الإسلامية موحيا أن الدين جمود وتأخر ، وهاهي أوربا خرجت من الدين وتحضرت وعلا نجمها ، فإما أن تبقوا جامدين ولا تقدم وتدعوا أوربا تسـبقكم في جميع الحياة ، وإما أن تتركوا واقعكم ينـطـلق مع دوامـة الحياة ، دون إدخال الدين وتحكمه فيها [٦] ، فكان أمام مصر (طريقان ، العودة إلى تقاليد الإسلام

---

(١) جذور العلمانية ، مصدر سابق ، ص ٣٢ .

(٢) نقلته بواسطة : جذور العلمانية ، مصدر سابق ، ص ٣٢ ، وقد ذكر د/ السـيد أحمد فرج أن نص المقال في مجلة المنار ٥/٥/١٧٥ـ١٨٣ .

(٣) المؤامرة على المرأة المسلمة ، تاريخ ووثـائق ، د/ السـيد أحمد فرج ، ص ٣٤ ، ط : دار الوفاء ، المنصورة . ط ٢ : سنة ١٤٠٧ هـ .

(٤) عجائب الآثار ، للجبرتي ، ٣/٢١٦ . والخطة : مجموعة من الدور المتجاورة .

(٥) جذور العلمانية : ص ٣٣ . مع تحفظي على كلمة « تقليدي » إلا أن يعني بها القديم ذا الإرث التليد من غيرة وأنفة قبول الغريب .

(٦) انظر هلم نخرج من التيه ، للشيخ محمد قطب ، ص ٦٢ .

أو محاكاة أوربا ، وقد اختارت الطريق الثاني) [١] ، فلما تحدد المسار تلقفه الإنجليز الذين كانوا يتطلعون عن كثب لمعرفة آثار بذور التغريب التي بذرها نابليون وجيشه وعلماؤه ثم خلفه « محمد علي باشا » فقطعوا على أنفسهم من حين دخولهم مصر سنة (١٨٨٢م) أن يواصلوا من حيث انتهى نابليون وخلفه الهالك ، .

وإذا نظرنا بعين متجردة أنه لولا الخبال الذي أصاب مصر من حملة نابليون لما تجرأ الإنجليز على دخول مصر ، وقد رأوا ما حل بنابليون وجيشه ولكن اطمأنوا إلى ذبول الدين في نفوس أهل مصر ، فرأوا إنه من البر بالصليبية مواصلة تعاهد بذور توأمهم الفرنسي وسقيها حتى نمت وترعرعت وأنبتت جيلا لا يدركون من المصالح إلا الداني القريب ، ومستكينين لما يقع عليهم من الظلم ، لا يكادون يطمعون في دفعه ، لأنهم يعيشون في ذوات أنفسهم فأحاط بهم الفراغ الممل مما جعلهم يبحثون عن متنفس ليزيحوا به ضيق صدورهم ، فتفلتوا بملء الفراغ الممل من أعمارهم الضائعة بالسهرات، وبالأحاديث التافهة في مجتمعاتهم وفي ندواتهم ، وبقتل (البقية الباقية من احاسيسهم ويقظتهم ـ إن كان فيها بقية ـ بطلب ما يغيبهم عن شعورهم من ألوان الخمور ، والمخدرات ، وقد أعجزتهم اللذة في اليقظة ، فهم يلتمسونها في أحلام المخمورين وخيالات المخدرين) [٢] فزادتهم خبالا وأمراضا إلى أمراضهم أضعفت مقاومتهم وازدادت حالتهم سوءا على سوء [٣]. ولا يفوتنا العلم بأن الإنجليز أكثر الإستعماريين دهاء ومكرا وخبثا ، حين يمشون في خططهم على دراسات متواصلة لبيئات المسلمين ، بغية وضع أيديهم ـ أي الإنجليز ـ على ما يدمرهم ـ أي المسلمين ـ وينسف قواعد أخلاقهم من قرارها [٤] فافتتحوا السينما الأولى ، سنة (١٨٩٦م) ، وافتتحت الخمارات في كل مكان حتى تغلغلت إلى الريف ، وإلى أحياء العمال ،

---

(١) هذا من كلام « قاسم أمين » نقلته بواسطة : جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي ، جمال سلطان ، مصدر سابق ، ص ٤٧ .

(٢) الإتجاهات الوطنية ، مصدر سابق : ٢٤٩/١ .

(٣) انظر : هلم نخرج من ظلمات التيه ، للشيخ محمد قطب ، ص ٤١ ، ص ٤٥ .

(٤) الإستشراق ، الذرائع ، النشأة ، المحتوى ، مصدر سابق ، ص ٢٩ .

وافـتـتـحت دور البغاء المرخـصة من الحكومة في كل العواصم [١] ، بل سـمحوا بأطلاق حـريـة المطـبـوعـات والأفكار ، فظهر معتـنـقو مذهب التحررية الذي لا يتقيد أصحابه بالعقائد والآراء الســائدة في المجتمع سواء أكانت دينـيـة أم غير دينية ، لأنه عبارة عن دعوة للتفلت من كل القيم ، وكان من آثـاره ظهور ما يسـمى بجمعية « مصر الفتاة » قبيل الثورة العرابية ، وتـلاها حـزب الأمة [٢] الذي كان يتلخص في الدعوة إلى التـحـرر الفكري ، وإلى التعاون مع الأوربيين في كل مـيادين الحيـاة ، ومجالات النشـاط ثـقافيا واقتصاديا وسياسيا ، وبالجملة عجت الرياح الغربية على الأحزاب السياسية التي كانت تدعو صراحة إلى فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، وتحرير المفكرين من نصح وزجر علماء الدين ، مما أدى إلى إخـتـفـاء أصحاب الثقافة الـديـنـيـة من ميـاديـن الإصلاح ، وتخلفهم عن ركـب الحضارة ، وانـحصار وظائفهم في المسـاجـد ، وأصـبـحـت الوظائف الحكومية وأدوات التوجيه الإجتماعي في أيـدي أصحاب الثقافة الأوربـيـة السـاخـريـن بعلماء الدين ، والمسـتـخفـين بأمر الدين تبعا للإسـتـخفـاف بـعلمائه [٣] وهكذا اسـتمرت معارك ساخنة بين القديم والحديث ، وولدت هذه المعارك « عصر التـنـوير وجهالاته » الذي كان آخـر قراراتـه أنه لا سـبـيـل لمقاومة أوربا ، وأن الحضارة الأوربـيـة هي الكلمة النهائية والمسيطرة ، فسعوا إلى الفناء في الأقوى بكل اشـتـياق ، ومن ثم كراهية كل ما يعوق عملية الابتلاع هذه [٤] فـنادوا بزوال المجتمع القديم ونقل التجربة الأوربية كاملة دون أن يمروا بمراحلها ، ودون أن يـنـاقشـوا القيمة الجوهرية للفروق بين طـبـيـعـة أوربا وطـبـيـعـة الشرق المسلم [٥]

☆ ☆ ☆ هذه هي بـيـئـة الجيـل المتمرد على كل ما هو شرقي ، الذي يعلن

---

(١) انظر الإتجاهات الوطنية ، مصدر سابق : ١/ ٢٦٤ .

(٢) انظر المصدر السابق : ١/٢٦٢، ٢٧٠ .

(٣) انظر الإتجاهات الوطنية : ١/ ٢٧٥ .

(٤) انظر : جهالات عصر التنوير ، قراءة في فكر قاسم أمين وعلي عبد الرازق ، محمد جلال كشك ، ط ١ ، سنة ١٤١٠هـ ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ص ٢٧ .

(٥) انظر : أدب نجيب محفوظ ، وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب ، د/ السيد أحمد فرج ، ص ٦ ، ط ١ ، سنة ١٤١٠هـ ، دار الوفاء ، المنصورة .

بين الفينة والأخرى رفضه للتقاليد [١] البالية كما يسمونها التي فتح « العقاد » عينيه عليها وشب وسطها ، واكتهل [٢] فيها ، فهل يا ترى تأثر « العقاد » بالصراع بين القديم والجديد ؟ ✯ ✯ ✯

« ونحن لا نعرض لصاحب الفكرة إلا إذا وجدنا أن في الكشف عن شخصه وهويته ما يمثل ضرورة في البيان » [٣] .

إن الأجيال التي تمردت على الدين هي (في الحقيقة أثر مشوه من آثار الغزو الثقافي والحضاري واسع النطاق الذي عاشه المجتمع العربي والإسلامي .... فتحولت من « طليعة » لنهضة الأمة إلى « جسر » للتخريب الفكري والقيمي الأجنبي في جسد الأمة ، يربك تماسكها الفكري والقيمي ، ويعوق انطلاقتها إلى النهضة)[٤] .

وصرح - جون بول سارتر - عن هذا الجيل المتمرد على التقاليد الموروثة في مقدمة كتابه - المنبوذون في الأرض - أنه (هو السوس الذي كنا قدصنعناه وسميناه بالمفكرين، كانوا عالمين بلغتنا ، وكان قصارى همهم ومنتهى أملهم أن يصبحوا مثلنا ، في حين أنهم أشباهنا وليسوا أمثالنا ، إنهم نخروا من الداخل ثقافة أهليهم وأديانهم القومية التي تصنع الحضارات ، ومثلَهم وأحاسيسَهم وأفكارهم الجميلة ، وأصالتهم الأخلاقية والإنسانية ، وتحت أي شعار ، وبأي اسم ؟ باسم مقاومة الخرافات أو مكافحة الرجعية أو الوقوف ضد السلفية)[٦] أ هـ

---

(١) يقول الشيخ محمود شلتوت عن كلمة التقاليد « لم تعهد إلا في العادات التي مصدرها العرف أو التراث أو النقل من جماعة أخرى مجاورة » أ هـ الفتاوى المهمات للشيخ محمود شلتوت، استخرجها علي بن حسن بن عبد الحميد، ص ٩٨، ط١ : سنة١٤١٢هـ، دار ابن الجوزي ، الدمام . وفي الجملة هي لفظة يمجها اللسان العربي ، لكنها أصبحت مما تطلق عليه تعاليم الدين التي يأخذ العرف منها أخلاقه ومبادئه .

(٢) انظر مادة كهل ، لسان العرب : ١١/ ٦٠٠.

(٣) ثقافة الضرار ، جمال سلطان ، ص ٨ ، ط ١ : سنة ١٤١٣هـ ، دار الوطن ، الرياض .

(٤) دفاع عن ثقافتنا ، جمال سلطان ، ص٤٣ ، ط ١ ، سنة ١٤١٢هـ ، دار الوطن ، الرياض .

(٦) نقلته بواسطة : دفاع عن ثقافتنا ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

ومثال نأخذه من كلمات « العقاد » فنسمعه يقول :« فقد أراد الله ـ وله الحمد ـ أن يخلقني على الرغم مني متحديا « تحديا خصوصيا »[1] لكل تقليد من التقاليد السخيفة التي كانت ولا تزال شائعة في البلاد المصرية والبلاد الشرقية على العموم »[2] واللفظة مجملة ولكن جاء مثال واحد نعرف ما هذه التقاليد وهو قوله :« يجب على كل واحدة منهن[3] أن تنقش الحروف الأولى من اسم قاسم أمين على منديل يدها »[4] إنه الحجاب من تقاليد الشرق التي دارت حولها المعركة وسنرجئ الكلام على اتجاه العقاد في فصل ترجمته إن شاء الله ، والله الهادي إلى سواء السبيل . ولن أطيل عند موقف العقاد من المستغربين أو الأفكار الغربية بل سآتي بها موجزة لأن الرسالة محصورة في التعريف به وبيان موقفه من دعاوي خصوم الإسلام ، ولكن شئ أحسن من لا شئ ، والله الموعد .

٥ ـ موقف العقاد من حملة نابليون :

يتلخص موقفه في :

١ ـ أنها (كانت محتومة لا تمهل المتعلم أن يتردد بين الجمود والحركة)[5] إذن فهي دافعة للأمام ومن بواعث الإقبال على العلوم التي جاء بها علماء الحملة[6] .

٢ ـ وأنها أثمرت ظهور « الرجل المثقف في البيئة المصرية ، ولم تخلُ منه بيئة من بيئات التقليد والرجعة إلى القديم ، وهي[7] ـ على عادتها في الأزمنة المختلفة ـ

---

(١) هكذا وضعت في الكتاب .

(٢) « أنا » للعقاد ، ص ٢٤ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون عدد طباعة ولا سنتها .

(٣) أي من بنات حواء .

(٤) لمحات من حياة العقاد المجهول ، عامر العقاد ، ص ٣١٧ ، دار الكتاب العربي ، ط ١ : سنة (١٩٦٨م) .

(٥) محمد عبده ، للعقاد ، ص ٨ .

(٦) نفس المصدر : ص ١٠ .

(٧) يقصد بيئة التقليد والرجعية .

أعدى أعداء التحول والتجديد »[1] هذه الألفاظ : مجملة تحتمل الجمود الفقهي ، وتحتمل الجمود الصناعي ، وتحتمل معارضة القديم للجديد أي معارضة الدين للعلمانية ، وهذا يؤخذ على من نحى نحو جهالات عصر التنوير ، أنهم يستخدمون ألفاظاً فضفاضة تتسع لأكثر من المعنى حتى [يبرروا] لأنفسهم ويجدوا لهم مخرجا إذا أحيط بهم .

٣ ـ يشيد بالأزهر أمام حملة نابليون وأنه (قد حسب له الفرنسيون هذا الحساب[2] ، ونسيه أناس من أمراء المسلمين ، ولكنه لم يضع قط كل الضياع في وقت من الأوقات)[3] لماذا ؟ (لأنه المدرسة الجامعة في الرقعة الوسطى من العالم الإسلامي الفسيح من المشرق إلى المغرب)[4] .

٤ ـ أثارت العاطفة القومية نحو الإستفادة من علوم الحملة ، ولكن عزت هذه العاطفة نفسها بأنها (بضاعتنا ردت إلينا ، وفي ذلك من تجديد الثقة ما فيه)[5] ، ولا أدري ماذا يقصد بالعاطفة القومية ؟ لأنها لفظة وفدت علينا من الغرب ، ولكنها تحمل في طواياها الوطنية التي قال عنها (أنا مدين بخطتي في السياسة الوطنية لإعجابي بالشيخ محمد عبده ومريديه ... فأعجابي به هو الذي أعظم في نفسي الثقة بسعد زغلول)[6] .

ولا ننسى أن حزب زغلول دعا إلى : الحرية القومية أو الحرية الفردية ، بل يرى أن مصر لا تستيقظ إلا باليقظة القومية على الطريقة

---

(١) محمد عبده ، ص ١١ .

(٢) يقصد به أن المصريين أخرجوهم مدحورين ولا سيما بعد دخولهم الأزهر انظر ص ٣٣ ، من كتاب « محمد عبده » للعقاد .

(٣) محمد عبده ، ص ٣٤ .

(٤) نفس المصدر ص ٣٥ .

(٥) محمد عبده ، ص ٥٠ .

(٦) الكلمات الأخيرة للعقاد ، لابن أخيه عامر بن أحمد العقاد ، ص ١٦٢ ، دار الجيل بيروت ، ط ٢ : سنة ١٤٠٢ هـ .

الأوروبية [١] التي تربت (على الكتب الأوروبيـة والأنماط الحديثة في شعر اللغات الحية التي كانت معروفة يومئذ بين خاصة المصريين) [٢] بل تراه يؤكد هذه المعاني عندما يطلق على أهل مصر بـ (الأمة المصرية) [٣] وتكلم عن النهضة الفنيـة في مصر إلى ان قال : (وحق للمتفائلين أن يستشفوا من وراء هذه اليقظة الفنية روحا قومية ناشطة من سبات الجمود) [٤].

٥ ـ يتكلم عن نابليون عندما أجرى المقارنة بين الرسول ـ ﷺ ـ وبين « بونابرت » ثم ختم كلامه عن « بونابرت » بقوله « وما نهض نابليون لنشر دين أو تفنيد دين » [٥] وهذه لفظة قد تقدم لنا زيفها وبطلانها بل جاء لتفنيد ـ تضعيف ـ هذا الدين المبارك .

٦ ـ يرى أنها ملهمة مصر إلى الحضارة الحديثة فقال : « وشاءت الحوادث ، كما شاء حكم الموقع ، أن تسبق مصر بلاد العالم الإسلامي إلى الحضارة الحديثة ، لأنها تنبهت إلى مزايا هذه النهضة عند وصول الحملة الفرنسية إليها) [٦].

هذا الكلام ينقضه وهو يتكلم عن نابليون وخيانته لبلده « كورسيكا » فقال ـ العقاد ـ ما نصه : (ولما شرع في فتوحاته ومغازيه ألفى أمامه روح الثورة تكاد

---

(١) انظر شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، للعقاد ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، ١٦٣ ، وهو يتكلم عن الحرية الفردية وإبداع الشاعر وأنها تدرجت من الحملة الفرنسية إلى شعر سامي البارودي ص ١٦٣.

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، ص ٣٣ .

(٣) الفصول ، ص ٢٣٧.

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٧.

(٥) عبقرية محمد (ﷺ) ص ٣٩ ، وإنه لمن السفاهة العقلية أن تجرى المقارنة بين هذا السيد المبارك النبي المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه وبين هذا الصليبي الوثني ، وهذا يحس به كل من عظَّم هذا الرسول ﷺ أن يذكر اسمه بجانب أهل الخمر ، ولا أدري بماذا نفسر قوله في كتابه « أنا » ص ٢٢ أحارب كل دكتاتور بما استطيع ، ولو لم تكن بيني وبينه صلة مكان أو زمان، كما حاربت هتلر ونابليون وآخرين » أهـ ولم يبين لنا كيف حاربه وبماذا حاربه ، دعوى عريضة ظهرت لها بوادر من كلامه السابق .

(٦) الإسلام في القرن العشرين ، ص ٩٧ .

تلتهم الدنيا وحيوية الشعب الفرنسي تتفزز للنهوض والعمل ، فاستغلها أسوء استغلال واتخذ منهما وسيلة لإشباع نهمته وتشـيـيد مجده ، وتأثيل ملكه ، ولم يأت منه النافع إلا عفوا أو على سبيل الإضطرار) [1] إن « العقاد » مغرم في المقارنة بين القادة حيث يجعل نابليون الأصل في المقارنة ، فكل من قاربه فهو القائد العسكري ، فنراه يقول في « عبقرية محمد » ﷺ ، تحت عنوان « القائد البصير » ما نصه (ونختار أبرع القادة المحدثين ، وهو نابليون بونابرت ، على أسلوب حرب الحركة الذي كان هو الأسلوب الغالب في العصور الماضية ، ... لأن اختيار نابليون بونابرت يبين لنا السبق في خطط النبي العسكرية ، بالمضاهاة بينها وبين خطط هذا القائد العظيم) [2].

هذه انهزامية نفسية ولا شك ، كيف تجرى المقارنة بين سيد الأولين والآخرين النبي المبارك ﷺ وبين هذا « الملط » ؟ هل نحن في شك من أن الوحي هو الذي يهدي محمدا ﷺ ؟ إن الوحي مهيمن على أعمال النبي ﷺ ، فهو يستشير نعم ، ويجتهد نعم ، لكن عليه رقيب الذي وصف نفسه بقوله تعالى : ﴿ **وما تكون في شأن ، وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه** ﴾ يونس : ٦١ ، وقال تعالى : ﴿ **والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ النجم : ١ ـ ٤ ، وقال تعالى : ﴿ **قل إنما أنذركم بالوحي** ﴾ الأنبياء : ٤٥

إن قوم نابليون يحاربون للصليب ، ومن أجل فرنسا ، لكن النبي ﷺ والذين آمنوا معه يجاهدون في سبيل الله ، فهم يحملهم إيمان قامت عليه السموات والأرض ، ومن هنا تنبه « العقاد » لذلك فقال بعدما ذكر أن « نابليون » كان عظيم الإعتماد على القوة المعنوية * ، ـ (والنبي عليه السلام كان عظيم الإعتماد على هذه القوة المعنوية التي هي في الحقيقة قوة الإيمان ** ...... ومعجزة الإيمان هنا أعظم جدا من أكبر مزية بلغها نابليون بفضل ما أودع نفوس رجاله من صبر

---

(١) الفصول ص ١٦٨.

(٢) الفصول ص ٣٥ .

* المقصود به هنا حماسه الفرنسيس لرفعة فرنسا على دول أوربا لا غير .

** انظرمعي إلى هذه اللفظة من العقادفماذا نفهم عن القوة المعنوية لدى الفرنسيس ، لا شك أنها تخالف هذه التي كان يحملها النبي ﷺ وأصحابه .

وعزيمة)[1].

ثم يأتي « العقاد » بكلام حاصله أن أهداف النبي ﷺ سماوية علوية ، وأن أهداف هذا « الملط » أرضية سفلية ، فيقول : (ومن الواجب أن نحكم على قيمة القيادة بقيمة الفكرة أو الخطة ، قبل أن نحكم عليها بضخامة الجيوش وأنواع السلاح)[2] فنابليون عند العقاد هو المثال الذي يحتذي عليه نجاح القائد ، ويواصل مقارنة نابليون بغيره ، أو غيره به ، وهذه المرة مع « مصطفى كمال أتاتورك »* الذي يصفه بأنه (بطل الشرق ، ورجل الساعة ، رجل وثيق الإيمان ، نقي الإخلاص ، محصد العزيمة ، حازم في مشتجر الفكر ، ناضج الرأي مجبول على الكفاح عزيز الأمل ، قيضه الله لوطنه في محنة مطبقة .... فنصره نصرا مؤزرا .... وكان جهاده الوطني كله أعجوبة بل معجزة ، لو كان في نظام الوجود خوارق للعادات لقلنا إنها من خوارق الطبيعة**.. ما الذي كانت تؤول إليه حركة الأناضول لو لم يغفل الإنجليز عن مصطفى كمال[2] ... وربما انقضى بذلك تاريخ هذا المجاهد الكبير ،

---

(١) عبقرية محمد ص ٣٦ ، وبمناسبة ذكر لفظة « المزية » فهي فصحى تعني التمام والكمال ، انظر مادة « مزى » من معجم مقاييس اللغة ، ٥ / ٣١٩ ، تحقيق عبد السلام هارون رحمه الله .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٠ .

* انظر عن حياته مفصلة كتاب « الرجل الصنم كمال أتاتورك » تأليف : ضابط تركي سابق ، ترجمة : عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة : ١٤٠٨هـ .

** كلام جاهلي ، وكذب وتدليس بلغ من وقاحته إنكار المعجزات ..... وهذا شأن كل من لم يتشبع بالوحيين .

(٢) نشرت جريدة الأهرام في يوم الخميس ، ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٨٧ هـ ، ١٥ فبراير (١٩٦٨م) وثيقة بعنوان « كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية » انظر الرجل الصنم ، المصدر السابق ، ص ١١ ـ ١٢ ، وقد نقلتها الجريدة المذكورة عن « صندي تايمس » . فعلى أي شئ يدل هذا ؟ إنه دمية ونجوى يستجمرون به .

وخسـر الشـرق بـطلا من أجلّ أبطاله القدماء والمحدثين * ... إن الرجل الذي تسبق حكومته الأمم الأوربية إلى اتخاذ الوزراء من النسـاء لا بد أن يكون مسـتـنـيـر الذهن بصيـرا بعوامل التأثـيـر في نفوس الأوربيين الذين يتهمون أمته وينعون عليها الشهوانية واحتقار المرأة ** .... وقد جرت العادة عند ترجمة رجل عظيم من رجـال الحرب المحدثين أن يقارن بـيـنـه وبين رجل يـعـد أعظم أسـاتـذتـها في العصور الحديـثـة ، وهو نابليون بونابرت ، ويتـخـذون هذه المقارنة محكا لكفاءة كل قائـد كبـيـر ومقياسـا لمواهب النـابـغـين ممن جمعوا بين الخبرة بالفنون العسـكرية والقدرة على زعامة الشعـوب . ونحن لا نرى حرجا من المقارنة بين مصطفى كمال ونابليون أو أي عظيم من العظماء المخلـديـن الـذين أنجبهم العالم قـديما وحديثا .... إن نابليون خان بلده واستغل الشـعب الفرنسـي أسـوء إستغلال .... أما مصطفى كمال فماذا استغل من الفرص ، وأي أمل كان أمامه يغريه بالعمل ساعة شمر لتلك الغايـة الـبـعـيـدة التي تكل عنها الهمم ؟ إنه اسـتـغـل الضعف والفوضى والفقر ودسـائس الخونة في داخل بـلاده قبل دسـائس الأعداء في خارجها . إنه استغل الهزيمة الفاضحة فاستخرج منها فـوزا باهرا ومجدا سامقا ، ولكنه فوزٌ لقومه لا لنفسه ، ومـجـد دولة لا مـجـد زعـيـم ، .... وهذا الـرجل عـلى اهتـزاز الـشـرق كلـه وجل أوربا بقوة حركته لا يعرف الصخب ولا الخيلاء وقل أن يرى في أوقات فراغـه إلا سـاكـتـا صـامـتـا *** ... هذا هـو الرجل الـذي تدوي الدنـيـا بـاسـمـه فـي هذه

---

* لا شك أن هـذا خـطـل فكري وقـول بغير علم لكن لا عجب فهناك نجوم المسارح والخيَّالة (السيـنما) وأبـطـال الأفلام التي تقتـل الحياء ، كل هؤلاء أبطال بما فيهم مصطفى أبو الأتراك ولا بد أن نعلم أن الذي أطلقت عليه بطلا (جمعية الإتحاد والترقي) انظر٢٢١ ، د/ محمد علي الزعبي ، الماسونية في العراء .

**(يا سلام يا سلام هذا هو التقدم صبي بجانب صبية) هذا هو التنوير ، فيا أمان الخائفين

*** هذا صحيح لأن الخمر قد أنهكت بنيانه .

الأيام *، والـذي يشعر الآن بسعادة ما مثلها سعادة في هـذا العالم المترع بالهموم ...) [١] وهكذا يتبدى لنا إعجاب العقاد بهذا « الملط » الذي هوى على قوة كانت تعد القوة الثانية بعد « الأستانة » فهو في نظره : قائد يقاس عليه القواد العسكريون .... وإن كان هناك من كلمة أخيرة (فنابليون دعا اليهود إلى مساعدته مع نهاية القرن الثامن عشر ، لإقامة مملكة يهودية) [٢] وذلك بعد أن سبر غور العالم الإسلامي في غزوه مصر ، أما (أبو الأتراك) فيكفيه فخرا وفاؤه لأسياده اليهود والإنجليز في هدم الخلافة العثمانية آخر الخطوط المدافعة عن فلسطين [٣] ، فكيف عمى « العقاد » عن هذا ؟

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

* ١٤ سبتمبر (١٩٢٢م) ومن غريب أيضا أن العقاد كتب مقالا في مجلة آخر ساعة بعنوان (فلسفة الثورة في الميزان) قارن فيه بين الثورة الفرنسية والثورة التركية والثورة الصينية ، والثورة المصرية يوليو تموز ..انظر : معارك العقاد السياسية ، لعامر العقاد ، ص ٣٢٨، ص ٣٣١ ، دار الجيل ، بيروت ، (١٩٧٣ م) بدون عدد الطباعة ، وهو هنا في هذا المقال خلط خنزيرا ومنخنقة ومتردية وميتة فكان ماذا ؟ أن نسي أخبار الجهاد في طرابلس عمر المختار والأخوان الجزائريين كل هذا لم أر العقاد يكتب عنهم فماسر ذلك يا ترى ؟ سؤال حيرني وإجابته تحتاج إلى يقين من القول غير جزاف .

(١) الفصول : ١٦٤ - ١٦٩.

(٢) ملائكة وشياطين ، منذر الأسعد ، ص ٤١ ، دار المعراج ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٣هـ .

(٣) انظر : « الجزاء من جنس العمل » ، د/ سيد حسين العفاني ، ٤٠١/١ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٥هـ . وانظر الماسونية في العراء ، د/ محمد علي الزعبي ، ص ١٧٧، ص ٢٢٠ ، ص ٢٢٥، الطبعة الثالثة : ١٤٠٥هـ بدون ذكر بلد الطباعة ، واسم المطبعة .

الفصل الثاني :

وتحته مبحثان

المبحث الأول :

أهم أحداث عصره

المبحث الثاني :

سيرته وحياته و تحته مطالب :

المطلب الأول: تمهيد

المطلب الثاني: اسمه ونسبه وولادته ووفاته .

المطلب الثالث: تواريخ مهمة في حياة العقاد .

المطلب الرابع: اتجاهه وثقافته .

المطلب الخامس: مؤلفاته

المطلب السادس: عقيدته

المبحث الأول :

تلخيص أهم أحداث* عصره (١٨٨٩م ـ ١٩٦٤م)

يمكننا تلخيص ذلك بالآتي :

١ ـ فتح « العقاد » عينه على بقاء « الإنجليز » محتلين مصر ، حيث دخلوها (١٨٨٢م) ، وكانت محاولاتهم شرسة في إيجاد (مجتمع جديد تتغير فيه القيم المادية والمعنوية ، والمثل التي يسترشد بها الشعب ، لا في الأوضاع السياسية فحسب ، بل في كافة نواحي الحياة الأخرى)[١] .

٢ ـ في عام ولادة العقاد (١٨٨٩م) ظهرت صحيفة « المقطم » (التي تعمل جاهدة لخدمة الإنجليز)[٢] ، بل إن الإنجليز سعوا جاهدين في إنشائها ، واهتموا بذلك وعنوا به عناية تامة لأنها كانت لسانهم الناطق الذي ينعق بأن (سلامة المصريين في سلامة المحتلين)[٣] ، ويزول عجبنا إذا علمنا أن مؤسسيها نصارى من الشام أحدهم « فارس نمر »[٤] ، الثاني « يعقوب صروف » وثالث الأثافي

---

* هنا تعني النوازل التي نزلت على الأمة الإسلامية فغيرت مجرى حياتهاحتى فارقت دينها إلا ما رحم ربي، وانظر عن معنى الحدث ، تهذيب اللغة للأزهري ، مادة حدث :٤/٥٠٤ وانظر نفس المادة في معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس : ٢/٣٦ .

(١) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي ، د / سامي عزيز ، ص ٥ . وانظر واقعنا المعاصر ص ٣٨٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٩٨ ، من غريب الموافقات أن هذا العام (١٨٨٩م)ميلاد طه حسين، الأعلام : ٣/٢٣١ .

(٣) هذا عنوان نشر في المقطم يوم ٢١ يونيو عام (١٩٠٧م) انظر ذلك في (رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر) ، يوسف العظم ، ص ٤٠ ، وانظر : د / سامي عزيز ، مصدر سابق ، ص ٩٦ .

(٤) عاش (١٨٥٦ ـ ١٩٥١ م) الإعلام للزركلي : ٥/١٢٧ . (ومن المعروف أن فارس باشا نمر كان ماسونيا . ومن مباىء الماسونية الأساسية إلغاء العصبيات الدينية والوطنية ...) الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ١/٢٥٧ .

« شاهين مكاريوس » * ثلاثتهم دعوا إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية جملة وتفصيلا وكانوا ساعين حثيثا إلى (تقريب الفوارق بين المصريين وبين أعدائهم الذين يمتصون دماءهم ، والذين يحتلون ديارهم ، لكي يسكنوا إليهم ويألفوهم) [١] .

٣ ـ في عام (١٨٩٢م) قامت للصليبية دور أخرى في مصر قلعة الإسلام ومنارة العلم ، تلك الدار التي جعلت الهلال شعارها ، وكانت أحق بالصليب وأهله ، ولكن ماذا نفعل ؟ فالأمة غائبة ! هذه الدار هي « دار الهلال » ضحكا على عقول المسلمين وهزؤا بعلمائهم ،

أسس هذه الدار « جرجي زيدان » ** من مشوهي وأخصائي تزييف تاريخ الإسلام ، لقد دعت صحيفته جهارا إلى « تغريب الأمة » واستيراد الفكر والمبادئ الكافرة ، وإلى فصل الدين عن الحياة كبيرها وصغيرها [٢] ،.

هؤلاء جميعا ، سواء « المقتطف » أو « الهلال » أيدوا سياسة النفوذ الغربي *** وعلى رأسهم (الإنجليز) التي كانت ترمي (إلى تحقيق أغراض ثلاث أساسية في توجيه الثقافة العربية والفكر الإسلامي ، أهمها :

ـ هدم التوحيد بالإلحاد وبناء الوثنية .

ـ فصل الدين عن الأخلاق والسياسة والمجتمع والتربية .

---

* انظر ترجمة « يعقوب صروف » من الأعلام : ٢٠٢/٨ ، حيث عاش ما بين (١٨٥٢ ـ ١٩٢٧م) وانظر ترجمة شاهين مكاريوس في نفس المصدر : ١٥٣/٣ ، حيث عاش ما بين (١٨٥٣ ـ ١٩١٠ م) وهذا الأخير من أكابر الماسون .

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ١/ ٢٥٧ ، وانظر قبلها ص ٢٥٦ .

** عاش هذا النصراني ما بين (١٨٦١ ـ ١٩١٤ م) ، الأعلام : ١١٧/٢ ، وانظر عن كتبه وخطرها ، « كتب حذر منها العلماء » لمشهور بن حسن ص ، ٧٣/٢ .

(٢) انظر رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر ، مصدر سابق ، ص ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ .

*** يفيد الأستاذ « أنور الجندي » حفظه الله في طاعته أن (كلمة غربي كان يطلق عليها نصراني) ص ٩٤ من كتابه « اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار » دار الإعتصام، القاهرة ، بدون ذكر تاريخ الطباعة ، وعددها .

- خلق تيار من الإباحية ، والإنطلاق بأسم الحرية لهدم القيم والمقومات جميعا)[١] .

٤ - في عام (١٨٩٦م) (افتتحت السينما الأولى بالقاهرة ... ثم أنشئ البنك الأهلي ومنح إمتياز إصدار الأوراق المالية سنة ١٨٩٨م)[٢] ، لقد خُيِّلَ إلى الناس - أو هكذا أريد بهم وأريد لهم - (أن السبيل إلى نهضة الشرقيين هو أن يأخذوا بأساليب الغربيين في الحياة والتفكير)[٣]

٥ - في سنة (١٨٩٤م) ظهر أول كتاب في مصر لمسيحي متعصب اعتمد على النفوذ البريطاني لحمايته وتأمين طريقه نحو طعن الإسلام بين أهله المسلمين ، وكان الكتاب اسمه « المرأة في الشرق » لمرقص فهمي ، دعا فيه إلى :

أولا : القضاء على الحجاب الإسلامي .

ثانيا : إباحة الإختلاط بين الرجال والنساء .

ثالثا : تقييد الطلاق ، ووجوب وقوعه أمام القاضي .

رابعا : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامسا : إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط[٤] .

٦ - في عام (١٨٩٧م) عقد مؤتمر بسويسرا انتهى باتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وقد اجتمع في هذا المؤتمر ٣٠٠ من قادة اليهود ، وكانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية عالمية ، وكان هذا الإجتماع برئاسة الصحفي اليهودي النمساوي : (تيودور هرتزل : ١٨٦٠ - ١٩٠٤م)[٥] .

---

(١) نفس المصدر - أنور الجندي - ص ٣٣ . وانظر رحلة الضياع ، مصدر سابق ، ص ٣٩ .

(٢) الاتجاهات الوطنية : ١/٢٦٤ .

(٣) نفس المصدر : ١/٢٦٢ .

(٤) الحركات النسائية في الشرق ، محمد فهمي عبد الوهاب ، ص ١٤ .

(٥) انظر: الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ، ماضيه وحاضره، منصور بن عبد العزيز الخريجي، ص ١١٣ - ١١٤ ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٣ هـ ، دار الصميعي ، الرياض .

٧ ـ في عام (١٨٩٩م)أخرج قاسم أمين (١٨٦٣ ـ ١٩٠٨م)* مؤلفه المعروف (تحرير المرأة) ودعا فيه إلى ما سبق أن دعا إليه مرقص فهمي بحذافيره ، إلا أنه لم يتعرض لمسألة زواج المسلمات من الأقباط [١] ... إذن كتاب « مرقص فهمي » وكتاب « قاسم أمين » كان حاصل دعواهما إعطاء النفس شهواتها والتمتع بها سواء كانت حلالا أم حراما ، وأن التقدم يكمن في السير وراء نبذ لباس الدين ، فكلاهما يسعيان لتقاليد الغرب ، بدلالة أن عنوان الأول « المرأة في الشرق » يلقي بجرسه مهانة المرأة الشرقية التي هي بطبيعة الحال المسلمة ، بينما « قاسم أمين » قذفها مباشرة وأعطاها حرية التخلص من قيود الشرق وأهله كما يظن الذين يطالبون بسفور المرأة ، فهم ولا شك ينحرونها ولا يحررونها .

٨ ـ في عام (١٩٠٠م) أنشئت جريدة « اللواء » أنشأها مصطفى كامل (١٢٩١هـ ـ ١٣٢٦ هـ) حاملة طلب استقلال مصر من حماية الإنجليز ، وليس ذلك فقط بل كان يرد على من يدعو إلى سفور المرأة وخروجها [٢] ، وكان مصطفى كامل لا يرى الوطنية على حسب المفهوم الغربي ، وإنما من باب :

بلاد بها شدَّت عليَّ تمائمي   وأول أرض مس جلدي ترابها [٣]

ولا سيما أن الرجل كان يدعو إلى جامعة مصرية إسلامية ، ولا ينكر الرابطة العثمانية ، يقول رحمه الله في أحدى خطبه (إن بقاء الدولة العلية أمر لازم للتوازن

---

* انظر الأعلام للزركلي : ١٨٤/٥ .

(١) الحركات النسائية في الشرق ، مصدر سابق ، ص ١٥ ، ويذكر د/ السيد أحمد فرج في كتابه النفيس « المؤامرة على المرأة المسلمة » ص ٦٣ ، أن قاسم أمين أصدر كتابه المذكور آنفا في طبعته الأولى سنة (١٨٩٨م) .

(٢) انظر الأعلام للزركلي : ٢٣٨/٧ ، وانظر الحركات النسائية في الشرق ، ص ١٨ .

(٣) انظر هذا البيت في مقدمة عبد السلام هارون رحمه الله لمعجم مقاييس اللغة ، ٤/١ ، بل إن العقاد سماها (لسان حزب المتطرفين) انظر : سعد زغلول سيره وتحية ، ص ٩٨ . مطبعة حجازي بالقاهرة ، سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦م) بدون عدد الطباعة .
وشهد لهم أيضاً بأن الحزب الوطني (يطلب الاستقلال في ظل السيادة العثمانية ليستعين بحقوقها الشرعية على محاربة الإحتلال الغاصب) ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، نفس المصدر .

العام ، وأن زوالها (لا قدر الله) يكون مجلبة للأخطار ، أكبر الأخطار .... وأن هدم هذه المملكة القائمة بأمر الإسلام يكون داعية لثورة عامة بين المسلمين وحرب دموية لا تعد بعدها الحروب الصليبية إلا معارك صبيانية .)[١]

٩ ـ في سنة (١٩٠٧م) تأسست الأحزاب السياسية [٢] ، مثل الحزب الوطني ومؤسسه مصطفى كامل ، وحزب الأمة [٣] الذي يتلخص أفكار مذهبهم في الدعوة إلى التحرر الفكري ، وإلى التعاون مع الأوربيين في كل ميادين الحياة [٤] ، فمن ثمَّ أصدروا صحيفة « الجريدة » التي أظهرت نوايا أصحابها في تطليق فكرة الإسلامية نهائيا ، والعمل على تغيير الأفكار والعادات الإجتماعية في مصر وتوجيهها إلى العادات الغربية أي تحديث العادات الإسلامية على الطريقة الأوربية ، دون ما اعتماد على تعاليم الإسلام [٥] .

---

(١) الاتجاهات الوطنية : ١/٢٤ ، وانظر ص ١٠ .

(٢) الأحزاب السياسية متولدة من النظام الجمهوري الديمقراطي ، لم تعرف في غابر الزمان من هذه الأمة ، فعلى هذا هي جزء من نظام الديمقراطية الغربية .

والحزب السياسي يؤسس ليكوّن رصيدا للحصول على السلطة والحكم ... فمن ثَمَّ اتفقوا على تحديد فترة الحكم حتى يتسنى لكل حزب التطلع إلى السلطة ، وهي تجعل الأخذ برأي الأغلبية مدار الحق والصواب ... وتبني هذا الرأي على التشاور في صلاح المعلوم من الدين بالضرورة أو عدم صلاحه ..... فلهذا لا يجوز بناؤها وتأسيسها في الشريعة الإسلامية .

انظر : الأحزاب السياسية في الإسلام ، صفى الرحمن المباركفوري ، ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، دار الصحوة ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ .

وانظر المواجهة بين الإسلام والعلمانية ، د/ صلاح الصاوي ، ص ٢٣٢ .

(٣) انظر الاتجاهات الوطنية : ١/١٣ . وحزب الأمة صار نواة لحزب الوفد بعد ذلك .

(٤) المصدر السابق : ١/٩٥ .

(٥) المؤامرة على المرأة المسلمة ، ص ١٧ ، وانظر الإتجاهات الوطنية وأسماء مؤسسي حزب الأمة : ١/٩٤ .

١٠ ـ في عام (١٩٠٨م) إعلان الدستور العثماني [١] ، وهو دستور مستوحى من الدستور البلجيكي ، وحاصله أنه لا يتفق مع الشريعة الإسلامية ، وذلك يعني التحول إلى العلمانية ، وإقصاء الشريعة ، وإحلال القوانين الوضعية محلها تحكم البلاد والعباد ، وقبول السلطان عبد الحميد (١٨٤٢ ـ ١٩١٨ م) يعتبر نكسة في جسم الأمة الإسلامية ، ولعل له ما يعذره أمام الله ، فياليته وقف بشموخ وإباء مثلما وقف أمام مطالب اليهود أن يكون لهم حق في فلسطين ، وحسبه أنه سيبعث على نيته ، والله يتولى السرائر ، وقد بذل جهده ساعيا إلى إلغاء هذا الدستور ولكن كانت الموجة أكبر منه ـ رحمه الله ـ [٢] ومحاولة إلغاء عبد الحميد لهذا الدستور تعتبر رجعية في نظر الأستاذ العقاد [٣] . وهذا يدلنا على عمق تأصل الديمقراطية الغربية في نفس العقاد ، فإذا كانت محاولة إلغاء الدستور رجعية فياترى ماذا يسمي العقاد رفض القوانين الغربية ؟

١١ ـ في عام (١٩١٤م) قامت الحرب العالمية الأولى التي كان حاصلها تفتيت الدولة العثمانية وإخراجها من فلسطين حتى يتمكن اليهود من إنشاء وطن لهم [٤] .

١٢ ـ في عام (١٩١٦م) أقنع الصهاينة أمريكا أن تدخل الحرب حتى يصدر وعد (آرثر جيمس بلفور) في إعطاء اليهود وطنا قوميا في

---

(١) انظر : شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، أحمد الشرباصي ، ص ٢٩ ، سلسلة أعلام العرب رقم (٢١) نشر المؤسسة المصرية ، بدون تاريخ ولا عدد طباعة .

(٢) انظر : قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ، د/ زكريا سليمان بيومي ، ص ٢٧١ ، وانظر: السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية ، الأستاذ : محمد قربان نياز ملّا ص ٤٨ ، ص ٧٣ ـ ٩٢ ، فقد دافع عن قبول عبد الحميد للدستور ، وعند الله تجتمع الخصوم .

(٣) انظر الفصول للعقاد ، ص ١٦٥ .

(٤) أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام غاي كار ، ص ١٩١ ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ . ترجمة : سعيد جزائرلي ، مراجعة بدوي ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الخامسة : سنة ١٤٠٣هـ .

فلسطين [١] ، وفعلا صدر وعد (بلفور) عام (١٩١٧م) وفي نفس (١٩١٦م) قامت الثورة العربية على الخلافة العثمانية ، وحاربت الى جانب بريطانيا طمعاً في تحرير البلاد العربيه من سلطان الاتراك وكانت « جمعية العربيه الفتاة السرية » من وراء ذلك [٢] .

١٣ ـ في (١٩١٨ م) ألف سعد زغلول الوفد المصري الذي كان ينص على أن الأمة مصدر السلطات ، وكان يرتكز على مفهوم التحرر من تدخل الدولة في تصرفات الأفراد . وحاصله تعيين أعضاء الهيئة الحاكمة بواسطة الشعب ، بوصفه مصدر كل سلطة ، وفصل الدين عن السياسة ، ونصت لائحة هذا الحزب على تحريم الخوض في الأمور الدينية ، أي عدم ذكر الدين إطلاقا في داخل الحزب ، وعدم الإعتناء بآلام إخواننا خارج مصر ، وتقريب ما بين المسلمين وما بين الغرب الكافر [٣] ، وأن نبذ هذا الدين هو عربون التقدم .

١٤ ـ في عام (١٩١٩م) الثورة المصرية التي غيرت مجراها وقطف ثمارها المستغربون ، وعلى رأسهم سعد زغلول ، حيث نادى (الدين لله والوطن للجميع) بعبارة أخرى : تحويل الثورة من ثورة دينية إسلامية إلى ثورة وطنية لا علاقة لها بالدين [٤]، هؤلاء المستغربون حوّلوا مجرى إنكار الشعب لإحتلال الإنجليز إلى إستجداء

---

(١) انظر : الأفعى اليهودية ، عبد الله التل ، ص ٣١ . وانظر : دور الدول الإشتراكية في تكوين إسرائيل ، الوثائق السرية ، د/ إبراهيم الشريقي ، ص ١٩ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ طبع بمطابع الشركة العامة للطباعة (بيرل) .

(٢) انظر : الأعلام للزركلي : ٣ / ٢٣٤ ، ٥ / ١٦٥ ، ٧ / ١٣ في ترجمة كامل القصاب وحاصل كلام الزركلي أن جمعية العربية تكونت قبل هذا التاريخ .

(٣) انظر : واقعنا المعاصر، ص ٣٢١، وانظر الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، يوسف القرضاوي ، ص ٥١ ، ٨٧ ، وانظر مجلة الأمة ، رجب ١٤٠٣هـ ، السنة الثالثة العدد : ٣١ ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ، وانظر : د/ ضياء الدين الريس ، مصدر سابق ، ص ٢٤٢ ، فهناك أسماء من ألفوا الوفد المصري .

(٤) انظر واقعنا المعاصر ، ص ٣٢١ . والباحث يتحفظ من كلمة « ثورة » فباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوسع من كلمة « ثورة » وهذا الأمر قلته اجتهادا ، والله =

وسؤال ، فقتلوا الرجولة في أبناء مصر ، حيث أخذوا يناشدون الخلق الإنجليزي العالي الذي لم يعرف في حياته إلا القرصنة والإستعمار ، يناشدونهم بأن يجلوا عن بلادهم ، فيا أمة ضحكت عليها الأمم "[1]حيث نادى هؤلاء المستغربون بالتفاوض مع الإنجليز ، وقد علم قطعا أن التفاوض يكون على شيئ مشترك ، لكن والحال أن الإنجليز معتدون فهل يساغ عقلا أن نسمي الإستجداء تفاوضا ؟ ولكن حسبنا أن المستغربين قوم يتبعون مصالحهم الشخصية ولا يفكرون في شعب ولا فرد فلذلك قالوا (الإنجليز خصوم شرفاء معقولون) فإذا كان الإنجليز يرضون هؤلاء السذّج بألسنتهم لمعرفتهم بهم فإن حال المستعمرين مع المسلمين الآخرين لا يخفى على عاقل حيث لا يرقبون فيهم إلّاً ولا ذمة "[2]. وكان من أثر هذا التغريب الذي دعا إليه موجهو الثائرين على الإنجليز أن آزروا الحركات النسائية فشاركن فعليا بمظاهرة في (٢٠ مارس ١٩١٩م) نزعن على إثرها الحجاب "[3]، بل نفس سعد زغلول كان يشترط على النساء اللواتي يحضرن خطبه أن يرفعن الحجاب "[4] ، فصارت المنافع المادية

= القائم على كل نفس بما كسبت . انظر : الصحافة والأقلام المسمومة ، ص ٢٢٨ ،وانظر : الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين ، ص ٦٤ ، مطابع العبيكان، الرياض ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٥هـ وبصراحة تامة لم أجد مثل هذا الكتاب يعالج صور التشبه بالغرب الكافر، والكتاب من تأليف الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله . وانظر : الإسلام بين العلماء و الحكام ، للشيخ عبد العزيز البدري رحمه الله ، ص ٨٧ ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ .

(١) انظر : الإسلام وأوضاعنا القانونية ، ص ٩٣ ، عبد القادر عودة ، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، ١٤٠١هـ بدون عدد الطباعة .

(٢) انظر : واقعنا المعاصر ، ص ٣٢٤ ، وانظر : المؤامرة على المرأة المسلمة ، مصدر سابق ، ص ١٧ .

(٣) انظر عودة الحجاب ، ص ٧٨، ١٥٨ ، وانظر حاشية ٢٩٢ ، ص ١٥٨ حيث أورد أسماء نصرانيات زعيمات للمظاهرة ، حناسيحه ، جوليبت صليب ، ماري ميرهم وأمثالهن ..

(٤) نفس المصدر ص ٨٠ ، ومع ذلك صنعوا له تمثالا انظر الأعلام للزركلي : ١٨٧/٧ ترجمة محمود مختار .

واللذات الجسدية أحظى وأرجح عند الذين ينادون بتحرير المرأة ، فأصبح عندهم السفور وخلع الحجاب يعد تقدما وتحضرا ، وما سواه فهو تزمت ورجعية يأباها القرن العشرون المتحضر [١].

١٥ ـ في عام (١٩٢٤م) ألغيت الخلافة الإسلامية العثمانية رابطة المسلمين على يد (مصطفى أتاتورك) وفصل السلطة الدينية عن السلطة الزمنية ونص في مادته الثانية بأن دولته دولة علمانية لا ترتبط بالإسلام في تصريف شئونها ، ولا يجوز الإستناد إلى التعاليم الدينية ، وحارب اللغة العربية وجعل بدلها اللاتينية ، وحول مسجد « أيا صوفيا » إلى متحف ، ألغى وزارة الأوقاف ، أجبر المرأة التركية على السفور [٢] ، ومع ذلك كتب عنه « العقاد » فصلا كاملا سماه « مصطفى كمال بطل الشرق ورجل الساعة » من كتاب « الفصول » يقول عنه « رجل وثيق الإيمان ، نقي الإخلاص .... قيَّضه الله لوطنه في محنة مطبقة قلما تهوى إلى مثلها الأوطان فنصره نصرا مؤزرا ، قل أن يذكر التاريخ مثله » [٣] بل كمال أتاتورك عند العقاد من (الذين ندبهم الله لنفع أممهم ، أو لنفع الناس عامة) [٤].

---

(١) انظر : الحجاب ، لأبي الأعلى المودودي رحمه الله ، ص ١٢٠ ، ص ١٢٩ . دار الفكر ، بيروت بدون عدد الطباعة ولا تاريخها .

والفجيعة الكبرى أن العقاد يدافع عن سعد زغلول لشربه الخمر (إذا أجهدته الخطابة أو أحسَّ ضعفا في نبضه) ص ٥٤١ ، سعد زغلول ، المصدر السابق .

(٢) انظر : قوى الشر المتحالفة ، محمد محمد الدهان ، ص ١٠٤ ـ ١٠٦ ، وانظر :واقعنا المعاصر ، ص٣٥٢ ، وانظر : الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية دراسة النكير على منكري النعمة لمصطفى صبري وتحقيق د / مصطفى حلمي ، ص ٣٣ ، وانظر د / زكريا إبراهيم بيومي ، مصدر سابق ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٦ .

(٣) ص١٦٤،

(٤) نفس المصدر ص ١٧٥ ، هل يوجد كلام فوق التصديق بعد هذا ؟ إن الرجل ليعجب كيف غفل عن هذا وهو الذي يؤلف العبقريات ، وأن العبقري لا ينخدع من أول نظرة ، إنها سطحية التفكير تؤدي بالإنسان إلى أن يرى السنة بدعة ، والبدعة سنة ، الصالح طالحا ، والطالح صالحا ... ويا أمان الخائفين . وانظر : السلطان عبد الحميد لأنور الجندي ، =

١٦ ـ في عام (١٩٣٩م) قامت الحرب العالمية الثانية من أجل إنشاء دولة إسرائيل بالفعل ، ولا سيما أنه في أثناء الحرب العالمية الثانية انعقد مؤتمر الكنائس البروستانتية الأمريكية وطالب هذا المؤتمر بأن تسلم فلسطين من المسلمين إلى اليهود [(١)]

١٧ ـ في عام (١٩٤٥م) قامت جامعة الدول العربية بأيعاز من بريطانيا وفرنسا من أجل أن تكون رابطة العرب النعرة القومية بدل الإسلامية ، ومع ذلك هل استطاع هؤلاء العرب أن يقيموا وحدة عربية بين قطرين عربيين [(٢)] ؟ .

١٨ ـ في عام (١٩٤٧ م) نقلت بريطانيا قضية فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة لتحمِّل المنظمة الدولية وحدة مسئولية كل قرار يتخذ بخصوصها [(٣)] .

١٩ ـ (١٩٤٨م) سلب الصهاينة الجزء الأكبر من فلسطين وقيام دولة إسرائيل واعتراف الغرب بها ، وهناك أصدرت هيئة الأمم تقسيم فلسطين إلى عربية وإسرائيلية [(٤)] وكان مؤدّى التقسيم أن يجعل الإغتصاب أمراً مشروعاً أي أن

=. ص ١٢٦ ، ١٢٩ .

(١) انظر واقعنا المعاصر ، ص ٣٨٢ ، وانظر د/ الريس ، مصدر سابق ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .

(٢) الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام ، منير محمد نجيب ، ص ٨١ ، مكتبة المنار الأردن ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٣هـ ، وانظر : الأفعى اليهودية ، ص ٣٦ ، حيث قد علم أن (أنتوني ايدن) وزير خارجية بريطانيا ورئيس وزرائها فيما بعد هو المشير بذلك .

(٣) د/ إبراهيم الشريقي ، مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١ ، وانظر ص ١٣ . والذي يتأمل في قتال العرب ضد الغرب يجد أن هذا التقسيم له ما يبرره وذلك أن العرب كانوا يقاتلون من أجل الوطنية والتراب ، ولم يجعلوها قضية عقيدة وتوحيد ، ولو فهم الغرب عنهم ذلك لما اجترأ أحد منهم على التقسيم ، فما حصل كان بسبب ما كسبت أيدي العرب والله لا يظلم مثقال ذرة .

انظر : الإسلام والقضية الفلسطينية ، عبد الله ناصح علوان ، ص ١٣ ، ص ٥٧ ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٣هـ .

وانظر : ص ١٠٤ ، ١٠٥ د / القرضاوي مصدر سابق حيث أكد أن مصير من جعلوا قضية فلسطين قضية جهاد : النفي والإعتقالات .

يـكون لليهود كيان دولي في فلسطين ، تعترف به الدول وتضفي عليه صفة الشرعيـة ، فكان من نتائجه إخراج المسلمين من ديارهم ليحل محلهم الغرباء ، ويعد هذا العمل إنسانياً في نظر الغرب الكافر "[1].

٢٠ ـ في عام (١٩٤٩م) بدأت الإنقلابات العسكرية في العالم العربي ، وكانت بوحي أجنبي إمبريالي *وهي ترمي إلى الآتي :

أولا : تقوية النصارى وتمكينهم من الحكم على المسلمين يوماً من الأيام .

ثانيا : أن مصالح الوطن هي المعتبـرة ، فلا فـرق بين مسـلم وكافر ، كلهم تحت أخـوة الوطن سواء .

ثالثا : نفوذ دول الصليب الإستعمارية في البلاد العربية ، فيظهرون من هو أقرب إليهم فكراً وحالاً .

رابعاً : حكم الشـعب للشـعب مع الأخـذ بعين الإعتبار أن من يقوم بذلك هم ممثلو الأمة الرؤساء والوزراء وعموم مجلس البلـديات والشـورى ، ولا يشـتـرط فـيهم الـقـوة والأمانة والصدق والحرقة لهذا الدين ، بل من دفع أكثر كان صوته أظهر ، وهنا يضيع الغيورون بين هؤلاء النفعيين .

خامساً : تنحية الإسلام وأخلاقه وإحلال الدياثة وقتل الغيرة وتشجيع أهل الفساد على فسـادهم ، ولا سـيـمـا أن كل رئيس يخطب بما يلائم شـهوات الناس فيعـدهم بأن يرضعهم ما تهوى الأنفس .

---

(١) د/ الريس ، مصدر سابق ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، ويؤكد د/ الريس أن التقسيم جاء نتيجة الإغراءات الصهيونية للمندوبين بالرشاوي وغيرها ، انظر ص ٣٠٤ .

* امبـريالية ينازعها لـفـظ « امبراطور » الحاكم المطلق المستبد ، بـدلالة أن حسني الزعيم (١٨٩٧ ـ ١٩٤٩ م) وهو أول من نادى بهذه الإنقلابات جاء في تـرجمته أنه (وضع نصب عينيه صور نابليون ، وأتاتورك ، وهتلر .. وظهر بمظهر الحاكم المطلق) أهـ الأعلام للزركلي : ٢ / ٢٢٩ .وكذلك تعني استعماريه توسعيه تريد أن تكون امبراطورية .
وكذلك يتنازع (الليـبـرالية) التي تعني التحرر من جميع العقائد الدينيـة وغير الدينية ويتبعون الهوى وما تهوى أنفسهم أهـ انظر حاشية رقم (١) الجزء الأول ص ٢٦٢ ، الإتجاهات الوطنية .

سادساً : رصد الحركات الإسلامية التي تنادي بضرورة عودة الأمة إلى كتاب ربها وسنة نبيها ـ ﷺ ـ وقمع من ينادي بالجهاد ضد إسرائيل الشقيقة الكبرى في بلاد الشرق الأوسط ، مع إقامة العلاقات الودية لكل كافر حتى ينتشر السلام العالمي والوفاق وحتى ننبذ الخصام مع العلم أنَّ إسرائيل زُرعت كياناً دخيلاً في وسط الأمة الإسلامية المراد منه منع التقائهم وجعلهم شيعاً وأحزاباً .

سابعاً : نشر الثقافات العصرية وتشجيع حركات الإبتعاث للغرب المتقدم وتبادل الزيارات رغبة في تهدئة العواطف الدينية ، وأن يكون هناك تجانس وتطابق لقبول التقاليد الغربية مما ينشأ منه ضعف سلطان الدين وزحزحة مكانته في النفوس [١] .

ثامناً : أن يحكم الشعب عن طريق الأصوات والتصويت على كل شئ سواء كان حلالاً أم حراماً ، فالحلال يصبح حراماً ، والحرام يصبح حلالاً *

تاسعاً : تضييق دائرة الدين أي إلغاء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، جملة وتفصيلاً ليتجرأ الناس على إرتكاب الموبقات ، فأذا فعل الناس ذلك ضمن الحزب أنهم لاهون ساهون .

عاشراً : وضع نظام تعليمي يخرِّج أجيالاً عليهم سمات سطحية التفكير ، ويغلب عليهم تبلد الأحاسيس ، وغالب أفكارهم لا تتجاوز موضع أقدامهم .

حادي عشر : حرية الرأي لعموم الناس إلا أصوات الذين ينادون بالإسلام ويرفعون شعاره فهؤلاء همج متطرفون رجعيون لا يستحقون الديمقراطية الآتية من

---

(١) انظر السلام مع إسرائيل ، هاني أحمد ، ص ١٢ ، ص ٥٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٢ هـ وانظر : الإبتعاث ومخاطره ، د/محمد لطفي الصباغ ، ص ٧ ، ص ٣٧ ـ ٣٩ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، بدون تاريخ الطباعة وعددها ، وانظر : الفكر الإسلامي الحديث ، د / محمد البهي ، ص ١١٩ ، الطبعة السادسة ، الفيصلية ، مكة .

* هنا نلفت النظر أنه حتى لو وقع التصويت على تحريم شئ أصله محرم في الشرع فالأمر علماني سواء خالف أم وافق الشرع الإسلامي .

بلاد التقدم والحضارة [1] .

وخلاصة الكلام أن الانقلابات اتبعت سياسة (مكيافيلي ١٤٦٩ـ ١٥٢٧م) في كتابه الأمير ، التي تتلخص في الآتي :

١ ـ الدعوة إلى الحرية المطلقة .

٢ ـ الدعوة إلى بناء الدنيا من غير دين .

٣ ـ أن الأمور تؤخذ بوسائل الكذب والزور والخداعة والخيانة وكل الفواحش ، والغش والغيلة والقوة والدسيسة كل ذلك يسمى « دبلوماسية » ولا مكان للدين في فكرهم .

٤ ـ الإيمان المطلق بالعلم ، وزاد عليه التقدميون العرب أنه فوق القرآن والسنة النبوية الصحيحة .

٥ ـ ضرورة الإهتمام بالأمور الدنيوية والعناية براحة الشعوب كما يزعمون وذلك ببسط جميع وسائل الترفيه المحرمة وغير المحرمة ولو أدت إلى ضياع الصلاة وتأخر ناء المسلمين في دراستهم ، المهم هو إلهاؤهم عن أن يفكروا فيما تفعله الطبقة

---

(١) انظر : واقعنا المعاصر : ص ٣٢٩ ، ص ٣٥٢ ـ٣٥٣ . وانظر :الحركات القومية في ميزان الإسلام ، مصدر سابق ،ص ١١٧ ، ص ١٢٧ ـ ١٤٢ .

وانظر : أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب ، د / السيد أحمد فرج ، ص ٧٧ ، وانظر : فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، صالح العبود ، ص ١٧٩ ـ ١٨٨ .

وانظر : د/ القرضاوي ، مصدر سابق ، ص ١٠٨ .

وانظر : سقوط الجولان ، خليل مصطفى ، ص ١٩ ـ ٢٠ ، دار النصر للطباعة ، مصر ، (١٩٨٠م) بدون عدد طباعة ، وانظر : الشيوعية منشأً ومسلكاً ، دندل جبر ، ص ٩٠ ، ٩١ ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ ، وأفاد أن من أهداف الانقلاب الثوري استمالة بعض الحكومات العربية إما إلى الجانب الغربي أو الشرقي ، واليوم إنماهو السلام العالمي، انظر : قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد ، أحمد منصور، ص ١٩ ـ ٢٢ ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٥هـ .

الحاكمة ، وخلاصته (أنّ الغاية تبرر الوسيلة) وعلى الشعب التصفيق والنهيق والدعاء للحزب الحاكم ، وتجنيد جميع الوسائل المقرؤة والمسموعة في تأييد النظام الحاكم ، وأن كل شئ يجري على التمام وعلى ما يرام[1] ، وفوق هذا العناية بأخبار المغنين والمغنيات، والممثلين والممثلات ، وأخبار الكرة بجميع أنواعها ، والعناية بأخبار الكلاب والقطط الأوربية ، وما يطلبه المستمعون من أغاني أوربية أو عربية ، وما يشبه هذه الأمور والسفاسف ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون[2] .

٢١ ـ في عام (١٩٥٠م) قررت أمريكا وإنجلترا وفرنسا أن تمتد حدود إسرائيل من سوريا وبحيرة طبرية في الشمال ، إلى ميناء أيلة على خليج العقبة في الجنوب[3] .

٢٢ ـ في يوم (٢٦ يناير ١٩٥٢م) حدث حريق القاهرة المدبَّر ، وأعلنت بعده الأحكام العرفية ، ودخلت مصر في عهد من القلقلة والتوجس والاضطراب ، كان لابد أن يحدث بعده شئ ، يعني هذا أنَّ مصر تنتظر المخلِّص العبقري الذي يقود أمته نحو الديكتاتورية) والحكم المطلق الذي لسان حاله يقول « أنا ربكم الأعلى » وصاحب

---

(١) انظر : أدب نجيب محفوظ ، ص ٧ ، وانظر : فلاسفة الحكم في العصر الحديث ص ١٧ .
وانظر ص ٢٣ . وخلاصة سياسة (مكيافيلي) :
١ ـ أن سلامة الدولة مقدمة على كل مصلحة أو شريعة .
٢ ـ لا حرج من اتخاذ كل وسيلة لدفع الغائلة عن الدولة .
٣ ـ عند وقاية الدولة من غائلة تهددها فلا محل للبحث في النصوص والفتاوي أ هـ
انظر ص ٢٤ ، فلاسفة الحكم في العصر الحديث .

(٢) انظر : الصحافة والأقلام المسمومة ، أنور الجندي ، ص ٦٧، ١١٣ ، ص ٢١٣ ـ ٢٣٦ ، وانظر : رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر ، مصدر سابق ، ص ٦٣ ـ ٦٥ ، ص ٧٠، ص ٧٥ ـ ٨٠ ، وانظر معركة التقاليد ، للشيخ محمد قطب ، ص ١٢٥ ـ ١٦٥ ، دار الشروق ، بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ بدون عدد الطباعة . وانظر : تحكيم الشريعة ودعاوي العلمانيين ، د/صلاح الصاوي ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٣ . دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ ، وهو نفيس جداً .

(٣) د/ الريس ، مصدر سابق ، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

الإرادة الوحيد كما كان يقول في خطبه [1] .

٢٣ - في صبيحة (٢٣ يوليو ١٩٥٢م) كانت الثورة المصرية [2] المباركة كما يسمونها وهي الإنقلاب العسكري الذي صارت مصر على إثره جمهورية ، أي جعل ولايتها جمهورية تقليداً لأمم الكفر والضلال وهو من التشبه بأعداء الله ، ولفظ الجمهورية يعني مشاركة الشعب في حكم الشعب ، وهذه ضحكة ضحك بها المستغربون على المسلمين عامة وعلى العلماء خاصة ، وإلا فمن نظر إليها بعين الشرع فهي إلى القومية أقرب وإلى الوطنية الغربية أنسب ، حيث لا مناص من إشراك النصارى واليهود - الأقليات كما يسمونها - في حكم بلاد المسلمين بأن يسمح لهم بأنشاء مقاعد مجلس البرلمان ، وهذا ما يريده الغرب الكافر ، بل تراعى هذه الأقليات التي نسبتها أحياناً لا تتجاوز ٥ , ٤ ٪ من نسبة تعداد المسلمين ويفرض لها القوانين التي تهدم دين الإسلام حفاظاً على هذه الأقليات وإهانة لكرامة شعب بأكمله ..

وقد عُلِمَ عرفاً أن مُحَصَّلَ الجمهورية هو الإعتياض بالوطنية عن الإخوة الإسلامية بدلالة الأشعار والأناشيد التي يلوكها الأغرار على حين موتِ الدين في النفوس فتسمعهم ينشدون :

أنا عربي أنا عربي وأحب كل العرب .

ويدخل تحته النصراني الماروني والأرثوزكسي واليهودي الذين ينطقون بلسان العرب ، ولم يحفظوا له إلّاً ولا عهداً ، فلقد قال قائلهم * :

بلادك قدمها على كل ملة ومن أجلها أفطر ومن أجلها صمِ

---

(١) انظر د/ القرضاوي ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ ، د/ الريس ، ص ٢٦١ .

وانظر : المؤامرة على المرأة المسلمة ، مصدر سابق ، ص ١١٦ . بل قد سئل - العقاد - عن هذا الحريق فأجاب : (لا أرى فيها - الأحداث - سوى إرهاصات تسبق الثورات دائماً ، وهذا ما أراه قريباً) أهـ معارك العقاد السياسية ، عامر العقاد ، ص ٣٢٣ ، دار الجيل بيروت ، طبعة (١٩٧٣) بدون عدد الطباعة فيا ترى ما أدرى العقاد بهذا ؟

(٢) كان شعار الثورة : (الإتحاد والنظام والعمل) انظر : ص ٣١٥ من كتاب العقاد في معاركه السياسية ، سامح كريم ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٩٧٩م) .

* هو رشيد سليم الخوري الماروني اللبناني .

هبوني عيداً يجعل العرب أمة   وسيروا بجثماني على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننا   وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم .

ورحم الله الشيخ (أبو إبراهيم) عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن نادر الدوسري الأزدي [1] حين نقض قول هذا الكافر بقصيدة على رَوِيِّها منها :

فلا يستوي التوحيد بالكفر مطلقاً   بل الكفر مدعاة لفرقة مأثم
فهل بعد نبذ الدين حصلت وحدة   أم ازداد تفريق بأحزابك العَمي
وهل نلت في الثورات أية وحدة   أم ازداد ميدان الشقاق المؤزم
وما راج قول العلج إلا لجهلنا   مقاصدَ دين الله صرنا كأبْهُم
بحرية شَتْمُ الإلهِ مُجَوَّزٌ   وشتم زعيم فيه تعذيب معدم
قوانينهم تحمي الزناة دياثة   لذي الفسق والأعراضُ أرخص مغنم
غدوا يصرفون الناس عن هدي ربهم   إلى ظلمات الغرب في كل موسم
ولا حظ سباباً هائلاً يطلقونه   على الكافر المستعمر المتلعثم [2] .

وفي الجملة إن ثورة (يوليو تموز) جيء بها لتضرب ضربتها القاضية للحركة الإسلامية في مصر، ولا سيما أن الإنجليز كانوا يتابعونها متابعة دقيقة ، ويتحسسون أخبارها ، ويحاولون أن ينفذوا إليها عن طريق

---

(١) فَخذُه اسمه « آل ودعان » وهؤلاء يرجعون من رجال الأزد كماأخبرني بذلك الشيخ الوالد عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام حفظه الله في طاعته .
وقد ترجم لنفسه في المجلد الأول من « صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم » ص ١١ - ١٨ .
فقد ولد الشيخ عام ١٣٣٢ هـ وتوفي سنة ١٣٩٩هـ . رحمه الله .

(٢) نفثات داعية للشيخ عبد الرحمن الدوسري، نشر مكتبة الرشد، الرياض ، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ ، ص ٢٧ ، ٥٢ ، ٥٣ . وبالله صدق الشيخ فلقد استمعت إلى شريط مسجل لخطبة جمال عبد الناصر وفيها (سنرمي إسرائيل في البحر) يكررها والجماهير غوغاء يصفقون له .

جواسيسها [1] ، فلقد رأى الغرب في شخص - عبد الناصر - جنون العظمة وقسوة القلب وبغض الإسلام ، ولا سيما أنه جاء في تاريخ - عبد الناصر - أن أول لقاء له باليهود كان سنة (١٩٤٩م) ، وكان مقتل حسن البنا (١٩٤٩م) فيا ترى - (من حيث الأشهر الإفرنجية أيهما السابق وأيهما اللاحق ، اللقاء التاريخي أم مقتل حسن البنا) [2] ؟ ، ولا يبعد هذا - والغرب الكافر من وراء الستار إذا أرادوا شخصاً لم يعجزوا عن إنجاحه ، وإذا كرهوه لم يعجزوا عن إسقاطه [3] .

ولا سيما أن جريدة (الجو يش كرونيكل) اللندنية في عددها الصادر بتاريخ : (٣٠ تموز ١٩٦٥م) نشرت مقالاً تحكي فيه تاريخ - عبد الناصر - (١٩٥٤م) مفاده أن عبد الناصر (سنة ١٩٥٤م) استعد أن يجري تسوية مع إسرائيل ، وكان ذلك بوساطة (موريس أورباخ) عضو مجلس العموم البريطاني لحزب العمّال ، وأكّدَ (أورباخ) أن المحادثات ابتدأت من قبل عبد الناصر نفسه ، وأنه الزعيم العربي الوحيد الذي يرغب في كسر حلقة الكراهية والحقد بين العرب وإسرائيل [4] .

هذا من حيث موقف عبد الناصر من فلسطين ، أما حاله مع الأقليات ، فلقد وضع

---

(١) انظر واقعنا المعاصر ، ص ٣٨٧ ، من غريب الحكايات أن محمود فهمي النقراشي (١٨٨٨ - ١٩٤٨م) عمل على تقوية جمعية الإخوان المسلمين لمقاومة الوفديين ، فاتسع نطاق الجمعية وخيف انقلابها على السلطة المصرية فأمر بحلها أهـ انظر: الأعلام للزركلي: ٧ / ١٨١ . فهل يا ترى أمَرَ بالفعل المعلوم أم بالفعل المجهول « أمر » أوليست بريطانيا ما زالت تحكم في مصر أيامه ، فهل كانت يخفى عليها هذا ؟ سؤال يحتاج إلى جواب .

(٢) انظر حاشية رقم (٢) ص٣٩٥ من « واقعنا المعاصر» حيث ذكر أن التي ربَّت عبد الناصر يهودية تدعى (مدام يعقوب فرج شميل) ولقد سمعت الشيخ الدوسري في شريط « قوة العقيدة » يقول (ابن يهودية وتربى في حي يهودي) أهـ وانظر ص ٣٩١ ، ٣٩٦ واقعنا المعاصر .

(٣) انظر : د/ القرضاوي ، مصدر سابق ، ص ٧٩ .

(٤) عبد الناصر وفلسطين ، ص ٩ ، ص ١٢ ، بدون عدد الطباعة وتاريخها ومكان تاريخها وبدون اسم المؤلف .

بيده حجر الأساس لكنيسة من أكبر الكنائس في (الجمهورية) ، وهي (الكاتدرائية) الجديدة في شارع رمسيس بالقاهرة ، وهو يريد بذلك التسوية بين رعاياه في الحرية الدينية "[1] ، وقد اتفق المسلمون على أن ما بناه المسلمون من المدائن ، لم يكن لأهل الذمة أن يحدثوا فيها كنيسة ، ... فأن من المعلوم المتواتر أن القاهرة بنيت بعد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بثلاثمائة سنة ، بنيت بعد بغداد والبصرة والكوفة .... والمدينة التي يسكنها المسلمون ، والقرية التي يسكنها المسلمون وفيها مساجد المسلمين لا يجوز أن يظهر فيها شئ من شعائر الكفر ، لا كنائس ولا غيرها إلا أن يكون لهم عهد فيوفى لهم بعهدهم ، فلو كان بأرض القاهرة ونحوها كنيسة قبل بنائها لكان للمسلمين أخذها ، لأن الأرض عنوة ، فكيف وهذه الكنائس محدثة أحدثها النصارى أيام ملوك الرافضة في مصر ؟ ...

ولا يشير ببناء الكنائس في أرض الإسلام إلا رجل منافق يظهر الإسلام وهو من اليهود والنصارى في الباطن ، أو رجل له غرض فاسد ... أو رجل جاهل في غاية الجهل ، لا يعرف السياسة الشرعية الإلاهية "[2] .

بالله ما أصدق سيد قطب رحمه الله (١٩٠٦ - ١٩٦٦ م) حين قال (نحن في حاجة إلى زعماء بلا مجد ، وبلا شهرة ، وبلا بريق ، ولا يعنيهم أن تكون أسماؤهم على كل لسان ، وصورهم في كل مكان)"[3] .

---

(١) انظر أباطيل الأباطيل ، حسني شيخ عثمان ، ص ١٣٧ ، مكتبة الصديق ، الطائف ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٩هـ .

(٢) هذه بعض إجابة فتوى قدمت لشيخ الإسلام ابن تيمية عن بناء الكنائس وهدمها ، نقلته بواسطة : موقف الإسلام من بناء الكنائس ، لأحمد بن عبد العزيز الحصين ، ص ٤٤، ص ٥٠ ، مكتبة المعلا ، الكويت ، الطبعة الثانية : سنة ١٤١٥ هـ ، وقد نقلها المؤلف عن أحكام الذمة لابن القيم رحمه الله. وقد رجعت إلى المسألة نفسها في كتاب يحمل عنوان: « مسألة في الكنائس » لابن تيمية، تحقيق علي بن عبد العزيز الشبل ، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٠٢ ، ١٠٤، ١٢٧ .

(٣) معركتنا مع اليهود ، ص ٥٥ ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، الطبعة السادسة : سنة ١٤٠٣هـ .

إن (ثورة يوليو) تحالف معها (المثقفون) الذين يكرهون الإسلام ، لأنهم رأوا في نجاحها وتمكنها أماناً لهم من الحركة الإسلامية "[١]

وأخيرا إن (ثورة يوليو) جاءت بالبطش والظلم والمكر والكيد والحقد ، ولا عجب في ذلك ، والانقلابات الثورية تفعل هذا بعد إعطاء مواثيق وعهود أن تكون للشعب ولمصالح الشعب ، حتى إذا أيَّدوها قلبت لهم ظهر المِجَن ، مسفرة عن وجهها الحقيقي .

وإذا كان من كلمة أخيرة فهي : يا ترى ما الذي أعجب العقاد بهذه الثورة * ؟ التي قال عنها سيد قطب رحمه الله (لا أجد في تطور أمورها ما يريح ، فهؤلاء الأمريكان ، يحاولون احتواءها بدلاً من الإنجليز) "[٢] ، ولا يغيب عن البال ، أن سيداً كان من منظري هذه الثورة ، فهو بها أخبر ، وعلى أحوالها أظهر "[٣].

٢٤ ـ في عام (١٩٥٤ م) خرج الإنجليز من مصر ، وقد خرجوا بأجسادهم ، ولكن قد ضمنوا أن وراءهم من يتابع تغريب هذه الأمة وتذويبها بيد أبنائها .

٢٥ ـ في عام (١٩٥٦م) وقع العدوان الثلاثي (بريطانيا ـ فرنسا ـ إسرائيل)

---

(١) انظر واقعنا المعاصر ، ص ٣٥٩ .

* انظر تمجيده لها في معارك العقاد السياسية ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٩ . مصدر سابق .

(٢) سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ، صلاح الخالدي ، ص ٩٩ ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى :سنة ١٤١١هـ ،

وفي الجملة فالمخابرات الأمريكية (تعني بأعداد وتنفيذ العمليات السرية ومسئولة عن جمع كل المعلومات والتحريات الممكنة في العالم وفي الفضاء الكوني) أهـ من كتاب (لعبة الجاسوسية العالمية ، رؤساء أمريكا) لـ ف . م سيرج ، تعريب : علي هودو ، دار الفارابي ، بيروت (١٩٨٦م) بدون عدد الطباعة .

ومن غريب الموافقات أن وكالة الأمن القومي الأمريكية أنشئت عام (١٩٥٢م) بمذكرة من الرئيس (ترومان) أهـ من كتاب (تقنية التجسس) غراهام يوست ، ترجمة الرائد: إلياس فرحات ، ص ٢٣٦ ، دار الحرف العربي ، دار المناهل ، بيروت ، الطبعة الثانية : سنة ١٤١١هـ .

(٣) د/ الخالدي ، المصدر السابق ص ٢٨٧ ـ ٣١٠ .

على مصر [١] ،

٢٦ - في عام (١٩٥٧م) أعلن جمال بن عبد الناصر * منح المرأة حقوقها السياسية ، فلها أن تشارك في البرلمان ، ولها أن تدلي بصوتها لمن تشاء ، وبوسعها أن تكون ضابطة في الشرطة والجيش ، ومن حقوقها أن تكون محامية ، ونائباً عاماً ، ومدعياً ومرافعاً ... أي على حسب خطاب - عبد الناصر - (كان لابد لنا بعد أن اكتشفنا أنفسنا ، أن نكتشف نصف شعبنا - المرأة - ونعطيها جميع حقوقها ، وقد وضعنا هذا موضع التنفيذ .... لأن المرأة العربية اليوم نصف المجتمع ، وعليها مسئولية كبرى لتشارك الرجل في بناء هذا الوطن ، وفي بناء المصانع ، وفي التعليم الفني ، وفي التدريب العسكري) [٢].

٢٧ - في عام (١٩٥٨م) حصلت الوحدة بين مصر وسورية [٣] .

---

(١) انظر : الشيوعية منشأ ومسلكاً ، دندل جبر ، ص ٩٤ ، مصدر سابق .

* إن اسقاط لفظة « ابن » في النسب ، معروف عن الافرنج من قرون كثيرة ، وهو من التشبه بأعداء الله تعالى ، انظر : الإيضاح والتبيين ، ص ٢٥٠ ، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري .

وانظر : معجم المناهي اللفظية للشيخ (أبو زيد) ص ٣٣ ، مادة (أحمد محمد) .

وهذا من التغريب الذي ابتليت به الأمة الإسلامية ، وهو شئ يقود بعضه بعضاً ، والله المستعان .

فلذلك احتذاه الكتاب المتأخرون بكل إعجاب ، وانظر رسالة :« تغريب الألقاب العلمية » للشيخ « أبو زيد » ص ١٦ ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٩هـ .

(٢) عودة الحجاب ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ . محمد المقدَّم ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الرابعة ،

(٣) انظر دندل جبر ، مصدر سابق ، ص ٢٠٩ ، والواقع أن الباحث يعجب ما الهدف من هذه الوحدة بين أرض في آسيا ، وبين أرض في أفريقيا ؟ أوليس الدولتان من أعضاء جامعة الدول العربية ؟ أوليس (الثوريون) من أولي الحكم المطلق ؟ يا ترى ما الهدف من وراء ذلك ؟ إن سوريا من دول المواجهة وكذلك مصر ؟ فماذا يعني هذا ؟ هل هو ضمان لإسرائيل - ؟ =

٢٨ ـ في عام (١٩٦١م) صدر قانون رقم (١٠٣) بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها ، إن هذا التنظيم هو بعينه (التطوير) الذي يسعى إلى طمس عقيدة الأمة ، وتذويب هويتها ، وتغريب أخلاقها خلسة وبشكل تدريجي وهذا يؤدي إلى :

١ ـ تخريج أجيال لا تفهم الإسلام ، فضلاً عن أن يفهمه للناس ، فضلاً عن أن يكون ذا بحث وبناء في رسالة الإسلام .

٢ ـ حجب (الثقافة) الإسلامية عن الأجيال القادمة مما تكون نتيجته : قطع حياة المسلمين عن ماضيهم الإسلامي ، فضلاً عن حرمانهم من الدراسة التطبيقية الجادة ، التي تربط العلم بالعمل المنتج [1] .

٢٩ ـ في عام (١٩٦٢م) انتقلت الجيوش المصرية إلى أرض اليمن لمساعدة الجمهوريين اليمنيين [2] .

والواقع أن المتأمل في هذه الظاهرة يثبت بالدليل القطعي ـ أن عبد الناصر ـ عميل للغرب عامة ، ولإسرائيل خاصة ، وذلك : كيف نجمع بين قوله في خطبه (سنرمي إسرائيل في البحر) ؟ وبين تسريح جيوشه إلى بلاد بعيدة الأغوار ! أليس بحاجة إلى هذا الجيش حتى يرمي إسرائيل في البحر ؟

= وكفى بالله قائماً على كل نفس بما كسبت ، ولكن هناك حسٌ إسلامي يقول : إن المراد من هذه الوحدة هو تكوينها على أسس مادية اشتراكية علمية لا علاقة لها بالعواطف ولا بالإيمان ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ضرب الرجعيين الذين لا يريدون اشتراكية ـ البطل ـ والله تعالى أعلم .

(١) انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ، ص ١٧٩ ، ص ١٨٠ ، وانظر : التطوير بين الحقيقة والتضليل ، د/ جمال بن عبد الهادي ، أ . على لبن ، ص ٧ ـ ٨ ، طبعة : سنة ١٤١١هـ ، دار الوفاء ، المنصورة .

وانظر : عن صلة الأمريكيين بذلك « سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية » رقم (٣) المؤامرة على التعليم والمعلم ، حسن جودة ، محمد خفاجة ، أحمد العدل ، وزملاؤهم ، الوفاء ، المنصورة ، (١٩٩٣م) بدون عدد الطباعة . ص ٥ .

(٢) انظر القرضاوي ، مصدر سابق ، ص ٢٠٧ .

ما الثمرة المرجوة من وراء تسريح هذا الجيش الذي تكالب عليه أبناء اليمن - الملكيون والجمهوريون ؟ - يا سؤالاً قد توارت إجابته خلف السراب !

٣٠ - في هذا العام نفسه (١٩٦٢م) جاء بيان عن (الميثاق الوطني) ينص على أن المرأة تتساوى بالرجل ، ولا بد أن تسقط الأغلال التي تعوق حركتها الحرة ، حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية في صنع الحياة [١]

٣١ - في عام (١٩٦٣م) وقِّع ميثاق (الوحدة الثلاثية) بين مصر وسورية والعراق لتكون دولاً اشتراكية ، بجوار دولة اشتراكية الذي يعني التعايش السلمي الاشتراكي العربي مع الاشتراكية الإسرائيلية [٢].

إن الإنسان لا يتردد أن الإتحاد « السوفيتي » كان وراء تقوية الاشتراكية في البلاد العربية ، وهنا فلتهنأ عين إسرائيل ، فقد أحاطتها الأم الرؤوم الثانية * بعين الرعاية والصداقة من ثلاث دول ، كانت تعتبر - البعبع الأول - المخيف لإسرائيل [٣] ..

---

(١) معركة الحجاب ، الطبيب المقدم ، مصدر سابق ، ص ٢٢٠ . أليس هذا دليلاً على ما استنبطناه من تسريح الجيوش المصرية إلى بلاد اليمن ؟ رجال يذبحون ، ونساء يُدْعَيْن أن يشاركن في صنع الحياة .

إن صناعة الحياة : دعوة لمراجعة النفس ، إنها تعني معارج الروح نحو السماء ، وليس السفور والاختلاط يصنعان الحياة ، بل يدمران الحياة . إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . انظر: صناعة الحياة ، سلسلة إحياء فقه الدعوة ، محمد أحمد الراشد ، الطبعة الثانية : سنة ١٤١٢هـ ، دار المنطلق ، الإمارات العربية ، ص - أ -

(٢) د/ القرضاوي ، مصدر سابق ، ص ١٨٢. وانظر ص ٦، افتراءات حول غايات الجهاد ، محمد بن نعيم ياسين ، وفيه أنَّ هذه النصيحة أبداها د / كاسترو الزعيم الشيوعي الكوبي لدبلوماسي إسرائيلي أن علي إسرائيل أن تسعى لجعل كل دولة عربية في جوراها دولة إشتراكية ماركسية ليتلهى الشعب بمهام التحرير الإشتراكي وتدع العقيدة جانباً .

* أولاها : أمريكا .

(٣) من شريط « قوة العـقـيـدة » للشيخ الدوسري ثم قال رحمه الله (وقضية فلسطين بدئت بخيانة ، وستنتهي بخيانة) لا إله إلا الله .

٣٢ ـ في عام (١٩٦٤م) دعا الإتحاد السوفيتي إلى التعايش السلمي بين العرب وإسرائيل ، والتعايش معناه الصلح ، والصلح معناه : الإعتراف بكيان الدولة الصهيونية [١].

٣٣ ـ في عام (١٩٦٤م) توفي العقاد ، وقد نال جائزة الدولة التقديرية ، من يد قائد الثورة الملهم ، الذي مازال يهدد ويزمجر أنه سيقذف إسرائيل في البحر ، مكراً ودهاءً على شعوب العالم الإسلامي ، حيث يجد من يصفق له على هذه الكلمات التي من تأملها بعين الشرع يجد أنها بذرة السلام مع إسرائيل،ولا سيما أنه قد بدأ المحادثة في ذلك ، ومن باب الطرفة أنه بعد هزيمة ونكبة (١٩٦٧م) التي تعد أكبر وأخطر هزيمة نفسية واجهها العالم العربي لوحظ عليه الهدوء فهل يا ترى نعتبر هذا الهدوء الذي طرأ عليه بعد نكبة (١٩٦٧م) (تكتيكاً) عسكرياً ، أم أن الرجل قد استنفذ صانعوه أغراضهم منه ، واستمتعوا به مدة إحتياجهم إليه ؟

سؤال نعرضه على العقاد الذي كان يرى فيها ـ الثورة ـ (عيداً بل عيد ربيع ، مازال يتحرك في ضمير مصر مع التاريخ حتى بزغت أضواؤه مع فيضان النيل في كل مكان) [٢] وهو معجب ببطولة الثورة ونبوغها فتراه يقول (ونعتقد أن العصر الحديث أغنى بالبطولة والنبوغ من كل عصر سلف بغير استثناء ولا تحفظ ، ولا تغليب الظن

---

(١) د/ إبراهيم الشريقي ، مصدر سابق ، ص ٦٧ ـ ٦٨ . وفي هذا التاريخ بالذات أصدر المجمع المسكوني المنعقد بروما برياسة البابا بولس السادس ، يقضي ببرأة اليهود من صلب نبي الله المسيح ، ص١٣١، الدهَّان ، مصدر سابق . وهذا تحصيل حاصل عند عوام المسلمين وعجائزهم فلا يحتاج إلى هذا الإجتماع ، وفي هذا التاريخ بالذات (١٩٦٤م) صدر قرار جمهوري مصري بأغلاق محافل شهود يهوه ، ومصادرة أموالهم ، انظر شهود يهوة ، التطرف المسيحي في مصر ، أبو إسلام أحمد عبد الله ، ص ٥ ، بيت الحكمة ، القاهرة ، (١٩٩١م) بدون عدد طباعة .

(٢) معارك العقاد السياسية ، ص ٣٢٦ ، عامر العقاد ، مصدر سابق ، وانظر : ص ٣٣٣ ، وفيه صورة العقاد مع عبد الناصر وهو يتسلم الجائزة التقديرية في عيد العلم .

والإحتمال) [١].

ياترى هل نستطيع أن ندرج كاتبنا تحت النفوس الصغار التي قال عنها أنها (تستكبر ما هو صغير ، وتستبعد ما هو قريب ، وتشتغل بما لا يستحق عناء الإشتغال) [٢] فلقد كال المدح لفلسفة الثورة فقال (أما الثائرون فكانت مشيئة الشعب عندهم هي قوام الحكم وسنده الذي لا سند له غيره ، فمشيئة الشعب من مشيئة الله ، وعلى الملوك أن تطيع شعوبها ، وتعمل على رضاها ، وإلا فهم الخارجون على سلطان الأرض والسماء) [٣]ويقول عن خطة الثورة تجاه العدالة (وكان لازماً لبيان خطة الثورة في مسألة الأحوال الشخصية التي كانت ترجع في كل هيئة دينية * إلى سنة تخالف غيرها في شئون الزواج والطلاق والميراث ، وكان لازماً لبيان القواعد التي يقوم عليها التشريع في القوانين الوضعية والقوانين الدينية أو العرفية ** .... فليس في مصر مبدأ يثور على مبدأ . ولا عقيدة تتمرد على عقيدة ، ولا مصلحة قومية تناقضها مصلحة قومية . ولكنه شعار واحد ليس فيه من يثور ولا من يثار عليه . لأن الوجهة

---

(١) يسألونك ، ص ٢١٥ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الثالثة : ١٤٠١هـ ، وقد عدد من الأبطال : مصطفى كمال أتاتورك ، رضا بهلوي ، ستالين ، موسوليني ، هتلر ، سعد زغلول ، غاندي ، وسن ياتسن ، وسلامة حجازي ، والسيد درويش ، وأم كلثوم ، هؤلاء كلهم أبطال لم يتكرم بهم عصر من سلف ، إنها النكبة النفسية ومصيبة ، انظر : ٢١٦ ـ ٢١٨ ـ من المصدر السابق

(٢) آخر كلمات العقاد ، ص ١٢٤.

(٣) معارك العقاد السياسية ، سامح كريم ، مصدر سابق ، ص ٣١٢ .

فإذا لم يكن هذا الكلام بعينه خروجاً على الدين ، فلا أدري بماذا نسميه ؟ هل مشيئة الشعب في الديـاثة والخنا وتحليل الحرام وتحريم الحلال وأن يكون النصراني أخاً لي في الوطنية وأن الاعتياض بالقوانين الوضعية عن الشريعة هذا كله من مشيئة الله ؟ والله لا يرضى لعباده الكفر ، (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ،أتقولون على الله مالا تعلمون).

* يا ترى ماذا يقصد بالهيئة الدينية ؟ هل هي المحاكم الشرعية ؟ ولا سيما أنها ألغيت في مستهل الثورة .

** لاحظ معي أنه يقول « قوانين دينية » لتشمل النصرانية ، لعلي أخطأت في الاستنباط .

واحدة متفق عليها ، لن ينكرها فريق حين يسلم بها فريق ..... وبعد : فقد قرأت الصفحات الثمانين التي كتبها السيد الرئيس جمال عبد الناصر في كتاب « فلسفة الثورة » فخرجت منها وأنا أعتقد أن الخلاف عليها أقل خلاف ... صواب ولا شك أن الحركة المصرية لا توصف بأنها تمرد عسكري ..... وصواب لا شك أن الحاضر يعيش ببقية من مساوئ العهود الماضية ، وهذا هو باب الأسف والأسى ....)[1]

هذه الكلمات خطيرة للغاية القصوى ، وذلك أنه أقرَّ مساواة النصرانية بالإسلام وأقرَّ مساواة اليهودية بالإسلام ، وهذا خطر ، لأنه جعل كلام سيادة الرئيس ـ منهجاً لا يقبل الجدل ، وهذا خطأ لأن في ذلك فساد الدنيا والدين ، وفسادهما يأتي (من تقديم الرأي على الشرع ، والهوى على الهدى)[2] فعندما يُقِرُّ العقاد أمثال هذه العبارة (فليس في مصر مبدأ يثور على مبدأ) هذا ظلم لنفسه فضلاً عن غيره ، ويقر أيضاً

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٣ ، ص ٣١٤ ، ص ٣١٥ ، ص ٣١٧ . وقد نشر المقال في مجلة « آخر ساعة » (١٩٥٤/٦/٣٠م) انظر حمدي السكوت ، ١٨٦/١.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم رحمه الله ، ٢ ٢٨٦ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، بدون عدد الطباعة وتاريخها . وقال رحمه الله ، ٢ / ٢١٧ ما محصله : واتخاذ أقوال رجل بعينه بمنزلة نصوص الشارع لا يلتفت إلى قول مَنْ سواه ، بل ولا إلى نصوص الشارع هذا والله هو الذي أجمعت الأمة على أنه محرم في دين الله ، ولم يظهر في الأمة إلا بعد انقراض القرون الفاضلة أهـ فإذا كان هذا في (الفروع) العمليات ، فما القول في أمر يمس التوحيد ويقدح في الإسلام إن هذه كلمات ـ فعلاً ـ عجيبة وغريبة من العقاد . وكيف صوَّبها ؟ ولكن صدق الإمام على بن آبي طالب حين قال للكميل بن زياد النخعي (والناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلّم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع ، أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل صائح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق) أهـ المصدر السابق : ١٧٦/٢ ، فياترى العقاد من أي الأصناف الثلاثة ؟

(ولا عقيدة تتمرد على عقيدة)[1] فإذا سألنا أنفسنا ماذا يوجد في مصر من عقائد ؟

ألا يوجد فيها نصارى ؟ ألا يوجد فيها مسلمون ؟ ألا يوجد فيها يهود ؟ فهل يريد العقاد أن يتساوى التثليث والتوحيد ؟ أم يتساوى سب الله - عند اليهود - وإجلاله وتعظيمه عند المسلمين ؟ هل هي دعوة لأن تبنى كنيسة ومعبد يهودي ومسجد؟ إن مصر بلد إسلامي يجب أن يحكمها الإسلام شاء أم أبى أهل التغريب ، إن إقرار مثل كلام - سيادة الرئيس - فيه خطورة على الأجيال ، ولا سيما إذا جاء من أمثال العقاد الذين يدرسهم أبناؤنا فحسبنا الله ونعم الوكيل .

إن أية دعوة تنطلق من مساواة النصراني بالمسلم بحجة الوطنية دعوة فاجرة مرفوضة جملة وتفصيلاً ، سواء أدركها من يدعو إلى ذلك أم لم يدركها ! هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، ما المراد بتأييده كلام - سيادة الرئيس - (أن الحاضر يعيش ببقية من مساوئ العهود الماضية) . هذا كلام مجمل ، وفي الجملة إن إطلاق العهود الماضية على ما قبل الثورة ينجرُّ إلى عهود الإسلام الغراء ، أيام العزة والرفعة والمنعة ، لأن الكاتب الإسلامي يجب أن يقيد كلامه ويبتعد عن الألفاظ التي تحمل وجوهاً متعددة يتنازعها المؤيدون والمخالفون ، كل هذا من باب الحفاظ على صمّام الأمان للجماعة ، لأنه متى وجد سوء الظن بيننا انفرط عقد الجماعة المسلمة مما ينتج منه مفارقة الدين وجعله شيعاً وأحزاباً متبعين ما تهوى الأنفس ، وأصبح معقد الولاء والبراء على الأشخاص لا على الله ورسوله ﷺ .

الحاصل : أن العقاد تفوه بهذه الكلمات التي يُخشى على صاحبها أن يندرج تحت قوله ﷺ " إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها ، ويزل بها في النار أبعد مما بين المشرق " وفي لفظ " وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي بها بالاً يهوي

---

(١) رضي الله عن حذيفة حين قال (إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً ، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات) أهـ سبيل النجاة من شؤم المعصية ، محمد بن عبد الله الدويش ، ص١٣ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ ، فهذه الكلمة موبقة مهلكة نسأل الله السلامة .

بها في جهنم "[1] والمعنى (أنه لا يبيِّنها بعبارة واضحة) والمراد بالكلمة (هي الكلمة عند ذي السلطان يرضيه بها فيمايسخط الله) * والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص والصدق والإنصاف والحكمة والبصيرة والعزيمة على الرشد وأن يقينا شرور أنفسنا ، والله أعلم .

أحداث وقعت لها أهميتها ، عود على بدء :

١ ـ في عام (١٨٩٢م) ظهرت الصحافة النسائية ، مكرِّسة جهودها لحركة إصلاح المرأة [2].

٢ ـ في عام (١٨٩٨م) شنت أمريكا حرباً استعمارية لإعادة تقسيم العالم [3].

٣ ـ في عام (١٩٠٨م) وفي شهر (ديسمبر) أنشئت فيه الجامعة المصرية التي استقدمت الأساتذة الأجانب للتدريس فيها ، مما كانت سبباً في إخراج جيل جديد ثائر على كل ما هو قديم زمنه ، ومن بين ذلك بل على رأسه الإسلام دين الهدى والعزة والرفعة ، بل اعترف بذلك كبار الساسة الإنجليز المحتلين لمصر ** ، أن سواد المصريين (لن يتخلصوا من ذلك إلا بخلق جيل جديد) [4] ، وكان من مؤسسي هذه الجامعة «سعد زغلول » ** ، مما كان سبباً في ظهور التعليم المدني وتطوير التعليم الديني ، فلا

---

(١) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ، رقم الحديث : ٦٤٧٧ ، ٦٤٧٨ .

* كل هذا انظره في فتح الباري : ١١/ ٣١٠ ، ٣١١ .

(٢) المؤامرة على المرأة المسلمة ، د/ فرج ، مصدر سابق ، ص ٩٥ .

(٣) أعمدة الاستعمار الأمريكي ، ومصرع الديمقراطية في العالم الجديد ، فيكتور بيرلو ، البرت إ.كان ، تعريب : منير البعلبكي ، ص١٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت (١٩٨٠م) بدون عدد الطباعة .

** هو كرومر .

(٤) نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر ، د / عز الدين الأمين ، ص ٥٦ ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية : سنة ١٣٩٠هـ ، والرجل ينحى منحى الجيل الجديد . وانظر : أباطيل وأسمار : ص ١٩٤ لمحمود شاكر .

** انظر ترجمتة في الأعلام : ٣/٨٣ .

ديناً أبقوا ولا دنيا عمروا ، وقد علم قطعاً أن هدف التعليم المدني أو اللاديني * (استعباد الشرق واستغلاله سياسياً واقتصادياً) [١] بل مما نلحظه اليوم أن هدف التعليم (تخريج موظفين وكتبة يحصلون على قشور من العلم ، ويهتمون بالحصول على الإجازات والشهادات أكثر من تحصيل العلم والثقافة ، ثم يعملون بعد تخرجهم تبعاً لأساليب تقوم على المركزية المفرطة « والبيروقراطية » و « الروتين » أو « النظم الإدارية المطولة والمعقدة الجامدة » . ومنها ** توجيه الطلاب إلى العلوم النظرية ـ التي تدرس عامة على أسس فاسدة ـ وعدم تمكينهم من الدراسات التقنية والتجريببية الجادة)[٢].

إن المتأمل في هذا النص يجد النصيحة لهذه الأمة الإسلامية التي غَرَّر بها شرذمة من أبنائها ، باسم التطور والتقدم وباسم التربية الحديثة وباسم التطوير التربوي الذي يسعى (إلى تطويع مبادئ الدين لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها ، وإخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شئون الحياة) [٣].

وخلاصة القول : لقد أظهر التعليم المدني جيلاً متبلد الأحاسيس همه الدرجات ، وليس له هدف محدد من دراسته ، بل يخرج كما يدخل ، مما كان سبباً في ظهور جيل أمي في أوساط متعلمين لا يفرقون بين شروط الصلاة وأركانها بله أن يقرأ أحدهم الفاتحة إعراباً ، فيا لأمتي الغائبة *** .

---

* هذه عبارة د/ محمد رشاد سالم في « المدخل إلى الثقافة الإسلامية » ص ٥٣ .

(١) التبشير والإستعمار في البلاد العربية ، ص ٧٧ ، وانظر : واقعنا المعاصر : ٢٧٧ ، وانظر : الفكر الإسلامي الحديث ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٩ .

** أهداف التعليم المدني .

(٢) نقلت هذه الدرر من د/ محمد رشاد سالم ، المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٣) مفهوم تجديد الدين ، بسطامي محمد سعيد ، ص ٩٧ ـ ٩٨ ، طبعة دار الدعوة ، الكويت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٥ هـ وانظر الإسلام والحضارة الغربية ، د/ محمد محمد حسين رحمه الله من ص ١٨٠ ـ إلى ص ١٩١ فقد أجاد وأفاد نوَّر الله عليه قبره ، وانظر : أزمة العصر له أيضاً ، ص ١٤٠ ـ ١٤٥ .

*** استفدته من كلام للشيخ محمد قطب سنة ١٤١٠هـ في مادة « مذاهب فكرية معاصرة ».

٤ ـ في عام (١٩٠٩م) ظهرت (جمعية الإتحاد والترقي) التي هيأت التربة الصالحة لبذور الحركة العربية الإنفصالية [١] .

٥ ـ في عام (١٩١٣ م) ظهر ما يسمى (بصالون مي) وأسس هذا المحفل بصورة رسمية (١٩١٤م) وكان له علاقات بالجاسوسية البريطانية ، وساهم في سير الحركة النسائية نحو التحرر وكان هذا المحفل مختلطاً من الرجال والنساء من المسيحيين الأوربيين والمسيحيين العرب من المصريين والشوام [٢] .

٦ ـ في عام (١٩٢٠م) اعترف رسمياً بالحزب الشيوعي المصري [٣] .

٧ ـ في عام (١٩٢٤م) تقدمت لجنة الوفد النسائية بتصور عام وشامل لما يهم المرأة ، وطبع في كتيب ووزع على رئيس ومجلس الشيوخ ، ورئيس مجلس النواب ، ووجه للصحافة والرأي العام ، يعني بصراحة يمثل أكبر تحول في مسار الحركة النسائية وكان من أهم مطالبه :

١ ـ مساواة الجنسين في التعليم .

٢ ـ فصل إدارة تعليم البنات عن تعليم البنين .

---

(١) د/ القرضاوي ، ص ١٥٢ ، وماذا يمنع أن يكون موجهها واحداً ؟

(٢) د/ فرج ، ص ٢١ ، ص ٣١ ، وانظر معركة الحجاب ، ص ١٢٥ ، وانظر ترجمتها في الأعلام : ٢٥٣/٥.

(٣) انظر دندل جبر ، مصدر سابق ، ص ٦٠ . في هذا العام قامت النساء بمظاهرة سارت من محطة مصر إلى شارع الجمهورية (كامل سابقاً) فميدان الأوبرا ، فشارع عابدين ، وتعرض لهن الجنود البريطان وطلبوا منهن التفرق فأبين واستمررن في المظاهرة إلى أن انتهت بسلام ، انظر د/ فرج ص ٩٩ ، والعجيب أنهن يعقدن الإجتماع في الكنيسة المرقصية الكبرى ، انظر نفس المصدر ص ١٠٢ (آخر زمن ، الدنيا والله خلصت) هذه من كلمات أخت العقاد الكبرى عندما سمعت أن وفداً من بنات الجامعة سيزرنهُ في ندوته ، وسألت :أليس لهؤلاء أهل ؟ وهل حضر معهن أحد من أهلهن؟ وما هي أعمارهن ولما علمت أن هذا يحدث كثيراً في القاهرة ، ولا غرابة في أن تزور الفتيات أديباً كبيراً كالعقاد، ضربت السيدة المسنة كفاً بكف وقالت كلمتين ......(آخر زمن ، والله الدنيا خلصت) انظر ص ٣٣٧ ، لمحات من حياة العقاد ، لعامر العقاد.

٣ - للنساء حق في الإنتخابات كما للرجال .

٤ - لا طلاق إلا أمام القاضي .

٥ - يمنع تعدد الزوجات إلا لضرورة [١] .

إن المتأمل في هذه المطالب يجدها لا تخرج من أدمغة النساء المصريات اللاتي مازلن يحملن بقايا الحياء الفطري ، إنما يخرج من وراء الكواليس . فيا سؤلاً حارت فيه العقول ؟

٨ - في عام (١٩٢٥م) أخرج علي عبد الرازق كتاب « الإسلام وأصول الحكم» الذي يدعو فيه إنكار صلة الإسلام بالسياسة ، فلا سياسة في الدين ولا دين في السياسة [٢] .

٩ - في عام (١٩٣٧م) زحف موكب كبير من طلبة الجامعة المصرية والأزهر ودار العلوم .... ومن خلفهم أضعاف أضعافهم من ولاة أمور الطلاب ، مطالبين بتعميم التعليم الديني والتربية الإسلامية في جميع أدوار التعليم إلى نهاية درجته العليا ، وفصل الشابات عن الشبان في الجامعة المصرية والاهتمام بالتربية بقدر الاهتمام بالتعليم .... وقد كان لهذه المطالب صدى واسع لدى المؤيدين والمعارضين ... ولا شك أنها مطالب جسام تستحق أن تُظْهَر ويذكَّر بها القائمون على دفة حكم هذا الشعب العاطفي ، الذي لعب به اللاعبون [٣] .

١٠ - في عام (١٩٤٢ م) أسست (الحركة المصرية للتحرر الوطني) من مسلمين ومسيحيين ، والعجيب أن هذه الحركة المصرية للتحرر الوطني كانت تظهر العطف على تحقيق مطالب اليهود في إنشاء دولة بفلسطين ، لأنها - إسرائيل - تمثل

---

(١) د/ فرج العقاد ، ص ١٠٤ ، ص ١٠٥ . ولا ننسى أن جمعية الإتحاد النسائي أُلِّف سنة (١٩٢٣م) انظر الأعلام للزركلي في ترجمة هدى شعراوي . ٨/ ٧٩ . وهذه المطالب كررت عام (١٩٥٤ م) بمظاهرة أضربن فيها عن الطعام حتى الموت لنيل الحقوق الشخصية والسياسية ، انظر د/ فرج ، ص ١١٠ .

(٢) انظر الدهان ، ص ٦١ ، وانظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ، ص ٣٩٧ .

(٣)انظر معركة الحجاب ، ص١٨٧ ، وشريط « في قوة العقيدة » للشيخ الدوسري رحمه الله.

مرحلة أرقى من التطور الإجتماعي بينما الدول العربية تمثل عصور التخلف والإقطاع[١]

١١ ـ في عام (١٩٤٥م) أصدرت هيئة الأمم المتحدة ميثاقاً تستنكر فيه التمييز المجحف بين المواطنين بسبب النوع أو الجنس أو اللغة أو الدين[٢] .

١٢ ـ في عام (١٩٤٨م) كررت هيئة الأمم إعلان ميثاق حقوق الإنسان* .... إنها كلمة كبيرة براقة مغرية ، ومن أين جاءت ؟ من هيئة الأمم ! إذن هو السلام والتعايش السلمي !.

١٣ ـ في عام (١٩٤٩م) ظهر كتاب (من هنانبدأ)** كرر ما دعا إليه كتاب « الإسلام وأصول الحكم » أنه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين*** ، ولاصلة له بالحكم والحكومة .

إن الغرب يدرك تماماً كذب هذه الدعوى ، ويعرفون أن الإسلام منهاج حياة شامل، فهم يفكرون لإبعاده بعقلية التخطيط غرس الأفكار بالتدريج) ، بينما نحن نفكر

---

(١) انظر : دندل جبر ، مصدر سابق، ص ٦١ ، ٦٢ . ومن أين لنا أن نحل هذه المعادلة : حركة مصرية وتحرروطني = عطف على أماني إسرائيل والتقدم الحضاري ؟ ألا يحق لمن ينظر بالعقل أن يجعل هذه من أوكار اليهود ؟ ولا تنس أن هذه منظمة شيوعية ، ولا تنس أيضاً أن الحزب الماركسي اليهودي في فلسطين تأسس عام (١٩١٩م) ومنها تسللت تعاليم الماركسية إلى الأقطار العربية المجاورة بواسطة اليهود الإشتراكيين ، وبذلك تستطيع أن تفهم تفاعل المعادلتين المتناقضتين ، انظر د/الشريقي، مصدر سابق ، ص ٢٦ . ولا تنس أنه في أواخر الحرب العالمية الثانية نشأت علاقة بين الفاتيكان ومصر ، ص ١٢٠ ، الفكر الإسلامي الحديث .

(٢) د/ فرج ، ص ١٠٧ .

* يبدو لي هذه المرة أنَّه من نصيب (حقوق الحيوانات) لكن الحمد لله ، اعترفوا أن للإنسان حقوقاً من هو هذا الإنسان ؟ إنه مبهم ؟ لكني أرجح أنه الغربي والإسرائيلي والمسيحي العربي والعلماني وما سواهم فهم همج لا يحق لهم الدخول تحت دائرة (حقوق الإنسان).

** لخالد بن محمد خالد .

*** رحم الله الشيخ الدوسري كان يقول إن (لا إله إلا الله) من لامها حتى هائها كلها سياسة .

بعقلية الضياع والتسيب ، حيث نفقد معهما الفطرة السليمة فننساق وراء الشعارات والعبارات ، ويردفه الجهل أو التجاهل ، فلذلك نعق الناعقون بهذه العبارات : لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين [١] .

١٤ ـ في سنة (١٩٦١م) حصلت الثورة الإشتراكية في مصر ، وصار لها توزيع على بقية الدول العربية التي لم ينلها حظ من التقدمية والثورية الشعبية .

وهكذا طوفنا في ثنايا هذه التواريخ التي ظهرت فيها نوازل كانت قاصمة ظهور المسلمين ، وزعزعة للثقة بدينهم ، حيث سلختهم من لباس التقوى والفقه في دين الله إلا ما رحم ربي ، وأدرك « الصليبيون » أن المسلمين اتجهت أنظارهم بل خدعوا بمدنية الغرب التي ألحت بندائها أن المتدين لم يعد صالحاً لهذا الزمان ، فلا بد من إعطاء النفس شهوتها والتمتع بها سواء كانت حلالاً أم حراماً ، بل أكدوا لهم أن هذا التفريق رجعية لعصور الهمجية ، وأن التقدم يكمن في السير وراء المتع النفسية ونبذ لباس الدين ، فكان حاصل هذا التردد الذي سببه وازع الدين أنِ انْفَصَمَ بأول معصية زينها الشيطان وأولياؤه ، وبعدها استحلى المسلمون المعاصي لخفتها على النفس [٢] ، وقد علم عادة أن الرضاع غير الفطام ، فلما علم شياطين الإنس والجن ذلك كانت الهاوية ، التي واقعها المسلمون مما نلحظ آثارها أيامنا هذه ، فجاءت النوازل تترى على ظهر هذه الأمة الإسلامية ، واسترخصها الناس ورضوا بها واطمأنوا ، ظانين أنها أول التقدم ، ولم يعلموا أنها عربون الإنسلاخ من الدين عياذاً بالله ، فكان ماذا ؟ كان الدين قد سفته الرياح إلا بقايا أصل يُعرفون به ، فعندها ثارت الفتن ظاهراً وباطناً تعصف ببقايا هذا الأصل ، حيث (افتتحت الخمارات في كل مكان ، حتى تغلغلت

---

(١) انظر مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ، ص ١٠٦ ، لمحمد العبده ، طارق عبد الحليم ، دار الأرقم ، الكويت ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٦هـ. وانظر : اليهود في الوطن العربي ، داود عبد الغفور سنقرط ، ص ١١٣ ، دار الفرقان ، الأردن ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٣هـ .

(٢) انظر الفتح : ٥١/١٠ ، ومعنى هذا أنهم استرسلوا في المعاصي كاسترسالهم في الحلال ، ٥٥/١٠.

إلى الريف وإلى أحياء العمال [1] ، وافتتحت دور البغاء المرخصة من الحكومة في كل العواصم وتجرأ الناس على ارتكاب الموبقات والجهر باسم الحرية الشخصية التي لم يفهموا منها إلا أن يحل الناس أنفسهم من كل قيد ، لا يبالون ديناً ولا عرفاً ولا مصلحة ً .

وتجلى أثر الحضارة الغربية والتفكير الأوربي في دعوات كثيرة برزت من بينها ثلاث دعوات كبيرة شغلت الرأي العام في مستهل هذا القرن .

أما الدعوة الأولى : فقد كانت تطالب بكفالة الحرية الشخصية ، وبالحياة النيابية كما عرفتها الأمم الغربية الحديثة .

وأما الدعوة الثانية : فقد كانت تطالب بتحرير المفكرين من سلطة رجال الدين ، وذلك بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية ، على النمط الذي قامت عليه النهضة الأوربية الحديثة بعد التخلص من نفوذ الكنيسة ، وتطلب من رجال الدين أن لا يقحموا الدين في شئون الحياة ، لأنهم يرون أن الدين لا ينبغي أن تتجاوز دائرة نفوذه تنظيم صلات المخلوق بالخالق ، ولأن تنظيم صلات الناس بعضهم ببعض ينبغي أن يترك للساسة وللمتخصصين * في شتى فروع المعرفة .

---

(١) يقول ابن المنير تعليقاً على حديث (من أمتي أقوام يستحلون الحرَ والحرير والخمر) يقول رحمه الله (فإن كونهم من الأمة يبعد معها أن يستحلوها بغير تأويل ولا تحريف ، فإن ذلك مجاهرة بالخروج عن الأمة إذ تحريم الخمر معلوم ضرورة أهـ المتواري على أبواب البخاري ، ص ٢١٣ ، تحقيق علي بن حسن عبدالحميد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دار عمار ، الأردن ، الطبعة الأولى : سنة : ١٤١١هـ .

* بالله ما أصدق أبا العلاء المعري حين قال :

يسوسون الأمور بغير عقل — فينفذ أمرهم ويقال ساسَهْ .

فأفٍّ من الحياة وأفَّ منّي — ومن زمن رئاسته خساسة .

انظر : أباطيل وأسماء لأبي فهر السيد محمود شاكر ، ص ٥٨٣ .

وقال الشاعر : كفى حزناً أن المروءة عطلتْ — وأن ذوي الألباب في الناس ضُيَّعُ .

وأن ملوكاً ليس يحظي لديهمُ — من النـاس إلا من يُغَنّي ويصـفَعُ .

انظر : سير أعلام النبلاء : ١٦/ ١٧٠.

وأما الدعوة الثالثة : فقد كانت تنادي بتحرير المرأة ـ حسب تعبيرهم ـ وتزعم أن الحجاب قد حال بينها وبين أن تكون عضواً نافعاً في الحياة ذا أثر في المجتمع ، على النحو الذي بلغته المرأة الأوربية .

شملت الدعوة إلى الحرية العصرَ كله ، وكانت الأمنية التي يحلم بها الكتاب والشعراء ، لم يكد يخرج منهم أحد على هذا الإجماع ، كانوا يطالبون بحرية الفرد في أن يفعل ما يشاء ، وفي أن يعبر عن رأيه وينشره كيفما أراد ، وفي أن يدعو إلى الإجتماعات والندوات التي يروج فيها لمذهبه دون قيد) [1] فلذلك ظن مسلمون أن الإسلام مثل الكنيسة يصد عن العلم ولا غرابة فمن الشرقيين من هم أسرع الناس إلى تصديق الشائعات [2] فمن ثَمَّ أخذوا يشردون (من كل ظل للدين شروداً لا عقل فيه ولا وعي ، ولا مجال لتحكيم العقل والوعي ولا لسماع أيَّة كلمة مخلصة للتفرقة بين الدين في ذاته والكنيسة) [3]وقد علم شرعاً أن (أخسر الناس صفقة من باع آخرته بدنيا غيره) [4] ، وهكذا قلدت الأمة الغرب الكافر في محبة أمور هزيلة تافهة ، وانشغلوا بها عن ذكر الله وطاعته والعمل المثمر في الدنيا والدين ، والغرب عندما فعلوا ذلك ـ محبة سفاسف الأمور ـ نتيجة للفراغ الذي يعانونه في حياتهم ، حيث لا عقيدة ولا عمل صالح يدخرونه لآخرتهم . فانساقت الأمة مقلدة إياهم في كل أمر لا قيمة له ولا فائدة فيه : كالذي يسمونه الفن والغناء والرقص والتمثيل وإقامة المسارح ودور السينما ، والعناية بصناعة الصور من تماثيل ورسوم ، (وتَرَوَّحُوا) بألعاب وأسمار لا يفعلها إلا الضائعون من الناس عن جادة الصواب والجد في الحياة ، فتراهم يهتمون بالألعاب الرياضية وانشغالهم بها عن ذكر الله ، فأهدروا طاقاتهم بالصياح والتصفيق والنعيق والصفير ، وكان عليهم أن يوفروا طاقاتهم لدفع الخطر والضرر والنوازل التي

---

(١) نقلت هذه الدرر من الاتجاهات الوطنية : ١/٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(٢) نفس المصدر : ١/ ٢٦٠.

(٣) الإسلام ومشكلات الحضارة ، سيد قطب ، ص ٣٤ ، طبعة دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، الطبعة الثامنة : سنة ١٤٠٣هـ .

(٤) السياسة الشرعية ، في إصلاح الراعي والرعية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٥٣ ، تحقيق : بشير عيون ، دار البيان ، دمشق ، طبعة : ١٤٠٥هـ .

نزلت عليهم من جرَّاء (الإستعمار) حيث جاسوا خلال الديار فساداً وإفساداً [١] .

وبعد : فما كان لحزب يدعو إلى الرذيلة أن ينجح لولا غفلة الجماهير * ، فجمهور الناس يساهمون في نجاح أو إخفاق أي نظام سياسي يدعو إلى نبذ شرع الله عز وجل [٢] .

وهكذا تطوَّح الناس في كل موبقة ـ بدعوى الترويح ـ وما دروا أن الترويح مزموم بزمام الشرع (فالترويح) (هو نشاط هادف ممتع يمارس اختيارياً بدافعية ذاتية ، وبوسائل وأشكال عديدة مباحة شرعاً . ويتم غالباً في أوقات الفراغ)[٣] ، ولكن الناس لم يفهموا من (الترويح) إلا أن يفعلوا ما يشاؤون وهذا ضرر ، ولا بد من منع وصول الضرر إلى الناس ، وذلك بالعودة إلى الإسلام ، فهو اليوم غريب [٤] ، والغريب يعود ، ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ آل عمران : ١٤٠ ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾ البقرة : ٢٢٠ ، والله هو الموعد .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) انظر مقرر التوحيد للصف الأول الثانوي ، المملكة العربية السعودية ، من تأليف الشيخ صالح الفوزان ، ص ٤٩ ، طبعة : ١٤١١هـ .

* انظر :مادة « جمهر » من لسان العرب ، تعني جل الناس .

(٢) انظر : نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة ، د/ مصطفى حلمي ، ص١٠ ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٨هـ .

(٣) الترويح التربوي ، رؤية إسلامية ، خالد بن فهد العودة ، ص ٢٥ ، دار المسلم ، الرياض ، الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ .

(٤) انظر : الحسبة في الإسلام ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص٦٢ ، تحقيق : سيد بن محمد أبي سعدة ، دار الأرقم ، الكويت ، الطبعة الأولى : ١٤٠٣هـ .

المبحث الثاني :

سيرته وحياته و تحته مطالب :

المطلب الأول : تمهيد :

لقد دعاني إلى هذا التمهيد قوله (كتب التاريخ القديم أقرب إلى الإحصائيات أو سجلات المواليد والوفيات منها إلى التاريخ ، فإذا قرأت عن رجل عظيم ذكروا لك اسم أبيه وأمه ويوم ميلاده ويوم وفاته والبلد الذي نشأ فيه والبقعة التي قبر فيها . فعرفت اسماً ولقباً ويوماً وبلداً وقبراً ولكنك لم تعرف رجلاً)[1]، فنزولاً عند رغبة ـ صاحبنا ـ سيكون الكلام على اسمه ونسبه وولادته ودراسته وسطاً قريباً إلى الإختصار ، والله الموفق . ولكن من خلال القراءة لبعض كتبه تبين أن الرجل وشخصيته واتجاهه يمكن التعرف عليها من خلال كتبه الآتية :

١ ـ سعد زغلول سيرة وتحية [2] .

٢ ـ الفصول [3] .

٣ ـ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي [4]

٤ ـ التفكير فريضة إسلامية .

٥ ـ محمد عبده .

٦ ـ سارة .

---

(١) الكلمات الأخيرة للعقاد ، عامر العقاد ، ص١٧٣ ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ .

(٢) انظر التعريف به ، عباس محمود العقاد ببلوجرافيا ، د/حمدي السكوت ، ١ / ١٧٩ ، مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دار الرفاعي ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٣ هـ . سلسلة أعلام الأدب المعاصر في مصر ، العلم : الخامس .

(٣) انظرالتعريف به ، المصدر السابق ،١٧٦/١ . وكذلك الإسلام في القرن العشرين ، وكتابه « عبد الرحمن الكواكبي » فهذان الكتابان ولا سيما الكواكبي فيه شخصيته وتعشقه للحرية .

(٤) في الجملة انظر التعريف بكتبه من ١/ ١٧٥ ـ ١٩٨ ، د / حمدي السكوت .

٧ ـ هذه الشجرة *
٨ ـ أنا .
٩ ـ حياة قلم .
١٠ ـ آخر كلمات العقاد .
١١ ـ فلسفة الثورة في الميزان .
١٢ ـ الديمقراطية في الإسلام
١٣ ـ يسألونك **. ونسأل الله الحي القيوم السداد والرشاد .



---

* عن المرأة .

** اقتباس من القرآن ، والإجابة في أسئلة العقاد بشرية يعروها فهم الإنسان واتجاهه ، وهذه الكتب تصور نظري ، وعلى هذا ففي مقدمتها عبقرياته وكتابه «فلاسفة الحكم في العصر الحديث» وهذا التصور ليس قطعي الاستقراء إنما هو ضرب من ضروب مفتاح الشخصية كما يردد في عبقرياته ، والله يتولى السرائر .

المطلب الثاني :

اسمه ، نسبه ، ولادته ، وفاته .

اسمه : عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد ، أبوه عربي مصري من دمياط ، انتقل جده إلى أسوان ، وسبب تسمية أسرته « بالعقاد » أن جَدَّ جدِّه كان يشتغل بصناعة الحرير ، ومن هنا أطلق عليه الناس اسم (العقاد) أي الذي (يعقد) الحرير، والتصقت هذه التسمية بهم ، وأصبحت علماً عليهم [١] ، يقول عن نفسه* في كتابه (فاطمة الزهراء) (ولدت لأبوين من أهل السنة : أبي على مذهب الشافعي ، وأمي على مذهب أبي حنيفة ، وفتحت عيني على الدنيا وأنا أراهما يصليان ويتيقظان لأداء صلاة الصبح حاضرة ، وربما زارنا أحد أخوالي في تلك الساعات المبكرة ذاهباً إلى المسجد القريب أو عائداً منه إلى داره ، وفتحت أذني .... وأسماء النبي وآله تتردد بين جوانب البيت ليل نهار لأنها أسماء إخوتي أجمعين : محمد وإبراهيم والمختار ومصطفى وأحمد والطاهر ويس ، وشقيقتي الوحيدة اسمها فاطمة ، واسمي أنا منسوب إلى عم النبي (ﷺ) لا إلى الأمير الأسبق : عباس حلمي الثاني ، كما كان يتوهم بعض معارفي ، لأنني ولدت قبل ولا يته ، وأبيت في المدرسة أن ألقب بلقب « حلمي » جرياً على ما تعودته المدارس في تلك الحقبة ، وبقيت منسوباً إلى اسم « محمود » وهو كذلك من أسماء النبي (ﷺ) ولم يكن لأبي إخوة ، وإنما كانت أختاه الشقيقتان تسميان باسم نفيسة واسم زينب ، وأولادهم ينادون بالأسماء التي تغلب عليها هذه النسبة الشريفة)[٢] ولقد حرصت الحرص الشديد على معرفة أيُّ الجرثومة العربية ينتسب إليها - صاحبنا - ؟ لكني لم استطع إلى ذلك سبيلاً ، نظراً لأن

---

(١) انظر « أنا » للعقاد ، ص ٣٠ - ٣١ ، وانظر : العقاد ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ١٣ ، ١٥ .

* أحاول قدر المستطاع أن لا أشغل فكر القارئ وأقطع عليه تسلسل ذهنه في هذه الترجمة، بكثرة الحواشي ، بل سأجعل العزو آخر الكلام حتى أريح القارئ وأرفق به لعل الله يرفق بي يوم البعث والنشور . فانتقاله من فوق إلى تحت شغل ومشغلة .

(٢) موسوعة العقاد الإسلامية ، شخصيات إسلامية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون عدد طباعة وتاريخها ، فاطمة الزهراء ، ص ٦ .

من ترجموا له ، اكتفوا بقوله « أبوه عربي من دمياط » .

أما أمه فمن سلالة الأكراد في شمال العراق من ديار بكر [1] ، قدم جده أسوان بعد حملة تأديبية للسودان ، فاستقر هو وابنه « محمد بن عمر آغا » هذه البلدة ، و « محمد بن عمر آغا » والد والدة صاحب هذه السيرة ، وكانت تعرف أسرة أمه بأسرة (العسكري) نسبة إلى المهنة التي زاولها جد أمه (عمر آغا) ، ثم اصطلح العرف الأسواني على تعريفها بأسرة « الشريف » وقد علم من حال جده لأمه أنه كان يتكلم الكردية والتركية وينطق العربية بلكنة غريبة توحي بأنه ليس عربياً ... وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: كيف نجمع بأن أجداده لأمه من الأكراد ، وبين كونهم من آل لبيت الأطهار [2] ؟ ولعل الأمر التبس من لفظة « الشريف » التي تعني المقدَّم من حيث المكانة ، لا من حيث النسب ، والله تعالى أعلم .

أمه اسمها « بخيتة » بنت محمد بن عمر آغا توفيت في (١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٥م) وهي شيخة تجاوزت الثمانين . بينما أبوه توفي سنة (١٩٠٧م) .

يحكي لنا (العقاد) عن جد أمه (عمر آغا) *أنه أراد أن يحتفل بخطبة ابنته

---

(١) ديار بكر : ناحية ذات قرى ومدن بين الشام والعراق . قصبتها الموصل وحران ، وبها دجلة وفرات . أهـ ص ٣٦٨ من كتاب آثار البلاد وأخبار العباد ، للقزويني ، دار بيروت ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ ، دون عدد الطباعة .

وقد ذكر الهمداني أن ديار بكر : يتنازعها الأكراد وربيعة الذين هم بكر بن وائل بن قاسط وتَغْلِبُ بن وائل بن قاسط من ربيعة بن نزار ، انظر: صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ٢٧٦ ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، سنة ١٣٩٧هـ ، بدون عدد الطباعة ، وانظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص ٣٠٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤٠٣هـ .

(٢) لقد رأيت « أحمد بن عبد الغفور عطار » رحمه الله ، ص ١٦ ، مصدر سابق هو الذي انفرد بهذه الرواية ، بينما لم يذكرها العقاد « نفسه » ولا ابن أخيه ، ولا محمد بن طاهر الجبلادي ، ولا عبد الحي دياب ولا د / نعمات بنت أحمد فؤاد ، ولا أنيس بن منصور . فيعتبر في حكم المحدثين شاذاً خالف الثقات الأقارب .

* سألت عن « آغا » فتردد المعنى بين الأخ ، والأب ، والمختار . والله أعلم .

(فاطمة) .... (ثم علم أن خطيب (فاطمة) لا يصلي ، فأبطل الخطبة في اللحظة الأخيرة ، وقال للوسطاء الذين حاولوا أن يصلحوا الأمر : إني لا أزوج ابنتي لتارك صلاة ....)[١]

الواقع أن هذا هو الدين ، ولا عجب فأهل مصر معهم من العاطفة الدينية وسلامة الصدور وقوة الديانة ما يغبطون عليه ، والله خير وأبقى .

ويصف العقاد جَدَّه « محمد بن عمر آغا » والد أمه فينعته بأنه (كانت فيه تقوى أبيه ، وصلابته وكثير من أنفته واعتزازه بكرامته ، وقد كان يمزج هذه الأنفة بالعمليات، ولا يقصرها على القول أو السلوك)[٢] .

وكذلك ورثت أمه تقواها وسلامة بنيتها من أبيها وجدها ، حيث كانت محافظة على الصلاة في وقتها ، مخالفة بذلك عادة النساء اللائي لا يصلين إلا عند الأربعين [٣] كان العقاد قريب الشبه من أمه إلى حد بعيد ، وكذلك بأبناء أخواله الذين تَغْلُب عليهم الشُّقْرة ، وصفرة الشعر [٤] .

وينعتها بأنها تحب الصمت والاعتكاف (فربما مضت ساعة ، وهي تستمع من جاراتها وصديقاتها ، وتجيبهن بالتأمين أو بالتعقيب اليسير ، وربما مضت أيام وهي

---

(١) « انا » ص ٣٩ . وقد ذكر أن أولاد جده هم : محمد وعثمان ومصطفى وحورية وفاطمة . انظر « أنا » ص ٣٨ . وعدم تزويج موليتك لتارك الصلاة ، ذكره شيخ الإسلام في المجموع : ٣٢ / ٦١ .

(٢) « انا » ص ٣٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٩ ، وهذا يحتاج إلى استقراء لجاراته ومن يقرب من دارهم ، وهذا سهل لأهل القرية في ذلك الزمان ... ويبقى تعميمه على أهل ذلك العصر فهو في محل نظر ، والله يتولى السرائر .

(٤) انظر « أنا » ص ٣٧ ، وانظر : محمد بن طاهر الجيلاوي ، في صحبة العقاد ، ص ٢٠ - ٢١ ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة ، سنة (١٩٦٤م) ، بدون عدد الطباعة .

وسألت شيخنا ابن بسام عن الأكراد فقال يتنازعهم الجراكسة الأتراك وأصول فارس ، ولا سيما أن بين أكراد سوريا والعراق كبير شبه، والنسب هو التقوى .

عاكفة على بيتها أو على حجرتها ، لا تضيق صدراً بالعزلة وإن طالت)[١] .

ولا شك أن هذه هي صفات المرأة الصالحة في نظر الشرع وأهل الأنفة والصرامة، فلذلك كان يداعبها - عندما تطلب منه أن يتزوج - فيقول لها (لو وجدتِ لي زوجة مثلك تزوجت الساعة)[٢]، كيف لا ؟ وقد رأى منها (كمال تدبيرها لبيتها منذ صباها) وأيم الحق أنه صَدَقَ - رحمه الله - هذه هي التي يريدها كل رجل ، ولا سيما من كان ذا خلطة بالناس وذا بال مشغول ، فلذلك يقول العقاد (ولقد ورثت منها كثيراً إلا القصد في النفقة ، وتدبير المال ، وحسبي بحمد الله ما ورثت منها)[٣] ، فمما ورث منها الصمت والأنفة والاعتكاف ، حتى إنه لما اشتغل بالتدريس ، كان تلاميذ المدرسة الإعدادية الثانوية يطلقون عليه اسم « حرحور » تشبيهاً له بالكاهن المصري المعروف في تاريخ قدماء المصريين ، وذلك لانفراده وصمته وانصرافه إلى عالم الخفايا والأسرار[٤].

---

(١) « أنا » ص ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤١ ، ولذلك هولم يتزوج ، وكانت أمه دائماً تردد عليه : ما هذا الورق ؟ الورق الذي لا ينتهي .... ؟ فيعقب فيقول : وهذا الورق الذي لا ينتهي هو الذي يصرفني عن الزواج ..... وهذا الورق الذي لا ينتهي هو سبب الشهرة أهـ انظر « أنا » ص ٤٠ ، ويذكر الأستاذ أحمد بن ماهر بن محمود البقري في كتاب « العقاد الرجل والقلم » مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (١٩٧٢م) بدون عدد الطباعة أن من أسباب عدم الزواج : قلة ذات اليد ، حتى إن الأسر عموماً لا تزوج بناتها من (جورنالجي) وكذلك لا يحب أن يشاركه أحد في بيته ، والإحساس البالغ نحو الأطفال، والشك الذي تأصل في نفسه وأنه لا يثق في النساء ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، وانظر : د / نعمات بنت أحمد فؤاد ، الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد ، ص١٦٤، دار المعارف ، القاهرة ، بدون عدد طباعة ... حيث ذكرت هذه الأنثى أن ابن أخيه أخبرها أن سبب عدم زواجه هو دفنه مع صديقه المازني ابنته ، فلذلك قرَّر ألاتدفن نَفْسُه نفسه أهـ.

(٤) انظر الجبلاوي ، مصدر سابق ، ص ٣٩ - ٤٠. ويقصد بالخفايا والأسرار : التأمل والغوص وراء المعاني والتفكير والتفسير ، والعلم عند من لا تخفى عليه خافية .

وخلاصة الكلام أنه ولد يوم الجمعة ، ونهاره يكاد يودع الدنيا ، والليل يكاد يرخي سدوله ، والموافق (٢٨ يونيو ١٨٨٩م) في بلدته أسوان من الصعيد الوجه القبلي ، حيث نشأ في أسرة كريمة بين والد تقي ورعٍ رضيِّ الخلق ، منظم في عمله ، حريص عليه ، وأم نقية قوية امتازت بالذكاء والتدبير والتأثير على كل من حولها من أبناء الأسرة والجيرة والأقربين ، فاكتسب الكثير من صفات والديه من الأنفة والترفع ثم اكتسب بعد ذلك الجدل وقوة المنطق والإصرار والمثابرة ، والإرادة القوية وحب الإطلاع والمعرفة حتى وافته منيته وجاء أجله رحمه الله في (١٣ مارس ١٩٦٤م) [١] ، عن خمسة وسبعين عاماً .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) انظر : « أنا » ص ٣٠ ، وانظر ، عطار ـ مصدر سابق ، ص ١٨ ، وانظر : الجبلاوي ، ص ١٧ ، ص ٢٠ ـ ٢١ ، ٣٤ ، وانظر عامر العقاد ، لمحات مجهولة ، ص ٣٨ ، وكذلك عامر العقاد ، معارك العقاد السياسية ، ص ١٩ ، ص ٣٦ ، وانظر : أحمد بن ماهر البقري ، مصدر سابق ، ص ١٦ ، وانظر د / نعمات ، مصدر سابق ، ص ١٨٧ . وانظر : د /حمدي السكوت ، ص٣ ، ص٤٣ ، المجلد الأول . وانظر : أحمد قبش ، تاريخ الشعر العربي الحديث ، ص٢٢٧ ، ص ٢٢٩ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩١هـ بدون عدد الطباعة . وانظر : سامح كريِّم ، العقاد في معاركه السياسية ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأول ، (١٩٧٩ م) . وانظر ، كانت لنا أيام في صالون العقاد ، أنيس بن منصور ، ص ٥٢٠ ، الناشر : المكتب العصري الحديث ، القاهرة ، الاسكندرية ، الطبعة الثانية :١٤٠٤هـ ، وانظر : سامح كريِّم ، العقاد في معاركه الأدبية والفكرية ، ص ١٣ ، دا القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٩٨٠م) ، وانظر : عبد الحي دياب ، عباس العقاد ناقداً ، ص ٧٣ ، ص ٧٤ ، ص ٧٥ ، الناشر : الدار القومية ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ ، بدون عدد طباعة ،تقديم د/محمد غنيمي هلال ، وهي من أدق ما كتب عنه ، وانظر الأعلام للزركلي : ٢٦٦/٣.

المطلب الثالث :

تواريخ مهمة في حياة العقاد

١ ـ في عام (١٨٩٦م) التحق بمدرسة أسوان الإبتدائية الأميرية في « نحو السابعة من عمره » . حيث لم تكن له شعبية بين زملائه ، بفضل اختلافه عنهم في السلوك والميول ، فهم يقفون مع الأساتذة ضده ، مما كان له سبباً في انطباعاته بالتكلف والإدعاء والتفرد مع الإعتزاز بالكرامة فانجرت هذه الصفات عليه وأثّرت على شخصيته ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ في عام (١٩٠٣م) حصل العقاد على شهادة إتمام الدراسة الإبتدائية ، جاء ترتيبه الثاني على المدرسة ، وجاء ترتيبه السادس والستين بعد المائة من بين كل الناجحين في مصر ، الذين بلغ عددهم في ذلك العام ستمائة وأربعة عشر تلميذاً .

إن المرء ليعجب حين يتبين أن بين دخوله المدرسة الإبتدائية وبين نيله شهادتها سبع سنوات ، فهل يا ترى قضى العقاد حقاً سبع سنوات فيها أم أنه لم يلتحق بالمدرسة إلا في سن العاشرة . مع العلم أنه أنهى التعليم الإبتدائي وهو في سن الرابعة عشرة من عمره .

٣ ـ ما بين (١٩٠٤ ـ ١٩٠٧ م) تنقل خلال هذه الفترة في وظائف مختلفة ، وقام بالتدريس متطوعاً في المدرسة الأهلية .

٤ ـ في (١٩٠٧/١١/٢٢م) ظهر أول مقال له في صحيفة « الدستور » * ، حيث استقر العمل فيها براتب شهري قدره ستة جنيهات [1] ، وكان عمره ثمانية

---

* كان يصدرها الأستاذ محمد فريد وجدي ، له ترجمة في الأعلام للزركلي : ٣٢٩/٦ . أعجبني منها أنه (كان مترفعاً عن غشيان المجالس العامة) ولا سيما ما كانت في القهاوي والأسواق . عاش ما بين ١٢٩٥ ـ ١٣٧٣هـ = (١٨٧٨ ـ ١٩٥٤م) .

(١) عندما استقرأ د / حمدي السكوت مقالات العقاد ، ذكر أن أول مقال له في « الجريدة » بتاريخ (١٧ / ٦ / ١٩٠٧ م) ، فنجمع بينهما أن كلمة « أول مقال له » بالنسبة لصحيفة « الدستور » ومن حيث الأولية بالنسبة للعقاد هو ما جاء في صحيفة « الجريدة » واسم المقال : الإستخدام أو رق العشرين ، (١٩٠٧/٦/١٧م) انظر : د/ السكوت ، ١٣/١ ، ٢٤٥ . =

عشرعاماً ، فهنا وضع نصب عينيه أن ينتهز الفرصة ، ليكسب سمعة بين الأدباء ، ويتسنى له مكانة بين الصحفيين ، فكان يقرأ حتى الفجر أحياناً .

٥ ـ في عام (١٩٠٩م) انتابه يأس جارف ، وفقدت الحياة كل معنى لها ، مما جعلته يشك في كل القيم والمعايير ، وهذا يتضح من قوله شعراً :

أين الحقيقة ؟؟ لا حقيقة كل ما زعموا كلام .
لا حــــق إلا أنّــــه لا حق في الدنيا يرام .

وكان سبب شكه قراءته للفلسفة الحديثة والمذاهب الأوربية الملحدة التي تنكر وجود الله ، فهذه الفلسفة المادية جعلته يفكر في الانتحار ، لولا أن تداركته رحمة الله .

ومهما بلغ العقل من تفكير وتفسير إلا أنه ليس له أمام الغيب إلا التسليم ، (فالعقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة) [1] فمهما أراد الإنسان أن يقيس عالم الغيب على عالم الشهادة فهو في الأخير ينقلب خاسئاً وهو حسير ، بل يزيد حيرة على حيرة ، لأنه لا يستطيع تصوره وإدراكه مهما بذل من قدرات عقلية ومحاولات خيالية ، فالأمر فوق التصور ، ولكن عدم الإدراك لا يسيغ التعجل إلى النفي أو الشك بغير دليل ، لأن الأديان السماوية جاءت بحقائق لا تخضع للتجارب الحسية ، حتى تُشَرَّح كما تشرح الماديات ، وذلك أن الأديان حقائق كونية لا يستخف بها عقل يفقه معنى ما يراه ، وذلك أنه قد علم بالضرورة العقلية أن عدم الرؤية لا يستلزم منها عدم الوجود ، ولا يقول بهذا إلا مريض نفسياً ، لأن الشك حيرة واضطراب وحور وهي كلها لا يقام لها وزن ، ولا يقبل منها ولا يسمع منها اعتراض على حقائق الأديان ، لأنه إن نَزّل الشك منزلة اليقين فقد حكم على نفسه بالسفاهة ، كيف ذلك ؟ لأنه إن أخضع حقائق الغيب للتجارب الحسية ، فقد رضي أن يكون إيمانه يتحوّل مع كل تجربة علمية ، لأن التجارب العلمية الحسية معارف نسبية لا يقوم عليها

=. في هذا التاريخ بالذات كان أحمد لطفي السيد يجتمع بالعقاد وطه حسين ومحمد هيكل ، انظر ص ٢١٦من كتاب اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار ، لأنور الجندي ، مصدر سابق . فيا ترى على أي شئ كانوا يجتمعون سؤالٌ حار فيه المخلصون ، ولكن من أقوالهم تعرفهم .

(١) مجموع الفتاوى : ٦/١ .

ركن ثابت من أركان الإيمان والثقة بالوجود والحياة السرمدية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قد علم من التجارب الحسية أنها تملأ العقل والضمير حيرة واضطراباً ، لأنها قرارات يلغي بعضها بعضاً ، فكان لزاماً عليه أن يوجد في حياة الناس شئ ثابت يتفيأ الناس ظلاله ، ذلكم هو الدين الإلهي الذي جاءت به الرسل ، ليريحوا العقل من أن يدخل في مسلك غير مسلكه فيحترق شكاً وحيرةً ويَصْلى بناره ، وبذلك استقامت حياة الناس من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، إنه التوحيد أمان النفس وسلامها الشامل مع كل الوجود أنساً وانشراحاً وحباً »[1].

٦ ـ في عام (١٩١١ م) نشر أول كتابه « خلاصة اليومية » ومازال غمر اليأس يحيط به ، مما جعله يطرح في هذا الكتاب قضايا خطيرة تعتبر تحولاً خطيراً نحو عالم الغرب ، منها :

١ ـ طالب بتحرير المرأة من الحجاب .

٢ ـ تهكّم بالدعاة إلى الحجاب ، فكان يقول (خير للرجل الذي يخشى أن تصادفه امرأة في الطريق فيفتتن بها ، أن يرجع إلى نفسه فيقوم طباعها ، ويلطف من شبقها ، ذلك خير له وللعالم من أن يحكم بالسجن المؤبد على نساء العالم كله)[2].

٣ ـ دعا إلى اختلاط الجنسين .

٤ ـ دعا إلى الحد من تعدد الزوجات بأسلوب تهكمي ساخر ، فتراه يقول : (لا أدري لماذا يسوغ للرجل أن يستحوذ على أكثر من أربع نساء * ، ولا يسوغ للمرأة أن تطمع في ربع رجل ، إن لم يكن أقل)[3] .

---

(١) انظر الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٨٦ ، وانظر الفلسفة القرآنية ص ١٣ ـ ١٥ .

(٢) عباس العقاد ناقداً ، لعبد الحي دياب ، ص ٦٥ ، وقد نقله من خلاصة اليومية ، ص ٢١ .

* هكذا نقلته فإن كان حقاً فهذا يدل على جهل مطبق من العقاد بشريعة الإسلام ، لأن هذا لا يخفى على مثله الذي عاش في أرض الصعيد .

(٣) نفس المصدر والصفحة ، وهو نقله من خلاصة اليومية ، ص ٢٨ .

وفي الجملة فهو يذهب إلى أبعد من هذا في تحرير المرأة ، فهو يرى (أنه لا ينبغي أن يقتصر الغرض في تربية البنت على تعليمها كيف تكون زوجة ، إلا إذا كنا نعلم الفتى في المدارس ليكون زوجاً)[١] إن هذا الكلام خطير ، وهو يحتاج إلى استقراء ، هل ثبت العقاد على هذا أم أنه تحول عنه ؟ ولكن لنا عذر في هذا إذا علمنا أن كتاب (عباس العقاد ناقداً) الّف في حياة العقاد ، فهوفي الأصل : رسالة (ماجستير) قدمت لدار العلوم ، قسم اللغة العربية ، فرع النقد والبلاغة ، بتاريخ (١٩ يوليو سنة ١٩٦٤م) *أي بعد موت العقاد بما يقرب من خمسة أشهر ، وبدلالة أنه قابل العقاد في صيف (١٩٦٠م) ونقل عنه كلاماً فقال (هذا من حديث خاص مع العقاد)[٢] ، فعلى هذا ، هل العقاد علم عن هذا الكلام ؟ وما موقفه منه ؟ ولا سيما أن الباحث لقيه ، ولم يتبين هل وافق أم خالف ؟ وإذا تنزلنا إلى « التعذير » فنقول هل يلزم من السكوت الموافقة ؟ أم لا ؟ هل صاحَبَ ذلك خوف ؟ فلقد سموه عملاقاً ، فهل خاف من دار العلوم ؟ أم خاف من الباحث ؟ أم خاف من ا لسلطة ؟ أم ماذا يا ترى[٣] ؟ وهي أسئلة ـ ولا شك ـ تحتاج جواباً ، فيا سؤالاً يحتاج إلى يقين من القول بعيداً عن تحميل الكلام مالا يحتمل أو تخمين يلقي على الناس ماهم منه براء ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر .

---

(١) نفس المصدر والصفحة ، ونقله من خلاصة اليومية ، ص ٧٣ .

* المشرف : د/محمد غنيمي هلال . عضوية ، د/ محمد مندور مناقشاً ، د/ شوقي ضيف مناقشاً ، وقد حصلت الرسالة على تقدير « ممتاز » كل هذا تجده في طرة الكتاب .

(٢) انظر ، عبد الحي دياب ، ص ١٠٥ ، وذكر ، ص ٧٥ أنه أخذ كلاماً من العقاد في ندوته يوم الجمعة .

(٣) هنا نتذكر قول الأستاذ سيد قطب عن العقاد ، يقول رحمه الله (إني كنت أعتقد أن مثل الأستاذ العقاد في عقله الكبير وشخصيته العظيمة ، لا يخضع للضرورات والملابسات كالحكومة والسلطة ، ولكنه سالمها) ص ١٠٨ من كتاب « سيد قطب الشهيد الحي » ، لصلاح عبد الفتاح الخالدي ، عالم الكتب ، الرياض ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٥ هـ . دراسات حول سيد قطب وفكره رقم (١) .

يقول رحمه الله « إنا مدين بخطتي في السياسة الوطنية لإعجابي بالشيخ محمد عبده ومريديه ... فأعجابي به هو الذي أعظم في نفسي الثقة بسعد زغلول .....)[١]

.. وقد علم أن مريدي الشيخ محمد عبده من بينهم « قاسم أمين » « سعد زغلول » « أحمد لطفي السيد » .ونأخذ مثالاً واحداً من هؤلاء المريدين :

فقاسم أمين طالب بتحرير المرأة فلما طرقت آذان « العقاد » صرخة قاسم أمين كتب العقاد يقول لبنات حواء (يجب على كل واحدة منهن أن تنقش الحروف الأولى من اسم قاسم أمين على منديل يدها)[٢] .

يعلق ابن أخيه ـ عامر بن أحمد بن محمود العقاد ـ على هذه اللفظة ، بقوله : (ولقد امتاز العقاد في جميع أدوار حياته بأنه « رجل يسبق عصره » فهو من أولئك النفر الذين يسيرون دائماً أمام جيلهم ويدفعون إلى الأمام بكل جيل يعاشرونه) .

فهل ـ عامر العقاد ـ ذكر هذه اللفظة مقرراً لما ردده الأستاذ العقاد سابقاً أم ماذا؟ ولو كان عنده علم من عمه أنه رجع عن ذلك لقال به ، ولا سيما أن هذا يعد مسبة في حق عمه ، فكان الأولى أن يطرد عن عمه ويذب عنه كل اتهام يوجه له ، وعامر العقاد لما ساقها ذكرها للمدح والثناء لا للإخبار ، وفرق بين اللفظتين ، فرق بين أن أمدح وأثني بما أعلم وأقرر هذا كلاماً وكتابة ، وفرق بين أن أخبر عن شئ قد مضى ، ليس لنا منه شئ ، إنما لنا الخاتمة ، . وسواء هذا أو ذاك فهذه اللفظة التي نقلها عامر العقاد عن عمه نتخفف في الحكم ونقول بأنها قادح شرعي ولوثة عقلية وجب على قريبه دفعها بالبرهان وبما علم من حال عمه الأخير . ولا شك أنه يعرف من عمه ما لا يعرفه إلا نزر قليل[٣] ، فهو القائل (ذهبت أجمع أطراف العظمة العقادية في جوانبها المختلفة ، مستعيناً بذلك ما كتبه العقاد عن نفسه إبان حياته التي عاشها بيننا ....

---

(١) الكلمات الأخيرة للعقاد ، ص ١٦٢ ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٢هـ .

(٢) لمحات من حياة العقاد ، لابن أخيه : عامر العقاد ، ص ٣١٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة (١٩٦٨م) .

(٣) انظر مقدمة محمد بن خليفة التونسي ، ص ٨ ، لكتاب عامر العقاد ، لمحات من حياة العقاد المجهولة .

وفوق هذا وذاك ملازمتي له في سنواته الأخيرة .... مضمناً البحث ما ترك بعض * لي من وثائق ومستندات أو مذكرات كنت أسجلها لنفسي كلما حدثني أو حدث غيري من الإخوان الأصدقاء في العقاد الذين كانت تجمعهم والأديب الكبير جلسات خاصة في بيت العقاد أو منتدى من المنتديات التي كان يتردد عليها وأكون بصحبته) [(١)].

وبالجملة إن اعتساف القول وليٍّ أعناق النصوص لا يفعله إلا من بَيَّتَ طويَّة السوء ، وهذه جرأة تجعل من الإنسان يلغ في أعراض المسلمين ، فإذا تقرر هذا وجب عند ذلك عرض النصوص سابقها ولاحقها لنتبين الرشد من الغي ، وعندها يختار المرء لنفسه ما شاء من ظن السوء أو البعد عنه .

وقبل هذا هناك حقيقة وهي : إن إطلاق ظن السوء على المسلمين فاسقهم وطائعهم أمر له خطورته ، والإنسان مسئول عن كل كلمة بين يدي من تبلى عنده السرائر ، ولا سيما إذا كان ظن السوء منصباً على رجل لم يتمحض للشر .

والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون .

فالعقاد مسلم يعامل معاملة المسلمين الذين أوجب الشرع الكف عن غيبتهم أحياءً وأمواتاً إلا من خَبُثَ أعلاه وأسفله . ومع هذا ينبه على أخطاء الخبيث بقدر مصلحة المسلمين والنصيحة لهم دون شهوة خفية أو هوى متبع ، فالنقد إذا تكرر انتقل من النصيحة إلى حاجة النفس وهواها ، وهناك لا بد من زمام التقوى ، و (الإيمان قيَّدٌ الفتكَ)** فالإيمان يمنع القتل غِرَّة ، وكذلك يمنع الإشهار بعِرْض المسلم لشهوة خفية وهوى متبع وتصيد للأخطاء حتى تغدو عند الإنسان مرضاً نفسياً أكثر من أن تكون نصيحة[(٢)]

---

* هكذا ، ولعلها ما ترك بعضها ... والله أعلم .

(١) لمحات من حياة العقاد المجهولة ، ص ١٤ .

** الحديث صحيح كما قال ذلك محقق سير أعلام النبلاء ، انظره في ١ /٥٧ ـ ٥٨ ، وانظر في : ١٤٧/١٧ . والحديث أخرجه الإمام أحمد وأبو داود .

(٢) يعلم الله ثم يعلم الله ثم يعلم الله أني لم أقل هذا مقلداً أو تابعاً ، بل هو ما أومن به وأسير عليه في حياتي حتى الممات بعد طول عمر صالح وعمل صالح بحول الله وقوته . لأني أخاف أن أقدم على عرض مسلم بكلمة لا أجد لها جواباً يوم تبعثر القبور ، وحصِّل ما في الصدور ، والله خيرٌ وأبقى .

وبعد هناك كلمات للعقاد يقول فيها (وعند المرأة حقوق غير حقوق الانتخاب تصل بها إلى التوجيه والطلب والإيحاء ، وهي حقوق الأم ، وحقوق الخطيبة ، وحقوق الصديقة الموحية إلى الذهن والعاطفة والخيال ، فأن كانت هذه الحقوق مشلولة في يديها فذلك هو إفلاس الأنوثة الذي لا يعوِّضها عنه عوض قط يأتي من جانب التشريع وأصوات الإنتخاب) [١] .

فمن نظر بعين الشرع يجد أن العقاد زلق لسانه بكلمة « حقوق الصديقة » وما كان له أن يأتي بهذه اللفظة حتى لا يتنازعها المؤيدون والمخالفون ، وقضايا الإسلام يجب أن تحاط بسوار الشرع ، ويتهم الرأي على الدين ووجوب التمسك بأمره وترك المخالفة له [٢] .

فمن سمع هذه اللفظة « الصديقة » يتبادر إلى ذهنه الحالة المعهودة في بلاد أوربا وأنه الزنا عينه ، مهما سموه بغير اسمه ! فهل هو الأمر الذي يقصده الكاتب ؟ هذا أولاً ، وثانياً : أن هذا اللفظ موحش ومستبشع في ديار المسلمين ، ولا يعهد في عاداتهم ، وإنما هي حمًّى وافدة ، فتلقفها الكاتب على حين غفلة من الشرع فعندها نعود إلى أنه يجب تحاشي ما يثير حفيظة المسلمين ، والسؤال : هل يعني العقاد تَحَرُّرَ المرأة كيف تشاء فتكون عشيقة وصديقة لمن تشاء حتى تلهم الذهن العاطفة والخيال ؟ وهل فعلاً كونها عشيقة تلهم الذهن العاطفة والخيال ؟ وبعد هذا : هل يعذر العقاد بعد هذا ؟ .

فاسمعه يقول « ولا يمنع العقل أو الخلق أن تظفر المرأة بما تشاء من الحقوق السياسية ، أو الحقوق الاجتماعية التي تتغير وتتبدل) [٣] ، هل نفهم من هذا الكلام أن الأخلاق عند العقاد نسبية فلا تثبت على حال ؟ ومن الذي يغيرها ؟ يجيب فيقول: (حقوق المرأة يجئ بها تشريع ويذهب بها تشريع ، و تعرفها أمة ، وتنكرها أمة ، وتحتمل التعديل والتبديل بما يسنح للفلاسفة والساسة من الخواطر والبرامج

---

(١) هذه الشجرة (عن المرأة) ص ٨٥ ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت .

(٢) انظر الفتح : ٣٤٦/٥ .

(٣) هذه الشجرة ، ص ٨٣ .

و البدوات) [١] هل يحق لنا أن نفهم من هذا الكلام لمن تأمله أن حقوق المرأة وأخلاقها تنزّل منزلة عروض التجارة التي تقبل (قانون) العرض والطلب ، إذا كثرت السلع قل ثمنها ، وإذا قلت ارتفع سعرها ؟ إنها أنانية أن يُسَيِّرَ حقوق وأخلاق المرأة رجل من جنسها التي أبت إلا أن تهرب من أوامر ربها عز وجل الذي هو رحيم بعباده لطيف خبير .إن من واجبها الأول عند العقاد هو البيت والجيل الجديد * ، ومع ذلك يقول (فلها كل حق لا يخرجها عن واجبها الأول الذي لا تحسن غيره ولا يحسنه غيرها)[٢].

فكيف نجمع بينهما ؟ وكيف نجمع بين كلامه السابق وهذا الكلام اللاحق ؟ هل يمكن أن نفهم من هذا أن المرأة لها أن تخرج وتعمل بضوابط شرعية ؟ لكن كيف نضبطها والفلاسفة والساسة هم الذين يحددون المصلحة من عدمها ؟ ألا يعد هذا الكلام حيرة واضطراباً ؟ .

إن العقاد « يبرر » هذا الكلام بقوله (زحام العيش في العصر الحديث يلجئ المرأة إلى كسب الرزق)[٣] هذه المرة ليس الساسة ولا الفلاسفة ، ولا المصلحة ، هذه المرة زحام العيش ، هو الذي يلجئ المرأة إلى كسب الرزق ، هذا الكلام مضطرب ، لأنه يترتب عليه أن من يعول المرأة تخلى عنها وضيَّعها ! فهل نستطيع أن نقول إن العقاد يكتب وصورة المرأة الغربية ماثلة أمام عينيه ؟ هذا غيب وسر من أسرار النفوس لا يعلمه إلا من هو قائم على العقاد بما كسب ، ولكن النتيجة ضربت بقسطها من كلام العقاد ، فيا ترى ماذا نفعل حيال هذا الكلام ؟

لكن هناك كلام أقرب إلى الرشد فتراه يقول (ولكننا لا نعرف استغلالاً للمرأة هو شر من استغلال قضيتها في ترويج المذاهب الاجتماعية التي تهدم الأسرة وتبطل مزية

---

(١) ص ٨٣ نفس المصدر .

* من حيث ولادته لا من حيث زمنه .

(٢) ص ٨٣.

(٣) هذه الشجرة ، ص ٨٦ .

المرأة باسم المساواة بين النساء والرجال)[١] .

ونخلص بعد هذا إلى كلام له يقول فيه (توضع قضية المرأة في موضعها الصحيح يوم يُقضى فيها على أنها علاقة بين شريكين يتوزع بينهما العمل عى حسب اختلاف الوظيفة والاستعداد ، وكلاهما خاسر مغبون إذا أخل بحق شريكه ونازعه في عمله وكفايته ، وكلاهما رابح إذا عرف أين يعطي وأين يأخذُ من قسمة الخلق بين الجنسين)[٢] ، فهذه مسألة « تحرير المرأة » حيث لا يستطيع الإنسان أن يخرج بنتيجة محددة ، وذلك أن العقاد لم يتمحض للشر ولم يقصد له هدفاً ، لكنه يضرب هنا وهناك ، وهذا ولا شك تأثيرٌ جاء من قبل دراسته عن الغرب ، والرجل لم يتسلح بسلاح الشرع ، فمن ثمَّ لم يوثق حباله بالشرع ، ولم يلزم غَرْزَه ، فتراه بين اليمين واليسار ، وتراه حائراً ، لا يدري ماذا يفعل ، ولا سيما أن الفطرة مازالت تهتف بهاتفها في حنايا جسمه ، فلم يستطع الفكاك ولا البقاء .

أما مسألة اختلاط الجنسين فهو يفرق بين سن العاشرة حتى السابعة عشرة وبين ما بعد السابعة عشرة ، فهو يرى الفصل في دور التعليم من سن العاشرة حتى السابعة عشرة ، وبعدها لا بأس لاكتمال الوظائف العقلية والبدنية ، وهو لم يبت في القضية ، لكنه يميل من طرف خفي إلى أن الفصل مهم للفروقات الحاصلة بين الجنسين ، وهو في كلامه مضطرب اعتماداً على التجارب الروسية التي رأت أن الفصل ثماره أفضل من ثمار الاختلاط[٣] .

والحقيقة تقال : إنه لم يعهد عنه كلام صريح يدعو فيه إلى الاختلاط ، أو منع تعدد الزوجات فيما أعلم وإنما هناك مقال له في جريدة الأخبار (١٨/١/١٩٦٠م)

---

(١) نفس المصدر ، ص ٨٧ . ومع ذلك ذكرت عنه د/ نعمات أحمد فؤاد ، مصدر سابق ، ص ١٣٣ أنه نادى بتعليم المرأة تعليماً عاماً لا تعليماً نسوياً .

(٢) الكلمات الأخيرة للعقاد ، ص ٧٧ ، وذكر عنه « الجبلاوي » صديقه الخاص في صحبة العقاد ، ص ٢٠١ أنه .... رشح المرأة أن تشترك في المجمع اللغوي وانتصر لها .

(٣) انظر هذه الشجرة : ٤٦ ـ ٤٩ . وانظر أحمد البقري ، مصدر سابق ، ص ٥٠ .

بعنوان (قانون لمنع تعدد الزوجات) [١] فهو يؤاخذ عليه لإيراده القانون على شرعية إباحة التعدد ، وإلا فالشرع من قواعده إزالة الضرر ، فأن حصل ضرر فالضرر يزال حيث كان .

٧ - في عام (١٩١٢ - ١٩١٤ م) عمل في ديوان الأوقاف .

٨ - في عام (١٩١٩م) صارت الحرية عنده عقيدة ، فاتخذ السياسة وسيلة لتحقيق الحرية بمعناها الواسع ، حرية البلد ، وبالتالي حرية كل شئ فيه ، وكان يرى أن (سياسة مصر للمصريين هي أنفع السياسات ، ومن ثم ظهرت الفكرة الوطنية بعيدة عن الجامعة الإسلامية ، ولكنها لم تتضح أكثر إلا على يد رجال حزب الأمة الذين نادوا بعدم اختلاط النزعة الوطنية بالنزعة الدينية ، وبفصل الدين عن الدولة ......

وهذه ا لحرية ظهرت آثارها في دفاعه عن « طه حسين » في الشعر الجاهلي ، وعن « علي عبد الرازق » في الإسلام وأصول الحكم ، وأن هذه البدوات عبقرية ، وضابط العبقرية عنده أنها : (التي تلهم صاحبها ما يحسب اليوم كفراً ، ويحسب في الغد حقيقة من حقائق الإيمان والحكمة ، ومصلحة من مصالح الواقع والعيان) [٢] ، وآية ذلك أن نواب الأمة التركية خلعوا الخليفة في أول مجلس لهم يمثلها حق تمثيلها ، ومع ذلك لم يشعروا بأن مستقبل المسلمين متعلق فقط بالخلافة العثمانية [٣] ومن الحرية

---

(١) انظر د/حمدي السكوت ، ١٣/٢ ، وقبله مقال « تعدد الزوجات » في جريدة الأخبار ، (١٩٥٨/٤/٢٦م) مما نستفيد منه أن العقاد أصيب (بحساسية) من هذا التقليد الشرقي كما يجب أن يسمي تعاليم الدين بذلك .

(٢) عبد الرحمن الكواكبي ، لعباس العقاد ، ص ٢٥٨ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (١٩٦٩م) بدون عدد طباعة . وهو خطير كما ترى ، لأن مؤداه أن من جاء بمثل هذا فلا ينقد لأنها بدوات العبقري .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٨ . وانظر دفاعه عن « طه حسين »وعن « علي عبد الرازق » الجبلاوي ، مصدر سابق ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، وانظر د / نعمات ، ص ١٦ ، وانظر لمحات من حياة العقاد ، ص ٣٠٩ - ٣١٢ ، وفيها أن العقاد رجع إلى منزله وأخبر ابن أخيه بأغماء مفاجئ وقع لطه حسين فسقط من كرسيـه فقال العقاد عندها لابن أخيه « إنني يا مولانا لا أتمنى من الله أن يطيل حياتي بعد الدكتور ، لأن في ذلك مشقة وتعباً لا =

أن سعد زغلول وهو يتعاطى كأساً من « الكونياك » أكبر أبناء مصر وطنية وشجاعة، ولا يكتمل تاريخ مصر الحاضرة بغير الإشارة إليه ، فهو عندما يفعل ذلك إنما يستحث خطا المصريين نحو الحرية والمساواة وإنصاف الضعفاء واحترام الدساتير حتى وإن كانت تصادم شرع الله ، فعندها لا حرج على هذا الزعيم أن يشرب « الكونياك » (إذا أجهدته الخطابة أو أحس ضعفاً في نبضه)[١] ، فكل هذا لا حرج لأنه يبني نهضة المصريين نحو الحرية ، ومن الحرية مدح « رمسيس » انطلاقاً من اعتزاز الحي بنفسه ، والمصري بأمسه ، والوطني بكرائم تاريخه وآيات مجده [٢] ، ومن الحرية أنه مفتون بالغناء حتى أخمص قدميه ، فقد بكى من أغنية مطلعها :

نار الغرام لم تنطفي　　　　ولا المحبة بتختفي [٣] ،

ومن الحرية اقتناؤه كلباً اسمه « بيجو » فمات هذاالكلب فرثاه بقوله :

حزناً على بيجو تفيض الدموع　　　　حزناً على بيجو تثور الضلوع.
حزناً عليه جهد ما استطيع　　　　وإن حزناً بعد ذلك الولوع .
والله يا بيجو لحزن وجيع [٤]

وإن كان هناك من كلمة ، فأن السلف كانوا يعظمون الله فلا يذكرونه دعاء على كلب أو حمار ، يقول مطرف بن عبد الله الشخير (ليعظم جلال الله في صدوركم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب : اللهم اخزه ، وللحمار والشاة)[٥] . فإذا كان هذا

= أقوى عليه » أهـ .

(١) سعد زغلول ،ص٥٤١ ، مطبعة حجازي بالقاهرة ، (١٩٣٦م) بدون عدد طباعة ، ويظهر أنها الأولى ، وانظر أيضاً منه ، ص ٥٦٣ ، ص ٥٧٠ .

(٢) انظر د/ نعمات أحمد فؤاد ، ص ١٣٨ حيث أوردت أبياتاً يمدح فيها « رمسيس » يقول فيها : لجلال وجهك يا ابن « سيتي) هيبة　　تعنو لها الآماد فهي هباء .
والقوم حولك خاشعون كأنهم　　بحمى (آمون) لجمعهم إصغاء .

(٣) الجبلاوي ، ص ١٢٣ .

(٤) الجبلاوي ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٥) الزهد والرقائق ، لابن المبارك ، تحقيق وتعليق ، أحمد فريد ، ١ / ٢٤٤ ، دار المعراج ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ .

حال السلف ، فما موقف العقاد عندما يقرن اسم الله بجانب الكلب ، بل يقسم ثم ينادي .... إن هذا لحزن وجيع ، ياأيها العقاد . ولكنها الحرية . فمن الحرية النظم عن الآنسة (مي) و السيدة هدى شعراوي والسيدة « صفية زغلول » أم المصريين [١] ، وأخيراً من الحرية إقامة ندوة ، صباح الجمعة في حديقة الحيوانات في أول مبدئها ثم في بيته لما كثرت . يحضرها نساء ورجال ممثلون وممثلات ومن جميع أصناف الناس [٢].

٩ - (١٩٢٩م) انتخب عضواً وفدياً بمجلس النواب عن دائرة بولاق .

١٠ - في عام (١٣/١٠/١٩٣٠ - ٨/٧/١٩٣١ م) سجن تسعة أشهر ، ثم خرج وقال أبيات منها :

إلى الذاهب الباقي ذهاب مجدد   وعند ثرى سعد مثاب ومسجد .

إلى مرجع الأحرار في الشرق كله   إلى قبلة فيها الإمام موسد *.

وهذه أبيات تقديس ، الناظر إليها بعين الشرع يحكم على صاحبها أنه جاء بكلمات كفرية نسأل الله السلامة ** .

١١ - (١٩٠٧ - ١٩٣٥ م) ظل بالصحافة واستمر بالتأليف من طرده من الوفد إلى أن عاد بالمجلس (١٩٣٧م) [٣].

---

(١) الجبلاوي ، ص٢٠١ ، بل لقد رأيته يكثر من ذكر صفية زغول أنها أم المصريين في كتابه « سعد زغلول » ومن شاء فليراجع الصفحات الأخيرة منه .

(٢) لمحات من حياة العقاد ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، وانظر صورهم وهم شاربون دخان ، مع النساء اللائي يلبسن لباساً إذا جلسن بدت ركبهن ، أضف إلى ذلك أن إحداهن تشرب دخاناً والعقاد بجانبها ، فيا أمان الخائفين ، انظر ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، من نفس المصدر .

* الجبلاوي ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

** والحق يقال بعدها أبيات جميلة منها :

ففي كل يوم يولد المرء ذو الحجى   وفي كل يوم ذو الجهالة يلحد .

(٣) ويلاحظ عليه أنه أثناء هذه المدة كتب في روز اليوسف ، مما جعل فاطمة اليوسف تقول « إنسان طيب القلب ليس هناك أسهل من كسبه ، وإنه ليكفي أن توافقه على رأيه لكي يهدأ ويسكن ويصبح الموج الهادر بحيرة هادئة » انظر د/ السكوت ١/ ٣٥ .

وهذا ذم بما يشبه المدح ، وإلا فمحصل كلامها أن كلامه ليس له قيمة ولا ينبع من عقيدة .

١٢ ـ (١٩٣٨ ـ ١٩٤٢ م) ظل بمجلس البرلمان إلى أن حل هذا المجلس .

١٣ ـ (١٩٤٠م) عين عضواً بالمجمع اللغوي حتى وفاته . في نفس هذه السنة بدت تآليفه في الإسلاميات ، وسبب ذلك يرجعه بعضهم إلى تعاظم المد الإسلامي في مصر ، وكثر الكلام عن الإسلام والسيرة فظهرت كتابات تحسب نفسها أنها إسلامية مثل كتابات (طه حسين)[1] أشبه ما تكون بقصص خيالية يستمتع بها العقل عند إرادته المتعة الفكرية ، ولا حرج أن تقرأ عن الإسلام أنه يريد كذا ، ولا حرج عليك أن تخالفه فيما يأمر وينهي ، يكفيك منه أنك استمتعت به فكراً ، ومن نظر بعين الشرع والعقل يجد أن الإسلام فكر وسلوك والتزام بما يقرأ ويسمع ، فأكبر ما يعيب أن يؤمن قلمك ولا يؤمن سلوكك ، فقد علمت فلا بد من العمل ، فالعلم أمام العمل ، والعمل تابعه [2].

الحاصل أن العقاد ظهر له كتاب (النازية والأديان) ومما يسترعي النظر أن دراساته الإسلامية بدأت عندما ألف (محمد حسين هيكل) حياة محمد ،ﷺ ، وفي منزل الوحي ، وكذلك ظهر للأستاذ أحمد أمين (فجر الإسلام) (ضحى الإسلام) (ظهر الإسلام) ، فهذا من حيث حركة التوجه إلى الكتابة الإسلامية ، وإذا نظرنا إلى استفحال حركة الاستشراق وظهور الطعن في الإسلام نجد أنه انبرى لهذه الحركة من هم ملتزمون بشعائره ، ومن هم ليسوا كذلك ، وهذا يدل على وجود بقايا الفطرة السوية التي تأبى البهت ، فعندها أخذ يكتب العقاد في (الإسلاميات) غيرة على الإسلام ، و حرصاً منه ألا يتخلف عن من نَصَّبُوا أنفسهم مدافعين عن الدين الحنيف ، والمرء بنيته ، فإن دخل محتسباً فله ما نوى ، وإن دخل طالباً الشهرة أو أنه ليس أقل وأعجز ممن كتب ، بل عنده القدرة أن يكتب في كل فن ، ومنها الكتابة عن الإسلام وخصومه فله ما نوى ، ولا يستطيع أحد أن يجزم بشئ يقطع فيه بأنه يريد كذا ، أو دُفِع إلى هذه الكتابة ، وأقصى ما يصل إليه المستنبط والمتتبع هو أن يسأل : ما هذا

---

(١) انظر : أباطيل الأباطيل ، مصدر سابق ، ص ١٤٠ .

(٢) انظر الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٨٣ .

الظهور الفجائي في الكتابة عن الإسلام وخصومه ، بينما كان حاله معروفاً * ؟

فسواء كتاباته الإسلامية كانت خدمة لهدف مباشر أو غير مباشر ، فليس لنا أثارة من علم عن ذلك ، ولكن من تأمل في كتاباته يجد أنها صور أخلاقية قلما يحتفل بها الواقع ، فهو يقدم أنماطاً لا تتحرك إلا في عالم غير عالمنا هذا (١) ، وقد يكون هذا صدقاً لو كتب عن الزهد في الإسلام لكن هذا لم يكن ، ولكن يصدق على دعوته إلى الحرية ، وأن الإسلام يحمي الحرية ، ولم يقيدها بقيد حتى نعرف هذه الحرية التي رددها في أكثر كتاباته ، فهو يدعو إلى حرية مفتوحة لا قيد لها فهنا يمكن أن لا تتحرك إلا في عالم غير عالمنا هذا .

الحاصل أن الكتابات * الإسلامية التي ظهرت حينئذ لا نستطيع الحكم عليها جملة أنها كانت تساق إلى صرف الناس عن تطبيق الإسلام واقعاً وسلوكاً ، بل يبقى الإسلام فكراً لا يتجاوز صفحات الكتب لكن ظهورها جملة ينزل عليها حكم من يخرج مع العدو والمفسد حيث يوم القيامة يبعثون على نياتهم سواءً من خرج للفساد أو من خرج تكثيراً لظل الفساد ، وعند الله تبلى السرائر .

ومن تتبع هذه الكتابات وجد أنها لم تنزل إلا عندما قام للإسلام دعاة يدعون إلى تطبيق الشريعة ، فعندها استمع الناس لهذه الدعوة الجادة التي تريد عودة الإسلام في النفوس واقعاً حيًّاً ، فعندها جاءت هذه الكتابات متعاً فكرية تصرف وجوه الناس إليها ، وينسى الناس ما كانوا قد استمعوه ، ومن طبيعة النفوس حب السهل الذي ليس وراءه كلفة ولا فطام ، .

لكن هل هناك ما يُثْبِتُ ذلك ؟ فهذا هو ما يجعل الإنسان يلتمس أدلة لذلك ،

---

* يعني أنه ليس معروفاً عنه الذب عن الإسلام أو حتى على الأقل التعريف به ، انظر أحمد البقري ، ص ٩٤ ، وهو من المعجبين به كثيراً .

(١) انظر د/ نعمات أحمد فؤاد ، ص ١٠٧ ، وهذا حكته عن تلميذه : عبد الفتاح الديدي ، ومن حكايات تلميذه هذا أنه عندما كان يتلقى علومه في ألمانيا فكان كلما نزل مصر يصحب معه إحدى صديقاته الأوربيات إلى العقاد ، وكان دائماً ينتقي النحيفات ، انظر لمحات من حياة العقاد ، ص ٣٢٩ وتعليق العقاد على النحيفات هناك .

* « ال » للعهدية الحضورية في كتابات « أحمد أمين » « محمد حسين هيكل »

وغالب الأدلة تنحصر في شبهة التعاون ومظاهرة غير المسلمين على المسلمين ، وهذا ما ظهر أكيداً على « طه حسين » الذي تمحض للشر وأهله حتى مماته ، أما من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فعسى الله أن يعفو عنه ، ونحن قادمون على من يتجاوز عن السيئات .

وإن كان هناك من كلمة ، فأن العقاد من محبي منهج محمد عبده في الإصلاح والوطنية ، والذي كان يتمثل في (الدفاع عن الإسلام ضد الحملات الموجهة إليه) [١]

فلا غرو أن يتبع منهج هذا الشيخ ويرتضيه ، حتى ولو لم يدعُ إليه حاكماً في الواقع .

وهذا ما تتبعته من كتب العقاد الإسلامية ، حيث لم أره يشير من بعيد ولا قريب أن يكون الإسلام حاكماً [٢] ، وإنما هومشغول بتقرير الحرية ، وقد علم أن ا لحرية تعني في أوساط المجتمع الإسلامي : نبذ الدين ، وتسفيه رجاله ، والخروج على حدوده [٣] .

١٤ ـ في عام (١٩٥٦م) عين عضواً بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

١٥ ـ في عام (١٩٦٠م) تسلم العقاد جائزة الدولة التقديرية عن (١٩٥٩م) ، لكتابه عبقرية عمر رضي الله عنه ، وهي جائزة الآداب [٤] .

وهكذا طوفنا في تاريخ العقاد حتى لقيناه قد اعتزل الحياة العامة بعد ثورة يوليو ، ولم نجده ذلك الجبار والعملاق الذي كان ديدنه النقد ، فهذه الوهلة ، علم أن تقارير من جهات الأمن تتوالى عن كل من تسول له نفسه بالنقد ، فرأى أن الأرفق به

---

(١) اليقظة الإسلامية ، لأنور الجندي ، مصدر سابق ، ص ١٤٩.

(٢) حتى إنه كان يتلقى رسائل من الأوربيين ، وكان معظمها تقديراً له ، وكذلك كان يتلقى من رئيس جماعة مصر الفتاة التي لها صلة بتركيا الفتاة ، وهذا إن دل فإنما يدل على أن المنهج الذي كان ينتهجه العقاد يطيب لهؤلاء الأوربيين ومن هم في دوائر التربص بالإسلام وأهله ، انظر لمحات من حياة العقاد ، ص ٣٤٩ ، ٣٦٤ .

(٣) انظر عودة الحجاب ، القسم الأول ، ص ٢٦ . وانظر : الفكر الإسلامي المعاصر ، د/ غازي التوبة ص ١٣٤ ـ ١٤٣ ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الثالثة (١٩٧٧ م)

(٤) انظر أحمد البقري ، مصدر سابق ، ص ٢١٠ ، وانظر : د/ حمدي السكوت ١/٤٣ .

السكوت عن هذه الأوضاع المتردية التي كتمت فيها الحرية والدعوة إليها فليس لك إلا أحد سبيلين إما السجن أو الجلوس في البيت ، ولقد أسقط في يده حين زج بأصحاب الأقلام المعارضة إلى السجون والمعتقلات فكان يرى هذا (نكسة لم تكن وليدة صدفة)[1].



(١) البقري ، ص ١٤٨ ، وليست نكسة بل هي استمرار لنكبات الأمة الإسلامية ، فالنكسة هي عودة المرض بعد العافية ، وأين هي العافية ؟

وانظر في تواريخ العقاد د/ حمدي السكوت من ١/١٥ ـ ٤٣ .

المطلب الرابع :

اتجاهه وثقافته

يحكي عنه ابن أخيه (عامر العقاد) أنه (استفاد من مدرسة الإمام * نظرته العميقة الصائبة إلى التراث العربي والإسلامي . فقد رأى أن هذا التراث ينبغي أن يعاد النظر إليه في ضوء العلم الحديث ، و رأى في هذه الدعوة من الأصالة ما ربطه بها إلى حد بعيد ، حيث ظل هذا الأثر من جانب مدرسة الإمام باقياً في شخصيته حتى نهاية رحلته في عالم الفكر العربي ، وفي عالم الحياة في١٣ مارس سنة ١٩٦٤م) [(١)]

إن هذا الكلام يحتاج إلى تأنٍّ وتروٍّ ، لماذا ؟ لأنه ينتج منه دخول القرآن والسنة الصحيحة تحت التراث ، فأن كان ذلك كذلك فهي دعوة إلى(تعقيل الدين) ** وتطوير الحياة ، وترشيد الوعي ، وهذا هو خلاصة مذهب (العقلانية) [(٢)] .

ولكن العقاد رأيته يحذر من محاولة التوفيق بين القرآن والنظريات العلمية ، وذلك أنها تحتمل النقض والإلغاء ، ويعاد النظر فيها من حين إلى حين ، ولا تستغني

---

* محمد عبده ، وكذلك هو معجب بكتابة « برتراندرسل » لأنه (يضرب به المثل في حرية الرأي والجرأة على مواجهة التيَّار العرم الذي يخالف رأيه ولو تألبت عليه أمم وحكومات) بين الكتب والناس ، ٣٨١ ، ومن الحكايات الطريفة أني قرأت « سيرتي الذاتية » لبرتراندرسل ، فوجدته ملحداً ، وسبب إلحاده « الكنيسة » وكنت أيامها في المرحلة الأولى من الجامعة ، فسبحان من ألقانيه والعقاد مرة ثانية ، وأسأل الله أن يرزقني الجنة بعد طول عمر صالح ، وأن يغفر للعقاد ، وأما ذاك فهو إلى جهنم وبئس المصير ، وسبب قراءتي له عنوان « انتهى دور الرجل الأبيض » كتاب السيد قطب : « المستقبل لهذا الدين » حيث ذكر عنه هذه الكلمة .

(١) معارك العقاد السياسية ، ص ٣٦ .

** جعله يوافق العقل ، ولو بلي أعناق النصوص .

(٢) انظر العقلانية هداية أم غواية ، ص ٥٨ ، عبد السلام البسيوني ، دار الوفاء ، المنصورة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ هـ ، وانظر : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، د / فهد الرومي ، ٧١٧/٢ ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٧ هـ ، بدون مكان الطباعة ، إلا أنه أشار طبع بأذن من رئاسة البحوث .

على الدوام عن التعديل [١] .

ولكنه يعود فيصدمنا بقوله (وأنفع هذه الأمثلة ما يقتبس من أحدث الآراء في التأويل والتوفيق بين النظريات وآيات الكتاب)[٢] . كلمة واضحة ولا شك ، لكنها يا ترى تقع على من ؟ هل يريدها تقع على النظريات العلمية ؟ فعندها القرآن يعود إلى مكانته وهي الهيمنة وأن يكون حاكماً لا محكوماً . أم أنه يريد تأويل القرآن حتى يوافق النظريات العلمية ،.

لا شك أن المتتبع لكتابات العقاد يجد فيها الحيرة والاضطراب وعدم الثبات على أصل[٣] ، فتراه يقول (لا يجوز أن نقحم الآيات القرآنية في إنكار النشوء والتطور)[٤] ويقول (إن المسلم مأمور في القرآن بالتفكير والتأمل والتدبر والاستقلال بذلك عن الآباء والأجداد وأحبار الزمن القديم وأئمة الدين فيه)[٥] .

---

(١) انظر : التفكير فريضة إسلامية ، ص ٨٥ ، وانظر ما يقال عن الإسلام ، ص ٩١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٨٦ .

(٣) لقد عَدَّدَ د/ السكوت ،٤١/١ أسماء الغربيين الذين قرأ لهم وأثروا في فكره فذكر منهم أربعة وستين (٦٤) مفكراً غربياً ، لعل أشهرهم جان جوك روسو، منظر الثورة الفرنسية ، وفولتير الإباحي ، وتوماس هاردي - هذا قلده في اقتناء الكلب ، وشكسبير .
وذكر عنه « عبد الحي دياب » مصدر سابق ، ٩٩ - ١٠٢ أنه كان يجلس مع المهاجرين من سوريا ولبنان والعراق في (قهوة الشيشة) أو (القهوة الوطنية) أو (قهوة يلدز) أو مقاهي الحي الحسيني في القاهرة ، وباب الخلق والفجَّالة ، وكان يلتقي شبلي شميل (الاشتراكي المعروف) والكواكبي مؤلف طبائع الاستبداد ، يعقوب صروف، الشيخ رشيد رضا ، جورجي زيدان ، محمد حسين هيكل ، طه حسين ..... فإذا كان لقي هؤلاء الذين كلٌ له مشرب فمن أين له أن تتضح رؤيته ؟ فكيف إذا أضاف إلى ذلك قراءته عن الغرب ومذاهبه ؟ فهل غشيان الأندية العامة مما يليق بالسمت ويحسن بالجاه والوقار ؟ انظر ص ٧٧ من شعراء مصر وبيئاتهم ، حيث ذكر عنهم أن ذلك كان مكروهاً عندهم ، فلماذا خالف عادة أهله وبني وطنه ؟ .

(٤) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٧٥ ، تحت عنوان ، تفسير القرآن في العصر الحديث .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٧٢.

إنها صرخة ودعوة بأن نستقل عن فهم السلف (أحبار الزمن القديم ، وأئمة الدين فيه) .

أليست هذه هي العصرية بعينها [١] ؟ وهنا لابد أن نلفت النظر أن البحث ليس بصدد محاكمة العقاد ، وإنما هو يسجل ملاحظات نحسبها أنها ضرورية وهامة لتبصرنا بخلفيات اتجاه العقاد - رحمه الله - [٢] فمن الملاحظات قوله : (إننا مطالبون بأن نفهم القرآن الكريم في عصرنا كما كان يفهمه العرب الذين حضروا الدعوة المحمدية لو أنهم ولدوا معنا ، وتعلموا ما تعلمناه ، وعرفوا ما عرفناه) [٣]

فهذه الأقوال مجتمعة تبين لنا اضطراب الرجل ، وإلا فكيف نجمع بين إخبار الديانات السماوية الإلهية وعلى رأسها القرآن أن أصل الإنسان من تراب ثم من نطفة وبين إخبار نظرية التطور التي تنص على أن أصل الإنسان قرد [٤] ؟ فأن كان يقصد بها أن إنسان اليوم غير الإنسان عند بدء الخليقة فهذا له حظه من النظر ، وأما إن كان يقصد بها التردد بين تصديق النظرية وتكذيبها ، فهذا في حد ذاته الخطر الجاثم على العقول ، لأنه من حيث لا يشعر يعطي أهمية للنظرية ويَغْفُلُ عن فصل القرآن فيها ، وأما إن كان يقصد أننا نتأى بالقرآن عن أن نقحمه في كل مجال علمي فهو له حظه

---

(١) انظر : العصريون معتزلة اليوم ، يوسف كمال ، ص ١١ - ١٧ ، دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر : تجديد الفكر الإسلامي ، جمال سلطان ، ص ٢٢ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٢هـ .

(٣) ما يقال عن الإسلام ، ص١٧٢.وهي كما ترى غير محررة ، لأن مُتَصِّدَ الأخطاء يرى منها ما لا يرى غيره .

(٤) وقد ناقش هذه القضية « موريس بوكاي » في كتابه « ما أصل الإنسان ، إجابات العلم والكتب المقدسة » ، قام بترجمته : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٦هـ ، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج ، يقول ص ٢١٩ ما خلاصته : لا تعترف أديان التوحيد بأي تفسير لوجود الإنسان على الأرض سوى أنه مخلوق خلقه الله .... ولا يوجد عند العلم أية حجج تعارضه ، وانظر مناقشته لـ « داروين » من ص ٣٥ - ٩١ .

من النظر ، لأنه يؤدي إلى إسقاط هيبة القرآن وزعزعة مكانته .

وفي الجملة نحسن به الظن على أنه يقصد أن نقارع الحجة بالحجة وبعدها نحتكم إلى القرآن ، وقد علم شرعاً أن القرآن حكم أن الإنسان مخلوق خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ، وعند الله تبلى السرائر .

وفي الجملة لقد أظهر مبدأه حين قال (وعلى المسلم أن يؤمن بأن الله تعالى بث روح الحياة في الطين ، وسوى الطين سلالة خرج منها آدم عليه السلام)[١]

فعلى كل حال إن الكاتب الإسلامي يجب عليه أن يبت في القضايا المعلومة بالضرورة من دِيْنه [٢] ، ولا ينتظر عرفاً أو قانوناً أو تجربة ، فكلها مجهود بشري قابل للخطأ والصواب .

والعقاد ـ رحمه الله ـ أثرت عليه قراءاته في الفكر الغربي بدون سلاح الوحي ، دخل فيه بنفس ظامئة إلى « ثقافة العصر » مما كانت سبباً في تردده وحيرته أحياناً ، فتراه يقول في مسألة التطور أنها تهبط (بالإنسان إلى حضيض الحيوان ، ولا يبقى* بينه وبين السماء معراجاً واحداً يرتفع عليه)[٣] بل هو يذكر قبل هذه الكلمات أنها كانت سبب يأسه وسبب شكه في ا لحياة [٤] فجعلت منه مضطرباً قلقاً ، حيث كانت

---

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٦٤.

(٢) انظر التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ، ص ٧ ـ ٩ ، دار الشروق ، القاهرة ـ بيروت ، الطبعة : ٧ سنة ١٤٠٨هـ .

* داروν

(٣) حياة قلم ، ص ١١٩.

(٤) انظر عنوان « خلاصة الأمل » و « يوميات يأس » من حياة قلم ، ص ١١٨، ص ١٢٠.
ولكن مع هذا فله مواقف رحمه الله ضد من يدعو إلى العامية ، انظر يسألونك ، ص ١٩٩، ص ١٩٨ ، فهو يرى أن هذا عجز وفناء في اللغات الأوربية ، ويقول : إن المعاني الرمزية بقية من بقايا إبهام الكهانة الأقدمين ، لا يقبلها في العصور الحديثة إلا أشباه الكهان ، ص ٥١ ، الفصول ، ولا أدري ماذا يقصد بقوله : لابد من تجريد النفس من أسر المفردات ، ص ١٢٨ ، الفصول ويقول ص ٤٥ إنه أدعى إلى الشبهة نبذك أوزان العروض وأنت قادر عليها ، ويقول ، ص ١٢ أيضاً : لابد أن تكون عندنا غيرة على لغة القرآن =

قراءاته عن الغربيين ، والغربيون لا يثبتون على حال . فسرت إليه العدوى من خلال تقلبه بين نظرياتهم التي ينقض بعضها بعضاً .

أضف إلى ذلك أن سهراته الليل مع الفنانين والفنانات ـ وهم أكثر الناس اضطراباً [1]ـ أدت به إلى الحيرة الروحية ، لأنه من الصعب على الإنسان أن يعيش أو يجمع بين بيئتين متناقضتين ، فلابد إحداهما تقضي على الأخرى ، فإن ظن الإنسان أنه باستطاعته العيش مع كلٍّ ، فهذا محال ، ومؤدى أمره التذبذب ، وعدم اتضاح الرؤية ، وعدم تميز الإتجاه في النفس ، فعندها يكون الانفصام النفسي ، وتوارد الوساوس ، فلا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ، وهذا أشقى شئ على النفس البشرية أن يتنازعها شركاء متشاكسون . فمن ثم قالوا عنه : إنه لا ينتمي أصلاً إلى المدرسة الإسلامية من الناحية الفكرية ، ولكنه ينتمي منذ نشأته الأولى إلى المدرسة « الليبرالية » المتحررة التي تعتبر « لطفي السيد » أستاذها الأول في جيل (المثقفين) ... وهنا قاعدة أساسية ينبغي أن توضع في الحسبان حين يوزن الأدباء والمفكرون من وجهة النظر الإسلامية . وهي أن الإسلام نظرية في السلوك بمثل ما أنه نظرية في المعرفة ، ولذلك كان من المهم أن لا يقبل فكر إسلامي أو أدب إسلامي من مفكر أو أديب لا يمارس الإسلام ، ولا يلتزم به ، وقد عرف عن العقاد أنه لم يكن ممارساًللإسلام

= الكريم ، انظر ذلك كله من كتاب : الكلمات الأخيرة للعقاد ، وله قول مشكور في الرد على من قال الشعر الجاهلي كله مزيف ، انظر ص ٥٤ ، مطلع النور ، تحت عنوان : تزوير الأدب الجاهلي مستحيل . ولكن مع هذا فهو يدعو إلى النوع الإنساني العالمي حتى يذهب الظلم والخضوع ، انظر ص٧٣ ، القرن العشرون ما كان وما سيكون ، وانظر أيضاً ص ١١١ ، وانظر الإسلام والحضارة الإنسانية ص ١٨٢ ، التفكير فريضة/ ١٨١ ومن الغريب أن هذه دعوة (ماسينيون) شيخ طه حسين ، انظر الأعلام : ٢٤٧/٥.

(١) انظر الجبلاوي ، ص ٦٠ ، وقد ذكر من الممثلين والممثلات : نجيب الريحاني ، فاطمة رشدي ، أحمد علام ، وكذلك انظر لمحات من حياة العقاد ، ص ٣٢٦ ، مديحة يسري وغيرها من الزائرات .

في سلوكه [١]. وذلك بدلالة أن العقاد كان يضع صورة حبيبته ومعشوقته في غرفة نومه ، وكان يقول (أنا كالفريك لا أقبل شريك) وكانت إحدى المعجبات به تكتب له على ظهر صورها كلمة إهداء تبدؤها (إلى من أعبد .... إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد) ، كان يقول عن صالون (مي) بأنه (سجل الأدب « الخاص » في النهضة العربية الحديثة [٢] ، وأورد في قصته (سارة)[٣] على لسان

---

(١) انظر مجلة الأمة القطرية ، العدد (٣١) رجب سنة ١٤٠٣هـ ، ص ٢٥ - ٢٦ .
ونتحفظ من كلمة نظرية ، بل هو منهج سلوك ومنهج علم .
ولو استقرأنا حاله لنعرف مدى واقعية هذا الكلام لوجدنا أن له حظاً من النظر الشرعي ، فمثلاً : انظر : بين الكتب والناس ، حضوره مأدبة بفندق الملك داود في بيت المقدس ، وكانت أيامها « إسرائيل » تضرب المسلمين وتشردهم من ديارهم ، ص ١٩٩ ، انظر ترحمه على (مي زيادة) ص ٤٥١ ، انظر لمحات مجهولة من حياة العقاد ص ٢٣ حيث يترحم على (سينوت حنابك) قسمه بضريح الزعيم سعد زغلول ، ص ٢٤ . انظر ص ٦٢ ، كان يعقد هو وزملاؤه ندوات أدبية بالقاعة الكبرى للكنيسة الأرثوذكسية بقنا ، حضوره التمثيليلات المسرحية في مسرح الشيخ (سلامة حجازي) ص٦٣، هكذا سمى سلامة حجازي شيخاً . في تقلبات مصر على الأحزاب السياسية لم أره يقدم مقالاً ولو قليلاً يشير فيه إلى الإسلام وأنه أهل لحل هذا الاختلاف ، وانظر دفاعه عن تمثال سعد زغلول ص ١١٢ ، سياسته سياسة قومية ص ١٠٥ ، ثورة يوليو ستكون خيراً وأبقى بمشيئة الله ص ١٤٢ كان يذهب هو و (مي) إلى حديقة إحدى الكنائس بحي الظاهر بالقاهرة ص ٢٠٤ . الفن الإلهي ، ص ٢٧٤ .
الحاصل لولا خشية المطالبة بهذا لما تجرأت على هذا لأنه قد أفضى إلى ما قدم .
(٢) انظر عن ذلك كله لمحات من حياة العقاد ، ص ١٨٧ الى ٢٤٨ . ومن أعجب ما قرأت عنه قوله : (كم من مرة ظلمت إسماعيل صدقي وثروت لا لشئ إلا لكي تجيئني (مي) تبدؤني الحديث وتنهي الخصام) نفس المصدر ، ص ٢٠٥ ، وانظر عن ترجمة « صدقي » الأعلام : ٣١٥/١ ، و « ثروت » ٢٩١/٣ .
(٣) يؤكد ابن أخيه أنها حقيقية من ص ٢٠١ - ٢٤٧ ، وفي الجملة انظر حياته مع المعجبات به ص ١٧٤ - ٢٦٥ .

« المحبوبة » تقول لمحبوبها : (ألا تستطيع أن تتعلم « الربوبية » ساعةً وتغفر الزلات)[١] .

الحاصل أن « العقاد » عاش حياته محبّاً لحرية التفكير ، وهذا الذي أثّر عليه في الازدواجية الشخصية عندما غير من اتجاهه وأصبح عنصراً أصيلاً في مدرسة اليقظة العربية الإسلامية وأضفى ثقافته الغربية لتكون قوة للفكر العربي الإسلامي[٢] .

كذلك الذي أثر عليه اتجاه المجلات التي كان يكتب فيها : الأساس ، البلاغ ، الأخبار ، آخر ساعة ، روز اليوسف ، الأفكار ، الرشيد ، هذه لها وجهات تضاد الوجهة الإسلامية ، فهي إما حزبية أو ممن تحب إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا[٣]، أو ممن جمعت بينهما وبين أن تكون داعية للفاحشة بالصور التي تعرضها ، فإذا نصب الإنسان نفسه كاتباً إسلامياً ، فإن كلماته لها قيمة ولها أثر على قرائه ، فحري به أن لا يكتب في مجلات موبوءة مشبوهة ، على أقل تقدير يجب ألا يكتب في مجلات قيل عنها إنها مخلّطة ، لإنه إذا كتب في هذه المجلة المخلّطة تخلط اتجاهه فخلّط عليه قارئيه ، وأصبحوا بين متسائل وناقد .

وهكذا تتبدى لنا صوره العقاد أنه يريد أن يصطحب الحرية الفكرية وأن يتجه إلى اليقظة الإسلامية يقول ـ رحمه الله ـ (أنكر الإباحية العمياء ، كما أنكر التزمت الأعمى)[٤]

وتراه يرد على الذين يقولون إن فساد الأخلاق علامة التقدم والحرية ، وأنه تَمَرُّدٌ

---

(١) ص ٥٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة (١٩٦٩م) . وهو الذي وضع « الربوبية » بين هذه الأقواس الصغيرة ، فيا ترى هل وضعها تأثماً أم ماذا ؟

(٢) انظر اليقظة الإسلامية ، ص ١٩٤ مصدر سابق .

(٣) كنت أبحث عن مقالاته بعنوان « نادي العجول » في مجلة آخر ساعة ، فرأيت ما أذهلني ، حتى إن الناظر فيها ينسى ما جاء لأجله ، وإبليس يسعى بحبائله ، وكان السلف يكرهون أن يضع الرجل نفسه في مواطن الشبهة وسوء الظن. وانظر أسماء المجلات التي كان يكتب فيها ، ص ٨٩ ، صفحات مجهولة .

(٤) يسألونك ؟ ص ٧٩ ، ٨١ ، وانظر بين الكتب والناس ، ص ٤٠١ . وانظر : لمحات من حياة العقاد ، ١٤٧ .

على الأخلاق العتيقة والعقائد المتعفنة ، فيقول (التمرد نقص وليس بكمال ، وشئ يدركه العاجز بغير عناء ، لأنه مترتب على الإهمال والترك وفقد التربية أو سوء التربية ، .... [إلى أن يقول] : أما التحلل من الواجبات جميعاً فلا تقدم فيه ولا جهد ولا خير فيه)[1] ، ومن نظر بعين الشرع يقول : التحلل من واجب واحد لا تقدم فيه ، ولكن العصر له وظيفته في البلبة الفكرية ، فهو يخلط بين (سن ياتسن) (غاندي) ، وبين (الصديق) و (الفاروق) و(عثمان) و (علي) ، وليس عنده تمييز ، بل ضابط التمييز عنده هو أنه يكتب عن العظماء الذين حسنت نياتهم في خدمة الإنسان ، وأن يوفيهم حقهم من التوقير ، وأن يرفع صورهم إلى مكان التَّجِلَّة ، فالمصلحون من عظماء الأديان أهل لكل تعظيم واعتراف بالجميل [2] .

ومن شواهد البلبلة أنه يرى أن الحكومة التي نص عليها القرآن هي الحكومة الديمقراطية ، حكومة الشورى والمساواة ومنع السيطرة الفردية [3] .

ثم تراه - رحمه الله - ينسف هذا كله بقوله وهو يصف عصر أبي بكر الصديق (فليس من المحقق أن حكومة الإسلام يومئذ توصف بالديمقراطية على المعنى الذي نفهمه من هذه الكلمة في هذه الأيام)[4] ويْ . إنه لعجب ، ولكنه صدق - رحمه الله - إن حكومة الإسلام لا يطلق عليها مصطلح الديمقراطية ، وذلك أن الفارق بينهما أن الذي يشرِّع في الإسلام هو الله يحكم بين عباده ، بينما في الديمقراطية أهواء البشر المخلوقين . فلا يمكن أن يتساوى الإسلام والديمقراطية ، لأن الإسلام أنزله الخالق ،

---

(١) بين الكتب الناس من ص ٦٠٨ - ٦١٣ .

(٢) انظر عبقرية الصديق ، ص ٧ ، ص ٨ .

(٣) انظر الفلسفة القرآنية ص ٣٩، ص ٤١ ، موسوعة عباس العقاد الإسلامية ، القرآن والإنسان ، المجلد الرابع .

(٤) عبقرية الصديق ، ص ١٧٤ . ومن تناقضاته أنه قال في « الديمقراطية في الإسلام » ص ٤٠ (فما لم يكن الحاكم منفذاً للعقد الإلهي ، فالعقد الذي بينه وبين المحكومين غير ملزم) إذن العقد الإلهي يعني : أن الله هو المشرع والحاكم هو المنفذ ، ثم يأتي إلى هذا وينسفه بقوله ص ٥١ (حكمة الإيمان بسيادة الأمة وأنها مرد التشريع والسلطان)أهـ لعلي أخطأت أو فهمت عكس ما يريد .

والديمقراطية ابتدعها المخلوق ، فعندها لا يجوز إطلاق مصطلح الديمقراطية على الإسلام (لأنه تعبير وضع بالأصل لفكر معين أو لنظام خاص عرف به أصحابه وحملته)[١] ، . ولا نستطيع بأي حال من الأحوال مقارنة الديمقراطية بالإسلام أو الإسلام بها ، لأن (الديمقراطية باعتبارها نظاماً سياسياً في أوربا اقترنت بأفكار ومفاهيم عن الإنسان والمجتمع ، وانبثقت عن فلسفة لا يقبلها الإسلام .... فالديمقراطية مبنية على فكرة أساسية هي أن الفرد هو الأصل في الدولة ، وهي إنما خلقت لمصلحته وهو حرية مطلقة في تصرفاته سواءً في فعاليته الإقتصادية أو الخلقية أو الفكرية ، والدولة مهمتها مقصورة على تنسيق حريات الأفراد حتى لا تتصادم ، إن هذه الفلسفة تختلف عن نظرة الإسلام اختلافاً كبيراً ، فهي تؤدي إلى المساواة بين الإيمان والإلحاد في مجال الفكر ، وبين الإباحية والتقيد في مجال السلوك الخلقي ، ... والإسلام لا يقبل التسوية بين هذه الاتجاهات ولا يمنح الحرية المطلقة التي تؤدي إلى الباطل والرذيلة والظلم)[٢] إن هذا رد ونقض لما يقوله العقاد عن الحرية الفردية ، ولقوله (الحكم من الأمة للأمة هو أصلح المبادئ)[٣] وقوله (الرأي العام دون غيره هو ضمان كل حرية)[٤] .

وهكذا يعيش العقاد في بلبلة فكرية نتيجة إكثاره من القراءة في الآداب الأوربية، فتراه يدعو إلى الوحدة العالمية حتى تخلص الإنسان (من قيد ثقيل من قيود العصبية التي تفكك روابط الإنسانية ، وتجعل الدين سداً من سدود الفرقة والبغضاء بدلاً من

---

(١) حكم الإسلام في الإشتراكية ، عبد العزيز البدري ، رحمه الله ، ص١٣٦ ، الطبعة الرابعة ، المكتبة العلمية ، ١٣٩٧هـ . وانظر الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ، محمد المبارك ، ص ١٥ ـ ١٧ .

(٢) الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ، محمد المبارك ،ص٨٢، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ .

(٣) فلاسفة الحكم في العصر الحديث ، ص ١٥٢ ، وانظر ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٤) بين الكتب والناس ، ص ٥٢٩ ، وانظر يسألونك ، ص ٨ .

وجود واحد فوق الأرض والسماء)[١] بينما يقول عن النبي ﷺ (أشرف من يتعصب له من شاء أن يتعصب ، وأن ينتسب إليه من اعتز بالنسب)[٢]، بل تراه محتاراً بين أسئلة (لماذا لا يطلق لحيته) ، (لماذا لا يقصها)، فهذه عنده غرائب وعجائب[٣]. وأحياناً يمجد المسلم العصري[٤] ، وأن العصريين المجددين * هم (أوفر المسلمين نشاطاً ، وأشدهم دفاعاً عن العقائد الإسلامية ، وأكثرهم اجتهاداً في نشر فضائل الدين ، وأعرفهم بالأساليب التي توجَّهُ بها الدعوة إلى العقول الأوربية ، وإلى جماهير المتعلمين في الشرق والغرب على الإجمال .... ويقرنون ذلك دائماً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشواهد التاريخية ، وإن فَسَّرُوها بعض الأحيان تفسيراً لا يقرهم عليه السلفيون أوالمتزمتون)[٥] ، هذا التفسير يقتربون به من عقول المتعلمين والمتعلمات ، فلا يعرضون عنهم (كما يعرضون عن الجامدين المتحجرين في فهم الكلمات والحروف)[٦]

وبعد : فهذه نصوص أوردتها مثلاً ، وليس من شأن الرسالة أن يكون العقاد في الميزان ، فأن هذا يطول ، ولكن هذه شواهد وأدلة تبين أن الرجل إذا عاش في محيطين

---

(١) ص ١١١ وانظر ١٣٦ ، القرن العشرون ما كان وما سيكون . وانظر ص ٧٧ عن دعوات التقدم ودعوات الرجعة والجمود على القديم .

(٢) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٣ .

(٣) انظر يسألونك ، ص ٢٦. ولذلك قال عنه الجبلاوي ص ١٠٧ (والحقيقة أنه من أصحاب الرأي والضمير الذي لا سلطان لأحد عليه) هذه كلمة فجة ، بدلالة أنه يملك أكثر من ٤٠٠ أسطوانة أكثرها فرنجية ، ويدمن على سماع سيد درويش وأم كلثوم ومحمد عبد الوهاب ، انظر: الجبلاوي ١٢١ - ١٢٣ .

(٤) انظر عن هذه الألفاظ وأنها من آثار الحداثة على الفكر الإسلامي ، ص ١٢٦ من كتاب: تقويم نظرية الحداثة ، د / عدنان رضا النحوي ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٢ هـ ، دار النحوي ، الرياض .

* لقد ذكر من هؤلاء المجددين جماعة القاديانية ، انظر ص ١٤٧ ، الإسلام دعوة عالمية .

(٥) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٤٨.

(٦) نفس المصدر ، ص ١٥٣.

لا يمكن أن يجمع بين فكريهما ، لأن أحدهما يرضع ، والآخر يفطم ، والنفس تأبى الاشهوتها وملذاتها [١] .

ونختم القول بكلامه حول (التماثيل والصور) حتى يتأكد لنا اتجاهه .... يقول (ومثل من أمثلة الجهل والغباء أن يطول اللجاج ، ويحتدم الهياج على التحريم والتحليل ، ومحصول ذلك كله أهون من خطر اللجاج وخطر الشقاق والهياج .... ولقد تطول الأقاويل في حل التماثيل وتحريمها ، وفيما هو تمثال وليس بصورة أو ما هو صورة وليس بتمثال . ولكن التماثيل والصور على اختلاف أوصافها وتعريفاتها قد وجدت بين أبناء الأديان من المسيحيين واليهود والبراهمة والبوذيين ، ولم نسمع قط أنهم سجدوا لتمثال كل بطل عظيم أو تعبدوا لضريح نابغٍ مشهور ، وليست عقيدة المسلم بأضعف من عقائد الأديان عن مدافعة هذه الأخطار إن خيف منها الأخطار)[٢] .... وهكذا تظهر الإزدواجية في هذا التفكير فهو يريد المطابقة بين الإسلام وبين إقامة التماثيل حتى يتحدث القوم أن الإسلام يساير الواقع ولا يصادمه ، وهذا منهج يؤدي

---

(١) من أراد الاستزادة فعليه بالتالي : التفكير فريضة إسلامية ص ١٩٢ حيث ذكر أن الاحتفال بالنيروز يحقق أن الإسلام دين العالمين ، وانظر منه ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ ، ص ١٨١ يقول ما محصلته : ما الذي يمنع المسلم أن يعمل للديمقراطية الإشتراكية ، من أجل الوحدة العالمية ، العقاد والغناء والصور ١٠٠ ـ ١٠٤ ، ١١٠ ، التفكير فريضة إسلامية ، انظر ص ٢٠ ، من الإسلام دعوة عالمية ، حيث ذكر أن مقصود (طه حسين) بأن حكومة الرسول وخلفائه « وضعية » أي « تيوقراطية » ووافقه على ذلك ، وهذا تدليس . انظر محمد عبده ، ص ١١ الرجعة إلى القديم أعدى أعداء التحول والتجديد ، ضم الصفوف الوطنية المسلمون مع غير المسلمين ، ص ١٠٧ ، يرجى صلاح الإنسان من المذاهب التي تبشر بالتعاون والإخاء ، ص ٣٨ ، أفيون الشعوب ، انظر عن الفنون الجميلة وأنها ضرورية لمن يسأل كيف نسود ؟ ص ١٠١ ، وإن في أرسطو وأفلاطون لما يصلح العقول ويقوم التفكير حتى في هذا الزمان ، ص ٢٧٧ يسألونك ، وانظر ١٠٢ عن اللعب بالنرد والشطرنج والورق و انظر ١٠٥ ، وهكذا لو نقلت كل ما قاله حول التجديد والعصرنة لجاءت ربع الرسالة ولكن حسبنا أن الله يتولى السرائر .

(٢) الإسلام في القرن العشرين ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

إلى تأويل أحكام الإسلام ، فيأتي كاتب يتأول ويتأول حتى يُركن الدين في المسجد مما ينتج منه العلمانية ....

وغاية ما يقال : إن أي أحكام تطلق على أي من الكتَّاب تحتاج روية وأناة * ، فهم على كل حال مسلمون ونحن مسئولون عن أعراضهم يوم القيامة ، وليس هناك مسوِّغ يسوِّغ لنا أن نغتاب أحداً من المسلمين إلا ما كان في إظهاره ضرورة ملحة ومن المصلحة العامة للمسلمين .

ولا سيما أن صاحبنا اعتكف عن الحياة العامة بعد قيام ثورة يوليو (١٩٥٢م) ، ولم أرَ له شيئاً يدل على رجوعه ولا على بقائه على ما كان عليه ** ، فهل يا ترى يحق لنا أن نطبق عليه القاعدة الفقهية التي تقول (الأصل بقاء ما كان على ما كان ، واليقين لا يزول بالشك)[1] ، أو « إنما الأعمال بالخواتيم » .

وفي الجملة هو من أهل دين يقبل فيه العمل ويجزى فيه بالحسنات ، ويجزى فيه بالذنوب إلا أن يعفو الله عنها[2] وإن كان هناك من كلام فلنعلم (أن خصوم الإسلام لا يهتمون كثيراً بما يكتب أو يقال عن عظمة الإسلام وجوانب العدالة والرحمة والخير فيه ، ما دام هذا الذي يقال كلاماً يسيل حبراً على ورق أو حديثاً ينطلق من على المنابر ...

---

* هاتان الكلمتان فقط استفدتهما من كتاب « أحمد أمين حياته وأدبه » عامر العقاد ص ١٤ ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثالثة : سنة ١٤٠٧هـ .

** هناك مقالان لفتا انتباهي وأنا اتتبع مقالاته من د/ حمدي السكوت ، أحدهما بعنوان : التطور المصلحي في عقائد الدين ، الأخبار ٣٠ / ١٠ / ١٩٦٣ م ، والآخر بعنوان الاشتراكية السمحة هي اشتراكية التعاون التي ندين بها الهلال - ١ / ١٩٦١ م انظر د / حمدي السكوت ، ٢ / ٧٦٥ ، ٧٤٠ ، هذا من حيث آراؤه الإجتماعية وسيأتي مبحث في مطلب « عقيدته » فيه أكثر وضوحاً .

(١) انظر شرح هذه القاعدة ، القواعد الجامعة والفروق والتقاسيم النافعة، للشيخ ابن سعدي ، ص٤٥ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، فقه ، مركز صالح ابن صالح الثقافي بعنيزة ، طبعة سنة ١٤١١ هـ بدون عدد الطباعة .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء في ترجمة معاوية رضي الله عنه ، ١٥١/٣.

ولكن الذي يهمهم أمره ويتتبعون نتائجه أن يطالب بالإسلام نظاماً يحكم الحياة)[1]

وبعد : فسلامة الصدر للمسلمين خير من ضيقه ، والقول بدليل خير من القول باستنباط ، ومع ذلك يمكن القول عن اتجاه العقاد بكلمة وهي (**أن الرؤية الإسلامية لم تكن واضحة عنده**) ، والله الموعد .



(١) المنهزمون ، دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة ، يوسف العظم ، ص ٢٣٠ ، دار القلم ، دمشق - بيروت ، الطبعة الرابعة : ١٤٠٢هـ .

المطلب الخامس :

مــؤلــفــاتــه :

لقد أوتي العقاد الجلد والصبر وسعة الإطلاع وكثرة المعرفة ، ومن تأمل حياة العقاد الثقافية يجد أنه مثقف جمع بين ثقافات مختلفة ، وليس هناك تخصص ، بل حاصل قراءاته شتات العقل ، في كل فن من فنون المعرفة ، وذلك راجعٌ إلى ردة فعل حصلت له عندما رُفِضَ أن يقبل مع المرشحين للدراسة في أوربا ، يقول - رحمه الله - (لقد أردت في مطلع شبابي أن أنجح في إمتحان ... لإتمام الدراسة بالديار الأوربية ، وكانت الجامعة المصرية في نشأتها الأولى هي التي نظمت ذلك الإمتحان على يد رئيسها : سعد زغلول ، لتخريج الأساتذة المرشحين للتدريس فيها بعد عودتهم من الجامعات الفرنسية والإنجليزية ، وقد فاتني النجاح في الإمتحان لسبب من الأسباب الشكلية [1] ....فأظلمت الدنيا في عيني يوم ذاك ، ونعيت على الدنيا كلها خيبة الرجاء ، وظننت أنه هو الرجاء الأول والأخير في الحياة ، ولكنني اليوم بحمد الله غير نادم على ما فات وغير عاتب على المقادير)[2] .

وإن كان هناك من استنباط فلعلنا ندرك بعض السر في اتجاه العقاد للثقافة الغربية ، فكأن لسان حاله يقول (سآخذها ولو لم أدخل جامعاتكم)* ، فمن ثَمَّ غالب

---

(١) فَسَّرها - رحمه الله - في كتابه - سعد زغلول - وخلاصته : أنه طلب من سعد زغلول أن يدخل الإمتحان مع الممتحنين ثم ينتظم في البعثات الجامعية إذا نجح ، فأبى سعد إلا أن تكون لديه الشهادة المشروطة قبل الإمتحان ، فقال له : أولو كانت هذه الشهادة غير ضرورية في النجاح ، فقال : وماذا نصنع ؟ لتكن كفاءتك ما تكون ، فهل في وسعنا أن نرشح للأستاذية في الجامعة ، من ليست عنده الشهادات التي ينتظم بها الطلاب في تلك الجامعة ؟ أهـ ص ٦٠٤ .

(٢) الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ٢٥ .

* إن الإنسان إذا سار على اليقين يصعب على نفسه أن يكون دائماً مستنبطاً عن حالات الناس بالذات، لأن هذا سر من أسرار خلق الله ، لا يطلع على صدورهم إلا هو جل شأنه، ولكن أحياناً يكون « العربون » بداية البيعة ، فقد ينفذ وقد لا ينفذ ، فالاستنباط من فحوى الإشارة والدلالات لا بأس إذا كان على غير بني آدم ، أما على بني آدم فهو =

كتاباته عن العظماء ، انطلاقاً من تعويض النقص الذي حصل له ، ، فهذا التعويض وهذا الحماس أدَّيا به إلى ذلك أمام أصحاب الشهادات الذين تيسر لهم ما أرادوا ، ولكنهم مع ذلك لم يُعْطُوا عطاءه للعلم والأدب ، فهو نفسه لا شهادات له ، لكن مع ذلك يقوم بمنح الشهادات إلى كبار العباقرة والمفكرين والقواد والشخصيات ، فهو ببحوثه هذه يتشبه بمن يقدمون البحوث إلى الجامعات لنيل الشهادات [١] ، ومع هذا أو ذاك ، فالعقاد موسوعة ولا شك حتى وصف بأنه كان (يرى العالم كله من خلال مكتبته)[٢] ، وقبل أن نشرع في تعداد كتبه ينبغي لنا أن نعلم أنه لا يكفي أن يكون الرجل مثقفاً يخزن معلومات في ذاكرته يظهرها وقت حاجته إلى ذلك .... وإن كان هذا حسناً .... لكن أحسن منه أن يضم إلى هذا الإيمان والعمل والانتماء لهذا الدين سلوكاً ودعوة حتى يزداد قوة إلى قوته ونوراً إلى نوره ، فالمعرفة علم ، لكن العمل بالعلم هو النور [٣].

ولو أن العقاد فَرَّغ جهده للإسلام والدعوة إليه لكان خيراً له وأقوم وأهدى سبيلاً ، ولكن حسبه أنه شارك القوم دفاعاً عن الدين ، ولْيُعْلَمْ أن من دافع عن شئ فكأنما يثبت عليه من حيث لا يشعر ما رماه به أعداؤه * ، وبعد : فالعقاد مَهَرَ في الكتابة

= رجم بالغيب ، وبنو آدم نحتاج في الحكم عليهم أمراً بواحاً(واسعاً) مع توافر الأسباب وانتفاء الموانع بل لابد من علمه بذلك . والله خير وأبقى .

(١) انظر د/ نعمات أحمد فؤاد ، مصدر سابق ص ٦٧ ، حيث نقلته عن تلميذه عبد الفتاح ديدي ، ومع ذلك تميل أن هذا ليس صحيحاً ، لكن التلميذ أقرب إليه منها . لأنه يحدث بدون واسطة وعايشه وخبره بينما هي تدافع انطلاقاً من العاطفة .... ، انظر د/ السكوت ٢٦/١ - ٢٧ .

(٢) الجبلاوي ، مصدر سابق ، ص١١٤ ، له مقال بعنوان « طفت العالم من مكاني » المصور ١٩ / ٨ / ١٩٤٩م انظر د/ السكوت ، ٢ / ٦٣١ . وانظر « أنا » ص ١٧٦ الفصل السابع : « طفت العالم من مكاني »

(٣) استفدته من السيد أبي فهر محمود شاكر ص ٦٨ ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا .

* قلته اجتهاداً ، لأننا في هذه الأيام بحاجة ماسة إلى بيان عيوب الغرب الكافر ، ولسنا بحاجة إلى دفع أخبارهم عن دين الله .

وظهر شطؤه ، مما كان سبباً في شهرته * - رحمه الله - حيث بلغت مقالاته (٥٨٧٣) ثلاثاً وسبعين وثمانمائة وخمس آلاف مقالة ** . شَرَّقَ فيها وغرَّب ، حيث خلط بين خنزير ومنخنقة وميتة وحلال مذكى ، هل يستوون ؟ .

فتراه يكتب عن كلبه (بيجو) ، ١٨/ ١٠/ ١٩٣٧م ، الرسالة ، وتراه يكتب عن : الجماعات الضارة (عن الجمعيات الدينية المريبة) وأين يكتب ؟ في مجلة موبوءة عليها ألف استفهام ، ألا وهي : « روز اليوسف » ١٩٤٥/٣/٢٩م [١] ».

وتراه يكتب عن (أم كلثوم) كوكب الشرق - كما زعموا - وتراه يكتب عن « ذكريات عن التمثيل في عهد الشيخ سلامة حجازي » [٢] ثم تراه يكتب هذه العناوين التالية : (فتنة إسرائيلية) (أهو إيمان مضلل ؟ ... كلا) حول غريزة الشر التي تجمع بين الإرهابيين وبين عصابة الخط ، ثم (احذروهم كلما أصلحتم) ثم (فتنة أجنبية) *** (هذه عناصرها) (صوت حكيم من شباب كريم) زعم أن شباب الأزهر

---

* يحكي عن سبب شهرته أنه خرج ذات ليلة من ليالي رمضان هو واثنان من زملائه في الدراسة واستيقنوا أنها ليلة القدر، فتمنى كل واحد منهم أمنية ، أحدهم تمنى أن يكون قائداً في الجيش ، والثاني أن يزور بيت الله العظيم - يبدو أن هذا جرفته عاطفته نحو بلاد الوحي فهنيئاً له - والعقاد تمنى أن يكون من أشهر أهل زمانه ، ونال كل وأحد منهم أمنيته ، فهنيئاً لأمثلهم طريقة الثاني ، وأسأل الله أن يهدي مسيئ أمة محمد ﷺ، انظر هذا كله ، ص ٣٣ ، من الجبلاوي (في صحبة العقاد)

** من أعاجيب هذه المقالات أن واحدة منها تحت عنوان : أربعة من كتابنا أحق بجائزة نوبل منهم نجيب محفوظ ، ٢ / ٧٥٤ . فيا ترى على أي أساس رشحه ؟ سؤال دار في ذهني ويحتاج إلى يقين من الجواب .

(١) انظر عنوان هذين المقالين ، د/ السكوت ، ٥٥٧/١ .

(٢) انظر هذا كله ، المصدر السابق ، ٦٣٥/٢ ، ٦٣٦ ، ٦٣٨ .

*** كل هذه العناوين يقصد بها الأخوان المسلمين ، وكان يسميهم « خوان المسلمين » ، انظر ص ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٢ ، معارك العقاد السياسية ، لابن أخيه عامر العقاد ، بل إنه ص٣١٩ نسب « حسن البنا » إلى « يهود المغرب » (وأن صناعة الساعات =

يستنكر حركة الإخوان * ، وأخيراً انظر إلى هذا العنوان : (أبشروا أيها المصريون واعلموا أنكم في أمان بفضل الحماية البريطانية)[1] ... هذا مثال و(أنموذج) لما كان يكتبه الأستذ العقاد ** .

والذي يعنينا هو مؤلفاته أي كتبه التي بلغت (١٠٥) مائة وخمسة كتب ، وقد تولى التعريف بها د/ حمدي السكوت ، أستاذ الأدب الحديث بالجامعة الأمريكية ، والحائز على جائزة الملك فيصل - رحمه الله - قسم الأدب بكتابه عن العقاد ،فلو أعدنا تاريخ طباعتها وتاريخ إعادتها لكان من باب (تحصيل الحاصل) فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

=. من صناعاتهم المألوفة) هذا مبلغ شتم العقادلرجل خدم حديث رسول الله - ﷺ- الشيخ عبد الرحمن الساعاتي ، ويكفيه أنه اعتكف على (الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني) ولم يذهب هنا وهناك .

* انظر توثيق هذه العناوين من د/ السكوت ، ٢ /٦١٦ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، بل له مقال عنوانه (مثل من إفساد العقول) زعم أن منهج الإخوان المسلمين يفسد عقول الناشئة ، انظر : ٢/ ٦١٥ ، المصدر السابق ، وانظر ، معارك العقاد السياسية ، ص ٣١٩ ، أن العقاد اشتد في المقالات عندما ألقوا متفجرات في دور السينما ، فانظر بارك الله فيك كبف زعم أن منهج الدعاة إلى الله يفسد العقول ؟ أما السينما والموسيقى ، وبالذات الموسيقى فهي موسيقى الروح التي تخاطبنا من منبر الإلهام وشرفات الغيب ، وتجلس لنا مجلس المفسرين والهداة ؟ ص ٢٥٠ ، كتابه « أنا » فماذا يقول الغيور عن هذا الكلام ؟ إنه مصيبة ، آلموسيقى تفسر وتهدي وتقول ما يعجز عنه الكلام ؟

(١) انظر د/ السكوت ، ٤٦١/١ ،أليس هذا مصداقاً لقول فتحي رضوان الذي نقله عنه ابن أخ العقاد في معارك العقاد السياسية : ص ١٦٦ ، ويقول فتحي رضوان (ولكن لم يؤثر عنه طوال حياته السياسية شئ عنيف ، في حق الإنجليز واحتلالهم) ، إن هذا لشئ عجيب ، ولا غرابة فحزب الأمة الذي هو نواة الوفد ، ولد في أحضان القوة البريطانية والقوى الأوربية الإستعمارية ، انظر ص ٢٢ ، تجديد الفكر الإسلامي ، جمال سلطان ، مصدر سابق .

** انظر استقراء مقالاته من ١/ ٢٤٥ - ٢/ ٧٧١ .

وإن كان هناك من ملاحظة ، فإن العقاد طرق باب التأليف وطباعة الكتب وعمره يتراوح بين الثامنة عشرة وبين الثانية والعشرين من عمره ـ غفر الله له * ـ ، وهاهي أسماء كتبه ** :

١ ـ خلاصة اليومية . ٢ ـ الإنسان الثاني أوالمرأة . ٣ ـ الشذور.
٤ ـ مجمع الأحياء ٥ ـ الفصول . ٦ ـ مطالعات في الكتب والحياة .
٧ ـ مراجعات في الآداب والفنون . ٨ ـ الحكم المطلق في القرن العشرين .
٩ ـ ساعات بين الكتب. ١٠ ـ اليد القوية في مصر . ١١ ـ ابن الرومي حياته وشعره .
١٢ ـ تذكار جيتي . ١٣ ـ رواية قمبيز في الميزان . ١٤ ـ سعد زغلول سيرة وتحية .
١٥ ـ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي . ١٦ ـ عالم السدود والقيود .
١٧ ـ رجعة أبن العلاء . ١٨ ـ النازية والأديان السماوية . ١٩ ـ هتلر في الميزان .
٢٠ ـ عبقرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم *** . ٢١ ـ عبقرية عمر .
٢٢ ـ عبقرية الصديق ٢٣ ـ عبقرية علي بن أبي طالب .٢٤ ـ الصديقة بنت الصديق .
٢٦ ـ شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة . ٢٦ ـ عمرو بن العاص . ٢٧ ـ جميل بثينة .

---

* وبالله ما أصدق الشيخ ـ بكر بن عبد الله أبو زيد ـ حين قال .... ومن التعالم شغف المبتدئين بالتأليف والبداية مزلة، انظر التعالم وأثره على الفكر والكتاب ، ص ٦٣ ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الثانية : ١٤٠٨هـ .

** لقد رتبها د / السكوت على حسب تاريخ طباعتها من (١٩١١) إلى (١٩٧٧) .

***سئل العقاد عن هذا العنوان فقال (أنا لم أقصد بها نفي النبوة أو القول بأن النبوة عبقرية ، ولكني قصدت أننا لو تركنا الوحي والنبوة من حياة محمد (ﷺ) جانباً لوجدناه يتصف بالعبقرية التي نستطيع أن نثبت وجودها في حياته للناس جميعاً) أهـ ص٧٧ ، محمد المبارك ، مصدر سابق .

وهذا تدليس، فلولا النبوة لما ذكر محمد ـ ﷺ ـ، ولولا الإسلام لما ذكر الشيخان وعثمان وعلي رضوان الله عليهم جميعاً . انظر د/ غازي التوبة ، مصدر سابق ، ص ١٤٥ .

وانظر منه ، ص ١٦٦ حيث ذكر أن سبب تأليف العقاد للعبقريات الطعن في جدوى تنظيمات المد الإسلامي ، والتشكيك في دور العقائد والتربية في توجيه الأشخاص ، فالعظيم عظيم بفطرته ، والعبقري عبقري بنشأته ... أهـ وهذا يحتاج إلى دليل ! .

٢٨ ـ أبو الشهداء الحسين بن علي . ٢٩ ـ بلال بن رباح . ٣٠ ـ عبقرية خالد .
٣١ ـ فرنسيس بيكون ٣٢ ـ في بيتي . ٣٣ ـ هذه الشجرة (عن المرأة) .
٣٤ ـ أثر العرب في الحضارة الأوربية . ٣٥ ـ ابن سيناء . ٣٦ ـ يسألونك .
٣٧ ـ الله (جل جلاله) . ٣٨ ـ على الأثير . ٣٩ ـ الفلسفة القرآنية .
٤٠ ـ روح عظيم المهتاما غاندي . ٤١ ـ عقائد المفكرين في القرن العشرين.
٤٢ ـ برنارد شو .٤٣ ـ فلاسفة الحكم في العصر الحديث . ٤٤ ـ بين الكتب والناس .
٤٥ ـ الديمقراطية في الإسلام . ٤٦ ـ سن ياسن أبو الصين .
٤٧ ـ ضرب الإسكندرية في ١١ يوليو . ٤٨ ـ القائد الأعظم محمد علي جناح .
٤٩ ـ ابن رشيد . ٥٠ ـ أبو الأنبياء . ٥١ ـ أبو نواس . ٥٢ ـ المسيح .
٥٣ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون . ٥٤ ـ الإسلام في القرن العشرين .
٥٥ ـ عثمان بن عفان . ٥٦ ـ مطلع النور . ٥٧ ـ فلسفة الثورة في الميزان .
٥٨ ـ أفيون الشعوب . ٥٩ ـ بنجامين فرانكلين . ٦٠ ـ جحا الضاحك المضحك .
٦١ ـ الشيوعية والإنسانية . ٦٢ ـ الصهيونية العالمية . ٦٣ ـ معاوية في الميزان .
٦٤ ـ الإسلام والاستعمار . ٦٥ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه . ٦٦ ـ مطالعات .
٦٧ ـ لا شيوعية ولا استعمار . ٦٨ ـ إبليس . ٦٩ ـ شكسبير .
٧٠ ـ القرن العشرون ما كان وما سيكون . ٧١ ـ الثقافة العربية أسبق من الثقافة اليونانية والعبرية . ٧٢ ـ الكواكبي . ٧٣ ـ المرأة في القرآن .
٧٤ ـ شاعر أندلسي وجائزة عالمية . ٧٥ ـ اللغة الشاعرة . ٧٦ ـ فلسفة الغزالي .
٧٧ ـ الإنسان في القرآن الكريم . ٧٨ ـ التفكير فريضة إسلامية . ٧٩ ـ محمد عبده.
٨٠ ـ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب . ٨١ ـ رجال عرفتهم .
٨٢ ـ ما يقال عن الإسلام . ٨٣ ـ يوميات . ٨٤ ـ جوائز الأدب العالمية . ٨٥ ـ أنا .
٨٦ ـ الشطرنج . ٨٧ ـ حياة قلم . ٨٨ ـ آخر كلمات العقاد .
٨٩ ـ دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية . ٩٠ ـ ردود وحدود .
٩١ ـ الإسلام دعوة عالمية . ٩٢ ـ بحوث في اللغة والأدب . ٩٣ ـ المرأة ذلك اللغز .
٩٤ ـ الحرب العالمية الثانية . ٩٥ ـ آراء في الآداب والفنون .
٩٦ ـ الإسلام والحضارة الإنسانية . ٩٧ ـ خواطر في الفن والقصة .

٩٨ ـ دين وفن وفلسفة * . ٩٩ـ الصهيونية وفلسطين . ١٠٠ ـ عيد القلم . ١٠١ ـ مع عاهل الجزيرة . ١٠٢ ـ فنون وشجون . ١٠٣ ـ قيم ومعايير . ١٠٤ ـ مواقف وقضايا في الأدب والسياسة . ١٠٥ ـ مذاهب ذوي العاهات ** .

هذه المؤلفات مما كتبت يداه ، فلقد جعل المفسدين عظماء وسوى بينهم وبين المصلحين المؤمنين ولله در شيخ الإسلام ابن تيمية النميري حين قال (التسوية بين المؤمن والمنافق والمسلم والكافر أعظم الظلم ، وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل)[١] . وهنا لفتة مفيدة وهي أن عبقريات العقاد مهدت لقبول (ثورة يوليو تموز) التي زعموا أنها تصلح أحوال الأمة وتملأ الأرض عدلاً ونوراً، فلما وقعت عجزت الأمة عن مراقبتها أو الحيلولة دون انحرافها [٢] ، لبعد بعض أفراد الأمة عن اعتقاد الحق ، (لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه)[٣] ، فيا ترى هل هذا التخليط في تأليفات العقاد حصل لعدم اعتقاده الحق الثابت ؟

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

* كيف نجمع بينها ؟ لا إله إلا الله .

** د/ السكوت : ١/١٧٥ ـ ١٩٨ .

(١) نقض المنطق ، ص ٢٠ ، تحقيق الشيخ محمد بن عبد الرازق حمزة ، والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع . وتصحيح محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ ، بدون عدد الطباعة .

(٢) انظر جذور الانحراف في الفكر الإسلامي ، جمال سلطان ، ص١٥٠ ـ ١٥١ ، الطبعة الأولى : ١٤١٢ هـ ، مركز الدراسات الإسلامية برمنجهام . ولا ننسَ أن العقاد نال جائزة جمال عبد الناصر (١٩٦١م) عن عبقرية عمر . وبعضهم أرجعها إلى أنها دفاع عن العظمة الإنسانية ، ص ١٦٥ ، د/ التوبة ، مصدر سابق .

(٣) انظر ، نقض المنطق لابن تيمية ، ص ٨ .

المطلب السادس :

عـقـيـدتـه

من أصعب الأمورعلى النفس التصدي للحكم على الآخرين ، ولا سيما عقائدهم ، لأنها سر من أسرار خلق الله أستأثر الله بها ، حتى وإن شابه الإنسان آخرين في أقوالهم فليس بالضرورة أن يكون على منهجهم أو يرى رأيهم ، ويزيد هذا بياناً أن الجلوس مع الأشخاص لابد أن يأخذ جليسُهم شيئاً من أقوالهم أو أفعالهم ، والمرء بجليسه ، ولكن هذا لا يعني أن نصم هذا الشخص بوصمة تجعله من أولئك ، وسواء هذا أو ذاك فالحذر يقضي أن تربأ بنفسك عن مواضع الشبه ، ذلكم أزكى للنفس وأطهر ....

وبناءً عليه نجد أن جلساء العقاد من كل حدب وصوب فيهم المحسن وفيهم المسئ، وفيهم الكافر النصراني ، وفيهم الخبيث المستخبث ، فلا يعني هذا أن عقيدته خلط من هؤلاء ... ولا يعني أيضاً أنه سلم من البلبلة الفكرية ، حتى إنه سأل سؤالاً محصله [أين يذهب الناشئ في دروب هذا التيه وزواياه بين مهابطه ومراقيه][1]، فلهذا إن أي باحث يتصدى للحكم على عقيدة إنسان مسلم سواءً أكان كاتباً أم غيره لو سألته هل حكمك هذا قطعي الاستقراء أم هو تخمين ؟ وهل هذا الكاتب دعا إلى ما رأيته مشابهاً لهم إما بتقعيد أو تنظير أو أنه فقط مشابهة لأقوالهم ؟ وهل هذا الكاتب عندما وقَّعت عن رب العالمين أنه يقصد كذا وكذا دخلت قلبه واستبطنت سره أم ماذا ؟

إذن المسألة تحور ، والحور رجوع ، والأصل في الإنسان الفطرة ، ولا يجتاله عن هذه الفطرة إلا الشياطين ، و ما سوى ذلك فتصنيف الناس شيعاً وأحزاباً مما ابتلي به بعض أبناء أمة محمد ﷺ ، حيث زيَّن لهم الشيطان تَصَيُّدَ الأخطاء وإشاعتها ، دون المرور على النصيحة مكاتبة أو مجالسة ، ومن ابْتُلي بهذا المرض فقد ضاق صدره ، وكلَّف نفسه فوق طاقته ، وجعل همه مراقبة الناس حتى أصبحت عنده (حساسية) شَمِّ الأخطاء سواء كانت مقصودة أم غير مقصودة ، وهذا عاقبة أمره سوء الظن بالمسلمين ، ولو أنه اصطحب معه حسن الظن

---

(١) حياة قلم ، ص ٤٦ .

بالمسلمين [1] لكان خيراً له وأقوم وأشَدَّ تثبيتاً ، لأنه لا يملك عاقبته .

فالله وحده المسئول عن خلقه وهو بهم رحيم ولطيف يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، والله قدير ، والله غفور رحيم .

فانطلاقاً من هذه المعاني ، وجدنا أن صلة رحم العقاد تكون بالمحاكمة إلى آخر كتبه ، وأقربها صدوراً من وفاته - رحمه الله عز وجل - ولا سيما ما يسمونها بـ(الإسلاميات) أو بما كتب ترجمة لنفسه - عفا الله عنه - فانحصرت بالآتي :

١ - التفكير فريضة إسلامية (١٩٦١م) .   ٢ - محمد عبده (١٩٦٣م) .

٣ - ما يقال عن الإسلام (١٩٦٣م) .٤ - أنا (١٩٦٤ م)*.

٥ - حياة قلم (١٩٦٤م)* .

وكذلك ما صدرت بعد وفاته - رحمه الله - فانحصرت في :

١ - آخر كلمات العقاد (١٩٦٥م) .   ٢ - الإسلام دعوة عالمية (١٩٧٠م) .

فإذا تقرر هذا فقد خرجت من العقاد كلمات تشبه آراء « المدرسة العقلية » أو ما يسمى (بعصرنة الإسلام) [2] ، وخلاصة مذهبهم كالآتي :

---

(١) آنظر الفتح : ١/١٣٨ وفيها ، تحسين الظن بعلماء المسلمين والشفقة على عامتهم وانظر ترجمة أبو دجانة : ١ / ٢٤٣ من السير وأن قلبه كان سليماً للمسلمين .

* وهذان هما المعَّول عليهما .

(٢) هناك كتب تكلمت عن هذه المدرسة منها :

١ - دراسات في السيرة النبوية ، محمد سرور بن نايف زين العابدين ، دار الأرقم ، برمنجهام ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ، فصل : نقد منهج الإصلاحيين ، مصدر سابق.

٢ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، د / فهد بن عبد الرحمن الرومي ، مصدر سابق .. تحت عنوان : نشأة المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة .

٣ - العصريون معتزلة اليوم ، للأستاذ يوسف كمال ، مصدر سابق .

٤ - تجديد الفكر الإسلامي ، للأستاذ جمال سلطان ، مصدر سابق .

٥ - العقلانية هداية أم غواية ، للأستاذ عبد السلام بسيوني ، مصدر سابق .

٦ - جهالات عصر التنوير، محمد جلال كشك ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، =

١ ـ الدعوة إلى التسامح الديني وهذه خطرها أعظم ، لأن مؤداها : تنمحي معها الحدود الفاصلة بين الأديان .

٢ ـ إباحة التصوير والتماثيل والموسيقى .

٣ ـ الإكثار من الدعوة إلى الحرية الفكرية ، وما يسمى [بحرية البحث] .

٤ ـ لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة .

٥ ـ الموازين الدينية توزن بالتعاليم الغربية وموزاينه [تأويل العقائد الإسلامية وتنقيحها] أي إن ذلك يعني : إخضاع النصوص للنقد والتعديل والتنقيح والتهذيب ، أي ابتداع تفسير جديد للإسلام ولنصوصه يخضع للفكر الغربي وهو ما يسمى بـ(تعقيل النص ، أو تعقيل الحياة) وكان سبب ذلك انتشار دعوة الغرب ودعاياته التي مؤداها : [أن الإسلام دين متخلف ، لا يناسب العصر الحديث] فكان الحل هو : تقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين ، فدعوا إلى الاجتهاد الذي يعني تخطى النصوص وتأويلها ، والتوفيق بينها وبين أفكار الغرب ، وهو خلاصة آراء المعتزلة التي ترى [تقديم العقل على النقل]* فلو نزّلناها على العقاد

= الطبعة الأولى : سنة ١٤١٠هـ .

٧ ـ مفهوم تجديد الدين ، بسطامي محمد سعيد ، مصدر سابق .

٨ ـ غزو من الداخل ، أزمة الحوار الديني ، جذور الانحراف في الفكر الإسلامي ، كلها للأستاذ جمال سلطان .

٩ ـ دفاع عن أبي هريرة، عبد المنعم صالح العلي العزي ، دار القلم ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بيروت ـ بغداد ، الطبعة الثانية : ١٣٩٣هـ وهو من أنفس ما رأيت ، وغيرها من الكتب .

* راجع هذا كله في الاتجاهات الوطنية : ١/٢٦٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ـ ٣٤٦ . ٢ /٥٥٥ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ـ ٢١٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ـ ٣٠٨ ، ٣٣٤ . وانظر الإسلام في القرن العشرين ، ص ١٤٧ ، والنظر : الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٥٣ ، ١٥٥ . وانظر : العصريون معتزلة اليوم ، ص١٢ ، ومن أحسن الكتب التي ناقشت العصريين هو : الغزو من الداخل ، الأستاذ جمال سلطان ، انظر الفصل الثالث : استنارة أم تضليل ٣٤ ـ ٥٦ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة =

لرأينا أننا بحاجة معرفة كلامه المتقدم والمتأخر ، وهذا لا يأتي إلا نتيجة استقراء تام لنصوص العقاد - رحمه الله - ، والحكم على العقاد ليس منهج بحثنا أو « العقاد في ميزان الإسلام » ليس كذلك ، بل محصله : موقف العقاد من خصوم الإسلام .

ولكن نظراً أن هذا شر لا بد منه - فبناء عليه نستأنس بكلمات العقاد نفسه - رحمه الله - فتراه يقول في كتابه « أنا » وهو يتكلم عن (وحي الستين) أي وسنه في الستينات ، ما نصه : (زادت حماستي لما أعتقده من الآراء ، ونقصت حدتي في المخاصمة عليها ، لقلة المبالاة بأقناع من لا يذعن للرأي والدليل)[1] .

إن كلمة « الآراء » يصدق أن توصف بالاجتماعية ، يصدق أن توصف بالسياسية ، يصدق بأن توصف بالاعتقادية ، وهكذا فلا نستطيع الحكم عليه بأنه يقصد كذا بعينه ، فهذا من خفايا النفس التي وكلت سريرتها إلى الله عز وجل ، وهو يتولى عباده .

=. الأولى : سنة ١٤١٢هـ . وانظر أدب نجيب محفوظ، مصدر سابق ، ص ٧٧، ٩٠ ، وانظر اليقظة الإسلامية ، لأنور الجندي ، ص ١٩٨ ، وانظر واقعنا المعاصر ، ٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣١٢ . انظر محمد المبارك ، مصدر سابق ، ١٥ ، ١٨ ، ص ٥١ ، ص ٥٧ ، ١٠٢ - ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٦٥ ، وانظر : العلمانية للشيخ سفر ، مصدر سابق ص ٥٢٦ حيث ذكر أن (محمد عبده) يستحسن الأنظمة الجمهورية النيابية ، وانظر ص ٥٢٥ حيث ذكر عن جمال الدين الأفغاني قوله (إن الأمة مصدر القوة والحكم) وانظر بعض الأمور التي يقع عليها تأويل بعض (المستنيرين العصريين) الاتجاهات الوطنية :٢ / ٣١١ . حتى إنهم ليسمون من يفتي لهوى النفوس : بسعة الأفق ومرونة التفكير .

(١) ص ٢٠٢ . الألف واللام فيها يحتمل فيها استغراق الجنس ، ويحتمل فيها « العهدية الحضورية » ساعة الكلام ، لأنه قد يسبقه بكلام فيأتي بهذا الجمع لقباً لذلك المسبوق ، فهنا يصعب حصرها في جهة معينة ، انظر معاني (أل) من الكتاب الرائع « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » لابن هشام الأنصاري ، ص٧١ ، تحقيق : د/مازن المبارك ، و : محمد علي حمد الله ، مراجعة الأستاذ : سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، الطبعة السادسة (١٩٨٥م) .

فما دام أنها يتطرق إليها الاحتمال فمن الصعب بمكان حصرها على جزئية معينة ، ولا يفعل هذا الامن ابتلي بتصيد أخطاء المسلمين ، لماذا ؟ لأنه قد صَرَّح في كتاب (حياة قلم) أن آراءه التي جاءت في خلاصة اليومية)* من الدعوة إلى تحرير المرأة، وتعددالزوجات ، والاختلاط وما يشبهها كانت ولادة (فكرة يائسة من الحياة)[١] بل إنه ينص على أن الشك والبلبلة الفكرية التي عرته كانت (دفعة من دفعات الفكر ، لم يبق لها في نفسي سند سليم ، ولا مسوِّغ مقبول)[٢] ثم يقول (وما من مذهب اطلعت عليه من مذاهب الماديين إلا وهو يوقع العقل في تناقض لا ينتهي إلى توفيق ، أو يلجئه إلى زعم لا يقوم عليه دليل .... فالقول بالتطور في عالم لا أول له خرافة تعرض عنها العقول .... والقول بأن المادة تخلق العقل كالقول بأن الحجر يخلق البيت ، وأن البيت يخلق الساكن فيه ... والقول بالارتقاء الدائم من طريق المصادفة زعم يهون معه التصديق بالخرافات ....)[٣] .

ثم تراه يقول (أومن بالله وراثة وشعوراً وبعد تفكير طويل ...فللوراثة شأن فيما عندي من سليقة الإعتقاد . ... أما الإيمان بالله بعد تفكير طويل فخلاصته : أن تفسير الخليقة بمشيئة الخالق العالم المريد أوضح من كل تفسير يقول به الماديون)[٤] .

ويقول (إن أحداً من الناس لم يسلم من عيوبي وخطاياي ، فهل في وسعهم جميعاً أن يدعوا مساواتي في جميع فضائلي ومزاياي ؟)[٥] .

ويقول (إن الإنسان يعرف نفسه بالتخمين لا بالتحقيق ، وإنه كثيراً ما يكون في تخمينه عنها غريباً يبحث عن سر غريب ، ولا فرق في هذا بين البحث عن أعمالنا والبحث عن أعمال غيرنا إلا في الدرجة والمقدار)[٦]فعندها نوقن أن الذي يقترف عملاً

---

* دفتر صغير يدون فيه الخواطر والتعليقات ، ص ١٢٠ ، حياة قلم .

(١) ص ١٢١.

(٢) حياة قلم ، ص ١٤٢.

(٣) ص ١٥٣ ، من كتاب « أنا » .

(٤) أنا ص ١٥٢.

(٥) أنا ، ص ٢١٠ .

(٦) حياة قلم ، ص ٣١ .

من الأعمال المنكرة لا يفعل ذلك إلا (بسوء النية وتعمد الإساءة)[١] ، وذلك أن الإنسان العاقل لا يقع في خطأ جسيم (عفواً أو جهلاً بالفرق بين الحسن والقبيح)[٢]، ولا يفعله إلا (رجل جرئ العقل قويه ، مفطور على المناجزة والتحدي)[٣] فعلى هذا ننظر ماذا قال رحمه الله عن صفات المولى سبحانه وتعالى * .....؟

يقول رحمه الله (إن الإحاطة بالحقيقة الإلهية شئ لا ينحصر في عقل إنسان ، ولا في دليل يتمخض عنه عقل الإنسان)[٤] ، ثم يوضحه بقوله (ومما يعلمه المسلم من كتابه أن عقل الإنسان لا يدرك من الله إلا ما يلهمه إياه لأنه تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء ﴾)[٥] ، كيف هذا ؟ إن هذا يناقضه ما جاء في « حقائق الإسلام » ما نصه (ولا تجوز في حق الخالق السرمدي حركة ولا انتقال)[٦] . هل يقصد بها كما قصد الإمام الطحاوي رحمه لله (قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، لا يفنى ولا يبيد)[٧] ولا سيما أن العقاد استدل على كلامه السابق بقوله تعالى ﴿ الحي الذي لا يموت ﴾ الفرقان آية : ٥٨ . وبقوله تعالى ﴿ كل شئ

---

(١) أنا ، ص ١١٠.

(٢) نفس المصدر و الصفحة .

(٣) حياة قلم ، ص ٢١٥ ، ولقد ذكر هذه الصفات عن طه حسين ، وتأمل معي كلمة « جرئ » تدل بجرسها ومعناها أن العقاد تمنعه من ذلك بقايا فطرة أهل الصعيد المسلمين.

* وقع التمثيل بهالظهور المخالفة فيها لأهل السنة والجماعة حيث يعتقدونها اعتقاداً جازماً من غيرتكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل على حد قوله عز وجل ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾ بل العقيدة في الله (رأس العقائد الدينية بجملتها وتفصيلها) ص ٣٢ ، حقائق الإسلام ، وأباطيل خصومه ، للعقاد .

(٤) حياة قلم ، ص ٢٤٦ .

(٥) التفكير فريضة إسلامية ، ص ١٦١ .

(٦) ص ٣٩ . وهو هنا أشعري حيث لا يُجَوِّز الأشاعرة على الله النزول والانتقال .

(٧) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٥٧ ، ٦٠ ، تحقيق بشير بن محمد عيون ، دار البيان ، دمشق ، الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـ .

هالك إلا وجهه ﴾ القصص آية : ٨٨ وهذه الآية جاء بمثيلتها الإمام الطحاوي رحمه الله وهي قوله تعالى ﴿ كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ الرحمن آية : ٢٦ - ٢٧

وأياً كان المراد ، فهل نفهم منه أنه يتأول نزول الله إلى السماء الدنيا ، ونزوله - سبحانه - يوم القيامة للقضاء بين خلقه ؟ لا نستطيع أن نثبت عليه ذلك ، وقد استدل بحياة الله عز وجل ، وإن كانت اللفظة تحتملها عند من يتصيد الأخطاء .

ولا سيما أنه قال (إن تكرار النص يمنع التأويل عند اختلافه)[1] ، ويقول رحمه الله عز وجل : (ومن قال إن العمل بالنص يعني العمل بغير فهم ، فليس هو من الإسلام في شئ)[2] ، كيف لا ؟ وهو يقول (أخبار الوحي بالأمور الغيبية على التخصيص ، وهي باتفاق الأقوال : معلومة الكلمات مجهولة الكيفيات ، وعلى الأخص فيما ينسب إلى الخالق - سبحانه وتعالى - من عمل أو كلام)[3] وهذا والله الحق صفات الله معلومة المعاني ، مجهولة الكيف ، بل أقدم كتبه وهي (الفلسفة القرآنية)[4] تطرق حول صفات الله ، وما ينبغي في ذلك ، وما يمتنع ، فقال قولاً حكيماً مباركاً ، ما نصه : (وعلة الزلل كله أن نحصر هذه الصفات * ، وهي لا تقبل الحصر ، أو نقيسها على شئ ، وهي أعلى وأكمل من كل شئ ، فأصدق الإيمان - وأصدق التفكير معاً في هذا الصدد - أن الله ليس كمثله شئ ، وأنه يدرك الأبصار، ولاتدركه الأبصار)[5] ، ولكننا لو عدنا إلى لفظةٍ جاءت في كتاب له اسمه « الإسلام والحضارة الإنسانية » ** وهي قوله (وأين يأمن الإنسان من قدرة الله ، وهو في كل مكان ، بل هو هنا أقرب إليك من حبل الوريد)[6] . هل يستطيع الإنسان أن يستنبط

---

(١) عبقرية محمد ﷺ ، ص ٧٥ .

(٢) التفكير فريضة إسلامية ، ص ١٣٣ .

(٣) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٦١ .

(٤) ص ١٧٤ ، طبعت عام (١٩٤٧م) .

* صفات الله كما تقدم من كلامه .

(٥) الفلسفة القرآنية ، ص ١١٠.

** طبع عام (١٩٧٣م) .

(٦) ص ٤٥ .

منها أنه يقصد ما قصده ملاحدة الحلولية ؟ إن اللفظ الأخير وهو قوله (أقرب إليك من حبل الوريد) يأبى هذا ، كيف ؟ وهو القائل (إن أعمال الإله ـ جل وعلا ـ تنزهت عن مشابهة الأعمال الآدمية ، وعن كل عمل محدد من أعمال المخلوقات) [١] ، فابن آدم محدود بمكان ، والله جل جلاله لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً . كيف ذاك ؟ وفرائض الإسلام غرضها الأكبر تذكير المسلم (بوجوده الروحي ، وتذكيره بوجود أسمى من وجوده وأبقى)[٢] ، ذلكم الله ربكم خالق كل شئ ، الكبير المتعال ، القائم على كل نفس بما كسبت .

وبعد فأنه من خلال هذا العرض تبين لنا ـ صفاء فطرة العقاد ـ رحمه الله عز وجل ، وهو أمر يظهر من كلامه ونصوصه ، تكلم بها وهو يعي معناها ، حيث قرر أنه (لا أحد يوجب العمل بالنص وهو لا يفهمه) بل فهمه له هوالذي جعله يصوغ كلامه على ما سبق ونقلنا عنه ، والله الموعد .

وبعد فهذا أقصى ما فهمته من كلمات العقاد ، وأنه إلى الفطرة أقرب ، وإلى الخير أنسب ، ولم يتمحض للشر ، فأن كان هناك شئ لم أطلع عليه فالبحث لم يدّع الإحاطة والاستقراء بما يتعلق بعقيدة العقاد ، فأن حصل له ما يخالف تعاليم الإسلام ، فلا غرابة ، حيث نشأ في بيئة تحكَّمَ فيها الفرنج من فرنسيس وإنجليز ، وحرفوا مسار الأمة إلى التغريب والتبعية * ، هذا جانب ، والجانب الثاني أن المنهج لدى العلماء في مصر ـ إلا ما رحم ربي ـ يغلب عليه طابع اتباع الصوفية والأشعرية ، أي إنه يندر من يعرف العقيدة السلفية ، فأذا كانت البيئة هكذا فأنه يشكر على ما بذل من جهد في الوصول إلى الحق والفطرة المستقيمة في صفات الله عز وجل ، ولا سيما أن الرجل كان يغلب عليه التأمل والتفكير ، مما جعله يستقل بنفسه ، والله وحده المسئول أن يبصرنا بالعيوب ويعيننا عليها . وإن كان هناك من كلام أختم به هذا المطلب فهو **خلاصة لحياة العقاد فيما يلي :**

---

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٦١.

(٢) حقائق الإسلام ، ص ١١٢. فهذه الجملة تنفي الحلول والإتحاد ، ولاسيما أن الإتحاد محصله انعدام الإثنينية بل هما يصيران واحداً .

* انظر في تأثير البيئة على الإنسان ، سير أعلام النبلاء للذهبي . ١٢٨/٣.

أولاً : مسائل العقيدة وظهر منها :

١ - وجود الله ، فقد كان صريحاً فيه ، وأن تفسير الحياة بخالق عليم ذي إرادة أوفق للنفس وأصوب في القول من الصدفة ، بل هو الأصل الذي تجتمع فيه قول الأديان الإلهية والنظر المصحوب بالتروي والمهلة ، والنظر المصحوب بالرغبة للوصول إلى الحق ، وأن التفكير في حقائق الوجود هو الطريق للوصول إلى الله .

٢ - مسألة التطور والإرتقاء ، مسألة لا أسخف منها ، ولا يقول بها عاقل يجزم بوجود بداية للخلق وأنها لوثة عقلية ونظرية عقيمة ، وأنها كانت نتيجة شاب ثائر [(١)] .

٣ - مسألة القاديانية * ، قد كان يرى أنهم مفكرون أحرار مستنيرون ، ولكن بعد نظر ودراسة تبين له فعلاً أنهم أتوا (بعقائد كثيرة لا يقرها الإسلام ... وليست من مقتضيات الدين في رأي الأقدمين أوالمحدثين)[(٢)] .

٤ - مسائل صفات الله وضح من كلامه أنه أقرب رشداً ، وأزكى فطرة ، ولاسيما إذا نظرنا للبيئة التي عاش فيها ، ومع هذا يشاد بموقفه حين اهتدى أن الله ﴿ ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير ﴾ فصفاته تليق بجلاله ولا تشبه صفات المخلوقين .

هذاما رأيته له ، ولم أدع الإحاطة ، ولا الاستقراء ، ولكن حسبه أنه وصل إلى هذا ، وتكلم بكلام يفهم منه مذهب أهل السنة والجماعة .

ثانياً : مسألة التوفيق بين الدين وعلوم التقدم ، كان فيها مضطرباً ، وحاصل حاله أنه يشجع خدمة التوفيق بين الدين وعلوم التقدم [(٣)] ، لكن بدون التعجل في تفسيرات القرآن على الآراء والفروض .

ثالثاً : مسالة أرائه الإجتماعية تتلخص في أن ضرر إطلاق النفس أخف من ضرر الشد

---

(١) انظر أنا ، ١٩٠ ، ١٩١.

* المذهب القادياني .

(٢) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٤٧ ، وقد كان يرى - رحمه الله - أن التاريخ يظلم الباب والقادياني إذ وصفهم بالدجل ، انظر ١٦٩، الإسلام في القرن العشرين بينما رآهم فيما بعد أنهم أتوا بتفسيرات لا يقرها جميع الفقهاء ، انظر ص ١٥٣ الإسلام دعوة عالمية .

(٣) الإسلام في القرن العشرين ، ص١٧٢ . ورأى أن مثل هذه التفسيرات : ترفع المسلمين في أنظار الأمم التي كانت تظن بهم الظنون ، ص ١٥٦ من كتابه الإسلام دعوة عالمية .

والكظم وثني العنان [١] . هذا من ناحية ، ومن ناحية الرحم الإنساني فهو يرى أن هذا أحسن من العنصريات ، أي إن العالمية أوفق للناس من التحزب وضيق الأفق [٢] وأما بالنسبة للتمثيل والموسيقى والتماثيل فهي الفنون الجميلة التي تلهم الروح ، وأن الممثل عندما يقبل الممثلة ليس حقيقة ، بل هو الفن بعينه وإتقان (دوره) ، وأن ذلك كله ترويح عن النفس [٣] ، لأنه (ليس أدل على قلة حياة من كثرة البحث فيما يجوز وفيما لا يجوز ، لأنه دليل على كثرة القيود)[٤]... فتيسير الحجاب وتخفيفه من قيوده الثقيلة ، أولى من تغليظه وتثقيله ....ويترتب على هذا أن أصطحاب الخطيبة صحبة مشروعة تغنيه عن تلك الصحبة التي تذهله عن كرامته وماله [٥].

فبناء عليه نعيد السؤال هل نتنزل عليه قاعدة (بقاء ما كان على ما كان ، واليقين لا يزول بالشك) كل هذا جاءه من النقيضين اللذين أثَّرا عليه وهو أنه كيف يجمع بين التجديد والمحافظة اللذين عايشهما في أسوان ، المحافظة في أسرته وأقربائه ، والتجديد في السائحات الأوربيات اللاتي يمشين في الشارع ، لا لباس يكسو العورة ، ولا غطاء .....فحدث عنده تضارب ، فما استطاع يجمع بينهما [٦] ، ولكنه أخبر عن

---

(١) انظر « أنا » ص ٢١٣.

(٢) انظر : القرن العشرون ، ما كان وما سيكون ، ص٤٢ ، ص٧٣ ، ص ١١١ ، ص ١٣٦ .
وانظر : التفكير فريضة ، ص ١٨٦ . وانظر : الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ١٨٢ .
وقد صرح بالعالمية بأنه يقصد بها العالمية في الأدب، فهو يدعو للإنسانية في الأدب ولا يحب ضيق الأفق في عصبية وطنية شرقية . انظر « أنا » ص ٤٤ .

(٣) انظر « أنا » ص ١٣٤ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ص ٢٥٠ .

(٤) حياة قلم ، ص ٢١١ .

(٥) انظر حياة قلم ، ص ٢٢٨ ، ولا أدري ماذا يقصد بكلمة (مشروعة) ؟ وإلا فالشرع الإسلامي يعتبر الخطيبة أجنبية حتى يعقد عليها ، فلا يجوز له الخلوة بها ولا السفر بها ، ولا الجلوس معها إلا ليلة الخطبة ومعها محرم حتى ينظر إليها مقبلة ومدبرة . ويبدو أن مشروعة أي في شرعة القوانين الغربية حتى يتمكن من معرفتها أكثر(آخر زمن ! الدنيا والله خُلْصت) ويا أمان الخائفين .

(٦) انظر « أنا » ص ٢٨ .

نفسه أنه دفعة واحدة تَمَرَّد على التقاليد الموروثة في بلاد الصعيد [١] .

هذا ما ظهر من خلال المقارنة بين كلامه المتقدم وكلامه اللاحق ، والله أعلم بما مات عليه الرجل .

وبعد : فقد يسأل سائل ، ما الفرق بين اتجاهه وعقيدته ؟ والجواب يتلخص في : أن اتجاهه قصدت به : انتماءه للأصالة أو تبعيته للتغريب ، وأما عقيدته فهي أمر باطني وسر من أسرار الصدور لا يعلمه إلا من خلقها وهو اللطيف الخبير .

فعلى هذا كان الكلام على اتجاهه أي هل ارتمى وأيد المدرسة الغربية ؟ التي خلاصة أفكارها : نقل الحضارة الغربية جملة وتفصيلاً ، بحيث لا يستثنى منها شئ .

وهل أيّد في جانب وتحفظ في جانب ؟ هل اتضحت لديه الرؤية ، فابصر أن المدرسة الغربية تعني الذوبان في حضارة أوربا الصليبية ، أم أنه بقي عنده غبش في التصور و(ضبابية) في الرؤية ؟ وهل اتجه إلى التوفيق والتأويل بين نصوص الإسلام وبين ثقافات الغرب الفكرية والتجريبية ، أم أنه وزنها بميزان ا لشرع ، وجعل القرآن والسنة الصحيحة مهيمنين على كل قول ؟ هل بقي متردداً بين ذلك ؟ هل استقل بفكرة واحدة ؟

ونتيجة جواب هذه الأسئلة تبين أن العقاد كان في بداية حياته ينتمي إلى المدرسة الغربية ، عندما انتقل إلى القاهرة ، ولكن نظراً للبيئة الدينية التي عاشها بين ظهراني أسرته في صعيد مصر ، فقد زودته بفطرة سليمة التي معها ما لبث وعاد إلى اليقظة الإسلامية ، ولكن اختلاطه في القاهرة بكل من هَبَّ ودبَّ علقت في ذهنه بعض التصورات مما كانت سبباً في عدم وضوح رؤيته الإسلامية ، وحاصل حاله أنه لم يتمحَّض للشر ...... وإن كان أحياناً تستفزه موجة التجديد فيظهر بمقالات يجمع فيها بين المسجد والدين والفلسفة والفن بجميع

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٤ ، ٣٣ .

صوره [١] .... وهذا يحصل لمن يعاشر القوم الذين ابتلوا بالاسترسال في الشهوات النفسية ..... ولكن يكفيه أنه مدح الاتجاه الإسلامي وفي مقدمة ذلك (سيد قطب) رحمه الله ، فأخذ يشيد به في مجالسه الخاصة [٢] .

وإن كان هناك من **خلاصة الخلاصة** فنظراً لخوضه في الأحزاب السياسية والأدبية فقد شتت عليه أمره ، مما ظهر آثاره في كتبه ، حيث تجدها إلى الكلام المتفرق المشتت والمقال الصحفي أقرب من الدقَّة والعمق والعلمية المبنية على أسس ونتائج * ..... والله الموعد .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) انظر كتابه : دين وفن وفلسفة ، بدون عدد الطباعة ومكان الطباعة . والعقاد - رحمه الله - أتى فيها بمقال ظاهره مدح ، ولكن عندما تقرؤه فإذا به ينقده ، مثلاً أنظر إلى مقال « القبلة على الستار ، أو وراء الستار » ظاهره يوحي بغير ما يتبادر إلى الذهن ، لكنه يرى أن القُبْلة وراء الستار وقت المسرح أو (السنما) تثير الغرائز الجنسية ، فأي حاجة بنا إلى المناظر التي تطلق عنان الغرائز وتجعلها من المألوفات ؟ ثم ينادي بأن مثل هذه الحركات يجب أن (تمتنع بحكم القانون إن لم تمتنع بحكم العرف القويم والذوق السليم) أهـ ص ٣٠٠ ، فهو يرى الفن الواقعي الذي لا يصادم الواقع في صورة من صوره ، ص ٣٠١ ، وهذا خيال فوق التصور لأن كل فن لا بد فيه من الاختلاط ونزع الحجاب وتلامس الأجساد ، وإلا فهو مثالي غير قابل للتطبيق .

(٢) انظر سيد قطب الشهيد الحي ، ص ١٠٩ ، صلاح الخالدي . وأخبره بذلك الشيخ محمد قطب .

* قلت هذا استنباطاً حيث لاحظت عليه هذا من كتبه التي رجعت إليها ، وأعمق كتاب رأيته ، هو التفكير فريضة إسلامية .

الفصل الثالث :

تعريف بالشبهات والمستشرقين

وتحته مطالب

المطلب الأول :

معنى الشبهة لغة .

المطلب الثاني :

معنى الإستشراق .

المطلب الثالث :

بداية الإشتشراق .

المطلب الرابع :

أسباب الإستشراق .

المطلب الخامس :

أهداف الإستشراق .

المطلب السادس :

مصادر المستشرقين ومنهجهم في ذلك .

المطلب الأول :

معنى الشبهة لغة :

« شبه : الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشئ .... والمشَبِّهات من الأمور: المشكلات »[1]

«واشتبه الأمر : إذا اختلط ... وجمع الشبهة ، شُبَهٌ »[2]

« والشبهة : الالتباس ، وأمور مشتبهةٌ : مشكلة يشبه بعضها بعضاً »[3]

« والشبهة بالضم : الالتباس .... وشُبِّه عليه الأمر تشبيهاً : لُبِّسَ عليه »[4]

إذن مدار الكلمة على الالتباس والاختلاط والتشابه والإشكال[5] ، ومن تأمل قولهم يجد أنها (ليست من الشبهه فضلاً عن كونها من الحجج)[6].

فالشبهة تجمع على « شُبَه » و « شبهات » والجمع الأخير أصبح شائعاً على الألسن ، وقد جاء من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ما يدل عليه ، قال ﷺ (الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ .... ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٢٤٣/٣ ، مادة « شبه » .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري :٩٢/٦ ، ٩٣ ، مادة « شبه » .

(٣) لسان العرب لابن منظور : ١٣/ ٥٠٤ ، مادة « شبه » .

(٤) ترتيب القاموس المحيط ، للطاهر الزاوي : ٢/ ٦٧٠ ، نفس المادة .

(٥) انظر مادة « شكل » من لسان ا لعرب : ٣٥٧/١١ ، « وأشكل الأمر :التبس » وهنا أمر لابد من التنبيه عليه وهو : أنه لا ينتفع بالحوار والردود إلا الذي يتطلب الحق وهو مشتبه عليه ، فإذا أوضحتْه الدلائل اتبعه ، أمَّا من جزم على الإعراض عن الحق بكل إصرار فهذا لا حيلة فيه قطعاً ، ولا ينفع معه إلا القتل ، مع العلم أن المستشرقين في افتراءاتهم مختلفون فيما بينهم ، أقوالهم يناقض بعضها بعضاً ، لأن كل واحد منهم يريد أن يدلي بدلوه في هذه الافتراءات حتى ولو هدم قول أخيه الكافر ، المهم إشاعة المفتريات أهـ انظر صفوة الآثار والمفاهيم : ٤٠٤/٢ .

(٦) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، ص٣١ ، الطبعة الثانية : ١٤٠٩ هـ ، المطابع الوطنية ، عنيزة .

الحمى) [١] وفي الجملة إذا حررنا لفظة « الشبهة » فهي تتردد بين الاختلاط والالتباس ، وهما لا يكونان إلا في لسان من اشتبهت عليه الأمور ، أما وحال المستشرقين العجمة والفدامة والعيّ وهم غرباء في لسان الشرع فلا تعد افتراءاتهم شبهات بل لا تستحق لفظة الشبهة وذلك أنهم قوم كفار ، والأخرى أنهم ضاهوا آباءهم في انحراف فطرهم (فكل من انحرفت فطرته لابد أن يتصف بصفات أسلافه المنحرفين) [٢] في الصد عن سبيل الله وبغية الفتنة في الذين آمنوا ، حتى يستبدلوا ديناً غير الإسلام يوافق مصالح الغرب ، فإن لم يكن كذلك فيريدونه أقل ضرراً على مصالحهم [٣] ، زد على ذلك أنهم مصابون بعقدة ضرورة الشك في المسلمات السائدة ، هذا إن كان صحيحاً في النصرانية المشوهة إلا أنه لا يصح إطلاقاً على الإسلام من كل وجه لحفظ أصوله وعدم اختلاف المسلمين فيها [٤] ، وخلاصة القول : إن أبحاثهم افتراءات لا

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، ١ / ١٢٦ . وأخرجه مسلم في كتاب المساقاة ، باب أخذ وترك الشبهات ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١١ / ٢٧ .

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القران العظيم ، للشيخ عبد الرحمن الدوسري ، رحمه الله ، ٢/٥٩ .

(٣) انظر : مجلة البيان ، العدد : ٣٢ ، ص ٣٥ ، صفر ، ١٤١١هـ .

(٤) المصدر السابق ، العدد : ٤١ ، ص٤٤ ، محرم ،١٤١٢هـ ، مع الأخذ في عين الإعتبار ، أن أقوالهم ليست أبحاثاً علمية تستحق النظر فيها ، بل هي مجرد أخبار وتكهنات لا أساس لها من نقل أو عقل ، وهم ينطلقون في أبحاثهم من أن الإسلام ليس له أية قداسة أو ميزة للثبات والأصالة ، فتراهم ينحرون الحقائق نحراً لا هوادة فيه تصاحبهم الجرأة والصفاقة والاستعلاء الغربي في بحوثاتهم بأن المسيحية هي الوريث الشرعي للشرق الإسلامي ، بل حارسته ، وجعلوا من بذرة التشابه في الأصول كالإيمان بالله والأخبار السابقة مناط بحوثاتهم ناسين أو متناسين حقيقة الفروق الكثيرة بين الكتاب المبارك وبين ما يسمونه بالكتب المقدسة ، انظر مجلة البيان العدد : ٣١ ، ص ٢١ ، محرم ١٤١١هـ ، وانظر : الغارة على التراث الإسلامي لجمال سلطان ص ١٢٠ ، ١٢٢ .

شبهات ، وخيالات وأوهام لا حقائق لها من الحقيقة والواقع ألفت البحث المجرد دون تمحيص .



المطلب الثاني :

معنى الاستشراق :

« الشرق عند الغرب يعني : بلدان المسلمين » [١] لأنَّ عناية المستشرقين واهتمامهم انصب وانحصر (في الشعوب الإسلامية بقطع النظر عن مكانها من الأرض وعن اللغة التي تتكلمها تلك الشعوب)[٢] ، أو هو « دارس اللغة العربية أساساً » [٣]

فالاستشراق كلمة تطلق عرفاً على حركة ثقافية ودراسات يقوم بها غربيون كافرون - من أهل الكتاب بوجه خاص [٤]- تولي إهتماتهم بالإسلام والمسلمين ، من شتى الجوانب ، عقيدة ، وشريعة ، وثقافة ، ولغة ، وحضارة ، وتاريخاً ، ونظماً ، وثروات، وإمكانيات أي العناية بجميع أمور الإسلام وأهله بغية تقريبهم من الفكر الغربي وتفتيت الوحدة الإسلامية ، فهي دراسات موجهة لمعرفة خصائص الشعوب الإسلامية ، ومعرفة أمثل الطرق في التعامل معها لخدمة المصالح الاستعمارية فهو العلم في خدمة السياسة والاستعمار [٥].

---

(١) دراسات في السيرة النبوية ، محمد سرور بن نايف زين العابدين : ١٢١ .

(٢) الإسلام والمستشرقون ، تأليف نخبة من العلماء المسلمين : ص ١٢٥ .

(٣) مجلة الفيصل ، ص ١٠٧ ، العدد : ٢٠٤ ، جمادي الآخرة ، سنة ١٤١٤هـ ، تصدر عن دار الفيصل الثقافية ، وهذه الكلمة « الإنسان المستشرق » للمستشرق دانيال ريق ، الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا ، وبجامعة السربون قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

(٤) انظر مقالاً للأستاذ محمود شاكر في مجلة الرسالة ، القاهرة ، عدد :٣٥١ ، السنة ٨، (مارس ١٩٤٠م) ص ٥٤٠ ، وقد قسمهم إلى فئات ثلاث : فئة المتعصبين الذين تعلموا العربية في الكنائس لخدمة التبشير ، وهم الأصل ، وفئة تخدم السياسة الاستعمارية،وفئة العلماء الذين يُظَنُّ أنهم تجردوا من الغرضين جميعاً، فالأولى والثانية أقوالهم جانحة إلى غرض ولا يعتمدها إلا مفتون جاهل ، وأما الثالثة فمن غير الممكن فيما يظن أن يتجرد هؤلاء عن الغرض الذي يدب من وراء الكلام إهـ ملخصاً .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٢٥ ، وانظر شبهات التغريب لأنور الجندي : ص ٩٥ وانظر : الإسلام والحضارة الغربية : للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله ، ص ١١٤ . =

أي إن الإستشراق هو (إهتمام الغرب المسيحي * بالإسلام والمسلمين وتشكيكهم في دينهم ـ أي المسلمين ـ من أجل إبعادهم عن دينهم ومن أجل المحافظة على البقية الباقية من أتباعهم ـ أي أتباع المستشرقين ـ حمايةً للعقل الأوربي من أن يتأثر بالإسلام ، وذلك بأثارة الشكوك والشبهات على دين الإسلام ، حفاظاً على الحضارة المسيحية وإقامتها في وجه الإسلام)[1] فالإستشراق اليد الكبرى (للإستعمار) ** « والتبشير » (هذه الثلاثة إخوة أعيان لأب واحد وأم واحدة)[2].

وخلاصة الكلام : الإستشراق (جزء من الحروب الصليبية الحديثة التي أخذت صيغة جديدة ، بأن صارت حرباً فكرية بدلاً من الحرب العسكرية)[3].

=. وانظر رؤية إسلامية للاستشراق : د/ أحمد عبد الحميد غراب ، ص ٧ .

* يقول الدكتور عمر فروخ « يجب التفريق بين النصرانية والمسيحية ...أما المسيحية فهي مجموع التعاليم التي وضعها بولس (ت ٦٧) والتي بنيت على التثليث الهندي ثم نسبت إلى « المسيح » الذي جعل إلهاً » ص ١٢٥ ، الإسلام والمستشرقون مصدر سابق .

يقول شارل جينيير « إن الديانة التي أنشأها الغربيون ـ باجتهادهم الخاص ـ كانت ديانة مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية ....

وخلاصة : أن الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام . أهـ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ . من كتاب المسيحية نشأتها وتطورها . ترجمة : د/ عبد الحليم بن محمود .

(١) انظر الإسلام والمستشرقون ، مصدر سابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، وانظر : المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها ، د/ عابد السفياني ، ص ١ ، ٣ ، وانظر رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، محمودشاكر ص ٦١. وانظر النصرانية في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، لمحمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود ، ص ١٦٥ .

** استعملت هذا المصطلح كما هو مستعمل الآن ، وهو يعني احتلال الجيوش الغربية الأجنبية لبلد ما مستضعفة ، وأطلقوا عليه هذا المصطلح إيهاماً بأنهم جاءوا ليعمروا وفي الحقيقة هم جاءوا ليخربوا ، قريباً منها التبشير والأولى أن يقال عنه « التنصير ».

(٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مصدر سابق ، ص ٥٠ .

(٣) الإستشراق والمستشرقون وجهة نظر : د/ عدنان محمد وزان . ص ١٩ .

وما عملوا ذلك وتواصوا به إلا عن حقد ملتهب وغيظ مستعر للشرق وأهله فبدت البغضاء من أفواههم ، وتنفسوا بكلام كله بغضاء وكراهية ، وذلك مثل قولهم عن الشرق (أنه مباءة السوء ، فلا يخرج منه شئ حسن ، ولا يأتي منه خير)[1] ، ونسوا أنهم يدينون بدين جاء من الشرق .



(١) إبراهيم أبو الأنبياء ، للعقاد : ص ١٨٦ ، وانظر صفوة الآثار والمفاهيم : ٢/٤٠٤ .

المطلب الثالث :

بـدايـة الإسـتـشـراق :

إن إنكار رسالة رسول الله ـ ﷺ ـ وتكذيبه ، وإثارة الشبهات حول الإسلام ، وحول القرآن الكريم موقفُ كل كافر بالإسلام ، منذ ظهور الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فليس غريباً من هؤلاء المستشرقين إثارة شبههم لتشكيك المسلمين في دينهم ، ومحاولة ردهم عنه [١]، مع الأخذ بعين الاعتبار أنهم عندما يكتبون عن الإسلام ونبيه وكتابه وقادته دائماً يقعون في خطأ (وهو أنهم يكتبون عن قصص لأشخاص تعودوهم في تاريخهم) [٢] ، وهذا حال عامة بلاد أوروبا الذين بدأت دراساتهم تهتم بالإسلام وأهله ، فلذلك لا غرابة أن نرى اهتمامهم بالإسلام (بدأ مبكراً ، منذ أن اتصل الأوربيون بالمسلمين في الأندلس ، واطلعوا على تقدم المسلمين، فرأوا أن ينقلوا علوم المسلمين إلى لغاتهم)[٣] ، وهم لم يفعلوا ذلك طلباً للعلم ، أو نقل العلم للعلم ، وإنما كان ذلك : (من باب : اعرف عدوك) [٤] ، ولقد كان اتصال

---

(١) انظر : رؤية إسلامية للإستشراق ، مصدر سابق : ص ١١ .
وانظر صفوة الآثار والمفاهيم ، مصدر سابق ، ٢ / ٤٠٢ ، حيث بين رحمه الله رحمة واسعة أن الفتنة اشتدت بشبهات المستشرقين لأنهم ادعوا البحث العلمي (ومن كان كذلك فأن عامة الناس تتقبل كلامه ، ولو نطق بالمحال ، لأن الثقة بمظهره تعمي الناس عن تمحيص خبره ، فهو في حاله الظاهرة شُبْهَةٌ إذا أنكر ، وحجة إذا اعترف ، لأن جماهير الناس قد اعتادوا تقليد مثله ، وتصديقه بدون بحث عن الدليل) أهـ نقل هذا الكلام النفيس من المصدر المذكور لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله المتوفى سنة ١٣٩٩ هـ نور الله عليه قبره ووسعه عليه .

(٢) الحركة الفكرية ضد الإسلام ، د/بركات دويدار ، ص٣٧ ، الطبعة الثانية : (١٩٨٠م) دار التراث العربي ، القاهرة .

(٣) الإسلام والمستشرقون ، مصدر سابق ، ص ٢٧٥ ، وانظر ص ٤٥٧ .

(٤) المستشرقون والتراث ، د/ عبد العظيم الديب ، ص ٤٣ ، وانظر مقالاً لسعيد الأعظمي سماه « هذا هو الإستشراق فما هي عدتنا » مطبوع مع المصدر المذكور آنفاً ـ أي الإسلام والمستشرقون ـ ، ص٤٥٧ ، حيث ذكر مثل ما توصل إليه « د/عبد العظيم الديب » =

الأوربيين بالمسلمين في الأندلس محاولة بدائية وبذوراً أولى ساعدت على ظهور « الإستشراق » [١] ، ثم تبع ذلك دراسات بصورة منتظمة تمخضت عن ترجمة معاني القران الكريم إلى اللاتينية في عام ٥٣٨ هـ (١١٤٣)) [٢] ولابد أن نعلم أن الذي يترجم القرآن (إنما يترجم فهمه للقرآن ، لا القرآن نفسه في حقيقة الأمر) [٣] ، ولا ننسى « أن ترجمة القرآن كانت إبَّان الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي ، مما يثير في النفوس عدم الإطمئنان إلى فعلهم هذا ولا سيما (أن المستشرقين الأوائل يرون في عملهم أنه نوع من الجهاد والكفاح ضد الإسلام) [٤] وخاصةً كتابه الذي (له هذه القوة الخارقة في تحويل البشر إلى اتجاه واحد متسق على اختلاف الأجناس والألوان والألسنة) [٥] وهو الذي أخرج أمة وصاغ حضارة ، فظهر الإستشراق عدائياً متعصباً (مع بداية الحروب الصليبية حوالي القرن الثاني عشر) [٦] واشتد تعصبه وحقده عقيب اندحار الحملات الصليبية التي تبنتها الكنيسة ، فلما لم تفلح حملاتها تولت كِبْر تشويه الإسلام ونبيه ﷺ [٧] وذلك أنها (خشيت أثر الإسلام في نفوس أهل أوربا بعد عودة بقايا الحملات الصليبية الذين عادوا يحملون إلى الغرب صورة رائعة عن سماحة الإسلام والمسلمين) [٨] فمن ذلك التاريخ إلى أيامنا هذه لا تزال بحوثات

=. أن ذلك كان لـ « دك صرح الإسلام الديني » .

(١) انظر : الإستشراق والمستشرقون وجهة نظر ، مصدر سابق ، ص ٢٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مصدر سابق : ٣١٣/٢ .

(٤) الإستشراق والمستشرقون وجهة نظر ، مصدر سابق ، ص ٢٦ .

(٥) أباطيل وأسمار ، محمود شاكر ، حفظه الله ، ص ١٥٨ ، وانظر : الدين في موقف الدفاع ، فتحي عثمان ، ص ١٦٥ ، الناشر مكتبة وهبة . بدون عدد ولا طباعة .

(٦) الإسلام في القرن العشرين ، مصدر سابق ، ص ٦٠ .

(٧) انظر : د/ زقزوق ، الإسلام في تصورات الغرب ، ص ١٣٠ ، حيث ذكر أن اهتمام المستشرقين بالكتابة عن الرسول ﷺ بدأت من القرن السابع عشر الميلادي .

(٨) الإسلام في وجه التغريب لأنورالجندي ، ص ٢٨٥ . وانظر : أساليب الغزو الفكري ، د / علي جريشة وزميله ، ص ١٨ ، ١٩. وانظر التبشير والإستشراق ، محمد عزة =

المستشرقين لها (أكبر الأثر في صياغة التصورات الغربية عن الإسلام ، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة)[١] وبلغ الإستشراق (عنفوانه أواخر القرن التاسع عشر حين كان المسلمون أيامها يعانون من الإفلاس الحضاري ، والخواء الروحي ، وفقدان الذات ، مما جعل الفرصة سانحة لأولئك الأحبار والرهبان وجنود الصليبيية الموتورين كي يثأروا لهزائمهم الماضية ، وينفثوا أحقادهم الدفينة)[٢] وما حملهم على إثارة الشبهات إلا (تشجيع حكوماتهم ، ووفرة المصادر بين أيديهم واختصاص كل واحد منهم بفن .... يفرغ له جهده في حياته كلها)[٣] وشاهده (أنه في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهرت الحاجة إلى إيجاد مؤسسات علمية تستجيب لسياسة الدولة الفرنسية نفسها ، التي بدأت تخطط لإيجاد موطئ قدم لها في بلاد الشرق ، فتأسست مدرسة اللغات الشرقية (١٧٩٥م))[٤] فتداعى الغرب يهوديه ونصرانيه على الإسلام وركزوا سهامهم ونَبْلَهُم على القرآن والسنة مصدر عزة المسلمين وأسِّهِم وأساسهم .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

= الطهطاوي ، ص ٤٥ .

(١) الإسلام في تصورات الغرب ، د/ زقزوق ، ص ٧ .

(٢) مستشرقون سياسيون ، جامعيون ، مجمعيون ، نذير حمدان ، ص ٤ ، وانظر العلمانية د/ سفر الحوالي ص ٥٤٣ ، وانظر د/ زقزوق ، ص ١٣٠ .

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، د/مصطفى السباعي ، رحمه الله ،ص ١٨٩ ، لعلَّ السباعي رحمه الله يعني أن كل واحد خصص وقصر نفسه على جمع نصوص كثيرة في موضوع واحد من كتب شتى حتى يعينهم على جمع أكبر عدد من الإفتراءات الخليطة من الشذوذ والغريب ، انظر مقالاً لمحمود شاكر في مجلة الرسالة ، القاهرة ، سنة : ٨ ، عدد : ٣٥١ ، (مارس ١٩٤٠م) ص ٥٤٠ .

(٤) دانيال ريق ، مصدر سابق ، ص ١٠ . وهذا يؤكد لنا من كلام هذا المستسرق نفسه على صليبية حملة نابليون حيث دهم مصر (١٧٩٨) ثلاث سنوات مدة تأهب ورجوع المستشرقين بالأخبار ، فله الأمر من قبل ومن بعد .

المطلب الرابع :

أســبـاب الإســتـشــراق :

قبل أن نتكلم عن أهدافهم ، لابد من النظر في بعض أسباب إلقاء الشبهات فأقول والله حسبي ونعم الوكيل :

١ ـ إنه من ا لمعلوم ديناً أن (الأصول العامة لدين الله في العقيدة واحدة ، ولذلك فلا عجب أن تلتقي فيه الأديان كلها ، وإن اختلفت في الشرائع والنظم ، ومن هنا يثير المستشرقون الشبهات : شبهات مصدرها هذا الإلتقاء في الأصول ، وإن تبين بَعْدُ أنَّ وجه المقارنة مفقود ، من حيث إن القرآن كتاب سماوي ، ما يزال محفوظاً بنصه الرباني ، بينما غيره من الكتب قد أصابها التحريف)[١] ، فلما نظروا إلى الإسلام وقَدْره واحتفاظه بأصله لم يستطيعوا تحريفه وإنما جاءوا إليه من موافقته للكتب السماوية السابقة في أُصول الإيمان ، فظنوا ظناً واهياً أن الإسلام أخذ مما قبله [٢].

٢ ـ ومن الأسباب : الحقد والحسد والضغينة ، وهي أسباب ذاتية ، عادةً ما تدفع الإنسان إلى الظلم والتعسف ، وعدم الإنصاف بقصد قهر الطرف المعادي والإستعلاء عليه)[٣] .

٣ ـ النية المبَيَّتة والظن السوء بأن الإسلام (دين يهدد مصالح الإنسان ، هذا أمر عقائدي ساد الغرب والعقول الغربية) [٤] وهذا (أمر دخله الغرض ، وخطأ عن عَمْد ، وهوى بغير دليل ، ووهم كاذب وضلال عن الصواب لا أثر له غير تشويه الواقع) [٥]

---

(١) الإسلام والمستشرقون ، مصدر سابق ، ص١٩١ ـ ١٩٢ . وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية النميري ، ١/٨١ ـ ٨٣ حيث قال رحمه الله (الإسلام هو دين الأنبياء وأتباعهم ..... وهو عبادة الله وحده لا شريك له ...... أي دين الأنبياء واحد : هو الإسلام) أهـ مع تصرف يسير .

(٢) ما يقال عن الإسلام : ص ١٥ .

(٣) الإستشراق والمستشرقون وجهة نظر ، مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٥) انظر : بين الكتب والناس ، للعقاد ، ص ٤٠٥ ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ص ٤٠٨ .

(ولكن المستشرقين يختلفون فيما بينهم في تصوير آرائهم ، وفي تقرير شروحهم لمبادئ الإسلام ، وأشدُّهم حدَّة وعاطفة وهوى جامحاً ، وحيدة عن أدب الكتابة ، فضلاً=

٤ ـ مجاراة الجهل والتعصب الأعمى يجعلان صاحبهما (يقذف بالفرية دون تحرج ، وقائلها يعرف قبل كل أحد أنه : كذاب أثيم) [(١)] ، بل يجعلانه يخفي الحقيقة وإن أظهر الإنصاف [(٢)] فالمستشرق يجعل هواهُ قضية مسلمة ، واختياراً متفقاً عليه [(٣)].

٥ ـ ترويج الدعايات الكاذبة باسم البحث العلمي ، مما يختلط فيه الباطل بالحق ، فعندها يصعب تمييزه [(٤)] ولَبَّسوا ذلك بادعاء الموضوعية والتحقيق العلمي والمنهج العلمي ، فاستطاعوا بذلك إلقاء الشُبَه في أوساط المسلمين من خلال مراكزهم الإستشراقية ، وقد تكون شبههم في ذاتها غير مفهومة في رؤوسهم [(٥)] ، ولكن مع ذلك ركبوا هذه الألقاب إلى (اتهام كل رواية عربية أو إسلامية بالتخريف)[(٦)] ، وهم ولا شك أولى به وألصق ، فإذا لم يكن المستشرقون هم المخرفون ، فلا ندري ماالتخريف بعد ذلك [(٧)] ؟

٦ ـ تشجيع الإستعمار وبذل جهود متكاتفة في تأييد الطاعنين على الإسلام باسم حرية الرأي ، من أجل القضاء على الروح المعنوية في البلاد الإسلامية

=. عن البعد عن الأسلوب العلمي في الدراسة والحكمة ، مستشرقو فرنسا ، ومستشرقو الكثلكة على العموم في أوربا وأمريكا) ص٦٧ ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ، د/ محمد البهي ، الطبعة السادسة (١٩٧٣م) طبعة الفيصلية ، مكة المكرمة .

(١) في ظلال القرآن : ٣٦٥٥/٦ ، وانظر الإسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) انظر : الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٦ .

(٣) انظر : القرن العشرون ، ما كان وما سيكون ، ص ٨٠ .

(٤) انظر : الإتجاهات الوطنية ، ٣١٣/٢ . وانظر : ما يقال عن الإسلام ، ص ١٦٦ .

(٥) انظر : الإستشراق والمستشرقون وجهة نظر ، مصدر سابق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ، وانظر القرن العشرون ، ص ٦٩ ، وانظر ما يقال عن الإسلام ، ص ١٨٧ .

(٦) مطلع النور ، ص ٦١ .

(٧) نفس المصدر والصفحة .

كلها [١] .

٧ ـ إخضاع الإسلام للتحديدات التي يحددونها ، والمقاييس التي يضعونها ، فأذا لم يخضع لمقاييسهم قضوا في شأنه بأنه ليس وحياً ، ولا رسالة من السماء [٢] .

٨ ـ تلقيهم لكتابات « القسس والرهبان » عن الإسلام ونبيه ﷺ ، بدون تمحيص وبحث عن الدليل بل (يتطلبون الشذوذ الغريب من النظرة الأولى) [٣] فهم لا يهمهم الرجوع إلى كتب الإسلام لانطواء أنفسهم على غرض صريح أو غرض مدفون [٤] .

٩ ـ (التعجل في النفي أو الشك بغير دليل فينقادون للخطأ طواعية على الرغم من قدرتهم على كشفه وتصحيحه لو كلفوا أنفسهم بعض الجهد)[٥] .

١٠ ـ ومن غريب ما نقله عنهم « نجيب العقيقي » أن من الأسباب أسباباً معاشية وشخصية حيث قال (ويبدو أن فريقاً من الناس دخلوا ميدان الإستشراق من باب البحث عن الرزق ، عندما ضاقت بهم ، سبل العيش المادية .... وقعدت بهم

---

(١) انظر الإتجاهات الوطنية، مصدر سابق ، ٣١٤/٢ . وانظر:الإسلام في القرن العشرين، للعقاد : ص ١٠٤ .

(٢) انظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ، د / محمد البهي ، ص ٢٤٩. وهذه الفقرة وإن كانت مشابهة للسبب الرابع إلاأنها تعني أن الحركة الإستشراقية ليست حركة واحدة ، بل هناك فروق كثيرة تميز كل واحدة منها عن الأخرى ، فهم بين ذام ومادح ، وهذا يخضع لصحو«طقس » عقولهم من الميل مع الهوى في تناول الإسلام الذي يؤدي إلى نتائج واهية تجافي روح البحث العلمي الحق ، انظر : مجلة الفيصل ، ص ٥٤ ، العدد : ٩٥ ، جمادي الأولى ، سنة ١٤٠٥ هـ ، وانظر : مجلة العربي ، ص ١٢٤ ، العدد : ١٢٩ .

(٣) ما يقال عن الإسلام ، للعقاد ، ص ٩٤ ، وانظر : لمحات من حياة العقاد المجهولة ، لابن أخيه عامر العقاد : ص ٣٠٨ ، وانظر الإسلام دعوة عالمية : ص ١٤٣ ، ص ١٧٢ ، ١٨٦ .

(٤) انظر بين الكتب والناس ص ٤٩١ ، والإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ٦٩ .

(٥) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٧٢ ، ١٨٦ .

إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى) [١] . وبذلك أصبحوا مرتزقة على حساب الحقيقة وفي ذلك يقول « العقاد » (ويبدو لنا أن هذه الجماعات في الشرق إنما تطيل رسالتها لاستبقاء الإتاوات المخصصة لها في بلادها ، التي تستطيع الإنفاق عليها ، لتخدم غرضاً من أغراض دولها الكبرى ، فهم على كل حال طلّاب منفعة تجارية [٢] همهم الأكبر أن تصل النقود إلى تلك الأيدي وعلى أمانة البحث العلمي ونزاهته بعدها العفاء ، لأنهم صيَّروا أنفسهم أذناب فتنة مسخرين يهرفون بما لا يعرفون [٣]

وكل شئ يمكن أن يقال من الأسباب ولكن الأهم من ذلك كله (أن الأسباب التاريخية والسياسية معاً قد تضافرت على تحريف الإسلام وتشويه صورته من قبل هؤلاء الغربيين ، ومن ثم أدركوا أنه العدو الألد لهم ، وأنه شغلهم الشاغل فسعوا في تدبير الخطط والمكايد لحصره ، وللتضييق عليه وطرده من الحياة كلها) [٤]، ولو علموا

---

(١) بواسطة كتاب : الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ، نذير حمدان ص١١٣ . يقول عمر فروخ وصاحبه (وقد يكون ثمت دولة علمانية كفرنسة تقاوم الدين والجماعات الدينية في بلادها ثم تشجع هذه الجماعات وتساعدها في الخارج) ص ١٦٨ ، التبشير والإستعمار في البلاد العربية .

(٢) انظر الإسلام في القرن العشرين ، مصدر سابق ، ص ١١٢ . ،وانظر : الإسلام دعوة عالمية : ص ١٣٧ .

(٣) انظر الإسلام والحضارة الإنسانية : ص ٦٨ ـ ٦٩ . وانظر الفكر الإسلامي الحديث ص ٥٣٣ .

(٤) انظر الإسلام دعوة عالمية ، ص ١١٢ ، وانظر : الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

والتقت في ذلك مصلحة المستشرقين مع أهداف الإستعمار ، وقد علم تاريخاً (أن الإستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالإستعمار) أهـ ص ٥٣٣ من الفكر الإسلامي الحديث .

وبالجملة فدراسات الإستشراق في المجالات الإسلامية والعربية هي بالطبع بناءٌ دَوْلي اشترك فيه المستشرقون الغربيون من إنجليز وفرنسيين وألمان وإيطاليين وغيرهم) =

أن دين الإسلام باطل لما حشدوا خيلهم ورجلهم ، ولما جيشوا جيوشهم المادية والفكرية لحرب الإسلام ، ولكن مثلهم كمثل إخوانهم الذين كفروا من قبل حين قالوا ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين * وهم ينهون عنه وينأون عنه، وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ الأنعام : ٢٥ ـ ٢٦ .

﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يوسف : ٢١ .

فهم على كل حال يطيلون البحث بهمة وجلد في تقصي المساوي وخفايا العيوب والمثالب ، ويتعمدون التشهير والانتقاص ، يبالغون فيما يجدونه منها ، ويختلقون مالم يجدوه ، وفي نفس الوقت يسترون الحسنة بأيديهم إذا عثروا عليها ، ويحتاطون في إخفائها ، ولا يذكرونها ـ إن ذكروها ـ إلا ليجعلوها سبيلاً للمذمة ، وحجة مموهة لدعوى الإنصاف والإستقلال ، وما من شئ يُذْهِل المستشرقين عن الحقيقة غيرُ الغرض الأعوج ، فتراهم يلغطون بالأقاويل عن حذلقة وسوء نية ، ويحشرون كل ما ينقلونه عن الإسلام إلى صعيد واحد ، ولا يكتفون بالجانب الخالص ، متعللين بدعوى الحيدة واجتناب التحيز لهذا الفريق أو ذاك فجرَّهم فعلهم هذا إلى طمس الحق وأهله ، وجعلوا على أنفسهم سلطاناً مبيناً في كونهم طرَّاقاً مُسَخرين (للإستعمار) و (التبشير) ودَلّوا على الصلة الوثيقة بين سياسة الدول في الغرب وبين دراساتهم للمباحث الإسلامية التي لا تزال غرضاً من أغراضها ـ أي الدول الغربية ـ وإن تخفت هذه الدراسات وراء نقاب البحث العلمي ، فهم عندما يكتبون عن الإسلام لا يتخلون عن نظرتهم الغربية له ، فهم حين فعلوا ذلك بل لا يزالون يفعلون سقطت دعوى الحيدة التي ادعوها ، ورحم الله « العقاد » حين قال (وقد كانت لهم مكانة أكثر مما يستحقون حتى وقفنا أمامهم ، ووضعناهم في موضعهم) [1] فلا غرابة حين يكون

=. ص ٥٨١ الفكر الإسلامي الحديث ، والإستشراق اليهودي أسبابه دينية ينحصر في أن اليهودية مصدر الإسلام وكذلك خدمة الصهيونية فكرة أولاً ثم دولة ثانياً ، ص ٥٣٤ نفس المصدر .

(١) الإسلام دعوى عالمية ص ١٨٩ . والحق ينبغي أن يرجع لأهله ويقال ، فقد استفدت هذه النقولات وتصرفت فيها يسيراً من :

١ ـ الإسلام والحضارة الإنسانية : ص ١٢٢ ، ص ٨٠ . =

(الإفتراء أسهل شئ على هؤلاء الجهلاء المضُلّلين)[1] . ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون] إبراهيم : ٤٢ .

وعند الله تجتمع الخصوم ، ﴿ والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ إن الله هو السميع البصير ﴾* غافر : ٢٠ .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

=. ٢ ـ عبقرية محمد ﷺ : ص ٨ ، ص ٢٤ .

٣ ـ الإسلام دعوة عالمية : ص ١٠٧ ، ص ١٠٩ ، ص ١٣٧ .

(١) الإسلام والحضارة الإنسانية : ص ٧١ .

* ورحم الله الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ حين قال (هاهناأمر هام يصح أن يصرف فيه من الزكاة ، وهو : إعداد قوة مالية ، للدعوة إلى الله ، ولكشف الشبه عن الدين ، وهذا يدخل في الجهاد ، وهذا من أعظم سبيل الله) أهـ نيل المآرب في تهذيب شرح عمدة الطالب ، للشيخ عبد الله البسام . ١/٣٢٤.

المطلب الخامس :

أهداف الإستشراق :

إن المستشرقين خاصة والغربيين عامة أدركوا أن الإسلام هو سر قوة المسلمين ، وموطن عزتهم ، وجامع وحدتهم ، فلذلك (أقبلوا جاهدين على دراسة هذا الدين ، ومحاولة التعرف على علومه ولغته وآدابه ، حتى يمكنهم إدراك الثغرات التي يستطيعون منها مهاجمته والقضاء عليه) [١] فجندوا أنفسهم لاستخراج معلومات تاريخية ينفذون من خلالها إلى جسم الأمة الإسلامية ، فانطلقوا يصحبهم المقت الشديد لهذا الدين وأهله ، لارتضاعهم الحقد على الإسلام مع لبان أمهاتهم [٢] ، فكان أعظم أهدافهم تفتيت الوحدة الإسلامية بأثارة الفتن بين الطوائف الإسلامية ، وبتعمد تشويه التاريخ الإسلامي على أنه مشجع للعصبية والعنصرية ، لضرب المسلمين بعضهم ببعض ، فسعوا إلى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية إلى إقليمات وقوميات ، ولذلك كانوا جادين في إسقاط الخلافة الإسلامية ، باعتبارها التجسيد الحي للأمة الإسلامية، فتفرق المسلمون شيعاً وأحزاباً ، وانفرط عقدهم الذي يجمعهم ، مما كان سبباً في تثبيت الدعوات المرتبطة بالعرق ، والدم والعنصرية ، فآل أمرهم ـ أي المسلمين ـ إلى ضعف ، فأضاعوا مجداً بناه آباؤهم ، وجعلوا لعدوهم عليهم مدخلاً في حياتهم الخاصة والعامة ، فتكاثر الغرب عليهم [٣] وأججوا ناراً عسكرية وفكرية وأوضعوا خلال

---

(١) المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، د / محمد رشاد سالم ، ص ٢٦ ، وانظر : قوى الشر المتحالفة ، الإستشراق ، التبشير، الإستعمار ، وموقفها من الإسلام والمسلمين ، محمد محمد الدهان ، ص ٣٠ .

(٢) انظر ، شبهات التغريب ، أنور الجندي ، ص٩٢، وانظر ، الإسلام والمستشرقون ، مصدر سابق ، ص ٤٥٨ ، وانظرمجلة الفيصل ، العدد : ٣ ، سنة ١٣٩٧ هـ ، ص ٢٤ ، حيث ورد فيه النظر إلى الإستشراق من منظور قومي ، وهو أن الإستشراق يستهدف التمهيد للغزو الإستعماري من ناحية، وتأكيد أصالة العنصر الآري على حساب العنصر السامي من ناحية أخرى ، وهو بهذا العمل يشيع مفاهيم عنصرية لم يعد لها وجود تحت منظار العلم الحديث أهـ ملخصاً ولكنه مازال يحمل هم الصليب أمام الهلال رمز المئذنة ونداء الله أكبر .

(٣) انظر المعاصرة في إطار الأصالة ، لأنور الجندي ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٤ . =

المسلمين شبهات نتج عنها (تدمير المقومات الإسلامية ، وتمهيد الأرضية الفكرية التي تقوم عليها الحياة اللادينية في الشرق) [١]، ويمكننا أن نوجز بعض الأهداف فيما يلي :

١ ـ احتواء الإسلام داخل دائرة المفهوم الغربي ، وتفسيره بمفاهيم الثقافة الغربية .

٢ ـ يوضح الأول وهو تزييف مفهوم الإسلام الأصيل ، والقضاء على مفهومه الجامع للعلاقتين بين الله والإنسان والمجتمع [٢]، ودعوا إلى القومية ونشروها بين الأتراك والعرب ، مما جعل الفكرة تنتشر بسرعة بين المسيحيين ، وانتقلت بواسطتهم إلى المسلمين : الألبان والعرب) [٣] .

٣ ـ تلقين الشباب المسلم الإعجاب بالغرب ومدينته ، والعمل على تنصير المسلمين [٤] وإقناعهم بأن المستقبل مع المستعمر وأن لا مستقبل لهم بدونه فلابد من الرضا به [٥].

٤ ـ محاولة إقناع المسلمين بتجديد الإسلام وتطويره حتى يخضع لعامل الزمن [٦]،

=. وانظر ، جذور البلاء ، عبد الله التل رحمه الله ، ص ١٩٧ .
وانظر مقدمة الشيخ الدكتور مصطفى حلمي حفظه الله لكتاب : النكير على منكري النعمة ، ص ٢٦ . وانظر صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القران العظيم للشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله :٥٨/٢ حيث ذكر أنهم سعوا لتفتيت الوحدة الإسلامية (بشتى أنواع المكر والدجل ، وقلب الحقائق وتشويه التاريخ باختلاق المفتريات تارة ، وتجسيم الأخطاء تارة) أهـ .

(١) العلمانية ، د/ سفر الحوالي ، ص ٥٥١.

(٢) المعاصرة في إطار الأصالة ، مصدر سابق ، ص ١١٤ ، ١٢١ ، وانظر الفكر الإسلامي الحديث ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، مصدر سابق .

(٣) الحلول المستوردة ، وكيف جنت على أمتنا ، د/ يوسف القرضاوي ، ص ١٤٩، الطبعة سنة ١٣٩٧هـ ، بدون عدد الطبعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٤) جذور البلاء ، مصدر سابق ، ص ١٩٧ .

(٥) مجلة الفيصل ، مصدر سابق ، ص ١١٠.

(٦) الفكر الإسلامي الحديث ، ص ٦٤ ، مصدر سابق .

(بدعوى أن الدين يساير الحياة)[1] وبغية التوفيق بين الحياة والفكر الإسلاميين وبين مطالب الحضارة الغربية التي نفذت إليهما "[2].

٥ ـ إحياء الحركات الباطنية والزنادقة التي شكلتها ترجمة الفلسفة اليونانية بغية تفريق المسلمين ، وبغية التوفيق بين الفلسفة اليونانية ومفاهيم الإسلام وعلى أنهم مفكرون أحرار يجب العناية بهم [3] ليقتدي بهم الشباب ومن ينشدون الإصلاح على مثل طريقتهم في التجرؤ على تأويل نصوص الشرع حسب الهوى والأذواق .

٦ ـ تشجيع الدعوات التي تدعو لهدم الأخلاق الإسلامية ، وعلى رأسها ، مايسمونه بـ« تحرير المرأة » بغية (إرادة التغير الجذري الشمولي ، باقتلاع المجتمع من جذوره)[4].

٧ ـ (إيقاف البعث الإسلامي ، الذي يمكن أن يعيد العصر الذهبي للعرب والمسلمين)[5] .

٨ ـ تهوين وإذابة مفهوم الولاء والبراء في نفوس المسلمين ، ودمجهم في مايسمى

---

(١) (٢) الصحافة والأقلام المسمومة ، أنور الجندي ، ص ٢٢٦ . والمراد بمسايرة الحياة هو لي عنق نصوص الشريعة حتى يوافق الهوى والشهوات ، وانظر مجلة البيان عدد ١٧ ، ص ٣٤ .

(٣) انظر نفس المرجع : ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ . وانظر الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٤٠ .
يعلق الأستاذ سيد قطب على كلمة « المفكرين الأحرار » أنها تجعل من الذي يعادي الدين ويخرج عنه « مفكراً حراً » وتشجع على الخروج على الدين الإسلامي كما وصفت كتاب أوربا المناهضين للكنيسة أنهم أحرار ، ثم مؤدى هذه الكلمة : النظر إلى أوضاع أوربا نظرة استحسان ثمرتها الدعوة إلى الأخذ بالصالح من هذه الأفكار والأوضاع ثم قال رحمه الله والأمر في حاجة إلى استغناء بالمنهج الإسلامي ، الظلال : ١٦٣٧/٣ .
وانظر مجلة البيان : عدد ١٤ : ص ٦٥ .

(٤) المؤامرة على المرأة المسلمة تاريخ ووثائق ، ص ٧٢ ، د/ السيد فرج .

(٥) جذور العلمانية في مصر منذ البداية وحتى عام (١٩٤٨) ، د / السيد أحمد فرج ، ص ٨٨ .

بـ« العالمية ، والإنسانية » [1] وقطع العزلة الشعورية في نفوس المسلمين للأمم الجاهلية الكافرة [2].

٩ ـ نبز كل من يراجع دينه ، بالرجعية والتزمت والأصولية والتطرف [3] بغية التنفير منهم ، وبغية إيغاظ صدور الحكام عليهم لضربهم .

١٠ ـ وأخيراً إن جميع الدراسات الإستشراقية لها صلة بالصهيونية ، فهي تلقى الشبه من أجل غرس إسرائيل في قلب الوطن الإسلامي ، والحيلولة دون تجمع المسلمين والعرب في وحدة تقاوم الصهيونية ، وتواجه إسرائيل [4].

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) انظر مذاهب فكرية معاصرة ، للشيخ محمد قطب ص٥٨٩ ، وانظر : العصريون معتزلة اليوم ، مصطفى كمال ، ص ١٢٤ ، سلسلة نحو عقلية إسلامية ، رقم ١ .

(٢) انظر معنى العزلة الشعورية من كتاب معالم في الطريق ، فصل : جيل قرآني فريد ، للأستاذ سيد قطب رحمه الله ، ص ٢٠ .

(٣) انظر الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله ، ص ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، وانظر معنى الأصولية ص ١٦١ من رؤية إسلامية للإستشراق ، د/ أحمد عبد الحميد غراب ، والفصل : المستشرقون والصحوة الإسلامية جدير بالقراءة والتأمل .

(٤) انظر : الإسلام في وجه التغريب ، ص٢٦١ ، والمعاصرة في إطار الأصالة ، ص ٧٥ ، والمخططات التطورية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي ، ص ٢٦٣ ، وكلها للأستاذ أنور الجندي .

المطلب السادس :

مصادر المستشرقين وبيان منهجهم في ذلك

كان في وسع المستشرقين أن يبحثوا عن الإسلام من مصادره الأصلية المأثورة [١] لكن اتباعهم أهواءهم صرفهم عن ذلك فأخطأوا خطأً بيِّناً مع سهولة العلم بالصواب ، واستطاعتهم لذلك وهم مع ظهور عيِّهم قد دخلوا هجناء كل الهجنة في لسان الإسلام مما يعد عملاً مستشنعاً في ذاته ، لأنه اجتراء على دخول الميدان بغير حقه ، لا سيما وهم مصبوغون صبغة شديدة في اليهودية والمسيحية ، وليس هناك من تفسير لهذا الدخول إلا كونه خدمة أبناء جلدتهم وعشائرهم وأهل ملتهم [٢] ، وبالجملة هم فتية أعاجم ، أقل أحوالهم أن يكونوا في طبقة العوام الذين لا يَعْتَدُّ بأقوالهم أحد فيما يزعمونه من البحث العلمي [٣] ، فإذا تقرر هذا يمكننا أن نقول إن غالب مصادرهم المصادر الغربية التابعة للتبشير والإستعمار أو المصادر الشرقية الميسرة للغربيين التي تمد مصادر التبشير التابع للكنيسة الكاثوليكية [٤] ، أعدى أعداء الإسلام التي تقوم

---

(١) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١١٥.

(٢) لذلك ندعو خلف المستشرقين إلى إعادة كتابة تاريخ سلفهم الهالك عن الإسلام ، ولاشك أن السابق واللاحق يدخلون بأفكار مسبقة قبل أن يطلعوا على تاريخ المسلمين ، فطبقوها بشكل لا يخلو من التعسف والعنت ، فضلاً عن أنهم لم يعايشوا ما كتبوه عن الإسلام، لذلك غابت عنهم الحقيقة ، ووقفوا عند ظواهر الأشياء ، أهـ مجلة الفيصل، ع : ٣ ، سنة ١٣٩٧هـ ، ص ٢٦ .

كما ندعو مفكري الإسلام إلى مطالبة حكوماتهم بتشكيل لجنة تكون وظيفتها مراقبة وانتقاد وإعادة تقييم آثار المستشرقين سلفاً وخلفاً ، وعلى هذه اللجنة أن تشير بأعداد دراسات وأبحاث من قبل العلماء المسلمين تقف وجهاً لوجه أمام دراسات المستشرقين وأبحاثهم ، نفس المصدر السابق والعدد ص ٢٨ .

(٣) انظر رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مصدر سابق ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨، ٧٥ .

(٤) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١١١ ، ص ١١٩ ، ١٤٣ . وانظر ما يقال عن الإسلام ص ٤٤ ، وانظر : المستشرقون وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها ، مصدر سابق ، ص ٢.

على الرأي المسبق بالخصومة والخلاف والتعصب [١] ، واستغلال الثغرات الموجودة في المراجع العربية ، التي تتفق مع منهج الإستشراق [٢] المتمثل في الآتي :

١ - إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم ،.

٢ - التحكم فيما يرفضونه أو يقبلونه من النصوص [٣].

٣ - تحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً لذاته .

٤ - إساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف .

٥ - إتقان فن الشائعات وتصيُّد الأخطاء من المصادر التي ينقلون منها ، فإذا أرادوا أن يحكموا على شئ من تاريخ الحديث فتراهم ينقلون من الأدب ، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه وهكذا .

٦ - يصححون ما ينقله الضعفاء المجاهيل ، ويكذِّبون ما يرويه الثقات العدول .

٧ - جمع ما تفرق من شبهات لا عطائها صورة كاملة ، كجمعهم كتاب الردة من كتاب الإصابة [٤]، ويعزون ذلك إلى مصادر إسلامية عربية ، وفي ذلك يقول «العقاد»

---

(١) المعاصرة في إطار الأصالة ، ص ١٢٣.

(٢) انظر الفيصل ، ع : ٣ ، سنة ١٣٩٧هـ ، ص٢٨ حيث كانوا يقدمون الإسلام إلى الغرب بالصورة التي لا تشجع الغربيين على الدخول فيه .

(٣) مع العلم أنهم سرقوا واستلبوا المخطوطات النادرة من كل بلدان العالم الإسلامي ، من المتاحف والخزائن والمكتبات الوطنية ، تَمَّ هذا حين كانت البلدان الإسلامية تعيش تحت وطأة (الإستعمار) ، وقد قصدوا من وراء قرصنة هذه المخطوطات التعرف على خصائص الشعوب الإسلامية واستنباط طريقة التعامل معهم ، انظر مجلة الفيصل : ع : ١١٩، ص ٦٠ ، وانظر : مجلة العربي ، تصدر من الكويت ، ع :٤ (شهر مارس ١٩٥٩) ص ١١٨ مع تحفظي من سير اتجاه هذه المجلة .

(٤) الإسلام في وجه التغريب ، مصدر سابق ، ص ٢٧٨ .

وانظر : مجلة الفيصل ، ع :١٢ ، جمادي الثانية ، سنة ١٣٩٨ هـ ، ص ٥٧ ، لنعلم أن ترجماتهم انصبت على الآثار التي تعكس في كثير من الأحيان تخلف المسلمين الإجتماعي والفكري ، هذه الآثار التي تعتمد على الخرافات والأساطير و الخزعبلات و الصور الشنيعة المختلقة و المختلفة لإمتاع القارئ الغربي والتندر بالمسلمين ، بل =

(ولكن الاحتراس واجب على أية حال من تلك العلل التي يستند إليها بعض المستشرقين في نسبة الأخبار إلى المصادر العربية الإسلامية ، ... ولابد من التفرقة بين المصادر العربية والمصادر الإسلامية في كثير من الروايات ، فقد يكون المصدر عربياً إسرائيلياً ، لا علاقة له بتاريخ الإسلام) [١]

وغالب ما يعتمدون عليه في تصوير حياة الشرق كتاب : « الأغاني » و« ألف ليلة وليلة » و « كليلة ودمنة » و« ورباعيات الخيام » * و « مختصر تاريخ الدول » لأبي الفرج غريغوريوس ، الشهير بـ« ابن العبري (ت ١٢٨٦) » **.وكتب الباطنية، ويا ليتهم اكتفوا بذلك ، بل جمعوا أخبار العشاق وأهل المجون ، لما في ذلك من فساد الأخلاق ، وزعزعة القيم الإسلامية في النفوس ، ولكونها توافق ما تخيلوه عن الشرق وأهله [٢]... وبالجملة فمصادرهم تسير في ركاب المصالح ضاربة بالنزاهة العلمية خلف

=. يقدمون كلام « ابن العبري » على كلام أئمة المسلمين ، وكتابه «مختصر الدول » يعتبر من المصادر التي ليس بعده مصدر ، وقد عرَّف به العقاد : أنه مؤرخ قديم من الوجهة المسيحية وإمام من أئمة الكنيسة السريانية ، أبو الفرج بن هارون المتوفي سنة (١٢٨٦م) ، انظر «إبراهيم أبو الأنبياء » للعقاد رحمه الله ، ص ١٠٢ ، فإذا كان « ابن العبري » كذلك فماذا ننتظر ؟ .

(١) إبراهيم أبو الأنبياء ، ص ٤٤ .

* انظر التعريف به : الأعلام ، ٣٨/٥ . وانظر عن كتاب « الأغاني » ، كتاب « السيف اليماني في نحر الأصفهاني ، صاحب الأغاني »، للأستاذ :وليد الأعظمي ، منشورات دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ .

** انظر التعريف به من كتاب « كتب حذر منها العلماء » لمشهور ال سلمان ، ٢٣/٢ . وانظر ترجمة ابن العبري من الأعلام : ١١٧/٥ .
ويفيد « الزركلي » رحمه الله أن أول من طبع «ألف ليلة وليلة» هو المستشرق «هابِخْت (١٨٣٩م) » . انظر الأعلام : ٥ / ٢٥٧ . وانظر التعريف بـ(ألف ليلة وليلة) من « كتب حذر منها العلماء » ٥٧/٢ .

(٢) سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، أنور الجندي ، ص ١٠ ، ١١ ، وانظر : ما يقال عن الإسلام ، ص ٩ .

تصوراتهم السابقة ، فأتوا بأمثال افتتن بها الجهلاء الأغرار ، وأصاخوا السمع لها ، فَدَقَّ عليهم فهم وجه الشر والخبث فيها ، فصغت قلوبهم ، وقبلوها بغير دليل ولا احتراز لبعدهم عن الحصانة الدينية والعلم الإلهي الذي أنزله الله شفاء لما في الصدور[١] فكان حاصل ذلك تشويه الإسلام (بتشويه مصدره الأول ، وتمثيل صاحب الدعوة في صورة بعيدة عن التقديس والإحترام)[٢] ، فنكتت في قلوب (ضعاف العقول ممن ينتمي للإسلام)[٣] ، فلم يستطيعوا الفكاك منها ، وقد علم أن الهزيمة النفسية أقوى أثراً من الهزيمة الميدانية ....

وبعد : فأن هذا كله لم يكن يقوى على البقاء لولا الإستعمار الروحي والفكري الذي عني به الإستعمار في خلال القرن الماضي ، وما يزال يوليه أكبر عناية في هذه الأيام ، على غفلة من المسلمين ، ولقد قام الإستشراق يساعد الإستعمار من الوجهة العلمية ، وليمد جذوره في التربة العقلية كذلك ، كلهم أجمعوا على إقصاء الإسلام لا عن الحكم وحده ، بل عن الحياة جميعاً[٤] ولله الأمر من قبل ومن بعد .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) انظر صفوة الآثار والمفاهيم ، ٣ / ٣٥٦ ، ويقول رحمه الله (وأكثر الرواج ناشئ من الخضوع والتقليد وتعطيل العقل الذي لا يجوز تعطيله)أهـ نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢) ما يقال عن الإسلام : ص ١٦٦ .

(٣) أضواء البيان ، للشيخ الشنقيطي رحمه الله ، ٣/٠٠٤ .

(٤) انظر : معركة الإسلام والرأسمالية ، الأستاذ سيد قطب رحمه الله ، ص ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ . « وقصد من الإستعمار الروحي ، التخريب العقلي ، ومن الثانية تخريب الأرض وإفسادها ولعمر الله إن الأولى أشد من الثانية ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ البقرة : ١٩١ ومن هنا نعلم أنهم لم يفتحوا كراسي للدراسات الإسلامية في جامعات بلدانهم إعتباطاً ، وإنما الهدف منه تزييف تاريخنا الإسلامي وتشويه علومنا الإسلامية ، انظر : الفيصل ع : ٣ ، سنة ١٣٩٧ هـ ، ص ٢٨ .

الفصل الرابع :

شبهات المستشرقين حول القرآن والرسول ﷺ كما حكاها العقاد ، وجهوده في ردها وتحته مطالب :

المطلب الأول : توطئة .

المطلب الثاني : الشبهة الأولى .

المطلب الثالث : مدخل لردود العقاد على عموم الشبهات .

المطلب الرابع : ردود العقاد على الشبهة لأولى .

المطلب الخامس : تعقيب على ردوده على الشبهة الأولى .

المطلب السادس : الشبهة الثانية و ردود العقاد عليها .

المطلب السابع : الشبهة الثالثة وردود العقاد عليها .

المطلب الثامن : الشبهة الرابعة و ردود العقاد عليها .

المطلب التاسع : الشبهة الخامسة وردود العقاد عليها .

المطلب العاشر : الشبهة السادسة وردود العقاد عليها .

المطلب الحادي عشر : الشبهة السابعة وردود العقاد عليها .

المطلب الأول :

تـــوطـــئـــة* :

قبل أن نشرع في الكتابة في هذا الموضوع ، نود أن نُذكِّر بميزتين يتميز بهما الإسلام عن سائر الأديان ، وهما :

أولاهما : إن أصوله سماوية لم تمتد إليها يد التحريف .

ثانيهما : بالرُّغم من التدهور الحضاري للمسلمين ، وإهمالهم لكتابهم ، إلا أن الإسلام ظل حياً في أفئدة المسلمين ، وتظهر فعاليته وحياته في استجابة الشعوب الإسلامية ، للدعوات التجديدية ، التي يقوم بها الدعاة والعلماء المجاهدون [(١)] ، فمن ثَمَّ جَمَّع المستشرقون وألَّبوا حوله مُدَّعين وجود ثغرات افترضها تخيلهم ، وهي مع ذلك متناقضة جاءت من وسوسة و(مراهقة فكرية) لم تبلغ عشر معشار ما يتطلبه البحث العلمي من الهدوء والرزانة ولكن مع ذلك نتحداهم أن يشكوا في قطعية ثبوته وتنزهه عن الخطأ ، لأنهم قد اعترفوا (أنه وصل إلينا من غير تحريف)[(٢)] ، فلما علموا ذلك شرقوا بالإسلام ، وحسدونا على أن أصوله لم يصبها التغيير والتبديل والتحريف ، كما حصل للتوراة والإنجيل ، المسمى بالكتاب المقدس الذي تعرض للتبديل وللأنواع العادية من الفساد النسخي ، ولإدخال التصحيحات اللاهوتية على نصوصه (فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلاً بمختلف ألوان التبديل ظهرت في عدد كبير من القراءات) [(٣)] فلما استيقنوا هذا جنّدوا أنفسهم وأبحاثهم وامتطوا الجَلَد في عمل جميع الحيل التي توصلهم إلى غرضهم الأكبر : **تشويه أول مصادر الشرع في الإسلام . كتاب الله المبارك** ، فافتروا الكذب عليه حتى يضاهوا به ما عندهم من كتب

---

* قد دمجت فصل القرآن ، وفصل الرسول ﷺ . لأن الشبهات التي ألقيت على الرسول هي الشبهات التي ألقيت على القرآن .

(١) انظر : السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية ، د/مصطفى حلمي ، ص ١٥.

(٢) دائرة المعارف ، لجماعة من المستشرقين ، ٣/٤٨٤ ، مادة « أصول » .

(٣) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ، لواء : أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٥ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٧هـ وانظر منه : ص ٢٠ ، ص ٢١ .

يزعمونها مقدسة التي هي في الحقيقة صنع بشري كشفت عنه الحقائق في العقود الأخيرة [١] ، فعندها مكروا مكرهم واشتدت موجته العارمة على يدي البعثات التبشيرية (سنة ١٩٢٩م) [٢] حيث افتروا مطاعن يطعنون بها قدسية القرآن وأنه ليس وحياً يوحى ، أرادوا من ورائها (أن ينفثوا سمومهم ، ويحافظوا على البقية الباقية من أتباعهم بإثارة هذه الشكوك والشبهات على دين الإسلام) [٣] ، لإبعاد المسلمين عنه بكل الوسائل الممكنة [٤] ، ولو أنهم (بذلوا محاولات صادقة في الوقوف على أن القرآن وحي الله إلى محمد ﷺ ، وكانت نياتهم خالصة ، مع البعد عن العاطفة والهوى ، وعن كل ما من شأنه أن يضعف سلطان العقل أو يشله ، كالأمور السياسية مثلاً ، لأمكن الوصول إن شاء الله إلى المعرفة الحق) [٥] فلما لم يفعلوا ذلك حاجوا (ليس طلباً للحق بل يلتمسون الخصومة بالباطل) [٦] فقذفوا بالشبهات من مكان بعيد ، حكى بعضها الأستاذ « العقاد » رحمه الله ، فتتبعت ما حكاه فوجدت شبهاتهم لا تخرج عن : أنّ القرآنّ من صنع محمد أو أنه وليد نوبات من الصرع ، أو أنّ دينه نسخة مشوهة من اليهودية أو النصرانية ، ﴿ وذلك إفكهم وما كانوا يفترون ﴾ الأحقاف آية : ٢٨.

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) المعاصرة في إطار الأصالة ، أنور الجندي ، ص ١٨ .

(٢) انظر الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مصدر سابق ، ٢/ ٣٣١ .

(٣) النصرانية في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، إعداد/محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، ج الملك عبد العزيز ، كلية الشريعة ، مكة ، سنة ١٣٩٧هـ ، ص ١٧٢.

(٤) انظر التبشير والإستعمار في نيجيريا ، رسالة ماجستير ، ج / أم القرى فرع العقيدة ، خضر مصطفى النيجيري ، ص ٢٦ ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ،.

(٥) النصرانية في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٦٥ .

(٦) تفسير الإمام الطبري ، ٢١/ ٦٢٨ ، عند قوله تعالى ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً، بل هم قوم خصمون ﴾ الزخرف : ٥٨ .

المطلب الثاني :

الشـبـهـة الأولـى :

يقولون (إن هذا الكتاب يحتوي على ١١٤ فصلاً مختلفة ، ألّف في عهد الخلفاء ، فقد وجدت حتى في القرن التاسع أو العاشر ، نسخ من هذا الكتاب ، تختلف عن النسخة الشرعية .... ولم يستطع مؤلفو القرآن إخفاء تلك الإعتراضات ، بل اكتفوا بحذف بعض الكلمات غير المقبولة)[١] ....



(١) الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ٧١ .

المطلب الثالث :

مدخل لرد العقاد هذه الشبهات

إن هذه الدعاوى إما أن تكون (مرضاً من أمراض الجنون ، أو هوىً دفيناً يحمله على المغالطة ويعجزه عن مقاومتها ، إو خداعاً مقصوداً يعرفه العاقل بينه وبين نفسه ويصطنعه مع غيره لغشه والإحتيال عليه) [١] ، وهذه إشاعات لا تحسب من الرأي الذي يقوم عليه الدليل [٢] . بل من جزم بهذا الرأي بغير دليل قاطع فليس من الأمانة في شئ [٣] ، وهذه الإشاعات والشكوك والشبهات أوشكت أن تعصف بيقينهم أنفسهم وهم يدعون الآخرين إلى اليقين فهم أنفسهم بلا دين لتمكن الشك في قلوبهم ، فقذفوه على غيرهم [٤] .



---

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٣٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٨١ .

(٣) انظر القرن العشرون ما كان وما سيكون ، ص ٦٩ .

(٤) انظر ، ما يقال عن الإسلام ، ص ١٦٦ .

المطلب الرابع :

ردود العقاد

أولا : هاجم العقاد هؤلاء المفترين ووصفهم بأن :

الإفتراء أسهل شئ على هؤلاء الجهلاء المضللين ، وأنهم نحروا الأمانة في لبتها حين علموا الأمانة الإسلامية في نقل القرآن ، التي يمثلها حرص الصحابة الشديد في جمع آيات القرآن في مكان واحد .

فكيف يجترئون على زعمهم بأن الخلفاء ألّفوا القرآن الكريم .

ثانيا : لو كان لهم ذرة من التحقيق التاريخي الذي يزعمونه ، لما أقدموا على هذه الدعوى بغير سند من الواقع يثبتونه ، ويثبتون حجته والبينة عليه ، فأين هو هذا السند ؟

ثالثاً : أقل ما ينبغي من السند الصحيح في مثل هذه الدعوى أن يكونوا على علم باسم الخليفة الذي اشترك في التأليف المزعوم ، وعلى علم بنص الآية التي مسها التنقيح مع موجباته ودواعيه .

رابعا : على هؤلاء المتهجمين أن يبينوا الوسائل التي استطاع بها الخليفة (المؤلف) أن يخفي الأمر على قراء الكتاب المتداول في أيدي الملايين ، والمحفوظ في صدور الألوف .

خامسا : إن هؤلاء الخراصين يعلمون في قرارة أنفسهم تحرج الصحابة البالغ في إثبات كلمات الكتاب المبين ، وأخذ الحيطة في ذلك [(١)] . ويعلمون أن القرآن حفظ وكتب في حياة النبي ﷺ ، فلم يطل العهد بالمسلمين في انتظار التدوين والإتفاق على نصوص الكتاب [(٢)] .

سادساً : الإعتراضات التي ادعوها ، لا وجود لها إلا في عقول هؤلاء المتعصبين . فقذفوا بها مكابرة ، بفهم كليل ، وبصر عليل ، ونظر مدخول .

سابعا : لم يبينوا ما هي هذه الإعتراضات ، ولم يدلونا على أماكنها من هذه الفصول ، وهل يقصدون بها التناقض أم ماذا ؟ فلو كانوا جادين في دعواهم لأتوا لنا

---

(١) الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ٧١ .

(٢) الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ١٢ .

بعشر معشار ما ادعوه من الإعتراضات ، على أقل تقدير : مثال ، اثنين ، ثلاثة ، فلما لم يأتوا بشيء من ذلك علمنا أن الهوى وحظ النفس هما اللذان وراء هذه الإعتراضات التي ادعاها أهل التحقيق العلمي (١) كما زعموا .

فظهر عليهم السِّمَن أن تشبعوا بما لم يُعْطَوا ، ففضحوا أنفسهم بأظهار لكنتهم وجهلهم .

ثامنا : لو كان كما يقولون فمن الذي حفظ أصول العربية خلال ألف وأربعمائة سنة ..... إن هذا الأثر أقوى وأوضح على معجزة الكتاب المبين ، حيث أربعمائة مليون بني آدم * فرقتهم الأجناس واللغات والبقاع والأزمان وجمعتهم كلمات القرآن ، كلمات حفظت اللغة التي نزلت بها ، وليست هذه اللغة هي التي حفظتها ، ولم يتفق قط للغة من اللغات أن عاشت بكتاب واحد مدى هذه السنين .... إن هذا كله تم بعمل إله ** وقول إله ، إنه الله ، وهيهات أن يتم بجهد الإنسان بغير معونة الله عز وجل ، فلو كان كذلك لكان بوسع أي بشر أن يأتي بمثله ، ولكنه كما شهد له بعضهم *** أنه بيان وإعجاز لا يرجع إلى فصاحة اللفظ وحدها ولا إلى نسق البيان وحده ، ولكنه يرجع إلى إيحاء اللفظ وإيحاء البيان بما يعجز كل كلام « غير إلهي » عن الإيحاء بمثله .

تاسعاً : إن هؤلاء تخبطوا في قذف هذه الإتهامات كما يتخبط المصابون بالعلل العقلية ، فتارة يقولون « في عهد الخلفاء » وتارة يقولون « ولم يستطع مؤلفو القرآن

---

(١) يقول التهانوي في «كشاف اصطلاحات الفنون »

(التحقيق في عرف أهل العلم إثبات الأمر مع دليله) نقلته بواسطة : تيسير الفقه ، الجامع للاختيارات الفقهية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، د / أحمد موافي ، : ١/ ٥ ، طبعة : دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ .

فإذا كان التحقيق كذلك فهل يستحقون هذا اللقب ؟ كلا ولا كرامة .

* لعل هذا العدد كان في زمنه ـ رحمه الله ـ وإلا فاليوم قد وافوا هذا العدد ضعفين .

** لفظة ليست دقيقةً .

*** هو « فريثجوف شيون » وهو واحد ممن تخصص لشرح العقائد الشرقية والمقارنة بينها ، وممن ينقل نقلاً صحيحاً غير مشوب بالغرض وسوء الفهم ، انظر ص ١١٢ الإسلام دعوة عالمية . ولم أتمكن من تحديد جنسيته ووفاته .

إخفاء تلك الإعتراضات » فلم يقفوا على قول واحد نفهم منه أن أناساً بأعيانهم هم مؤلفوا القرآن ، وما حملهم على ذلك إلا التعصب الذميم الذي قادهم إلى المغالطة ، وسوَّل لهم أن يحجبوا الحقيقة عن أعينهم بأيديهم ، فاحتالوا لذلك بوسائل الترويج والتضليل ، راجين من وراء ذلك عرض بضاعتهم ، وتهيئة أسبابِ النَّفَاق في وسط الدهماء ، ولو كان بالإفتراء المتعمد والطمس المقصود للحقيقة مع سوء النية ، مع الاضطراب في إلقاء هذه الإفتراء .

عاشراً : لو كلفوا أنفسهم وأصاغوا سمعهم ووطنوا قلوبهم على التفكير في هذا الأسلوب العربي المأثور في القرآن الذي يعلو على كل أسلوب معروف في التلاوات الدينية لوجدوا أنه صوت قادم من السماء ، لا دخل للأرض فيه ، ولكنهم قوم عمون [1] .

الحادي عشر : يذكر « العقاد » رحمه الله أن هؤلاء المستشرقين علم عنهم بالتواتر أن ألسنتهم تعجز عن نطق بعض الأحرف العربية ، ويجهلون معاني الكلمات العربية فوقعوا في تفسيرات خاطئة لكثير من أمور اللغه والدين ، ومنها أنهم فسروا اسم ابي بكر (بابي العذراء) ومنها ما قالوه عن معني طائره في قوله تعالي ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ * أي حمامة ، ومنها أنهم تورطوا في خطأ معيب في تفسيرهم لقوله تعالى ﴿ **وترى الملائكة حافين من حول العرش** ﴾ ** فقالوا : أي بدون أحذية ، فمادام أنهم لم يفهموا مثل هذه الكلمات وهي كما يزعمون تأليف بشر فمن باب أولى أن لا يدركوا سر القرآن ولبه أنه خارج عن نطاق البشر . فهم عجزوا عن التفريق بين « حافّين » و« حاف » فمن ثَمَّ لا غرابة في عجزهم أن يفرقوا بين كلام الله وكلام

---

(١) انظر حقائق الإسلام : ص ٧٣ ،

الإسلام والحضارة الإنسانية : ص ٥٠ ،

ما يقال عن الإسلام : ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

الإسلام دعوة عالمية : ص ١١٤ .

بلال داعي السماء : ص ١٥٩ .

* الإسراء آيه :١٣ . قد درجت أن أجعل رقم الآيات وسورها إلا في مثل هذه الأحوال .

** الزمر : ٧٥ .

البشر .

الثاني عشر : أنه لو كان كلام بشر لما وقف شامخاً أمام التيارات والشبهات التي توالت عليه ، فهو دائماً مرجع تجديد حياة هذه الأمة عندما تصاب بالكوارث وسند للروح تعتمد عليه في شدائد الحياة ، وقسطاس للآداب والعادات ترجع إليه في قياس الأخلاق والأعمال ، فهو الذي جعل من أمة الإسلام قوة غالبة ، وقوة صامدة على مدار العصور واختلاف الأقوام ، وهذه مزية يعرفها المستشرقون أنفسهم لهذا الدين ، التي لم يعهدوها في أي دين آخر من الأديان الكتابية ، فلذلك جاءوا بهذا الأمر الكبَّار نتيجة حقد دفين وحسد مبطن في قلوبهم .

الثالث عشر : يذكر « العقاد » رحمه الله أن هناك مستشرقاً اسمه « روم لاندو » اعترف علانية بحيرة الغربيين في فهم بلاغة القرآن واستجلائها ، وكانت خلاصة آرائه: أن الغربيين يجهلون مناسبات النزول في القرآن وترتيب الآيات على حسب مواقعها ، وقال أي « روم لاندو » إن ذلك من أسباب حيرة القارئ الغربي عند تلاوة القرآن الكريم ، فما داموا كذلك أي من الحيرة والجهل فلماذا يقدمون على هذا الأمر بغير روية ولا تفكير ؟

يزيده بياناً **الرابع عشر** : يقول رحمه الله : إن من الزراية بالعلم أن يقوم الإتهام على غير أساس ، ومرد ذلك العجلة في الإعتماد على غرائب الأخبار وشواذها * وليت الأمر وقف عند ذلك ، بل رددوا هذه الأخبار دون أسانيد يستندون عليها ، فظنوها صدقاً وهي محض الكذب والإفتراء ، فعمدتهم الهوى لا الدليل .

---

* وصدق رحمه الله فإنهم يعتمدون الكتب التي تهاجم الإسلام وأهله ، مثل :

١ ـ « مختصرتاريخ الدول » لأبي الفرج غريغوريوس يوحنا ، الشهير بـ« ابن العبري » (ت ١٢٨٦م) ونقلوا عنه في مادة « إنجيل » .

٢ ـ الأغاني » للأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) .

٣ ـ ألف ليلة وليلة .

٤ ـ رسائل إخوان الصفا ، انظر : كتب حذر منها العلماء ، لمشهور بن حسن آل سلمان ، تقديم الشيخ : بكر أبو زيد ، ١ / ٧٣ ، ٢٣/٢ ـ ٣٠ . ، دار الصميعي ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٥هـ .

الخامس عشر : إن هؤلاء المستشرقين لو تركوا الهوى والتعصب لعلموا أن له - أي القرآن - جذوراً في الروح لا يمكن للشك فيه أن يجتثها ، حيث تستمد هذه الجذور من خلود هذه الرسالة التي جاء بها هذا الكتاب ، وما فيه من هدى ونور وصلاح وإصلاح للبشرية جميعاً في إسعاد الفرد والجماعة .

السادس عشر :يوضحه وهو لو كان بشرياً فبماذا يفسرون لنا وقع تأثيره في النفوس وتأثرها به عند تلاوته واستجابتها له ، وبماذا يفسرون لنا الأصول الشرعية وقواعد الحكم وتدبير الشئون العامة والخاصة التي جاء بها هذا الكتاب ؟ هل في إمكان البشر الإحاطة بما يحتاجه الناس ، فكيف وقد أحاط هذا الكتاب بكل ما يحتاجه الناس بل خاطب الإنسان روحاً وجسداً وعقلاً وضميراً *، فهو دين الإنسانية كلها ودين بني البشر جميعاً من كل جنس ، والقرآن الكريم يقول ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾ ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً، الذي له ملك السموات والأرض، لا إله إلا هو يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ فلو كان بشرياً فلماذا لا يفضل أحداً على آخر بل هو يخبر أنه لا فضل لأحد منهم على الآخر بغير عمله وخلقه ، يقول القرآن [1] : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير** ﴾ ** فلو كان بشرياً لكانت عصبيته ظاهرة ، وقوميته ناتئة برأسها في كل توجيهاتها ، لكنه على النقيض من ذلك ، فليفسروا لنا هذا على أي شئ يدل ؟ لأن البشر مهما حاولوا إخفاء عيب لابد أن يظهر على فلتات ألسنتهم ولو مرة واحدة ، فلما لم يحصل ذلك دل

---

* الضمير : السر وداخل الخاطر ، انظر لسان العرب ، مادة « ضمر » .

(١) هذه اللفظة يكثر منها « العقاد » فلا أدري لماذا لا يقول : يقول الله ، إن هذا منهج فيما أحسبه تقليداً عربي النشأة ، ولقد وقفت أمامها كثيراً متردداً ، فحسبي أني أوردها خاطرة وبحثاً لا نتيجة مسلمة ، فعلى كل معتز بدينه أن يقول : قال الله و لا حرج . انظر العلمانية ، د/ سفر الحوالي ص ٥٥٠ أن هذا من فعل المستشرقين .

** لم يذكر رقم الآيات أصلاً : سبأ آية : ٢٨ ، والثانية في الأعراف آية : ١٥٨ ، والثالثة في الحجرات آية : ١٣ .

بمنطوقه على تهافت نسبة هذا الكلام إلى الأرض .

السابع عشر : إن أصحاب هذا الإفتراء يتقبلون أن تكون رائحة الشواء سروراً للإله، ويتقبلون أمثال ذلك من أوصاف الكتب التي يتلونها على الناس ، ويقدسونها صباحاً مساءً ويدافعون أنها كلمة الله ، فَمَنْ أولى بكلمة الله هذا أم الذي جاء بأسمى عقيدة في الإله الواحد الأحد ، فلا يهبط دين وعقيدته في الإله عالية ، ولا يعلو دين وعقيدته في الإله هابطة ليست مما يناسب صفات الموجود الأول [١] الذي تتبعه جميع الموجودات .

فأذا كان ذلك الوصف وهو شم رائحة الشواء محبباً للإله موجوداً في كتب يزعمون أنها مقدسة وأنها كلمة الله أفلا يستحق هذا الكتاب المبارك الذي وصف الإله أنه ﴿ **يطعم ولا يطعم** ﴾ ، وقال ﴿ **وما أريد منهم أن يطعمون** ﴾ * فلندع العاقل الحكيم المنصف يحكم أيُّهم أولى بكلام البشر رائحة الشواء أم هذا الوصف الممجِّد للرب ذي العرش المجيد ؟ إن هذا ليدل في حكم العاقل المنصف وصاحب البديهة الصادقة أنه وحي من عند الله . ولقد علم هؤلاء المستشرقون أن الإسلام أشد الديانات الكبرى حرصاً على تنزيه الذات الإلهية من عوارض البشرية والتجسيم [٢] .

الثامن عشر : لقد تعجل العلماء الذين أستندوا إلى العلم لنفي الأخبار والقصص التي وردت في الكتب الدينية ، وعذرهم في ذلك أنهم غير متدينين بالكتب التي جاءت فيها هذه الأخبار والقصص ، ولم تَنْقَضِ على هذا الموقف إلا فترة وجيزة حتى ثبت لهم هذا الخطأ في حق العلم فضلاً عن الخطأ قي حق الدين ، فأصبحوا اليوم أقرب إلى الأناة والرصانة في تمحيص الحقائق ، وراحوا يعيدون النظر في كل ما قرروه بالأمس ،وقالوا : إنه لا ينبغي بحال من الأحوال أن ترفض بجرة قلم أو يقال إن البحث فيهامفروغ منه لإنهامن « أساطير الأولين » وأنه ينبغي على كل باحث ألا يتعجل إلى

---

(١) الواقع أن نفسي تحرجت من هذا الأسم ، ولعل كثرة قراءته في الكتب التي لا تلتزم بالأسلوب الإسلامي جعلت هذا يجري على اللسان .

* الأولى في الأنعام اية : ١٤ ، والثانية في الذاريات آية : ٥٧ .

(٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه : ص ٣٦ .

النفي أو الشك بغير دليل ، وأن من فعل ذلك فهو براء من دعوى العلم وأمانة العلماء ، فإذا كان هذا موقف الملحدين إزاء أسفار العهد القديم والعهد الجديد التي دخلها كثير من قول البشر ، فما يقول هؤلاء المستشرقون أهل البحث والتحري في هذا الكتاب ؟ أليس من حق العلم عليهم أن يعيدوا النظر فيما قرروه كما أعاده الملحدون ، بل هؤلاء الملحدون قبلوا القصص الديني على أنها عظات صادقة ، وآخرون قبلوها على أنها من الحقائق التي تفهم بالتأويل ، وآخرون قبلوها على أنها تاريخ قديم ينبغي أن يرشد الباحثين إلي مواضع البحث وموضوعاته . فهذا ما وصل إليه العلميون * أن الأديان حقيقة كونية ، فماذا عسى أن يقول هؤلاء المستشرقون عن القرآن لو أعادوا النظر وتخلوا عن هواهم ؟.

التاسع عشر : إن الرجل من أول نظرة يعرف الحق وأهله ، ولكن إذا ساءت النيات وران الهوى على البصائر وشلَّ العقلَ الفوضى الفكرية ، وابتعد عن المناقشات الهادئة الهادفة الرصينة فلا عجب في الضلال ، فماذا يقول المستشرقون عن هذا القرآن الذي جاء بعقيدة تعصم الإنسان من أكبر دواعي المرض النفساني بل هو عصمة من كل داء من أدواء إنفصام النفس البشرية ، بل عقيدته ودينه الإسلام تسليم وسلام ، ومن تمكن في قلبه فهو أمان وإيمان ، ومن المعلوم أنه إذا صدئت نفس الإنسان بغواشي الأهواء والشكوك فلا جلاء لها غير ثقة الإيمان ، ولا إيمان أسلم لها من إيمان الإسلام ، فهل كلام البشر يملك هذا ؟ ندع الإجابة لهؤلاء المستشرقين .

الذين يؤمنون بالتنجيم [١]

---

* إنه يقصد به الذين يزعمون اتباع المنهج العلمي في آرائهم ، وليس العلمانيين الذين يرفضون الدين ويتبعون كما يزعمون العلم .

(١) الفلسفة القرآنية ص ١٣ ، ما يقال عن الإسلام ، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٦ ، ١٨٧. إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٤٩ ، محمد عبده ص ٦
التفكير فريضة إسلامية ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، مطلع النور ، من ٤٨ ـ ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٥ ، عبقرية محمد ٥٢ ، الإسلام دعوة عالمية من ص ١٧٢ ـ ١٩١
الإسلام والحضارة الإنسانية ٩٦ ـ ١٠١ ، ١٦٦ ، بين الكتب والناس ، ١٥٤ ، ٣٧٤ حقائق الإسلام ص ٣٦ .

المطلب الخامس :

تعقيب على ردود العقاد على الشبهة الأولى

نخلص من كلام « العقاد » رحمه الله ، إلى أن المستشرقين ، ينظرون في بحوثهم نظرة الغربي الذي ينظر إلى الشرقي نظرة المتعالي عليه في حاضره وماضيه ، لكنهم مع ذلك قوم محدودون سطحيون ، يحومون حول المسائل الحسية ، ولا يتوسعون في النظر ، أو يتعمقون وراء الظواهر التي يلمسها شاهد الحس لمساً ، فلا تخرج عنده من حدود ما يثبته أو ينفيه من وقائع العيان والسماع [١] . هذه كلمات جديرة بأن نلقي بَالَنَا لها عن هؤلاء الذين يدَّعون التحقيق العلمي ، وإن الرجل المعتز بدينه عندما يسمع هذه الردود التي جمعت بين القوة والصرامة والإستهزاء الصارخ تجيش خواطره أن لا يكون في كل أحواله مدافعاً ، وذلك أن الدفاع دائماً ينتابه الضعف والكلل والملل ، ولاسيما إذا أشيع أن إمداداته قُطِعَت ، أو مخزونه على وشك النفاد ، فهذا وحده كاف في الهزيمة النفسية قبل الميدانية ، ولكنْ (عزاؤنا) أننا عندما ندافع عن قضايا الإسلام التي لم يفهمها أولئك المستشرقون أن ذلك نحتسبه من الجهاد اللساني ، وأننا على ثغرة من ثغور الدين حتى لا يؤتى الإسلام من قِبَلنا [٢] ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أننا استيْقَنَّا أن هذه الإفتراءات مجَرَدُ خيالات وافتراضات وأوهام قذفت بها هذه الطائفة التي حشرت نفسها في مكان لاتحمد عليه ، من اختراع الأكاذيب وتلفيق الدعاوى ، وتزييف الحقائق [٣] فنحن عندما ندفع هذه الشبه ليس شكاً في حقائق الدين

---

(١) انظر لمحات من حياة العقاد المجهولة ، لعامر العقاد ، ص ٣٠٨ .

وانظر : د/زقزوق ، مصدر سابق ، ص٨٥ ، حيث أكَّدَ أنهم لا يريدون أن يفهموا القرآن، حتى يصلوا إلى رؤية حقيقية ناصعة عن الإسلام ، بل يعجبهم أن يبقوا على ماهم عليه من تصورات غير معقولة فوق التصديق يدفعهم لذلك « حماس حقود »

انظر : ص ١٣٩ من نفس المصدر .

(٢) من شريط مقابلة مع الأستاذ جمال سلطان ، سلسة المفكرون الإسلاميون يتكلمون ، الشريط رقم ٣ الوجه الثاني .

(٣) انظر ص ١١ الإسلام في قفص الإتهام ، د/ شوقي أبو خليل .

ولكن كشفاً لهذه الشبه حتى لا تستقر في قلوب الذين لم يُؤتَوا العلم من المسلمين ، ومع ذلك لا نريد حين الدفع أن يسحبنا هؤلاء المستشرقون إلى بساطهم الذي يريدونه، وهو أن يكون الرد عليهم وكشف شبهاتهم هو المحرك الكلي لنا ، حيث يستغرق إهتمامنا كله ، لأن دفعة الحماسة لنقض هذه الشبهات قد تنشئ انحرافاً خطيراً وهو عرض ديننا للمساومة والتجربة [١] فتسقط هيبة حقائق الإسلام من النفوس ، ولا سيما أن فدامتهم بلغت من التفاهات مبلغها حين قالوا إن (القرآن يحرم تمثيل الإنسان ، لكون الإله الأعلى نفسه غير منظور ، ولا ينبغي للإنسان أن يظهر ، والله الذي خلقه غير ظاهر)[٢] ، فإذا رددنا عليهم يجب أن ننظر إليهم من علٍ ، لأنهم ليسواعلى شئ من دين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وذلك أن ما هم عليه اليوم دين باطل و(دين مبتدع ، ابتدعوه بعد المسيح ـ عليه السلام ـ وغيروا به دين المسيح ، فَضَّلَ منهم من عدل عن شريعة المسيح إلى ما ابتدعوه) [٣] مما كان سبباً في ظهور (الإلحادية ، الشيوعية ، الفاشية ، العلمانية ، النازية) [٤] ، فالحاصل أننا عند الرد لا تعرونا الهزيمة النفسية فنتخذ موقف الدفاع ، بل نتخذ موقف الهجوم ونطالبهم بوثيقة أصلية واحدة متعلقة بحياة موسى وعيسى [٥] عليهما الصلاة والسلام ، . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نعلم من قولهم هذا أنَّهُ أُلِّف في عهد الخلفاء أن يضاهوا به ما عندهم من كتب حين أثبت البحث العلمي والنقد الباطني أن مؤلفيها مجهولون ، ولا يوجد كتاب واحد من كتبهم بخط المؤلف نفسه ، ولا يَحمِل توقيع مؤلفه الأصلي ، بل نسخها (ليست كلها واحدة ، بل يمكن المرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية ،

---

(١) انظر : خصائص التصور الإسلامي ، لسيد قطب ، ص ٢١ ،
وانظر : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، محمود شاكر ، ص ٩٥ ـ ١٠٠ .

(٢) ما يقال عن الإسلام : ص ٧٨ .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، ١/١٠٩ .

(٤) هل الكتاب المقدس كلام الله ، لديدات ، ص ٤٩ .

(٥) انظر: محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١٠٠ ، وانظر الهزيمة النفسية عند المسلمين لعبد الله خاطر ، رحمه الله ، ص ٢٠ .

ولكن عددها * كثير جداً على كل حال)[1] ، بل لا توجد (بين آلاف النسخ الموجودة اليوم باللغة الأصلية نسختان متطابقتان)[2] ، أما القرآن كلام الله المبارك فنتحداهم أن يأتوا لنا بمثل ما وقع في نسخهم من تناقض وتباين واختلاف ، على تعدد طبعاته بأي شكل من الأشكال ، وصدق رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه (وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان)[3] أي (محفوظ في الصدور ، لا يتطرق إليه الذهاب ، بل يبقى على ممر الأزمان)[4] ، فلو كان مُؤلفاً من بشر ككتبهم أفلا كان يتعرض للتحريف والتبديل ؟ ونتحداهم على هذا ! فإن كانوا صادقين فليأتوا لنا بعشر معشار تحريف أو تبديل ، بل نطالبهم بأقل من ذلك ؟ فإن عجزوا فلنعلمهم أن التحريف والتبديل إنما وقع على كتابهم المقدس الذي هو ترجمات عن لغات ليست لسان من جاء بأصله (والترجمة لا تعدل الأصل بحال)[5] .

---

* أي الفوارق .

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، ص ٢٤ ، وانظر : ديدات : ص ٣٨ .

(٢) هل الكتاب المقدس كلام الله ، ص ٣٤ ، وانظر : موريس بوكاي :ص ١٣٣ ، حيث ذكر أن الكنيسة أعلنت رسمياً أن هناك مقاطع في الأناجيل لا أصاله لها ، وهي تحوي فصولاً ومقاطع ناشئة من مجرد الخيال الإنساني ، ص ١٣٥ . ثم أكد حفظه الله وثبته على الإسلام أن هناك فرقاً واسعاً بين المسيحية والإسلام ، وهو أن المسيحية غاب النص الموحى به في دينها ، ص ١٨ ، وقد تكلم كلاماً نفيساً للغاية القصوى في « مدخل » ص ١٣ ـ ٢١ ، ترجمة الشيخ حسن خالد ، طبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٧هـ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ونعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ، وأهل النار ، حديث رقم : ٢٨٦٥ .

(٤) شرح النووي على مسلم : ١٩٨/١٧.

(٥) دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ، إعداد محمد السعدي ، نشر وتوزيع ، دار الثقافة ، قطر ، ص ٩٨ ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٥هـ .

وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٤١٩/٢ .

وانظر الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح : ١/ ٣٤٠ .

وبعد : فإننا لو بحثنا عن منشأ شبهاتهم لوجدنا أنهم زعموا - إثباتاً لدعاواهم - أنهم وجدوا مصاحف خاصة بالصحابة معارضة للمصحف العثماني في السويس عام (١٨٩٥م) وأنها وجدت في طبرية وطرسوس وقرطبة ومراكش ، والبصرة ، ومصر ، كيف هذا ؟ وهم يصرحون بارتيابهم بقيمتها التاريخية [١] فهم يريدون أن يلصقوا بكتابنا ما حصل على كتابهم من تناقض وتنافر بين رواياته ، بعضها ينقض بعضاً ، وذلك مثل ما جاء في (صموئيل ٢ ، ٢٤ : ١) (وعاد غضب الرب فاشتد على إسرائيل ، فأغرى بهم داود قائلاً : اذهب فاحص إسرائيل ويهوذا) . بينما يوجد في (سفر أخبار الأيام الأولى : ٢١ : ١) (ونهض الشيطان على إسرائيل ، وأثار داود أن يحصي إسرائيل)[٢] ، فلا ندري هل الآمر ، الله أم الشيطان ؟ وهذا إفك مع القدح في مقام الله حيث ساووه بالشيطان ، فإذا حصل هذا التناقض في هذا الأمر الذي لا يحتاج إلى إعمال عقل وحفظ ، فإنما يدل ذلك على أنَّ الكتاب المقدس (صفة الإنسان القاصر) [٣] ، وهناك تناقض في رؤية موسى لله عز وجل ، فقد (ورد في سفر الخروج)(٢٣ : ٢٠) أن يهوه قال لموسى عليه السلام : « لا تقدر أن ترى وجهي ،

---

(١) انظر : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، د / عمر إبراهيم رضوان ، ٤٧٨/١ .

وانظر ذكرهم لبعض مصاحف الصحابة كما زعموا ونقض ذلك من ٤٧٧ - ٤٨٠ من نفس المرجع السابق .

وانظر : د/صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ص ٨٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة ١٧ : سنة (١٩٨٨م) .

والأستاذ موريس بوكاي ، ص ١٦٢ ، غير أنه ينقض قولهم بقوله (إن أقدم المخطوطات المعروفة في أيامنا والموجودة في العالم الإسلامي كله واحدة ، وكذلك التي لاتزال موجودة في أوربا في المكتبة الوطنية في باريس يوجد بعض الأجزاء التي تعودحسب إفادة المدققين إلى القرنين ،٨ ، ٩ : الثاني والثالث للهجرة ..... تتفق فيما [بينها] أهـ نفس الصفحة المشار إليها آنفاً .

(٢) عن طريق : هل الكتاب كلام الله ، لديدات ، ص ٤٨ .

(٣) محمد السعدي ، مصدر سابق ، ص ١١٧.

لأن الإنسان لا يراني ويعيش » ، بينما ورد في نفس السفر (٣٣ : ١١) : « ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه »)[١] فعلام يدل هذا ؟ لا يمكن لوحي الله أن يناقض بعضه بعضاً ، ونحن المسلمين نخبرهم أن (المصحف وَجَدَلَهُ من دواعي السلامة والدقة مما هو فوق الشبهات ، ورافقه حفظ الصدر في كل مراحله قبل تدوينه وبعدها)[٢] بل هو الكتاب الوحيد الذي ظل متنه وسيظل نقياً إلى أن يرفعه الله إليه[٣] ، فلو فحصوا الفحص البليغ ، وتركوا الغرض والعناد القبيح لوجدوا أن هذا القرآن محفوظ أمره من جميع الوجوه ، وأن ليس ليد البشر دخل فيه ، ولا مرد عليه مطلقاً ، ولا ناقض له بوجه من الوحوه[٤]فلو كانواجادين فيما ادعوا من وجود مصاحف تناقض المصحف الأصل لأذاعوا بها ولما ترددوا ساعة في بثها وهم الحريصون على إثبات ذلك ، فلما عجزوا علمنا هنالك أنه يجب أن يقابلوا بالإستهجان والرفض لأقوالهم المفتراة التي لا تقوم على أساس ، بل تصدر من (نفوس طحنها البغض والتعصب الأعمى ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره

---

(١) عن طريق محمد السعدي ، مصدر سابق ، ص ١١٨ .

(٢) د/ عمر إبراهيم رضوان ، مصدر سابق ، ١/ ٤٨٠ .

(٣) انظر : كرشتاروا ، مصدر سابق ، ص ٩ .

(٤) انظر الرسالة السبعينية بأبطال الديانة اليهودية ، للحبر الأعظم الذي أسلم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي ، ص١٠ ، تحقيق عبد الوهاب طويلة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٠هـ .

وانظر : اختصاص القرآن بعودة الرحيم الرحمن ، لمحمد بن عبد الواحد المقدسي ، ص ٣٢ ، تحقيق : عبد الله يوسف الجديع ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٩هـ .

وانظر : موريس بوكاي ، ص١٥٩ ، حيث اعترف خصومه أن القرآن كتب في عهده ﷺ وعلى عينه، وكان النص محفوظاً بالكتابة من جهة ، ومحفوظاً بالذاكرة من جهة ثانية ، ص١٦٠.

الكافرون ﴾)[١] . ونحن المسلمين نُدِينُ (بقوة كل اتباع أعمى يلقى بزمامه إلى سلطة لا تستند إلى العقل) [٢] ، فزعموا وبئس ما زعموا أن المصاحف التي وجدوها فيها المناقضات والمعارضات للنسخة الشرعية * ، وياليتهم فسَّروا لنا هذا الإعتراض أو التناقض ، فهل هما في مصاحف القرآن أم في قراءاته حيث يقرأ بها على صور متعددة ووجوه مختلفة ففهموا من هذه الصور التناقض في المعنى والتعارض في المراد ، والتضارب في الهدف [٣] ، أم أن هذا الإتهام جاء من أفهامهم العليلة وغلبت عليهم العجمة في فهم نص القرآن بل حتى في ترجمة كلماته يغلب عليهم العيُّ وذلك أنهم ترجموا معنى قوله تعالى ﴿ موسعون ﴾ من الذاريات بقولهم « نحن مليئون بالسعة » [٤] فظنوا أن القلق والاضطراب جاء من المقروء لا من القارئ ، وزاد حالهم ضياعاً قراءةُ القران بأحرفه المتواترة فجاءوا بخواطر منكرة فقذفوا بها أقدس ما يقدسه المسلمون كتاب الله المبارك . وقالوا هو متناقض ومتعدد الروايات وما دروا أن التناقض في

---

(١) المستشار : محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ، التبشير والإستشراق ، أحقاد وحملات على النبي ﷺ وبلاد الشام ، ص ٥٥ ، الزهراء للإعلام العربي ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١١هـ .

(٢) مقدمة الشيخ الدكتور : محمد عبد الله دراز لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ، ص ١٢ ، دا الفكر ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الرابعة : سنة ١٤٠٧هـ .

* هذه اسقاطات نفسية تصحب هؤلاء المستشرقين ، وذلك أنهم يعيشون في بيئات نهب وسرقة واختلاس ، فتلجلجت في صدورهم وقذفوها على غيرهم ، فهل الصحابة قراصنة كتب ؟ والواقع أن هذه الإسقاطات اكتسبوها من الكتاب المقدس ، فقد أثبت الشيخ ديدات في كتابه « هل الكتاب المقدس كلام الله » ص ٤٣ _ ٤٤ ، أن كتاب الملوك الثاني الفصل ١٩ نقل بنسبة ١٠٠ ٪ من نبوء أشعياء الفصل ٣٧ .

فلا نستغرب من إسقاط مفاهيم نفوسهم على غيرهم ، لقد ابتلوا بداء خطيرلا شفاء منه وهو الوسوسة .

(٣) انظر : عمر بن إبراهيم رضوان ، مصدر سابق : ١/١٢١ .

(٤) انظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ترجمة حسن خالد ص ٢٠٢ .

القارئ لا في المقروء .

يقول الشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي رحمه الله ، في كتابه الجليل « القراءات في نظر المستشرقين والملحدين » * « وإنك لو سبرت القراءات - متواترها ومشهورها وصحيحها - لوجدت أن الإختلاف بينها لا يعدو نوعين :

الأول : أن تختلف القراءتان في اللفظ وتتفقا في المعنى ، ومن هذا النوع مايرجع إلى إختلاف اللغات كقراءتي ﴿ إهدنا الصراط ﴾ بالصاد والسين [1] ، ومن هذا النوع مالا تختلف فيه اللغات ، وإنما هما وجهان ، أو هي وجوه تجري في فصيح الكلام نحو :

﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ آية ١٩٣ من سورة الشعراء .

بتخفيف الزاي من ﴿ نزل ﴾ ورفع الحاء من ﴿ الروح ﴾ والنون من ﴿ الأمين ﴾ وبتشديد الزاي من ﴿ نزل ﴾ ونصب الحاء من ﴿ الروح ﴾ والنون من﴿ الأمين ﴾ [2] .....

الثاني : أن تختلف القراءتان في اللفظ والمعنى معاً مع صحة المعنيين كليهما ، فلا يكونان متناقضين ولا متعارضين ، بل يمكن اجتماعهما في شئ واحد ، نحو :

﴿ وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً ﴾ آية ٢٥٩ من سورة البقرة .

قرئ ننشزها بالزاي والمعنى نضم بعضها إلى بعض حتى تلتئم وتجتمع ، وقرئ بالراء والمعنى : نحييها بعد الموت للحساب [3] ، والمعنيان مختلفان ولكنهما لا يتناقضان ، ولا يتنافيان ، بل يلتقيان ، لأن الله تعالى إذا أراد بعث الخلائق ضم

* من منشورات : مكتبة الدار ، المدينة النبوية ، بتقديم فضيلة الشيخ الدكتور : عبد العزيز القارئ حفظه الله في طاعته ، سنة ١٤٠٢هـ .

(١) بالسين : ابن كثير في رواية قنبل ، وخلف عن حمزة ، وقرأ رويس وخلاد والباقون بالصاد . انظر « القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، على هامش القرآن الكريم ، ص١ ، إشراف ومراجعة وتدقيق شيخ القراء في الديار الشامية : الشيخ محمد كريم راجح .

(٢) بتخفيف الزاي ، نافع ، وابن كثير ، وأبوعمر وحفص ، وأبو جعفر ، والباقون بالتشديد ، المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .

(٣) ﴿ ننشرها ﴾ بالراء ، نافع و ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، والباقون كحفص ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .

عظامهم بعضها إلى بعض ثم يحييها للجزاء ، .... وحكمة هذا النوع أن تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لإفادة المعنيين جميعاً .

أما اختلاف القراءتين في اللفظ والمعنى مع تضاد المعنيين ، وتضارب الهدفين ، فلا أثر له في القرآن الكريم ، ومحال أن يكون فيه) [١] .

فأيهما نصدق الشيخ « عبد الفتاح القاضي » خادم القران الكريم والعلم ، أم القسس والرهبان والأحبار والحاخامات خدام « الجيوش الغربية » * .

لو تتبعنا قذفهم هذا وبعد التتبع نقول أيها أحق بالتناقض قولهم هذا أم الكتاب المبارك ** فتارة ينسبونه إلى الصحابة ، وتارة إلى نوبات صرعٍ ، وتارة إلى « بحيرا » وتارة إلى حاخام يهودي ، وتارة إلى الزبور ، وتارة إلى شعر أمية بن أبي الصلت [٢] ، ، وتارة إلى شعر أمرئ القيس ، وتارة إلى نفسية محمد (ﷺ) العالية الشفّافة ، وتارة إلى بيئته ، وتارة إلى اليهودية أو النصرانية ، و تارة إلى ورقة ابن نوفل [٣] ، وتارة إلى أنه مأخوذ من اليونانية أو الآرامية والكنعانية ، وتارة إلى ملحمة « جلجمش » *** وقصة الأسكندر ، وتارة إلى اللغات السامية البدائية ، وأخيراً إن محمداً ﷺ نقل نقولات كثيرة دون أن يذكر المصدر الذي نقل عنه ، وقالوا

---

(١) ص ١٢ ، ص ١٣ ، ص ١٥ ، ص ١٧ .

* إني لأعتذر سلفاً عن مقارنة الشيخ بهؤلاء الأفاكين .

** إني ليحزنني هذا جداً ، لكن يكفيني عزاء قوله تعالى آمراً نبيه ﷺ يقول للمشركين ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ سبأ آية : ٢٤ ، وقوله تعالى لأبناء ملتهم من قبل ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾ البقرة آية : ١٤٠ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية لأئمة المستشرقين الذين يدعون إلى النار ، مادة « أمية بن أبي الصلت » ٢ / ٦٦٠ ، النسخة العربية ، إعداد وتحرير : إبراهيم زكي خورشيد ومن معه ، انتشارات جهان ، تهران بوذر جمهري .

وانظر مناهج المستشرقين في الدراسات العربية ، بحث «القرآن والمستشرقون » التهامي نقره ، ٣٣/١ ، وانظر محاكمة فكر طه حسين لأنور الجندي ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٣) المصدر السابق : ٣٧/١ .

*** ملحمة تروي الأحداث القديمة ؟

إنه من مصادر أخرى [١] ، هذا إفكهم وما كانوا يفترون ..

فيا ترى من هو المتناقض ، وصدق الله ﴿ إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك ﴾ الذاريات آية : ٨ ، ٩ .

والتناقض الذي يدعونه غالب ما يعتمدون إثباته على مثل : يروى ، يحكى ، ذُكِرَ ، وليس هناك من شك ، بالرغم من أن ، على الرغم من ، ويذكرون ، (ومن المحتمل ، ويُذكَرُ ، ويَذكُرُ) [٢] هذا مبلغهم من العلم وبعده يصدرون القرارات المؤكدة في نفوسهم وآخر أمرهم يرجعونك إلى مصادر أجنبية كتبها من (قد ألتزموا جانب الإفتراض) [٣]، مع غلبة الوسواس على عقولهم [٤] ، ولا ترى مصدراً أصيلاً يعتمد عليه ، وخذ مثلاً ، مصادر مادة « أصول » [٥] ستجد أنه أرجعك إلى أ - « سنوكة »

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية : هذه المواد :

« بحيرا ، أمة ، إنجيل ، خاتم ، بعل ، جزية ، الدين ، حنيف ، التوراة ، حوض ، ختان، الخضر ، الله ، .

(٢) انظر مواد : بحيرا ، أصول ، أمي ، الله . مع العلم أنهم لما يقولون : ويذكرون لا يبينون لنا من هم وأين قالوا ومتى ، هكذا بصيغ الجمع التي لا ندري من هم الذين ذكروا ذلك، وانظر مادة الحديث من دائرة المعارف .

انظر تعليق الشيخ محمود شاكر على كلمة : (دائرة المعارف) ص ٥٥ من « رسالة في الطريق إلى ثقافتنا » حيث يرى تسمية أمثال هذه الدوائر بـ (جماهر الإسلام)

وانظر ص٥٣ من كتاب « هل الكتاب المقدس كلام الله » حيث ذكر عنهم أنهم يعتمدون على مثل هذه الكلمات (جائز ، ومن المحتمل ، وعلى الأرجح ، كحقائق مسلمة) .

(٣) من مقدمة : د/ دراز ، للظاهرة القرآنية ، مصدر سابق ، ص ١٤ .

(٤) انظر : آيتين دينيه وسليمان بن إبراهيم : محمد رسول الله ترجمة : د/ عبد الحليم محمود و د / محمد عبد الحليم ، ص ١٠٧ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (١٩٨٥م) ، المجموعة الكاملة لمؤلفات د/ عبد الحليم محمود : شيخ الأزهر .

(٥) دائرة المعارف : ٥٠٥/٣ ، سنوكة مستشرق هولندي (١٨٥٧ - ١٩٣٦) وذاك : كبير السحرة ، مستشرق من أصل مجري (١٨٥٠ - ١٩٢١) انظر : الإسلام في تصورات الغرب ، ٣٥ - ٣٦ ، د/ زقزوق .

ب - « زيهر » ج - وأسماء أخرى إنجليزية ، أليس هذا استخفافاً بالعقل العربي ؟ وماذا أستفيد من قوم تلتهب قلوبهم غيظاً وحقداً ؟ الكتابة موجهة لقراء اللسان العربي ترجعني إلى « خماجات » هذا قهر ! أي أمانة هذه ؟ (إن فعلهم هذا يدلنا على تمحل هؤلاء الناس وتحكمهم في النظريات بغير دليل ولا برهان) [١] ، فلذلك قام بنقض أقوالهم الغيورون ، بل أتت الغيرة على أصول الإسلام من (أناس يهملون الشعائر ويخالفون الفرائض ولا يحرصون على التقاليد) [٢] وذلك لما رأوا من تعمد الكذب والانتفاع به [٣] مِنْ قِبل هؤلاء المستشرقين الذين افترضوا أنه قد حدثت على القرآن (بعد وفاة النبي (ﷺ) *تبديلات جوهرية وإضافات أساسية قام بها خلفاؤه لأغراض في نفوسهم) [٤] حتى يضاهوا به اليهودية والمسيحية (في فقدان نصوص الوحي الثابت) [٥] مما نتج منه تناقض شديد في الروايات المتعددة ، فضلاً عن وجود الخرافات والكلام الذي لا وزن له ولا نفع فيه التي يعج بها « الكتاب المقدس » [٦] ، نسوا هذا تماماً وأرادوا أن يجعلوا الصحابة كرواة « الكتاب المقدس » وأن يجعلوا القرآن المبارك ككتابهم ، وهذه مغالطة نفسية ظاهرة ، وذلك أن (من نظر بعقله في هذا الوقت إلى ما عند المسلمين من العلم النافع ، والعمل الصالح ، وما عند اليهود والنصارى : علم

---

(١) من تعقيب للشيخ أحمد شاكر على مادة « أمي » من دائرة المعارف .

(٢) الإسلام والحضارة الإنسانية ، للعقاد ، ص ١١٨ ، ولا أدري ماذا يقصد بمخالفة الفرائض ؟ لعلها : التكاسل عنها .

(٣) انظر ما يقال عن الإسلام ، ص ٨ ، ٩ .

* الكاتب استعمل « صلعم » وهذا جفاء في حق النبي ﷺ .

(٤) د/ صلاح الدين بسيوني رسلان ، القرآن الحكيم ، دراسة منهجية جديدة لمباحث القرآن الحكيم ، ص ١٥٥ ، دار الثقافة ، مصر ، (١٩٨٤م) بدون ذكر عدد الطباعة ، .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٦) انظر :الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، د/صابر طعيمة ، ص ٢٩ ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٦هـ.

أن بينهما من الفرق أعظم مما بين العرم والعرق * . فأن الذي عند المسلمين : من توحيد الله ومعرفة أسمائه وصفاته ، وملائكته وأنبيائه ورسله ، ومعرفة اليوم الآخر ، وصفة الجنة والنار ، والثواب والعقاب ، والوعد والوعيد : أعظم وأجلُّ بكثير مما عند اليهود والنصارى ، وهذا بَيِّنٌ لكل من يبحث عن ذلك . وما عند المسلمين من العبادات الظاهرة والباطنة : مثل الصلوات الخمس ، وغيرها من الصلوات ، والأذكار والدعوات : أعظم وأجلُّ مما عند أهل الكتاب . وما عندهم من الشريعة في المعاملات ، والمناكحات والأحكام والحدود والعقوبات : أعظم وأجلُّ مماعند أهل الكتاب . فالمسلمون فوقهم في كل علم نافع ، وعمل صالح ، وهذا يظهر لكل أحد بأدنى نظر ، لا يحتاج إلى كثير سعي) [١] ، وهذا صدق لا يحتاج دليلاً على وضوحه وأحقيته ، فالمسلمون فوقهم في حفظ كتابهم من التعديل أو الزيادة أو الحذف [٢] ، بينما أهل الكتاب (قد دخل في أصل دينهم من الفساد ما هو بَيِّنٌ بفطرة الله التي فطر الناس عليها ، وبكتب الله التي أنزلها) [٣] ، فلما قام في وسط المسلمين من هو تارك للفرائض غيرة وأنفة ينقض هذه الترهات التي تفوَّه بها عبَّاد الصليب علم من هذا الحال أن المستشرقين بلغوا من الكذب وطمس الحقائق الثابتة نهايته ، لعلمه أن المستشرقين الذين ينتمون للغرب (قد نبذوا دين المسيح والرسل الذين قبله وبعده وراء ظهورهم) [٤] فأرادوا أن يلفِّقوا ما وقع على كتابهم (الذي جرى عليه النسخ والتبديل ما جرى) [٥] ويصموا به القرآن المبارك الذي أخبرنا عن كفرهم واستكبارهم وحسدهم ومعاندتهم وقسوة قلوبهم وكتمانهم العلم وتحريفهم كتابهم وتبديل نصوصه وغير ذلك [٦] مما كان

---

* أشار ابن قاسم إلى أنه : هكذا بالأصل ، ولعله : العرِم والفَرَقَ ، فالعرِم السيل و الفرق مكيال معروف ، ومن تأمل لعله يوافقني والله أعلم .

(١) نقلت هذه الدرر من مجموع الفتاوى: ٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

(٢) انظر : د/ رسلان ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ .

(٣) مجموع الفتاوي : ٢٨ / ٦٠٨ .

(٤) نفس المصدر : ٢٨ : ٦٠٩ .

(٥) المصدر السابق : ٣٥ : ٢٢٧ .

(٦)انظر نفس المصدر : ٣٥ / ٢٢٩ .

سبباً في بغيهم ظلماً وعدواناً أن يطعنوا في القرآن أنه جرى عليه النسخ والتبديل ما جرى في عهد الخلفاء ، وهم يعلمون أن كتبهم لم تحظ بالعناية التي أحيط بها القرآن ويعلمون أنه وصل إلينا بالتواتر فجاء (أكمل وأدقّ مما يتوقعه أي أنسان) [١] ولكن (المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام) [٢] ، ومن تأمل قول زيد بن ثابت (فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن) [٣] لعلم هنالك مكانة القرآن في نفوسهم ، فهل يعقل أن يكون جمعه أشد على نفوسهم وأعظم من الزيادة فيه أو النقصان منه ؟ اللهم لا .

ولقد امتثلوا أمره ﷺ لهم بكتابة القرآن وحده بين يديه أولاً بأول ، وألا يكتبوا عنه غير القرآن ، قال ﷺ (لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه) [٤] ، فامتثلوا أمره ، فلم يكتبوا الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة خشية أن يختلط بالقرآن وحفاظاً على سلامة وصحة النص القرآني [٥] ، فكان القرآن وحده (مكتوباً في الصحف ، لكن كانت مفرقة) [٦] لما كان يترقبه ﷺ من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته [٧] ، فإذا امتثلوا هذا الأمر والنهي في حال حياته ﷺ ، بالرغم أنه في المكنة تمييز الحديث من القرآن لوجوده ﷺ ، فهل يعقل أن يزيدوا أو ينقصوا وقد تحرجوا من جمع القرآن وبعد موت الرسول ﷺ الذي ينقد لهم الحديث من القرآن ؟ اللهم لا .

هنا نصل إلى أن الصحابة كانوا أنصح الناس لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم حيث بلغوا لنا هذا القرآن كما سمعوه ، وهذه ضرورة دينية كل واحد يتأثم

---

(١) د / صبحي الصالح ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .

(٢) محمد أسد ، مصدر سابق ، ص ٥٣ .

(٣) البخاري ، فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، رقم الحديث : ٤٩٨٦ .

(٤) مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ، رقم : ٣٠٠٤ .

(٥) انظر شرح النووي : ١٨/ ١٣٠ ، وانظر : د/ رسلان ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ .

(٦) فتح الباري : ٩ / ١٣ وكتب كله في عهد النبي ﷺ ، انظر منه : ١٢/٩ ، ١٨ .

(٧) انظر : الفتح : ١٢/٩ ، وانظر : الإسلام والمستشرقون ، مصدر سابق ، ص ٤٢٦ .

منها ، وهمه منعقد على بلاغها ، فمن طعن في أمانتهم كان طاعناً في الدين بالظلم ، مكابراً جاحداً للضرورة مفترياً عليهم فرية ظاهرة تعرفها الخاصة والعامة [1]

وبعد هذا العرض نخلص إلى الآتي :

١ ـ أن المستشرقين بنوا أقوالهم في مسألة جمع القرآن على الشاذ الغريب لا لشذوذه وغرابته ، ولكن لكونه يشبع في نفوسهم وعقولهم حاجة .

٢ ـ استعانوا بالشاذ الذي يحمل صفة النشوز فضلاً عن كونه متأخراً مع رفضهم رأي المسلم في هذه الغرائب ، وليس رفضه فقط ، بل عدم الإستماع إليه لأنه لا يأتي عن بحث علمي ، أما أبحاثهم فهي تتسم بالدقة والموضوعية ، وها نحن وقفنا على موضوعيتهم المدعاة .

٣ ـ إسقاط مفاهيمهم ا لنفسية على معطيات التاريخ الإسلامي .

٤ ـ يريدون بهذه الترهات أنه من صنع بشر ، هذا حاصل ما يسعون إليه [2] ، إن القرآن مهما كان محتواه ، لكنه ليس من صنع البشر ، فإذا أنكرنا كونه من الله فمعناه أننا اعتبرنا محمداً هو الإله [3] ، وعلى هذا ننبه أن بعض الكتاب المسلمين يقعون في خطأ ، وهو أنهم يجعلون الإسلام كأنه في قفص الإتهام ، ثم يأخذون بجمع الأدلة والبراهين في دفع الإتهام ، وما ذلك إلا لكونه جاء من الغربيين ، والغربيون في حسهم لا يخطئون لأنهم أهل الموضوعية والبحث العلمي ، وهذه نفسية منهزمة لا تريد أن تناقش هؤلاء المستشرقين في دينهم وعقائدهم ، لأنها قد وضعت الغربي الأعلى وهي السفلى ، وفرق بين الإثنين في هذه الحالة ، فانجرَّت عليها الضعة وعدم الشعور بالعزة ، هذه الصفة النفسية (التي لا تفارق النفس الكريمة ، ولو تجردت من كل

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسح ، ١/ ٢٤٠ ، ٣٦٩ .

(٢) انظر : بحث د / عماد الدين خليل ، المستشرقون والسيرة النبوية ص ٢٤٨ ، ضمن « الإسلام والمستشرقون » مصدر سابق .

(٣) بحث /محمد صدر الحسن الندوي ، ص ٤٢٠ ، ضمن الإسلام والمستشرقون ، وقد نقله عن الأستاذة « نيبا أبوت » أستاذة الدراسات الإسلامية بجامعة الملكة بكاليفورنيا في كتابها « الخط العربي » ولم أفهم ماذا تعني بكلمة « مهما كان محتواه » ؟ فآخر الكلام غير أوله .

أعراض الحياة الدنيا) [١] ، ولو علم المدافع أن هذا المستشرق دخل ببضاعة مزجاة أقل أحواله أن يكون في طبقة عوام أهل الإسلام الذين لا يَعْتَدُّ بأقوالهم أحد ، لأزاح عن نفسه تعظيمه وجثاء بحثه ، ولو ناقشهم فيما عندهم لوجد أنه لا يعتمد على دليل ، بل هو هراء وسخافة ، ولَنَسُوا أباطيلهم عن الإسلام ، فإذا أشغلناهم وبينّا مثالبهم وعرينا باطلهم ، فهل يا ترى يفكرون بعد ذلك في القذف بالشبهات من مكان بعيد [٢].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أننا (لو عاملناهم بما نعامل به رواة الحديث من النقد ، بعد أن نغضي عن شروط العدالة المعروفة للعلماء ، ونتمسك منها بشرط الصدق وحده ، وجدنا أنهم ممن لا يجوز قبول نقلهم في شئ أصلاً ، لأن الصدق والأمانة في الرواية شرط في قبول ما ينقل الناقل ، فإذا ثبت أنه جانب الصدق في روايته ، ولو مرة واحدة سقط كل ما يرويه وبطل ، ولا تقبل له رواية بعد ذلك إلا أن يثبت أنه أخطأ ولم يتعمد الكذب) [٣] وقد بَيَّنَ الشيخ - القاضي - رحمه الله عز وجل كذبهم وافتراءاتهم وتعمدهم الكذب في كتابه « القراءات في نظر المستشرقين والملحدين » وضرب لنا أمثلة منها وهو أن كبيرهم الذي علمهم السحر - جولد زيهر - زعم أن قوله تعالى ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ الصافات : ١٢ قرأها عامة أهل الكوفة بضم التاء ، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة [٤] ، فَبَيَّنَ الشيخ القاضي - رحمه الله - أن (هذا محض اختلاق وكذب ، فأن عامة قراء المدينة : كابي جعفر (ت : ١٢٧ أو

---

(١) ظلال القرآن : ٣٦٦٢/٦ .

(٢) انظر : الهزيمة النفسية عند المسلمين ، مصدر سابق ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .
يقول الشيخ ديدات حفظه الله في طاعته أننا توقفنا منذ عدة أجيال عن حمل دعوة الإسلام إلى الأمم المحيطة بنا ، هاهم النصارى ، يقرعون الأبواب، وهذه حقيقة لا تخفى إلا عن أعين العميان روحياً ، و إلا عن أعين النعائم الموجودة بيننا أهـ ملخصاً من كتاب « ما هو اسمه ؟ ص ٢٩ ، ٣٠ ، مكتبة أبو القاسم ، جدة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٩هـ . وانتظر د/ زقزوق : ص ٧٧ .

(٣) حاشية رقم (١) عند مادة « الحديث » من دائرة المعارف : ٣٣٣/٧ - ٣٣٤ .

(٤) ص ١٢٧ من كتاب الشيخ القاضي ، ومن أراد أن ينظر كذبهم فعليه أن يراجع فصل « تحليل القراءات » ١٢٣ - ٢٠٠ .

١٣٢هـ) وشيبة بن نِصَاح (ت : ١٣٠هـ) ، ونافع بن أبي نعيم (ت : ١٦٩) وغيرهم ، وعامة قراء البصرة كابي عمرو ويعقوب وغيرهما ، هؤلاء وهؤلاء لا يقرؤون إلا بالفتح) [١] ، فتشابه على هذا الأعجم أن القراءة بالضم لإمامين من أئمة القراءة من الكوفة وهما حمزة بن عمارة التيمي مولاهم ، [ت : ١٥٦] [٢] ، وشيخ العربية والقراءة الأمام أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي [ت : ١٨٩] [٣] فأخذهما وجعل من قراءتهما يقرأ بها عامة أهل الكوفة ، وعامة أهل البصرة والمدينة ، وهذا عيب المستشرقين أنهم يأخذون (عَيِّنَةً على الطائر) ثم يستنتجون منها تعميم الحكم ، ولو أنهم صبروا ورجعوا إلى مصادر القرَّاء لعلموا أن هذا مما لا يُغْفَلُ عنه أو يتعامى عنه، مما يكون دليلاً وبرهاناً عليهم أن دراساتهم تفتقر إلى النزاهة والموضوعية ، ويرين عليها الغرض والهوى والعجلة ، وتنطبع بطابع العدوان على العلم ، والافتئات على الحق ، مما نتج منها بناء الفروض على غير أسس [٤] معقولة ، ودعائم منطقية ، فتراهم

---

(١) نفس المصدر والصفحة . وأما بالضم فهي : قراءة حمزة والكسائي وخلف ، القراءات العشر المتواترة ، من طريق الشاطبية والدرَّة ، ص ٤٤٦ ، اشراف شيخ القراء الشامية ، الشيخ : محمد كريِّم راجح ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١١هـ ، طبعة دار المهاجر، المدينة . والقراءة بالفتح قراءة الجمهور ، انظر تفسير البغوي ، ٧ / ٣٦ ، وانظر فتح القدير للشوكاني : ٣٨٨/٤ .

وانظر السِّير في ترجمة يعقوب القارئ المتوفى : ٢٠٥ هـ ، ١٦٩/١٠ ، ففيه كلام نفيس عن القرآن . وانظر ترجمة « أبو عمرو » التميمي في السِّير : ٤٠٧/٦ ، ت : ١٥٧ . وهو غير أبي عمرو الداني انظره : ٧/١٨ .

(٢) انظر ترجمته في « السِّير » للذهبي : ٩٠/٧ .

(٣) في تاريخ موته أقوال هذه أصحها ، انظر « السير » ١٣٤/٩ .

(٤) وذلك مثل قولهم (إن محمداً قد أسبغ على ربِّه ثوباً من الخلق العربي والشخصية العربية) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، ص ٥٤ ، أليس هذا إسقاطاً نفسياً على غير أساسا فمفاهيمهم المترسِّبة في أذهانهم يلقون بها على بيئة تختلف تماماً عن بيئاتهم ، فمن الذي ألقى على الله ثوباً من صفات البشر آاليهود والنصارى أم محمد ﷺ ؟ .

تعمدوا الكذب في ثلب الصحابة بالزيادة والنقصان ، وطمعوا من وراء هذا محاولة إثبات بشرية القرآن ، وما علم هؤلاء ذوو الجهالة الشديدة والسذاجة الظاهرة أن الصحابة الأخيار الأتقياء الأعلام الأدقَّاء لا يقبلون أن يضيفوا إلى كلام الله ما ليس منه فضلاً أن يزيدوا أو ينقصوا ، فمن هنا يتبين لنا تعمد المستشرقين الكذب بالرغم أن عندهم من الدراية بالإسلام وبمحاسنه ما يردعهم ـ لو أنصفوا ـ أن يتفوهوا بمثل هذه التفاهات "[1]لكن نياتهم ساءت ، فافتروا الكذب ، وتعسفوا في التعميات دون مستند علمي أو برهاني ، فهم يرمون بالكلام دون أن يشيروا فيه من أوله إلى آخره إلى مصدر عربي أو إسلامي رجعوا إليه ، وهذا عجب وكبيرة وزلة لا تغتفر في حق مدعي التحقيق العلمي "[2] ولكنه ليس عجباً إذا علمنا (أن العصر الذي اشتد فيه أزر الإستتشراق ـ وهو القرن التاسع عشر ـ يغلب عليه الطابع العلماني الذي ينكر فيه القوى الروحية التي لا تخضع لمختبراتهم وهو العصر المادي الذي استطاع إلى حد كبير أن يتغلب على رجال الدين الكنسيين) "[3] فمن ثَمَّ استقرت الغرابة في قلوبهم كيف أنَّ هذا الكتاب أنزل من السماء ؟ وما دروا أن الغرابة حاصلة في طريقتهم وفي اتجاه عقولهم أو نيات ضمائرهم "[4] ، وذلك أنهم درسوا الإسلام بقلوب حاقدة فألقى الشيطان فيها أن القرآن ليس كلمة الله المنزل من السماء ، ثأراً من المسلمين الذين قالوا عنهم أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه "[5] فتركوا الجادة الواضحة وضوح الشمس وأغمضوا

---

(١) الإسلام دعوة عالمية ، مصدر سابق ، ص ١١٩ .

(٢) من تعليق الشيخ أحمد شاكر على مادة « الحديث » من دائرة المعارف ٧ / ٣٣٠ ، ٣٣١ . مع تصرف يسير ، .

دعك من السفسطة والغش في أدلتهم التي يسوقونها ، فهم قد رأوا المصاحف في عام (١٨٩٥م) ثم ينقلبون زاوية منفرجة ويقولون نشك في قيمتها التاريخية ، كيف هذا ؟ تلاعب بالعقل العربي المسلم لا يليق بمن يزعمون البحث العلمي !

انظر : مقدمة محمود شاكر، للظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، مصدر سابق ، ص ٢٢.

(٣) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ، نذير حمدان ، ص ٣٨ .

(٤) انظر ما يقال عن الإسلام ، مصدر سابق ، ص ١٠٨ .

(٥) إن المسلمين ما كان عندهم علم بذلك حتى أخبرهم الله بذلك .

عنها أعينهم وجعلوا أصابعهم في آذانهم واتبعوا أهواءهم وقالوا هذا أساطير الأولين [١]، وزعموا أن الصحابة غيروا بعض الآيات حتى يُذْهِبُوا التعارض والتناقض، و هذا قول هؤلاء التابعين لسيدهم وكبيرهم الذي علمهم السحر ـ جولد زيهر ـ فماذا يقول كبير السحرة ـ زيهر ـ عن القرآن يقول (إن كل كلمة منه ، وكل حرف من حروفه يسجل كلام الله تعالى الذي سُجِّل نصه المعتمد منذ القدم في اللوح المحفوظ ، ومن هذا اللوح نزل به ملك الوحي شفاهاً على الرسول المختار) [٢]أهـ ألا يحكم من رزق أثارة من علم أو أدنى قبس من نور الفهم أن كبير السحرة وتابعيه تناقضوا ، كيف نجمع بين تغيير الصحابة لشئ من القرآن وبين هذه الشهادة التي أبى الله إلا أن يخرجها من لسان كبير السحرة شهادة لهذا القرآن المبارك [٣] ، إن هذا لشئ عجيب ، لكن يزول العجب إذا علمنا أنهم شكوا في كل شئ فاضطربت عقولهم وزاغت أبصارهم كيف لا ؟ وموجة الشك غمرتهم من كل ناحية وعصفت بيقينهم فلم يثبتوا على حال :

كريشة في مهب الريح طائرة   لا تستقر على حال من القلق

أي الإهتزاز ، وهذا يدل على قلق قلوبهم وتقلبهم في أقوالهم ﴿ **فهم في ريبهم يترددون** ﴾ التوبة : ٤٥

وخلاصة القول إن هؤلاء المستشرقين يستنون بسنة أسلافهم وإخوانهم الذين كفروا من قبل حين جعلوا القرآن عضين ، فأوغلوا في الأخطاء ، واسترسلوا فيها استرسالاً ، حتى جعلوها حقائق مسلمة ، وهي في حقيقة أمرها ليست (من المباحث العلمية أو الجدلية التي تقتضي رداً أو مناقشة ، بل هي تاريخ

---

(١) انظر الكتاب والسنة يجب تكون مصدر القوانين في مصر ، للشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، ص ٧٠ ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ وراجع أيضاً : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية : ١/٢٣ .

(٢) نقله الشيخ القاضي رحمه الله من كتاب جولد زيهر المسمى « مذاهب التفسير الإسلامي » ص ٦ والباحث ـ غفر الله له قصوره ـ « نقله من : كتاب الشيخ القاضي ص ١٠١ .

(٣) وهذا يدل على تهافته وعدم علميته إذ كيف يتفق القول أن القرآن ألف في عهد الخلفاء ، مع قوله هذا أنه نزل به ملك الوحي شفاهاً على الرسول المختار ؟ .

وأنباء) [١] جعلت من في قلوبهم مرض تشرأب لها أعناقهم وتصدقها قلوبهم الخاوية من العلم والإيمان مع خلو وفاضهم من التمييز بين كلام الله وبين كلام البشر بل حُرموا تذوق ما فيه من غذاء الأرواح والقلوب فصاروا نهبة لسهام هؤلاء السحرة الذين يؤمنون بالتنجيم [٢] والسحر .

وبعد فالذي ندين الله تعالى به أن أحداً من المسلمين كائناً من كان لا يدور بخلده، ولا تحدثه نفسه بتغيير شئ في القرآن ، مهما ترتب على هذا التغيير من إصلاح ، فأذا كان الرسول ﷺ ـ وهو هو ـ أمر من قِبَل الله عز وجل بأن يقول ﴿ مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ﴾ يونس آية : ١٥ ، فكيف يجرؤ غيره أن يغير شيئاً في القرآ ن من تلقاء نفسه ؟ [٣]

وخلاصة التعقيب أن هؤلاء المستشرقين لما أحسوا بهرائهم فلم يعد في مكنتهم إلا أن لجأوا إلى الإخبار بالمبنى المجهول وبالمبهمات عن قذفهم بما تلجلج في ألسنتهم عجمة ولكنة بَدا عوارها لكل ذي عين ،فقالوا : « أُلِّف » ، وقالوا : فقد وجدت ، وقالوا : ولم يستطع مؤلفوا القرآن ، وقالوا : « بل اكتفوا » هذا زاد مدعي التحقيق العلمي ، مبهمات ومهملات ، وزادت هفوتهم أنه دار في خلدهم شئ لم يتبينوا حقيقته فتكلموا عنه بالمبني للمجهول ، فقذفوا به من مكان بعيد ، ولا يهمهم أصحيح هو أم باطل ؟ المهم عندهم القذف به دون دليل ولا سند ولا بينة ولا آية تدل على صدق دعواهم [٤]، ولا غرابة في ذلك ، فقد اتخذ الذين ينتسبون إليهم من قبل عجلاً جسداً له

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي ، إل شاتليه لخَّصها ونقلها إلى اللغة العربية محب الدين الخطيب،مساعد اليافي ص١٦٧ ، الدار السعودية ، جدة، الطبعة الثالثة : سنة ١٤٠٠هـ.

(٢) انظر النبأ العظيم ، د/ محمد عبد الله دراز رحمه الله ، ص ١٢٤ ، ص ١٦٠، ١٧١، وانظر : التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر لإسلام خان ص ٧٤،
وانظر الإسلام والحضارة الإنسانية ، مصدر سابق ، ص ٩٩ ـ ١٠١ .

(٣) انظر القراءات في نظر المستشرقين والملحدين ، مصدر سابق ، ص ١٣٢ .

(٤) الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ١٢٥، وذلك مثل قولهم « الإسلام يصادم الواقع ، ويخالف المعقول » فمن يخالف المعقول ويصادمه الثالوثية أم الوحدانية لله الصمد ؟ لعلهم يقصدون بالواقع : واقع الكنيسة ، فهذا صحيح ، ....

خوار ، فقالوا هذا إلهكم وإله موسى ؟ أين ذهبت عقولهم وقلوبهم * ؟ ومتى وأين ؟ في حياة موسى عليه السلام وبين ظهرانيه ؟

أليس هذا فعل آبائهم من قبل ؟ فماذا كان ؟ لقد ورث الأبناء عن الآباء العجلة والسرعة في إصدار الأحكام والحقد في قلوبهم الذي أعماهم عن الحقيقة دون توطين للنفس أو إعمال للعقل فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، فلو كان عند هؤلاء المفترين أثارة من علم لذكروا لنا أسانيدهم فلان عن فلان حتى يبلغوا به إلى من رأى أحد الخلفاء الراشدين المهديين أو من بعدهم من الخلفاء [1] أو الصحابة أنه سمع أحدهم أو رآه وهو يؤلف هذا الكتاب المبارك ؟

فلما لم يفعلوا ذلك سقطت دعواهم حيث احتاجت إلى بينات ولم يسندوها ، فعلم منه عقلاً وذوقاً وعادةً أنه خرج من عقولهم الحائرة وقلوبهم التي أمضّها الشك والارتياب فتقطعت قلوبهم حسرةً وحسداً وكمداً أن بقى هذا الكتاب المبارك على أصوله لم يصبها تحريف ولا تغيير كما شهد بذلك « يوسف شاخت » كاتب مادة « أصول » من دائرة المعارف الإسلامية ، وهو معروف بحقده الذي لا يكتمه عن الإسلام وأهله ، مما جعل « موريس بوكاي » يقول : « إن لأصالة القران مكانة بين كتب الوحي لا ينازعه فيها العهد القديم ولا الجديد » [2] وكما شهد به كبيرهم الذي

---

* عجل يصنعونه بأيديهم ثم يضفون عليه صفة الإله .

(١) وذلك أنهم أبهموا الخلفاء ، إلا أن نعينهم في الحجة ونقول : الألف واللام في الخلفاء، للعهدية الحضورية أي فيكونون الخلفاء الراشدين ، وإلا فهم أبهموا وأهملوا لكن فليكن كذلك .

(٢) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة : حسن خالد ، ص١٥٧ ، مع الإشارة أن القرآن أعلى من أن يختبر بتجارب البشر ، لكن ماذا نفعل ؟ وقد سيطر « صنم العلم » على عقول المفكرين الأحرار . بل الأولى وبكل عزة وفخر أن تختبر صدق تجارب البشر وتعرض على الكتاب المبارك ، فأين أهل العزة وأهل الذكر أفلا تعقلون ؟

علمهم السحر * - جولد زيهر - في كتابه « مذاهب التفسير الإسلامي » [١] .

ومما يزيدنا يقيناً أن الشك أمض قلوبهم وأنه كلما وجدوا شيئاً قذفوا به حتى ولو كان على من يتحذونه إلهاً ويدعون باسمه وأنه ابن الله ، تعالى وتقدس عن ذلك ، فلقد كان في ذهني أن النصارى يقدسون « عيسى » عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، ولا يمكن أن يصدر منهم ما يجرحه ولو من بعيد ، فلما وقفت أمام نص يقدح في « عيسى » عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أتمهما وأكملهما علمت أنهم قوم لا أخلاق لهم ، وليس لهم إلّ ولا ذمة ، فإذا قلّبنا صفحات كتاب « محمد ﷺ في التوراه والإنجيل والقرآن » [٢] حتى نأتي هذا العنوان « ما حديث الأناجيل عن شخصية المسيح ؟

يبدأ الأستاذ « إبراهيم خليل أحمد » - ناقلاً عن هذه الأناجيل - بقوله (« إن المسيح عيسى بن مريم لم يكن من النساك الزاهدين ، كما كان الأنبياء والأسنيون

---

* لقد أورد الأستاذ : ظفر الإسلام خان في كتابه « التلمودتاريخه وتعاليمه » تحت عنوان « خرافات التلمود » كثيراً من النقولات التي تدل على إيمان حاخامات اليهود بالسحر والشعوذة ، ولا سيما أن جولد زيهر « موسوي » أي يهودي عاش ما بين ١٢٦٦ - ١٣٤٠هـ انظر الأعلام للزركلي « إجناس كولْد صِهَر » ١/٨٤ .

(١) ص ٦ ، على حسب نقل الشيخ القاضي رحمه الله . بل أكد موريس بوكاي أن عنصري الأصالة : الحفظ والكتابة توفرا للقرآن ولم يتوفرا أبداً للأناجيل انظر ص ١٥٨ .

(٢) من تأليف إبراهيم خليل أحمد كان قسيساً فأسلم رحمه الله سنة (١٩٦٠م)كما ذكر هو عن نفسه في مقدمة كتابه ص ١٤ ، وكان سابقاً يدعى القس إبراهيم خليل فيلبس . والكتاب من نشر وتوزيع دار المنار ، القاهرة ، ط سنة ١٤٠٩هـ .

بل ذكر محمد علي البار في مجلة المجتمع عدد : ٦٤٩ ، ص ٣٨ أن قسيساً في الولايات المتحدة عام (١٩٧٠م) قام بأصدار كتاب أسماه « المسيح شاذ جنسياً » وألفوا كتاباً عن غراميات المسيح ثم جعلوه فيلماً سينمائياً يعرض في دور السينما ، نقلته بواسطة : فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات جمع مصطفى غزال ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

ويوحنا المعمدان [١] ، بل كما يروي عنه متى الإنجيلي : « أكول وشرِّيب خمر محب للعشارين والخطاة » [٢] وقال عنه يوحنا الإنجيلي : « إنه قدَّم كثيراً من الخمر في حفل الزواج » [٣] هذا كلامهم عن الرب يسوع) [٤] فهل نستغرب كذبهم وافتراءاتهم على الكتاب المبارك ؟

وعلى هذا : فما موقف « الخماجات » * من هذا الكلام ؟

وعلى من أطلق ؟ إنه على ربهم يسوع ! كارثة ومصيبة ولوثة عقلية أصابت مدعي التحقيق العلمي ، هل عموا وصموا عن مثل هذا الكلام الذي لا يتجرأ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ وهو يعي ما يقول ـ أن يقوله على صحابي فضلاً عن رسول من أولي العزم من الرسل ! إنها النكبة على مدعي التحقيق العلمي ولكنهم قوم يجهلون [٥] .

أليس من حق عيسى ـ عليه سلام الله ـ على مدعي التحقيق العلمي أن يشتغلوا بما عندهم من كتب يدرسونها ثم يتفكروا أن هذا الكلام لا ينبغي بقاؤه في أوساط

---

(١) أي يحي بن زكريا عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

(٢) نقله من متى : ١١ : ١٩ . ويظهر لي من كلمة « العشارين » أنهم أهل المكوس .

(٣) يوحنا ٢ : ١ ـ ١٠ .

(٤) مع العلم أنه قد ورد في أناجيلهم ما يدمغهم أنه ليس رباً ولا إلهاً ، لأن من المعلوم عادة أن الذي يأكل لابد أن يحتاج إلى إخراجه ، ومن احتاج ليس إلهاً ، جاء في الإصحاح الرابع والعشرين ، الآيتان ٤٢ ، ٤٣ من إنجيل لوقا ما يلي : « فناولوه جزءاً من سمك مشوي ، وشيئاً من شهد عسل فأخذ وأكل قدامهم » أهـ إنه لا يحتاج إلى تعليق ، نقلته بواسطة : ما هو اسمه ، لديدات ، ص ٣٣ .

* الناس درجوا علي « خواجة » وهي تعني « سيد » وهم ليسوا لها أهلاً فأطلقت عليهم هذا اللقب لأنه يعني الفاسد والمنتن وذا الرائحة الكريهة ، وغير صافٍ ، انظر لسان العرب لابن منظور مادة « خمج » ٢/٢٦١ .

(٥) بل قالوا عن الله « فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيِّط من الخمر » المزمور ٧٨ الآية ٦٥ انظر : ما هو اسمه ، تأليف ديدات ص ١٢ .

هؤلاء المستشرقين [١] ، ؟ أليس العادة والعرف والذوق تقضي أن يبدأ الرجل بتنظيف أفنيته ثم له الحق أن يتهم جيرانه بما شاء ، لكن والحال أن أفنيته متسخة فكيف يتهم غيره ويترك نفسه * ؟ فلماذا هؤلاء المستشرقون تركوا حق عيسى وراءهم ظهرياً وأخذوا يقولون على الكتاب المبارك ماليس لهم به علم من الكلام ، أيحسبون هذا هيناً وهو عند الله عظيم ؟ ألا يكفيهم خزياً تحريف التوراة والإنجيل ؟ إذن ليس غريباً أن يسبوا عيسى ابن مريم وأنبياءهم من قبل ، والغرابة تزول عند هذا إذا سمعنا افتراءاتهم عن القرآن أنه ١١٤ فصلاً ، حيث قاسوه على ما يسمعونه من الروايات والمسرحيات الغربية الخرافية التي تتكون من فصول ، وحاصل قولهم إن القرآن أساطير الأولين ، بدلالة إختيارهم لكلمة « الفصول »

وأبى الله إلا أن يظهر من كلامهم ما يدل على بطلانه وهو قولهم « النسخة الشرعية » فيا ترى لمن تكون ؟ وكيف عرفوا أنها نسخة شرعية ؟ ومن أين جاءت ؟ وكيف جاءت ؟ ومتى وجدت ؟ فقولهم يدل على اعتراف بوجود نسخة شرعية يُرجع إليها ، فَلِمَ لا يكون القول هكذا وهو : ما خالفها فهو باطل ، لأن قولهم هذا وهو التعارض بين النسخ وبين النسخة الشرعية يدل على أن كل نسخة مستقلة بذاتها . لكن لجلجتهم أبت إلا أن تبين عوارهم وذلك أن قولهم « نسخة شرعية » يدل أن باقي النسخ أخذت منها لاعارضتها ويبقى الفروقات من الناسخ لكنهم قوم يجهلون [٢] ويقذفون بالشئ من غير جد ولا مستند ، فهذه ترهاتهم أراها لا تستحق عناء الرد منا ولكن خشية على الذين من خلفنا ضعاف العقول ، ومن قلوبهم كالاسفنج تشرب ما

---

(١) لقد جاء في إنجيل « نيقوديموس » أن آدم وإبراهيم والأنبياء استقروا في الجحيم بعد الموت إلى أن نزل إليهم المسيح ثم صعد بهم إل الفردوس في السماء ، وها هو النص « وجاء ملك المجد [المسيح] ووطأ الموت بقدميه ، وأمسك بأمير الجحيم وحرمه من كل قوته وأخذ أبانا الأرضي آدم معه إلى مجده ـ ١٧ : ١٣ » أهـ من : ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ ، لأحمد ديدات ، ترجمة وتعليق : إبراهيم خليل أحمد ، ص ٢١.

* وهذ يذكرنا بقوله ﷺ « طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها " حسن ، صحيح الجامع رقم الحديث : ٣٩٣٥ .

(٢) انظر ، موريس بوكاي والمصدر السابق ص ١٦٢ .

يلقى فيها ، فجعلوها عرضة للبلاء والفتنة ، وفي هذا فليتق المسلم موارد الشبه ووساوس وخواطر الشيطان ، إن في هذا لبلاغاً لقوم يعلمون ، ولا سيما أنهم اعترفوا بأنفسهم أن ما يقال عن القرآن إنما هو أساطير ، وفي ذلك يقولون في مادة « بحيرا » « وليس لدينا ما نقوله إلا القليل من الناحية التاريخية عن صحة هذه الأساطير ،لأن المعلومات تنقصنا في هذا الموضوع »[1].

فمادام أنهم لا يملكون إلا القليل عن الإسلام ـ ولقد كذبوا والمراد بقليلهم أي لا يملكون إلا قليلاً من الشبهات وإلا فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ـ لكن نعود ونؤاخذهم بما شهدت به ألسنتهم هل يحق لهم والحالة هذه أن يُلْبسوا الحق بالباطل في كتبهم الإستشراقية[2] إنهم لو كلفوا أنفسهم البحث وتحروا الحق لوجدوا أن كلامهم هو المتناقض ولزالت الغرابة من نفوسهم عن هذا الكتاب أنه كلمة الله ، لكنهم لم يفعلوا فلما لم يفعلوا فلنعلمهم ولنعلن لهم صراحة أن كتابهم حديث خرافة ، وذلك أن كل قول لا يستند إلى البحث ، وهذا البحث لا يستند فيه إلى الدليل فهو حديث من أحاديث الإشاعات إن لم نقل من أحاديث الخرافات[3] بل نقول لهم كما قال الله تعالى ﴿ ياأهل الكتاب لمر تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتمر تعلمون ﴾ آل عمران ٧٦ ونقول لهم كما قال الله تعالى ﴿ فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلمر فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكمر

---

(١) دائرة المعارف : ٦ / ٣٤٠ ، أضف إلى ذلك أن قولهم أخذها من « بحيرا » أو من « اليهودية والنصرانية » أو من « الشعراء المتحنفين » أو من « الشعراء الجاهليين » كل هذه وأمثالها متقدمة عن عهد الخلفاء لأنه كيف تجمع بين أنه ألف في عهد الخلفاء وبين أنه أخذ مما سبق ذكره ؟ وما جاء الخلفاء إلا بعد أولئك ، أفلا يعقلون ، وسوسة نفسية ، فهذه الفئة لا تدري ما تقول في القرآن من طغيان اللدد والخصومة مما سبب قيام أبحاثهم على حطام الفكر بلا حجة من تاريخ أو عقل ، والقرآن (شأنه أعظم من أن يتكلم فيه امرؤ بغير تثبت من معناه ، وتمكن من تاريخه ، وتتبع للآيات الدالة على حقيقته) من مقدمة الأستاذ: محمود شاكر لكتاب الظاهرة القرآنية ، ص ٢٧ ، وانظر، ص ٢٣ ، ٢٩ ، ٤٢ .

(٢) انظر : العصريون معتزلة اليوم ، يوسف كمال ، ص ١٢٢ .

(٣) انظر ما يقال عن الإسلام ، ص ٩٤ .

ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم * فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين * ﴾

آل عمران : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ .*



---

* هذه قناعتي أن هؤلاء قوم خصمون لا ينفع معهم إلا المباهلة . والله يتولى الصالحين .

المطلب السادس :

الشبهة الثانية :

قال أحدهم وهو « هرشفيلد » (**إن الصمدية * متأثرة بآيات « سماع » من التوراة ،**)[1]

فكان نقضه لها يتمثل في الآتي :

١ ـ لقد نظر « العقاد » رحمه الله إلى هذه الكلمة فجعلها من مضحكات المستشرقين ، بل هي مجرد توهم أو إرادة توهم ، أي خطر في بال « هرشفيلد » أن صمد تشبه « سماع » ، وهي ليست مبنية على أساس ، بل هي مجرد خيال أتى به لسانه الأعجمي .

٢ ـ لو دقق النظر هذا المستشرق في نطق هاتين الكلمتين لوجد الحقيقة الظاهرة أن « سماع » والصمدانية شيئان مختلفان .

٣ ـ لقد لذع « العقاد » رحمه الله هذا المستشرق بلذعة استهزاء وسخرية بالغتين حين قال « لعل صاحبنا المستشرق قد أثَّرت فيه تصحيفات العجمة ، فأوحت إليه أن التشابه بين « سماع » و « الصمد » حين يقع فيها التصحيف على اللسان الأعجمي ، يدل على مصدر واحد ** ، لأن اللسان الأعجمي يصحف « سماع » و« الصمد » إلى « سما » ولا ينطق الصاد أو العين أو الحرف الأخير من الكلمة في كثير من الأحيان »

٤ ـ لقد مثل « العقاد » رحمه الله ، بمثال واحد يدل على أن هؤلاء يحشرون أنفسهم في لغة لا يعرفون نطق بعض حروفها ، فتراهم يستظهرون *** ألفاظها ، ولا

---

* آية سورة الإخلاص .

(١) بين الكتب والناس ، للعقاد ، ص ٢٠٦ .

** جملة فعلية في محل خبر « إن » واسمها « التشابه » ، وما بينهما ـ جملة اعتراضية أو تفسيرية .

*** الواقع أني أعجبت بكلمة « يستظهرون » كأنما يركبونها غصباً ، وهم في الواقع أجهل من حمير بني إسرائيل الذين شبههم الله بها ، فهم يحملون ألفاظ اللغة لكن لا يفهمونها ولا يدرون عن أسرارها .

يتذوقونها ، ولا ينفذون إلى لبابها من و راء نصوص القواعد والتراكيب بل لا يدركون أسرار اللسان العربي مع الجهل المطبق بمفرداته ، فعندما جاءوا لترجمة « الصعيد »* قالوا : إنه مصر السعيدة ، قياساً على العربية السعيدة ، فلا عجب أن تتقارب الصمد والسماع عند بعض هؤلاء « المجتهدين » الألباء** .

٥ ـ من حيطة « العقاد » رحمه الله أنه أورد لنا الآيات التي صادفت قلب « هرشفيلد » فأخذها وشان به صفاء وكمال آية سورة « الإخلاص » يقول « العقاد » رحمه الله أما آيات « سماع » فهي الآيات التي وردت في الإصحاح السادس من سفر التثنية .....وهي « اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهنا من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك ، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم » أ هـ .

والآن نأتي إلى سورة الإخلاص الواردة فيها آية الصمدية يقول الله تعالى﴿ قل هو الله أحد ★ الله الصمد ★ لم يلد ولم يولد ★ ولم يكن له كُفُوًا أحد ﴾ ما العيب الظاهر ؟ وما الأمر الكبار الذي غش فيه القرآن ؟ آالوحدانية ؟ وهل الوحدانية « وحدانية الله » حكر على ا لتوراة ؟ إنه في الإمكان أن يُقبل منكم هذا القول لو أن القرآن أوردها مرة أو مرتين ، لكن أن يكون القرآن كله من أوله إلى آخره يدعو إلى الوحدانية ، مما يدل على أن الوحدانية ليست عقيدة عرضية في الإسلام ، بل هي أسه وأساسه ، إفراد الله

---

* صعيد مصر ، ولاحظ معي أن لسانهم خانهم لأنهم ينطقون « صعيد » « السعيد » لكنة ظاهرة وعجمة بدت عوارها في ترجماتهم ، فصدق « العقاد » رحمه الله حين قال « توهم أو أراد أن يتوهم » هذا يذكرني بقول الشاعر :

أتاني هواها من حيث لا أدري الهوى   فصادف قلباً خالياً فتمكنا .

لقد علم هذا المستشرق أن نطقه خانه، لكنه لم يُعره اهتماماً بل مضى إلى« ما أراد أن يقذف به مستظهراً هذه الكلمة « الصمد » إلى « سماع » فركبها على عناد وجهل منه ، فجاءه سهم العقاد فأنزله وقال له بلسان العامية «أنت ما حَسَّبْت تلقاها » حتى تندرج تحت الباحث العلمي المتجرد .

** سخرية لاذعة ولا شك .

رباً وإلهاً ولا نعلم له سمياً .

إن آيات سماع مجرد تعويذة ، وطلبٌ لحب الرب ، وأن نَقُصَّها على الأولاد ونتكلم بها في كل حين ، لكن نعود ونقول لكم إن الأديان السماوية متفقة ومتقاربة في العقيدة الإلهية إذا كانت الكتب الأخرى صحيحة ولم تبدل فعقيدة التوحيد هي في كل الديانات الإلهية ، ويمكن أن نحمل كلمة متقاربة على الأدلة لا على العقيدة نفسها .

٦ ـ يوضح « الخامس » أن الأديان السماوية جاءت بأصول عامة ، أسها وأساسها وحدانية الله ، فلا عجب أن تلتقي فيه ، فإذا كان أنبياء الله كذلك فلا نستطيع القول إن اللاحق أخذ من السابق .

كيف ذلك واللاحق جاء بوحدانية الله التي لم يشبها شائبة الوثنية أو العصبية .

٧ ـ إن الذي تولى كبر ذلك وحده هو « هر شفيلد » فلم يكن له متابع ، فلقد حار المترجمون أمثال : جورج سيل ، وريتشاردبل ، بالمرُورْد وِيل ، في نقل هذه الكلمة العربية إلى كلمة تقاربها من اللغة الإنجليزية أو الفرنسية ، فعندما أصابتهم الحيرة كان في وسعهم أن يتلمسوا لها مخرجاً وهو أن يقولوا أصلها كذا لكن أبت عليهم أمانتهم العلمية ذلك ، فلما لم ينقل لنا ذلك علمنا أن « هرشفيلد » أصابته عقدة الغربيين وتوهم أن « محمداً » * مجرد ناقل ، فأراد أن يساهم بنصيبه في الإفتراءات الكاذبة، مع العلم أن الذين ذُكِرُوا أعلم منه وأحكم .

٨ ـ إن هذا الإفتراء ليدل على عصبية ظاهرة ، وكأن بني إسرائيل هم أهل التوحيد ، وما سواهم أهل وثنية ، ولو أجرينا المقابلة بين نصوص الكتاب المقدس وبين آيات هذه السورة « الإخلاص » لوجدنا أن الوحدانية ظاهرة في السورة لا في آيات « سماع » فهو الله رب العالمين وإله العالمين ليس كمثله شئ لم يلد ولم يولد ، بينما آيات « سماع » حصرت أن الإله إله بني إسرائيل فلو أن محمداً * نقل لقال « اسمعوا ياعرب الرب إلهنا رب واحد » لكن عمي المستشرقون عن آية الحمد ، حيث إنها دلت على أن الله رب العالمين لا رب العرب وحدهم أو إلههم وحدهم ، فهذا الكذب بعينه الذي توهمه « هر شفيلد » فقذفت به نفسه .

---

* ﷺ .

٩ ـ وجه « العقاد » رحمه الله إلى أمثال « هرشفيلد » من المستشرقين سؤالاً مفاده : هل ما تقذفون به عن دراية وعلم وبحث أم عن مقررات [١] سابقة في نفوسكم دون الرجوع إلى تفصيلات هذا الدين ؟ .

١٠ ـ لقد نصَّبتم أنفسكم باحثين موضوعيين ومتجردين أفليس من حق هذا الإدعاء عليكم أن تعرفوا حقيقة الإسلام والمسلمين من مصادرها لا من أقاويل المغرضين والمروجين للأباطيل ؟ لكنكم لم تفعلوا ذلك بل تلقيتم هذه الأقاويل كحقيقة مسلمة دون تثبت ولا بحث .

١١ ـ لو قالوا ليس لدينا مصادر نرجع إليها ، لكان ذلك كافياً في كذب دعواهم ، لأنه لا يحق للباحث الموضوعي المتجرد أن يلقي بما خَطَر وتوهم دون الرجوع إلى أصول المدروس عنه ، فما بالك إذا كانت افتراءاته عن هوى دفين ، وقد سبق لهم الدراسة الوافية عن الإسلام .

١٢ ـ لا نعذركم أبداً للتقصير الحاصل منكم ، لأنكم قادرون على الرجوع إلى أصول الإسلام [٢] .

١٣ ـ لقد عُهد عن الأوربيين أنه يشوقهم أن يطلعوا على أحكام القرآن في حقوق الإنسان مثلاً ، أو في النظام الإجتماعي أو نظام الحكومة ، أو طبقات المجتمع أو أخلاق الأسرة والبيت ، أو آداب الحرب والسلام بين الأمم أو آداب المعاملات بينها على الإجمال ، أو الموازنة بين القومية والعالمية والإنسانية ، وما شابه هذه المسائل التي تواجه العقل الغربي كل يوم ويهمه أن يعرف كيف حَلّها أصحاب الأديان ، وكيف يقترحون حلها في الزمن الأخير ، فإذا وجد الغربيون أمامهم كتاباً تجمع عناوينه هذه المعضلات العصرية منسوبة إلى دين يسمعون به ، ولا يعرفون تفصيلاته شاقهم أن

---

(١) هنا يبين العقاد بحق أهم سبب من أسباب المنحرفين في فهم الكتاب والسنة ، وهو أن يدخل صاحب الفكرة على الكتاب والسنة بعقيدة سابقة أخذها من وهمه ثم يحاول أن يجذب النصوص الشرعية إليها .

(٢) ولو أنصفوا لعرفوا أنهم لو ملكوا المعلومات الصحيحة يقولون ، وإذا لم يعلموا هذه المعلومات الصحيحة يسكتون ، أما أن لا يعرفوا ثم يخرفوا فهذا مالا يقبله عاقل وهم الذين يدققون في المعرفة ووسائلها .

يطلعوا عليه عسى أن يجدوا حلولاً مناسبة لهذه المعضلات النازلة عليهم ، إذن عندهم القدرة على الرجوع إن أرادوا المصالح النفعية لهم ، لكنهم يغمضون أعينهم ويكفون أيديهم إذا كان الأمر يتماشى مع هواهم وسابق تصوراتهم بل إذا كان الرجوع سيصدمهم بحقائق سكتوا عنها إرضاء للرأي العام ولما استقر في نفوس الغربيين أن محمداً * ناقل ممن قبله ، فيعتذرون بأنه لا يستحق أن يسمى وحياً منزلاً من السماء حتى نرجع إلى أصوله ، مع أنهم يعلمون أن كل واحد يستطيع الإدعاء متى شاء ، لكن لايستطيع أن يجيب على هذا السؤال وهو : هل الجهد الذي بذلته في مصالحك النفعية بذلت مثله في ثبوت دعواك ؟ الجواب نتركه لأهل التجرد والموضوعية .

١٤ - يذكر « العقاد » رحمه الله أننا لو عدنا إلى معاني الصمد [(١)] في اللغة العربية لوجدنا أنها تعني : الذي لا جوف له ولا حشو ولا أحشاء ، وأنه السيد الذي ليس فوقه أحد وأنه الباقي بعد خلقه ، وأنه لم يلد ولم يولد وأنه يطعم ولا يطعم ، وأنه المقصود الذي يتجه الخلق إليه حين يطلبون ما يجابون إلى طلبه ، والحاصل أن معناها اللغوي قد اتسع لتفسيرات كثيرة في أقوال الفقهاء والمتكلمين وفلاسفة المسلمين حتى ممن ترجموها إلى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أمثال : جورج سيل** ، وريتشارد بل ، و بالمروديل ، أجمع ثلاثتهم على ترجمتها بالأبدي الأزلي ، هذا ما تعنيه هذه الكلمة عند المسلمين أنه رب العالمين لا رب قبيلة بعينها ، وإنه إله العالمين الذي ليس له مثيل ولا نظير ، ولكننا لو أطللنا إطلالة يسيرة على ما ورد في « التوراة المحرفة » لوجدنا أن صفات ربهم وإلههم :

أنه رب شعب إسرائيل .... ومهما فجروا أو أجرموا فهم أبناؤه وأحباؤه ، وهو إله حقود على كافة البشر ما عدا ابنه البكر ، وهو سريع الغضب كثيرالندم ، وتسقط له دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه ، وهو ينام في الليل ويعمل في النهار ، ويدرس التوراة ويلعب مع الحوت ملك الأسماك ، وهو يحب اللحم

---

* ﷺ .

(١) انظر توثيق هذه من لسان العرب لابن منظور مادة « صمد » ٣/٢٥٨ .

** مستشرق إنجليزي عاش ما بين (١٦٨٠ - ١٧٣٦) انظر : الأعلام : ٢/١٤٥ .

المشوي جداً (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) ويتنسم نسيم الرضا في مقابل رائحة المشوي ، ولا يهم الرب هذا إن كان اللحم المشوي من أغنام مسروقة أو لا ، كما فعل « يعقوب » عندما سرق غنم خاله وبقره وأمواله وصنمه ، فقد رضي الرب عنه عندما قدم له مجموعة من الأغنام والبقر مشوية ، بل زوجة موسى تخدع الرب حيث أراد الرب أن ينزل لقتل ابن موسى البكر ، فما اهتدت إلى حيلة إلا أنها قامت بختان الولد بسكين ، وأخذت الدم ومست رجل الرب بهذا الدم وصاحت « عريس دم من أجل الختان » فانفك الرب عنه ، وفوق ذلك إفكهم أن الرب جلس في التابوت والجنود يجرونه وهو يتفرج عليهم وأخيراً أمثلة من إفكهم الرب يعترف بخطئه أمام كبير الأحبار فما يقول هؤلاء المستشرقون ممن يزعمون أنهم أهل التجرد والموضوعية في هذا الكلام ؟ من هو الواحد رب العالمين ، إله العلمين مَنْ صفته وردت في سورة الإخلاص من القرآن الكريم أم إله بني إسرائيل الذي هذه صفته عندهم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً لقد قالوا كلمة كبرت تخرج من أفواههم ولقد جاءوا شيئاً إداً أن ساووا بين الصورتين بل جعلوا اللاحق مثل السابق ، أفليس في شرعة العقل أنه لو نَقَلَ منه كما زعموا أفلا ينقل هذا الأمر الكبَّار [1] .

وخلاصة ردوده « رحمه الله » أن العلماء الغربيين - وعلى رأسهم المستشرقون - لا يصيبهم الكلل إذا أرادوا تحقيق دعواهم ، فتراهم يتصيدون ذلك من الشواذ الغريب ، ويجمعون من هنا وهناك حتى يثبتوا ما استقر في أذهانهم ، لكنهم يعجزون ويتعامون إذا كان البحث يؤدي بهم إلى كشف عوارهم واختلاف دعواهم . والإنسان قد يستطيع تزييف الحقائق ، و قد يسهل عليه أن يكذب وأن يكذب حتى يصدق هو نفسه كلّ

---

(١) هذا ما قاله « موريس بوكاي » - بعد عده عقود - وهو أنه لو كان القرآن ناقلاً من التوراة والإنجيل لنقل الحق والباطل ، أما وأنه يقر الحق وينقض الباطل فهذا أكبر دليل على أنه لم يأخذ من الكتب السابقة .

اقرءوا إن شئتم قوله تبارك وتعالى ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** ﴾ أي إذا وجد حقاً صدقه ، وإذا وجد باطلاً بين بطلانه ، و هذا هو معنى مصدق ومهيمن ، المائدة : ٤٨ ، وانظر : الوحي المحمدي ص ١٢٠ - ١٢٨ ، الطبعة : ١٠ سنة ١٤٠٥هـ ، المكتب الإسلامي ، دمشق - بيروت .

أكاذيبه ، وينسى أنه مخترعها الأصلي ، ولكن سرعان ما ينكشف له عواره ، وسوء ما قذف به عن تجاهل وسفه ، حمله على ذلك الغرض النفسي والحقد الذي أعمى بصره وبصيرته ، فلم يعد يرى إلا ما خطر في نفسه واستبطنه [١] . ويوصي « العقاد » الكتاب المسلمين أن لا يسرعوا إلى تفنيد هذه المآخذ كأنها اتهام يتطلب الدفاع قبل أن يحققوا التهمة لذاتها ويكشفوا عن موضع المؤاخذة فيها ، وصدق رحمه الله .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

(١) ما يقال عن الإسلام ،٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٧٨ ، ٩٤، ١٠٣، ١٠٨ ، ١٣٦ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،

حقائق الإسلام : ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ١٠٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

بين الكتب والناس : ٦٠٠ ـ ٦٠٧ .

المطلب السابع :

الشـبـهـة الـثـالـثـة :

(إن الراهب ـ سرجيوس ـ أو بحيرا ـ هو ملقن محمد * لقصص القرآن) ، أو (هو حاخام إسرائيلي مجهول) [١] ، إذن فالقرآن (نسخة مشوهة من اليهودية والمسيحية) [٢] .

يبدأ العقاد في نقض هذه الشبهة بقوله رحمه الله :

١ ـ إن الذين يقولون هذا غمرهم الكسل أو الإستسلام العقلي ، حيث ساقهم إلى هذا الخطأ المتواتر الذي تَدَاوله العقول الغربية على الإسلام ، حيث دعاهم إلى ذلك اعتمادهم على المصادر الغربية المشوِّهة عن عمد حقائق الإسلام ، هذه المصادر التي تسترت تحت ظلال البحث العلمي ، الذي جناحاه : أحاديث الإشاعات ، وأحاديث الخرافات [٣] .

٢ ـ كان الواجب على الباحث أن يعقد المقارنة بين اليهودية والإسلام من حيث موضوعهما وأمتهما لا على دراسة الرقم التاريخي وحده ، والوقوف لديه بعيداً عن موضوعه ومن أهله ، ويترتب على هذا ألا يقنع بتناول أسماء العناوين ، وهو بعيد عن

---

* ﷺ .

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٧٠ .

(٢) نفس المصدر : ص ٩٤ ، وانظر : حقائق الإسلام ، ص ٤٤ ، ٧٣ ، ١٠٥ .
ومنشأ الشبهة (أن السابق في التاريخ أولى بالتأثير فيما يليه أو يسبقه إلى الشعائر التي يتشابهان فيها) ص ٩٤ ، ما يقال عن الإسلام .

(٣) نفس المصدر ، ص ٩٤، بل أكد ـ رحمه الله ـ أنهم لو كانوا صادقين في هذه الإشاعات لبدأ كل واحد منهم بالمقارنة ثم يذكرها واحدة واحدة ، ولكنهم علموا أن المقارنة ستنتهي إلى أن الإسلام هو المصحح لخرافاتهم ودجلهم، وأن النبوة المحمدية منحة إلهية استحقت من الله أن يجعل فيها رسالته الخاتمة لأهل الأرض ، ومع هذا أو ذاك فقد ظهر عليهم التهاون المعيب الذي أفقدهم النزاهة العلمية انظر ص ١٤١ ـ ١٤٥ ، ما يقال عن الإسلام ، وانظر ص ٤٤ .

جوهر الدين الإسلامي .

٣ ـ وينقلنا العقاد إلى نكتة عظيمة وهي أن (كلمة « النبي » نفسها لم تكن معروفة عند اليهود قبل دخولهم أرض كنعان ، وإنما كانوا يسمون النبي بالرّائي ورجل الرب على رواية العهد القديم) (١)

فمن أين أتى بها محمد ﷺ والحال كذلك ؟

٤ ـ إن المقابلة والمقارنة بين عقائد اليهودية والإسلام هي بالإيجاز مقارنة بين « يهوا » والإله الأحد الصمد رب العالمين ، ومقارنة بين نبي التنجيم والخوارق وبين نبي الهداية والبلاغ المبين ، ومقارنة بين الحساب على سنة المحاباة والاختصاص بالحظوة وأنهم شعب الله المختار وأبناؤه وأحباؤه ، وبين حساب العمل والنية واستقلال الإنسان بما كسب ، وبما أراد . وعند هذا تظهر نتيجة المقارنة لكل ذي عين وعقل وسيعلم أنه لم يعرف النوع الإنساني ديناً رفع هذه العقائد إلى سماء من التنزيه والرشد والصدق فوق تلك السماء العليا التي ارتفع إليها الإسلام .

٥ ـ لقد ثبت الثبوت الذي لا شك فيه أن اليهود تعلموا من المسلمين في لغتهم وأدبهم وحكمتهم ، وأن المسلمين لم يأخذوا من اليهود شيئاً غير تلك « الإسرائيليات » التي تناقلها الجهلاء ، وأفلح المصلحون في تطهير العقول منها (٢) .

٦ ـ إن هذه الإتهامات جاءت خاطراً عَرَضياً الذي هو مصدر هذه الإشاعات ، وإلا فقد أثبت الباحث « نفتالي فيدر » * في كتابه الذي ألفه باللغة العبرية « تأثير الإسلام في العبادة اليهودية » ـ عندما أجرى المقابلة بين عبادات اليهود قبل اتصالهم بالمسلمين وبين عباداتهم بعد هذا الاتصال ـ فقال : (إن القدوة بالمسلمين عادت باليهود إلى

---

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ٩٥

(٢) انظر ص ٩٦، وانظر في هذا الكتاب الفذ : « الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير » للشيخ العلامة الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ، رحمه الله رحمة واسعة ونور الله عليه قبره ، مكتبة السنة ، القاهرة، الطبعة : ٤ سنة ١٤٠٨هـ .

وهناك مقالات كتبها د/حسن ظاظا ، في مجلة الفيصل تحت عنوان « تأثر اليهود بالمسلمين » انظر أعداد سنة ١٤١٣ ، سنة ١٤١٤ ، سنة ١٤١٥ هـ .

* لم أجد له ترجمة ، وانظر بعض التعريف به ص ٩٤ ، ما يقال عن الإسلام ، .

إحياء السنن التي هجروها من عباداتهم الأولى ، وعلمتهم سنناً أخرى لم يعلموها ، ومنها شعائر في صميم العبادة كشعائر الوضوء والغسل ونظام الصلاة الجامعة وغيرها من الصلوات)[1] ..... وهكذا نصل إلى تفنيد هذه الشبهة بل نصل إلى الحقيقة وهي أنه (إذا اختلفت اليهودية والإسلام ، فالفضل للإسلام في الإرتقاء بالعقيدة الإلهية التي جعلها اليهودية مشيخة قبيلة ، وفي عقيدة النبوة التي جعلوها ضرباً من التنجيم ، وفي المسئولية الإنسانية التي جعلوها ضرباً من محاباة العصبية الجهلاء لغير سبب ولا فضيلة)[2].

٧ ـ ينقلنا العقاد إلى لِفتة عجيبة وهي أن أساس الخطأ كله إعتقادهم أن اليهود هم مصدر العقائد الدينية التي احتوتها التوراة ..... وهذا الإفك لا يحتاج إلى عناء لإظهار وجوه الخطأ فيه ، كيف ذلك ؟ يجيب العقاد على ذلك بسؤال يسأله كتابَ الغرب وعلى رأسهم اليهود « المتهودون » فيقول : (إلى أي نبي من أنبياء بني إسرائيل يسند اليهود عقائدهم في سفر التكوين ، وهو جماع عقائدهم الكونية ؟ مع العلم أنهم تلقوا عقائدهم الكونية وأهم التعاليم الشرعية ممن تقدم أنبياءهم في الزمن ، بل من الشعوب الذين سكنوا فيهم ... وبعد هذا إنه لمن أعجب العجب أن يلج الكتاب الغربيون في إصرارهم على أصالة اليهودية وأن الإسلام فرع نبت على جذورها ... واليهودية فرع من أصل قديم بل عدة أصول وشاهده أننا لا نرى بين عقائد المسلمين عقيدة واحدة تتفرع على عقائد اليهود ، كما دانوا بها من قبل ويدينون بها إلى هذه الأيام ، فأين وجه الشبه بين هذه العقائد اليهودية اليوم وبين عقائد الإسلام[3] ؟ .

٨ ـ مما علم تاريخاً أن عقائد اليهودية والمسيحية لم تكن مما يغري بالإعجاب أو مما يدعو إلى الإقتداء ، وعلى هذا وقف الإسلام موقف المصحح المتمم ، لا موقف الناقل المستعير ، وكيف ينقل من عقائد مرتبكة بمناقشات لا تكاد تنقضي ، بل كانت تفضي إلى احتدام نار الفتنة وسفك الدماء بين أحزابها ؟ ... فأذا كان هذا حالها ، فكيف يهتدي رجل « أمي » في أكتاف الصحراء إلى إيمان بالله أكمل من إيمان من

---

(١) نفس المصدر ، ص ٩٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٠٣ ، وانظر عن المقارنة كتابه « حقائق الإسلام » ص ٣٢ ـ ٧٣ .

(٣) انظر ، ما يقال عن الإسلام ، ص ٤٤ ـ ٤٦ .

تقدم إلا أن يكون ذلك وحياً من الله ؟ وهكذا نصل مع فحوى كلام العقاد ومما فهم منه إشارة إلى ما يلي :

١ ـ أن هذا الكلام أطبق على عقول الغربيين فشلَّ أذهانهم عن الحركة أو التفكير، فأرجفوا بهذه الإشاعات وكرروها حتى غدت حقيقة برهانية لا تقبل الجدل أو السؤال عنها ، بل إن الغرابة تقع على الغربي الذي يحاول أن يستفسر عنها إذا سمعها تُرَدَّدُ في جلسة كهنوتية ، فلسان حالهم ومقالهم يقول : أوَ ما زلت في شك من هذا ؟ بل تزيد عليه غرابة لو حاول أن يسأل عن هذا الكلام كيف حصل ؟ ومن أين نقل ؟ وعلى أي أساس اعتمد ؟

٢ ـ ليس من الحلال في شرعة العقل كائناً ما كان دين العاقل أن يذيع الباطل البين عن دين أطبق العقلاء أن شريعته لا يضاهيها قانون أو مذهب أو اتفاق . فكيف نسبه إلى إنسان شهد عليه أهله أن أخلاقه منحلة ، وصاحب نساء ، ما رأى امرأة إلا اشتهاها أو راودها ، أو أغرى بها السفهاء ، بل قالوا عنه « راهب ملحد » * فأين يذهبون ؟ وكيف يوفقون بين مَنْ هذه صفاته وبين أنه أصل هذا الدين الذي جاء بعبادات تعرج بالروح ، وجاء بعقيدة حفظت كيان الأمة أمام غارات الإستعمار ، وقبلها الحروب الصليبية [1] .

٣ ـ إن قولهم من « بحيرا » يقتضي أن عنده علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وما سيكون ، وعنده علم أطوار الجنين ، والعلم بالكف عن القتال ثم العلم بالإذن فيه ، الحاصل أن عنده الأخبار والشرائع التي جاء بها هذا الكتاب المبارك .

٤ ـ إن كانوا صادقين فليحددوا لنا الشيء الذي أخذه محمد ﷺ من هذا الراهب ، ما هو ؟ هل أخذ عنه العقائد الغيبية ؟ هل أخذ عنه الحلال والحرام ؟ هل أخذ عنه تشريع المعاملات بين المسلمين وبين غيرهم ؟

وعلى كلٍّ فلنحذر من ا لمبادرة إلى النفي والإثبات دون أن يعينوا لنا ما هية المأخوذ ، فهل يريدون من وراء هذا أن محمداً ﷺ شوه النصرانية الوثنية ؟ هل

---

* انظر مادة « بحيرا » من دائرة المعارف .

(١) انظر داعي السماء ، بلال مؤذن رسول الله ، ص١٨١ ، وانظر الكلمات الأخيرة للعقاد ، ص ١٨٤.

يريدون أن يكون التثليث هو الأصل الثابت ، وما أنزل على محمد ﷺ الهرطقة والزندقة ؟ إن هذا إفك قذف به هؤلاء الأعاجم على سكر وإغلاق في عقولهم ! ....
وعلى كلٍّ هذا ظهر من غطرسة المدنية الغربية * ودعاواها التي زعمت أنها قهرت الطبيعة ، وغزت الفضاء ، أفلا يحق لهم أن يقولوا قولاً في الإسلام ، وحالهم كذلك ، ومع هذا (أنا ** أعتقد إعتقاداً جازماً أن القمة الروحية التي ارتقى إليها نساك الشرق .... لم يبلغها غربي ممن نعرفهم ونقرأ كتاباتهم ، و أن هذا التقصير عيبٌ كمين فيهم ، ويكفي أن أوربا لم تنبت نبياً ، وأنها عالة على الشرق في ما تدين به) [(١)] ... فإذا كان الحال كذلك فماذا يقولون في هذا الدين الذي أضفى أسمى وأعلى معارج الروح على أصحابه ، وألف القلوب بعضها على بعض من غير درهم ولا دينار *** ؟

٥ ـ لقد أثبتت البحوثات أن مصادر الجزيرة العربية ومصادر النهرين أوفى وأقدم من المصدر الإسرائيلي ، فهذا المصدر الأخير أقرب إلى مظنة الخطأ والتحريف من ذلك المرجع الأصيل ، فما دام أن محمداً **** مجرد ناقل فَلِمَ لا يختار لدينه الأوفى والأقدم ؟ بل تعداه إلى ما هو أقرب إلى الظن والتخمين من ذلك ، ومع هذا أو ذاك فقد جاء بقصص فاقت الأول والثاني في مطابقتها للواقع ، بل جاء بأخبار لو يجتمع جميع البشر على أن تكون أخبارهم مطابقة للواقع مثل ما طابقت أخباره لما حصل لهم ذلك ، مما يدل على أن المخبر مهيمن على كل شئ ، وقائم على أخبار الأولين والآخرين .

---

* انظر هذا في كتاب « خرافات عن الأجناس » جون كوماس . ت : د / محمد رياض ، راجعه : د / محمد عوض محمد ، الناشر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، سلسلة : الألف كتاب رقم (٢٩٥) .

** المتكلم هو العقاد نفسه .

(١) الكلمات الأخيرة ، للعقاد ، ص ٤٢ .

***انظر في هذا : تربية الإسلام ، وإدعاءات التحرر ، للشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله ، ص ١٣٥ ، ١٤٨ ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٦هـ بدون مكان الطباعة .

**** ﷺ .

٦ ـ مما يدل على قلقهم في نفوسهم [1] وأنهم ليسوا على شئ أن اسم الكاهن كان يختلف دائماً باختلاف مرجع الإشاعة المفتراة ، فأذا كان المرجع مسيحياً فالراهب ـ سرجيوس أو ـ بحيرا ـ هو الملقن لتلك القصص ، وإذا كان المرجع يهودياً فالملقن هو « حاخام » إسرائيلي مجهول .

فأي شئ يدلك هذا التناقض في اسم معلم محمد * ؟ إن عمل العصبية القومية كان أفعل وأظهر من عمل الأسانيد التاريخية في ترويج تلك الإشاعات أو تلك الأكاذيب ، فكل منهم أحب أن يكون سابقاً في قذف هذه الإفتراءات وحاصل حالهم أنهم يتنافسون في ترويج الباطل حتى يكثر أتباعهم وتزداد وتتنوع مواردهم .

٧ ـ إن المطاعن أولى بها النصرانية من دين الإسلام ، وذلك أن كل مسيحي واسع الإطلاع يذعن بأن المؤسس الحقيقي هو بولس اليهودي لا يسوع ، فمادام كذلك فبحيرا ممن يؤمن بالثالوث أحد أركان المسيحية ، فلماذا لم ينقله محمد * فيما نقله عنه ـ كما زعموا ـ ولو إشارة من بعيد ، بل صرح بكفرهم الكتاب المبارك قال تعالى ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد** ﴾ المائدة : ٧٣ .

٨ ـ لو كان النبي ** أخذ من بحيرا كما يزعمه خصومه ، فكيف يعقل أن يغفل عن لفظة « الأب » فلا يستعملها طيلة ٢٣ سنة ، هل هذا يعقل عند من رزقه الله نصيباً من الفطرة السوية ؟ الجواب عند المستشرقين أهل الموضوعية والتجرد العلمي .

وخلاصة الردود : المسيحيون واليهود مدربون على عدم رؤية الشئ الواضح ، وأباطيلهم من نوع المهارات الرخيصة التي تعتبر رخيصة لأنها تنجح بقليل من الجهد ، ولكنها تفشل وتخفق بجهد أقل منه ، ونجاحها في أكثر حالاتها إنما يتوقف على فشل « الفضيحة » بالقليل من الجهد ، وذلك أن طبيعة الإشاعات مثل « البالون » كلما ازداد هواؤه فهو قابل أن ينفجر ترتاع له نفس نافخه قبل سامعه ، والله يقضي بيننا

---

(١) القلق عدم اطمئنان النفس إلى التصديق بأمر ما . فلا تستقر ولكن تبقى قلقة .

* ﷺ .

** ﷺ .

وبينهم بحكمه وهو العزيز العليم [1] .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

(١) ما يقال عن الإسلام ،١٠٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ١٠٢ ،١٠٣ ـ ١٦٧ ـ ١٧٠.

حقائق الإسلام ، ٤٣ ـ ٥٣ .

وانظر : الجواب الصحيح : ٩٩/١ ، ١٠٢ ـ ١٠٣ ، ١١٠ .

لقد استعنت بالله ثم ببعض المصادر التالية في توضيح كلام غامض أو شرح رد أثناء عرضي لردود العقاد رحمه الله مثل :

١ ـ ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمدﷺ ص ١٤ .

٢ ـ ما هو اسمه ص ٧٤ ، ص ٦٩ .

٣ ـ الصليب وهم أم حقيقة ، كل هذه الثلاثة الكتب لديدات .

٤ ـ التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الإسلام خان ، ص ٩٢ .

٥ ـ المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ، د / محمد علي البار ، ص ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠١ .

ولي في هذاسلف وهو الشيخ / عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي رحمه الله في كتابه الفذ « القراءات في نظر المستشرقين والملحدين » طبعة الدار، المدينة ، كان إذا نقل شيئاً وأدخل عليه توضيحاً يقول « انتهى بشئ من التصرف والإيضاح » أهـ ص ١٧٥ ، بتقديم الشيخ الدكتور / عبد العزيز القارئ .

المطلب الثامن :

الشـبـهـة الـرابـعـة :

اقتبس القرآن بعض الآيات من أشعار أمرئ القيس مثل :

دنت الساعة وانشق القمر   عن غزال صاد قلبي ونفر .
أحور قد حرت في أوصافه   ناعس الطرف بعينيه حور .
مر يوم العيد في زينته   فرماني فتعاطى فعقر .
بسهام من لحاظ فاتك   فتركني كهشيم المحتظر .

ومثل :

أقبل العشاق من خلفه   كأنهم من حدب ينسلون .
وجاء يوم العيد في زينة   لمثل ذا افليعمل العاملون .

وقالوا (لما كانت فاطمة بنت محمد تتلو ﴿ إقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ سمعتها بنت أمرئ القيس ، وقالت لها : إن هذه القطعة من قصائد أبي ، أخذها والدك وادعى أن الله أنزلها عليه)[1]

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) مطلع النور : ٥١ ، ٥٢ .

يبدأ العقاد رحمه الله ردوده بقوله :

١ - إن المستشرقين لا يتوسعون في النظر أو يتعمقون وراء الظواهر التي يلمسها شاهد الحس لمساً فتراهم يبنون أقوالهم على (حكايات متداولة) ومتى ؟ في عصر تمالأ أهل أوربا كلهم على تشويه نبي الإسلام واستجازوا الشك والتجريح والإدعاء ، وبنوا عليها حقائق مسلمة في أذهانهم كهذه الفرية ، فهم ادعوها ، دون أن يقولوا بدلالة أنها موجودة في ديوان الشاعر ، لكنهم تلبسوا بلباس الباحثين حين قالوا (ومع أنه يمكن أن تكون هذه الرواية كاذبة) [١] وما قالوا هذا إلا خداعاً وتمويهاً ، مصطنعين (الحذر والحيطة لئلا يثبت نظم هذه الأبيات بعد الإسلام فتسقط الشبهة كلها) [٢] ، وكذلك يصطنعون الحذر حتى لا يكشفوا عن سوءاتهم أنهم جهلة بمفردات اللسان العربي فضلاً عن الشعر الجاهلي الذي لو جمعناه (كله في ديوان واحد ، فمن المستحيل أو شبيه المستحيل أن نجمع ديواناً يماثله من كلام العباسيين أو كلام الأمويين المتأخرين) [٣] ، فإذا كان هذا حال الشعر الأموي والعباسي مع الشعر الجاهلي ، فيا ترى ما هو حال كلام العرب منظومه ونثره مع القرآن الذي واجه العرب بآية بلاغته وتحداهم أن يحاكوه ؟ فإذا كان القرآن من شعر العرب فبماذا نفسر عجزهم عن محاكاته ؟ وكيف يعجزون عن محاكاة شئ أسه شعرهم على حسب دعوى المستشرقين ؟ إن هذا أمر فوق العقل [٤].

٢ - إن هذا من كذب مَنْ جعلوا لله صاحبة وولداً ، كيف ذلك ؟ لأن ابنة امرئ القيس مجهولة العين ، لِمَ لَمْ يذكروها باسمها ؟ وهذا صفة العاجز الذي يرمي الكلام وهو رابطٌ عينيه لا يدري أنه سيكون عليه وبالاً ، ويفضح نفسه أمام الناس ، لأنه

---

(١) نفس المصدر ، ص ٥٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٤ .

(٤) انظر نفس المصدر ص٥٦ ، إن «العقاد» رحمه الله يلمح من بعيد أن التخريف صاحبهم طول أبحاثهم ، لتعلمهم اللغة العربية على كبر ، فركبوا الروح الأجنبية عن لسان العرب وحكموا عاداتهم في الآثار العربية ، انظر خصائص الأدب العربي ، لأنور الجندي ، ص ٢٦٧ .

استسهل الكذب ، ولو سألنا المستشرقين : لماذا اخترتم نسبة هذه الأبيات إلى امرئ القيس دون سائر شعراء العرب ؟ هل هناك سر في نسبة هذه الأبيات إلى امرئ القيس ؟ إن هذا الشاعر معروف بمجونه وخلاعته فهل يا ترى يريدون أن يلبسوا رسول الله ﷺ صفات هذا الشاعر ؟ لقد مات ضالاً حائراً ، فهل يريدون من و راء هذا أن يلحقوا به رسول الله ﷺ ؟ وأخيراً لماذا اختاروا هذه القطعة الغزلية ؟ إن أي باحث يحاول أن يناقشهم سيبوء بالفشل ؟ لأنهم فقدوا الصدق وأمانة البحث (إذ هم خلطوا بين الحقائق والأهواء ، وعبثوا بحرمة التواريخ والوقائع الملموسة ، واقترفوا بغير حرج من ضمائرهم أعمالاً قصدوا بها تأييد دعوتهم ، لا يسعنا نحن إلا أن نسميها افتراء) [1] .

٣ - إن دعواهم هذه جعلتهم أكذب من شياطينهم الذين يعلمون أنهم محضرون وأنهم عن السمع لمعزولون ، وذلك أن الشياطين توحي إلى أوليائهم زخرفاً من القول فيه مُدّخل للشبهة يغتر بها أولياؤهم ، لكن والحالة هذه من أمر ظهر بيانه حيث أعجز الجن أنفسهم بل دُحروا عن الملأ الأعلى أن يسترقوا السمع وقت تنزله فرجعوا في حسرة وذلة من أمرهم فهل يقدمون على إلقاء هذه الفرية وهم مدعوون للتحدي مثلهم مثل الإنسان ؟ [2] فأذا عجزت الجن عن الإتيان بمثله فأنها ستعجز عن إلقاء هذه الخيبة

---

(١) الفصول ص ١٧٩ .

(٢) انظر الفتح : ٨ / ٦٧٤ حيث ذكر أن الجن شكوا إلى إبليس أنهم منعوا من الإستماع لأخبار السماء فانطلقوا يبحثون ما الخبر - وهؤلاء الجن كانوا يهوداً - وكانوا في أعلى المقامات عند إبليس بدلالة أنه اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر له أن الحدث الحادث من جهتها فوقع لهم الإيمان بسبب أمرين :

١ - علموا حقيقة إعجاز هذا القرآن فعلموا صدق الرسول ﷺ.

٢ - كان عندهم علم من الكتب الأولى تدل على أنه النبي المبشر به ، فلذلك قضي لهم من السعادة بحسن الخاتمة أهـ ٨ / ٦٧٥ . وقد علم منه أن قلوب المستشرقين أخبث من قلوب الذين كانوا جنود إبليس . ، وعلم منه أنهم انتفعوا بما عندهم من العلم فآمنوا ، فأما هؤلاء فيعلمون أنه نبي لإخبار كتبهم بذلك، لكنهم شرقوا وحسدوا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد .

التي بُهتت لها وجوه أهل التحقيق العلمي ، وذهلت عنها عقولهم ؟ كيف خرجت منهم وأولياؤهم من الشياطين عجزوا عن مثلها ، فعندها أيقن المُنْصف أنهم قوم بُهُت رموا بها على حين غفلة وذهول من عقولهم الحائرة وقلوبهم التي أقلقها الشك والإرتياب ، فأقَّضَ مضاجعهم وأقلق نفوسهم فما استطاعوا ردها وما كانوا من الفاعلين .

٤ - لو كان هذا الشعر لامرئ القيس لتداولته العرب وتسامع به النقلة ، وحفِظُوه وحَفَّظُوه ، ولما سكتوا عن محمد ﷺ ، ولقالوا له : هذا شعر امرئ القيس لكنهم سكتوا عن تحديهم على مضض وهم أهل الشهامة والأنفة ، فبماذا يفسر لنا أهل التحقيق العلمي هذا السكوت عمَّن سفَّه آباءهم وآلهتهم وتحداهم في صميم ما يفتخرون به اللسان والبيان ، فجاءهم بما قصم ظهورهم وعقد ألسنتهم حيث أطبقوا على الذلة والصغار من الإتيان بمثله [1] ، وهم الحريصون في إيجاد ثقب إبرة يدخلون منها ليردوا على محمد ﷺ ، فلو علموا أن هذا لامرئ القيس لقاموا عليه قومة رجل واحد وقالوا هذا لامرئ القيس انتصاراً لكبريائهم ورداً لبعض أنفتهم التي مرغها القرآن بالتحدي الذي لا حد محدوداً له ، بل هو مفتوح إلى طلوع الشمس من مغربها ، لكنهم رضوا بأن يرجعوا على أعقابهم ناكصين .

فمال هؤلاء أهل التحقيق العلمي لا يكادون يفقهون حديثاً ؟ [2]

٥ - إنه من البعيد جداً أن يغيب عن ذاكرة العربي حديث جيل أو جيلين قبل جيله ، وقد كانت أخبارهم ورواياتهم وأنسابهم وأمثالهم كلها قائمة على الحفظ وتسلسل الرواية والإسناد من جيل إلى جيل ، فيا ترى لماذا لم يحفظ العرب هذه الأبيات بالرغم من أنَّ الذي ينسب إليه المستشرقون هذه الأبيات معروف مشهور وذائع الصيت في جزيرة العرب قاطبة قحطانيهم وعدنانيهم * ؟ ويا ترى كيف غابت عن ذاكرة العربي والعهد قريب ؟

---

(١) انظر : مطلع النور ص ٥٦ ، ص ٥٧ ، ص ٥٩ .

(٢) انظر نفس المصدر : ص ٦٣ .

* انظر توثيق ذلك خبر وفد اليمن إلى رسول الله ﷺ حين نجاهم الله من الظمأ ببيتين من شعر امرئ القيس ، البداية والنهاية ، ٢ / ٢٠٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تدقيق د/أحمد أبو ملحم وأصحابه ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٥هـ .

إن هؤلاء المستشرقين يهدمون الدعائم القائمة والأسناد * المعتمدة بالشك والتجريح ، فهل يحق لهم أن يستجيزوا بالشك دعاوى مجملة ثم يجعلوها حقائق مسلَّمَة ؟ إن هذا لو جاز لهدمنا كل قواعد اليقين ، ولكانت نكسة يربح معها أهل التضليل والمنفعة والهوى القريب [1] وذلك أنهم لم يبينوا كيفية الأخذ ، فهل تمت مشافهة أو مراسلة ، أو حفظها من أفواه العرب ، أم كيف وصلت إليه ؟ إنهم لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً ، لأنه فرض غير قابل أن يكون نظراً معقولاً ، هذا من ناحية ، والأخرى فليجيبونا كيف ألَّف محمد ﷺ بين أخذه قطعة من امرئ القيس ، وقطعة من أمية بن أبي الصلت * ، وقطعة من بحيرا ، وقطعة من حاخام يهودي مجهول، وقطعة من الكنعانية ، وقطعة من الآرامية ، وقطعة من البابلية ، و هكذا ، ـ وهذا يحتاج من الوقت مئات السنين ليؤلف بينها فلا تتناقض ـ إن المستشرقين مطالبون بأن يبينوا لنا ويظهروا لنا أثارة من علم إن كانوا صادقين في دعواهم ـ وليسوا كذلك ـ متى وكيف أخذ محمد ﷺ هذه الأبيات التي ادعاها هؤلاء الخابطون ؟ [2] بل يجيبونا على هذا السؤال :

كيف تَأَتّى لمحمد ﷺ أن يؤلف هذا القرآن من قطع متنوعة عى تباين بين عقائد المأخوذ عنهم ؟ فماداموا كذلك أي المأخوذ عنهم متباينة عقائدهم فلماذا لم يكن كلامه جامعاً الغزل والتثليث والقول بأن لله ولداً وصاحبة ، وأنه يحب شواء اللحم ؟ بل لماذا لم يكن كلامه وثنياً مزدكياً يحل البنت لأبيها والأخت لأخيها ؟ بل لماذا لم يذكر الأصنام بالتعظيم والنجوم بالتقديس ؟ يا ترى بماذا يجيب هؤلاء أهل التحقيق العلمي؟

---

* لقد استشكلت هذه اللفظة وحسبتها بكسر الهمزة ، فلما رجعت إلى لسان العرب مادة « سند » فإذا به يقول (السند : ما ارتفع من الأرض في قُبُل الجبل أو الوادي ، والجمع أسناد ، لا يكسر على غير ذلك) أهـ فعندها علمت أن (العقاد) ذو دربة بالمعاجم والقواميس وهذه اللفظة وردت في مطلع النور : ص ٥٥ .

(١) انظر : مطلع النور : ص ٥٥ ، وانظر : أبو الشهداء الحسين بن علي ، ص ١٢٦ ، ص ١٢٩ .

* له ترجمة في الأعلام : ٢٣/٢ ، حيث ذكر أنه مات سنة ٥ هـ .

(٢) انظر مطلع النور ، ص ٥٣ .

مادام أن القرآن مؤلف من قطع شتى على بعد بين ديار أصحابها واختلاف ألسنتهم فلماذا لم يأت بعقائد كل هؤلاء ولو إشارة من بعيد ؟

لماذا جاء بهذا التوحيد في عقائده وشرائعه مادام أنه من قطع أهل البسيطة شرقاً وغرباً ؟ لا شك أن هاجسهم خذلهم وكذب عليهم حين قال لهم هذا شعر أمرئ القيس ، كيف لا ؟ وشعره موصوف بالجزالة والمتانة ، بينما هذا شعر مولّد ظاهر أمره وجرسه أنه لا يَمُتّ إلى الجاهلية بنسب ولا سبب .

٦ ـ لقد تعسَّف هؤلاء القولَ وجزموا به دون النظر إلى عواقبه ، وما يصير إليه قلقهم في الافتراء من أن محمداً ﷺ ألّف القرآن من بقاع شتى ، تأتيه الرسائل تباعاً وطرداً بريدياً ثم هو يقوم بتصفيف كل قطعة في مكانها المناسب ، فيا ترى أين مكان المزدكية [1] التي وصف بها امرؤ القيس في هذا الكتاب المبارك ؟ لماذا حرم القرآن نكاح الأمهات والبنات والأخوات بل فوق ذلك حرم الجمع بين الأختين إلا ما قد سلف ، إنهم يعتسفون القول ويبتون بالإثبات والنفي فيجعلون منهما حقيقة مسلمة لا تقبل الشك أو الجدل .

ومن المعلوم أنهم وصفوا أنفسهم بأهل التحقيق العلمي والبحث الجاد ، فهل الباحث ذو الروية يعتسف البت في أمر مؤداه الأخذ من كل واحد عقيدته وشريعته سواءً كانت سيئة أو صالحة ؟ إن العقل لا يصدق هذه الأقاويل التي يتفرق رواتها ويطول العهد عليها ثم تأتي متفقة في الجملة والتفصيل ، بل لا تتعرض أحكامه وعقائده مع الزمن وعوامل الأهواء للاضطراب والحذف والإضافة ، إن هذه الوحدة في القرآن تدعو كل منصف أن يكذب هؤلاء المفترين .

٧ ـ إن هذه الوحدة التي لا يكون فيها اختلاف ولا تناقض تدلنا دلالة لا يستطيع العقل ردها أن هذا القرآن تكلم به واحد أحد ، بل هي سبب من أسباب التصديق لهذا النبي ﷺ أنه تلقاه من لدن حكيم خبير ، ولا سيما أن هذا الكتاب جاء بحقائق تعتبر وليدة هذا العصر التي يصعب من أجلها أن نقول إن علم محمد ﷺ وسع السابق واللاحق .

---

(١) انظر توثيق ذلك وهو أنه كان مزدكياً : ترجمة امرئ القيس في كتاب الأعلام للزركلي: ١١/٢ .

٨ ـ أين ذهبت عقول هؤلاء أهل التحقيق العلمي عن قولهم الذي تفوهوا به وهو أن الشعر الجاهلي منتحل وكذب ومزوَّر ، فكل ما ينسب إلى الجاهليين ليس له حقيقة بل هو من افتراء الرواة ، فهل بعد هذا يحق لهم أن يقولوا : إن هذه الأبيات عينها لامرئ القيس ، فهل يمكن أن يجتمع على شئ ثابت غير ثابت ، أليس هذا جمعاً بين نقيضين ، فعلى شكهم وقلقهم وافتراءاتهم التي هي عمدهم ألا يحق لنا نحن أن نسألهم ونقول لهم : لماذا اخترتم هذا المزور ، وجعلتموه ثابتاً لامرئ القيس ، ولِمَ لا يكون مزوراً كما قلتم إن الشعر الجاهلي مزور ؟ يبدو أنكم احتجتم إليه فقذفتم به سهماً على ظهر المسلمين ، فلذلك استثنيتموه من قاعدتكم العامة ؟ وعلى أي وجه استثنيتموه ، وما الذوق الذي أوصلكم إلى أن هذا لامرئ القيس بعينه ؟ يبدو إن ميزانكم قلق جداً وهو ميزان خاص بكم تتصرفون به كيفما شئتم .

٩ ـ إنه مماعلم عن هؤلاء المستشرقين أنهم أرادوا زلزلة القاعدة التاريخية التي تقوم فوقها تلك القصائد الجاهلية عن طريق التشكيك في حقيقتها التاريخية باسم البحث الجديد الذي يفتح الباب إلى القول بأن القرآن من صنع النبي ﷺ ، فيا ترى ما دام أن هذا قصدهم فلماذا يعظمون الفرية على أن القرآن اقتبس من شعر امرئ القيس [١] ؟

كيف ينكرونه ـ أي الشعر الجاهلي ـ ثم يثبتونه ؟ يثبتون بعضه حتى يوافقوا حريتهم المطلقة في القول بأن القرآن من كلام محمد ﷺ حتى ولو تعارض ذلك وتناقض مع ما أعلنوه من تزوير الشعر الجاهلي ، ولا يدلنا هذا إلا على أن القوم لا يدرون ماذا يقولون ؟ كلامهم ينقض بعضه بعضاً فتراهم يبنون كلامهم على هاوية يخربونها بأيديهم لأنهم غير جادين في كلتا الحالتين وذلك أنهم نفوا الشعر الجاهلي وفجأة قالوا هذا لامرئ القيس ، كيف تثبتون وتنفون ، لا شك أن القلق النفسي هو الذي أدى بهم إلى عدم الاستقرار على قول واحد ، ويمثل هذا القلق النفسي [د. س مرجو ليوث] حين قال : « لقد رأى العلماء أن في لغة القرآن مشابهة كبيرة من لغة الشعر الجاهلي »

---

(١) لتوضيح هذا الرد استعنت بالمؤامرة على الإسلام فيما كتبه د/طه حسين الشعر الجاهلي وغيره لجميل عبد الهادي وزميليه في سلسلة : الغزو الفكري في المناهج الدراسية ، ص ١٣.

هذه أولى الآثافي ، فيا ترى من السابق في هذه اللفظة الأعجمية ؟

ثم يتابع ويقول « ومع أنَّه من العسير علينا أن نكوّن لنا رأياً في هذا الموضوع » * هذه ثانية الأثافي ، ثم يتابع فيقول « لأننا نرى الشعر الجاهلي في معظمه مصنوعاً وضع على مثال القرآن » بالضرورة العقلية وبمفهوم المطابقة والنص من هذا الكلام العجاف [1] أن المتأخرين عن القرآن أفصح وألسن وأبين من القوم الذين تحداهم القرآن بأن يأتوا بسورة أو بعشر سور مثله مفتريات وأخيراً لا يستطيع جنهم وإنسهم ذلك ثم يتابع فيقول « فإنه يصح أن نقبل رأي العرب في ذلك » أهـ .

إنها عقدة الغربيين تظهر من فم هذا المستشرق ، تحكم عجيب ، وتصرف في شئ كما لو أنه مالك زمامه ، يوافق للعرب بأنه يقبل قولهم وإبداء رأيهم وذلك أنه لم ينطلق إلامن عقدة استعلاء الغربي على الشرق وأهله ، فأذا صح في السياسة والماديات فهل يقبل عقلاً في الأفكار والروحانيات وهم القوم الذين شقوا بشكهم فظنوا أنهم أوصياء على الشرق وأهله ، ومنها السماح بأبداء رأيي الصحيح في إرثي التليد .

إن هذا القلق الذي لاحظه العقاد « رحمه الله » إنما هو نتيجة استبعاد كل عامل نفسي « روحي » من ا لحقيقة الواقعية ، وبناء النفس في وسط مادي بحت ، فنتيجة لذلك تراهم يغيِّرون آراءهم في سطر واحد من سطور كتاباتهم ، أول السطر شئ وآخره

---

* الشيخ محمود شاكر حفظه الله إذا قرأ مثل هذا القلق النفسي لأجاكس عوض [لويس عوض] ما يمكن من الشيخ حفظه الله إلا أن يعقب بهذه الكلمة « بوم . بوم . بوم » فرقعة عجيبة من أجاكس عوض ، وترى هذه الكلمة كثيراً ما يرددها في كتابه الأدبي الفذ « أباطيل وأسمار » فكذلك أقول بوم . بوم . بوم . فرقعة من أهل التحقيق العلمي .

انظر هذه النصوص في كتاب « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » د/ ناصر الدين الأسد ، طبعة دار المعارف ، مصر ، ط ٥ ، ص ٣٥٢ .

وانظر عن ترجمة (مَرْجُلْيُوث) الأعلام : ٢ / ٣٣٠ حيث ذهب إلى جهنم (سنة ١٩٤٠م) مستشرق إنجليزي بروتستانتي .

(١) انظر ص ٤٩ من مطلع النور .

مناقض تماماً لأوله ، فلا غرابة في إثبات ونفي الشعر الجاهلي في آن واحد [1] .

١٠ ـ ما من ناقد أو باحث أو أمين يسيغ هذا الغرض ببرهان فضلاً عن إساغته بغير برهان ولغير سبب ، إلا أن يتوهم ويعزز التوهم بالتخمين ، وإن تصديق الجمع بين النقيضين جميعاً لأهون من تصديق هذه النقيضة التي يضيق بها الحس ، ويضيق بها الخيال ، فهذه الفرية يرفضها العقل ، لأن قبولها يكلفه شططاً ، ولا يوجبه بحث جدير بالإقناع .

مع العلم أن هذه الأبيات غير موجودة أصلاً في شعر امرئ القيس ، ولم ينسبها أحد يعتمد على ذاكرة الأحياء أو الكتابة المحفوظة إلا ما استقر في قلوب هؤلاء العجم القلقة حساً ومعنى ، فتراه ترتفع نبضات قلبه عند تحرير هذه الكلمات العارية من الدليل وهو يعلم علم اليقين أنها كاذبة ، ولكن ماذا يفعل ؟ وليس له طريق في الحفاظ على عيشه إلا هذه الطريقة الملوثة [2] ، وتراه يكلف عقله بنقائض لو بحث عنها عند تَفَقدِها فلا يجد إلا سراباً وبيت عنكبوت تزيده ظلمات بعضها فوق بعض ، ويُغَذِّي ذلك الكبر والحسد والإنتقام لصليبيته أو يهوديته على حد سواء ، مما يؤدي بهلاك وبوار عقله وروحه فيبادر بنفسه إلى مأواه الأخير جهنم وبئس المصير ، وبعضهم يعذبه الله بالشكوك تحيط به من كل جانب فيعتسف الحقائق ويلوي أعناقها لعله يجد سلوة يلهو بها ولو غمضة طرفٍ من هذه الاضطرابات العقلية والإهتزازات القلبية والنفسية .

١١ ـ إن قبول الشعر الجاهلي أو نفيه عند هؤلاء الباحثين يكون على حسب

---

(١) لقد أطلت كثيراً حول هذا الرد ، لأنها خواطر كانت تأتيني عندما أصفف كلمات العقاد لأضعها في مكانها ، فنظراً لهذا عزمت أن أوردها وأقيدها لأنها صيود لا أستطيع استحضارها عند اللازم والله يتولى السرائر ، ونص سبب القلق النفسي لدى الغرب نقله مقداد يالجن من « تأملات في سلوك الإنسان » « ألكسيس كاريل » ثم نقله محمد الناصر عن مقداد يالجن وأنا نقلته عن محمد الناصر في كتابه « أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام » ص ٥٣ .

(٢) انظر زيادة على هذا : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، لأبي الحسن الندوي : ص ١٨٤ ، وانظر آراء المستشرقين حول القرآن : د/ عمر بن إبراهيم رضوان ص ٣٠ ، المجلد الأول .

الأمزجة والدواعي النفسية ، ولم يكن ذلك منهم على ثقة بما يثبتون أو ينفون ، ولو كانوا كذلك لما تزحزحوا عن إثباتهم خطوة واحدة ، لكن فقدانهم الثقة بكل شئ جعلهم عرضة للمتغيرات حتى ولو ناقض آخرهم أوله ، ولا يعني أنه الرجوع إلى الحق ، بل هو حيران سُلِخَ عنه عقله وقلبه ، فلا يمنعه علم ولا منطق ولا تجربة قاطعة من تجارب العيان أن يقذف بدعوى يهجم بها على الواقع ، ولا يكفي أن يقال فيها إنها تهجم على الغيوب والمجهولات ، فتراه مجازفاً يخبط بالقول حيث جهل المدي الذي يخوض فيه ، ويبني أحكامه على تخمين وفوضى عقليين .

١٢ ـ إن العاقل لو طالبهم أين وجدتم هذه القطعة على حد قولكم ـ لأدرجهم تحت أهل البحث العلمي والتحقيق ؟ وهم ليسوا كذلك ، فمطالبتنا لهم بالإسناد تعلي مكانتهم وتزكيه لهم أنهم أهل الإنصاف ، لماذا ؟

لأنهم يتبعون حقائق مسلمة في نفوسهم ، ليس في مكنتهم التنازل عنها [1] ، ولا سيما إذا جاء الطلب من الشرق وأهله ، فهنا تظهر عقدة الإستعلاء الغربي على كل شئ * ، فمن أنتم حتى تطالبوا أسيادكم ثبوتاً على ما قالوا ، مهمتنا في تصورهم أن نسمع ولا نناقش كما هو الحال في دراساتهم الجامعية التي تعلم أبناءها كيف يحاربون الإسلام ؟ وقاعدتهم التي ينطلقون منها ضع على قلبك زبرة حديد وفي آذانك وقراً وهم سيوصلون لك الحقائق ولو بالإشارات ، بل يشتد إنكارهم لهذا ـ المناقش ـ على نحو لم نعلمه من الجاهليين الذين يثبتون وينفون أشعارهم في وقت و احد . فهؤلاء المستشرقون يستكرهون ** الألفاظ والتراكيب أن تقبل معاني على غير معانيها لحاجة

---

(١) لأنهم قد قرروا في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق ، انظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ١٨٥ .

* بل صرح أحدهم وهو (ألويس اشبرنجر ١٨١٣ ـ ١٨٩٣ مستشرق نمساو ي الأصل) حين تكلم عن مصادر الإسلام (الدين العالمي الذي نملك وحدنا مصادر عن أصل نشأته) ص ١٦٢ ، الإسلام في تصورات الغرب ، د : محمود زقزوق مما جعل زقزوق يقول (هذا وهم لا يعتمد إلا على منطق العجرفة وعقدة التفوق لدى الأوربيين) أهـ .

** الواقع أنها لفظة عالية جداً من الأستاذ العقاد رحمه الله ، لا شك أن هذا حالهم ، إذا لم تأت طواعية فلتأت غصباً عنها .

ومكابرة للواقع .

١٣ - إن جهلهم بمفردات اللسان العربي يعطينا الحق الشرعي بأن لانقبل منهم أي حكم في لساننا مهما أوتوامن العلم إن كان لهم ذلك ، فتراهم يترجمون « أخذ » في قوله تعالى ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ أنها تأتي بمعنى « نام » ومنهم من يترجم « أبا بكر » بأبي العذراء ، ومنهم من يقول إن التضحية تدل على عبادة الشمس لأنها من الضحى ، ومنهم من يحسب أن القصيدة من القصد فيترجمها بالكلام الذي يراد معناه ، فإذا كان هذا حالهم وقد نزلوا منزلة أدنى من عوام اللسان العربي فهل يا ترى يحق لهم أن يبدوا رأياً أو يحكموا بحكم على القرآن وأهله ؟ الجواب نتركه لأهل التحقيق العلمي . مع العلم أن منهم من يجهل ولا يعرف أدب بلاده ولا يحسن الحكم عليه ، وهو أدب اللغة التي تلقنها في حجر أمه ، فهل معرفته بأشباح عن اللسان العربي كافلة له أن يحكم على آدابه وأساليبه ومضامين الكلام ؟ فكيف نصب نفسه قاضياً في آداب يكون فيها أجهل وأفدم بآلاتها من عامة الأميين ، إن هذا عمل ولا شك مستبشع في حد ذاته .

١٤ - إن المستشرقين يحسبون أن علماء المسلمين يلقون في بحث تلك الأبيات وصباً واصباً لينكروا نسبتها إلى الجاهلية ، ولا يلهمهم الذوق الأدبي أن نظرة واحدة كافية لليقين بأدحاض نسبتها إلى امرئ القيس أو غيره من شعراء الجاهلية ، وهذه النظرة الكافية هي التي تعيي الناقدين المستشرقين .

١٥ - إن هؤلاء المستشرقين يرون ويعلمون خبرة الخبير بالخطوط ويجعلون ما يحكم به حقيقة مسلمة ، بل يجعلونه حَكَماً في قضاياهم وإثباتاتهم العامة والخاصة ، حيث تغني هذا الخبير نظرة في الحكم على الخطوط بالصحة والتزييف وربما جاز عليه أمر الكلمة والكلمات إذا لم يكن أمامه غير هذه الكلمة أو هذه الكلمات للمقابلة والمضاهاة ، ولكنه إذا حصل على تلك الكلمة مكتوبة عشر مرات أو عشرين مرة لم يكن من اليسير أن ينخدع فيها كما ينخدع في الكلمة المفردة بغير تكرار ، وعلى هذا المنوال يبدو الصحيح والزيف في الشعر الأصيل والشعر المدخول ، فمن ثَمَّ يستطيع الناقد معرفة سيماء وضع هذا الشعر المستشهد به على امرئ القيس ، زد على ذلك أنه يدلنا دلالة واضحة المعالم على جهل المستشرقين باللسان العربي والذوق الأدبي جهلاً صارخاً ويرينا مكابرة تُهْدَم بها الدعائم القائمة ليستجيزوا بعد ذلك كل ادعاء

يدعونه ، وكل إنكار ينكرونه من أصول اليقين والإطمئنان .

وخلاصة ردود العقاد رحمه الله تتمثل في الآتي :

١ - إن الذين يكتبون عن الإسلام وأهله ، لا يخلو أحدهم من أنه يكتب من منطلق الترف الفكري أو من منطلق مجاراة واقعهم الذي يعيشون فيه ، فكلما وجد أحدهم شيئاً يتخيله قاصمة ظهر المسلمين فاه به وقذف ، مشاركاً لإخوانه الذين سبقوه إلى الكذب المتعمد ، الذين عروا من أمانة الكلمة ، ومن أن الفكرة عقيدة ،

٢ - وترى بعضهم يكتب خبثاً ودهاءً في مدح الإسلام وأهله ، من زاوية امتصاص الحماس الذي يوقد الغيرة والنفرة من الكذب وأهله ، مما يكون ذلك سبباً في عودة المسلم ومراجعته لدينه القويم * ، فيأتي كلام ذلك المادح بمثابة مُخَدِّر يعوقه عن مراجعة دينه حمية وأنفة من ذلك الكذاب الأثيم ، ولا شك من حيث النظر البعيد أن المادح أكثر دهاء وأعمق خبثاً من سابقه [١] ، وما ذاك إلا أنه يرضي بهذه الكلمات أوساط المسلمين بل بعض مفكريهم ، فتراهم يطنطنون أن المستشرق الفلاني تجرد عن هواه وكتب بموضوعية عن الإسلام وأهله [٢]، وهذا المغرور وأمثاله لا يعلم أن ذلك يتبع التخطيط الصليبي ،ولا ننسى أبداً أنهم « أهل البراجماتية » ** أي المصلحة النفعية .

فيغيرون خطتهم حسب ما تحدثه تلك الإشاعات في نفوس المسلمين ، وتأتي هذه

---

* بل يكون ذلك زيادة في التمسك بدينه ، وتثبيتاً له في قلبه ، وانظر : ص ٧٨ : أراء المستشرقين حول القرآن ، مصدرسابق ، د/ عمر رضوان .

(١) لأنه يضمر في قلبه عداوة الإسلام ، انظر ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) استفدت توضيح هذا من تفسير الشيخ السعدي رحمه الله : تيسير الكريم الرحمن عند آية ٧٠ من سورة الأنعام : انظر ٢/ ٣٥ .

** المذهب النفعي يقوم على المصلحة الذاتية . وأشهر رجالهم « وليام جيمس » انظر : عقائد المفكرين في القرن العشرين ، للعقاد : ص ٧ .

وانظر : تاريخ الفكر الأوربي الحديث : ١٦٠١ - ١٩٧٧ الجزء الخامس تأليف : رونالد سترومبرج ، ترجمة أحمد الشيباني ، من منشورات مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ، ص ٢٠ من مقدمة المترجم . الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ .

كجرعة مهدئة لمن غفلوا عن سرهم ومادتهم هذا الكتاب المبارك ، فالكتاب المبارك سر الإسلام ومادته وشريعته أي عينه التي لا تنضب .

٣ - إن كل عاقل إذا تصور طريقة هؤلاء المستشرقين في الإثبات والنفي والدعوي العريضة جزم ببطلانها قبل أن تقام البراهين على ذلك .

٤ - إن هؤلاء المستشرقين يعرضون عن المحجة واليقين ، ويتبعون سبل الظن والهوى ، ويزعمون أنهم أهل العقل والرأي والجدل والقوة ، وهذه دعوى قفاها عريض بَيِّنَ عوارها افتراؤهم الكذب المتعمد وكسرُ وليٌّ عنق الحقيقة حتى تتفق مع أهوائهم ، وما استقر في قلوبهم [١] ، .

٥ - على كل عاقل أن لا يتسرع في نقض شبههم حتى يتبين مصدرها وقائلها وأهليته [٢] ، لأن عصفت بهم الشكوك والظنون فقطّعت قلوبهم حتى أطبق عليهم الهوى فاضطربوا اضطراباً شديداً يلحظه كل من وطّن عقله وقلبه وقام متجرداً للوصول إلى الحق وأهله ، أما إذا أعرنا أفئدتنا وأسماعنا لمن جهلهم باللسان العربي يطل من

---

(١) استفدت توضيح هذا الملخص من مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية النميري : ١٠ / ١٢ .

(٢) كأن العقاد رحمه الله لا يراهم أهلاً لإلقاء أي شئ على الإسلام حتى ولو بالشبه ، وهو القائل « كنا نعظمهم حتى وقفنا على حقيقتهم » وهذا مما ينبغي للمسلم أن يفعله أن يستعلي بإيمانه على كل قول فج يقذف به لسان كذوب ، ولا يلقي له بالاً ، وتعجبني كلمات لسعد زغلول حين خطب في المظاهرة المطالبة بقتل طه حسين قال « هبوا أن رجلاً مجنوناً يهذي في الطريق فهل يضير العقلاء شئ من ذلك ، إن هذا الدين متين ، وليس ذلك الذي شكك فيه زعيماً ولا إماماً حتى يخشى من تشكيكه على العامة ، فليشك ما يشاء ، وماذا علينا إذا لم يفهم البقر » الأهرام ١٩٢٦/١١/٧م عن طريق جمال عبد الهادي المصدر السابق ص ١٧ ، ومع ذلك لا أحسب هذه الكلمات إلا جرعات مهدئات وإلا فالحكم الإسلامي معروف على من أثار الشبهات في أوساط المسلمين كما هي في قصة عمر رضي الله عنه مع صبيغ حين سأل عن تفسير بعض الكلمات ، فما بالكم بمن يطعن في القرآن المبارك ؟ انظرها في تفسير الذاريات من ابن كثير ٢٠٨/٤ .

أعْينهم ويجري على ألسنتهم فقد ساويناهم في الجهل المطبق ، حيث قبلنا أهل الحيرة والشك باحثين ناقدين [(١)] . والله يقضي الحق وهو خير الفاصلين .

٦ ـ لو كانوا يعلمون أن هذا القرآن كلام محمد ﷺ ما كانوا لينفسوا ** على أهل القرآن حفظه من التحريف والتبديل ، ولكنهم علموا في خفايا قلوبهم وحنايا صدورهم أنه وحي منزل من السماء [(٢)] .

فماذا نفعل لهم وقد ضاهوا إخوانهم الذين كفروا من قبل حين كانوا لا يكذِّبون محمداً ﷺ بل كانوا بآيات الله يجحدون حسداً وكبراً ، وإلى الله يرجع الأمر كله .



(١) انظر المؤامرة على الإسلام ، جمال عبد الهادي وزميلاه ، مصدر سابق ، ص ٤ .

** ليحسدونا ، وانظر لسان العرب مادة « نفس » .

(٢) مطلع النور من ص ٤٨ ـ ٥٢ . وانظر : بلال بن رباح ، ص ١٨٢ ، وانظر : حقائق الإسلام ، ص ٤٥ ـ ٥٤ .

المطلب التاسع :

الشبهة الخامسة :

(إن بلاغة الجاهلية لم تكن حقيقة واقعة ، وإنما اصطنعها الرواة اصطناعاً بعد الإسلام سنداً للقرآن ، ودفعاً للشبهات عنه بين المؤمنين) (1)

خلاصة الشبهة : أن الشعر الجاهلي زوّره الرواة وانتحلوه . لكي يعلم أهل القرآن أنه جاء ببلاغة فاقت معاصريه حتى يطمئن إليه المؤمنون به .

هذا قولهم وما ظلمهم من نقل عنهم ، وما قلت هذا القول إلا لأبين أنهم يضعون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم ، ويعتسفون الطريق اعتسافاً ويدسون رؤوسهم من هول الصوت المجلجل الذي يحدث التناقض والإفك والبهتان ، وإلا فليتخيل ويتصور كل واحد منا ويحاول أن يدخل عقله هاتان الجملتان اللتان لا تقنعان عقلاً ولا تطمئنان قلباً :

« الشعر الجاهلي متقدم متأخر سابق لاحق » * ما الفرق بينهما وبين هذه الكلمة : الحجر متحرك ساكن في وقت واحد . إن هذا لو صدقناهم فيه لصدقنا بالنقيضين وهو أن الشعر البليغ متقدم متأخر ، وهذا نكوص بالعقل إلى أن يصدق أن الذرة أكبر من البحر ، وأن الكذب أحسن من الصدق وأفضله ، ومن ثم فالعقاد لم يقف طويلاً عند هذه الفرقعة لأنه كفاه العلم بتناقضهم عندما زعموا أن القرآن اقتبس من

---

(١) مطلع النور : ص ٦٠ .

* نحاول أن نستعير لفظة الشيخ الأستاذ محمود شاكر عندما كان يطلقها على أجاكس عوض « لويس عوض » بوم . بوم . بوم . ارفعوا يا سادة أصابعكم عن آذانكم فقد هدأ الانفجار .

امرئ القيس إذن الشعر الجاهلي صحيح ومتقدم ، وهنا قالوا زائف ومتأخر [1] مما دعاه « رحمه الله » أن يقول عن هؤلاء العجم أنهم يتحذلقون على العلم في شكوكهم الموكلة بالتاريخ العربي أو الإسلامي من أقدم عهوده ، حتى لقد أصبح التخريف حقاً لهؤلاء المحققين الذين لا يعرفون من التحقيق إلا اتهام كل رواية عربية أو إسلامية بالتحريف ثم ينقض عليهم رحمه الله بقوله :

١ ـ ألا يعلم هؤلاء المحققون المتحذلقون أن اللسان العربي حل عند العرب محل العرش والدولة ومحل البذخ والحضارة ، ومحل العلم والصناعة ، حتى أصبح الفخر به علامة من العلامات التي يتميزون بها في عرف الأجناس البشرية ، هذه ظاهرة متجلية للنظر القريب والبعيد لا تحتاج من المستشرقين إلى بحث عن مجهول أو معلوم ، فكيف سمحت عقول هؤلاء المتحذلقين أن يجعلوا الرواة فوق أولئك العرب لساناً وبياناً ؟ ويجعلوهم أعلى كعباً ممن تأصلت فيهم مفخرة اللسان العربي والبيان ، وممن سرى في نفوسهم إباء الضيم والاستكراه .

٢ ـ إن القرآن جاء بما نكس رؤوسهم وأحنى ظهورهم وهم أهل الأنفة مما يضيمهم، ومع هذا يعلن لهم صباح مساءَ إن استطعتم أن تحاكوه فافعلوا ، واعلموا أنه من حروفكم وكلامكم الذي تتكلمون به فأروني قوة بيانكم وفصاحتكم وبلاغتكم ؟ ولتعلموا أنكم عاجزون عن الإتيان بآية مثله ، بل قال لهم استعينوا وليظاهر بعضكم بعضاً وعوذوا برجالكم من الجن كي يخرجوكم من المأزق الذي وقعتم فيه ، بل أهل الأرض قاطبة يجمعون كيدهم وليأتوا صفاً واحداً ثم يأتوا بعشر معشار ما أوتي هذا

---

(١) وهذه حيرة أخذتهم من كل جانب ، وسدَّت عليهم كل طريق صحيح يصلون به إلى الهدى ، فجنحت بهم أذواقهم ـ إن كان معهم أذواق ـ إلى إغفال استقراء النصوص الشعرية الجاهلية واستنطاقها ولو فعلوا ذلك لوجدوا فيها أصالة الطبع وقوة الحياة وأصفى تعبير عن نفوس العرب وأصدق مصدر عن حياتهم .

انظر : مصادر الشعر الجاهلي ، ص ٦ ، ص ٧ ، د/ ناصر الدين الأسد .

وانظر منه ص ٨ لتجد أنهم فرَّطوا في استقصائها ومقابلة بعضها ببعض ومناقشتها ونقد إسنادها ومتنها ليصلوا إلى اليقين القاطع أنها تختلف عن الأشعار التي جاءت بعدها ، ولكنهم ألقوا حكمهم هذا إلقاءً عاماً قاطعاً دون النظر إلى آثاره .

النبي ﷺ ، وساعتها علموا أنه ليس في وسعهم ذلك فارتدوا بغيظهم ومرارتهم لم يظفروا بشيء فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

إن هذا في حد ذاته قهر وغلب لا شك فيه ، فأين عقول المستشرقين المتحذلقين من هذا ؟ إنهم ولا شك لفي ضلالهم القديم من توخي الغاية التي من أجلها نصبوا أبحاثهم لها ، وتجاوزوا الحق والوصول إليه ، وقد كان في مكنتهم إن أرادوا ذلك .

٣ ـ ومن المعلوم عقلاً وذوقاً أنه لا يجئ هذا الكتاب المبارك بهذه المعجزة والآية لأمة خلت من مأثورات البلاغة في شعرها وجوامع كلماتها ، وما هو بجائز عقلاً أن يتحداها القرآن ، وهي لا تعرف من كلامه شيئاً يتجه إليه ذلك التحدي وتدور عليه الموازنة في عرف الخبراء بالكلام البليغ ، بل هو يستفز نخوتهم وبلاغتهم بأوائل السور « الم ، المص ، حم ، عسق ، كهيعص » ويقول لهم : أترونى خرجت عن لسانكم وحروفكم ؟ اسمعوها وعوها إن هذا القرآن من هذه الحروف ولكن مع ذلك أتحداكم أن تحاكوه ؟ فأين هؤلاء المتحذلقون من هذا القهر الذي قهر نفوس العرب وقتل كبرياءها بل صدمها في أعز ما تفتخر به : لسانها وبلاغتها الموروثة التي يتناقلونها ولا يجهلون أعلامها ، هذا مما يدعو كل منصف أن يقول نعم : إنه نزل في أمة ملكت بيانها ورموا من يداخل في كلامه بالعجمة واللكنة ، ولا إخال هؤلاء المشتسرقين إلا ألصق بهذا الوصف بل هم كذلك .

وما كان الجاهلي الكافر ليقبل آية القرآن ولا يشك في فصاحة القرآن ، ثم يأتي المسلم فلا تثبت له فصاحة القران إلا بكلام يخلقه خلقاً لينسب إلى أولئك الجاهليين ، ولقد حدث أن اختلف الرواة أنفسهم في كثير من الشواهد على صحة اللغة وسلامتها ، فكان القرآن مرجع المصححين فيما يختلفون عليه ويبتغون له سنداً لا مراء فيه .

وبعد فإن القول بأن البلاغة اصطنعها الرواة سنداً للقرآن ودفعاً للشبهات عنه بين المؤمنين به ، ليس من القياس المستقيم في مقياس غير مقياس أولئك المتحذلقين المسشترقين الذين جعلوا الكذب بضاعتهم ، والتخيلات عمدتهم .

وخلاصة ردود العقاد رحمه الله : أننا نقف بهذه الأقوال المفتراة عند حدها ولا نجاوز مداها ، لتناقضها وغرابتها ، وإن كان هناك من حديث مفترى يلحق بالخرافة فهو هذا التحقيق الذي هو أهون وأضر من التخريف ، وما ذاك إلا أن يعلم كل من يحفظ عقله من الهوس والوساوس والخواطر المنكرة التي تحدث دوياً هائلاً في قلب كل رشيد أن

مقاييس ألسنة العرب لا تأتي بكسر أعناق النصوص من قوم حصرت صدورهم بحفظ هذا الكتاب المبارك من التحريف والتبديل ، فهوَّشوا على المسلمين بمهاترات لا تكاد تنقضي ، وهذه سنة الله أن الباطل يناوئ الحق ليظهر نوره حتى بين الذين يناوشونه فتأتيهم الهداية على الرغم منهم وعلى خلاف ما يرجونه ويبتغونه ، فلقد ابتغوا الفتنة وقلبوا الحقائق فأبى الله منزل الفرقان إلا أن يدخل الإيمان في قلوبهم ، مما يستوحي منه كل رشيد أن القرآن نور يهدي به الله من يشاء من عباده ، فبماذا يفسر هؤلاء المستشرقون هذا ؟ هل يعقل أن الفساد يصلح الفساد ؟ لو كان كذلك كما زعموا ، فلماذا اهتدى بعضهم إلى هذا القرآن بغير سعي منه إلى الشفاء [1] ؟ والله الموعد وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير .



---

(١) مطلع النور من ص ٦٠ - ٦٥ .

وانظر إلى هداية بعضهم ص ٣٧ المجلد الأول من كتاب : اراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره د/ عمر بن إبراهيم رضوان ، مصدر سابق .

المطلب العاشر :

الشبهة السادسة :

(إن الآيات الموحاة إليه وليدة نوبات من الصرع كانت تنتابه بين آونة وأخرى) [١]

يبدأ « العقاد » رحمه الله في مناقشة هذا الأمر الكبَّار بقوله :

١ ـ إن هذه الفئة تذكر كل أثر مظنون أو مفهوم عن أبناء الأمم الشرقية والغربية دون المسلمين ، وتجعل منه خبراً مهولاً تتلقفه الأسماع عن هذا المصلح العظيم من السيخ والهندوس أو القسس والكاردينالات * أو الحاخامات ** ، فأذا جاء ذكر الشرق الإسلامي غضت أصواتها ، وجعلت على بصرها غشاوة [٢] وخنقت كلماتها عند ذكر النبي السيد المبارك محمد ﷺ ، فهنا تُزْغِلُ [٣] أفواههم بكل كلام ممجوج يستحي أن يسمعه العاقل فضلاً أن يفكر في إلقائه والقذف به ، وهم فعلوا ذلك بغياً وحسداً أن يذكر محمد ﷺ بجميل الخصال ، بل تراهم يشنعون على من فعل ذلك ويرمونه بأنه عاطفي وليس كاتباً محايداً ولا موضوعياً .

٢ ـ درج [٤] كثير من أبناء الغرب الصليبي على الإنكار المتعمد أو التنكر الظاهر

---

(١) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١١٠ .

* وظيفة [درجة من درجات رجال الدين في النصرانية] .

** درجة دينية في رجال الدين اليهودي .

(٢) تعجبني كلمة للدكتور ناصر الدين الأسد يقول فيها (وأحسب أن الفرق واضح بين الحماسة البصيرة للرأي حين يصل إليه المرء بعد بحث وتحرٍّ وتحقيق وبين التعصُّب الأهوج للفكرة التي يدخل المرء بها في بحثه ابتداءً ، فالحماسة الأولى من أمارات الحياة السليمة في البحث والباحث، والتعصب الثاني من علامات عجز الفكر وضيق الأفق) أهـ ص ٨ ، مصادر الشعر الجاهلي .

(٣) انظر مادة « زغل » لسان العرب : ٣٠٤/١١ وتأتي بمعنى « تقذف ».

(٤) لعله يقصد « استمر » أو هذا مذهبهم ومسلكهم أو رجع في مسلكه الأول . انظر مادة « درج » : لسان العرب : ٢٦٦/٢ .

للشرق الإسلامي وأهله ، حيث يبادرون إلى طمس وإخفاء معالم أي خبر مرضٍ عن العرب والإسلام ، فتراهم يئدونه في مهده ، ويتسارعون في كتمه وإخفائه ، بل يجندون دور نشرهم وإذاعاتهم وإعلاناتهم ومسرحياتهم للنيل من نبي الإسلام ﷺ ، ويتظاهرون ويتحمسون لتغييب الحقيقة التاريخية عَنْ ومِنْ نفوس (الرأي العام ورجال الشارع) الذين غمرتهم الحياة المادية ، فلا يسمعون إلا سباً وشتماً وتخرصات غدت مع تكرارها حقيقة مسلمة على قاعدة « ما تكرَّر تقرَّر » حتى ولو كان خلاف الحقيقة والواقع ، وهذا في حد ذاته ظلم لعقول الرأي العام ، حيث نصبت هذه الفئة نفسها حكاماً على عقول قرائها ، فأصبحوا ينظرون بأعين هذه الفئة ، ويسمعون بآذانهم ، وهم قد كتموا الحق عنهم وهم يعلمون وأولئك في غمرة ساهون .

٣ ـ إن العذر ممكن أن يقبل منهم في بعض الحالات ، أما هذه الواقعة فلا تجري فيها ولا توخذ منهم الأعذار بعين الإعتبار ، لأن أخبار خلق محمد ﷺ ، ورزانة عقله سار بأخبارها الركبان ، فما عذرهم الذي يعتذرون به وهم قد عموا وصموا عن هذا الوضوح والبيان من خلق محمد ﷺ ، وليتهم وقفوا عند طعن واحد * ، بل تزيدوا وأغرقوا في قبول كل تافه وغثاء ، فأجحفوا وتنقصوا وظلموا الحقيقة التاريخية في سبيل الوصول إلى غرض معين .

٤ ـ إن المستشرقين أوتوا حظاً عظيماً من الجلد والصبر وتحمل المشاق في البحث والتنقيب عن المساوئ والمثالب ، فلماذا بخلوا بعشر معشار ذلك عما يوصلهم إلى الحق وهو ظاهر وقد بلغهم أمره كما جاء في الكتاب المبارك ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ [الأنعام آية : ١٩] أي ومن بلغه ، فالضمير يعود على كل من سمع أو تسامع بهذا النبي ﷺ ، فحال محمد ﷺ ليس بخاف عنهم بدلالة سبهم وشتمهم إياه ، ولكن لما لم يبلغوا قدره ويدفعوا دينه بالسنان انقلبوا إلى منطق الكفار العرب حين قالوا للمسلمين

---

* سيأتي معنا بحول الله استقراء بعض مطاعنهم وتخرصاتهم على رسول الله ﷺ في مبحث التعقيب ، اللهم فأتمم بخير ووفق وأعن .

وانظر إن شئت توضيح هذا الرد ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ من كتاب محمد ﷺ من نبعتة إلى بعثته ، تأليف الشيخ الدكتور : محمد صادق عرجون رحمه اللله ، وهو كتاب جدير بالتأمل .

عندما يرونهم ﴿ إن هؤلاء لضالون ﴾ [المطففون آية : ٣٢] وهذه طبيعة الفجور التي تَجَّاوز جميع الحدود فلا تستحي من قول ولا تتلوم من فعل * فتجعل من نفسها حاكمة ناقدة وهي خالية من العقيدة ، فَقْرٌ في الشعور بالحياة ، غير قادرة على التمييز بين المسلمين والمجرمين ، فلا غرابة ساعتها عندما نسمع هذا الحكم على خير الخليقة ﷺ من قوم شذوا عن سواء الخلق ، وأقاموا على أنفسهم آية الفناء والإفلاس من الحياة والحياء ، .

٥ ـ أيهم أولى بالجنون هذا السيد المبارك ﷺ أم ذلك الذي ملئت كنيسته ومكتبته بقصص الشهوات والغراميات والصور العارية التي يروِّج لها بين الأغرار وتعد من فتوح الإبداع والتجديد ؟ أليسوا أحق بهذه الكلمة وأهلها ولا سيما أنهم يتجارون ويتاجرون في هدم جميع العقائد وتقويض كل دعامة قائمة من دعائم الأخلاق ، .

٦ ـ هذه المفتريات طرقها المبشرون حين ضاقوا ذرعاً بهذا الدين كيف يعطي أصحابه قوة إلى قوتهم ؟ ثم تلقفها هذا « الواغش » ** البشري الذي لا يتورع عن خسة الإفتراء بغير بينة ولا حياء ، وحسبوا ـ أي المستشرقون ـ أن المسلمين سيفزعون من هذه الكلمة ، وما دروا أن عاميَّ المسلمين سينكفئ *** ظهره ضاحكاً على عوار

---

* انظر توضيح هذا الرد من ظلال القرآن للسيد قطب رحمه الله ، عند الآية نفسها ٣٨٦١/٦ .

** يقصد بها « المستشرق » ولقد بحثت عنها في لسان العرب لابن منظور ، وفي ترتيب القاموس المحيط ، للطاهر الزاوي ، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، وفي تهذيب اللغة للأزهري ، وفي الفائق للزمخشري ، إلا أني وجدت « الوخْشُ » وهو الرذْلُ من الناس : انظر الفائق : ٤ / ٥٠ . وانظر لسان العرب لابن منظور : مادة « وخش » ٣٧١/٦ وتعني رذالة الناس وصغارهم .

فإما أن يكون تصحيفاً لواخش ، أو أنها كلمة مصرية عامية ، ورب عامية تحمل معاني كثيرة وتؤدي الغرض ووضعها بين قوسين دليل على أنه كان يقصد اللفظ العامي : الخليط من أراذل الناس .

*** وإن حذف فالنصب للمنجر [منصوب بنزع الخافض] في الأصل على ظهره .

انظر متن الألفية لابن مالك : تعدي الفعل ولزومه ص ٢٩ ، منشورات دار طيبة .

هذه الكلمة المتعفنة التي خرجت من فم متعفن بالخمر والشهوة اللتين جعلتاه لا يعي ما يقول .

٧ - لقد نقل العقاد رحمه الله عن الدكتور « هستون سميث » * من كتابه « ديانات الإنسان » قوله إن أثر دعوته [أي محمد] آية من آيات التاريخ لا يعرف لها مثيل فيما وعاه من أطوار الأمم قبل الدعوات الدينية وبعدها ، إذ لم يسبق فيما عرف من هذه الأطوار أن دعوة نقلت الأمم من حال إلى حال كما نقل الإسلام قبائل الجزيرة العربية إلى تلك الحضارة التي ارتقى إليها أتباع الإسلام خلال سنوات معدودات ..... ثم يتابع قوله عن رسول الله ﷺ فقال - أي سميث - ويرى فيه أهل المدينة ولياً لا يملك من يتولاه إلا أن يدين له بالحب والطاعة [1] أهـ كلام « سميث » فلو كان رسول الله ﷺ مصاباً - حاشاه - بالصرع فهل كان أهل المدينة وفيهم كفار وثنيون ويهود يغضون الطرف عن حالات الصرع ولا يشيعونها بين قبائل العرب وهم الحريصون على بارقة أمل تبرق لهم ، فلو كان جداً ما يقول هؤلاء لما سكت عنه أعدى أعدائه - أبناء يهود - بل لفضحوا أمره وأشهروا خبره أن صاحبكم به جِنَّةٌ ، فلما لم ينقل ذلك في أشعارهم ورواياتهم دلّ على افتراء هؤلاء الذين كثرت دواعي سوء نياتهم ولا غرابة في ذلك وجهابذتهم - المستشرقين - يقرأون الكتاب المبين ولايستبينون منه أظهر معانيه ، بل أظهر كلماته التي لا تحتاج إلى مراجعة من أخبار الإسلام أوأخبار التاريخ .

٨ - يلفت انتباهنا الأستاذ العقاد رحمه الله إلى أننا لا نعجب من هذه الأقاويل الباطلة ، إذا علمنا مَنْ وراءها ؟ وسيزول عجبنا حين نعلم أن أكثر مروجيها مستشرقون يهود تمولهم الصهيونية التي هي بالمرصاد لكل من يفكر في إنصاف

---

* عرف به العقاد فقال :أستاذ الفلسفة بالجامعات الأمريكية ومحرر لأبوابها في المجلات الأدبية ، ولد في الصين وعاش في الشرق . ص ١١٩ ، الإسلام دعوة عالمية .

(١) ص ١٢٠ ، الإسلام دعوه عالمية . ونقلته بنصه من كلام « سميث » مع اقتصاري على موضوع المراد منه .

ومهما عجبنا من قول « سميث » فلا أراه إلا عاداً رسول الهدى ﷺ مصلحاً من المصلحين ، ومن تأمل كلامه وافق المعنى الذي قصدت إليه ، والله حسبي ونعم الوكيل.

نبي الإسلام ، وأنها في ميادين النشر والإعلان أخطبوط لا تسلم من أيديه الظاهرة والخفية شعبة من شعب الثقافة أو الدعوة في القارات الأوربية والأسيوية والأفريقية[١] .

٩ - يزيد الثامنَ بياناً . كيف نعجب من هذا التشهير والانتقاص وقد خَرَّقوا[٢] لله بنين وبنات بغير علم ؟ فليس بمستغرب انتقاصهم لنبي الإسلام ولا سيما إذا علمنا أن مصدر هذا الانتقاص هو الكنيسة و(التبشير) و (الإستعمار) حيث تضافر جميعهم على تشويه صورة محمد ﷺ فيما نقل إلى الغربيين عنه ﷺ قديماً وحديثاً .

١٠ - إن المستشرقين أعجز وأوهن من بيت العنكبوت لو طالبناهم بالدليل والبرهان على ما قالوا ، وهم لن يستجيبوا لنا ولنعلم بعدها أن حكمهم على الأشياء بمجرد الوهم وبقطع النصوص وبترها عن مرادها الذي سيقت من أجله[٣] ، ولقد تلقفوا هذه الفرية وتسلموها بالنظر المجرد ولم يستعينوا عليها بالمنطق والمعرفة العلمية - وهم قادرون على ذلك ولا شك - ولكن فرحوا بها لموافقتها هوى متأصلاً في نفوسهم ، فنقلوها نقلاً مشوباً بالغرض مع سوء واعتياص * الفهم عليهم لما ورد في مصادر الإسلام عن كيفية

---

(١) مسألة تدخل اليهود في كل شئ أمر للدعاية أقرب حتى يدخل الرعب في قلوب المسلمين أنهم يسيطرون على كل شئ، نعم يسيطرون على أهل الفسق وأما أهل التوحيد فلا يملكون معهم إلا أنهم يقاتلونهم في قرى محصنة أو من وراء جدر ، وفي الجملة : الدراسة التاريخية أثبتت أن اليهود لهم الأثر الأكبر في الإضرار بالمسلمين والآيات القرآنية دائماً تحذرنا من غدرهم .

(٢) لقد رجعت إلى مادة « خرق » فإذا بها تعني خلق الكذب . و« خَرَّقوا » بالتشديد تدل على المبالغة في افتراء الكذب وهي قراءة نافع وحده . وتعني : افتعلوا كذباً وكفراً وتخرصاً وافتراءً ، ومعانيها تحوم حول: الإختلاق وابتداع الكذب . انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٣٢/٢ ، لسان العرب : ١٠ / ٧٤ . تهذيب اللغة للأزهري ، وهؤلاء المستشرقون ينفقون بضاعتهم بابتداع الكذب واختلاقه .

(٣) انظر زيادة توضيح ص ٧٩، ٨٠ ، المجلد الأول من كتاب : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم ، د/ عمر بن إبراهيم رضوان .

* انظر مادة « عوص » وكأنه يعني بها أمر معتاص : إذا إلتاث عليه أمره فلم يهتد لجهة الصواب فيه أي لم يفهمه . لسان العرب : ٧/ ٥٩ .

إتيان الوحي لرسول الله ﷺ فتعمدوا الكذب ، وفسروها بما يوائم أمزجة الغربيين الذين تغلغل في قلوبهم البغض والحقد لمحمد ﷺ ، وكانت الأمانة العلمية تقتضي أن لا يتعجلوا بأيراد هذا التفسير من لدن أنفسهم لكن غضوا الطرف واصطنعوا قلة الاكتراث بما يؤول إليه هذا التفسير ، فرموا الأمانة العلمية في لبتها فانحسروا في عقائدهم وتعصبهم على النبي ﷺ لمخالفته إياهم في ربهم « يسوع » * ، فهم بتفسيرهم غشيان الوحي لرسول الله ﷺ بالصرع ذكرونا بسالف آبائهم حين كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، فلا غرابة في خلفهم حين فسروا معاني إتيان الوحي وكيفيته بما يوافق هواهم ، بل احتكموا في تفسيرها إلى الأحبار والرهبان ، وهذا يجتث أصول بحثهم العلمي حين استقوا معلوماتهم من العدو على العدو ** . واكتفوا بالبحث عن كل ما يؤيد قرارات أنفسهم المسبقة ، فرضيتها عقولهم وقلوبهم واستبشروا بما ذكر من دون مصادر الحق وأهله . فقطعوا على أنفسهم أن لا يلووا أعناقهم رجوعاً إلى نداء الحق والأمانة ، وكان لزاماً عليهم وهم الباحثون المنقبون أن يفعلوا أقل ما ينبغي من إلقاء نظرة عابرة على مصادر الحق بعيداً عن المؤثرات الخارجية والداخلية لكنهم جعلوا على أنفسهم سبيلاً أنهم لا يريدون أن يطهروا عقولهم مما علق فيها من اللغو الجاهل والإفتراء المتعمد .

١١ ـ إنهم لم يخجلوا أمام قرائهم من تشويه الحقائق وتبديل الوقائع مجاراة لذوي الجهل في تعصبهم الأعمى ، أو لذوي الطمع في سياستهم التي لا تعمى عن مصالحها ، ولكنها تفتح عيونها جميعاً لشئ واحد لا ترى سواه ، و هو اقتناص الفريسة واغتنام الأسلاب .

١٢ ـ إن هؤلاء المستشرقين يعلمون صادق العناية التي بذلها مؤرخو الإسلام في تقصي واستيفاء ما يتعلق بحياته ﷺ ، مما لم يتوافر في سيرة شخصية من شخصيات الأنبياء والمرسلين والقديسين والقادة والمصلحين ، هذه المعرفة تعوصهم وتدخل عليهم حججاً يعسر معها أن تقال كلمة تقدح ولو من بعيد في حياته ﷺ ، فأذا جاء رجل

---

* سيأتي معنا ـ بحول الله وتوفيقه ـ بيان هذا الرد في التعقيب .

** العدو الأول الأحبار والرهبان فهم أعداء دين محمد ﷺ والثاني رسول الله ﷺ فهو في نظر الغربيين عدوهم الأول .

بمثل مقالتهم هذه ، فإنه ساعتها لا يرد عليهم مؤرخو المسلمين بل يرد عليهم من بني جلدتهم وهو « روم لاندو » * في كتابه « الله وجهة مطافي » يقول « لاندو » (وقد كانت رسالة محمد [ﷺ] هائلة جسيمة لا يقدم عليها إنسان يصدر في أعماله عن بواعث المنفعة والأنانية ، ويرجو أن يحققها بمجهوداته أو بمساعيه الذاتية ، ولا شك في بطلان تلك الأكاذيب التي تزعم أن الآيات الموحاة إليه وليدة نوبات من الصرع كانت تنتابه بين آونة وأخرى ، إذ ليس في وسع المصاب بتلك النوبات أن يتلقى فيها نسقاً من الكلام له ماللقرآن من العمق وانتظام التركيب ، وإن الإخلاص الذي أدى به رسالته ، واليقين الراسخ في نفوس أتباعه بصدقه ، والإمتحان الذي اختبرت به رسالته مدى السنين والأجيال ، لهي من الدلائل على أن محمداً ـ عليه السلام ـ ** براء من شبهة الخداع والإدعاء ، فما حدث قط أن خادعاً مدَّعياً ـ ولو كان من أصحاب العبقرية ـ بقيت له رسالة بعد ذهابه ، وهذا هو الإسلام باق بعد ثلاثة عشر قرناً يجذب إليه المؤمنين عاماً بعد عام ، وقد خلا التاريخ من مثل واحد على دعوى من دعاوي *** الخداع أفلحت في إقامة دولة شامخة وحضارة من أنبل الحضارات الإنسانية) [1] .

١٣ ـ إن حاصل شبهم عن الرسول ﷺ أنهم ينكرون ويستنكرون نبوته ﷺ بغير بينة أو على غير هدى فيصدقون بالأنبياء السابقين لأنهم أنبياؤهم ولا يصدقون بمحمد ﷺ لأنه ليس بنبي عندهم ، فهم لا يفرقون بين الأنبياء بقداسة السيرة ولا بعظمة الأثر

---

* أستاذ الدراسات الإسلامية والشماأفريقية في جامعة المحيط الهادي بكاليفورنيا ، له كتاب « الإسلام والعرب » ذكره العقاد : ص١٠٥ في كتابه : الإسلام دعوة عالمية، وترجم هذا الكتاب منير البعلبكي ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٩٧٧ ، أخذت هذه التعرفة اليسيرة من مقدمة الكتاب حيث ذكر اسمه والكلام المشار إليه آنفاً .

** هكذا في الأصل الذي نقلت منه .

*** هكذا والأفصح دعاوى بألف مقصورة .

(١) نقلته بنصه ولفظه من: الإسلام دعوة عالمية ص ١١٠ .

وكذلك هذا يتبع « سميث » فأين النبوة هنا ، لا مكان لها حتى في ثنايا هذا المدح « ببلاش » .

ولا بشيوع الهداية وكثرة المهتدين بها ولا بفضيلة الهداية في آدابها ومعانيها ، إذ ما من فارق من هذه الفوارق يعتمدونه في تقديرهم هو خليق أن يسوغ لهم تكذيب محمد ﷺ مع من صدقوهم كما وصفوهم وتحدثوا عنهم في الكتب التي يعولون عليها ....

ثم يوالي « العقاد » رحمه الله في إرسال سهامه على هؤلاء المستشرقين ويقول بلسان حاله ومقاله : أنتم تثبتون نبوة أولئك وتنكرون نبوة هذا ، تعالوا بنا ننظر ماذا تقولون بأفواهكم وبألسنتكم عن هؤلاء الأنبياء ؟ وبعدها نحتكم إلى العقل أيها أولى بإثبات النبوة [1] من بلغ ذكره أهل الشرق والغرب ونقل نقلة بعيدة قوماً كانوا مسخرة لدولتي الحضارة : الرومان والفرس إلى العزة والرفعة أم من وصفتموهم بالزنا وشرب الخمر ـ حاشاهم من ذلك صلوات ربي وسلامه عليهم وعلى نبينا أفضلهما ـ ... فتعالوا نسمع ما تقولون عن أنبيائكم أولاء الذين قدمتموهم وأثبتم نبوتهم :

فمما جاء في الإصحاح التاسع من سفر التكوين عن نوح أنه :

ابتدأ يكون فلاحاً وشرب الخمر فسكر وتعرى فأبصره حام وكنعان وأخبرا سام ويافث ودخل هذان ماشيين إلى الوراء حتى لا يبصرا عورة أبيهما ووضعا الرداء على كتفه فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل كنعان فقال : ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوانه [2].

ويتابع العقاد رحمه الله فضائح الكتاب المقدس ، وهذه المرة لوط مع ابنتيه حيث جاءت القصة في الإصحاح التاسع عشر عن سفر التكوين وملخصها أن ابنتي لوط خشيتا انقطاع نسل أبيهما فأسقتاه خمراً وتداولتا النوبة عليه فحبلتا ووضعت الكبرى موآب أبا المؤابيين إلى اليوم ، ووضعت الصغرى بن عمى أبا بني عمون إلى اليوم .

ثم يروي عن الإصحاح السابع والعشرين حيلة رفقة أم يعقوب لإسحاق حتى يباركه فباركه وجعله سيداً لعيسو وكذلك إخوة عيسو عبيداً ليعقوب وهكذا امرأة تحتال على نبي وليت الأمر يقف عند ذلك بل سقته خمراً ...

ثم تأتي رواية الإصحاح الحادي عشر من كتاب صمويل الثاني حيث زنى داود بامرأة قائده وقتله ، ولما قضت المناحة أرسل داود لبسبع بنت اليمام امرأة أوريا الحثي،

---

(١) يقرأ هنا « الوحي المحمدي » لمحمد رشيد رضا . من ص ١٢١ إلى ص ١٢٨ .

(٢) لقد لخصتها وتصرفت فيها يسيراً حتى ندرك الشاهد منها .

وضمها إلى بيته وصارت له امرأة ، وولدت له ابناً ...

ثم تأتي قصة هوشع حين قال له الرب : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنا لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم فحبلت وولدت له ابناً ....

ويتيع هذا الإصحاح إصحاح تال يقول فيه النبي : وقال الرب لي اذهب أيضاً أحبب أمرة * حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب ** ..

هذا قولهم وما كانوا يفترون على الأنبياء جميعاً بما فيهم محمد ﷺ لقد وصفوا الأنبياء بالسذاجة والغفلة والمخادعة وشرب الخمر فتساووا وتماثلوا مع محمد ﷺ فبأي ميزان يفرقون بين متماثلين ، وبأي عقل وميزان تجتمع النبوة مع شرب الخمر والزنا أي كيف يجمعون بين متناقضين مختلفين ؟ كيف يكون النبي نبياً وفي نفس الوقت زانياً شارب خمر ، تالله ماذاك في الإمكان ، فإن دل هذا فإنما يدل على أنهم ليسوا أهلاً للدخول في حوار صحيح يؤتي ثماراً يانعة ونتائج طيبة ، وإن من البلاء أن يقوم من لا يعلم بل من جهله مركب (عياياء طباقاء) [1] ويعترض بأعتراضات ومقدمات أسها وأساسها الجمع بين متناقضين والتفريق بين متماثلين وينتج منهما جدل عقيم ومغالطات بيانية سببها عدم كفاءة أهلية المحاور ، فمن الخطأ أن نعطي هؤلاء أحقية الإثبات والنفي لأنهم برهنوا على أن لقب المحاور لا يستحقونه جملة وتفصيلاً لتَشَبُّع أنفسهم بشهوات المعارضة من غير حق أو بغية الوصول إليه ، وكان لزاماً عليهم وهو المدَّعون

* هكذا في الأصل الذي نقلت منه ولعلها امرأة .

** الواقع إن هذا يدمي القلب ويضحكه في آن واحد . مسكين « يهوه » إله بني إسرائيل هم على الزبيب وهومقهور منهم لا يستطيع لهم حولاً ولا طولاً . فليتموا أقراص زبيبهم وليمت إلههم حسرة .

(١) انظركتاب النكاح ، باب حسن المعاشرة مع الأهل ، البخاري مع الفتح : ٢٥٤/٩ ، ومعناهما : الأحمق الأفدم ، الذي لا يهتدي إلى مسلك أو من انطبقت عليه أموره ، . الفتح : ٢٦٤/٩ .

فهؤلاء المستشرقون انهمكوا في الشر ورأوا سبيل الغي فاتخذوه سبيلاً فَضَلُّوا وأضلُّوا .

للتحقيق العلمي أن يُوقِفُوا اعتراضاتهم وشبهاتهم عندما نُبِّهوا أن مسارهم قد تَغَيَّر ، وأن نفوسهم قد دخلت في مسارب اللجج والخصام ومدخولات النوايا . فلما لجوا في عتو ونفور علمنا أن مقصدهم باديٌ ذي بدءٍ التشهير والانتقاص بغير علم ولا بينة *.

١٤ ـ وينتقل بنا الأستاذ العقاد رحمه الله إلى **شبهات فرعية عن شخص الرسول ﷺ مثل قتل الأسرى بعد غزوة بدر ، خرج لساحة الحرب لرؤية صرعى المعركة ، صاحب قسوة نضرية بالقتل وا لإرهاب وإهدار الدماء البشرية في غير جريرة ، قتل بني قريظة خلافاً للعرف المتبع في الحروب ، تسمية الهجرة بالفرار ، راغب في كسب الغنائم ، أثّرت فيه الطبيعة البدوية ، متعصب عنيف ، رخو جبان ، أو أن محمداً ﷺ أسبغ على الله ــ ربه ــ ثوباً من الخلق العربي والشخصية العربية** ** ، كل هذه الأباطيل عند العقاد (تحصيل حاصل ، وإعادة قول مفهوم من زمن قديم) [(١)] وهي إشاعات قديمة جداً ظهرت من الكنيسة ، أصبحت مع الزمن مكررات تقليدية يطلقونها على نبي الإسلام ﷺ سماعاً ، ولا يبدو منها أنهم كلفوا عقولهم جداً وحقاً أن تُلِمَّ إلمامة واحدة بهذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ ، كل هذا يريدون به صرف المفكرين الإسلاميين عن لب القضية وأساسها وهي إنكار نبوة محمد ﷺ ، فيطلب منهم العقاد رحمه الله أي من المستشرقين أولاً أثبتوا لنا الحصن ثم ألقوا ما بدا لكم على السور ، فالسهام الموجهة إلى الحصن غير السهام الموجهة إلى السور ، تلك أخطر بكثير ، بل

---

* لقد جندت كلمات من كتاب «أصول الحوار وآدابه في الإسلام» بقلم صالح بن عبد الله ابن حميد ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٨ ، لتوضيح بعض المبهم من كلام الأستاذ العقاد رحمه الله ، وبعضها كانت خواطر تخطرلي ساعة قراءة ونقل كلام الأستاذ العقاد رحمه الله .

** لقد استقرأت هذه الإتهامات والمتناقضات من :

عبقرية محمد : ص ٣٩ ، ٥٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٨٨ ، ٥٧ ، ٥٨ .

الإسلام دعوة عالمية : ١٦ ، ١٣٤ .

ما يقال عن الإسلام : ص ١٤٢ .

حقائق الإسلام : ص ٥٤ .

(١) ما يقال عن الإسلام : ص ١٤٢ .

هي أساس المعركة اللسانية بين المستشرقين وبين الكتاب المسلمين ، فمالهم ولإلقاء الشبه على الفروع ، أولاً أقروا بنبوة محمد ﷺ ثم بعدها فليطلقوا أقاويلهم كما يشاؤون .

فلا يضيرنا ولا نستغرب ذلك لأنهم من غير ملته ﷺ .

ويخدمون (الإستعمار) في تشويه صورة محمد ﷺ الذي أُنزل عليه القرآن العقبة الكئود في نظرهم ، فمن ثَمَّ لابد من فتح ثغرات في أصول الإسلام وفروعه ، والبحث عن حوادث جاءت علاجاً في وقت ومكان مناسبين [1] ، لكن الغاية التي حددوها تجعل من هذه الحوادث مطعناً يطعنون به الإسلام لأجل غاية سياسية ودينية ، فتراهم (ينظرون إليها عن طريق الآلة المكبرة ويعرضونها كذلك للقراء حتى يروا الذرَّة جبلاً ، والنقطة بحراً ، وقد ظهرت حذاقتهم وذكاؤهم في تشويه صورة الإسلام) [2] وتعمد تشويه صورة محمد ﷺ (لا يَنْجُمُ إلا من زيغ في الطبع ، أو عناد يتعامى عمداً عن الشمس في رائعة النهار) [3] ولو كان مدَّعياً كذاباً معتوهاً فلماذا (لم

---

(١) ملخص الردعلى هذه الحكايات :

١ ـ أن الرسول لم يتشف في قتلى بدر من المشركين ولكنه أراد أن يبين إنتصار الحق .

٢ ـ أما بنو قريظة فأن نتيجة انتصارهم لو تم ـ لا قدر الله ـ كانت اجتثاث المسلمين من أصولهم . فهم الذين حكموا ـ سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه .

٣ ـ الرسول ﷺلم يقتل الأسرى وإنما بعض الأفراد الذين لم ينفع معهم أي علاج فكان القتل مصيرهم .

٤ ـ يقال لهم لم تكن الهجرة فراراً لكن أرضاً قد أجدبت ولم ولن يصلح فيها الزرع حتى نزل قوله تعالى ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء ... ﴾ الآية فكان من حكمة الله أن ينتقل إلى أرض أخرى أهلها فتحوا صدورهم للرسول ﷺ . فهل هذا فرار ؟ ومن من الأنبياء لم يهاجر ؟ .

(٢) استعنت بالله ثم بكتاب « الصراع بين الفكرة الإسلامية وبين الفكرة الغربية » للندوي، في توضيح مراد العقاد رحمه الله ، وذلك ص ١٨٥ من كتاب الندوي المشار إليه آنفاً. وكفى بالله هادياً ونصيراً .

(٣) حقائق الإسلام : ص ٦١ .

ينس في ساعة حزنه [أي على ابنه إبراهيم] أمانة الهداية للمؤمنين بدينه ، وبادرهم لساعتها مذكِّراً لهم بآيات الله « وأن الشمس والقمر آيتان له لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته ») [١] ، لقد خلصت نبوة محمد ﷺ من دعوى الخوارق والمغيبات التي يدعيها ويستبشر بها المستشرقون عن الرهبان والقسس والقديسين ، بل هم يستفيضون في ذكر بداوات الجنون الذي كانوا يسمونه قديماً بالجنون المقدس ، لاعتقادهم أن المصابين به يخلطون هذيانهم بوحي الأرواح العلوية التي تستولي عليهم ، ومع ذلك ما نبست [٢] شفاه المستشرقين بأدنى كلمة إتهام لهؤلاء المشعوذين أنهم كذبة مفترون ، فأذا كان قديسوهم ذوي جنةٍ حقيقة ولم نرهم يلمسونهم بالتشهير والانتقاص أضف إلى ذلك أنهم يعترفون بجنونهم فما لهم يتهمون رجلاً براء مما يقولون ـ بالجنون ـ وفوق ذلك إن هو إلا مفترٍ كذاب ، وقد أطبق من رآه سواء كان كافراً أم مسلماً على أن وجهه ﷺ ليس بوجه كذاب ، مع أن الخوارق قد جاءته ﷺ طائعة له فَصَدَّقها الناس ، لكنه مع هذا أبى لهم أن يصدقوها أو يفهموها على غير حقيقتها ، ولو أنه سكت عنها لحسبوها معجزة من المعجزات لم يتحقق مثلها من قبل لأحد من المرسلين .

١٥ ـ لو أن المستشرقين قاموا مرة واحدة وجردوا أنفسهم للإنصاف ساعة من نهار لعلموا هنالك أن رغوة دعاواهم انكشفت عن زبدها ، حين ظهرلهم سر هذا ا لدين الإسلامي الذي اعتصم المسلمون به أمام هذه القوى المتضافرة جميعاً ، ولرجعوا إلى أنفسهم أن دعاواهم لا يعتمدون فيها على الحجج والبينات بل بنوها على علل ماجنة يتمحلونها ، هي التي أنشأت متاهات الظنون والتقاليد الموروثة بغية انحلال عرى وحدة الأمة الإسلامية وزرع الشقاق بينهم ، واجتثاث الثقة بهذا الدين ، فيجعلونهم حيارى كلما سمعوا صيحة من ناعق قالوا من يخفرنا من هذه ؟ فأصبح كل همهم منعقداً على رد العوادي عن حصن هذا الدين ، حتى ولو كانت العادية لا تزن مثقال

---

(١) نفس المصدر : ص ٥٩ ، وأخرج الحديث البخاري « لا يَخْسفان لموت أحد » في كتاب الكسوف ، باب الصلاة في كسوف القمر : البخاري مع الفتح : ٥٤٧/٢ .

وإما « لحياته » فأخرجها في باب الدعاء في الخسوف : ٥٤٦/٢ . جامع الأصول : حرف الصاد : صلاة الكسوف : ١٥٦/٦ ، بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط .

(٢) انظر مادة « نبس » لسان العرب : ٦ / ٢٢٥ أي ما تكلمت .

ذرة ، فعزلوا أنفسهم في دائرة الدفاع وضاقت بهم السبل بل ضاقوا ذرعاً بكل شبهة يلقيها « الواغش » * البشري ، فَحَصَرتْ صدورهم فتفرق سيلهم الذي كان مدمراً بأذن ربه كل عوادي [١] أعدائه ، مما نتج منه شك المسلمين في دينهم إلا ما رحم الله ، فلما أحس هؤلاء المستشرقون أن المسلمين ضاقوا ذرعاً لهذه الشبهات وأخذوا يلقون لها بالاً هَوَّش [٢] أولئك عليهم أشد وأنكى من ذي قبل وزادوهم رهقاً لعلمهم أن نور هذا الدين خبا [٣] من قلوب المسلمين واضمحل حتى فارق بعضهم دينهم وكانوا شيعاً فاستأسد عليهم هؤلاء المرتزقة ، لو أنهم ـ أي المسلمين ـ أقاموا هذه الآية وهي قوله تعالى ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] لَأَنْسَوا المستشرقين أنفسهم لأنهم يقيمون دعاواهم بل يدعون إلى دين يقوم على شفا جرف هار ينهار بهم من أول سهم ينطلق من مجادلة المسلمين لهم ، ومن المعلوم ديناً أن مجادلتنا لهم ستكون بالحق وبالتي هي أحسن بل تدعوهم إلى إعادة النظر فيما توارثه المستشرقون من معتقدات متعمدة الخطأ عن نبي الإسلام ، زَجَّتَ بهم في متاهات شتى [٤] ، .

ويكرر العقاد مرة ثانية أنه كان لزاماً على المستشرق الباحث أن يطلب الحقيقة من

---

* الذي فهمته من هذه اللغة المصرية العامية أي ذلك الرجل الذي يلقي كلاماً لا فائدة منه ولا حقيقة لها ، سراب في سراب ، وليس له ثقل في السمع البشري [الخليط الذي يجمع الخبث ، والواغش من الناس الذين لا عقل لهم ولا رأي] .

(١) انظر مادة « عدا » من لسان العرب : ٣٤/١٥ التي تعني ما يشغل المسلمين عن أمورهم . وقد تأتي بمعنى الفساد والإفساد ، والله أعلم .
وأما « يخفرنا » فهو من الخفر أي من يجيرنا ويمنعنا من هذه الصيحة ، صيحة المستشرق . انظر معاني « خفر » من لسان العرب : ٢٥٣/٤ .

(٢) تعني الفساد والإفسادوتخليط أمر المسلمين ، انظر معاني «هَوَّش» من لسان العرب : ٣٦٦/٦ . بالضجيج والغلبة .

(٣) انظر مادة « خبا » سكنت وخمد لهب الإيمان ، لسان ا لعرب : ١٤ / ٢٢٣ .

(٤) وانظر : ص ١١٢ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ، للواء : أحمد عبد الوهاب .

حيث يطلبها الفكر الإنساني الحر البعيد عن تعصبه وتصوره المسبق ، ولا يصدّاه عن طلبها حيثما سنحت له بادرة مرجوة ، وعليه أن يتخلى عن طريقته التي تُعنى بتصيد الأخطاء حتى لا تسوقه إلى تبلبل في الخواطر تعود على صاحبها بسخرية أمَرَّ وأنكى ، ولا سيما إذا نظرنا إلى أقوالهم عن نبي الإسلام فنجدها تختلف باختلاف الأزمنة أو اختلاف الأفكار ، مما يجعل الإنسان العاقل يحكم عليهم أنهم يجازفون بالرأي في غير علم وفي غير حيطة ، وبغير دليل ، ومع ذلك تراهم يتداولون هذه الإشاعات والأقاويل بالجزم والتوكيد ، ويدَّعون لأنفسهم باسم البحث العلمي مالا يجوز لأحد أن يدَعيه من ان مقصدهم العلم ، فلا ذاك ولا هذا اتبعوا ، بل صرفوا جهودهم في الجمود على التقاليد الموروثة أكبر آفات العقل البشري التي تعطل تفكيره ، وتتركه في حكم الآلة التي تسير على نهج واحد في آثار الآباء والأجداد مع اختلاف الزمن وتبدل الأحوال اللذين اثبتا أن محمداً ﷺ هو خير قدوة ظهرت للبشرية في كل أمورها صغيرها وكبيرها وأنه مثال « الإنسان الكامل » الذي لا مرتقى بعده لدرجات الكمال في بني الإنسان ، ولو لم يكن من دليل على صدق نبوته غير ذلك لكفى به دليلاً يغني عن كل دليل ، لا يحتاج إلا إلى الباحث الأمين الذي عدته الأناة والروية والفهم ، وألا يتعجل إلى التهجم على شخص محمد ﷺ بمقياس التاريخ الناقص الذي لا يصلح لقياس الحقائق الوجدانية [1] وأولها حقائق الأديان ، وألا يفعل فعل المؤرخين المسيحيين الغربيين الذين تهجموا في هذا المقام على غير وعي ، وبغير حذر ، أعماهم التعصب والتقاليد الموروثة فأدَّيا بهم إلى خطأ منهم في حق التاريخ وفي حق العقيدة مجتمعين لأن حياته ﷺ لم يلفها الغموض ، بل لا يحتاج الإنسان إلى البحث عن المعلومات الصحيحة [2] عنه ، فكان حقاً عليهم أن يتمحضوا للحق فيصلوا إلى أن الصوت الحي الذي أنزل على محمد ﷺ تجاوبت به عصور الزمن وتجاوبت [3] به حنايا

---

(١) الفطرة .

(٢) انظر توضيح هذا من كتاب « محمد ﷺ رسول الإسلام » تأليف البروفسور : ك . س راما كرشناراو . هندوسي، ص٩ ، مكتبة أبو القاسم ، جدة، الطبعة الأولى : ١٤٠٩هـ.

(٣) يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنه يقصد : تسامع به ... وانظر مادة « جوب » لسان العرب : ٢٨٣/١ . وكذلك أيَّدت وأكَّدت .

النفس البشرية ، وهو أولى بالاستماع إليه من قصص الفحش واتهام ذوات الأنبياء بالخنا والخداع والمكر والعته أو من قصص الخيال التي يروونها عن القديسين التي ما لبثوا أن عرفوا شناعة أخطائهم على ضوء ما تبدَّى لهم من كشوف العلم .

وتتلخص ردود العقاد رحمه الله على هذه الفرية والبهتان بثلاثة مقاصد :

الأول : نَقْلُه عن « فريثجوف شيون » * أن مصدر الخطأ في فهم الغربيين لمحمد ﷺ (تصورهم الديني على صورة واحدة ، هي صورة بوذا والسيد المسيح ، وهي صورة تحيط بها هالة من غير هذا العالم الإنساني ، لما فيها من محو الذات ، ومحو العلاقات الدينية .

لكن محمداً ﷺ لم تكن تحتويه هذه الهالة من غير العالم الإنساني ، لأنه رسول شريعة وصاحب جهاد في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى ، ومثاله من صور الرسالة الدينية ، إنما هي صورة إبراهيم وموسى عليهما السلام مع تفاوت الأفق والمجال) [١] .

الثاني : كيف يسيغ [٢] العقل أن يكون صاحب الدعوة المحمدية مصروعاً وقد بلغ ما بلغ الليل والنهار ، واعتصم به المسلمون حين الشدائد والتحديات والمحن ، وكان سبباً في نقلة العرب البعيدة إلى رُقي العلو والرفعة والمنعة ، وقد كانوا قوماً طعامهم الخنافس والجعران ، فلا غرابة أن تسيغ هذه الفئة مالا يسيغة العقل في أمر نبي الإسلام ، لأنهم يتصورون أن الشخصية المحمدية لا تزال بعد أربعة عشر قرناً مصدرالمدد المتصل في تقوية المسلم ** .

---

* واحد من فئة قليلة بين الأوربيين قادر على نقل العقائد الشرقية إلى الغربيين نقلاً صحيحاً غير مشوب بالغرض وسوء الفهم . ص١١٢ الإسلام دعوة عالمية واسم الكتاب الذي نقل منه العقاد رحمه الله « فهم الإسلام » .

(١) الإسلام دعوة عالمية ص ١١٤ ، وهذه الهالة اصطنعها أتباع بوذا وأتباع المسيح .

(٢) كيف يجيز : انظر مادة « سوغ » لسان العرب : ٨/٤٣٥ .

** إن هذا خطأ عقدي واضح فليست شخصية الرسول ﷺ هي مدد القوة ، بل هو الإسلام الذي جاء في القرآن المبارك المنزل على رسول الله ﷺ .وهذه الكلمة الممجوجة لـ :دنكان بلاك مكدونالد كما جاء في ص ١٨٢ الإسلام في القرن العشرين للعقاد .

قال شيخنا « لا يقصد بالشخصية الجثة » وإنما يقصد بها الشخص الذي تربى تربية =

الثالث : أنهم قذفوا بها على غير سند علمي أو تاريخي محقق يستند إليه فأسلموا أنفسهم إلى الفروض والاحتمال والتشكيك ، فأوغلوا[1] فيها ، وتطوحوا بها إلى قصوى ما تفرضه الفروض ، فضلوا في تيه المناقضات حيث وصفوه بالمخادع ، المعتوه ، المصروع ، المحتال ، الغدَّار ، القتَّال ، المشتهي سفك الدماء ، العاقل ، المثل الكامل ، القدوة ، المتديِّن[2] ، مع العلم أننا نعرفه ﷺ (بالوصف خيراً من معرفتنا لبعض المخلدين بصورهم وتماثيلهم التي نقلت عنهم نقل الحكاية والمطابقة .... لأن الذين وصفوه وأحبوه وأحبوا أن يقتدوا به فتحرجوا في وصفه كما يتحرج المرء في الإقتداء بصفات النجاة والأخذ بأسباب السلامة ، فكانت أمانة الوصف هنا مزيجاً من العطف والتدين ، وضرباً من اتباع السنن وقضاء الفروض ، لم يختلف الوصف مرة كما تختلف نظرة الناظر إلى وجه واحد بين ساعة وأخرى ، فيقول غير ما يقول آنفاً ثم لا يبدو التناقض ولا قصد التحريف بين القولين[3] .)

وبعد : فإن الرد غالباً يكون لتفنيد شبهة ونحوها علقت في ذهن الباحث ، فإذا بُيِّن له الحق وألزم بالحجة كان حقاً على المنصف أن يتبع سبيل الرشد ويدع سبيل الغي ، لكن هؤلاء لا ينفعهم ردنا ولا يهديهم سواء السبيل لأنهم حددوا المسار الذي

= إلهية حتى قالت عائشة رضي الله عنها " كان خلقه القرآن " هكذا .... والذي يظهر أن المستشرقين لما رأوا حال الصوفية وحبهم لذكر المصطفى ﷺ ظنوا أن هذا يشمل المسلمين. نعم ، يشملهم لكن بالرقص والسماع الصوفيين ؟ وإنما هو محض الاتباع ، والله يتولى الصالحين .

(١) وَغَلَ : ذهب وأبعد . انظر مادة « وغل » لسان العرب : ١١/٧٣٢ .

وطوَّح أي رمى وقذف وألقى وَتَّوة : إنسان « طَوَّح » لسان العرب : ٢/٥٣٥ . وصدق رحمه الله لقد تَوَّهوا قراءهم وذهبوا بهم هنا وهناك ورموهم في دعايات لا يرجعون منها إلا بالحقد المكين في النفوس وهذا مرادهم حماية العقل الأوربي من التأثر بدين الإسلام.

(٢) انظر معي كيف نجمع بين المعتوه والعاقل ، بين الغدَّار والمثل الكامل .

(٣) نقلته بنصه من عبقرية محمد ص ١٤٢ .

يمشون فيه [١] ، والله هو الموعد .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) أ ـ كان كلام العقاد بمثابة المفاتيح التي تفتح في ذهني توضيح مراده رحمه الله ، فكانت خواطري أسها وأساسها فضل الله ثم سركلمات العقادرحمه الله فكانت تأتيني أثناء نقلي وكتابتي ولا أستطيع لها رداً ، وإن بدرت ثم انسيتها استعين ببعض الكتب أمثال : محمد ﷺ من نبعته إلى بعثته محمد الصادق عرجون ، وآراء المستشرقين حول القرآن ، د/ عمر رضوان ثم استقرأت جميع ما ورد ودونته في بطاقات من الكتب التالية للعقاد : الإسلام في القرن العشرين ص ١٨٢ ،

يسألونك : ص ١٨٤ ،

التفكير فريضة إسلامية : ص ١٢٤ ، ١٣٢ ،

الإسلام والحضارة : ١٣٢ ـ ١٣٥ ، ٦٩ ـ ٧١ ،

الإسلام دعوة عالمية : ١٦ ، ٢٠ ، ١٠٩ ـ ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ـ ١٤٨ ،

عبقرية محمد : ٣٩ ـ ٨٤ ، ٢٤ ـ ٢٨ ،

مطع النور : ١٢ ـ ٢٦ ، ١٤٢ ـ ١٤٩

ما يقال عن الإسلام : ١٤٢ ـ ١٤٦ . وكفى بالله هادياً ونصيراً .

المطلب الحادي عشر :

الشبهة السابعة :

(إن الشهد لم يزل معدوداً كالترياق في بلاد العرب ، استناداً إلى القرآن والحديث ، وقد كانت الإشارة الوحيدة إلى الطب في وحي محمد هذه الكلمة الغبية التي يقول فيها عن النحل أنه ﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ [النحل آية ٦٩] . وقد كان هذا هو العلاج الوحيد الذي وصفه الله في كتابه)[1].

١ ـ يبدأ العقاد كلامه بعنوان « المبشرون نقاد القرآن » سخرية واستهزاء ، وفحوى كلامه وفحوى إشارته هذا السؤال : أنى لهذا الأعجمي الذي لا يفرق بين صالح و« سالح »[2] أن يحكم ذوقه الفاسد على من أعجز العرب بياناً وفصاحة ؟

٢ ـ يستحيل عقلاً أنك إذا وصفت الشئ بالغباوة أن تصفه بالنزاهة . فأن تقبل العقل ذلك فيكون سببه هوى دفيناً يحمله على المغالطة ويعجزه عن مقاومتها ، ولسنا نخطي * في « زويمر » المتخصص لنقد القرآن وعقائد الإسلام آفة من هذه الآفات : فهو يتخبط في التفكير ويخبط في عمياء ويركب ما يركب بجهالة تفوح من لسانه

---

(١) نقله العقاد من « كتاب » بلاد العرب مهد الإسلام ، فصل العلوم والفنون العربية ، وأنا نقلته من كتاب « ما يقال عن الإسلام » بنصه وحروفه : ص ١٣٧ .

(٢) والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد ضحكت كثيراً كثيراً لما رجعت إلى مادة « سلح » ثم وجدت من معانيها اسم لذي البطن : سلح يسلح سلحاً ، وناقة سالح أي سلحت من البقل وغيره انظره في لسان العرب : ٢ / ٤٨٧ . فلقد صدق رحمه الله ، فأنى لزويمر يدخل في سر القرآن وقد سد أبواب فهمه بالعجمة واللكنة مع الصليبية المتأصلة في نفس هذا المبشر .

* هذه لفظة العقاد بجرسها وعينها ، ص١٣٦ ما يقال عن الإسلام .

الأعجمي ، ولا يستحي من الكذب والفهاهة والتشبع بما لم يعط ، ويحب أن يحمد بما لم يفعل ، وآية فهاهتة وكذبه وتشبعه أنه « تكفَّل لجماعة التبشير صرف العالم الإسلامي عن عقيدته ، ولم يكن يستكثر على همته أن يتصدى لتحويل مكة والمدينة في مقدمة المعاقل الإسلامية ، ولا تحويل القاهرة بما اشتملت عليه من معاهد الإسلام وذكرياته الباقية) [١] .

٣ ـ يوهم بكلامه هذا أن القرآن حصر العلاج في الشهد وكذلك النبي ﷺ وهذا رأي خاطئ ونظر خاسئ وزعم باطل لأن « المعنى الذي تفيده الآية بغير لبس ولا محاولة أن الشهد شفاء ، ولم تقل إنه كل الشفاء ، ولا أنه شفاء من جميع الأمراض ، فأن وصْفَ الشهد بهذه الصفة لا يزيد على أنه دواء من الأدوية كما يوصف أي عقار من العقاقير الطبية) [٢] .

٤ ـ (الدجل المتعمد ظاهر في قول العلامة « الغبي » [٣] وهو إدعاء لا يعتسفه ـ هذا المبشر ـ اعتسافاً على هذه الصورة إلا للإفتراء المتعمد طمساً للحقيقة مع سوء النية ، وهو حكم غباوة ظاهرة ، ليس له معنى غير غباوة مطبقة في القائل إن كان مصدقاً لما قال .

٥ ـ إن « زويمر » يعلم علم اليقين أن الدواء مركب ومخلوط وممزوج من عدة أصناف ، وهو يتناوله ولا يستنكره ، فلمَ لا يكون « الشهد » مثله مثل هذه الأدوية المركبة ، وهو خلاصة أعشاب وأزهار ؟

---

(١) ص ١٣٦ ما يقال عن الإسلام . ولقد هزت شجوني كلمة العقاد رحمه الله حين قال « معاهد الإسلام وذكرياته الباقية » حينها تذكرت قصيدة « محمود غنيم » رحمه الله حين قال :

إني تذكرت والذكرى مؤرِّقة ... مجداً تليداً بأيدينا أضعناه .

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد ... تجده كالطير مقصوصاً جناحاه .

(٢) ص ١١٧ ما يقال عن الإسلام . وانظر ص ٢٧ القراءات في نظر المستشرقين والملحدين للشيخ عبد الفتاح قاضي رحمه الله .

(٣) هكذا قال عنه العقاد رحمه الله ، يبدو أنه استفز عقلَ العقاد بسفاهته الظاهرة . ص ١٣٧ ما يقال عن الإسلام .

٦ ـ إن علاج الأمراض بالأعشاب والأزهار قديم جداً في كل أمة ، وهو قوام العلاج إلى اليوم في أكثر الأدوية التي يصفها الأطباء العصريون لضروب شتى من الأمراض ، فلماذا يمتنع على العقل كل الامتناع أن يصف دواء الشهد بوصف غير الغباوة ؟ لماذا يرفض العقل أن تكون خلاصة الزهر دواء ينتفع به الضعيف أو المريض، إن الغباوة هي عجز العقل عن فهم هذه الحقيقة أو عجزه عن فتح الباب لتصورها على كل احتمال .

٧ ـ إلى هنا وقد تكون الغباوة مفهومة ، إذا هي تشابهت في سوء الفهم ولم تتخصص للشهد دون غيره ، ولكنها « غباوة » تنزل إلى ما دون « مستوى الفهم » إذا كان صاحبها يرفض الشهد علاجاً ثم يقبل تطهير الأمراض الجلدية بدماء العصافير .

٨ ـ لقد جاء الدكتور « جارفس » الطبيب المتخرج من مدارس الطب الحديث وصاحب المباحث العلمية ، بكتاب عن الطب الطبيعي وعقد فيه فصلاً مستقلاً عن الشهد حيث توصَّل إلى أن العسل له خصائص طبية تجعله « صيدلية » وافية تغني عن عشرات من العقاقير [١] . ونقل العقاد رحمه الله عن هذا الطبيب قوله « إنه لا يتكلم عن « نظرية » معروضة للإمتحان ، بل يقرر التجربة المحققة التي أثبتت أن « البكتريا » لا تعيش في الشهد ، لاحتوائه على مادة « البوتاس » وهي تحرم « البكتريا » تلك الرطوبة التي هي مادة حياتها ، حيث أثبتت التجارب أن جراثيم « التيفود » ماتت بعد ثمان وأربعين ساعة ، وماتت جراثيم النزلات الصدرية بعد اليوم الرابع ، وماتت جراثيم « الدوسنتاريا » بعد عشر ساعات ، و ماتت جراثيم [٢] أخرى بعد خمس ساعات .

وتتلخص ردود العقاد رحمه الله بما يلي :

١ ـ أن الطب أثبت أنه لا يوجد دواء له خصائص كخصائص الشهد التي ثبتت بالتجارب الواقعة ، وتجارب المعامل والمشتغلين بالتطبيب .

---

(١) انظر مادة « عقر » حيث إن العقاقير التي يستمشى بها ، تهذيب اللغة للأزهري : ٢٢١/١ . لسان العرب : ٥٩٩/٤ .

(٢) تحوم مادة « جرثم »على الأصل ، وقد تعني هنا المرض ، أو اختلاط الشئ بعضه على بعض انظر ترتيب القاموس المحيط : ٤٦٨/١ . لسان العرب : ١٢ /٩٥ .

٢ ـ أن كلمة « زويمر » هذه أبرزت « عقلية المبشر » بما طوته من عيوب الزيغ والتعصب والمغالطة .

٣ ـ أن كلمته هذه أثبتت الفدامة والعي اللذين ظهرا في ادعائه أن القرآن والحديث حصر الطب كله في دواء واحد وهو الشهد . بل أثبتت تناقضه حيث قال في أول كلامه « وحي محمد » ثم قال في آخره « العلاج الوحيد الذي وصفه الله في كتابه » فليس من حقه أن يعترض على الكلام الواضح المبين بعجمة سرت معه في دبيب جسده ولسانه ، فهو إما ينكر هذا الكلام أنه كلام الله أو يخسأ لا يجاوز قدره ومحله الكذب واستسهاله ، والخيال والقذف به عن عمد وسوء طوية وكيد متين لأنه بكلمته هذه يعمل عمل المحترف الذي يحتال لصناعته بما وسعه من وسائل الترويج والتضليل ، فهو في نفسه وتصورها المسبق أن هذا ليس وحياً لكن لا يدري كيف يقذف بها ؟ فهو لص قاطع طريق كل همه أن يجمع ثغراتٍ تشهد لما اضطرب في قلبه ، وهذه آفة الآفات التي تجعل عقول المستشرقين تنكص عن قبول الحق ، فليس في وسعهم إلا أن يحملوا عُدَّةً معكوسة تَضُرُّ بِهِم قبل أن تَضُرَّ بالمسلمين الذين يعلمون أن برهان هذا الدين على ثبوته وصدقه نَهيُ ونأي أعدائه عنه بكل وسائل الإفتراء ، ولو أن هذه الآية فهمت حق فهمها لما ورد هذا الخاطر على وهم « زويمر » فضلاً عن تقريره وتوسيعه ، وكان حقاً على « زويمر » أن يتخلص من آفات التفسيرات المسبقة بالتصور الكنسي عن القرآن المبارك ، فهذا التصور خَلَّط عليه عقله وأثَّرَ فيه وهو يعلم أن القرآن سر حفظ المسلمين وهو أفقهم المشرق الذي لا يغيب عنه الضياء ، ولا ينقطع دونه الرجاء ، وهو عصمة من التفرق وينبوع لكل دعوة ترد إلى حظيرة الإسلام كل من فارقه وابتعد عن أصوله .

فلما علم هذا « المبشر القسيس » هذه المكانة للقرآن شَرِق به حيث وقف في وجهه وهو « يبشر » في أدغال أفريقيا ، فما أمكنه إلا أن يجترئ بنظر خاسئ على الكتاب المبارك [1] .



(١) ما يقال عن الإسلام : ١٣٦ ـ ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٠ .

الفصل الخامس :

وتحته ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

مدخل للتعقيب على « ردود العقاد » رحمه الله .

المطلب الثاني :

التعقيب على شبهة أنه نقل من اليهودية أو النصرانية :

المطلب الثالث :

تعقيب على الردود في مسألة أن مصدر القرآن شعرٌ لامرئ القيس
– كما زعموا –

المطلب الأول :

مدخل للتعقيب على « ردود العقاد » رحمه الله :

١ - لو أن أمتنا عادت لقيادة الأمم وهدايتها لرأينا شبهات المستشرقين أخسَّ من أن نشتغل بها ، وأسخف من أن نفكر فيها [١] ، ولكن لما توالت المحن على هذه الأمة تداعت العزة في بنيانها ، وأصبح همها منعقداً على أن تذود عن حياضها « الشطَّار» الذين كانوا يتسللون لواذاً ، فلما علموا هدأة الرِّجل قاموا مثل الأفاعي يرمون بسمومهم في جسم هذه الأمة [٢] ، لضعف وغياب مناعة الأمة ، وانفتاح شهية الطامعين ، وتزامن هجمة الإستشراق والتنصير مع هجمة الإستعمار على الفكر الإسلامي [٣] ولقد انعقد قلبي على خاطر وهو أن هذه الردود إنما يتسلى بها القاعدون أيامنا هذه يعزون بها أنفسهم ، ومع ذلك فالشبهات على سخافتها قد أضَلَّت ، وعلى عقمها قد أزلَّت ، وما قام لها سوق نافق إلا بعد إذاعتها ثم تهويل شأنها في النفوس، بينما كان حقها النفخ لتعود من حيث أتت وذلك أنَّ النَّفْخ (يعبَّرُ بأزالة الشئ المنفوخ بغير تكلف شديد لسهولة النفخ على النافخ) [٤] فلما تكلفنا إذاعة كذب هؤلاء كان عاقبة أمر بعض هذه الأمة أن أصبح دينهم بين راد ومردود لنقص قناعتهم ويقينهم بهذا الدين إلا ما رحم ربي .

٢ - كلام هؤلاء المستشرقين بهرجة على ضعاف العقول بزخارف أقوالهم ودعاواهم الباطلة ، ولو كان عند المسلمين يقين لما ألقوا بالاً لكلام هؤلاء الأفاكين .

ولنا برسول الله ﷺ أسوة حسنة حين قال : " بينا أنا نائم رأيت في يديَّ سوارين

---

(١) انظر إعجاز القرآن ، للإمام الباقلاني ، تحقيق د/ السيد أحمد صقر ، ص ١٥٦ .

(٢) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله : ٣/١٦٣٤ عند تفسير قوله تعالى ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ التوبة : ٢٩ .

(٣) انظر : في القرآن والعربية من تراث لغوي مفقود لأبي زكريا الفراء ، صنعه الدكتور : أحمد علم الدين الجندي ، من مطبوعات معهد البحوث ، ج : أم القرى سلسلة بحوث اللغة العربية وآدابها ، عام ١٤١٠هـ ، ص ٢٣٠ .

(٤) فتح الباري : ١٢/ ٤٢٣ .

من ذهب . فأهمني شأنهما ، فأوحي إليَّ في المنام أن انفخهما . فنفختهما فطارا - وفي رواية للبخاري ومسلم - فكبرا عليَّ وأهماني - »[(1)].

الحاصل : أن دعاوى المستشرقين مجملة في حد ذاتها مشوبة بالغرض والهوى والشهوة الخفية ، وأن تتبعها وتتبع تفصيلاتها ينقص من قناعتنا بديننا الإسلامي بل يثير إشكالات عند من لم يسمع بها من قبل - وهم في غنى عنها - فتقذف في قلوبهم ، فلايستطيعون ردها إلايبقين .

ومن المعلوم أن الدعاوى المجملة لا تقبل حتى في الحياة اليومية ، فكيف نعرضها في أوساط المسلمين ؟

ولو أن باحثاً قال : هذه الشبهات لا تستغرب لأنها صدرت من قوم كفار شرقوا بهذا الدين ، لقام عليهم بعض الناس وقالوا : أنت لست موضوعياً .

٣ - إن على أي مسلم أن لا يقبل أي دعوى من قائل إلا إذا جاء ببينات تدل على ما قال وادعى ، فنطالبهم أن يخرجوا لنا أثارة من علم - إن كانوا صادقين - أن يذكروا لنا وجوه المشابهة ثم تعرض على الميزان العلمي * المتجرد من الهوى والتحكم والدخول

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرؤيا ، باب النفخ في المنام ، وأخرجه مسلم في كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ وهو حديث رقم : ٢٢٧٤ . ورقم البخاري : ٧٠٣٧ .
وانظره في جامع الأصول لابن الأثير ، في كتاب التعبير ، فيما جاء من الرؤيا المفسرة عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، ٥٣٧/٢ . والحديث رقم : ١٠١٢ .

* إن معظم علماء الغرب رزقوا جلداً عجيباً في البحث والتنقيب ، فلماذا لا يبذلونه بل لماذا لا يبذلون عُشْرَ ذلك عن دين محمد ﷺ ؟ لكننا نراهم استخدموا جلدهم وصبرهم وتفانيهم في جمع كل ما يظنونه ثلباً في الإسلام وأهله ،
فسينفقون أوقاتهم في ذلك ثم تكون عليهم حسرة يوم القيامة ثم يحشرون إلى جهنم وبئس المصير ، نعم : لقد درجوا على تخيل مساوئ يقذفون بها على الإسلام وأهله ولو صادمت الحقيقة والواقع ، فهم مرضى بالوسوسة في ثلب هذا الدين ، ولو أن حالهم نطق لقال : أمرضني الإسلام حقداً وحسداً ، ولو كانت دعاواهم محل الصدق لما تعارض قول المستشرق الأمريكي مع البريطاني مع الفرنسي مع الألماني مع الهولندي مع النمساوي مع المجري مع اليهودي مع أي واحد منهم، زدعلى ذلك أن بعضهم يستدل =

بتصور سابق في وسط مجمع يشمل مسلمين وغير مسلمين ، .

ونطالبهم بأن يأتوا بالشهداء الذين يشهدون أن النبي ﷺ نقل كذا وكذا ، وهكذا في جميع أوجه الشَّبه والتشابه الذي ادعوه ، فإن لم يفعلوا فلنعلم أنما هم في شقاق وحسد وهوى ، وظن لا يغني من الحق شيئاً ، ابتغاءً للفتنة وانتصاراً لدينهم المحرف وحفاظاً على دين مَنْ خَلْفَهَم ، وإبقاء على مواردهم ، وصدق الله ﴿ إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾ التوبة : ٣٤ .

فهم يجمعون المال (لمحاربة الدين الحق ، وقد كان الرهبان والأساقفة والكرادلة والباباوات يجمعون مئات الملايين في الحروب الصليبية ، وما يزالون يجمعونها للتبشير والإستشراق للصد عن سبيل الله)[1].

٤ ـ إنه مما ينبغي أن يعلم أن وجهة الإستشراق قد تغير مساره إلى سحق ورصد تحركات البعث الإسلامي وتحريض دولهم وأشياعهم على حرب هذا الدين وأهله ، والوقوف سداً في وجه الصحوة الإسلامية ، .

وترك هؤلاء المستشرقون ما كانوا يفعلونه من قبل ، وأجمعوا أمرهم على أن

=. بأقوال بعض وهذا مرفوض جملة وتفصيلاً ، لأن أقوال الرجال يستشهد لها لا بها ، فكيف إذا علمنا أن الكذب لازمهم كظلهم يدخلون بالكذب ويخرجون به ويخرقون المساوئ ويلقونها بغير تأمل ولا تفكر ولا علم ، وهذا علامة السفيه الذي يعدل ـ عن جهل وظلم ـ إلى الإستعجال بتلفيق الأكاذيب فمن ثَمَّ اشترطت التجرد من الهوى ووسط مجمع مشترك .

(١) في ظلال القرآن ، ٣ / ١٦٤٥ ، ولابد أن نعلم أن مؤامرات اليهود ودسائسهم بدأت والدعوة الإسلامية في مهدها لم تصل المدينة ، فكانوا يعاونون قريشاً بأسئلة تعجيزية للرسول ﷺ ، فلو كانوا يعلمونه تلميذاً لهم أفليس في وسعهم أن يقولوا لقريش : هذا تلميذنا ولا تراعوا منه، سيسكت أول ما نرسل له رسالة تعرفه قدره ، لكن هذا لم يحصل بل عارضوه منذ اللحظة الأولى ، فمتى كان اتصاله وكيف كان وأين كان باليهودية ؟ انظر : أثر أهل الكتاب ، ص ٥٨ ، ٧١ .

وانظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص ١٧٨ .

يجمعوا المعلومات ووضع الخطط للكيد للإسلام والمسلمين[1] .

٥ - عند إمعان النظر إلى شبهاتهم التي سبقت يدلنا على أن محصلة المستشرقين من المعرفة بالإسلام هي دون المستوى الذي يتطلبه إدعاء الشبهات فمن هنا ظهرت لنا عشوائية الإدعاء ، مع مساندة إطلاق العنان للتخيلات[2] والتكهنات وهذا بحد ذاته ينقض ما بنوه من افتراءات صارت مع كثرة وتكرار الكذب حقائق مسلمة لا يُشَكُّ فيها ، وينسف إضفاء الطابع العلمي على بحوثهم وعلى إتيانهم بتفسيرات كان بأمكانهم أن يتحققوا من خطئها بالرجوع إلى مراجع متوفرة وفي متناول اليد .

وإذا أطلق الإنسان العنان لخياله في الإدعاءات الكاذبة ، فأنه لن يحد افتراءاته أي شئ ، بل قد يستطيع جعل الأوهام والعقد النفسية - عن طريق المغالاة غير الموضوعية - حقائق لا تقبل النقاش والإعتراضات مهما جئ بالبينات القاطعات

---

(١) انظر : في ظلال القرآن : ١٦٢٨/٣ ، ١٦٤٣ .

وانظر : رؤية إسلامية للإستشراق ، د / أحمد بن عبد الحميد غراب ، مصدر سابق ، ص ١٤٣ ، .

وانظر مجلة البيان ، عدد ٨٧ ، ذو القعدة ، ١٤١٥هـ ، ص١٠٠ .

(٢) وشاهده أنهم قالوا (لقد كانت معلومات الناس عن المسيحية في مكة في العصر الذي عاش فيه محمد معلومات محدودة وناقصة ... وكانت تروج هناك آراء بدعية منحرفة ، ولولا ذلك ... لما كان محمد على علم بأمثال تلك الاراء التي تنكر صلب المسيح ... ونظرية التثليث) ص ١٤١ د/زقزوق . السؤال : ألانفهم من هذا الكلام - لمن تأمل - أن محمداً برئ من تهمة الأخذ من اليهودية والنصرانية ؟ لأنه ﷺ لما نقد المسيحية نقدها متأثراً بالآراء البدعية المنحرفة ؟ أي كلام هذا ؟ والسؤال : كيف اهتدى محمد ﷺ إلى الحق في نقد التثليث وإنكار صلب المسيح ؟ يأبون إلا أن يكون الله ثالث ثلاثة ، هذا كلامهم وما ظلمناهم ولكن أقوالهم تظلمهم وتخذلهم . الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعقلون .

والبراهين الساطعات على كذب وتزوير هذه الإدعاءات [1] .

٦ ـ لو كانوا يعون ما يقولون ، وعلى دراية كاملة بما يكتبون لما ورطوا أنفسهم في أشياء لا يقولها حتى المبتدئون ، وذلك أن مقصدهم ليس العلم وحده ، مع أن شبههم ليس إلا استعارة ممن سبقوهم ، فليس فيها جديد ، وإن وجد فلا يزيد عن تخرصات ألجأهم إليها الإكتفاء بعينات قليلة أخذوها من كتب نقدها المسلمون أنفسهم مثل « ألف ليلة وليلة » ثم تعميم ما توصلوا إليه في دراساتهم ، بل يخفون الأدلة المناقضة لما توصلوا إليه ، اضطرهم إلى ذلك فرط العنصرية مصحوبة بالعقدة الغربية التي ترى نفسها فوق كل شئ [2] .

---

(١) انظر : أزمة الفكر الصهيوني ، د/ محمد ربيع ، مصدر سابق ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، .

وانظر : مراجعات لسانية ، د/حمزة بن قبلان المزيني ، ص١٣٢ . من منشورات النادي الأدبي بالرياض ، ط ١ : سنة ١٤١٠هـ .

وانظر : د / زقزوق ص ٨٤ حتى إنه نقل عن المستشرق الهولندي ، هادريان ديلاند (١٧٧٦ ـ ١٨١٨ م) قوله (دعوا المسلمين يصفوا لنا دينهم) مما يؤكد أنهم يتلقون الإشاعات بالسماع ولا يمحصونها فتضيع الحقيقة بين ذلك ، انظر د/ زقزوق ، ص ٨٨ فهم بين تخبط واضح وتناقض صارخ .

وهذا أمر قد وقر في قلبي من السنة الأولى التي بدأت في البحث قراءة عنهم، فوجدتهم كما قال الله ﴿ سماعون للكذب ﴾ المائدة : آية ٤١ ، وآية : ٤٢ .

وكما حكى الله عنهم بأنهم يقولون الإثم ، آية المائدة ٦٣ .

(٢) انظر د/ مرعي مدكور ، مصدر سابق ، ص ٥٠ ، ص ٧٧ .

وانظر : ص ٢٣٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ من كتاب خصائص الأدب العربي لأنور الجندي حفظه الله . وانظر د/ زقزوق ، ص ٨٣ ، فزيادة على العقدة الغربية التي ترى نفسها فوق كل شئ أنهم حصّنوا أنفسهم (بالنفور الداخلي إزاء محمد (ﷺ) وتعاليمه) . ومن كان هذا حاله فلا أمل في شفائه ولا جدوى من علاجه انظر : د/ زقزوق ص ٨٠ .

وانظر: سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية ، رقم٢ : الشعر الجاهلي ، المؤامرة على الإسلام فيما كتبه د/طه حسين على : الشعر الجاهلي ، رقم ٢ ، ص ١٢ د / جمال عبد الهادي وزملاؤه . وانظر: خصائص الأدب العربي لأنور الجندي ، ص٣٨٠ ـ ٣٨٣.

فتراهم يقدمون (دراسات عفى عليها الزمن وثبت بطلانها ، أو أنها مغلقة بأمور لا تمت إلى العلم بصلة ، أو أن تكون وسيلة لإضفاء الطابع العلمي على نعرات عرقية أو فكرية يقصد منها تحقيق مآراب أخرى) [١] وشاهده أنهم قالوا « إن محمداً كان عدواً للمسيح لإتيانه بتعاليم قام بترويجها تعارض ألوهية المسيح » [٢] التي - أي التعاليم الإسلامية - أفسدت الديانة المسيحية [٣] .

وقالوا : إن محمداً بفضل ما لديه من فن سحري قام بحبس كتيبة من الجن بداخله [٤]

وقالوا وهم يحكون قصة موته : إن الخنازير قد وجدته مخموراً فوق كومة من القمامة فالتهمته [٥] - بأبي وأمي هو ﷺ -

وقالوا : كان محمد * في الأصل كاردينالاً رومانياً يسعى للحصول على تاج البابوية ، ولكنه عندما فشل في الحصول عليه أسس الطائفة المحمدية ، وصرف آلافاً كثيره من النفوس عن المسيحية [٦] .

الحاصل : إن الردود على هؤلاء - أصبحت مع الأيام طابعاً بريدياً وطرداً مكرراً نعزي به أنفسنا لما اثَّاقلنا إلى الأرض ورضينا بالحياة الدنيا وتركنا الجهاد والدعوة إلى الإسلام ، التي يجب على علماء المسلمين تبليغها أهل الكتاب جميعاً ومنهم المستشرقون وإلا فسيكونون من جثاء جهنم [٧] بعد موتهم .

٧ - فليعلم كل باحث أن المستشرقين قد حددوا مسارهم الذي يمشون فيه وهو أنهم

---

(١) مراجعات لسانية ، مصدر سابق ، ص ١٥٤ ، وانظر صفحات : ٩٦ ، ١١٩ ، ١٣١ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، .

(٢) الإسلام في تصورات الغرب ، مصدر سابق ، ص ١٣٧ .

(٣) انظر نفس المصدر ، ص ١٣٤ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٢٦ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٢٤ .

* ﷺ.

(٦) نفس المصدر : ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٧) انظر رؤية إسلامية للإستشراق ، ص١٧٤ .

فقدوا قابلية قبول الحقيقة الإسلامية التي تقوم على أساس أن القرآن وحي الله "[١] .

٨ ـ كافة المستشرقين يستمدون مقاييسهم من الوثنية الإغريقية ومن النظريات المادية التي لا تؤمن بعالم الغيب والروح فيصدر منهم الكذب والخيانة لأرواحهم قبل غيرهم لوقوعهم تحت تأثير أفكار مسبقة ولافتقادهم الهدوء والإتزان في النقاش الموضوعي ، ولو صدقت نواياهم وبعدت عن الأغراض السياسية وخليت من الجهالات والأهواء لكانت أبحاثهم تسير بهم نحو الطريق السليم "[٢] .

٩ ـ إن الوضع المادي في أوربا (ولّد) القلق الدائم والتوتر المستمر في نفوس هؤلاء المستشرقين مما رأيناه في تناول سب رسول الله ﷺ .

بل إنه من اليقين أن نقول : إن متعلقات الوحي الإلهي في نفوس هؤلاء المستشرقين ليست مبنية على الثقة به فتراهم يلقون التخمينات والشطحات بقلق نفسي متوتر لانعدام إيمانهم بما فوق الطبيعة كما يسمونه ، حتى وإن أظهروا التدين فهم في قرارة أنفسهم يعلمون أنهم ليسوا على شئ بل لا يقفون على شئ ، فجاءوا بركام من التصورات الشاذة الغريبة مما أوقع عقولهم ونفوسهم في متاهات كثيرة ، بل هم يجدون في الشك لذة والقلق والاضطراب رضا ، ولا سيما إذا وجه ذلك إلى الإسلام ، فكتاباتهم (من قبل الملحدين للملحدين) "[٣] .

---

(١) انظر خصائص الأدب العربي ، ص ٢٦٠ .

(٢) انظر خصائص الأدب العربي ، ٢٥٠ ، ٢٥١ .

وانظر حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون ، عبد الحليم خفاجي ، دار القلم ، الكويت ، ط ٤ سنة ١٤٠٧هـ ، ص ي ، ص ٧ ، ص ٨ .

(٣) من آفاق الإستشراق الأمريكي المعاصر ، مازن مطبقاني ، ص ٢٨ ، مكتبة ابن القيم ، المدينة النبوية ، سلسلة : دراسات منهجية للإستشراق ، رقم (١) ، ١٤٠٩هـ ، بدون عدد الطباعة .

فلما أحاط بهم قلقهم النفسي أدى بهم إلى تخرصات التفكير المادي [١] الذي لا يؤمن إلا بالطبيعة المحسوسة وينكر ما عداها ، فانتزعوا من هذا التفكير المادي المتظاهر بمسوح التدين إلى إنكار الوحي على رسول الله وكان إنكار نبوته في عقول القوم هي الضحية وهم في حقيقتهم لا يؤمنون بالغيب ولا يؤمنون بالوحي المنزل ولو على رسلهم ، فساقهم إلى رفض قضايا الغيب وعلى رأسها الوحي الإلهي ، وغلفوها بدعوى إنكار نبوة محمد ﷺ ، وإلا هل يعقل أن الذي يكون في حالة مرضية يأتي بقرآن معجز ويؤسس دولة وأمة ! [٢]

فمن رآهم ينكرون نبوة محمد ﷺ يظن أنهم يثبتون الوحي الإلهي المنزل على من قبله ، كلا ، وذلك (لما يحملونه من أفكار مادية تتعارض مع الإيمان بالغيب) [٣] ففرضوا إلحادهم على النصوص وتعسفوا في تفسيرها ، وكان نتيجته الدخول بآراء مسبقة مسلّمة صرفتهم عن النظرة الشمولية للإسلام فضاهوا به العقائد الموروثة الآتية

---

(١) من أعجب ما قرأت أن هناك سؤالاً طرحه (بعض علماء اليهود وفلاسفتهم الذين ابتعدوا عن فكرة الوحي هو : من أين أتى موسى بفكرة التوحيد ، إن لم تكن وحياً إلهياً هبط عليه في سيناء ؟ هل أتى بها من مصر ، ومن عند أخناتون بالذات) أهـ ص٤٤ من كتاب : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية : ١٤٠٥هـ

ماذا نستفيد من هذا ؟ نستفيد أن القوم أحاط بهم الشك من كل مكان فقضى على البقية الباقية - إن وجدت - من التمسح أو التمسك باليهودية والنصرانية . حقاً إنه لشئ عجيب يشكون حتى في الوحي إلى موسى! فماذا ننتظر أن يقولوا أو يفعلوا اتجاه محمد ﷺ ؟

(٢) انظر مازن مطبقاني ، مصدر سابق ، ص ٣٠ .

(٣) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين ، د/ محمد أمحزون ، ١ / ١١١ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٥ ، دار طيبة ، الرياض ، ومكتبة الكوثر ، الرياض . وانظر صفحات : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، نفس الجزء من المصدر نفسه .

من الكنيسة التي سببت لهم المنهج العلماني في التعامل مع أمور الغيب [١] ، فاستقر في قلوبهم أن ما يأتي من خارج الطبيعة وهم وخداع وليس حقيقة ، فركبوا شكوكهم ووجهوها إلى الإسلام كتنفيس عما يدور في قلوبهم من متاهات فكرية أورثتهم الشطط وباعدت بينهم وبين حقيقة هذا الدين الإلهي الذي يرون انتقاصه تمجيداً للنصرانية وحضارتها ، ولو كان هذا الذي نزل على محمد رسول الله ﷺ كذباً وافتراء وخداعاً لما برئت البيئة الإسلامية من هذه الصورة القاسية من الصراع الفكري والإجتماعي الذي عاشته بلاد أوربا التي توكأت على عصا الحس والمشاهدة فنفت كل دلائل العقل ومرامي الدين الإلهي إلى حظيرة المادة التي ألهب لظاها قلوب الغربيين ومنهم المستشرقون ، مما جعلهم في ريبهم يترددون [٢] .

١٠ ـ إن المجتمع الغربي المادي في كامل تفتحه برزت فيه ظاهرة الإستهزاء بكل فكرة عن الله ، بل السخرية بكل ما يصادفه ، إذا كان يحجزه عن تحقيق متعته وشهوته ، بل أدى تهورهم المادي الملحد إلى أنه لا يرى (في المسيحية التقليدية إلا نظاماً صنعه الناس منذ قريب من ألفي سنة) [٣] فأذا كان هذا حالهم مع دينهم فلأن يكونوا مع دين فطموا على كرهه أشد وأنكى ، ولا سيما إذا علمنا أن الأمم الغربية قد تكونت لديهم مجموعة عظيمة من الأفكار الخاطئة ـ التي كونوها عن طريق السماع ـ عن دين الإسلام ، فاستقر في أذهانهم أن الإسلام مؤسس من إنسان اسمه

---

(١) انظر مقومات التصور الإسلامي ، للسيد قطب رحمه الله ، ص ٢٨ ، طبعة : دار الشروق ، الطبعة : الثانية ، سنة : ١٤٠٧هـ وهو كلام نفيس جديرٌ بالتأمل .

(٢) انظر حوار مع الشيوعين ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٧ .

وانظر عقائد المفكرين في القر ن العشرين : ٦ ـ ٢٤ .

وانظر : محمد ﷺ من نبعته إلى بعثته ، للشيخ محمد الصادق عرجون رحمه الله ، ص ٢٩ ـ ٤٨ تحت عنوان . الرسالات الإلهية والعقل الإنساني ، وهو نفيس جداً .

وانظر الإسلام على حلبة الصراع (دراسة لأوضاع العالم المعاصر) للأستاذ/أحمد الشريف ، ص ١٠٤ ، دار المجتمع ، جدة ، ط ١ ، سنة ١٤١٣هـ .

(٣) موريس بوكاي ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ١٤٦ .

« محمد » وبالتالي لا يكون له قدر عند الله [١].

١١ ـ بماذا يفسر المستشرقون والغرب كله إخبار القرآن عن عدد من اليقينيات المتصلة بموضوعات شديدة التنوع ، ومتفقة تماماً مع المعارف العلمية الحديثة ؟ ولماذا لم يتصادم معها ـ أي مع معطيات العلم ـ كما تصادم معها نصوص التوراة والإنجيل ؟، فهذا يدل دلالة قطعية أنه وحي إلهي ، مع أنه لا بد أن نضع في الحسبان أن القرآن أعلى وأعظم من أن نعرضه للمساومة تحت التجارب العلمية ، ولكن دعانا إلى ذلك توافق الباحثين الغربيين على أن الوحي الإلهي ـ قطعاً ـ لا يتكلم عن شئ غير صحيح، فلما أخبر عن واقع ملموس يدركونه فلا محيص لهم عن الإعتراف بأنه كلام الله لا كلام البشر ، .

لأن البشر مهما أوتوا من العلم لا يمكن أن يكون كل إخباراتهم مطابقة للواقع ، بينما ـ هذا الكتاب المبارك ـ لم ولن تَندَّ عنه مثقال ذرة أو أصغر أو أكبر من ذلك مخالفة للواقع ، مع توافر همم الباحثين الغربيين وحرصهم على أن يخطئ ولو غمضة عين ، فلما لم يحصل ذلك علم منه أصالة نصوص الوحي الإسلامي ، بينما قد حصل أضعاف مضاعفة من نصوص الكتاب المقدس مخالفة للواقع ، مما يعلم منه أن الكتاب المقدس (انبنى على شهادات إنسانية متعددة وغير مباشرة ، لأننا لا نملك أية شهادة من شاهد عاين حياة المسيح خلافاً لما يتصوره كثير من المسيحيين) [٢] بل « يجب أن يعلم كل إنسان أنه لا توجد وثيقة أصلية واحدة متعلقة بحياة عيسى » [٣]ـ فهل يحق بعد هذا ـ الإفتراء على هذا الكتاب المبارك أنه نقل مما قبله ؟

لا أظن عاقلاً يقول بهذا وهو يقدر عقله ، لأنه لو نقل لنقل جميع العقائد التي تصادمت مع معطيات العلم ، ولتقل المفاهيم الوثنية الشائعة في الكتاب المقدس كما يزعمون ، وذلكم نحو : دعوى الوهية عيسى وأنه ابن الله ، وأن الله مصارع ، ويحب رائحة الشواء ، وما يشبه هذه المفاهيم البشرية ، فكيف تجاوزها هذا الكتاب إلى

---

(١) نفس المرجع : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) موريس بوكاي ، ص ١٨ .

(٣) إبراهيم خليل أحمد ، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٠٠ ، وانظر : ص ١٤٧ .

وصف واحد لا تعدد فيه للآلهة ؟ بل هو إله واحد ، مع علمهم (أن ما في الأناجيل من خوارق الطبيعة يجب أن يعد من الأساطير الخرافية) [1] ونتيجة اختلافهم وتضارب أقوالهم عن العهد القديم والعهد الجديد (أصبحوا أمام الأمر الواقع مضطرين أن يدافعوا عن هذا التضارب * ، وأصبحت الأوهام في الدفاع عن ذلك تكبر شيئاً فشيئاً حتى أصبحت عملاقاً يسيطر على تفكيرهم ، ويطغى عليهم ، وصارت هذه الأوهام حقائق في نظرهم ، ومن هنا كان سر متاعبهم ، وسر إتعابهم لمن حولهم) [2] .

وبعد : لقد أدرك الغرب كله ومنهم الباحثون والمستشرقون أن مخططات قرنين من الزمان أو أكثر قد فشلت ، وأنهم كانوا يثيرون الشبهات خدمة لجيوشهم الغربية بقصد بث الهزيمة النفسية [3] ، أما وقد أصبحت طلائع البعث الإسلامي واقعاً ، ولعلمهم أن حقيقة هذا الدين إن استقرت في القلوب فلا سبيل إلى وقفها حتى تأخذ مداها فعندها

---

(١) إبراهيم خليل أحمد ، مصدر سابق ، ص ٨٦ ، وانظر ص ٩٦ .

وانظر : عبد المجيد صبيح : تهافت قبل السقوط وسقوط صاحبه ، سلسلة ، نحو عقلية إسلامية واعية ، رقم ٤ : دار الوفاء ، المنصورة ، ص ١٥٨ .

حيث نقل عن صموئيل الأول ص ١٩ عبادة الشعب اليهودي للتماثيل عند داود وأما سليمان فقد (أمالت نساؤه قلبه ، وراء آلهة أخرى ، وذهب وراء غشورث إله الصيدونيين ، وبني لهذه الآلهة المعابد) الملوك الأول : ص ١١ .

* أي تضارب أقوالهم على كتابهم هل هو كلمة الله أم كلام البشر ، كذلك تضاربهم في تفسير الأساطير الخرافية الواردة في العهدين ؟

(٢) نقلت هذا النص النفيس من الأستاذ إبراهيم خليل أحمد يرحمه الله ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٣) انظر الإسلام في وجه التغريب ، مخططات التبشير والإستشراق ، للأستاذ أنور الجندي حفظه الله ، ص ٢٦٨ ، دار الإعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ وبدون عدد طباعة .

بل نقل حفظه الله عن المستشرق « سنوك هرنجو ونجه » قوله :

« يجب على الحكومات الأوربية التي استولت على بلاد الإسلام ، أن تجتهد في إظهار التناقض بين الإسلام والمدنية العصرية ، وإقناع ناشئة المسلمين بأنهما ضدان لا يجتمعان » أهـ بلفظه ص ٢٦٨ .

أيقنوا أن إثارة الشبهات لا تزيد المسلمين إلا تمسكاً بدينهم ، وأنه الحق المهيمن ، مما جعل المستشرقين والغرب من ورائهم أن يغيروا المسار في محو الصحوة الإسلامية بكل وسائل الكيد التي توحي بها شياطينهم من الإنس والجن .

(إن العالم كله اليوم مُصِرٌ على محاولة محو الإسلام من الأرض) [١].

إن أية دراسة تبقى على مناقشة شبهات كان يقتنع أصحابها إنها تمثل زيغاً عقلياً وأنها كانت تمثل « تكتيكاً عسكرياً » تساهم بإلهاء للأمة بجزء لا يمثل اليوم عشر معشار الخطر الذي يهدد به العالم الصليبي الغربي أمة الإسلام [٢].

إن مفكري الغرب كله عقدوا همهم على دراسات يستخلصون منها (نتائج يصوغونها في صورة مقترحات وتوصيات يقدمونها إلى حكوماتهم وإلى الحكومات العميلة في العالم الإسلامي ، وذلك لوضعها موضع التنفيذ التدريجي ، على المدى القريب والبعيد ، في كيفية معاملة الصحوة ، بهدف تصفيتها) [٣]

يقول « جب » في كتابه «وجهة الإسلام »

« إن الحركات الإسلامية تتطورعادة بسرعة مذهلة مدهشة ، فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الإسترابة في أمرها ،

---

(١) الشيخ محمد قطب : هلم نخرج من ظلمات التيه ، ص ١٢٧ ، وانظر : ص١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٣١ .

(٢) انظر موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها [جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديماً وحديثاً] د / محمد بن مطر الزهراني ، ص ٥٧ . مكتبة الصديق ، الطائف ، ط ١ سنة ١٤١١هـ بل قال حفظه الله ما نصه :

« والذي أود أن ألفت الإنتباه إليه أمران : الأول : إن الإنشغال بذلك يصرف الجهود عن البناء الجاد بنشر العلم النافع الصحيح وترسيخ العقيدة السليمة في نفوس الناس . الثاني : أن هذا على خلاف منهج السلف الذين كانوا ينقلون المعركة إلى ساحة الخصم بفضح باطله الذي هو عليه ، وهتك أستاره التي يتستر بها وبيان فساد منهجه في العلم والعمل . بل هذا هو أسلوب القرآن في دحض شبه وشكوك المبطلين » أهـ بلفظه ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(٣) د/ أحمد عبد الحميد غراب ، مصدر سابق ، ص ١٦٣ .

فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين »[1] ، ولذلك فهم يعدون كل الوسائل لوقفها بل تحطيمها[2]

إذن الإستشراق يظهر إهتمامه كله (حين يظهر تيار إسلامي قوي جارف في بلد حيوي ، نفطياً وجغرافياً واستراتيجياً)[3]

« إن أمريكا هي أكثر المهتمين بتلك الظاهرة التي تسميها « يقظة إسلامية » وهو أمر طبيعي لأن أمريكا هي راعية الإستراتيجية الغربية بأكملها .... وكل من يعرف شيئاً عن الجو العلمي الحالي في الجامعات ومعاهد الأبحاث الأمريكية ، يعلم جيداً أن الأبحاث المتعلقة بالإسلام حتى في أدق تفاصيله وأكثر جوانبه خفاءً ، لها فرصة هائلة في الحصول على التمويل السخي ، وعلى كل ما يلزم القائمين بها من تيسيرات ، وقد أثمر ذلك بالفعل مشاريع بحث تفصيلية عديدة ، يشارك في الكثير منها ، للأسف باحثون عرب ، أو عرب أمريكيون ، مع أنهم يعلمون حق العلم أن أبحاثهم سوف تصب نتائجها قطعاً ، بعد تحليلها وتنظيمها ، في ملفات الشرق الأوسط على مكاتب صناع القرار السياسي من الأمريكيين ....

على أية حال : فإن أولئك الذين يتحدثون عن « الصحوة الإسلامية » الحالية من بين كتاب ومفكري الدول الكبرى في الغرب ، يؤمنون بأن العالم الإسلامي مقبل على مرحلة سينتقل فيها إلى حكم العمامة ، وهم يدرسون مظاهر هذه الصحوة بدقة كاملة

---

(١) نقلته بواسطة : الإسلام ومستقبل البشرية ، د/عبد الله عزام ، ص٦٣ ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط ٢ : سنة ١٤٠٢هـ .

(٢) انظر مازن مطبقاني ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

وانظر : السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية ، د / مصطفى حلمي ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

وانظر : موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها ، مرجع سابق ، د/ محمد بن مطر الزهراني ، ص ٣٨ .

(٣)د : فؤاد زكريا ، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، ص ١٢ ، دار الفكر المعاصر ، القاهرة ، ط ٢ ، (١٩٨٧م) .

حتى يعرفوا كيف يتعاملون بها * ، ولا تفاجئهم أوضاعها الجديدة وتأخذهم على غرة ، وهم غير متأهبين لمواصلة استغلال واستغفال هذا العالم الإسلامي ، الذي أصبح اليوم يضم أعظم الثروات وأهم مصادر الطاقة . ولأن هدفهم الحقيقي هو أن تستمر سيطرتهم على هذه المنطقة من العالم »[1] بل قد حذر منها كبار ساسة الغرب وأمريكا حين أجمعوا على أنه لا بقاء للمصالح الإستعمارية في المنطقة العربية إلا بقطع أي صفقة مع الإرهابيين الأصوليين المتحجِّرين ، لكن لا مانع من التغلغل في داخلهم لمعرفة أخبارهم ورصدهم عن كثب ، بل الصهيونية تعلن بين الآونة والأخرى لشعبها أنه عليكم ألا تشفقوا على أعدائكم المسلمين ما دمنا لم نقض على الحضارة العربية ، التي سنبني

---

* « هذا الرجل لاأدري هل هو ماركسي أم متأمرك ؟ » يقول في كتابه « العرب والنموذج الأمريكي » (لقد أصبحت الوصفة غاية في البساطة ، أمريكا بَنَتْ نفسها في قرنين من الزمان، وأصبحت أعظم بلاد العالم، إذن فاتباعنا للنموذج الأمريكي سوف يجعلنا بدورنا عظماء ، متقدمين وسينقلنا من الفقر إلى الغنى ، ومن الضعف إلى القوة) بواسطة مقال « أزمة الإزدواج الثقافي في العالم العربي » لكاتبه خلدون صبح ، مجلة الفيصل ، ص ٣٠ ، عدد : ٢٢٠ ، شوال ، سنة ١٤١٥هـ .

(١) نقلته بنصه من د/ فؤاد زكريا ، مرجع سابق ، ص١٣ ، ص٣٣ . وقد أظهر ماركسيته في هذا الكتاب ، وأظهر سخريته من الصحوة حيث قال عن اليقظة الإسلامية « إن دعوتها في حقيقتها « نوم » لا يقظة ، وموات لا « بعث » » ص ١٧
فهو يرى أن اليقظة والبعث والتقدمية في الماركسية .
واسمعه وهو يكذب على نفسه قبل أن يكذب على غيره حين قال ما نصه :
« وفي إعتقادي أن من أشد أساطير حياتنا بطلاناً ، القول الذي يذيعه كثير من أشياع الحركة الإسلامية بأن الإستعمار بوجه عام ، وأمريكا والصهيونية بوجه خاص يخشون الصحوة الإسلامية ويعملون على محاربتها » أهـ من كتابه « الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة » ص١٨، دار الفكر ، القاهرة ـ باريس ، ط ١ (١٩٨٦م) فأيهما نصدق كلامه الأول أم هذا ، عفواً نسيت أنه ماركسي .

على أنقاضها حضارتنا "[1] (ولقد كانوا وما يزالون يرون في الإسلام خطراً وعقبة في سبيل خططهم الإستعمارية)[2].

إن كثيراً من كتاب الغرب يثبتون حقيقة الصحوة الإسلامية في كتاباتهم ، ويريدون من إثباتها حشد الحشود في مواجهتها ، فهذا الكاتب « برنارد لويس »[3] يقول في كتابه « الغرب والشرق الأوسط » ما نصه « ومنذ بدء التغلغل الغربي في العالم الإسلامي حتى يومنا هذا كانت أهم الحركات الفكرية المتميزة المهمة الأصيلة التي قامت في وجههم حركات إسلامية .... وأقوى الحركات التي قامت والتي كسبت أقوى التأييد وأثارت حماس أغلب الجماهير كانت دينية شعبية في أصولها وفي شعاراتها وفي الأسلوب الذي عبرت به عن غايتها وسبيلها)[4] ، لقد أجمعوا (أن صحوة العالم ، وما يتبعه من قوى إسلامية كبيرة نذير بكارثة للغرب ونهاية لوظيفته الحقيقية في قيادة العالم)[5]

وأخلص من هذا كله أنني اقتنعت من خلال قراءاتي المتواضعة في المجلات والجرائد والكتب وسماعي للوسائل المسموعة والمرئية أن الغرب ومنهم المستشرقون اتجهت كتاباتهم (إلى الأوضاع الحاضرة والنهضة أو الصحوة الإسلامية)[6] فمن الخطل الفكري والتحجر العقلي أن نناقش قضايا وافتراءات كان يقوم بها في البداية

---

(١) انظر أزمة الفكر الصهيوني ، د/ محمد ربيع ، ص ١٠٩ ، ١٥٠ .
وانظر : التطلع إلى الأمام سيرة ذاتية ، جورج بوش ، ترجمة جورج خوري مركز الكتب الأردني ، (١٩٨٨م) ، بدون عدد طباعة ، ص ٣٢١ .

(٢) أحمد الشريف ، مصدر سابق ، ص ١٤٤ .

(٣) ولد سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٦ م) في لندن ، حصل على الجنسية الأمريكية عام (١٩٨٢م) وقد أصبح منذ عامين مديراً لمعهد بحوث « انبرج » للدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا أهـ ملخصاً من مازن مطبقاني ، مرجع سابق ، ص ١٣ ، ص ١٥ .

(٤) نقلته بواسطة « أحمد الشريف » مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

(٥) أحمد الشريف ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

(٦) مازن مطبقاني ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

الرهبان تقرباً إلى البابا [1] ، واليوم يقوم بها كبار وصغار مفكري الغرب الصليبي لا إثارة شبهات بل رصد حركات طلائع البعث الإسلامي ، تقرباً إلى الساسة الغربيين وحفاظاً على مصالحهم ورعاية بنتهم الكبرى « الصهيونية » في أرض الرسالة ومهد النبوة ، وأن الحال كما قال الدكتور « أكرم ضياء العمري » في محاضرته « الإستشراق هل استنفذ أغراضه » [2] أن نمثل أنفسنا أمام أنفسنا بأن تقوم مؤسساتنا العلمية برسم الصورة الثقافية والتاريخية والعقدية لأمة الإسلام دون أن تخضع للأفكار المسبقة التي رسمها المستشرقون ، هذا جانب ، والجانب الثاني : أن نقوم بتمثيل أنفسنا أمام الآخرين بلغاتهم [3] ، ونبين لهم عوار دينهم وأنهم ليسوا على شئ [4] ،

---

(١) انظر ، الإستشراق ، د/ السيد أحمد فرج ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

وانظر المستشرقون والتراث ، د / عبد العظيم الديب ، مصدر سابق ، ص ١٤ ، بل إنه حفظه الله سجل نتائج مهمة عقيب إحصائه للمؤلفات التي نشروها فقال حفظه الله ص ١٤ « وتستطيع في النهاية أن تخرج [أي الإحصائية] بالنتائج الآتية :

١ ـ أن معدل إسهام المستشرقين وإنتاجهم سجل هبوطاً ملحوظاً منذ مطلع الستينات ولا يزال مستمراً .

٢ ـ أنه كانت هناك طفرة في السنوات التي تلت انتعاش الغرب بعد الحرب العالمية الثانية » أهـ

فماذا يدلنا هذا ؟ بل يؤكد : دانيال ريق أن الإستشراق قد تضاءل دوره بعد انتهاء فترة الإستعمار وأصبح بلا مشروع فلذلك لابد من فتح آفاق جديدة يعمل لها وتجديد نظرته وأدواته والتكيف مع الأوضاع الراهنة الدولية ومع حقائق العالم الغربي ، ويقترح بتسميته « العربولوجيا » ويكون شديد التخصص ومنفتحاً على عصره أهـ مصدر سابق ص ١١٠ .

(٢) محاضرة ألقيت في الجامعة الإسلامية في رجب سنة ١٤٠٨هـ .

(٣) نقلته بواسطة مازن مطبقاني ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٤) ولنا في سلفنا أسوة حسنة إذ أنهم لم يطمسوا مُخَلَّفات أهل الضلال ، بل ناقشوها ونقدوها ، ونقضوا دعاواها ودحضوا شبهات أدلتها .

انظر : أخطار على المراجع العلمية لأئمة السلف ، بقلم الشيخ عثمان بن عبد القادر الصافي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، دار الفاروق ، الطائف ، ص ٩٦ .

وهذا الإقتراح قد دعت إليه جامعة الدول العربية من قبل ، ولكن الظروف السياسية التي تمر أو مرت بالمنطقة حالت دون ذلك [١] .

وخلاصة القول إن إشهار الأحكام الخاطئة التي قذف بها المستشرقون عن الإسلام برفعها إلى مرتبة شبيهة بالحقائق ، مع العلم أن الإسلام الذي تعرضه بحوثاتهم إنما هو إسلام من صنع الخيال ومجرد تخيل غربي ، وإذا سكت المسلمون أو عبروا عن استيائهم إزاء هذا التحامل ، فأن هذا يعني في نظر الغربيين عدم قدرة المسلمين على فهم الأمور فهماً علمياً [٢] ، وهم بهذه العجرفة يفرضون الوصاية على عقلية القارئ أياً كان جنسه فيضعون القيود على حرية القارئ ويقدمون نظارة سودآء على عينيه ، ولو نظر المتأمل إلى أقاويلهم لوجد سداها الإسراف والتجني ، ولحمتها الهوى والعصبية القاهرة الغلابة [٣] ، وأن كتاباتهم تنطلق من منطلق : أن الإسلام خالف تعاليم النصارى الثالوثية والعشاء الرباني وبنوة عيسى لله وإلهيته إذن فهو مهرطق مع أنهم يعدون « محمداً » ﷺ (خائناً منافقاً يسرق التقاليد الغربية القديمة) [٤] ، فأين نجد تفسير هذه اللفظة من معاجم الدنيا ؟

ومتى ظهرت كلمة التقاليد الغربية ؟

اسقاط نفسي لا مفهوم له سوى الهوس العقلي .

فلذلك لا غرابة عندما حسبنا لأقاويلهم ألف حساب وصيرنا ديننا بين راد ومردود أن نفقد تقدير الرجل الأوربي ، فصرنا لا نقدر على أن نتحرر من تسلط الأوربي

---

(١) انظر د/ محمود زقزوق ، الإسلام في تصورات الغرب ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ١٢ ، ص ١٤ ، وانظر د/ فرج ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) استفدته من مقدمة السيد أحمد صقر ، لكتاب « إعجاز القرآن ، للباقلاني » ، مصدر سابق ، ص ٥٤ . وانظر الإسلام في تصورات الغرب ص ٨٧ .

بل صرح المستشرق « رودي بارت » وهو ألماني فقال « نحن معشر المستشرقين عندما نقوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامة فنحن نقوم بها لكي نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام » أهـ د/ السيد فرج ، ص ٦٢ .

(٤) الإستشراق ، د/ السيد أحمد فرج ، مصدر سابق ، ص ١٣٢ ، هل يقصدون بالتعاليم القديمة أساطير اليونان ؟

بحضارته المادية علينا ، بل صرنا نستدعيه ليحل لنا مشاكلنا ويخطط لنا شئوننا العامة والخاصة ، وأخيراً تدخل في أخص مخصصاتنا فنطلب منه أن يضع لنا خطط تعليم أبنائنا وخطط تربيتهم "[١] ، هزيمة نفسية أجد مرارتها في قلبي وعقلي وكل شئ مني ، هذا هو القهر الذي كان يتعوذ منه رسول الهدى ﷺ بقوله " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال "[٢]

وبعد : وإن كانوا لا يزالون - أحياناً - يثيرون افتراءاتهم ، فأننا مع كلامنا عن رصد المستشرقين للصحوة الإسلامية لاننسى تلك الإفتراءات ، لكن لا تصير شغلنا الشاغل لأنهم يدركون تماماً أن الإسلام هو « الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلي وحقيقي للمجتمعات الغربية التي يسودها مذهب اللا أدرية وفتور الهمة واللا مبالاة وهي آفات من شأنها أن تؤدي إلى هلاك تلك المجتمعات مادياً ، فضلاً عن هلاكها معنوياً)[٣]

فلذلك يعضون الأنامل من الغيظ على حركات البعث الإسلامي القائمة في كل مكان في العالم الإسلامي ، ويقيمون الدراسات السرية والعلنية ليتدارسوا كيفية القضاء عليها وإبادتها[٤]. وبعد :

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٦٦ .

(٢) انظر تخريجه في جامع الأصول ، كتاب الدعاء ، المجلد الرابع ، ٢٩٦ ، ٣٥١ - ٣٥٣ حيث ساق له روايات متعددة .

(٣)الإسلام والتحديات الجديدة ، د / محمد عمارة ، ص ١٣ ، سلسلة معارف إنسانية ، رقم : ٤ ندوة الثقافة والعلوم ، دبي ، الطبعة الأولى ، (١٩٩٣م) ، وقد نقل هذا الكلام عن مجلة « شئون دولية » البريطانية ، يناير ، (١٩٩٠م) ، والكتاب دراسة حول قرارات مؤتمر كولورادوا (١٩٧٨م) بأمريكا والذي يتضمن محاربة الأصوليين .

(٤)انظر دراسات قرآنية ، للشيخ محمد قطب ، ص ٣٥٢ ، ومع هذا فأن أية ردود تستعصم بخطط دفاعية مؤداها السقوط والبوار النفسي والعقلي ، هي وإن نفعت في رد عادية الغازي الواغل (الذي يدخل في القوم وليس منهم) مؤقتاً فهي لن تنفع أمام فكر لا يزال يستخدم كل أساليب الحيلة والمكر ، وينصب كل أحابيل الشيطان الكرة =

١ - فأن مثل هذا التعقيب إنما ينطلق من منطلق : أن الذي يفتري عليه المستشرقون هو دين الأمة جميعاً فعندها لا يختص العقاد بالردود على هذه المفتريات ، فإذا أتى مثل هذا التعقيب فإنه لا يعنى أنه أفضل وأحسن مما جاء به العقاد ، بل هو يأتي معززاً يشد بعضه بعضاً ، لأن كلاً من الردود أو التعقيب على ثغرة من الثغور فكلاهما مكمل للثاني وردءٌ له .

٢ - إذا رجعنا إلى الفترة الزمنية التي كتب فيها العقاد ردوده نجد أن سموم المستشرقين كان لها تأثير في نفوس الدارسين ، فكان تفنيد أقوالهم والكشف عن دوافعهم عملاً محموداً من العقاد رحمه الله ، بل كان له تأثيره الطيب على من فتحوا قلوبهم وآذانهم لسموم الاستشراق ، فعندما سمعوا هذه الردود تجدد في قلوبهم الاعتزاز بهذا الدين ، وعلموا هنالك بُعْدَ المستشرقين عن الانصاف تجاه الإسلام .

٣ - أن مثل هذا التعقيب يرجعنا إلى الأصول الأصيلة ليعلم القارئ أن المستشرقين وقعوا في مآزق خطيرة نتيجة تعصبهم واستغراقهم في الافتراء دون الرجوع إلى أصول المفترى عليه .

٤ - تجددت بحوث من بحوثاتهم تنقض كلام سلفهم الهالك ويستنبط منها المستنبط أن لو كانوا على شئ لما ناقض بعضها بعضاً ، فالمستشرق الإنجليزي ينقض كلام الفرنسي وهكذا دواليك .

٥ - من حيث النظر إلى شبهاتهم فإنها بحق افتراءات وأباطيل لا شبهات ، وهذا النظر يقويه ويؤيده ما استنبطه الباحث من كتاب العقاد نفسه « حقائق الإسلام وأباطيل خصومه » ، ولكن خوفاً على من وراءنا ممن لم يُؤْتَوْا حظاً من النظر جاءت هذه الردود تمدهم وتشدُّ أزرهم حتى لا يسترسلوا مع هذه الافتراءات حيث تعطيهم هذه الردود دفعة أمل وشؤبوب يقين في نفوسهم مما تجعلهم يرجعون إلى كتاب الله المبارك الذي حفظه الله لهذه الأمة ، فكونه محفوظاً فدين الأمة محفوظ ، وجلاء غشاء الافتراءات عن قلوبهم قريب .. قريب والله الموعد .

= بعد الكرة ليستأنف هجومه عوداً على بدئ . انظر مجلة : البيان ، ص ٢١ ، العدد : الثالث سنة ١٤٠٧ هـ ربيع الثاني ، تصدر من المنتدى الإسلامي ، لندن .

المطلب الثاني :

التعقيب على شبهة أنه نقل من اليهودية أو النصرانية :

« عن جابر بن عبد الله : أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب ، فقرأه النبي ﷺ فغضب ، فقال " أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني " »[1] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث ، تقرءونه محضاً لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً .... "[2].

إن هذين الحديثين يرشداننا إلى الدلائل الآتية :

١ - أنهم لن يهدونا وقد ضلوا أنفسهم ، بل هم ضلوا وأضلوا ، فكيف يأخذ الرسول ﷺ من قوم ضالين ندعو في كل ركعة أن يجنبنا طريقهم ؟ والأخذ من الضلال

---

(١) الإمام أحمد في مسند جابر ، رقم : ١٥١٣٧، ٣ / ٤٩١ / طبعة المكتب الإسلامي ، دمشق ، بإشراف ، د/ سمير طه المجذوب ، ط ١ سنة ١٤١٣هـ .

وانظر مثله رقم ١٤٦١٤ ، ٣ / ٤٢٩ . قال ابن حجر « ورجاله موثوقون إلا أن في مجالد ضعفاً » الفتح : ١٣ / ٣٣٤ ، وله شاهد من حديث عبد الله بن ثابت الأنصاري عند أحمد في المسند برقم ١٨٢٩٧ ، ٣٦٢/٤ وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف كما ذكره ابن حجر : الفتح : ١٣ / ٣٣٤ ، وله شاهد عند البزار وعند عبد الرزاق وأخرجه سفيان الثوري وفيه عن عبد الله بن عباس « فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا أنفسهم ...... وفي الجملة الحديث حسن انظر: فتح الباري :٣٣٤/١٣ وانظر شرح السنة الحديث رقم ١٢٦ ، قال عنه الأرناؤوط حديث حسن ، شرح السنة : ١ / ٢٧٠ وانظر سير أعلام النبلاء : ٤١٩/٢ .

(٢) البخاري مع الفتح : ١٣ / ٣٣٤ ، والبخاري أخرجه في كتاب الإعتصام ، باب قول النبي ﷺ " لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ " .

ضلال ، .

٢ ـ إن دينهم وكتابهم حرفوه وكتبوه بأيديهم ، وما كان سبيله كذلك ، فليس له خاصية أن يؤخذ منه ، بل جاء هذا الكتاب المبارك بمثالبهم ونقض ما عندهم ولعنوا بما قالوا ، فهل يعقل في أوساط العقلاء أن يأخذ الشئ من الشئ ثم يصحح له ويكون مهيمناً عليه بل يقول لهم لستم على شئ حتى تقيموا أصولكم التي أنزلت على موسى وعيسى وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

٣ ـ هل الملعون والمحتار الذي لا يهتدي سبيلاً يؤخذ عنه ؟ ولقد أصبحت البحوث العلمية لمن كانوا نصارى تقف ضد هذا الهراء ، لأنه لو أخذ لأخذ الحق والباطل .

إن المستشرقين متهوكون مترددون ساقطون وواقعون في هذا الأمر من غير روية [١] كيف تكون اليهودية أصل الإسلام ومنها أخذ ؟ وهم قد قالوا إنه فاض من عقله الباطن ، فهذا تهوك وتناقض ، فإما أن يكون أصله اليهودية أو أصله فيض العقل الباطني وهما ليسا متحدي المخرج حتى نجمع بينهما فهذا تهوك ، آية ذلك :

(١) أنهم قالوا عن القرآن « فيض من عقله الباطن ، وليس وحياً إلهياً » [٢]

وقالوا إنه أي القرآن صدر عن محمد ﷺ وفاض عن قلبه [٣]

وقالوا « القرآن انطباع للحياة القائمة في وقت صاحبه » [٤]

وقالوا « إن القرآن هو من عمل إنسان هو محمد ، عاش حياة خاصة وهي حياة المكيين » [٥]

وقالوا « القرآن مزيج من اللغو الباطل » [٦]

---

(١) انظر مادة « هوك » لسان العرب : ١٠ / ٥٠٨ .

(٢) الرسول في كتابات المستشرقين ، نذير حمدان ، ص ٨٠

١ ـ يقول العقاد رحمه الله : (جائز أنه عرف في صباه كل دين في الجزيرة ، لكن ليس جائزاً أن تعلمه كيف ينكر أخطاءها ويقوم .... أهـ مطلع النور ص ١٤٩ .

(٣) النبأ العظيم ، للشيخ الدكتور محمد بن عبد الله دراز ، ص ٣٢ ، وانظر ص ٣٨ .

(٤) (٥) محاكمة فكر طه حسين ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٦) الإسلام والمستشرقون ، ص ٧٦ .

وقالوا « القرآن حُرِّف بعد وفاة النبي » [١]

وقالوا « القرآن خليط عجيب من الحقائق والخرافات ، ومن الشرائع والأساطير ، كما هو مزيج غريب للأغلاط التاريخية ، والأوهام الفاسدة » [٢]

وقالوا « وكان محمد أكثر معرفة بالأناجيل المنحولة منه بالأناجيل الصحيحة . ولم تصل إليه تلك المعرفة من مصادر مسيحية خالصة ، وإنما نقلت إليه على يد يهود اعتنقوا النصرانية » [٣]

وقالوا « ولم يعرف محمد من أسفار العهد القديم إلى جانب التوراة سوى الزبور أي المزامير ، ولعله كان يقصد بالتوراة ما يقصده اليهود أنفسهم أحياناً وهو أنها تشمل جميع أسفارهم » [٤]

وقالوا « إن محمداً رجل مريض بالوهم والخيال المريض » [٥]

فإذا افترضنا المستحيل وهو أننا سنصدقهم فمن نصدق من هؤلاء ؟

(٢) ثم إذا تأملنا في أقوالهم هذه نجدهاضاهت قول الذين كفروا من قبل حين جعلوا القرآن عضين واختلفوا فيما بينهم فلم يثبتوا على قول ، قال الله تعالى :

﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه ﴾ الفرقان : آية ٤ .

﴿ وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى ﴾ سبأ : آية ٤٣ .

﴿ وإذلم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ الأحقاف : آية ١١ .

ثم حكى عنهم إنهم وصموا النبي بالافتراء فقال سبحانه :

﴿ افترى على الله كذباً أم به جنة ﴾ سبأ : آية ٨

﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه ، بل هو شاعر ﴾ الأنبياء : آية ٥ .

ثم حكى عنهم أنهم قالوا تكلم به بشر قال عز من قائل :

---

(١) نفس المصدر السابق ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، وانظر : مناهج المستشرقين : ٢٣/١ .

(٢) نفس المصدر أي : الإسلام والمستشرقون ، ص ٢٤٥ .

(٣) دائرة المعارف ، مادة : إنجيل ، ١١/٣ .

(٤) نفس المصدر ، مادة « التوراة » ٦ /١ ـ ٢ .

(٥) د/ السد أحمد فرج ، الإستشراق ، ص ٦٢ .

﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ النحل ، ١٠٣ .

وقال تعالى حاكياً عنهم حين قالوا ﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾ المدثر ٢٥ .

ثم قالوا إنه سحر فقال تعالى حاكياً عنهم :

﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ الأنبياء : ٣ .

﴿ وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ الصافات ١٥ .

﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ القمر : ٢ .

﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾ المدثر : ٢٤ .

ثم قالوا إنه شاعر قال سبحانه حاكياً عنهم :

﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ﴾ الأنبياء : ٥ .

﴿ ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ الصافات : ٣٦ .

وقالوا عن الرسول مجنون ، قال سبحانه حاكياً عنهم

﴿ ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ﴾ الدخان آية : ١٤ . وغيرها من الآيات

وقالوا عنه كاهن

﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ الطور : ٢٩ .

فماذا بقي ؟ إن أولئك وهؤلاء (لم يثبتوا على صفة له ، ولاعلى رأي يرونه فيه ، لأنهم يتمحلون ويحاولون أن يعللوا أثره المزلزل في نفوسهم بشتى التعليلات فلا يستطيعون ، فينتقلون من ادعاء إلى إدعاء ، ومن تعليل إلى تعليل ، حائرين غير مستقرين)[١]

إنهم لفي قول مختلف ، حين جعلوا القرآن عضين ، .

(٣) هل هناك من فارق بين قول الكفار المتأخرين والكفار المتقدمين في ثلب هذا القرآن حين قالوا (ويمكن تتبع القصة القرآنية وردها إلى مصادر رئيسية ثلاثة : هي ملحمة جلجمش ، وقصة الإسكندر ، والأسطورة اليهودية الخاصة بأيليا)[٢] فلقد قال إخوانهم الذين كفروا من قبل ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ المؤمنون آية : ٨٣. ولقد تكررت

---

(١) في ظلال القرآن : ٢٣٦٨/٤ عند قوله تعالى ﴿ بل قالوا أضغاث ﴾الأنبياء : ٥ .

(٢) دائرة المعارف ، مادة « الخضر » ٣٤٧/٨ .

تسع مرات منها آية المؤمنون السابقة الذكر ، ومنها آية الأنعام ٢٥ ، وآية الأنفال ٣١ ، وآية النحل ٢٤ ، وآية الفرقان ٥ ، وآية النمل ٦٨ ، وآية الأحقاف ١٧ ، وآية القلم ١٥ ، وآية المطففين ١٣ ، هم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، تشابهت قلوبهم في الكفر ، وفي ابتغاء الفتنة في الذين آمنوا ، وزادوا على أولئك أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، وكلٌّ يكتمون الحق وهم يعلمون ، فلما لم يجدوا ما يصدقهم ركنوا إلى وسيلة لا يركن إليها إلا « الغوغاء » ومن دقة القرآن أنها لم ترد إلا مرة واحدة في سورة فصلت آية : ٢٦ قال سبحانه حاكياً عنهم [١] ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ .

قال الإمام البغوي في « معالم التنزيل » (وكان بعضهم يوصي إلى بعض إذا رأيتم محمداً يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو. قال مجاهد : والغوا فيه بالمكاء والصفير) [٢] .

ويقول الزمخشري في « الكشاف » (واللغو : الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته ، قال : من اللغا ورفث التكلم ، والمعنى : لا تسمعوا له إذا قرئ ، وتشاغلوا عنه عند قراءته برفع الأصوات ، بالخرافات والهذيان والزمل ، وما أشبه ذلك ، حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته) [٣] .

ويقول ابن كثير في تفسيره (وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿ **والغوا فيه** ﴾ عيبوه ، وقال قتادة : اجحدوا به وأنكروه وعادوه ﴿ **لعلكم تغلبون** ﴾ هذا حال الجهلة من الكفار ، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن) [٤] .

ويقول الشوكاني في « فتح القدير » (﴿ **والغوا فيه** ﴾ أي عارضوه باللغو

---

(١) ولقد تأملت لماذا لم ترد إلا مرة واحدة ؟ فألمَّ بخاطري أنها هي الأخيرة من المحاولات للصد عن سبيل الله ، فمهما حاولوا ومهما جمعوا كيدهم ، فإن عاقبة أمرهم الحيرة والإختلاف ، لأنهم لا يبنون على واقع صحيح بل سداه ولحمته التخرص والإفتراء ، فسبحان من أعجز البشر بهذه الآية التي فيها صدق نبوة محمد ﷺ .

(٢) ٧/١٧١ .

(٣) ٣/ ٣٩٠ .

(٤) ٤/٨٧ .

والباطل ، أو ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ له)[١] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تيسير الكريم الرحمن (ولا تمكنوا ـ مع قدرتكم ـ أحداً يملك عليكم الكلام به ، وتلاوة ألفاظه ومعانيه ، هذا لسان حالهم ، ولسان مقالهم ، في الإعراض عن هذا القرآن . ﴿ لعلكم ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿ تغلبون ﴾ وهذه شهادة من الأعداء وأوضح الحق ما شهدت به الأعداء ، فأنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك)[٢] .

وقال الإمام الطبري في قوله تعالي ﴿ والغوا فيه ﴾ أي (تحدثوا وصيحوا كيما لا تسمعوه)[٣] .

فأذا نظرنا إلى هذا العرض من تفاسير أئمتنا رحمهم الله نجد أن وسائل القوم متطابقة ومطبقة على الصد عن هذا القرآن مع اختلاف الوسائل ،

فأولئك كانت وسائلهم : الصياح والصفير والصفق والتشويش ، والتشاغل عنه . والزَّمل[٤] ، والساقط من الكلام ، ورفث التكلم ، والتخليط ، والمعاداة وجحوده وعدم تمكين الآخرين من استماعه ، وعيبه والطعن فيه كل هذا رجاء أن يغلبوا فهل استطاعوا ؟ لقد أمضى الله دينه وأظهره على الدين كله ولو كره الكافرون المشركون[٥] .

وهؤلاء وسائلهم الكذب والإفتراء عليه حفاظاً على العقل الأوربي ، وحفاظاً على ميرتهم ، تشابهت قلوبهم ، فاستثقل كلٌّ القرآن وكرهوه لاختلاف الدين فالمشركون وثنيون ، والمستشرقون نصارى وثنيون ملاحدة فهذا هو الحجاب ﴿ومن بيننا وبينك حجاب

---

(١) ٥١٤/٤ .

(٢) ٣٩٥/٤ .

(٣) جامع البيان ، المجلد ١٥ ، جزء ٢٤ ، ص ١١٢ .

(٤) الزمل : الصوت وكل صوت مختلط ، وهو مع همهمة وضرب بالرجلين ، انظر لسان العرب ، ومعجم مقاييس اللغة ، والفائق للزمخشري مادة « زمل » .

(٥) إن ركونهم إلى هذه الوسيلة وهي ﴿ والغوفيه ﴾أكبر دليل على أنهم أدركوا أن شبههم التي أثاروها ضد القرآن لم ولن يجدوا لها صدى عند من ظنوا أنهم سيصدقونهم بل كثير منهم أسلم وحسن إسلامه .

فاعمل إننا عاملون ﴾ فصلت آية : ٥ [١] .

فدين محمد ﷺ الملة الحنيفية الإبراهمية وهؤلاء ، وأولئك دينهما الهوى واتباعه، فمن ثم لا نستبعد سبهم وثلبهم .

(٤) وبعد هذا العرض تتبين لنا حقيقتان :

أولاهما : أن كلاً من الطرفين سواءٌ كفار قريش أوالمستشرقون استعظموا أن ينزل الوحي على محمد ﷺ ، فقال أولئك ﴿ **أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب** ﴾ ص . آية : ٨ .

وهؤلاء (يطرحون - كقاعدة ثابته - استناد محمد على ما سبقه ليبعدوا بهذه الطريقة عن الذهن كل اتصال له بمسألة الوحي بالذات) [٢]

إذن كلا الطرفين جحدوا القرآن واستيقنته أنفسهم أنه كلام الله لا كلام البشر ، فهم قوم بهت ، وإلا فليدلنا المستشرقون على النص الإلهي الموحى به إلى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضلهما ، أو على الأقل كلام موسى وعيسى المنقول بالسند إليهما ، فإن عجزوا عن إثبات كلام بعينه أنه لموسى أو عيسى صلوات ربي وسلامه عليهما وعلى نبينا أزكاهما ، فمن باب أولى هم عاجزون عن إثبات النص الإلهي الموحى به ، فعند هذا (نستطيع أن نشير إلى أن مثل هذه الدعاوى مما لا يوقف عنده فليستدل عليه صاحبه حتى نجد موضعاً للمناقشة) [٣]

وفوق هذا [ثمة فرق أساسي آخر بين المسيحية والإسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة ، ذلك هو غياب النص الموحى به - والمحدد في الوقت نفسه - عند المسيحية بينما يملك الإسلام القرآن الذي يحقق هذا التعريف] [٤]

إذن هذه نقطة مهمة في المناظرة والبحث وهو أنهم أولاً : يثبتون لنا النص الذي لم يدخله التحريف ويقولون هذا هو إما من كلام الله على النبيِّين : موسى وعيسى عليهما صلوات الله وسلامه وعلى نبينا أفضلهما ، أو من كلامهما نفسيهما ،

---

(١) انظر تفسير الطبري : ١٥ ، ج ٢٤ ، ص ٩١ ، ص ٩٢ ، .

(٢) موريس بوكاي ، ص ١٤ .

(٣) تعليق أمين الخولي على مادة « التحريف » من دائرة المعارف ص ٦٠٤ .

(٤) موريس بوكاي ، ص ١٨ .

أما نحن فقد أثبتوا هم أن نص قرآننا الذي نقرأه اليوم هوالنص الذي تكلم به محمد ﷺ ومن هنا يقول « يوسف شاخت » في مادة « أصول » من دائرة معارفهم الإسلامية كما سموها ما نصه (« إن أول مصادر الشرع في الإسلام وأكثرها قيمة هو الكتاب : وليس هناك من شك في قطعية ثبوته وتنزهه عن الخطأ ، على الرغم من إمكان سعي الشيطان لتخليطه (سورة الحج الآية ٥١ ، انظر : (" Noldeke schwally " " geshichte des Qoran " ج١ ، ص ١٠٠) كما أنه ليس من شك أيضاً في أنه وصل إلينا من غير تحريف (انظر المصدر المذكور آنفاً ج ١ ، ص ٢٦١ ، ج ٢ ، ص ٩٣)) "[1].

(ولكن الكتاب الأساسي وهو القرآن ، فقد ظل المرجع الذي لا يرقى إليه الظن ، ولا يقبل أن تكون نصوصه موضعاً للجدل ، وذلك لأنه قد نقل عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم بصورة إجماعية متواترة ، ... وأنه لا يد فيه للبشر ... وهكذا فأنه يبدو لنا أن القرآن هو الوحي المكتوب الذي لا شك فيه ، والذي كان معصوماً من كل خطأ علمي) "[2]، فالقرآن وحده النص الموثق البعيد عن خطر التحريف أي القرآن (يعني الكلمة المنزلة) "[3].

إذن الخلاصة أننا لا نتبع إخواننا الذين يتعجلون في مناظرة القوم ، بل نطالبهم أولاً بأظهار النص غير المحرف حتى يبقى النزاع منعقداً على أيهما كلمة الله ؟

وبعد هذا نحكم من أي النصين أخذ رسول الله ﷺ ؟

فأن كان من البشري فلماذا لم ينقل الأب والإبن والثالوث ، وأن الله يصارع وتحتال عليه زوجة موسى ويعقوب ، أو أنه وسط التابوت يجره الرهبان وهو يتفرج ، أو يحب رائحة الشوى ، أو يلعب مع ملك الأسماك ، أو أنه ذو لحية يمشي ويتوكأ على عصا ، أو يضرب نفسه ويبكي ندماً لماذا شرد شعبه ، أو يلعب مع كبار الأحبار ، وغيرها من النصوص الوثنية والأساطير الخرافية ، وحتماً سيعجزون عن القول بأنه من كلام الله أو من كلام النبي موسى وعيسى عليهما صلوات الله وسلامه وعلى نبينا

---

(١) ٣ : ص ٤٨٤ .

(٢) بنصه ولفظه من موريس بوكاي ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠.

(٣) خصائص الأدب العربي ، ص ١٣٩ ، وانظر منه ص ٣٧٥ .

أزكاهما وأفضلهما لأنهم عجزوا عن إثبات أصول لم يعرها تحريف ولا تبديل ، بل لا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً .

فحاصل هذا أن المناظرة انقطعت من جانبهم لأنهم لا يستطيعون أن يثبتوا لنا أن ما يوجد في كتابهم المقدس ثبت بصورة قطعية لا يد فيها للبشر ، أما نحن فمستعدون ونرفع رؤوسنا ونقول لهم بملء أفواهنا من شاء أن يناظر فليناظر [١] .

(٥) وهم عندما قالوا بأخذه من اليهودية أو النصرانية تناقضوا في مقالين أحدهما مادة « التحريف » والأخرى مادة « إبراهيم »

قالوا في مادة « التحريف » ما نصه (وكان هذا الإتهام [٢] في الواقع الطريقة الوحيدة لإخراج محمد من مأزق خطير حين احتك في المدينة باليهود ، فقد سعى منذ بدء رسالته إلى الحصول على تأييد أهل الكتاب يهوداً ونصارى) [٣] أهـ

لقد زعموا كما زعم يهود عصره ـ ﷺ ـ أن إبراهيم كان يهودياً ، ولو سألهم أي رجل متى ظهر لفظ « اليهودية » ؟ وماذا تعني اليهودية ؟ هل هي يهودية التلمود ؟ أم يهودية النسب ؟ فكيف يصبح الابن أباً ؟ بل في أي عقل يكون الأب ابناً ؟ لا يكون ذلك إلا في عقول هؤلاء المستشرقين وهذا القول يقال لعدم تحريرهم للفظة اليهودية التي رموا بها إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، وهم مع ذلك قلقون في إعتماد محمد ﷺ على اليهود فتارة اعتمد عليهم في مكة ، وتارة في المدينة ، وتارة احتك بهم ـ أي صادمهم ـ وتارة استعان بغيرهم ـ بل لفظة « اتخذوا حياله خطة عداء » تدل بمنطوقها الصريح أنهم يعلمون أن الرسول ﷺ لم يتصل بهم ولم يتتلمذ عليهم ، وأن مناصبتهم العداء له جاء عن حسد وحقد دفينين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : إذا كان محمد * اعتمد على اليهود في مكة فكيف أغفل أونسي قومه هذا ؟ مع إستحكام عداوتهم له . ومن ناحية ثالثة : من هم اليهود الذين

---

(١) انظر : تعليق الشيخ أحمد بن محمد شاكر رحمه الله على مادة « براق » من دائرة معارف المستشرقين ، ص ٥٣٩ .

(٢) يعني زعموا أن الرسول ﷺ اتهم اليهود بالتحريف .

(٣) دائرة معارف المستشرقين مادة « التحريف » ص ٦٠٣ .

* ﷺ .

اعتمد عليهم ﷺ في مكة فليسـموهم لنا ونتحداهم على ذلك وفي ذلك يقولون في مادة « إبراهيم » (وسر هذا الإختلاف *أن محمداً ** قد اعتمد على اليهود في مكة، فما لبثوا *** أن اتخذوا حياله خطة عداء ، فلم يكن له بد من أن يلتمس غيرهم ناصراً ، هناك هداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبي العرب - إبراهيم - ****وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم ، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام) .

حارت العقول والأبصار ، جاء موسم وذهب موسم فلا يدرون ما يقولون وبأي شئ يتشبثون أعياهم هذا الكتاب المبارك لقد أطفأ صليبيتهم كما أطفأ وثنية قريش ، عاب دينهم الكهنوتي كما عاب آلهة قريش ، لقد حار القوم وأبلسوا ، وبعد هذا المخاض كله ، وهذا ا الخرق كله ، لا يفتح عليهم بشئ ... إنما يدبرون عن النور ويستكبرون عن الحق ، فيقول أولئك وهؤلاء ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ﴾ [(١)].

(٦) لقد زعم قريش أنهم على ملة إبراهيم ، ولقد زعم هؤلاء أن إبراهيم يهودي ،

---

* أي زعموا أن محمداً غيَّر كلامه لما جاء المدينة عن إبراهيم .

** ﷺ .

*** فليلاحظ معي القارئ أن الضمير مازال يرجع على يهود مكة ، فيا ترى لماذا لم يكتب التاريخ هذه العداوة ؟ لماذا ذكر إلقاء الشوك والحجارة في طريق الرسول ﷺ ولم يذكر هذه العداوة ؟

**** هل محمد ﷺ هو الذي جعل إبراهيم أب العرب العدنانيين ، أو ينكرون ذلك إن الباحث يطالبهم المباهلة على ذلك ونتحداهم على ذلك .

(١) انظر الظلال ، حول هذه الاية : ٣٧٥٧/٦

والحزق : الشد البليغ والتضييق وتقول العرب « حزق عير هذا » للرجل المخبر بخبر غير تام ولا محصل . انظر لسان العرب مادة « حزق » ٤٦/١٠ .

وإن الرجل ليعجب من حفظ بعضهم للقرآن أو للأحاديث فمثلهم كمثل إخوانهم الذين كفروا من قبل حين حملوا التوراة سواءً في صدورهم أو حملاً حسياً لكنهم لم ينتفعوا بما حملوا فصار شهادة عليهم ، وفوق ذلك : المحل غير قابل للإنتفاع سباخ في سباخ ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم .

أولئك عظموا هذا النبي المبارك إبراهيم ، وهؤلاء نسبوه لليهودية كذباً وافتراءً وما دام حال الطرفين كذلك دعوى وإدعاءات إذن فهو (المراء الذي لا يسير علي منهج ، وهو الغرض إذن والهوى ، ومن كان هذا حاله ، فهو غير جدير بالثقة فيما يقول . بل غير جدير بالإستماع أصلاً لما يقول) [1]. ولكننا سنمضي في تفتيت دعاواهم كذبة كذبة .

(٧) اسمعهم يقولون في مادة « عائشة » (ونزل الوحي على النبي (سورة النور الآية : ١١ وما بعدها) متضمناً براءة عائشة ولوم أولئك الذين تقولوا عليها) [2]. فلتة لسانية كبيرة جداً ، كيف خرجت منهم؟ وهم متعودون على لفظ قال القرآن ، قال محمد ، أما هذه المرة : نزل الوحي ، وهي ظاهرة أخرجها الله من ألسنتهم الكاذبة دالة على ما استقر في قلوبهم أنه وحي الله .

نزل من العلو : يقتضي جهة منفكة غير جهة الرسول ﷺ ، غير فيض عقله الباطن ، غير فيض قلبه ، غير صرع ، غير خيال ووهم مريض ، إنها ظاهرة تعني اثنين : نازل ومنزَل عليه وماذا أكَّدُوا ؟ لقد أكدوا أن النازل وحي ، وعلى مَنْ ؟ على النبي بهذه الصفة التي ينكرونها ، آالنبي ؟ نعم النبي ﷺ ومن غيره ؟ والقرينة الظاهرة تدل على أنه النبي ﷺ ، نزل الوحي ببراءة عائشة، وكذلك نقول نزل الوحي ببراءة محمد من الجنون والخيال المريض والإدعاء ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ التكوير : آية ٢٢ .

(٨) وحاصل هواهم أنهم يمتطّون مع نفسياتهم القلقة فيذهبون بإلقاء أخبارهم هذه هنا وهناك ، ولكن في داخلهم شئ ألَّب عليهم نفوسهم الظامئة إلى مثالب الإسلام ،فلم يُرِح عقولهم وقلوبهم ذلكم هو الشك في أمية الرسول ﷺ ، حيث زعموا أنه يقرأ ويكتب، ولقد علموا أن الأمي يستحيل عليه إعادة كلامه بنصه وحروفه ، فضلاً عن إعادة ما سمعه ، فكيف يخرجون من هذا المأزق الحرج ؟ إن ترددهم في الجهر بأن محمداً * يقرأ ويكتب أمر زاد نفوسهم القلقة قلقاً ، وزادها لظى على حقدهم وغيظهم لهذا الدين .

---

(١) الظلال عند آية ﴿ **هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم** ﴾ آل عمران آية ٦٦ ، ٤١٢/١ .

(٢) دائرة معارفهم : ١٥ / ٤٣٣ ، من طبعة طهران بوذر جمهوري .

* ﷺ .

إنه أمر يكلفهم نقل الجبال على ظهورهم ولا يستطيعون ، إن مؤداه قلب لحقائق الأشياء وطبيعتها * ، أمر نهايته إحلال السماء مكان الأرض ، وإحلال الأرض مكان السماء ، فمن ثم ظهر عليهم القلق هل يصرخون في وجه التاريخ ويقولون له : لا . إن محمداً يقرأ ويكتب ، فإذا فعلوا ذلك يحسبون أنهم يريحون أنفسهم وما دروا أنهم زادوها لظى تحرق عليهم البقية الباقية من عقولهم وقلوبهم .

لقد ادعوا أنه ﷺ نقل من اليهودية فكيف يؤيدون هذا ؟ والنقل يحتاج إلى معرفة لسان المنقول عنه وإلى مدارسة ، فاسمعهم يتخفون ويلبسون جناح الذل فلاهم صرخوا بها علانية دون التواء ، ولا هم مشوا مع الحقيقة التاريخية فترى أحدهم يأتيه الشك من كل مكان فيخنقه وأخيراً لفظ أنفاسه مكابرة وعناداً (إلى أن كلمة أمي معناها ** « الذي لا يكتب ولا يقرأ (في اليونانية « لا يكوس » وليس معناها الوثني (في اليونانية « اكسنيكوس » ورغم أن هذا الرأي مطابق لنص الاية الثامنة والسبعين من سورة البقرة [1] ، فأن ما عليه أكثر مما له ، ... وهناك عوامل لغوية تجعل من الصعب أن نقول إن كلمة أمي معناها « الذي لا يكتب ولا يقرأ » فلا الكلمة العربية « أمة » ولا العبرية « أمَّا » ولا الآرامية « أميتا » تدل على الأمة في حالة الجهالة ، واعتراض بول Buhl على تسمية محمد نفسه « النبي الأمي بمعنى الوثني » يفقد قيمته ، إذا عرفنا أن محمداً ربما لم يكن على بينة مما تدل عليه الكلمة أمي عند اليهود ، وأنه كما أشرنا إليه آنفاً ربما جعل لهذه الكلمة معنى جديداً ، .

وقد استدل قوم بأطلاق لفظ الأمي على محمد بأنه لم يكن يقرأ ولا يكتب ، والحقيقة إن كلمة « الأمي » لا علاقة لها بهذه لمسألة ، لأن الآية ٧٨ من سورة البقرة

---

* ولقد فعلوا ذلك حين قالوا « إن إبراهيم يهودي » فجعلوا اللاحق سابقاً ، والسابق لاحقاً ، والأب ابناً ، والابن أباً .

** هذا الكلام بدأ به نقلاً عن « بول » والشاهد سيأتي ، وهو أن محمداً فعلاً يقرأ ويكتب حتى يخرجوا من مأزق السؤال كيف ينقل وهولا يقرأ ولا يكتب ؟ ويردهؤلاء المستشرقون بكل سفاهة وغش، ومن قال إنه لا يقرأ ولا يكتب ؟ لا بل يقرأ ويكتب ، وهذه مصادمة للحقيقة عناداً واستكباراً ومكر السئ ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله .

(١) ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ﴾ .

التي تدعو إلى هذا الإفتراض ، لا ترمي الأميين بالجهل بالقراءة والكتابة ، بل ترميهم بعدم معرفتهم بالكتب المنزلة) [١]أهـ

كلام « فقاعات » لا تمكث أن يَذهب مع أدراج الرياح . فهو لم يتجرأ [٢] ويعلن بها بل راوغ وحاول ، وقلق نفسه يضغط عليه ، لكن حاصله أنه شكك تبعاً لقلقه النفسي أن محمداً « أمي » وهذه مصادمة للتاريخ ، فقوم رسول الله ﷺ لما جاءوا يلمزونه قالوا ﴿ اكتتبها ﴾ [٣] وقالوا عنه لما رأوا الحقائق التي يخبر بها ﴿ وليقولوا درست ﴾ الأنعام آية ١٠٥ ، وفي قراءة : ابن كثير وأبي عمرو ﴿ دارست ﴾ وفي قراءة ابن عامر ويعقوب ﴿ دَرَسَت ﴾ بفتح الدال والراء والسين [٤] (ومعناه انمحت وتقادمت ، أي إن هذا الذي تتلوه علينا ، قد مر بنا قديماً وتطاولت مدته) [٥] .

(فلو كان قومه يعلمون عنه معرفة شئ من القراءة والكتابة ، لكان لهم السبيل إلى نفي قوله ، ولقامت عليه حجتهم واضحة ظاهرة ، بل ما أظن أن أحداً مستقيم الفكر يتصور هذا الموقف ، وإنه مما يجوز وقوعه : موقف رجل يدعي لنفسه صفة بين قوم يعرفونه ، ويعرفون أحواله طفلاً ثم شاباً ثم رجلاً ثم كهلاً ، ثم هو يقرعهم بهذه الصفة التي ينسبها لنفسه ، بل يجعلها آية ومعجزة له تؤيد دعواه النبوة ، ثم لا يكون صادقاً فيما وصف به نفسه من أنه لا يقرأ ولا يكتب) [٦] .

(٩) مادام أنه أخذ من اليهودية والنصرانية فلماذا لم ينشروا ـ ولو كتيباً واحداً لمن سبقهم من اليهود والنصارى ـ يدل على ما قالوا ، بالرغم أنهم أجهدوا أنفسهم في

---

(١) بنصه ولفظه من دائرة معارفهم الإستشراقية ، مادة « أمي » ، ص ٤٢٦ ، ص ٤٢٧ .

(٢) الكاتب هو « بارية » .

(٣) أي طلب كتابتها .

(٤) القراءات العشر المتواترة ، مصدر سابق ، ص ١٤١ .

(٥) ابن كثير : ٢/ ١اي١٥ .

(٦) من تعليق الشيخ أحمد بن محمد شاكر رحمه الله على مادة « أمي » ص ٤٣٠ .

ثم بعد كل هذا نقول : إن القرآن وصف التوراة بأنها محرفة ، وهو ما أصبح علماؤهم الآن يقررونه ويأتون بأدلة التحريف التي لا تقبل الشك ، مثل رواية الخلق ، ورواية الطوفان ، ورواية عمر الدنيا ، وهكذا ، موريس بوكاي ١٤٢ ـ ١٦٨ .

نشر كتب الصوفية وأهل الأهواء والغناء والمجون ، واستماتوا في ذلك فلماذا استماتوا في نشر هذه الإتجاهات الفكرية المتعارضة ، ولم يستميتوا في نشر ما يثبت دعاواهم الباطلة وهي الأولى بالبحث والإستماتة والتنقيب ؟ [١]

(١٠) إن هذه الشبهات لا تعد شبهات بل هي كانت (منهم على سبيل الفرض لا القطع) [٢] وهي في حد ذاتها اتهامات وأباطيل ، لا يمكن - مهما بذلوا - إيجاد أدلة تثبت ذلك ، فهي افتراءات ، لأن تحرير لفظ « شبهة » لغة ينفي ويبعد صحة وأحقية دعاواهم وافتراءاتهم لمعاني الشبهة ، وذلك أن الشبهة أصلها الالتباس والاختلاط ، وهذا معناه بذل الجهد واستفاضة دراسة مسبقة من أجل الوصول إلى الحق ، والإختلاط إنما يكون في أصل اللسان ، الذي وقع فيه اللبس ، لكن هؤلاء هجموا على لسان غير لسانهم فادعوا مادعوا ، ولم يرجعوا إلى الأمر المعلوم المحقق عند ورود التوهمات ، وذلك (أن الموهوم لا يدفع المعلوم ، وأن المجهول لا يعارض المتيقن) [٣] فصارت دعاواهم افتراءات لا شبهاً ، لأنهم لم يبذلوا الجهد ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن الحق ، فانعدمت أهلية دعاواهم أن تكون شبهاً لأن أصحابها قصدوا من ورائها الإغراب والشذوذ ليصلوا إلى هدم الإسلام بآراء معلومة البطلان بالإضطرار من دين الإسلام ، وكان أقل ما ينبغي عليهم فعله أن يسكتوا ، فإن أبوا إلا كذباً فكان لزاماً عليهم أن يتخلصوا عن ذلك بالإحالة على غيرهم ممن يفقه اللسان العربي ، وسيعلمون أن عاقبة أمره الخسارة وإسقاط عقله وبيان كذبه حيث شك فيما لا يشك فيه ولا يرتاب ، وحيث جعل الحقائق تبعاً لعقيدته المستكنة في ضميره ، وهذا هو نهاية كل

---

(١) انظر المستشرقون والتراث ، د/ عبد العظيم الديب ، ص ٢٦

ويذكر الديب : أن هناك مائة وخمسة وعشرين كتاباً ضمن دراساتهم عن الصوفية وأهل الغناء والمجون والفرق ، انظر نفس الصفحة .

(٢) من تراث لغوي مفقود ، د/ الجندي ، مصدر سابق ، ص ٢٣٠ .

(٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله ، مطابع الصائغ الفنية ، بموافقة إدارة البحوث العلمية سنة ١٤٠٨هـ

والقاعدة السابعة والستون ، ص ١١٦ .

مفترٍ كذاب [١] ، لما يحصل بينهم من التفرق والإختلاف في دعاواهم هذه ، ولو كانوا صادقين فيما ادعوه لتوافقوا (رأيا ورواية من غير تشاعر ولا تواطؤ) [٢] فلما حصل بينهم تضارب في اخذ القران او اخذ الرسول ﷺ ممن سبقه علم منه انهم (قوم خصمون) بالرغم من ان هدفهم واحد وهو ابطال نبوة محمد ﷺ، فإن الأخذ من اليهوديه محصله أخذ ومأخوذ اذن هما اثنان ، هذه قضيه مفهومه لاعوج فيها ، لكن إذا أتينا الى إفاضة العقل الباطني فإنه ينفي الأخذ بالكليه ، فصار الأمر بين النفي والإثبات وهو أمر سلبي لا حقيقه له في الواقع [٣] ، بل لا يوجد إلا في أذهان هؤلاء الأعاجم ، ويعود إلى الحور ، والحور رجوع ، فلا بد من حقيقة لهذا المقروء الذي أعيا الجن والإنس ، وهو أنه كلام الله أنزله على عبده محمد ﷺ .

(١١) إن التخبط في وصفهم لرسول الله ﷺ دلَّ على فساد قولهم وفطرتهم ، فقذفوا بآراء باطلة ، دعاهم إلى ذلك معاندة الحق والصد عنه ، وهذا الوصف يعد بحق

---

(١) استفدت توضيح هذا المقصد من :

أ ـ طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول ،للشيخ السعدي رحمه الله ، ص ٩١ ، ط : دار الوطن ، ط : الأولى ، سنة : ١٤١٥هـ .

ب ـ كشف الشبهات عن المشتبهات للشيخ الشوكاني رحمه الله ، ص ٥٠ ، تحقيق : عادل السعيدان ، مكتبة الحرمين ، الدمام . بدون تاريخ الطباعة وعددها .

ج ـ مجموع الفتاوى : ١٣/ ٢٤٣ .

د ـ الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن العظيم والسنة النبوية ، لمحمد بازمول ، ص ٢٢ ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٩/ ٢٣٣ ، وانظر من نفس الجزء : ص ٢٢٩ .

(٣) بل يوقع في الضلال والحيرة ، لأن كلامهم يتقارع بعضه مع بعض ، ونتائجهم ينازع بعضها بعضاً فتطوحوا بين المتناقضات حتى جاءهم الموت وهم في ريبهم يترددون . انظر : القائد إلى تصحيح العقائد ، للشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني ، ص ٥٣ ، طبعة : المكتب الإسلامي ، الطبعة : الثانية ، سنة ١٤٠٢هـ ، بتعليق الشيخ محمد ناصر الألباني .

(أسخف التصورات الجنونية ، وأخبث الإفتراءات) [١] ويسوقون هذه الأوصاف ليبرهنوا ـ كما زعموا ـ (على بطلان الإسلام وحقيقة الديانة المسيحية) [٢] ، ويقصدون من وراء هذه التصورات أيضاً (مكافحة الخرافات المحمدية) [٣] ـ كما يزعمون ـ ، فلذلك توسعوا (في إعطاء الشروح والتفسيرات لها ، والبناء عليها صرحاً كاذباً من المعطيات والتخمينات) [٤] ، فهذه التفسيرات المتخبطة أصابت أنفسهم بالوساوس والأوهام ، فجاءت بشئ إدٍّ ، وارتكبوا حماقات ظاهرة ومخاطر ساقتهم إلى بوار كلمتهم واضطراب عقولهم ، فأصبحوا في حيرة من أمرهم ، ماذا يقولون وماذا يبقون ؟ مما كان سبباً في حرمانهم النور الذي سعوا لإطفائه ، ويأبى الله إلا أن يزيدهم هذا الحرمان حسرات عليهم وظلمات بعضها فوق بعض ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، بل كلما تسنى لهم طريق الخروج سدوه بأيديهم وأرجلهم ، وأغمضوا أعينهم عن الحق ، لما يركبهم من أهوال الحقد والضغينة ، فألجأهم (إلى قلب الحقائق وإيهام السامعين ، بقصد تحقيق مآربهم) [٥] .

وبعد : إن أهل الغرب يهوديهم ونصرانيهم يحسبون أنهم أفضل أهل الأرض في جميع المجالات وعلى جميع المستويات ، ومن ثم يرون أنهم ـ وحدهم ـ جديرون بكل خير في الأرض ، وأن كل خير يناله أحد غيرهم هو منتزع منهم شخصياً ولابد من حرمانه منه ، ومن ثم علموا أنهم لا قِبَلَ لهم بأدعاء هذا التوحيد الخالص الذي جاء به الإسلام أنه من عندهم ، وهم يعلمون هدم الإسلام لدينهم الوثني جملة وتفصيلاً ،

---

(١) الإسلام في تصور الغرب ، مصدر سابق ، ص ١١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٤) تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة ، من روايات الإمام الطبري والمحدثين ، د/ محمد أمحزون ، ١ / ٢١ ، طبعة : دار طيبة ، الرياض ، مكتبة الكوثر، الرياض ، الطبعة : الأولى ، سنة ١٤١٥هـ .

(٥) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ، مصدر سابق : ١ / ٤٥ . وانظر : للحق والحقيقة من كلام خير الخليقة ، للشيخ عبد الرحمن الدوسري ، رحمه الله ، تحقيق : مصطفى الشلبي ، ص٨٨، ٨٩ ، طبعة : دار المحمدي ، جدة ، الطبعة : الأولى، سنة ١٤١٥هـ.

فلذلك وجهوا كل إمكانيَّاتهم وصراعاتهم ضد الإسلام ورسوله ﷺ - عدوهم الأكبر - في هذه الدنيا حين أشعل شعله في قلوب أتباعه غير قابلة للإنطفاء "[١] ، - فتفننوا - وأجادوا في عرض الشائعات عن محمد ﷺ وهي أمور لا حقائق لها بالكلية "[٢] ، وقبل أن نذكر إشاعاتهم عن رسول الهدى ﷺ يجدر بنا أن نعرف موقف علمائنا المسلمين من إشاعات الكذب والزعم والقول الشائع :

يقول الإمام الخطابي رحمه الله وهو يشرح قوله ﷺ " بئس مطية الرجل زعموا " [٣]« أصل هذا : أن الرجل إذا أراد الظعن في حاجة والمسير إلى بلد ركب مطيته ، وسار حتى يبلغ حاجته ، فشبه النبي ﷺ ما يقدمه الرجل أمام كلامه ، ويتوصل به إلى حاجته من قولهم « زعموا » بالمطية التي يتوصل بها إلى الموضع الذي يؤمه ويقصده . وإنما يقال « زعموا » في حديث لا سند له ، ولا تثبت فيه ، وإنما هو شئ يحكى عن الألسن على سبيل البلاغ ، فذم النبي ﷺ من الحديث ما كان هذا سبيله ، وأمر بالتثبت فيه ، والتوثق لما يحكيه من ذلك ، فلا يرويه حتى يكون معزياً إلى ثبت ، ومروياً عن ثقة ، . وقد قيل : الراوية أحد الكاذبين »[٤] .

ويقول الإمام ابن حجر رحمه الله رحمة الله واسعة « إن الذي يتصدى لضبط الوقائع من الأقوال والأفعال والرجال يلزمه التحري في النقل فلا يجزم إلا بما يتحققه ، ولا

---

(١) انظر دراسات قرآنية للشيخ محمد قطب ، ص ٤٣٢ ، والكلمة الأخيرة من كلام المستشرق الأمريكي « ونتروب » في مقدمة كتابه « السيف المقدس » انظر : المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

وسيأتي معنا في استقراء أقوالهم أنهم اعترفوا بأن محمداً ﷺ جاء بالتوحيد الحنيفي، وكذلك نفوا أن يكون من عند النصارى أو اليهود بحول الله وقوته .

(٢) انظر نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها لأحمد بن عبد الرحمن الصويان ، من ص ٤٦ - ٤٨ .

(٣) انظر تخريجه في :سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ الألباني حفظه الله في طاعته ، ٢/ ٥٤٨ ، رقم الحديث : ٨٦٦ .

(٤) انظر هذا الكلام النفيس : مختصر سنن أبي داود ، ومعالم السنن ، وتهذيب الإمام ابن القيم ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ٢٦٦/٧ - ٢٦٧ ، مكتبة السنة المحمدية .

يكتفي بالقول الشائع ، ولا سيما إن ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح » [1] فماذا يقول المستشرقون إذا كان الطعن يوجه لسيد الخلق ﷺ ؟

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في « الرياض الناظرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة » « من الغلط الفاحش الخطِر قبول قول الناس بعضهم ببعض ، ثم يبني عليه السامع حبّاً وبغضاً ، ومدحاً وذماً ، فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة ، وكم أشاع الناس عن الناس أموراً لا حقائق لها بالكلية أولها بعض الحقيقة فنميت بالكذب والزور ، وخصوصاً من عرفوا بعدم المبالاة بالنقل ، أو عرف منهم الهوى ، فالواجب على العاقل التثبت والتحرز وعدم التسرع » [2] أظن موقف علمائنا واضحاً من أمثال هذه الشائعات ، والآن مع بعض شائعات المستشرقين عن سيد الخلق أجمعين ﷺ وفي نفس الوقت تخبطاتهم وتناقضهم في وصفه ﷺ :

١ ـ قالوا إن محمداً ﷺ قد جمع القرآن (من آثار الدينين السابقين عليه ، وهما اليهودية والنصرانية ، وأنه تلقى في تأليفه مساعدات أجنبية) [3]

---

(١) نقلته بواسطة : نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها لأحمد بن عبد الرحمن الصويان ، ص ٤٧ ، سلسلة المعالم .

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي ، مجموعة الثقافة الإسلامية رقم (٥) . المجلد الأول : ص٥٥٠ ، يروي د / عبد الله بن مبارك الخاطر التميمي رحمه الله ووسَّع عليه قبره تحت عنوان « مشاهداتي في بريطانيا ، خرِّيج كامبردج ، قصته مع مدرس الإنجليزي وكانت خلاصتها أن سأله ـ رحمه الله ـ ماذا تعرف عن الإسلام ؟ فأجاب : خميني وقذافي ، قال الدكتور ـ غفر الله له ـ فظننته يمزح ولكن تبين لي أن هذا كل ما يعرفه عن الإسلام ، مما جعل الدكتور يعلق بقوله ـ رحمه الله ـ « أما الذين يكثرون في مؤلفاتهم الأدبية والتاريخية من الاستدلال بأقوال المستشرقين ، فلينظروا ماذا يدرِّس المستشرق مثل هذا الخريج عن الإسلام ؟ مجلة البيان ، العدد الثاني ، صفر سنة ١٤٠٧هـ ، ص ٩٢ وصدق الدكتور ـ رحمه الله ـ إن الغرب لا يعرف عن الإسلام إلا التشويه المتعمد سماعاً بدون تحقيق .

(٣) الإسلام في تصورات الغرب ، ص١٢ .

٢ ـ وقالوا عن دين محمد ﷺ أنه دين ماجن أو دين سخيف [١]

٣ ـ وقالوا : إنه دين سئ جداً ، وضار بالمسيحية إلى حد بعيد ، فلذلك وجب أن يكتشفوا (أعماق الشيطان وحيله) [٢]

٤ ـ وقالوا : إن محمداً أخذ دينه من الديانة الفارسية (Parsismus) [٣]

٥ ـ وقالوا ـ وهو نفس قائل الشائعة رقم (٤) ويدعى (راينهات دوزي) [٤] « ليس شئياً * آخر غير الحنيفية القديمة ، أو التوحيد الحنيفي ، الذي حقق له « محمد » [ﷺ] عقيدة ثابتة ، وتنظيمات معينة ، وأشكالاً للعبادة ، وحقق له على وجه الخصوص تبريراً إلهياً ، وأما الشئ الوحيد في ذلك فقد كان هو ادعاؤه بأنه رسول الله » [٥] .

٦ ـ ويقول « دوزي » نفسه عن محمد ﷺ أنه « شخص مريض ، وكذّاب ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣ ، وكذا ترجمها د / زقزوق بالتخيير من كلام المستشرق « ريلاند » (١٦٧٦ ـ ١٧١٨) هولندي ، انظر : نفس المصدر ص ٢١ .

وهذا الكلام حكاه هذا المستشرق عن كثير من المسيحيين أنهم يتخيلون ذلك .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣ ، وذكر المستشرق السابق أنه مشهور بين الأوربيين أن (من يريد أن يصف نظرية من النظريات بوصف مشين نجده يصفها بأنها نظرية محمدية ، كما لو أنه لا يوجد في تعاليم « محمد » [ﷺ] شئ صحيح ، وأن كل ما فيها فاسد .) المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر : ص ٣٠ ، والقاموس يقول عن لفظة : parsi : زارادشتي متحدر من أصلاب اللاجئين الفرس المقيمين في بومباي وغيرها أهـ ص 660 .

(٤) (١٨٢٠ ـ ١٨٨٣) من أسرة فرنسية في هولندا .

* أي دين محمد ﷺ .

(٥) نفس المصدر ، ص٣٠ ، يبدو أن رسول الله ﷺ تجاوز الحد عند « دوزي » ولو أنه وقف عند الملة الحنيفية والتوحيد الخالص لكفاه فخراً ، لكنه أخطأ في إدعائه هذا الأمر العظيم .

وغشاش عن عمد »[١] .

٧ - وقال « سنوك هور جرونجه »[٢] عن رسول الله ﷺ أنه تصارع مع اليهودية والمسيحية في المدينة[٣] .

٨ - يقولون أنه يمزج الحقيقة بالأساطير (القصص غير التاريخية والعقائد الباطلة)[٤] .

٩ - (عرض « مرجليوث » في محاضرات (هيبرت (Hibbert)) في عام ١٩١٣م)* العناصر التي أسهمت في صنع المذهب المحمدي الأصلي . ويعد** (القرآن أساس الإسلام ، وفي أثناء حياة النبي كان يوحى إليه من وقت إلى آخر بآيات من النموذج الأصلي السماوي للقرآن ، وقد جعله ذلك في وضع يستطيع فيه أن يفصل في المسائل اليومية التي تعرض عليه بوصفه زعيم الجماعة الجديدة)[٥]

١٠ - وقالوا عن الإسلام أنه (النزعة التطهيرية Puritanismus) لمجموعة الأديان السحرية المبكرة كلها ، والذي ظهر في صورة دين جديد ، جاء حصيلة بشرية لتطور ديانات السحر ، وإنه لمن قبيل المصادفة أن تكون الحركة التطورية - التي

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣١ ، يبدو أن « دوزي » تداركته الحمى الصليبية فسحب بساط الثناء بأن محمداً ﷺ أتى بالدين الحنيف ، ومشكلته أنه يتخبط لا يدري أين يذهب ؟ فهو يقتنع أن رسول الله (صاحب عقيدة جيدة ، ومقتنعٌ بمهمته الإلهية مثل « بولس » أو أي شخص آخر) ص ٣١ بل هو يرى (أن إنهيار الإسلام [أمام المسيحية] أمر غير متصور ، وأنه بالأحرى سيعيش طويلاً ثابت الأركان) ص ٣٣ .

(٢) مستشرق هولندي (١٨٥٧ - ١٩٣٦) أهـ من ص ٣٥ نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر : ص ٣٦ ، كيف هذا - وهما في نظر المستشرقين الأم الرؤوم للإسلام ؟ وصراع الرسول ﷺ مع المسيحية أمر أحدثته قريحة « سنوك » .

(٤) رؤية إسلامية ص ٣٠ .

* وضعتها بين قوسين .

** مرجليوث المستشرق الإنجليزي (١٨٥٨ - ١٩٤٠) يرى أن القرآن وحي يوحى كما فسره بعده .

(٥) نفس المصدر : ص ٤٦ .

كانت الظروف في العالم السحري قد تكاملت لظهورها ـ قد انطلقت من عند رجل من مكة ، وليس من عند رجل من القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح (Monophysit) أو من عند رجل من اليهود) [١] .

١١ ـ قالوا : إنه حلقة وسطى وضرورية بين عبادة الأوثان والمسيحية ، أو يعد صورة من صور الوثنية [٢] .

١٢ ـ القرآن من البداية حتى النهاية عمل فريد ورائع [٣] .

١٣ ـ إن ظاهرة الوحي التي كان يدعيها محمد ﷺ كانت عبارة عن نوبات من الصرع تعتريه بين الحين والحين [٥] .

١٤ ـ إن القرآن خرافة من الخرافات المحمدية ، يشبه الصورة الخاصة لكل من الكفار والزنادقة والإباحيين [٦] .

١٥ ـ إن ديانه محمد ﷺ ديانة متناقضة ، والمعرفة الدقيقة بالإسلام وأتباعه ستجعلنا* نضع مكان الكبرياء الساذجة الإحساس بالشكر لله الذي أنعم علينا من

---

(١) نفس المصدر : ص ٥٢ ، ص ٥٣ ، والقائل هو « شبنجلر » مستشرق ألماني (١٨٨٠ ـ ١٩٣٦) والحمد لله الذي أنطقه ، فهذه المرة اعترف (أسطون من أساطينهم) أنه ليس من النصرانية أو اليهودية ، وصدق الله ﴿ وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ .

(٢) نفس المصدر : ص ٥٥ .

(٣) نفس المصدر : ص ٥٦ وهذا كلام المستشرق الفرنسي « دي كاستريز » ولم يذكر له ترجمة إلا أنه قال عن المستشرقين الذين شهدوا لـ« كاستريز » أنه يعرف بالصدق الذاتي . ص ٥٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ٨٠ .

(٦) ص ٨٣ ، ص ٨٤ .

* هذا من كلام المستشرق الهولندي « هادريان ريلاند » (١٧٧٦ ـ ١٨١٨)

فضله بالمسيحية [(١)] * .

١٦ - إن محمداً ﷺ يعتبر واحداً من الحكماء ، حين قام بتمدين شعبه وأنشأ ديناً عقلياً [(٢)] .

١٧ - إن محمداً جاء بدين لا يوجد فيه أي شئ طيِّب ، وذلك أن محمداً ﷺ أكثر الناس شراً ، وبأنه عدو لدود لله [(٣)] .

١٨ - إن محمداً ﷺ مضلّل ، ويمثل التعصب الديني ، منافق لا يعرف الحياء ، وظالم تدفعه النوازع الحسية والتعطش للدماء [(٤)] .

١٩ - إن محمداً ﷺ هو « الرجل العظيم الذي جمع في شخصيته بين الفاتح المشرع والحاكم والكاهن ، والذي لعب أعظم الأدوار التي يمكن أن يلعبها إنسان على ظهر الأرض » .

٢٠ - « إن محمداً [ﷺ] يمكن أن يرى أيضاً في أعين غير المحمديين بأنه رسول الله » [(٥)] .

٢١ - إن محمداً ﷺ لا يستطيع المرء أن يرى فيه إلا مخادعاً ذكياً أو عبقرية

---

(١) ص ٨٤ . وصدق الله ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ أي شكرهذا أمن أجل دعواهم أن لله ولداً وصاحبة ! تعالى وتقدس ، أم من أجل قولهم إن الله هو المسيح بن مريم ! أم من أجل قولهم إن الله ثالث ثلاثة !؟

* نقول لهذا : اقرأ كتاباً مثل اسطورة التجسيد الإلهي في السيد المسيح الذي ألفه مجموعة من رجال الدين النصراني فقد نقضوا النصرانية التي تنسب الولد لله ، تماماً ، فهل هذه المسيحية التي نقضها أهلها بمثل ما جاء به القرآن تقريباً تعتبر نعمة .

(٢) ص ٨٥ قارن هذا بقولهم إنه خرافة ، كيف يكون عقلياً ومع ذلك هو خرافة ؟

(٣) ص ٨٦ .

(٤) إن رقم ١٨ ، ١٩ ، كليهما من أقوال « فولتير » فيلسوف فرنسي (١٦٩٤ - ١٧٧٨) ، وفولتير كان يعد من الملاحدة حيناً ومن منكري النبوات عامة في كثير من الأحايين ، انظر : ص ٨٧ ، ٨٨ ، نفس المصدر .

(٥) ص ٨٩ .

طموحة ، لقد كان مقتنعاً أنه قد أنتدب لتخليص شعبه من الضلال والعمل على إحيائه ، فعلى هذا الأساس لا بد من الدراسة العميقة لتاريخ « الكنيسة »[١] المحمدية .

٢٢ ـ لابد أن نفرق بين « تعاليم محمد » وبين « الإسلام الذي إنبثق عنها ، وذلك أن الإسلام شئ ، وتعاليم محمد شئ آخر ، على إعتبار أن الإسلام قد طرأت عليه تطورات مختلفة[٢] .

٢٣ ـ إن محمداً ﷺ كان ضحية للشيطان ومصاب بالهستيريا[٣] .

٢٤ ـ إن محمداً ﷺ يعتبر أحد قطاع الطرق ، وقد أصابه مس من الشيطان ، ويقوم بفعل كل نوع من أنواع الأفعال الدنيئة والتضليل[٤] .

٢٥ ـ إن محمداً ﷺ قد أكلته الخنازير ذات يوم عندما كان مخموراً ، وهو مسيحي سئ أي زنديق مارق ، ولقد كان كاردينالاً يمني نفسه بمنصب البابوية ، فلما لم يظفر بمراده أسلم نفسه للشيطان والانغماس في المتع والخديعة[٥] .

---

(١) ص ٩٠ ، وأي كنيسة في الإسلام ؟ لقد عرف كل المستشرقين أنه لا توجد في الإسلام مؤسسات كهنوتية لها سلطات روحية على أتباعها ، كما هو الحال في كنيسة أوربا أهـ ص ٩٠ .

(٢) ص٩٠ ، وهنا نلحظ أنهم خلطوا بين الإسلام وبين الفكر الإسلامي، وهذا يدل على غاية جهلهم المركب المطبق ، فهل افتراءاتهم فعلاً تستحق تسميتها بالشبهات ؟
فهذا من الخطأ أن يأخذوا مصطلحاً له دلالته وتفسيره على حالة معينة ثم يطبقوه على أمور عندنا ، فالتطور وقع في المسيحية لا في الإسلام ! أهـ من معنى كلام للشيخ مصطفى حلمي في إحدى محاضراته في الدراسات العليا في مادة الأديان .

(٣) ص ٩٢ ، وهنا نلحظ الإسقاط النفسي فيأخذون مصطلحات متأخرة ويسقطونها حسب مفاهيمهم على العصور المتقدمة ، وهذا ضرب من الضلال والإضلال بل يجزم الباحث بعدها أنهم ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ .

(٤) ص ٩٥ ـ ٩٦ .

(٥) ص ٩٦ ، وهل كان يوجد في جزيرة العرب خنازير ؟ وهل كانوا يعرفون أمثال مصطلح الكاردينال والبابا ؟ .

٢٦ - إن نبي الأتراك مزيف ، وجاء بأباطيل ورذائل وتضليل وتفاهة ووحشية تعاليمه المضحكة [١].

٢٧ - إن محمداً ﷺ كان يحس بأنه ليس إلا مبلغاً للوحي الإلهي الثابت المكتوب ، ومن أجل ذلك وضع شخصه في الخلفية على نحو يتسم بالخضوع ، ثم أصبح بالتدريج يعتبر ما يبدو له من أفكار وقرارات أنها وحي الله [٢] .

٢٨ - إن محمداً ﷺ نتيجة التقديس الخرافي * الذي كان يقوم في العصور القديمة للرجل القديس اقتنع أن رسالته جاءت عامة للعالم كله ، وأن دينه يجب أن يظهر على كل الديانات الأخرى ، وأنه هو نفسه « خاتم النبيين ، وأفضل الأنبياء وآخرهم »، وأن معجزاته ورواياتها هي أساطير وأقاصيص دوائر الحضارة الهيلنية أي اليونانية [٣].

٢٩ - إن محمداً يعد المنفذ الوحيد للقدرة الإلهية ، وأنه المثل الأعلى لكل مجالات الحياة الأخلاقية ، وأنه وسيط بين المذنبين من الناس وبين الرب الرحيم ، وأن تقديس النبي تمت عن طريق الصوفية بتأثير شيعي [٤] .

٣٠ - إن المحمديين لم يكونوا يجلون محمداً ﷺ لمجرد كونه نبيهم ومؤسس دينهم ، بل كانوا يعبدونه بوصفه يمثل الألوهية ، ومع ذلك فدين محمد ﷺ دين الشرك وتعدد الألوهية حيث كانوا - أي المحمديون - يمارسون عبادة التماثيل بطريقة فظة ، ولا غرابة فهو أمي وراعٍ سابق للإبل والحمير [٥].

---

(١) ص ٩٧ ، وهنا نضع أيدينا على كلمة « الأتراك » حين دوخوا العالم الأوربي وأرعبوهم فلا غرابة في هذا الكلام المضحك . إنها « أساطير من وحي الخيال ، ولا تعتمد على أية معرفة حقيقية بالإسلام ونبيه » ص ٩٦ .

(٢) هذا الكلام المضطرب لـ « تور أندريه » (١٨٨٥ - ١٩٤٧) مستشرق سويدي . ص ١٠٥ .

* يقصد من أصحابه رضوان الله عليهم ، وهل كانوا يقدسونه مثلما تخيل هذا الأفَّاك .

(٣) ص ١٠٧ -١٠٨ ، هكذا قال ﷺ ولا زال الواقع يصدقه أن رسالته عامة لكل العالم .

(٤) ص ١٠٩ .

(٥) ص ١١٧ - ١١٨ ، في الجزء وضع النصرانية أمامه ثم أسبغ أوصاف النصارى المبدلة على المسلمين .

٣١ - قالوا إن محمداً - ﷺ - زنديق ، وأنه آريوس أسوء من آريوس الأول [١] .

٣٢ - كان محمد - ﷺ - نفسه يؤمن بعقيدة الخلاص المسيحية ، كما أنه يعد لدى الوثنيين خالق هذا العالم وحافظه ، وأنه في نظر المسيحيين ليس طاهراً من الذنوب أثناء حياته الأرضية [٢] .

٣٣ - لم يعد محمد - ﷺ - يظهر بوصفه إلهاً وإنما بوصفه نبياً ومؤسساً للإسلام [٣] ، وهذه كلمة « دائرة المعارف الإسلامية » حين قالوا في مادة « محمد » من الأصل الإنجليزي [٤] (Muhammad , the founder of Islam)

٣٤ - إن محمداً - ﷺ - أداة الله التي قضى بها على العبادة الباطلة وأحل محلها العبادة الحقة ، فهو داعية إلى الدين االطبيعي [٥] ، وأما الضرر الذي ألحقه محمد بالمسيحية فهو ينسب إلى جهله أكثر مما ينسب إلى خبثه [٦] .

٣٥ - لقد وصفوا محمداً - ﷺ - بأنه منافق ، مستبد ، تحركه الشهوات

---

(١) آريوس الأول قسيس (٢٧٠ - ٣٢٦م) وقد ذهب إلى أن المسيح غير مساو للأب وأنه مخلوق بأرادة الأب ، انظر ص ١٢١ من الإسلام في تصورات الغرب .

يعلق الأستاذسيد قطب رحمه الله رحمة واسعة على ذكر « الاريوسيون » فيقول (وكثيراً ما ذكر « الآريوسيون » على أنهم «موحدون » وإطلاق اللفظ هكذا مضلّل فالآريوسيون لا يوحدون التوحيد المفهوم من دين الله الحق ، إنما هم يخلطون ، فبينما هم يقررون أن المسيح ليس أزليّاً كالله - وهذا حق - يقررون في الوقت نفسه أنه (الابن) وأنه مخلوق من (الأب) قبل خلق العالم ، وهذا لا يعتبر من « التوحيد » الحقيقي في شئ) أهـ في الظلال : ٣ / ١٦٣٩ وصدق رحمه الله صاحب الظلال ، ومن تأمل كلام زقزوق السابق سيجد مصداقية كلام السيد رحمه الله .

(٢) ص ١٢٤ ، من الإسلام في تصورات الغرب .

(٣) ص ١٢٥ من نفس الكتاب .

(٤) P .639 . ومعناها محمد مؤسس الإسلام .

(٥) ص ١٣٠ ، الإسلام في تصورات الغرب .

(٦) ص ١٣٠ ، ص ١٤١ .

الحسية [١] .

٣٦ ـ وقالوا إنه رسول من رسل الفضيلة ثقفته الطبيعة ، لم يعتمد على عون من جانب العلوم [٢] .

٣٧ ـ إن محمداً هو المجدد للدين الحقيقي لإبراهيم [٣] .

٣٨ ـ وقالوا : إن محمداً ـ ﷺ ـ الداعي للإله الواحد ، وبأنه أستاذ في الدبلوماسية ، وبأنه رجل دولة وقائد جيشي عبقري [٤] .

٣٩ ـ يقول « توماس كارليل » المستشرق الإنجليزي (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) أن محمداً ﷺ كان (نفساً عظيمة وهادئة ، لقدكان واحداً من هؤلاء الذين استطاعوا أن يأخذوا الأمور بجدية ، والذين وجهتهم الطبيعة نفسها لكي يكونوا

---

(١) ص ١٤٣ .

(٢) ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، انظر إلى لفظة « الطبيعة » إنهم لا يؤمنون بالغيب ، ولكن ابتلوا بهذا الرجل ﷺ فجعلهم حيارى خبالى ، ومع ذلك فقد شهد له ـ فولتير ـ قائل هذا الكلام الآنف، بأنه لم يعتمد على عون من جانب العلوم ، فماذا بقي لهم ؟ إنها فلتات يظهرها الله على ألسنتهم ليخرجوا الحقيقة المستكنة في ضمائرهم حيث يعلمون أنه رسول الله ﷺ .

(٣) هذا كلام المستشرق الألماني « ليسنج جوتهولد افرايم » (١٧٢٩ ـ ١٧٧٨) ص١٤٧ فلتات يظهرها الله من ألسنتهم .

(٤) ص ١٥٠ ، الإسلام في تصورات الغرب ، هذا التناقض بين دعواهم أن رسول الله مجنون ، والأخرى عبقري ، يذكرني بقاعدتهم التي تقول : (بما أننا نحن المسيطرون ونحن الأقوى إذن فأفكارنا صحيحة) مجلة البيان ، العدد١٧ ، ص ٤٢ ، ومن الهزيمة النفسية أننا إذا أردنا الدفاع عن الإسلام استشهدنا بكلام لأحد المستشرقين ، شريط : المستشرقون للدكتور / النملة وانظر عدد البيان الماضي . بل يؤكد حفظه الله أن بعض المفكرين الإسلاميين ألف كتاباً من أقوال المستشرقين سماه «قالوا عن الإسلام» وبحثت عنه فإذا هو للدكتور / عماد الدين خليل . يبين فيه كل مامدحوا به الإسلام ، وهكذا انفسح لهم المجال بأن يتحكم سفهاء البشرية في مدح وذم سيدنا رسول الله ﷺ ، بل يتحكمون في فهم ديننا كما يحلو لهم بدون رقابة،انظر مجلة البيان،عدد ١٨ ، ص٤٠.

مستقيمين) [١] ، فإذا كان محمدٌ نفساً هادئة فسببها تخلقه بأخلاق القرآن ، فماذا قال هذا المستشرق عن القرآن ؟ قال :

٤٠ ـ (إنه بلبلة ثقيلة ومحيرة ، فهو ساذج ومجدب ، يشتمل على تكرير وإسهاب وتشابك لا حد له ، وهو جاف وغير ناضج * ، وبأختصار هو سخف لا يطاق) [٢] .

٤١ ـ يقول (آرنست رينان ، المستشرق الفرنسي ١٨٢٣ ـ ١٨٩٢) إن الإسلام (دين طبيعي ** عقلي يتصف بالجدية والليبرالية والبرود) [٣] .

٤٢ ـ إن دين الإسلام كان (محاولة لشكل من أشكال الاشتراكية ليواجه ما كان سائداً إلى حد بعيد من أحوال أرضية سيئة معينة) [٤] .

وبعد هذا يقول « نولدكه » (إن آثار تهور الشباب لا يمكن محوها كلها إلا بأعادة النظر فيما كتب ، أو الإبتداء بوضع تآليف جديدة تعفي أثر القديمة ، فأن كثيراً من المسائل التي كنت أعتقد بصحتها قليلاً أو كثيراً استبانت لي فيما بعدُ غير

---

(١) ص ١٥٤ من الإسلام في تصورات الغرب .

* إنهم يتخيلون إسقاطات نفسية ، وأنا من حقي أن أتخيل أن « كارليل » تلفظ بهذه الألفاظ وهو جائع ، فالجفاف وعدم النضج عادة في عالم الفاكهة ، وفي الجملة إنها كلمات ممجوجة سماعاً وفهماً . ولكن صمتاً فقد نطق السادة إذن كل ما يقولونه ويفكرونه صحيح ١٠٠٪ ، فما علينا إلا التنفيذ ، فهم يملكون « زر » التحكم في فتح وغلق الذم والمدح .

(٢) ص ١٥٤ نفس المصدر .

** عندما أقرأ هذه الكلمات ينطلق خاطري إلى عالم «العصيرات » هذه هي النفسية التي فهمتها عن المستشرقين « كوكتيل » .

(٣) ص ١٥٩ ، نفس المصدر ، مفاهيم غربية يسقطونها فالليبرالية التحررية مذهب نشأ متأخراً إذ من المعلوم أن الإنكليزية لم (تتخذ لغة رسمية إلا متأخراً) أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي ، د/ يوسف عز الدين ، ص ٤٣ . دا الصافي ، الرياض ، ط : ١ سنة ١٤١٠هـ .

(٤) ص ١٧١ ، نفس المصدر .

أكيدة) [١].

فهذه الكتابات كان يتجاذبها النزعة العرقية الباطلة ، والنزعة الصليبية في عقولهم الباطنة ، وكان يعتورها فقدان القناعة بمصداقيتها لمجيئها عن طريقة استقرائية غير مستوفاة بل معدومة الأصول والوسائل لتعسفها في التعميمات وأخذ السماع قاعدة مسلمة دون تمحيص ولا رجوع ، فأصبحت كتاباتهم « حاطب ليل » قَلَّبت أوضاع الأشياء ومسائلها ، مما نتج منها إصدار الأحكام دون السماع إلى الجانب الآخر ، وهذا أدعى إلى الريبة ، لنبذهم السماع من الجانب الآخر وهم قادرون على ذلك فهم بهذه التناقضات في كل شئ له صلة بالإسلام (لا يقنعون أحداً بصدق هرائِّهم إلا إذا كان مثلهم في الغباء وخفة الأحلام) [٢] وذلك أنهم جعلوا أنفسهم أسارى المفردات الغربية والإسقاطات النفسية ، فخاضوا لجاجة وجدلاً ، أحاطت بهم أوهام خيالاتهم ، وقيَّدهم غرور بمدنيتهم غروراً لا يُفيقون من سكرته التي طمست بصائرهم وكَلَّت إلهامهم إلا من استخبار ألفاظ بيئاتهم [٣] واستيحاء رموز كهنوتهم فأطلقوا أمثال هذه الألفاظ - بابا ، كاردينال ، التقاليد الغربية ، الإشتراكية ، الخنازير ، الخمر ، الهستيريا (منوخوليا) ماجن ، مساعدات أجنبية ، النزعة التطورية ، الطبيعة الواحدة * ، الطبيعة ، المحمديين ، تطور الأديان ، الحضارة الهيلينية ، عقيدة الخلاص ، استبدادي [ديكتاتوري] ، الدبلوماسية ، الليبرالية ، الدين الطبيعي ، العقلانية على عصر الرسول ﷺ ** .

هذه الألفاظ عندما يسمعها عوام المسلمين تبدي سخريتهم بعقول المستشرقين فضلاً

---

(١) عن طريق الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ، مصدر سابق ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .
والأستاذ نذير حمدان نقله من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مجلد٢١ ص٢٥٣.
ونولدكه : مستشرق ألماني عاش (١٨٣٦ - ١٩٣٠)

(٢) الفصول ، للعقاد : ص ١٢٧ .

(٣) انظر الفصول ، ص ١٢٦ - ١٢٨ .

* هذا بالنسبة لعيسى بن مريم الذين يقولون عنه أنه ذو طبيعة واحدة ، وأما الطبيعة الثانية فهي البسيطة ومصطلحهم هو (Nature).

** هذه متعلقة بـ « فأطلقوا مثل هذه الألفاظ : على عصر رسول الله ﷺ ... »

عن علمهم بافترائها قبل علمائهم ، وذلك أن العناية والإهتمام بالسيرة النبوية احتلت في نفوس المسلمين منزلة أرفع بذلوا في سبيلها أوسع وأقصى الوسائل والغايات ، وقدموها على النفس والمال ، حفاظاً عليها وعناية بها ، لأنهم يدعون إلى الإقتداء بها واتخاذها أسوة ، وهذا في حد ذاته يقتضي أن تكون محفوظة ومختصة بالبقاء والدوام ، ولذلك إذا نظرنا بعين متجردة من الهوى والشهوة الخفية إلى سر حفظ السيرة النبوية لوجدنا أنها تحمل آية قاطعة وحجة دامغة على صدق نبوة محمد ﷺ ، وهذه حقيقة يشهد لها التاريخ وتؤيدها البراهين والدلائل ويقف عندها المحققون موقف العجب والاستغراب ، وتأبى عليهم نفوسهم إلا أن يخضعوا إلى أن (الدوام والبقاء لم يتح إلا لسيرة آخر المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ ، أما غيره من الأنبياء فلم تختم النبوة بأحد منهم ، ولم تكن سيرتهم خالدة ، بل ولا محفوظة ، وقد ارسلوا إلى أممهم خاصة ، وإلى زمن خاص بأجل مسمى ، فكانت حياتهم أسوة للذين أرسلوا إليهم في عهدهم ، ثم نسيت تلك السيرة وامَّحت بكرِّ الليالي ومرور الأيام ، وقد جاء في رواية إسلامية أن الله أرسل من الأنبياء عشرين ألفاً ومائة ألف [1] .

---

(١) يشير إلى حديث أبي ذر قلت : يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال ﷺ :" ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً " وفي رواية عن أبي أمامة ، قال أبو ذر قلت : يارسول الله كم وفاء عدد الأنبياء ؟ قال : " مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً " رواه الإمام أحمد انظره في مشكاة المصابيح ، حديث رقم ٥٧٣٧ ، ٣ / ١٥٩٩ ، وصححه الشيخ ناصر الألباني . وذكره الإمام ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ﴾ ١/ ٥٢٢ ، وقال بعدما ساق روايات متعددة (وسياق رواية الإمام أحمد أثبت وأولى بالصحة ، ورجال إسناد هذا الحديث لا بأس بهم) أهـ ١ /٥٢٤ ، وقال الإمام ابن حجر في الفتح : ٦ / ٣٦١ في أول شرحه كتاب : أحاديث الأنبياء « صححه ابن حبان » وانظر : مرويات الإمام أحمد في التفسير : ١ / ٤١٦ ، جمع وتخريج الشيخ حكمت ياسين ، ويقول الشيخ ابن جبرين (ولكن الأحاديث في الباب لاتخلومن ضعف على كثرتها ، والأولى في ذلك التوقف) أهـ فتاوى إسلامية جمع وترتيب محمد عبد العزيز المستد، ٤١/١ ، دار الوطن ، الرياض ، ط٢:سنة ١٤١٤هـ، والتوقف في حصر العدد لا في كثرة الأنبياء .

إنه ما من بلاد ولا أمة قبل مبعث محمد ﷺ إلا جاء فيهم نبي ، وإذا كان عدد الأنبياء على ما في تلك الرواية الإسلامية عشرين ألفاً ومائة ألف فكم نبياً منهم نعرف أسماءهم ، هل نعرف من سيرتهم كثيراً أو قليلاً ؟ نعرف اسمه ؟ والذين نعرف أسماءهم هل نعرف من سيرتهم كثيراً أو قليلاً) [١] فهل هذا الحفظ الذي حظيت به تعاليم النبي ﷺ بشرياً ؟ فإذا كان بشرياً فلماذا لم تحفظ تعاليم موسى وعيسى على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ؟ بالرغم أن أتباعهم يقاربون نصف العالم اليوم ، وهُما أعظم متبوع بل هما أعظم أنبياء بني إسرائيل ، فلو كان الأمر كما قال هؤلاء المستشرقون فلماذ لم تضع تعاليم محمد ﷺ إذا كان أخذ من اليهودية والنصرانية ؟

وإذا نظرنا من زاوية أخرى وهي أن حياة رسول الله ﷺ وسيرته أضحت في أذهان الغربيين سواء أكانوا مادحين أم ذامين حقيقة قائمة بنفسها كما لا يشكون في وجود السماء والأرض ، بينما نجد بعضهم شك في وجود عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بل (أخذوا يتساءلون : هل وجد االمسيح حقاً ؟ أو أن قصة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا وأوزوريس وأتيس وأدنيس ودونيسيس ومتراس ؟ ...... وفي إنجلترا أدلى و . ب . سميث W.B.Smith و ج. م . رُبوتسن J.M.Robertson بحجج من هذا النوع أنكر فيها وجود المسيح) [٢]

(يقول السير ـ آرثر فندلاي ـ في كتابه (الكون المنشور) صحيفة ١١٩ : .... ويجب أن يعلم كل إنسان أنه لا توجد وثيقة أصلية واحدة متعلقة بحياة عيسى) [٣] ، بل إن نقدة العلماء الأمريكيين ذهبوا مذهباً بعيداً حين أنكروا وجود المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، مدعين أن هذا كله من الأساطير ، وأن ولادة عيسى

---

(١) الرسالة المحمدية ، وهي ثماني محاضرات في السيرة النبوية ، لسليمان الندوي ، نشر مكتبة الفتح ، دمشق ، توزيع المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠١ هـ ص ٤٥ . وكلمة « نعرف اسمه » كلمة مضطربة وكذلك ما بعدها ، ولعله تكرار والله أعلم .

(٢) إبراهيم خليل أحمد ، محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٨٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٠٠ .

ووفاته ودين التثليث هو بقية من بقايا وثنية الروم واليونان ، حيث إن أممهم كانت تدين بمثل هذه الأفكار في آلهتهم وأبطالهم القدماء ، واستمر (الجدل أشهراً حول وجود عيسى عليه السلام في مجلة (روبرت كورت) التي تطبع في شيكاغو ، ودار البحث عما إذا كان للمسيح وجود تاريخي أم هو مما ابتدعته أوهام القدماء من الأمم السالفة واختلقته إختلاقاً) [1] .

فإذا كان هذا موقف نقادهم من إلههم - يسوع - حيث أدخلوه في دائرة العدم ، أو ترددوا في وجوده وعدمه ، وهذا يعتبر في الحكم العقلي سلباً ، فهل يصح أن من أضحت حياته حقيقةً كعين الشمس يأخذ ممن هذا شأنه * ؟ فضلاً عن أن يأخذ من أساطير وأوهام بل من ديانة شبيهة بالوثنية الفرعونية ، ديانة أثبت العلم أنها أقرب إلى الديانة الهندية من أن تكون سماوية كما حقق ذلك العلامة محمد طاهر التنير رحمه الله المتوفى سنة ١٣٥٢هـ [2] ، في كتابه الفذ (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) [3] يقول رحمه الله في مقدمته (وإننا لم نأت بشئ جديد من عندنا ، بل جئنا بحقائق راهنة ، ومن يشك بواحدة منها فما عليه إلا أن يراجع مصدرها الذي ذكرناه عند كل مادة ويحث ليرى الحقيقة واضحة لا تحتاج لبيان أو تفسير ، ومن الصدف الغريبة أن جميع الكتب التي استشهدنا بها هي تآليف لمشاهير علماء النصارى الأوربيين) [4] .

---

(١) سليمان الندوي ، مصدر سابق ، ص ٥١ ، وانظر ، ص ٥٠ .

* مع أخذنا في عين الإعتبار أننا لانصدقهم فيما إدعوه من إنكار وجود عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة . ولكننا نؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله المبرأ مما وصفه به النصارى .

(٢) انظر التعريف به ص ١٠ من مقدمة كتابه المذكور ، وأما أنها شبيهة بالوثنية الفرعونية فقد ذكرها السير آرثر فندلاي في كتابه « الكون المنشور » صفحة : ١٥٧ عن طريق الأستاذ : إبراهيم خليل أحمد ، مصدر سابق ، ص ١٠٢ .

(٣) من منشورات مكتبة ابن تيمية، الكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٨هـ ، نشره وعلق عليه ونقحه وقدم له : محمد بن إبراهيم الشيباني .

(٤) ص ٣٤ .

ولما كان هذا شأن النصرانية المحرفة وآمن النقاد أنها خرافات وأساطير وقع العراك الشديد بين الحركة العلمية التجريبية في بلاد أوربا (وبين القسس النصارى الذين كانوا قد بنوا عقائدهم الدينية على أسس الفلسفة والحكمة اليونانية القديمة ، وكانوا يزعمون أنه إن جاء التحقيق العلمي والإجتهاد الفكري الجديد يصطدم بتلك الأسس ويهدم ركناً من أركانها فأن الدين بنفسه سينهدم ويتسوى بنيانه مع الأرض .

فهذا الزعم الخاطئ جعلهم يخالفون الحركة العلمية الجديدة ويستخدمون القوة والعنف لمنعها والصد عنها .... ولكن هذه الحركة التي كانت نتيجة نهضة حقيقية راسخة الأصل بقيت تقوى وتنمو على رغم أنف الشدة والقهر ، إلى أن طغى سيل الحركة الفكرية في البلاد وذهب تَيَّارُه بالسلطة الدينية) [١] ، فلو أن الإسلام دين محمد ﷺ - مجدِّد دين إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - أخذ من هاتين الديانتين أفلا يكون عرضة للعراك ، بل يكون أشد تصادماً بينه وبين العلم التجريبي ، ولا سيما أنه كما زعموا دين فرعي لا أصلي ، مبني على ما قبله ، والفرع مهما أخذ من الأصل فهو للضعف أقرب وبالعراك أجدر ، فلماذا لم يقع التعارض في الإسلام بينه وبين العلم التجريبي مثل ما وقع في النصرانية واليهودية ؟

إن هذا في حد ذاته دليل قاطع ونور ساطع أن ما زعموه وهم وخيال أشربته قلوب وعقول المستشرقين والغرب كله .

فلو كان بشرياً لتمكنوا من إثبات أية أخطاء علمية فيه ، ولوجدوا فيه أخطاء الإتسان كما وجدوا في التوراة والإنجيل [٢] ، وصدق الله ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ النساء : آية ٨٢ .

وهذا أمر يدركه العقل السليم الذي (يستطيع أن يَصل إلى الحقيقة في نطاق

---

(١) أبو الأعلى المودودي ، نحن والحضارة الغربية ، ص١٥ - ١٦ ، الدار السعودية ، جدة ، طبعة سنة ١٤٠٤ هـ .

(٢) انظر : الإسلام وحاجة البشر إليه ، للدكتور : رفعت فوزي عبد المطلب، سلسلة بحوث إسلامية هامة ، رقم ١٦ ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦ هـ ، ص ٢٨.

البحث الذي يقوم به ، بدون أن يعرف قواعد الإستدلال) [١] ، ولكن صرف عقولهم عن ذلك دخولهم بتصورات سابقة وأفكار مأفونة ، أضَرَّت بعقولهم ، وأدَّت بهم إلى أحكام مُخْتَلَّة ، وتصورات مريضة ، وإلا فليفسروا لنا لماذا لم يرد في شعر العرب ما يؤيد دعواهم * ؟ كيف ؟ وقد جاءت العرب المسيحية من الشمال ومن الجنوب ، (وأسرعت اليهودية إليهم وهي تحمل التوراة المحرفة ، فأنكروها ، ووقفوا ينظرون إليها بأزدراء ، بل ولّوا ظهورهم لجماعة منهم أعلنوا أنهم « حنفاء » على ملة إبراهيم حنيفاً ، مختتنين ، متخذين الوحدانية ديناً لهم ،) [٢] أفليس محمد ﷺ من هؤلاء العرب يحمل الأنفة والإباء ؟ فكيف استثنى المستشرقون هذا السيد المبارك ﷺ أنه أخذ من اليهودية والنصرانية ؟ فهؤلاء آباؤه وجرثومته وجَذْمه ازدروا اليهودية والنصرانية بل نبذوا الحنفاء وعبدوا الأصنام ؟ فعلى أي شئ يدلنا هذا ؟ إنهم يريدون ـ أي العرب (ألا يصيخوا السمع إلى قادم أو دخيل . كانوا يريدون شيئاً من باطنهم يصل حاضرهم بماضيهم السحيق) [٣] وقد جاءهم الصوت أخيراً وأطبقت أخباره الغافقين ، فسمع وتسامع به أهل الجزيرة شمالاً وجنوباً ، يهود ونصارى وعرب ، بل إن اليهود كانوا يقولون للأميين هذا أوان ظهور نبيٍّ فإذا ظهر سنؤمن به ونقتلكم قتل عاد وثمود ، ولكن قلوبهم القاسية ونقضهم العهود وقتلهم الأنبياء من قبل ، وبما جبلوا عليه من حقد وحسد وضغينة وإحن ومحن ولّوا واستكبروا استكباراً ، وصدق الله عز وجل ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، د / علي سامي النشار ، ١/ ٣٥ ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، (١٩٧٧م) .

* أقصد لماذا لم يرد في شعر العرب الثالوث ، والخطيئة ، و الفداء ، والصلب ، وإلا فأنا لا أدعي الإستقراء للشعر العربي من شعراء عرب أصليين لا شعراء يتكلمون باللسان العربي .

(٢) د/علي سامي النشار ، مصدر سابق : ٣١/١ ، فالنشار يرى أن الإسلام دين الفطرة ، لما جاء العرب قبلوه ، وبذلوا أرواحهم فداءً له ، وأما النصرانية واليهودية المبدلتان فكانوا في العرب جسماً غريباً ولذلك لفظوهما .

(٣) د/ النشار : ٣١/١ .

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين ﴾ البقرة آية ٨٩ .

إن إزدراء العرب لهاتين الديانتين - ولا سيما أهل البيت العتيق - لأكبر دليل نتحدى هؤلاء الأعاجم أن يجدوا له تفسيراً أو مدخلاً له ، (إنهم لن يضروا الإسلام شيئاً ، إنهم أحقر من جناح بعوضة ، ولن يغني طنينهم شيئاً) [1] لعلمنا أنهم امتطوا الكذب والإختلاق ، وتَنَفَّسُوهما تنفساً في سياستهم تجاه الإسلام (بغية نصر أباطيلهم وخرافاتهم الكافرة) [2] وَخَتْل عقائد المسلمين بأشاعات (لا أدري كيف يستسيغ عاقل أن يرددها على لسانه ، فضلاً عن أن يؤمن بها) [3]

ماذا يريدون من المسلمين ؟ هل رحمتهم - إن وجدت - تريد أن تأتينا بدين هو أهدى مما جاء به محمد ﷺ ؟

إذا كان العرب - وهم وثنيون - قد أنفوا من هاتين الديانتين ، أفبعد أن أعزنا الله بالإسلام نرتد على أدبارنا ؟ والرسول ﷺ يدعونا إلى أن نعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اليهود والنصارى ، ﴿ **قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا، ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا، قل إن هدى الله هو الهدى، وأمرنا لنسلم لرب العالمين** ﴾ الأنعام آية : ٧١ .

إننا نطالب المستشرقين أن يأتوا بأثارة من علم أن تعدد الآلهة أهدى من الوحدانية ، وأن الفداء والخلاص أهدى من ﴿ **ألا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ * النجم آية : ٣٨ ومن ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ المدثر : آية ٣٨ . ومن ﴿ **ولا تكسب كل نفس إلا عليها** ﴾ الأنعام : آية : ١٦٤ .

---

(١) د/ النشار : ٢٨/١ .

(٢) نظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة ، د/ إبراهيم عوض ، ص ٩١ ، وانظر ، ص ٧١ ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة الأولي ، سنة ١٤١٥هـ .

وإن الباحث ليدعو لهذا الكاتب لما وجد فيه من غيرة على إرث الإسلام ، فجزاه الله خيراً وأعظم مثوبته ، وله كتاب آخر اسمه « النزعة النصرانية في قاموس المنجد » من منشورات دار الفاروق ، الطائف ، طبعة سنة ١٤١١هـ .

(٣) النزعة النصرانية في قاموس المنجد ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

* ومثلها في الأنعام آية ١٦٤.

وأن عبادة مريم * أهدى من عبادة الحي الذي لا يموت ، ومريم بوصفها أم الإله « يسوع » ميزتها الكنيسة بتمجيد خاص وبعبادة هي من حق الله [١] ، وأن العشاء الرباني أهدى من عيدي الفطر والأضحى المباركين ، وأن الوقوف أمام البابا أو من دونه إعترافاً بالخطأ أهدى من الوقوف في الصلاة خشوعاً وتذللاً لمن عنت الوجوه لعظمته وقهره ، وأن البابوات والقديسين والرهبان والكرادلة والشماسين أهدى وأطهر من صحب رسول الله ﷺ ، نطالبهم بهذا ، وبعدها نتباهل في موضع يراه الشرقي والغربي أنَّ لعنة الله على الكاذبين ، وبصراحة نطالبهم بأن يعلنوها أمام الملأ أنهم أعلم من الله ؟ فيا حسرتي كيف نطالب من أحاطت بهم الشكوك والحيرة والضلال والتفسخ الأخلاقي وبلغ ذلك كله مبلغه منهم ، كيف نطالبهم بأن يأتوا لنا بأثارة من علم ؟ [٢] ولكننا فعلنا ذلك لنلزمهم ونخرسهم أنهم جفوا أسهل قواعد البحث العلمي ، وخرقوا كل أمانة علمية ، ولم يكلفوا أنفسهم بتحقيق المسألة أدنى تحقيق ، بل أمسوا وأصبحوا مع موروثاتهم الكنسية وضاهوا آباءهم حين قالوا للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ، إن هؤلاء وأولئك إنهم (ذوو أهواء لا تعتدل ، وذوو أحقاد لا تزول ! ... ومن ثم يشهدون للباطل ضد الحق ، ولأهل الباطل ضد أهل الحق !) [٣] ،

---

* اخترت مريم لأن العرب تأنف من الأنثى ، ولقد سألت شيخنا د /محمد الخضر الناجي عن سر قوله تعالى ﴿ رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ إبراهيم آية : ٣٦ فأجاب - حفظه الله - بقوله إن من عادة العرب أن تعيد ضمير الإناث على من لا يعقل ، ثم زاد منكّتاً - حفظه الله - إن العرب يأنفون من الإناث فكأنه يقول لهم كيف تعبدون إناثاً وأنتم تقتلون ما يشبه لفظهن أهـ من أحد دروسه علي الأجرومية في شهر رجب سنة ١٤٠٩هـ، فعلم منه أن العرب الوثنيين أنفوا من النساء فكانوا يقتلونهن أما هؤلاء الأعاجم - ولا سيما النصارى - فهم يعبدون مريم وظهرت في عصرهم هذا عبادة قضيب الرجل وفرج المرأة . وصدق الله ﴿ قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً، والله هو السميع العليم ﴾ المائدة آية ٧٦ .

(١) انظر : نظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة ، ص ٩٠ - ٩٢ .

(٢) انظر في ظلال القرآن : ١/١٣٦ عند قوله تعالى ﴿ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ البقرة آية : ١٤٧ .

(٣) في ظلال القران ، ٢/٦٨١ .

(وإنما ذلك لزيغ في قلوبهم ، وطمع في نفوسهم ، وتعصب في أفكارهم ، وحرصهم على المنافع الشخصية) [١].

وقبل المباهلة لو أن لجنة * تَوَلَّفُ من أعاظم رجال أوربا شرقيها وغربيها ويُعْهَدُ إليها تدقيق الأديان وترجيح أفضلها وأصحها ، لاختارت الديانة الإسلامية ولرجحتها على غيرها من الديانات باتفاق الآراء ، لما في الدين الإسلامي من وضوح وبيان وعقل [٢] ، وهذا (شأن الحق ، كلما بحثت حوله يزيدك ثقة فيضطرك للإعتراف به ، ضد شأن الباطل الذي لا يكون حظه من البحث إلا الزهوق) [٣] ، وإن المتأمل في كتابهم المقدس كما يزعمون يجد أن كلامه أقرب إلى السوقية وإلى العامية ، فضلاً عن أن يكون كلام الله ، بينما (الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري ... إن له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري ، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً ... وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول - وإن لم تكن هي القاعدة - ولكن وقوعها يحتاج إلى

---

(١) الإسلام الدين الفطري الأبدي ، للعلامة أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني ،٢/٢٨٩ . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ .
وآية ذلك أنهم يرون فعل الجاهلية أهدى من نور الإسلام قولهم في مادة « الجاهلية » « وكانت المرأة في الجاهلية أكثر تحرراً منها في الإسلام من بعض وجوه ، فأجازوا نكاح الأختين ونكاح المقت » أهـ بلفظه : ٦ / ٢٦٦ . انظر إلى هذا الظلم الفادح للإسلام وهديه ، وتأمَّل كيف يسيرون مع منافعهم الشخصية ؟ أَوَضْعُ الرجل فرجه موطئ فرج أبيه من الحرية ؟ إن هذا لشئ عجاب ، ولا غرابة وهم متفسخو الأخلاق ، انظر « فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات » جمع وإعداد :مصطفى فوزي غزال، منشورات دار الوفاء، جدة ، ففيه أخبار خزي هولاء .

* كلمة « لجنة » لا أدري هل هي فصحى أم لا ، وفي الجملة بحثت عنها في مادة « لجن » فلم أجد ما يدل عليها ، وبحثت في مادة « لجج » فوجدته يقول : « وقال بعضهم اللجة الجماعة الكثيرة كلجة البحر » انظر لسان العرب نفس المادة : ٢/ ٣٥٥ .

(٢) انظر ، الطرازي الحسيني ، مصدر سابق ، ٢/٢٩٤ .

(٣) المصدر السابق : ٢/ ٣٠٠ .

تفسير وتعليل .... ولن أذكر * نماذج مما وقع لغيري ، ولكني أذكر ما وقع لي وكان عليه معي شهود ستة ، وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاماً ... كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك ، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم ... وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة ! - والله يعلم - أنه لم يكن بنا إقامة الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة ، وحاول أن يزاول تبشيره معنا ! ... وقد يَسَّرَ لنا قائد السفينة ، - وكان إنجليزياً - أن نقيم صلاتنا ، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها - وكلهم نوبيون مسلمون - أن يصلي منهم معنا من لا يكون في « الخدمة » وقت الصلاة ! وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً ، إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة ... وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة ، والركاب الأجانب - معظمهم - متحلقون يرقبون صلاتنا ! .. وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجاح « القداس » !!! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا !

ولكن سيدة من هذا الحشد - عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم « تيتو » ** وشيوعيته ! كانت شديدة التأثر والإنفعال ، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها . جاءت تشد على أيدينا بحرارة ، وتقول : - في إنجليزية ضعيفة - إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح ! .. وليس هذا موضع الشاهد في القصة ... ولكن ذلك كان في قولها : أي لغة هذه التي كان يتحدث بها « قسيسكم » ! فالمسكينة لا تتصور أن يقيم « الصلاة » إلا قسيس - أو رجل دين - كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة !

وقد صححنا لها هذا الفهم ! ... وأجبناها : فقالت : إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب ، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً ... ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول : ولكن هذا ليس الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه ...إن

---

* القائل الأستاذ سيد قطب رحمه الله في الظلال عند قوله تعالى ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ﴾ يونس آية ٣٧ ، ١٧٨٦/٣ .

** المارشال تيتو زعيم يوغسلافيا ، هلك وذهب إلى جهنم وبئس المصير .

الموضوع الذي لفت حسي ، هو أن « الإمام » كانت ترد في أثناء كلامه - بهذه اللغة الموسيقية - فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه ! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً ... هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث فيَّ رعشة وقشعريرة ! إنها شئ آخر ! كما لو كان - الإمام - مملوءاً من الروح القدس ! حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها وتفكرنا قليلاً ، ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة وفي أثناء الصلاة ! وكانت - مع ذلك - مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة ، من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً !

وليست هذه قاعدة كما قلت . ولكن وقوع هذه الحادثة - ووقوع أمثالها مما ذكره لي غير واحد - ذو دلالة على أن في هذا القرآن سراً اخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته .) *

إن هذه القصة من السلطان الذي أيَّد الله به رسوله من أنواع الحجج المعجزات وأنواع القُدَرِ الباهرات ، أعظم مما أيَّد به غيره ، ونبوته التي طبق نورها مشارق الأرض ومغاربها وبه ثبتت نبوات من تقدمه ، وتبين الحق من الباطل ، وإلا فلولا رسالته لكان الناس في ظلمات بعضها فوق بعض ، وأمر مريج يؤفك عنه من أفك : الكتابيون منهم والأميون) [(١)]

نعم . إن رسول الله ﷺ كان بين ظهراني اليهود والنصارى في المدينة ونجران ، بل كانوا يأتون إليه ويسمعون منه ، فلو كانوا يعلمون أنه أخذ منهم لصرخوا بها ملء أفواههم ولقالوا له : إن ذاك وهذا من أصحابنا ، ولكنهم علموا أنهم أمام نبي حق فهنالك انقلبوا صاغرين ، ولم ينقل عنهم - وهو مما تداعى الهمم إلى نقله - أنهم تكلموا بمثل ما فاه به هؤلاء الملاحدة ، ، ولو نقل لبلغنا ذلك ، فلما لم ينقل علم منه أن هؤلاء رأوا (فيه البرهان كل البرهان على المصدر الذي جاء منه ، وعلى أنه ليس

---

* لقد نقلت هذا النص بكل ما وردفيه من علامة استفهام ونقاط وجمل إعتراضية وفاصلة حتى لا أتصرف في النص لأنه ورد لدلالة معينة وهي أن هذا القرآن خارج عن نطاق البشر، وإلا لما كان لتأثر هذه الأعجمية معنى ، والله أسأل أن يلهمنا رشدنا ويرزقنا التوفيق والسداد ، وانظرها أيضاً : ٨٢١/٢ .

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية النميري : ١٢ / ١٧ .

من صنع الإنسان) [١] هذه واحدة ، والأخرى وهو أن سبب دعوى هؤلاء المستشرقين في أخذ الإسلام من اليهودية والنصرانية أنهم منحرفون عن دينهم الذي جاء به موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، واجتالتهم الشياطين إلى وثنيات قام على خرافتها الدليل والبرهان ، فلما كانوا كذلك أدى بهم انحرافهم إلى أنهم لا يطيقون أن يروا المستقيم على المنهج الملتزم ، فلذلك حسدوا المسلمين على استقامتهم على دينهم الذي لم تَشُبْه شائبة التحريف والتبديل والاستبدال ، فسعى الغرب جاهدا لجر المسلمين إلى طريقهم ، أو للقضاء عليهم إذا استعصى قيادهم [٢] . ولذلك لما علم بعض أحبار يهود انحراف اليهود والنصارى عن دينهم أسلم وجهه مع رسول الله ﷺ ، وإسلام هؤلاء حجة قائمة على صدق ما جاء به ﷺ من الوحي الإلهي ، ولو تبين لهم أنه كان يتتلمذ لهم في خفاء ليتلقى عنهم ما كان يدعو إليه لانفضوا من حوله ، ولعادوا إلى دينهم ، مما يعلم منه بطلان دعوى المستشرقين ، وكل ما لا أساس له ينهار بنيانه وتتداعى أركانه ، .

وذلك أن نبوة محمد ﷺ تواتر خبرها ونزلت منزلة القطع والحقيقة والواقع ، وأن مُعارض المتواتر القاطع ساقط عقله ومردود قوله ، وإن افترى فسيفتري قولاً لا سند له من العقل والواقع ، ولا سند له من أثارة من علم ، وينتج من هذا أن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهات والاعتراضات ، أما والحال أن بعض أحبار اليهود عاينه ، فعلم المعاينة لا يدخله شئ من ذلك [٣] ، زد على ذلك أن المستشرقين رأوا واستيقنوا وعلموا أن إجماع الأمة الإسلامية على القرآن يحرس به الإسلام وتجدد به تعاليمه [٤] ، فزلق بهم عدم نضجهم في التفكير والبحث مع سوء القصد إلى اعتبار اليهود مصدر

---

(١) الظلال : ٢/ ٨٢٢ .

(٢) انظر الظلال : ٩٢٦/٢ ، وصدق الله ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾ المائدة : آية ٥٩ .

ومعنى ﴿ وأن أكثركم فاسقون ﴾ أي خارجون عن الطريق المستقيم أهـ ابن كثير٦٩/٢.

(٣) انظر هذا الكلام الذهب من :القراءات في نظر المستشرقين للشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله ، ١٣٨ ، ١٧٣ ، ٢٠١ . وانظر : منهاج المستشرقين : ٤٣٥/١ .

(٤) انظر القاري رحمه الله ، ص ١٧٨ .

الإسلام ، مع أن العرب تعارفوا على اتصاف اليهود بالتحايل وصنوف التهرب والمراوغة فهم في أنظارهم « قوم غلاظ الرقاب » ، واشتهروا بالشح والبخل القبيح المؤدي إلى قذارة الملبس وقبح المنظر ، وكانوا لا ينفكون يعيشون في مشاكسة وتنازع مقيم بين قبائلهم ، وكان بأسُهم بينهم شديداً ، مما يبغِّض الأمم والشعوب في التأثر بهم أو الاقتداء بهم في شئ من أشياء الحياة فضلاً عن الأخذ منهم ، زد على ذلك اتصافهم بالجبن الخسيس والخوف مما جعل العرب يأبون صفاتهم وينفرون منها بطبعهم ، فهذه كلها مجتمعة تأبى على العربي أنفة وحمية أن يتأثر باليهود أو يتقبل أخلاقهم بقبول حسن ، وذلك أنهم (قدوة سيئة في كل مناحي الحياة ، وبهذا نقطع جازمين بأن تأثيرهم في البيئة الجاهلية وأخذ العرب عنهم يكاد يكون معدوماً بل بالعكس ، لقد كان تأثير العرب فيهم أشد وأعمق في أغلب جوانب الحياة ، إن لم نقل فيها جميعاً ، ودليل ذلك : [أنهم] في المجتمع العربي الجاهلي وفي يثرب وما حولها قد رغمت آنافهم على الذوبان فيه) [١] (فهل ترى في هذا كله صورة أساتذة يتلقى عنهم صاحب القرآن علومه ؟ أم العكس ترى منه معلّماً يصحح لهم أغلاطهم وينعى عليهم سوء حالهم .... ولنعد مرة أخرى فنسأل : هل كان علم العلماء يومئذ مبذولاً لطالبيه مباحاً لسائليه ؟ أم كان حرصهم على هذا العلم أشد من حرصهم على حياتهم ، وكانوا يضنون به حتى على أبنائهم استبقاء لرياستهم أو طمعاً في منصب النبوة الذي كانوا يستشرفون له في ذلك العصر) [٢] ، ومما يدل علي حسدهم هزؤهم ولعبهم من الدعاء

---

(١) تيارات عقدية وثقافية في الأدب الجاهلي ، د/ صالح آدم بيلو ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، وانظر : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٣ ، . وانظر : القاري مصدر سابق ، ص ١٥٦ .

(٢) النبأ العظيم د / عبد الله دراز رحمه الله ، ص ٦١ ، هذا الكلام الدرر الذي يدل على يقين من كتابته رحمه الله فلقد درس في فرنسا (مناهج البحث عند الغربيين حتى هضمها وتمثلها أحسن تمثل ، وليس هذا القول من قبيل الدعاوى العريضة ، فنظرة إلى ما ترك من آثار علمية نستيقين ذلك) مجلة البيان ، العدد الثالث ، ربيع الثاني ، ١٤٠٧ هـ فقد عرَّفت به تعريفاً تشكر عليه في مقال لها بعنوان « كتاب في مقال » وهو النبأ العظيم الذي نقلت منه هذه النفيسة ، اللهم ألهمنا العزة بالإسلام .

إلى الصلاة [١] ، فلو كان النداء من شعائر اليهودية أو النصرانية لادعاه هؤلاء الذين يسخرون من الأذان ، ولكن الله هدى الذين امنوا إليه وصرف اولئك عنه فشرقوا به كبراً وحسداً [٢] ، وإن المتأمل في بدء الأذان وكيفيته ينقض دعوى المستشرقين ، فلقد أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قوله : " كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون ، فيتحيَّنون للصلاة ، وليس ينادي بها أحد ، فتكلموا يوماً في ذلك ، فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : قرناً مثل قرن اليهود ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا بلال قم فناد بالصلاة " [٣]

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله (وقد ذكر بعض أهل التفسير أن اليهود لما سمعوا الأذان قالوا : لقد ابتدعت يا محمد شيئاً لم يكن فيما مضى فنزلت ﴿ **وإذا ناديتم إلى الصلاة** ﴾ الآية [٤] وأصرح منه ما ذكره البغوي في تفسيره عند هذه الآية حين قال رحمه الله :

« وقال الآخرون : إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله ﷺ ، و قالوا : يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم » [٥] فهذه كلمة صريحة لا يستطيع المستشرقون تأويلها ، وهذا يدلنا في حد ذاته أن الكفار لو كانوا يعلمون أن هذا من شعائر اليهود والنصارى لأذاعوا به ولن يسكتوا عنه وقد وجدوا مدَّخلاً يرد لهم بعض كرامتهم ، .

إن دعوى الكفار هذه تدلنا على أنهم لما عارضوا رسول الله ﷺ لم يقولوا أخذت من اليهودية والنصرانية بل حكى عنهم الله عز وجل أنهم كفروا بهما قال تعالى ﴿ **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ، أولم يكفروا بما أوتي موسى من**

---

(١) انظر تفسير الطبري : ٤٣٢/١٠ .

(٢) : تفسير البغوي : ٧٤/٣ .

(٣) انظر طرقه المتنوعة في جامع الأصول : ٥ / ٢٦٩ ـ ٢٧١ ، كتاب الصلاة ، الفصل الثالث ، في الأذان والإقامة ، .

(٤) فتح الباري : ٧٧/٢ .

(٥) تفسير البغوي ، معالم التنزيل : ٧٤/٣ .

قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون ﴾ القصص : ٤٨ .

وإنما قالوا ﴿ يعلمه بشر ﴾ وقالوا ﴿ اكتتبها ﴾ وهاتان دعوتان مجملتان ، أفعجز العرب أهل الشجاعة والأنفة أن يقولوا أخذته منهما إذا علموا ذلك ، وماذا يمنعهم ؟

منعهم أنهم استحوا أن يكذبوا ويقولوا مثل قولة هؤلاء المستشرقين ، وهاهو شيخ بني عبد مناف أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية يقول « فوالله لولا الحياءُ من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عنه » [1] ، يقول الإمام ابن حجر : (وفيه دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب ، أما بالأخذ عن الشرع السابق ، أو بالعرف ... [فأبو سفيان] ترك ذلك استحياءً وأنفة ... وفي رواية ابن إسحاق التصريح بذلك ولفظه « فوالله لو قد كذبت ما ردوا عليَّ ، ولكني كنت امرءاً سيداً أتكرم عن الكذب » [2] ، فلما كان هذا خلقهم ما وسعهم إلا معارضته بدعوى مجملة مهملة مبهمة يعلمون كذبها ، وإنها لتعد صغيرة بجانب دعوى المستشرقين الذين تعودوا أن يكذبوا كذباً فوق التصديق ، حيث لا يقبله عقل ، ولا يصدقه أثر ولا نظر [3] فكيف خفي هذا الإدعاء على قومه وهم فصيلته التي تؤيه ، وأقرب الناس إليه ؟ وظهر لهؤلاء الأعاجم من وراء البحار وهم أبعد عنه لساناً ، فضلاً عن بعدهم نسباً ، إن ذلك كله نفهم منه أنفة العرب من الكذب وجراءة هؤلاء عليه بأقوال متناقضة مختلفة وبما ليس ببرهان ، وقد جاءهم بكتاب موافق لكتاب موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، ولكنهم لما ضيعوا أصولهم ونسوا حظاً مما ذكروا به فلم يبقوا على الدين الإلهي جاء هذا اللاحق وقال لستم على شئ ، عندها نقضوه بما لا يَنْقُضُ ، وعارضوه بأهواء عقولهم ونفوسهم وودوا لو كان مثلهم في ظلمات الوثنية ودياجير الظلام ، ولكن هل كفرهم به كان طلباً للحق واتباعاً لأمرٍ عندهم خيرٍ منه أم مجرد هوى ؟ فأن كانت الأولي فليظهروه إن كانوا صادقين حتى نعلم هذا اللاحق فيما خالف فيه من العقائد التي تدعو إليها الأديان الثلاثة ديانة موسى وديانة عيسى ومحمد عليهم صلوات الله

---

(١) البخاري مع الفتح : ٣١/١ ، أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، باب ٦، حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل .

(٢) الفتح : ٣٥/١.

(٣) من شريط للشيخ سلمان العودة بعنوان « التثبت من الأخبار » .

وسلامه ، ونتحداهم على ذلك إلى يوم القيامة ، فعندها نقول لهم لا نترك هدى وحقاً قد علمناه لغير هدى وحق ، ويجب عليكم الإذعان لهذا اللاحق واتباعه حتى تنجوا من عذاب الله السرمدي ، وإلا فموتوا بغيظكم وإلى جهنم وبئس المصير [١] ، مما يعلم منه أنهم (ليس لهم من أصل يردون إليه ويمكن محاكمتهم له) [٢] وكذلك أن افتراضاتهم محض خيالات ، .

وعلى كلٍ فهم مطالبون بالبحث عن دين آخر مثل ديننا ومساوٍ له في الصحة والسداد ، فإن تم لهم ذلك فقد اهتدوا ، ولن يتم لهم ذلك ، ولن يجدوا ديناً صحيحاً سوى هذا الذي جاء به محمد ﷺ لسلامته عن التناقض بخلاف غيره ، فلا اهتداء إلا به ، ولا نجاة لهم إلا عن طريقه ، فليؤمنوا خيراً لهم [٣] وإلا فليعودوا إلى عجلهم الذي عبدوه بين ظهراني نبيهم موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، وإنه لمن الغرابة حقاً : كيف استحلوا الكذب على صنو أعظم أنبيائهم - هارون - عليه وعلى نبينا صلوات الله وسلامه ، ؟

جاء في التوراة المبدلة أن بني إسرائيل طلبوا من هارون أن يصنع لهم إلهاً فصنع لهم العجل ، (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ؟ فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب من آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوَّره بالأزميل ، وصنعه عجلاً مسبوكاً ، فقال : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامهم ، ونادى هارون ، وقالوا : غداً عيد الرب ، فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات ، وقدموا ذبائح سلامة ، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا

---

(١) استفدت هذه الخطرات من تفسير الشيخ السعدي عند قوله تعالى ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه إن كنتم صادقين ﴾ القصص ٤٩ وانظر ه في : ٤/٢٥ .

(٢) ظلال القرآن : ٣/١٦٤٨ .

(٣) الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله ، ص ١٤٧ .

للعب. الإصحاح : ٣١ من سفر الخروج : ١ - ٦)"[1] .

أحقاً نبي الله هارون يصنع هذا ؟ إن القوم استمرأ كل واحد منهم الكذب ، حتى على أنبيائهم أفنعجب بعد هذا من كذبهم على رسول الله ﷺ ؟

إن القرآن جاء بما ينقض هذه القصة البشرية المكذوبة من أسها وأساسها . إن القوم يغضون الطرف عن الواقع والعراك بين رسول الله ﷺ وبين قريش أهل الأنفة والشمم ، وذلك أن قريشاً كانت لا تألوا جهداً في البحث عن أية حجة يتمسكون بها ، ولو أنهم يعلمون أن هذه الدعوى حق لصرخوا بها بين الأخشبين ولكنهم لجأوا إلى كلمة أساطير الأولين ، ولم يعينوا ما عيَّنه هؤلاء المستشرقون أن الإسلام أخذ من دين موسى أو عيسى مباشرة ، بل ذهبوا إلى المجملات لكن بتفسير أوضح فقالوا عن اليهودية والنصرانية [2] ، ولنا مع هذه وقفات :

١ - أن دعوى قريش بأساطير الأولين هي دعوى المستشرقين لمن تأمل إلا أن الفارق هو تعيين هذه الأساطير ، فلما عينوا الجهة لم يجرؤ أي واحد منهم أن يقول إن المأخوذ عنه هو دين موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، لماذا ؟ لأنهما حرفوهما وأضاعوهما ، .

٢ - إذا كان ذلك كذلك فقد أشهدوا على أنفسهم أن ما عندهم لا يعدو أن يكون أقاصيص وأحاديث سمر ، وهذا لا يعارض العلم والهدى بل لا يمكن أن يكون

---

(١) بواسطة : تأثر اليهودية بالأديان القديمة ، د / فتحي محمد الزغبي ، ص٦٦٧، رسالة دكتوراة لم تطبع .

(٢) وكلمة « من اليهودية » أو « من النصرانية » تحتمل الآتي : إما أنه أخذها مباشرة ومشافهة من الأحبار والقسس . وإما أنه طلب كتابتها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ، وهذا واضح عواره :معناه أن الذي أملاه يعلم الحوادث المستقبلية وما ستقع له من تألب قريش عليه وحوادث بدر وأحد والخندق وقصة الإفك والأسرى والأنفال وكل ما ورد جواباً لأسئلة متنوعة من جهات متنوعة، كسؤالات اليهودعن الروح وأصحاب الكهف وغيرها مما حدث لمحمد ﷺ . وإما أنه كتبها من كتبهم وقرأها وأخذ يجيب على كل مايحدث له وهذا يلحق بالثاني الحاصل أن المستشرقين أي احتمال يحتملونه فهو رد عليهم نقلاً وعقلاً أهـ . استفدت هذا من جلسة مع الشيخ الدكتور / بركات دويدار .

نظيراً له أو مثيلاً من كل وجه .

٣ - إن كلامهم هذا يدل على ضياع عقولهم وأصولهم المنزلة ، وما بقي لهم إلا التحريف والتبديل والاستبدال ، كما بقي لقريش بقايا من دين إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

٤ - فإذا تقرر أنهم ضاهوا أهل الوثنية بالحيرة والضلال ، ومن المعلوم أن الحور رجوع ، إذن النتيجة فلينصتوا إلى ما يصحح لهم مسارهم ويجدد لهم دين الأنبياء ، وإلا فليعلموا و ليعلم معهم أهل المشرقين والمغربين أن دعاواهم كاذبة ، وذلكم أن محمداً ﷺ جاء بالتوحيد الخالص وهم بقوا على الوثنية ودعاواهم لا تعدو أن تكون مثل دعوى قريش حين قالوا نحن على دين إبراهيم ، فكذلك قال هؤلاء نحن أهل الكتاب المقدس وما سوانا فأميون ، فعندها ننظر ماذا يوجد في الكتاب المقدس ، تعدد الآلهة وسب الإله وسب الأنبياء والكذب عليهم ، والثالوث والعشاء الرباني وصراع الله مع يعقوب ، والأخلاق المتدنية التي يستحي منها عقلاء الناس فضلاً أن تكون ديناً ، والخلاص ، وصكوك الغفران ، ثم ننظر ماذا يوجد في القرآن المبارك من أسماء الله الحسنى وصفاته العظمى وتوقير جلال الله وعظمة مقامه ، وتوحيده الخالص ، وتقدير الأنبياء وتعزيرهم - أي منع كل ثلب لهم مع نصرتهم - ونتحداهم أن يقولوا إن محمداً ﷺ ضاهاهم في التثليث ومنقصة الأنبياء وسب الله عز وجل ، فعندها نناديهم كما أمر الله رسوله ﷺ بقوله تعالى ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ آل عمران آية ٦٤ .

إن هذه الآية دعوى صريحة أنَّ جميع الخلق لا يستحق أحد منهم شيئاً من خصائص الربوبية ولا من نعوت الإلهية ، فإن انقاد أهل الكتاب وغيرهم إلى هذا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في ضلال مبين [1] ، فلو كان آخذاً منهما هل يتجرأ أن يدعوهم هذه الدعوة الصريحة التي لا يعتورها لبس ولا غموض ، بل هل يتجرأ أن يناديهم إلى المباهلة كما فعل مع وفد نصارى نجران وإنه مما علم عرفاً أن الرجل يستحي أن يتكلم في مجلس فيه أهل العلم والنهى ، بل لا يستطيع إدعاء شئ عند قوم لهم به عليه

---

(١) انظر تفسير السعدي : ١/ ٢٥٠ .

منة ، بل تحداهم وناداهم للمباهلة ولو علم هؤلاء النصارى أنه أخذ منهم هل يسكتون عليه ؟ مما دل على أنه جاءهم بشئ لا قِبَل لهم به ولا عهد ولا علم لهم به بل سؤاله لأحبار يهود بكل صراحة حين قال لبعضهم [1] « أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزنى في كتابكم ؟ قال : لا . ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجده الرجم ... فقال رسول الله ﷺ " اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه " [2] أهذه الكلمة يقولها آخذ ؟ إنه سيرعوى عمن أخذ منهم ويغض الطرف إذا علم من نفسه الأخذ منهم ، إن هذا في حد ذاته يسقط دعوى المستشرقين ، بل ماذا يفعلون بإتيان اليهود إليه يحكم بينهم ؟ كيف يفسرون لنا هذا ؟

وبعد هذا العرض نستطيع أن نخلص إلى :

(١) إنه من الخطر الداهم الذي يهدد أي محاولة في مناقشة افتراءات المستشرقين أن يعتورها اللبس والغموض ، ولذلك لابد من تحرير مصطلحاتهم ، فإنهم يتفقون على مصطلحات نفسية خاصة بهم تركبها العماية ، فيتسرع الراد في نقاشها وهي تحمل عده أوجه متقلبة ، مما ينتج منه وجود ثغرات في الرد ، لأن الخصم (متلون) لا يثبت على تحرير الشبهة ، ولا تكون مفهومة حتى من قبل من أشاعوها ، فإذا نقض أحد وجوهها انتقل الخصم للآخر ، وهكذا حتى يضيع الحق بين الطرفين ، فلا المستشرق حررمفهوم افتراءاته ، ولا الراد استطاع أن يمسك عليه قصده المطلوب [3] وآية ذلك

---

(١) ورد أنه ابن صوريا أعلم يهودي بقي علي وجه الأرض بما أنزل الله سبحانه على موسى عليه السلام في التوراة في ذلك العهد ، انظر تفسير البغوي : ٥٦/٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحدود باب رجم اليهود ، أهل الذمة في الزنى ، رقم ١٧٠٠ وانظر تخريج شاكر له في تفسير الطبري : ٣٠٥/١٠ .

وأصله في البخاري ، كتاب الحدود ، باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام ، البخاري مع الفتح : ١٦٦/١٢ .

(٣) أصل الفكرة من كتاب إختاروا أحد السبيلين الدين أو اللادينية ، للدكتور/محمد نصر رئيس وزراء أندونيسيا سابقاً ، ص ١٩ ، الدار السعودية ، جدة ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٠٣هـ وذلك أن افتراءات المستشرقين حكايات وأخبار وليست أبحاثاً علمية بل هي دعايات وتلفيقات لا تنضبط بقواعد محكمة ، ولا يحدها تسلسل منطقي من الإستدلال .... فتدور المحاورات في حلقات مفرغة ، وتتفرع إلى منزلقات ومتاهات =

لفظتي « اليهودية »[1] و « النصرانية » فهل الأولى تعني الديانة ، أم التلمود ، أم النسب ، أم الذين دخلوا فيها ولم يكونوا من شعب إسرائيل ؟ كذلك الحال في النصرانية هل هي ديانة عيسى الإلهية أم ديانة « بولس » أم ديانة الغرب الآن من إلحاد وضلال وإضلال ؟

(٢) إن أفضل طريق للحكم على طائفة معينة وفئة خاصة من الناس هو الحكم المبني على آرائه وأفكاره التي نقلوها في كتبهم المعتمدة والرسائل الموثوق بها لديهم بذكر النصوص والعبارات التي يبني عليه الحكم ، ويؤسس عليها الرأي ، ولا يعتمد على أقوال الآخرين ونقول الناقلين اللهم إلا للاستشهاد على صحة استنباط الحكم واستنتاج النتيجة ، .وهذه الطريقة ولو أنها طريقة وعرة شائكة ، صعبة مستعصية ، وقل من يختارها ويسلكها ، ولكنها هي الطريقة الصحيحة المستقيمة التي يقتضيها العدل والإنصاف)[2]

=. فيتمزق الموضوع ..... والسبب هو ترك الأمور المحكمة إلي صور ضبابية يسوقها اتباع الهوى ، ويهديها الجهل بمصادر الإسلام ، كل همهم منعقد على تنوع السهام إلى حصن الإسلام حتى ولو لم يصب أو يحدث شرخاً ، المهم بلبلة عقول أبنائه وزعزعة ثقتهم به حتى يصيروا حيارى مثلهم، وهذا هوحال الغرب أن عُقَدهم الموروثة تجمعت ضد الإسلام، فالشرق شرق ، والغرب غرب ولن يلتقيا أهـ مجلة البيان ، العدد : ٣٧ ، ص ٤٩ ، والعدد : ٥٢ ، ص ٢٨ ، وانظر : الحوار مع أهل الكتاب ، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة ، خالد بن عبد الله القاسم ، ص ١٤٥ ـ ١٥٢ ، دار المسلم ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٤هـ .

(١) انظر : يهود اليوم ليسوا يهوداً ، بنيامين فريدمان ، ترجمة : زهدي الفاتح ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، حيث يقول : فإنه لم يسمع أبداً في العصر التوراتي ولا في العصر ما بعد التوراتي ولافي العصر التلمودي ولا في الأزمنة المتأخرة جداً بمصطلح اليهودية Judaism [و] إن الحقائق التاريخية التي لا تدحض أثبتت بلا أي ريب أن « اليهودية » لم تكن الإيمان الديني المعترف به ، ولا الممارس من قبلهم أهـ .

(٢) التصوف المنشأ والمصادر ، لإحسان إلهي ظهير ، منشورات ترجمان السنة ، لاهور ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ ، ص ٥٠ .

فلو سألنا المستشرقين هل يفعلون هذا أم كان سلفهم يفعلون هذا ؟ فإن لم يفعلوا فعندها يعاملون معاملة الكفار بهذا الدين فلا غرابة أن يعارضوه ، ولا نقيم لهم وزناً [١] ..

(٣) أن المجمع الكنسي « مجمع كلورادو » الذي عقد في الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٧٨) ، دعا (إلى الهروب من الحقائق عند مواجة الإسلام ، ويصرحون بأن عرض حقائق وثوابت وأصول وأركان النصرانية على حقائق وثوابت وأصول الإسلام عند المواجهة ، سيجعل الاختراق عن طريق التخفي والختل أمراً مستحيلاً ، .. فطلبوا تجاهل حقائق الدينين والإلتفاف حولها) [٢] وهذا يعطينا يقيناً أنهم ليسوا على شئ ، بل يتحتم علينا أن نناقش أصولهم ، ونـنقل المعركة إلى قلب اليهودية والنصرانية بعرض عقائدهما على حقائق الإسلام لنفضحهما أمام الملأ [٣] ، ونعلمهم أن عقائدهم حارت ، والحور رجوع ، ولابد للناس من توحيد خالص فكان هذا الدين ، دين محمد بن عبد الله ﷺ الذي (يمتاز بأنه دين التوحيد الخالص ، توحيد الله ، وعدم الإشراك به ، وأن الأخوة الإسلامية تسمو بروحانيتها فوق جميع العصبيات [وليعلم الناس أن] القرآن هو المعجزة الكبرى للنبي والدليل القاطع على صحة نبوته ، وأنه رسالة الله إلى الناس كافة ، وأن القرآن هو المهيمن على ما سلفه من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء والرسل ، وأنه يخاطب العقل والضمير

---

(١) يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره : ٥/ ٣٨٥ عند قوله تعالى ﴿ ويل للمطففين ﴾ (يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات ، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما ، يحرص على ما له من الحجج ، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها ، وأن ينظر في أدلة خصمه ، كما ينظر في أدلته هو ، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه ، وتواضعه من كبره ، وعقله من سفهه) أهـ السؤال : هل التعصب والإعتساف والإستعلاء والكبر والسعة أخطأت المستشرقين أم أنها عليهم ؟

(٢) الإسلام والتحديات الجديدة ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

والوجدان) [١]

(٤) لو كان بشرياً مأخوذاً من اليهودية والنصرانية ، فلماذا لم يخضع لعملية التنقيح والتعديل كما يخضع لهما الآن الكتاب المقدس كما زعموا ؟

إن عملية التنقيح والتعديل في الكتاب المقدس - بزعمهم - (عملية مستمرة طالما فقد النص الأصلي ، ولن يتوقف إلا بالعثور على ذلك الأصل المفقود ، وهو أمل طالما اعترف أهل العلم والاختصاص بأنه بعيد التحقيق ، إن لم يكن محض خيال) [٢]

(٥) نتحدى المستشرقين أن يأتوا لنا بكتاب تكلم عن السنن الإجتماعية مثلما تكلم القرآن [٣]

(٦) لقد أثبت الإسلام بحقائقه وبراهينه أنه دين العلم والعقل ودين المستقبل [٤] ، وذلك أن عَرْضَ الإسلام بوجهه المشرق هو البديل عن الأنظمة الأرضية التي لم تورث إلا الفساد والدمار والإنحراف [٥] ، فلو كان بشريّاً مشوَّهاً مزيفاً فلماذا تعاليمه (تحول دون وقوع الثنائية في التفكير التي ظهرت في أوربا حيث أقصيت المسيحية إقصاءً تاماً عن مجال التوجيه في الدوائر الحكومية - عن الدولة - .) [٦]

---

(١) هذا الكلام من كلام المستشرقة «أنَّا ماري شيِّمل ألمانية » نقلته بنصه وحروفه من مقال في مجلة الفيصل ، بعنوان (أنَّا ماري شيمل المستشرقة الألمانية التي أنصفت الإسلام) بقلم : د/ زكي علي ، ص ٢٦ - ٢٨ ، العدد: ٥٩ ، جمادي الأولى ، ١٤٠٢هـ .

(٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، مصدر سابق ، ص ٥ ، وانظر : التوراة تاريخها وغاياتها ، ص ١٣ .

(٣) انظر مجلة البيان ، العدد : ٥٦ ، ص ٦ ، ربيع الثاني ، ١٤١٣هـ .

(٤) قد علم بالاستقراء أن النصرانية دين المجامع أما الإسلام فإنه الدين الذي يتعبد به الآن هو ما تعبد به الصحابة رضوان الله عليهم .

(٥) من كلام د/ مراد ويلفريد هوفمان السفير الألماني ، مجلة البيان ، ص ٩٤ ، العدد : ٥٣ ، محرم ، ١٤١٣ هـ ، وانظر التعريف به : مجلة البيان ، العدد : ٧٥ ، ص٩٧ ، ذو القعدة سنة ١٤١٤هـ .

(٦) « باول شمتز » الإسلام قوة الغد العالمية ، ص ١٦٠ ، ترجمة : د / محمد شامة ، مكتبة وهبة ، عابدين ، القاهرة ، سنة (١٩٨٣م) بدون عدد الطباعة . =

(٧) لو كان أخذ من اليهود فلماذا يبذلون أموالهم وأجهزتهم وبحوثاتهم ومراكزهم في سبيل رصد الحركات الإسلامية ، لماذا يخافونهم وهم يتمسكون بدين مزيف مشوه ـ على حسب زعم المستشرقين ـ بل يفزعون من ذكرهم حتى أصبحوا شبحاً يلاحقهم ؟ هل المزيف يخيف لهذه الدرجة [(١)] ، لقد صاروا في دعواهم هذه (كاذبين كذباً مفضوحاً مكشوفاً لا ينطلي على أحد) [(٢)]

(٨) إن قولهم « من اليهودية » أو « من النصرانية » هل يقصدون منه أخذه جزءاً منهما ، أو أخذه كلَّ ما عند اليهود والنصارى ؟ أم يقصدون أخذه ما يتعلق بالشعائر التعبدية ؟ أم يقصدون أخذه ما يتعلق بالأمور الإعتقادية القلبية ؟ أم يقصدون ما يتعلق بأخبار الرسل وأممهم ؟ أم يقصدون ما يتعلق بأخبار اليوم الآخر ؟ أم يقصدون ما يتعلق بالسلم والحرب ؟ أم يقصدون ما يتعلق باللباس والزينة ؟ أم يقصدون ما يتعلق بالمعاملات من بيع وشراء وأحكام الربا وما جرى مجراهما ؟ أم يقصدون ما يتعلق بخلق السموات والأرض ؟ أم يقصدون ما يتعلق بأخبار المستقبل ؟ أم يقصدون ما يتعلق بالإخبار عن الله من صفاته العليا وأسمائه الحسنى ، وما له سبحانه من جلال وكمال وكبرياء وعظمة ؟ أم يقصدون ما يتعلق بأحكام الأسرة من طلاق ونكاح وما جرى مجراهما ؟ أم يقصدون ما يتعلق بأحوال المولود ؟ أم يقصدون ما يتعلق بالنساء خاصة من حيض ونفاس وما جرى مجراهما ؟ أم يقصدون ما يتعلق بالطهارة ومُتعلّقاتها ؟ أم يقصدون ما يتعلق بالأحكام والقضاء بين الناس من حدود وما جرى مجراها ؟ أم يقصدون ألفاظ الكتابين السريانية والآرامية واليونانية والعبرانية والكلدانية والآشورية ؟

يا ترى ماذا يقصدون بهذا الأخذ ؟ أليس من حق علماء المسلمين أن يسألوهم ماذا

= وباول شمتز ألماني ويقصد بالثنائية العلمانية (دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله) .

(١) انظر رؤيا إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، مصدر سابق ، ص ١٥٥ ، وانظر : الغرب في مواجهة الإسلام ، معالم ووثائق جديدة ، سلسلة : دراسات منهجية للإستشراق ، لمازن مطبقاني ، ص ٦ ، مكتبة ابن القيم ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٠هـ .

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم للشيخ الدوسري رحمه الله ، ٢/٢٥٢ .

تعنون بكلمة « من اليهودية » أو « من النصرانية » ؟ هل هو أَخْذُ مُقِرٍّ أم مخالف ليصحح مسارهم ويظهر عيوبهم [(١)] ؟ وينقدهم ويقول لهم ﴿ لستم على شئ ﴾ ويقول لهم ﴿ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ﴾ ويقول لهم ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ ويقول لهم ﴿ هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ﴾ ويقول لهم ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ﴾ النساء آية : ١٧١ [*] ، ويقول لهم ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا

---

(١) وكلمة الأخذ تخالف حساً ومعنى قولتهم المشهورة (وهكذا وصل الأمر بالنبي بالتدريج إلى الحد الذي جعله يعتبر ما يبدو له من أفكار وقرارات على أنها وحي من الله) أهـ هذا القول للمستشرق السويدي (تور أندريه) عاش ما بين (١٨٨٥ ـ ١٩٤٧م). انظر: الإسلام في تصورات الغرب ، د/ زقزوق ، ص ١٠٥ .
السؤال الذي يطرح نفسه : كيف نجمع بين أخذ من « اليهودية أو النصرانية » وبين اعتباره ﷺ أن ما كان يبدو له من أفكار وقرارات وحياً من عند الله ؟
إن الأخير ينقض الأول تماماً ويأتي بنيانه من القواعد فهذه أفكار مضلِّلة ومفاهيم حائرة قذف بها الملحدون من الغربيين ، انظر : موريس بوكاي ، ص ١٣٩ ، ص ١٥٢ .
وانظر : د / زقزوق ، ص ١٠٦ ، حيث قال عن الافتراض الثاني (فهذا يعني إتهام محمد ﷺ بالكذب على الله إذ ينسب إليه مالم يقله) أهـ .

* يلاحظ أن الباحث لم يذكر مواضع الآيات السابقات وذلك أنه قد ذكر مواضعها عندما مرَّ ذكرها في ثنايا البحث ، والله يتولى السرائر .

هذه واحدة والأخرى نذكر (أن طرائق العرض البشرية في هذا الباب كائنة ما كانت لن تبلغ شيئاً مماتبلغ إليه العبارة القرآنية والمنهج القرآني وطريقة العرض القرآنية ، ومن ثم فقارئ هذا البحث لا بد له أن يدرس النصوص القرآنية المطولة فيه باعتبارها هي الأصل ..... إنها لم تجئ هنا للإستشهاد ..... إنما جائت لتتحدث هي بذاتها عن الحقيقة . وعبارتنا حولها هي العنصر الإضافي .... ولابد أن يصبر على تملي هذه النصوص كلمة كلمة ، فلا يتخطاها حتى لو كان ممن يحفظون القرآن من قبل ! إنها هنا تمثل شيئاً آخر ، إنها تمثل كيف يتحدث القرآن عن موضوعات كاملة ، لايحتاج القارئ فيها إلى شئ =

تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ ويقول لهم ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ ويقول لهم ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ المائدة : آية ٧٣ . ويقول لهم ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ البقرة آية : ٦٥ ، ويقول لهم ﴿ وإذ قال موسى لقومه : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذونا هزواً، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ البقرة : ٦٧ . ويقول لهم ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ البقرة : ٥١ . ويقول لهم ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ البقرة : ٥٥ . ويقول لهم ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾ البقرة : ٦١ ، ويقول لأهل العجل والبصل ﴿ قل فلمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ البقرة : ٩١ ، ويقول لهم ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ البقرة : ٩٤ - ٩٥ .

ويقول عنهم ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ﴾ البقرة : ٩٦ .

ويخبر عنهم بقوله تعالى ﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ البقرة : ١٠٢ .

ويخبر عنهم بقوله تعالى ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ البقرة : ١١١ .

وأخبر عن تهاوشهم بقوله تعالى ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب ﴾ البقرة : ١١٣ .

وقوله تعالى ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ البقرة : ١٢٠ .

وقوله تعالى ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ البقرة : ١٣٥ ،

وقوله تعالى ﴿ وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ البقرة : ١٤٤ .

= بعده ....) أهـ من مقدمة مقومات التصور الإسلامي ، ص ٣٧ ، ص٣٩ ، لسيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٧هـ .

وقوله تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ البقرة : ١٤٦ .

وقوله تعالى يخبر عن جبنهم وخورهم ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين ﴾ البقرة : ٢٤٦ . وقوله تعالى ﴿ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ المائدة : ٢٤ .

ويقول الله عنهم ﴿ قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات، وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ آل عمران : ٢٤ ،

ويخبر عنهم بقوله تعالى ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون * يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ﴾ آل عمران : ٦٩ - ٧٠ ، ويخبر عنهم بقوله تعالى ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ آل عمران : ٧٥ .

ويقول الله عنهم ﴿ وإن منهم لفريقاً يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ﴾ ال عمران : ٧٨ .

ويقول الله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء ﴾ آل عمران : ٩٩ .

ويقول الله عنهم ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ﴾ آل عمران : ١١٢ ،

وجاء بالخبر العدل قوله سبحانه ﴿ ليسوا سواءً، من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ آل عمران : ١١٣ ،

ويقول سبحانه ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ﴾ آل عمران : ١١٩ .

ويقول سبحانه ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ آل عمران : ١٨١ .

﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ آل عمران : ١٨٦ .

ويقول الله ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ النساء : ٤٤

ويقول الله عنهم ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون سمعنا وعصينا، واسمع غير مسمع، وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين [إلي قوله تعالى] ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾ النساء : ٤٦ .

ويهددهم بقوله ﴿ آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً ﴾ النساء : ٤٧ .

ويذكرهم بمخازيهم ﴿ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً * فبما نقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيماً * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً * فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً * ﴾ النساء : ١٥٤ - ١٦١ .

ويقول سبحانه ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم ﴾ المائدة : ١٣ ،

وقال تعالى ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ المائدة : ١٤ .

وقال سبحانه ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم، بل أنتم بشر ممن خلق، يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء ﴾ المائدة : ١٨ ،

وقال تعالى ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما

جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾[1] المائدة : ١٩ .

ويقول الله عز وجل ﴿ ومن الذين هادوا سماعون للكذب، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ﴾ المائدة : ٤١ ، ويقول سبحانه ﴿ سمّٰعون للكذب أكّٰلون للسحت، فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ﴾ المائدة : ٤٢ .

ويقول تعالى ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾ المائدة : ٦٠ ،

و يقول سبحانه ﴿ وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان ﴾ المائدة : ٦٢ ،

وقال الله عنهم حاكياً قولهم الشنيع ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان ﴾ المائدة : ٦٤ .

وقال سبحانه ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾ المائدة : ٦٤ ،

وقال سبحانه ﴿ وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين ﴾ المائدة : ٦٨ ،

وقال سبحانه ﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا، ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم ﴾ المائدة : ٧١ ، ٧٢ .

وقال سبحانه ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون * ﴾ المائدة : ٧٨ - ٨١ .

---

(١) إن هذه الاية لمن تأملها (تكشف انحرافاتهم عن دين الله الصحيح الذي جاءتهم به رسلهم من قبل) الظلال : ٢/٨٦٧ .

وقال سبحانه ﴿ وإذ قال الله يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ★ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ المائدة : ١١٦ ـ ١١٧ .

ويقول سبحانه ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس، تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾ الأنعام : ٩١ .

وقال سبحانه حاكياً عنهم ﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ [1] الأعراف : ١٢٩

وقال تعالى ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لها، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون ﴾ الأعراف : ١٣٨ .

وقال سبحانه ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ﴾ الأعراف : ١٥٢ .

وقال سبحانه ﴿ وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية، وكلوا منها حيث شئتم، وقولوا حطة، وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم، سنزيد المحسنين ★ فبدّل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم، فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون ﴾ الأعراف : ١٦١ ـ ١٦٢ ، وقال سبحانه ﴿ وقطعناهم في الأرض أمماً، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ★ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا، وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه، والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ★ والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ★ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ★ ﴾ الأعراف : ١٦٨ ـ ١٧١ .

---

(١) إن هذه الآية تبين أنهم يريدون البقاء في خدمة فرعون ويفضلونها على الذهاب مع موسى ، قوم استكانوا فماذا كان ؟ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين .

وقال سبحانه ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾ التوبة : ٣٤ .

إن المستشرقين نتحداهم بهذه الآيات ونسألهم : يا ترى من أين أخذها محمد ﷺ ؟ بماذا يفسرون لنا هذه الآية ؟ قال تعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾ يونس : ٨٧ . ماذا نفهم من هذه الآية على حسب زعم المستشرقين أنه من اليهودية ؟ يلزم منه أن محمداً أوحي إلى موسى ؟ أن موسى أخذ من محمد صلوات ربي وسلامه عليهما . وهل يعقل هذا ؟ كيف وهم يقولون أخذ من اليهودية ؟ فبأي منطق شئ يردون على هذه الاية ، وبأي حجة يدلون ؟

إنها افتراءات عجاف تدب من قلوب ميتة ، وصدور أصابها لهب الإلحاد ، ولاسيما إذا علمنا أن الفترة أي الزمن بين موسى وبين محمد ﷺ تقرب من ألفين وخمسمائة سنة [١] ، فيا ترى ماذا يقول المستشرقون عن هذا ؟ إننا يمكن أن نصدقهم إذا سلمنا أن الشئ متقدم متأخر ، جمع بين نقيضين ، أثبتوا من خلاله استكنان الحقد الأسود ، فأشاحوا عن الحق ، وعشوا عن ضوئه ، فأدلجوا في دياجير الأباطيل وأوغلوا ، ونَقَلُوا وتَنَقَّلُوا ، وزوّقوا وبهرجوا وزيَّفوا ، (و أعرضوا عن بينات التاريخ ، وراحوا يحفرون بأظافر عقولهم الحاقدة في أرض الأكاذيب ليتصيَّدوا من غثاء الروايات والأقاصيص ما يرضي أحقادهم ، وتشبثوا بكل ما يخدش وجه الحقيقة التاريخية زوراً وبهتاناً ، وتأولوا بأهوائهم وسوء مقاصدهم أحداثاً كانت في السيرة المطهرة عنوانات على السمو والشرف والفضل والنبل ، فقلبوا حقائقها ، وغيروا معالمها ، وفرطحوا أديمها ، وأبدوا فيها وأعادوا) [٢]، نعود إلى استقراء الآيات مع العلم أننا لا نعبأ بدعواهم ومفترياتهم ، لكن لما كان هدفهم من ترويج هذه الدعاوى والأباطيل زعزعة ثقة

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني : ٢٦/٢ عند قوله تعالى ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ﴾ المائدة : ١٩ ، وانظر الروايات المتعددة في تفسير الطبري : ١٠/ ١٥٦ ـ ١٥٨ ، وانظر تفسير ابن كثير : ٣٣/٢ ، وانظر : تفسير البغوي : ٣٤/٣ .

(٢) هذ الكلام النفيس من كتاب محمد ﷺ من نبعته إلى بعثته للشيخ محمد الصادق عرجون ، مصدر سابق ، ص ١٤ ، وانظر ، ص ١٣ منه .

المسلمين بدينهم وبوعود ربهم استطردنا في كشف مخازيهم وأباطيلهم المستندة إلى منطق الغوغاء [1] والتعاون في الشر ،

يقول سبحانه ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ، فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً ﴾ الإسراء : ١٠١ ، يا ترى من آتى موسى تسع آيات بينات ؟ هل هو محمد ﷺ ؟ إن القوم أضاعوا عقولهم بين الهوى والعصبية والاستعلاء ، فلوأردنا أن نرجع سهامهم في نحورهم لقلنا: بل موسى أخذ من محمد صلوات ربي وسلامه عليهما ، ولكن يأبى الله علينا والإسلام ذلك ، .

وقال تعالى ﴿ فأتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال إني عبد الله آتني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * ﴾ مريم : ٢٧ ـ ٣٥ ، هذه الآيات عندما تليت على النجاشي (بكى حتى ابتلت لحيته ، وبكى أساقفته حتى ابتلت كتبهم التي يحملونها ، ثم قال النجاشي مخاطباً سفيري قريش * : « إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة

---

(١) انظر صفوة الآثار و المفاهيم : ٢/ ٢٥٠ ، وانظر مجلة البيان : ص ٣٧ ، العدد : ٣٢ ، صفر، سنة ١٤١١هـ ، والغوغاء : الجراد ، والغاغة من الناس : هم الكثير المختلطون ، والغوغاء : سفلة الناس ، والصوت والجلبة ، والتغاوي: التعاون في الشر ، انظر هذا : لسان العرب ، مادة « غوي » ١٥/ ١٤١ ، ١٤٢ .

* عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، وكان معهما رديفاً وتابعاً عمارة بن الوليد ، ولقد تكلم هؤلاء المبعوثون عن المسلمين أنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، فأرسل النجاشي إليهم وعندما جاؤوه سألهم عن قولهم في المسيح ، فقال جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فأخذ النجاشي عوداً من الأرض ، وقال لجعفر : ما عدا عيسى ما قلت قدر هذا العود ، ولم يأبه لامتعاض بطارقته ونستفيد من ذلك ما يأتي : =

واحدة » [١]

إن إجابة المسلمين بهذه الآيات على سؤال « النجاشي » ما تقولون في عيسى ؟ لأبلغ الدلالات على أن الأمر إلهي لا دخل للأرض فيه ، وقد توقع «عمرو بن العاص» إجابة تخالف ما جاءهم عن نبيهم ﷺ ، ولو علم هؤلاء الصحب أن الأمر بشري لاجتهدوا في الحفاظ على مصالحهم الشخصية وأجابوا بما يرضي أهل تلك الديار من النصارى ، ولكن الأمر أكبر من ذلك (إن الذين تركوا أهلهم وديارهم وبلدهم في سبيل الحق الذي آمنوا به هل يتنازلون عن هذا الحق من أجل إقامة مؤقتة . وإذا كانت قد هانت عليهم أرضهم في سبيل ما آمنوا به ، فكل أرض أخرى هي أهون) [٢] ، (إن الإسلام جاء بالتوحيد فما ينبغي أن يكون في حياة المؤمن شئ ما ، أو قيمة ما ، تزاحم هذا المفهوم أو تنقص من حقه) [٣]

ويقول سبحانه وتعالى عن موسى ﴿ **اذهب إلى فرعون إنه طغى** ﴾ طه : ٢٤ ، فهل يستطيع المستشرقون أن يفسّروا لنا من خاطب موسى بهذا الخطاب ؟ أمحمد ﷺ خاطبه ؟ بل نطالبهم أن يجيبوا عن قوله تعالى لموسى ﴿ **ولقد مَنَنَّا عليك مرة أخرى * إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى** ﴾ طه : ٢٧ - ٢٨ ، هل يعقل أن محمداً يقول هذا القول أو ينقله كيف وقد ورد في الكتاب المبارك قوله سبحانه ﴿ **وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى**

= ١ - لو كان بشرياً لجاءوا بما ينجي أنفسهم من الهلاك ولأجابوا بما يعرفه النصارى آنذاك أن عيسى ابن الله، وهذا الذي أراده « عمرو » لكنه الوحي والأمانة يأبيان عليهم ذلك.
٢ - لو كان النجاشي يعلم أن هذا النبي ﷺ أخذ من اليهودية والنصرانية لبينه وهو في موقف العزة والملك ولكنه علم أنه أمام رسالة مثلها مثل رسالة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام .

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الإسلامية ، دراسة تحليلية ، د/مهدي رزق الله أحمد، ص٢٠٨ طبعة أولى ، سنة١٤١٢هـ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ويلحق به الهامش المذكور سابقاً .

(٢) من معين السيرة ، صالح أحمد الشامي ، ص ٧٩ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، عمّان ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٣هـ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٨٠ .

الأمر وما كنت من الشاهدين * ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر، وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا، ولكنا كنا مرسلين * وما كنت بجانب الطور إذ نادينا، ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾ القصص : ٤٤ - ٤٦ .

بل لقد قال الله لمحمد ﷺ ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ [٣] هود : ٤٩ .

وقال الله له ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ الشورى : ٥٢ ، هل يعقل بعد هذا أن محمداً * ينقل ما يثبت عدم علمه ودرايته بالأمم السابقة ؟ ثم بماذا يفسر لنا المستشرقون هذه الخطابات الورادة في ثنايا الآيات ، من مثل قوله تعالى ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ ** براءة : ٤٣ ، ومن مثل قوله تعالى ﴿ ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ المائدة : ٦٧

من ربُّه ؟ عقله الباطن ! اليهودية والنصرانية أم الوثنية ؟ أم ماذا فليجيبوا على هذه الأسئلة ؟

ويقول سبحانه ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى * قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك ربِّ لترضى * قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً * قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ﴾ الايات : طه ٨٣ إلى قوله تعالى ﴿ قال فاذهب

---

(٣) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح ، ٥ / ٣٢٥ « ثم سائر أهل الأرض يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر ... كان هذا آية وبرهاناً قاطعاً على نبوته ...) أهـ وانظر ص ٣٨٧ من نفس الجزء .

* ﷺ.

** لو استقرأنا كاف الخطاب للرسول ﷺ لطال بنا المقام ولكن انظر آية البقرة : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٧٢ ، آل عمران : ٣، ٧ ، ٢٠ ، ١٠٨ ، ١٢٨ ، ١٥٩ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٩٤، النساء : ٤١ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ، المائدة : ٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣، ٤٨.
نعم : إن هذا وحده كاف في إبطال دعاوى هؤلاء المخمورين ، فضلاً عن النداء والخطاب بالتاء وما يشبه ذلك .

فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس، وإن لك موعداً لن تخلفه، وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً * إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً ﴾ آية : ٩٨ .

ويقول تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين ﴾ الأنبياء : ٤٨ .

ويقول تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ﴾ المؤمنون : ٤٩ .

وقال تعالى ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ المؤمنون : ٥٠ ، وقال تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً * فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ﴾ الفرقان : ٣٥ ـ ٣٦ .

وقال سبحانه حاكياً عن فرعون قوله لموسى ﴿ قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين * وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين * قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين * ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين * ﴾ الشعراء : ١٨ ـ ٢١ .

وقال سبحانه ﴿ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ﴾ الشعراء : ٤٥ .

وقال سبحانه ﴿ يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم * وألق عصاك ﴾ النمل : ٩ ـ ١٠ .

وقال تعالى ﴿ نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴾ القصص : ٣

وقال تعالى ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ القصص : ٧ .

وقال تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴾ القصص : ٤٣ .

وقال تعالى ﴿ ولقد مننا على موسى وهارون * ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ﴾ الصافات : ١١٤ ـ ١١٥ ، وقال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ﴾ غافر : ٢٣ ـ ٢٤ .

وقال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به ﴾ غافر : ٣٤ .

وقال تعالى ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين ﴾ الزخرف : ٤٦ . وقال تعالى ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء

رضوان الله فما رعوها حق رعايتها، فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ الحديد: ٢٧ .

وقال تعالى ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾ الحشر : ٢

وقال تعالى ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني، وقد تعلمون أني رسول الله إليكم، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، والله لا يهدي القوم الفاسقين * وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ الصف : ٥ - ٦ .وقال تعالى ﴿ مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ الجمعة : ٥ .

ويقول سبحانه ﴿ هل أتاك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ﴾ النازعات : ١٥ - ١٦ ، وقال تعالى ﴿ إنّ هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى ﴾ الأعلى : ١٨ ، ١٩ .

والإشارة إما على الآخرة ، أو الفلاح فيمن تزكى ، والله أعلم .

وقال تعالى ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ﴾ البينة : ١ - ٢

وبعد هذا العرض يتبين لنا أنها البينة على أنه رسول الله ﷺ ، لما (اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات ، مما وقع من أخبار الأمم الماضية ، مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب ، ولم يعلم أن النبي ﷺ اجتمع بأحد منهم ، ولا أخذ عنهم ، وبما سيقع فوقع وفق ما أخبر به في زمنه ﷺ وبعده)[1]

نتحدى المستشرقين أن ينكروا مثقال ذرة أو أصغر مما ورد من أخبارهم .

فيا ترى أيُّ الآيات المباركات السابقات أخد محمد ﷺ من اليهودية أو من النصرانية ؟ لماذا غضوا الأبصار عنها ؟ وغطوها بأيديهم ، نسينا أن لهم سلفاً في هذا البهت ففي حديث عبد الله بن عمر ..... « فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم

---

(١) الفتح : ٥٨٢/٦ .

يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا فيها آية الرجم »[1] وهكذا تتبدى لنا الآيات القاطعات على خلو إشاعاتهم من الحقيقة ، وقد علم عرفاً أن المأخوذ عنه لا يترك الآخر يكتب أو ينشر ما يفضحه ويخزيه ويظهر حقيقته أمام الملأ ، فما يقول المستشرقون عن هذه الأخبار ، أن منهم من جعله الله قردة وخنازير وعبد الطاغوت ، ولعنه الله وطبع على قلبه ؟ أهذا أخذ أم خبر بالوحي ، وهم يعلمون ما أصاب أصحاب يوم السبت من المسخ وهي واقعة (معلومة عندهم مشهورة ، لا يجادل فيها اثنان ، ويعلمون أن مسخهم كان مسخاً حسيّاً فظيعاً شنيعاً)[2] وهم يعلمون أيضاً أمر الله لهم بذبح البقرة ، فما الذي أعلم محمداً ﷺ بتلكئهم على نبيهم موسى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - عندما أمرهم أن يذبحوها دون غيرها من سائر الحيوان ، إن هذا في حد ذاته شاهد صدق وعلامة واضحة على ما يخبر به محمد ﷺ من الوحي ، و لو كان بشرياً لسكت عن انتحال معاذيرهم للتخلص من التنفيذ ولما أخبر عن اختيار ذبح البقرة ، هذا الاختيار الذي يوحي من ورائه الحكمة والعلم بما تكنه الصدور ، وذلك أنهم عبدوا العجل فكانت الحكمة تقتضي نزع تقديس العجول والبقر من هذه النفوس الملتوية فلذلك أمرهم الله بذبح البقرة (ليقتلع من نفوسهم كل تقديس للبقر ، لأنها من جنس ما عبدوه وهو العجل ، فينقلب التقديس إلى إهانة واحتقار بدلاً من الحب والتعظيم ... فبعد أن أحرق موسى العجل الذهبي وذراه في البحر جاءهم هذا الأمر الذي يقضي على ما تبقى في نفوسهم من تقديسه قضاءً مبرماً)[3] ، وإذا نظر المتأمل في هذه الآيات يجد (أن في أخبار محمد ﷺ لهم عن مخالفتهم لموسى وتحكمهم به دليل مفحم على صدقه ونبوته لأنه أمي)[4] ، إننا إذا تأملنا قول الرب جل شأنه ﴿ **ولقد قال لهم هارون من قبل ، يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري** ﴾ طه : ٩٠ ، ثم قوله ﴿ **قال فما خطبك يا سامري ، قال بصرت بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها**

---

(١) البخاري كتاب الحدود ، باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم ، حديث رقم : ٦٨٤١ .

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم : ٢/ ١٧١ .

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم : ١٧٤/٢ ، ١٧٥ .

(٤) نفس المصدر : ٢/ ١٣٦ .

وكذلك سولت لي نفسي ﴾ طه : ٩٥ ، ٩٦ ، وقبلها قوله جل شأنه ﴿ فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار، فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ طه : ٨٧ - ٨٨ .

فإذا تأملنا هذا مع إخبار التوراة المحرفة أن هارون هو صانع العجل ، فليجيبونا إن كانوا صادقين على هذا السؤال : كيف اهتدى محمد إلى السامري ، ومن الذي أعلمه أنه هو الذي أضل بني إسرائيل ؟ هذا شئ لا يوجد في التوراة المحرفة ، إنما الذي يوجد فيها أن هارون صنع العجل وأجج ناراً فرقص الشعب وأكلوا وشربوا ، فكيف يخرج المستشرقون من هذا المأزق ؟ إن قلوبهم غلف كآبائهم ، وصدورهم مريضة وذلك أنهم قالوا لنبيهم الذي أنقذهم الله به من العذاب المهين ، وأجرى عليهم من النعم ما لم يحصل لغيرهم من العالمين ، قالوا له ﴿ أتتخذنا هزواً ﴾ إنني أتخيل بني إسرائيل وبعضهم يوشوش لبعض ، بقرة ! إنها أم العجل ! لماذ لم يختر غيرها ؟ إنه يعنينا ! إن الرجل يسخر منا ! فلذلك تملصوا من التنفيذ ! لقد وضع موسى يده على جرح بني إسرائيل الذي ينكيهم ! بقرة ، عجل ! فلذلك قالوا قولتهم الأثيمة ! إن هذا الشعب لئيم جداً ! يحسبون موسى ينتصر لنفسه ويُعَيِّرُهم بالحسيل ! فلذلك أصابتهم عقدة نفسية من ذكر جنس العجل ! (ولله در موسى ، كيف أجابهم بكل أدب ولطافة ، نافياً عن نفسه مااتهموه به على أبلغ وجه وأوكده بأخراجه مخرج مالا مكروه وراءه بالإستعاذة منه استعظاماً له ، واستفظاعاً لما شافهوه به ، وما قابلوه من الفظاظة وسوء الأدب ، ولو كان عندهم مسحة من ضمير ما قابلوه بهذا)[1] إنها النبوة نشهد لكليم الله موسى بها حين قال ﴿ أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ إنما يُعَيِّر وينبذ بالألقاب الجاهل ، وحاشا لكليم الله ذلك .

إن هذه المحاورة روح من الأرواح الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ .

فماذا يقول المستشرقون عن هذه المحاورة ؟ من أين أخذها رسول الله ﷺ .

إن إخبار محمد ﷺ عن إحياء الله عز وجل للرجل الذي قتله بنو إسرائيل بضربه بقطعة لحم من حيوان مذبوح معجزة باهرة وحادثة عظيمة نتحدى المستشرقين أن يجرؤ أحد منهم على إنكارها وكيف ينكرونها ؟ ولم ينكرها اليهود الذين عاصروا محمداً ﷺ مع أنهم أمة البهت والفجور ، أخبر بها محمد ﷺ عن خصوم لؤماء كتموا الجريمة

---

(١) صفوة الآثار : ١٧٨/٢ .

لحاجات وأهواء في صدورهم وكذلك خلفهم المستشرقون في كتم صدق نبوة محمد ﷺ لكي يبقوا على أرزاقهم وإتاواتهم ، ﴿ إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ .

إن هؤلاء المستشرقين لا ينقصهم الدليل على صدق نبوة محمد ﷺ ، ليس هذا العلة ، إنما العلة أن قلوبهم مسخت مع مسخ فطرهم فاشتدت قسوتها فأصبح عليها أقفال من الشك والحيرة [1] ، وذلك أنهم جعلوا دينهم رابطة عصبية جنسية استعلوا بها على غيرهم ، فانحرفوا عن حقيقة دينهم وجعلوا مصالحهم الشخصية وأهواءهم متسلطة على الأمم الإسلامية بما فيها إرثهم ، فتراهم يتصرفون بنصوصهم كما لو أنهم يملكونها حقاً ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان آباؤهم يسمعون كلام الله من موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، ويعقلونه غاية الفهم ويصدقون به أنه وحي الله ، فكان ماذا ؟ كان أنهم (أخذوا في تحريفه بأن حرفوه عن وجه الحق إلى ما يريدون مما يوافق أغراضهم الشخصية ﴿ وهم يعلمون ﴾ لم يلتبس عليهم شئ ، يوجب التأويل والتحريف ، ولكنها المقاصد السيئة في نفوس خبيثة لا ترضخ للحق أبداً) [2] فها هو الحال مع محمد ﷺ ! فمن سمع كلمة من « اليهودية » أو من « النصرانية » يحسب أنهم سامعون مطيعون لدينهم والحال أنه عناد وتلكؤ وتملص حتى مع أعظم أنبيائهم موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، فهل ينكر المستشرقون هذا ؟ وعلم منه أن (من كان منطبعاً بهذا الطبع حول التوراة ، فانحرافه عن القرآن أولى ،

---

(١) إن وسواس التناقض ملازم لهم لتناقضهم في إلههم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الجوب الصحيح : ٤ / ٢٣ ، (ومن عجائب النصارى أنهم يدعون فيه [عيسى] الألهية مع ادعائهم فيه غاية العجز حتى صلب) هذا هو سر تناقضهم في أقوالهم .
مع العلم أن النصارى أنفسهم لم يروا صلب المسيح - على حد زعمهم - بل الذي أخبرهم بذلك هم اليهود ، انظر الجواب الصحيح : ٤/٣٤ .
ويقول رحمه الله (وأما النصارى المحاربون للمسلمين الخارجون عن ذمتهم من أهل الجنوب والشمال فهم أنقص عقولاً وأخلاقاً ، ولما فيهم من نقص العقول والأخلاق ظهرت فيهم النصرانية دون الإسلام) أهـ الجواب الصحيح : ١/١٦٥ .

(٢) صفوة الآثار : ٢/١٩١ ، وانظر : ص ١٨٦ ، ١٨٩ .

وعناده له أشد) [١] وقد زعموا أن لديهم وحياً مكتوباً ووحياً غير مكتوب [٢] !
السؤال : فمن أي الوحيين أخذ محمد ﷺ ؟ ولنا على هذه الجملة شهادات معتبرة من قبل دارسي التوراة ، الأولى (إن الأسس التاريخية لهذه العقيدة (اليهودية الأرثوذكسية) قد أعطيت لليهود في تشريعات عزرا ونحميا حوالي ٤٠٠ سنة قبل الميلاد ، ثم عدلت ونقحت في القرون التالية في الشريعة غيرالمكتوبة أي الشفهية ، وتلمود بابل) [٣]

إن كلمة « غير المكتوبة » بمفهوم المخالفة نستنبط أن هناك « شريعة مكتوبة » يزيده بياناً أن (القانون الشفهي ويسمى بالعبرية Torah Shebe'alpeh فجزء من القانون اليهودي المعترف به ، غير موجود في التوراة ، اختلقه الحاخامات بحجة تنظيم الحياة والمعاملات الداخلية لليهود لزيادة تماسكهم) [٤] وقد ابتدع حكماء اليهود قوانين أخرى مروية عن موسى غير تلك المدونة في التوراة (زاعمين أنه حيث إن موسى لم يكتب هذه القوانين فلا يجوز لأحد كتابتها ، وكان الحاخامات يتناقلونها سراً من جيل إلى جيل) [٥]

السؤال : كيف نقل محمد ﷺ من اليهودية ، وقوانين اليهود يتناقلها الحاخامات سراً من جيل إلى جيل ؟ هذه واحدة ! والأخرى : أنه علم من اليهود أنه (عرق متمرد متآمر منطو على نفسه ، منظم تنظيماً شبه عسكري ، وغير قابل للإندماج مع

---

(١) المصدر السابق : ٢/١٩٣ .

(٢) انظر المصدر السابق : ٢/٢٠٠ .

(٣) التوراة تاريخها وغاياتها ، ترجمة وتعليق : سهيل ديب ، ص ١٧ ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة السادسة : ١٤٠٦ هـ وقد نقله : مؤلف الكتاب المجهول إلا أن سهيل ديب عرَّف به بأنه أمريكي الجنسية ، لاهوتي ومحلِّل علمي ، انظر : ص ٧ ، ص ٩ - المهم أن هذا الأمريكي نقله من : د / آرثر روبن ، اليهود في العصر الحاضر ، دراسة إجتماعية علمية ، برلين (١٩٠٤م) .

(٤)التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الإسلام خان ، ص ١٩ ـ ٣٠ ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة السابعة : ١٤١٠هـ .

(٥) نفس المصدر السابق ، ص ٣٠ .

غيرهم) [١] كيف تم ذلك ؟ أي كيف أمكن ضمان عدم اختلاطهم الثقافي والعرقي مع غيرهم من الشعوب ؟ الجواب : (بواسطة التعاليم الدقيقة عن سلوكهم كأفراد) [٢] وبواسطة انعزال اليهود في أحياء عرفت بالغيتو [٣] ، فإذا تقرر هذا فسنضيف إليه معلومة وهو أن كتاب التلمود قوانين سرية وضعها فيه حاخامات اليهود بحيث (يستعصي على سواهم السلوك فيه ، لكثرة رموزه ، وصعوبة لغته الآرامية اليهودية ، وترامي أطرافه ، وامتلائها بالمتاهات ، بحيث أصبح (الكتاب السري) * للعقل اليهودي ، والقلب اليهودي أيضاً ، بما يملؤه من حقد على الأمم الأخرى) [٤] ، فإذا اجتمع التكتم والسرية مع ما عرف عن اليهود من الحسد وأنهم (لا يقبلون في صفوفهم إنساناً جديداً يعتنق دينهم) [٥] ، وأن دينهم (دين مغلق) [٦] فكيف أخذ رسول الله ﷺ منهم ؟

وإذا تَعمَّقْنا في الديانة « اليهودية » نجد (تعدد الآلهة لدى اليهود وعبادتهم آلهة غير « يهوه » و « إلوهيم » و « أدوناي » وذلك حتى عهد متقدم من تاريخهم ، وعن تعددية ملوكهم وعلى رأسهم الملك سليمان ، إقرأ سفر الملوك الثالث (ك)

---

(١) التوراة تاريخها وغاياتها ، مصدر سابق : ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٨ .

(٣) انظر المصدر السابق : ص ١٨، ولم يخرجوا إلا في القرن الثامن عشر بعد المناداة بالحرية والمساواة في الثورة الفرنسية ، انظر : اليهود في مسرحيات شكسبير وباكثير، د/ عدنان محمد وزان ، ص ٨٠ ، الدار السعودية ، جدة ، الطبعة الأولى : ١٤١٠هـ .

* وضعها الكاتب بين قوسين .

(٤) من مقدمة د/حسن ظاظا ، لكتاب : الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة د/ يوسف نصر الله ، ص ٢٠، دار القلم : دمشق ، دار العلوم : بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٨هـ .

(٥) التوراة ، تاريخها وغاياتها ، مصدر سابق ، ص ٥ .

(٦) نفس المصدر والصفحة .

(الأول ب) * ، تركوني ** وسجدوا لعشتاروت إلاهة الصيدونيين ، وكاموش إله الموآبين ، وملكوم إله بني عمون .... - الفصل : ٣ : ٢٩ ، وكذلك سفر القضاة ٣ : ٦ - ٨ : فأقام بنو إسرائيل بين الكنعانيين والحيثين والآموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ... وعبدوا آلهتهم ... وعبدوا البعليم والعشتاروت) [١] ومن هذه الآلهة « عشيرة » وقد عبدها العبرانيون اعتباراً من احتلال أرض كنعان وحتى النفي إلى بابل عام (٥٧٦) قبل الميلاد ، واسمها الاخر هو « أللاة » أو « أللاتو » وكذلك الإلهة عشتروت - « أناة » أو « مناة » وكذلك الإلهة « إشتار » نجمة الصبح ، أو العزى ، وقد أتى ذكر هذه الآلهة في التوراة مرات متعددة كآلهة عبدها العبرانيون وثابروا على عبادتها تاريخياً حتى عام ٦٢١ قبل الميلاد [٢]، بعد هذا العرض التاريخي الذي ظهر لنا منه أن هناك إلاهات أنثيات تحمل نفس الأصنام التي عابها القرآن وسفَّه أحلام أصحابها قال تعالى ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ،

---

* فسَّرها بأن ترقيم المزامير يختلف بين النصوص المعتمدة لدى الكاثوليك والبروتستانت، لذلك فالحرف (ك) إلى النص الكاثوليكي ، والحرف (ب) إلى النص البروتستانتي انظر حاشية (٢) ص٣١ من كتاب : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، دار النفائس : بيروت ، الطبعة الثانية : ١٤٠٥هـ .

** إله اليهود المتكلم واسمه « يهوه » .

(١) المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ٤٧، ٤٨ ، ٤٩ ، وقد زعم المؤلف أنه نقلها من « فيليب حتى» تاريخ العرب ، ص ٧٩ ، و ص ٩٩ . ونقلها من الدكتور : رافائيل باتاي ، أستاذ علم الانتروبولوجيا في معهد هرتزل بإسرائيل ، من كتابه المطبوع بنيويورك ، (١٩٧٨) والمسمى (The hebrew goddess) وقد رجعت إلى القاموس إلى مادتي hebrew و goddess ، فوجدت الأولى : ص ٤١٩ تعني « اليهودي واللغة العبرانية » والثانية ، ص ٣٩٣ ، إلاهة ، معبودة ، امرأة فاتنة ، فظننت ظناً أن العنوان يعني : « الالهة العبرية » التي هي بطبعها الالاهات الانثيات تُعْبَدُ بشكل متواز مع « يهوه » و « إيلوهيم » و « أدوناي » انظر : المصدر السابق، ص ٣١ .

تلك إذاً قسمة ضيزى ﴾ النجم : ١٩ ـ ٢٢ . السؤال : لماذا لم يرفع المستشرقون عقيرتهم فيتهموا إخوانهم الذين كفروا من العرب أن وثنيتهم آتية من وثنية اليهودية ؟ وثنية ليست أصيلة مزَّيفة مشوهة ممسوخة ، فرعٌ عن اليهودية الأصل ، ولا سيما أن الأسماء متطابقة تماماً اللات والعزى ومناة تعبد عند اليهود ، واللات والعزى ومناة تعبد عند الكفار العرب ، فلماذا لم يقولوا للعرب : لقد سرقتم إلاهاتنا الأنثيات ؟ مع العلم أن « عمرو بن لحي الخزاعي » * دخل « موآب » في وادي الأردن بالبلقاء ، فوجد أهلها يعبدون الأصنام ، فأخذ عدداً منها ، فنصبها بمكة ، ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها ، وغَيَّر دين إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام الذي خلفه ابنه إسماعيل ـ من التوحيد إلى الوثنية ،

السؤال : فلماذا لم يقولوا أخذ « عمرو بن لحي » الوثنية من « موآب » وغضوا الطرف عن هذا وقد رحل إليهم وافر العقل ؟ وافتروا على سيد الخلق ﷺ فإذا تقرر هذا فلماذا حاربها القرآن إذا كان ناقلاً من اليهودية أصل اللات والعزى ومناة ؟ ولقد ذكر « الأزرقي » ** رحمه الله في « أخبار مكة » أن « اللات » رجل من ثقيف كان يلت للحجاج السويق (فمات ، فلما فقده الناس ، قال لهم عمرو *** : إن ربكم كان اللات ، فدخل في جوف الصخرة) [1] وزاد « الأزرقي » رحمه الله أن (عمرو بن لحي اتخذ العزى بنخلة ، فكانوا إذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها) [2]، وذكر أيضاً رحمه الله (أن عمرو بن لحي نصب « مناة » على ساحل البحر مما يلي قديداً) [3]، وفي الجملة قد ورد حديث في

---

* انظر ترجمته في الأعلام ، للزركلي ، ٥ / ٨٤ .

** محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي اختلف في ولادته ووفاته انظر التعريف به في المقدمة ١١ ـ ١٧ .

*** أي عمرو بن لحي الخزاعي .

(١) ١٢٦/١ ، تحقيق : رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس ، بيروت ، دون ذكر السنة وطباعتها .

(٢) نفس المصدروالصفحة .

(٣) نفس المصدر : ١٢٤/١ ـ ١٢٥ ، وانظر فتح الباري : ٦١٣/٨ .

« البخاري » عن ابن عباس رضي الله عنه قوله : (كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج) [1] فظاهر رواية « الأزرقي » أن الذي دعا إلى عبادته « عمرو بن لحي » متأثراً بما سمع من أسماء أصنام عبدها أهل « موآب » فأخذها ومسمياتها وغيَّر بها دين التوحيد ، فلماذا كتم المستشرقون هذا ؟ حتى لا يقول الناس : إن اليهودية بعد موسى عبدت إلاهات أنثيات ، فكتموا ومحوا هذه الأخبار لما جبلوا عليه من البهت والكذب ، وشاهده ما جاء في البخاري ، من كتاب « الجزية والموادعة » باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم ؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم ، فقال النبي ﷺ : اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود ، فجمعوا له ، فقال: إني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقيَّ عنه ؟ فقالوا : نعم. قال لهم النبي ﷺ : من أبوكم ؟ قالوا : فلان . فقال : كذبتم بل أبوكم فلان . قالوا : صدقت . قال : فهل أنتم صادقيَّ عن شئ إن سألت عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا . فقال لهم : من أهل النار ؟ قالوا : نكون فيها يسيراً ، ثم تخلفونا فيها . فقال النبي ﷺ : اخسئوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبداً . ثم قال : هل أنتم صادقيَّ عن شئ إن سألتكم عنه ؟ قالوا : نعم يا أبا القاسم . قال : هل جعلتم في هذه الشاة سماً ؟ قالوا : نعم . قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : إن كنت كاذباً نستريح ، وإن كنت نبياً لم يضرك " . وقد ذكر ابن حجر في « الفتح » أن الذي سمته « زينب بنت الحارث » [2] امرأة من اليهود ، وأنها قالت : وقد استبان لي الآن أنك صادق . وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك ، وأن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : فانصرف عنها حين أسلمت [3].

ماذانستفيد من هذه الرواية التي عشى عنها وعن أمثالها المستشرقون ؟

١ ـ لو كان ناقلاً عنهم فكيف يكذبهم ثم يسكتون له ولا يردون عليه إلا بالموافقة لقوله ﷺ ؟ لو كان ناقلاً عنهم لقالوا بملء أفواههم : يا محمد لا تعد قدرك إنك تلميذنا وآخذٌ عنا ، ودينك بضاعتنا ردت إلينا ، فكيف تُسَوِّقها في أسواقنا ؟ فلو

---

(١) كتاب التفسير ، باب « أفرأيتم اللات والعزى » انظر الفتح : ٦١١/٨ .

(٢) انظر : فتح الباري : ٤٩٧/٧ .

(٣) انظر المصدر السابق : ٧ / ٤٩٨ .

كان هؤلاء اليهود المعاصرون للنبي ﷺ يعلمون عنه ما ادعاه هؤلاء العجاف أتراهم يسكتون عنه ، وقد سخر بهم وحَطَّ كرامتهم ؟ إن هذا لشئ عجاب .

٢ ـ إن هؤلاء وآباءهم قوم كاذبون كذباً فوق التصديق ، فهؤلاء كتموا أسماء أصنام وثنية قريش أن أصلها وثنية يهود بعد النبي موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، وأولئك كذبوا في دعواهم أنهم يلبثون في النار قليلاً ، فعلم منه معاندتهم للحق (لاعترافهم بصدقه فيما أخبر به عن اسم أبيهم ، وبما وقع منهم من دسيسة السم ، ومع ذلك فعاندوا واستمروا على تكذيبه)[1].

٣ ـ ماذا يفهم المستشرقون من قول اليهود السابقين « إن كنت كاذباً نستريح ، وإن كنت نبياً لم يضرك » وماذا يفهمون من قول اليهود السابقين « وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا » أخفوا اسم أبيهم لعلة يعلمونها ، فكذلك اليهود المعاصرون في هذا الزمن أخرجوا مادة « خزر » من دوائر المعارف الأوربية ، وشوهوا مواد العرب وفلسطين (وذلك في سبيل الإدعاء بأن لليهود حقاً في فلسطين ، وبأنه كان لهم وجود قبل العرب ، وهذا ما كشفت فساده الأبحاث العلمية والحفريات الأثرية)[2] وذلك يؤيده (أكثر مشاهير العالم وعلماء علم الإنسان وعلماء الآثار وعلماء اللاهوت والمؤرخون والعلماء عامة في كل حقل من حقول البحث العلمي ، المختصون بموضوع خزر أمس و « يهود » اليوم ، المراجع والأسانيد التي تبرهن ، بدون أدنى شك ، عن حقائق وأرقام تظهر ما وراء هذه المسألة ، مؤكدة على أن مالا يقل عن ٩٢ ٪ من جميع من يزعمون أنفسهم « يهوداً » في العالم اليوم ، ينحدرون ممن عرفوا بيهود السلالة الخزرية تاريخياً . وهؤلاء العلماء والمشاهير يقدمون أيضاً حقائق وأرقاماً تؤكد على أن ٨٪ المتبقية ممن يزعمون أنفسهم « يهوداً » ينحدرون من السكان الوثنيين البدو القدامى في أفريقيا وآسيا ، وحوض البحر الأبيض المتوسط ، الذين تحولوا إلى عبادة جيهوفا Jehovah قبل١٧ قرناً من تحول الخزر الوثنيين في سنة ٧٢٠ م من عبادة قضيب الرجل إلى عبادة جيهوفا ،.... فأن الجميع يتحدر من

---

(١) الفتح : ١٠/٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

(٢) المعاصرة في إطار الأصالة ، لأنور الجندي ، ص ٣٥ ، دار الصحوة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ .

سلالة الخزر تاريخياً ، الذين أكرهوا على الفرار إلى أوربا الغربية يلتمسون الأمان ، وينشدون الإقامة في وطن جديد ، ... من المحقق الذي لا يقبل الجدل الحقيقة التاريخية القائلة أن لا ٩٢ ٪ ولا ٨٪ ينحدرون ممن عرفوا بـ « يهود الأرض المقدسة » في تاريخ « العهد القديم » ، « المشتتين في زوايا الأرض الأربع » كما يقول اسلوب « الكذبة الكبرى » للإحتيال الشرير الذي لم يعرف مثيلاً له كل تاريخ البشرية المدون) [1]

وماذا نستفيد من هذه الحقائق التاريخية ؟ نستفيد منها الآتي :

١ ـ أن هؤلاء اليهود المعاصرين الذين هم سلالة الخزر أعانوا الدول الغازية على العالم الإسلامي في (القضاء على الأشلاء الباقية من الكيان الإسلامي الضخم ، وسد كل الطرق التي قد تُهئ لبعث الحياة فيها [وهذا لا يتم] إلابسلب الأمة ذاكرتها متمثلة في تراثها العظيم * وفي الوقت نفسه شن حرب نفسية شرسة لإبادة مالا يزال عالقاً في أذهان المسلمين من عقائد الإسلام ومفهوماته ، وإن لم تكن الإبادة التامة فلتكن الزعزعة والتفتيت) [2] ، وما فعلوا ذلك إلا لتساعدهم على إيجاد وطن

---

(١) بن يامين فريد مان ، يهود اليوم ليسوا يهوداً ، ترجمة: زهدي الفاتح ، ص ٤٤ ـ ٤٦ ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٣هـ .

ويؤكد هذا المعنى « جاك تَنِّي » عضو مجلس الشيوخ الأمريكي ، في كتابه « الأخوة الزائفة القصة المذهلة للمكائد والدبلوماسية الخبيثة لإخضاع البشرية والسيطرة عليها » ترجمة : أحمد اليازوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة : ١٤٠٨هـ قال « جاك » ص ١٨٨ بعد أن ذكر أن أمريكا نجحت في استيعاب شعوب أوربا ، قال : (وذاب معظمهم في المجتمع الأمريكي ، وتلونوا بلونه ، ولم يرفض هذا التجانس سوى قطعان يهود خزر القادمين من الإتحاد السوفيتي) أهـ .

* إن قصد به نتاج الفكر الإسلامي فنعم ، وإن قصد به المنهج الإسلامي القائم على القرآن والسنة فلا يطلق على هذا تراثاً فهو (شئ غير التراث وفوق التراث) أهـ المعاصرة في اطارة الأصالة ، ص ٧ .

(٢) الشيخ الدكتور : سفر الحوالي ، العلمانية ، ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤ .

قومي في فلسطين [١] من باب (اقطع لي وأقطع لك) ، وكذلك حتى يسهلوا مهمة هذه الدول الغازية فلا يجدوا المقاومات الإسلامية التي أسها وأساسها هذا القرآن المبارك .

أي ساهموا في الحرب النفسية والتخذيل في أوساط المسلمين ، فالإسلام من اليهودية ، إذن ففلسطين يهودية ، فلهم « الشرعية » في إرجاعها والرجوع إليها .

٢ - إن اليهود السابقين عايشوا النبي ﷺ وعلموا حياته وصدق نبوته ﷺ ، فاشتدوا في أذيته وناصبوه العداء ولكن مع ذلك لم يجرؤ أحد منهم أن يقول هذه القولة النكراء من أنه أخذ من اليهودية * ، ولم ينقل لنا من ذلك شئ سواءً من المؤرخين الإسلاميين أو غيرهم ، ونتحدى المستشرقين أن يثبتوا ذلك ، .

بينما هؤلاء اليهود الخزر الذين يتكلمون من وراء البحار أشباحاً وخيالات قالوا بأنه أخذ من اليهودية أهم أعلم أم يهود بني قريظة والنضير وقينقاع الذين لهم أصل إلى إسرائيل « يعقوب » عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام [٢] ؟

---

(١) انظر : الصحوة الإسلامية في عيون مختلفة ، ص ٤٢ ، مصدر سابق .

* لأنه ﷺ جاءهم بأنباء أسلافهم ، وأخبار أوائلهم ، ليس عند غيرهم من العلم بصحته وحقيقته مثل الذي لهم من العلم به، إلا لمن اقتبس علم ذلك منهم، فَعرَّفهم الله باطلاع محمد ﷺ عليها - وهم يعلمون أن محمداً ﷺ لم يزاول الدراسة معهم فعلموا هنالك أن محمداً ﷺ لم يصل إلى علم ذلك إلا بوحي من الله وتنزيل منه إليه - لأنهم من عِلْمِ صحة ذلك بمحل ليس به من الأمم غيرهم أهـ ملخصاً من تفسير الطبري عند قوله تعالى ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ البقرة : ٤٠ ، ١/٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وقتاله لهم بلغ من التواتر ما يقطع به كل ناظر أنهم عجزوا عن أن يتهموه ﷺ بأنه أخذ منهم ، ومن تأمل في شرعه ﷺ يعلم هنالك الدلائل وأضعافها مما يتبين به كذب هذه الدعوى، وإنه من المعلوم بالضرورة لكل من علم أحواله بالنقل المتواتر الذي هو أعظم تواتراً مما ينقل عن موسى وعيسى وغيرهما - التي اتفق على نقلها عنه أصحابه - مع كثرتهم وتفرق ديارهم وأحوالهم - وقد صحبه عشرات ألوف لا يحصى عددهم على الحقيقة إلا الله - تعالى - ونقل ذلك عنهم التابعون وهم أضعاف الصحابة عدداً ثم ذلك منقول قرنا بعد قرن إلى زمننا مع كثرة المسلمين =

٣ ـ إن المستشرقين في تأليبهم هذا يذكروننا بيهود قريظة والنضير وقينقاع حين حَرَّضوا الأحزاب على قتال المسلمين ، وما فعل أولئك إلا لعجزهم عن أن يجدوا في هذا الدين مدخلاً يدخلون منه ، وعلموا أنه وحي الله لعبده ورسوله محمد ﷺ [1] ، فكذلك هؤلاء عجزوا عن أن يطفئوا نور هذا الدين بأيديهم ، فأخذوا يقذفون بالإفتراءات من مكان بعيد ، فانخذل أولئك ، وهؤلاء ما هم منهم ببعيد ﴿ **والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ الصف : ٨ .

٤ ـ إن اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ أقرب منه معايشة فيقدم قولهم على هؤلاء الذين بعدت ديارهم فبعدت عقولهم وأقوالهم ، وذلك أن أولئك لم يرموا بهذه الفرية الإسلام أنه أخذ من اليهودية فهم به أخبر وعلى حاله أظهر [2] ، أما هؤلاء فتلقوه بالسماع فترد دعاواهم لخلوها عن المعايشة والقرب والاطلاع على حاله ، هذه حقيقة ، والأخرى أن الرجل إذا تنازعه قولان من خصومه ، واحد منهم بعيد والآخر مطلع على أحواله وأخباره فيؤخذ قول الثاني ، لأنه رأى من الأيات البينات القاطعات ما يجعل قوله حجة على من يقذف بكلامه أشباحاً وخيالات ، فيهود المدينة أعلم بحاله ﷺ من هؤلاء وذلك أنهم لم يفكروا في هذا المحال مثلما فكر هؤلاء المرتزقة .

=. وانتشارهم في مشارق الأرض ومغاربها ...... وحاصل هذا أن رسول الله ﷺ دعا أهل الكتاب داخل الجزيرة وخارجهافلو كانوا يعلمون تلمذته لأشاعوا به ونقلوه نقلاً تسير به الركبان ، فلما لم ينقل بماذا يفسر المستشرقون هذا ؟ استفدت هذه الخواطر من الجواب الصحيح : ١٦٣/١ ، ١٦٤، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، .

(١) انظر : اليهود في مسرحيات شكسبير وباكثير ، مصدر سابق ، ص ٧٠ .

(٢) وفي هذا يقول شيخ الإسلام في الجواب الصحيح : ٣٨٧/٥ (أما قومه المباشرون له الخبيرون بحاله فكانوا يعلمون أنه لم يتعلم هذا من بشر ، فقامت عليهم الحجة بذلك ، وأما من لم يعرف حاله إلا بالسماع فيعلم ذلك بطرق : منها :تواترأخباره وكيف كان ؟ من حين ولد إلى أن مات، كما هي مستفيضة مشهورة متواترة، يعلمها من كان له خبرة بذلك، أعظم مما يعلم به حال موسى وعيسى ، فإن محمداً ظهر أمره ، وانتشرت أخباره، وتواترت أحواله ، أعظم من جميع أنبياء بني إسرائيل ، فما بقي ما دون هذا من أحواله يخفى على الناس فكيف مثل هذا) أهـ .

والحاصل أن أولئك وهؤلاء عجزوا وشرقوا بهذا الدين فأصابتهم الحسرة وعلاهم الذل ، وليس هناك من متنفس إلا بالسب والشتم ودليله ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذن رهط من اليهود على رسول الله ﷺ . فقالوا : السام عليكم . فقالت عائشة : بل عليكم السام واللعنة ، فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة " إن الله يحب الرفق في الأمر كله " قالت ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : " قد قلت وعليكم " وفي رواية أخرى ، قال " بلى قد سمعت فرددت عليهم ، وإنا نجاب عليهم ولايجابون علينا " [١]

فلو كان أولئك الأحبار يعلمون نقله منهم وأخذه من كتبهم *أكانوا يمتطون السب والشتم ، ولا يجدون ما يدفعون به القهر عن أنفسهم إلا الدعاء بالموت ؟ لقد أحاطت بهم الذلة من كل مكان ، وإن السامع لكلامهم هذا يظن أنهم موقرون لأنبيائهم ، وليسوا من ذلك في شئ ، فقد حكى الله عنهم أنهم (قابلوا أنبياءهم أسوء المقابلة ، من التكذيب والقتل ، لما بلغت قلوبهم من شديد القساوة التي وصفها أقسى من الحجر) [٢] فهذه أخبارهم مع أنبيائهم نتحدى المستشرقين أن ينكروها ، فأذا كانوا كذلك فما تظن أنهم فاعلون مع خاتم الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه ؟

ويزيده بياناً أنهم لما كفروا بكتبهم وجنوا عليها بتحريفها وفق أهوائهم وأغراضهم (أصبحوا فقد أنسوا بالكفر ورضوا به وانطبعوا عليه واطمأنوا إليه ، فكان ذلك سبباً في حرمانهم من قبول الرحمة الكبرى بأجابة خاتم المرسلين ﷺ) [٣] وهذه تفسر لنا لماذا كلما جاءوا رسول الله ﷺ حيوه بما لم يحيه به الله ؟ فلو كانوا يعلمون عنه النقل لأذاعوا به ونشروه ولا سيما أنهم أهل الدعاوى الباطلة والمزاعم المفتراة ، فما الذي منعهم من ذلك ؟ الحياء ! كلا ! خشية التحدث عنهم أنهم كَذَبَة ! كلا ولا كرامة ! إن

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب : النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، وكيف يرد عليهم ، رقم الحديث : ٢١٦٥ و ٢١٦٦ ، ٤/ ١٧٠٦ ، ١٧٠٧ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .

* هل هناك كلمة واحدة من اليهودللرسول أنك أخذته منا ؟ كما نعلم ذلك ؟ وإنما كل الذي قالوا إنه « أساطير» « إنما يعلمه بشر » « إنما هم أهل مكة » ...

(٢) صفوة الاثار والمفاهيم : ٢/٢٣٢ .

(٣) المصدر السابق : ٢/ ٢٣٧ .

كل ذلك لم يكن ، ولكنهم خافوا من (الوحي الذي يفضحهم وينقد زيفهم ...ويكشف عن الباطل ، ويفضح مساويه ، ويحذر من أضراره ومفاسده ، تحذيراً يدعو إلى رفضه واجتنابه) [١] فمن رفضهم واجتنابهم قطع كل علاقة بهم ، حتى السلام ، سلامهم من الأمراض والآفات لا يستحقون الدعاء لهم بذلك ، قال ﷺ " لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام . فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) " [٢] أهذا قول رجل أخذ من اليهود والنصارى ؟ لقد بَلَّغ رسول الله ﷺ أمته كل شئ ، وتواتر عند المسلمين (أنه أمين لم يترك تبليغ شئ مما أنزل إليه من ربه حتى ما فيه معاتبته ولومه الشديد) [٣] ، إن المستشرقين يعرفون هذا كما يعرفون أبناءهم ، ولكنهم يريدون كسر الحاجز النفسي بينهم وبين المسلمين ، ولا يتم لهم ذلك إلا بأضلال المسلمين وإبلاسهم ، ولقد علم المستشرقون أن محمداً ﷺ جاء بدين (من حفظه ساد ، ومن ضيَّعه سقط) [٤] ، ومما جاء به عدم بدء اليهود والنصارى بالسلام ، وبطرد اليهود من جزيرة العرب التي هي (وقف في الإسلام على من قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، وقام بحقها ، جزيرة العرب وديعة النبي ﷺ إلى أمته ، التي استحفظهم عليها في آخر ما عهده النبي ﷺ) [٥] ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " بينما نحن في المسجد خرج النبي ﷺ فقال : انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال: أسلموا تسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ورسوله ، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله " [٦] ،

---

(١) ٢/٢٤٦ ، ٣/١٣٤ .

(٢) صحيح مسلم ، الكتاب السابق ، والباب ، والجزء والصفحة ، رقم الحديث : ٢١٦٧ .

(٣) صفوة الآثار والمفاهيم : ٣/١٣٤ .

(٤) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، صالح بن عبد الله العبود ، ص ٣٥٧ ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى : ١٤٠١هـ .

(٥) خصائص جزيرة العرب ، لبكر بن عبد الله أبو زيد ، ص ٣٤، دار ابن الجوزي ، الدمام، الطبعة الأولى : ١٤١٢ .

(٦) البخاري : كتاب الجزية والموادعة ، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ، رقم الحديث : ٣١٦٧ .

ماذا نستفيد من هذا الحديث ؟

١ - أهذا القول يخرج من ناقل ؟ إنه قول عزة وهيمنة بهت لها يهود ، وهو أمر صارم يعني (إخراج كل من دان بغير دين الإسلام) [١] من هذه الجزيرة الطيبة التي (لا يقطنها إلا طيب ، ولما كان المشرك خبيثاً بشركه حرمت عليه جزيره العرب) [٢] فهل هذا تابع أم سيد مبارك نبي ﷺ ؟

٢ - قوله " إن الأرض لله ورسوله " إخبار منه ﷺ للحق والحقيقة ، فكأنه يقول لهم هل عندكم غير هذا ؟ بل جاء في « فتح الباري » زيادة تدل على هذا وهو قولهم « قد بلغت » [٣] لم يجرؤ أحد منهم أن يتلفظ بكلمة ، كلهم قد ضربت عليه الذلة ، وعلاهم الصَّغار ، فعلامَ يدل هذا ؟ لو كانوا يعلمون عنه « تلميذاً » لهم أفلا يستدعي الموقف تذكيره بهذا حتى يعطف عليهم ويرحمهم ؟

٣ - قوله " فمن يجد بماله شيئاً فليبعه " صورة تدل على مقام النبوة ، فأمرهم قد عجف ، ونجمهم قد هوى ، يتصببون العرق ، علاهم الرحض ، ومع ذلك الهادي المهدي ﷺ يعرض عليهم (أن من يشق عليه فراق شئ من ماله مما يعسر تحويله فقد أذن له في بيعه) [٤] ، أين هذا من حرق جنود « الإستعمار » لأمتعة وطعام المسلمين يوم دخلوا ديارهم على حين ذبول الدين من نفوسهم ؟ فهذا التعامل لا يصدر ممن اشرب قلبه نهب خيرات البلاد والعباد ، إنما يصدر من النبوة التي سار على نهجها المسلمون في فتوحاتهم * .

---

(١) الفتح : ٢٧٢/٦ .

(٢) خصائص جزيره العرب ص ٣٤ .

(٣) انظرها في الفتح : ٢٧١/٦ .

(٤) الفتح : ٢٧١/٦ .

* هذه « خرجة » أحببت أن أنفثها هنا لأبين أن كل تعامل جرى من المسلمين بعد رسولهم ﷺ إنما هو من توجيهات النبوة ، وليس في وسع أهل الدنيا أن يصلوا إلى ذلك ، والله من وراء القصد ، وذلك : أن الرسل لا تغدر لأنها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يبالي طالبه بالغدر ، بخلاف من طلب الآخرة ، الفتح : ٣٧/١ .

والحاصل أن حديث إخراج المشركين [1] وعلى رأسهم اليهود والنصارى تدل بنفسها على نقض دعوى المستشرقين ، لأن الإخراج يقتضي الخصام ، والخصام يقتضي تطلب الحجة ، وتطلب الحجة يقتضي أن يخبروا عنه بكل ما عرفوه ، فلو علموا ولو من طرف خفي أنه « تلميذ » لهم لأخرجوا ذلك وما كتموه ، وكيف يكتمونه ، وهم بحاجة إلى التمسك بأي مُدَّخل يدخلون منه ؟ فلو كان كذلك لقالوا له : إنك ما أخرجتنا إلا لتطردنا وتبعدنا حتى لا نفضحك أنك « تلميذنا » لكنهم لم يقولوا ، ولم ينقل عنهم، ونتحدى المستشرقين على ذلك !

فليرونا جلدهم في البحث والتنقيب عن الشذوذ والغريب وليفعلوا هنا مثل ما فعلوا هناك ونتحداهم على ذلك إلى قيام الساعة ، إنهم وخلفهم أعجز من أن يأتوا لنا بقلامة ظفر من ذلك .

بل إن المتأمل في حديث عائشة رضي الله عنها الذي تقول فيه " توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين ، يعني صاعاً من شعير " [2] يستدل منه على هذا التحدي ، فكأن الرسول ﷺ يقول أنا كنت آخذ منكم الميرة ، فأتحداكم أن تثبتوا عليَّ أني كنت آخذ منكم العلم أو كنت « تلميذاً » لكم ، أو كنت أنقل عنكم ، فإذا خفتم حال حياتي ، فهاهو شئ يذكركم بي ، درع الحرب ! [استفزاز نفسي وإخراج مكنون صدرورهم] ، كنت أقتلكم بأمر الله ، والآن بعد موتي أتحداكم أن تأخذوا عليَّ ذلك ، فليظهروا لنا أثارة من علم إن كانت عندهم ، ونتحداهم على ذلك ليس عندهم إلا الأراجيف الباطلة ، خَلَّفوها لمن بعدهم من يهود الخزر ونصارى الصليب .

وكذلك من تأمل في قوله ﷺ واصفاً موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، قال ﷺ :" رأيت عيسى وموسى وإبراهيم ، فأما عيسى فأحمر جعد

---

(١) قال ﷺ " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب " البخاري في كتاب الجهاد ، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ؟ ومعاملتهم ، وأخرجه أيضاً في كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته . يقول الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ(وفيه دلالة على جواز إطلاق لفظة « المشرك » على أهل الكتاب ، فأنهم هم المعنيون بهذا الحديث) « سلسلة الأحاديث الصحيحة » ، رقم الحديث : ١١٣٣ ، المجلد الثالث ، ص ١٢٥ .

(٢) البخاري كتاب المغازي ، باب وفاة النبي ﷺ ، رقم الحديث : ٤٤٦٧ .

عريض الصدر ، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزلط " ، وفي رواية " رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة " [١] ، فعندما سمع اليهود والنصارى هذا الوصف أفكانوا يسكتون عنه ؟ إنهم سيتلقفونها ويقولون « هذه بضاعتنا ردت إلينا » هذا الوصف نحن أهله وأصله ، لكنهم لم يجرؤ أحد منهم أن يقول أخذته من اليهودية والنصرانية ، لعلمهم بـ (انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم) [٢] ولعلمهم أنهم كانوا يؤذون موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . وشاهده حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض ، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده . فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر * ... الحديث " [٣] أهذا الإخبار بما ارتكبوه مع أعظم أنبيائهم - عليه صلوات الله وسلامه وعلى نبينا أفضلهما - يكون نقلاً ؟ فهذه أخبارهم هل ينكرونها ؟ نتحداهم على ذلك إلى يوم القيامة ! وصدق الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيها ﴾ الأحزاب : ٦٩ . فجاء هذا النبي المبارك ﷺ مادحاً موسى بقوله ﷺ " لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله " [٤] ، أهذا الخبر يأتي من ناقل ؟ إنه وحي يوحى ، فالصعق ثابت عندهم ، ولكن هل عندهم علم أن موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام سيكون هذا شأنه يوم القيامة ؟ وماذا يقولون عن الألفاظ الشنيعة مع موسى ، نحو قولهم ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا ﴾ وقولهم ﴿ اجعل لنا إلهاً ﴾ .

وفي الجملة ، لو تأملنا في حديث أنس رضي الله عنه الذي يقول فيه " كان رجلٌ

---

(١) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ رقم الحديث : ٣٤٣٧ ، ٣٤٣٨ .

(٢) الفتح : ٤٩٢/٦ .

* عظيم الخصيتين .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى ﷺ

(٤) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب وفاة موسى وذكره بعد ، رقم الحديث : ٣٤٠٨ .

نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبي ﷺ ، فعاد نصرانياً ، فكان يقول : ما يدري محمد إلا ما كتبت له ، فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، .... [وفي آخر الحديث] فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه) [1] ، ماذا نستفيد من هذا الحديث ؟

إن هذا الرجل قد دخل وخرج مع النبي ﷺ وعلم منه ما لم يعلمه هؤلاء المستشرقون من وراء البحار ، فلو كان يعلم أن رسول الله ﷺ أخذ من اليهودية أو النصرانية لأشاع هذا ونال به حظوة عند أعداء محمد رسول الله ﷺ وعلى رأسهم أهل الكتاب ولا سيما أن في رواية مسلم " فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب ، قال * فرفعوه . قالوا : هذا قد كان يكتب لمحمد فأعجبوا به .. فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم " [2] ، فهل يا ترى لو علم من رسول الله ﷺ ما قاله المستشرقون أفكان يسكت عنه ، ولا سيما أن أهل الكتاب رفعوه وأعجبوا به ، إذن فقد كانوا حريصين كثيراً كثيراً على ما يتمسكون به دحضاً لرسالة محمد ﷺ ، إن هذا المرتد ما استطاع أن يقول إلا قولته التي عوقب بها ، [والجزاء من جنس العمل] ** وهي : (ما يدري محمد إلا ماكتبت له) هذا أقصى ما قذف به فمه المتعفن ، وكان عاقبة أمره خسراً ، فما استفاد من دعايته هذه إلا أن لفظته الأرض ثلاث مرات ، بل الأدهى أن أهل الكتاب (تركوه منبوذاً) *** فكذلك أقوال هؤلاء المستشرقين منبوذة (لا تضر الإسلام بشئ ، ولكنها تضر بأصحابها ، لأنها تأكل قواهم في شئ لا يمكن أن ينال منه بشئ ، وتزيدهم حقداً على حقدهم) [3] فليموتوا بغيظهم وليعضوا أناملهم من الغيظ ،

---

(١) البخاري ، كتاب المناقب ، رقم الحديث : ٣٦١٧ .

* قال : أي أنس رضي الله عنه .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث رقم : ٢٧٨١ .

** هذا عنوان لكتاب ، من تأليف : د/سيد حسين العفاني ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٥هـ في مجلدين ، من أنفس ما رأيت في هذا الباب .

*** بعض ألفاظ رواية مسلم ، .

(٣) من مقال لمحمود شاكر ، الرسالة ، القاهرة ، مصدر سابق ، ص ٥٤٠ .

والمتأمل في إرسال الرسول ﷺ الرسل إلى أقطار الأرض ليخرج بدليل قاطع ينقض دعوى المستشرقين ، كيف ذلك ؟ هل يستطيع رجل نقل من اليهودية أو النصرانية - على حسب زعمهم - أن لو كان كذلك - أن يعرض نفسه لسهام الدنيا بأسرها ، أن تتناوشه وتنقده ؟ إن هذا مخالف عقلاً وعادة ، ولا سيما أن الرسول ﷺ (قد فَرَّق رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم ، دعاة إلى الله عز وجل ، فيما بين الحديبية [أو كان ذلك بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية] ووفاته)[١] ، ومن المعلوم أن الملوك عادة لا يحبون من يعلو عليهم ، فلو كان ناقلاً أفليس في وسع هؤلاء الملوك أن يعينوا جماعة - أي كل ملك يعين جماعة - تدرس الوضع وترفع له تقريراً أن هذا مُشَوَّه وناسخ ؟ فلما لم ينقل ذلك بماذا يفسر هذا المستشرقون ؟

(إن رفض الحكام لدعوة الإسلام نابع من حبهم لسلطتهم وتكبرهم وتجبرهم ، وليس لعدم قناعتهم بالإسلام)[٢] كيف غفل المستشرقون عن هذا ؟ بل كيف غفلوا عن قول هرقل لأبي سفيان (فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت لا.)[٣] فهنا (التهمة إذا انتفت انتفى سببها)[٤] وهو الكذب ، حاشاه بأبي وأمي ﷺ ،

فلو أن هرقل يعلم أنه ناقل هل يقول هذا القول وهو : (فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه)[٥] ، والمستشرقون يعرفون من نبوة محمد ﷺ أكثر مما يعرفه هرقل (إلا أنهم بخذلان الله تعالى إياهم مكابرون لعقولهم ، مغلِّبون لأهوائهم وظنونهم على يقينهم ، تقليداً لأسلافهم ، وعصبية واستدامة لرياسة دنيوية)[٦] .

---

(١) السيرة النبوية ، في ضوء المصادر الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٥١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٢٤ .

(٣) البخاري : كتاب بدء الوحي ، .

(٤) الفتح : ٣٥/١ .

(٥) البخاري نفس الكتاب .

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم : ٢٠١/١ ، طبعة : دار الجيل ، بيروت ، تحقيق : د/ محمد إبراهيم نصر ، ود/ عبد الرحمن عميرة ، سنة ١٣٩٧هـ .

(لقد كان الرسول ﷺ من بدء دعوته حرباً على الشرك وعلى الآلهة الأخرى) [١] وتألّب عليه وعلى أصحابه ﷺ كافة الناس ، فلو كان ديناً مزيّفاً كما زعموا لضاع هو وأصحابه بين هذه الجموع والأحزاب الذين وصفهم الله بقوله ﴿ **إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا** ﴾ الأحزاب : آية : ١٠

وإن هذه الأحزاب جميعاً لتعلم علم اليقين أنه ما أخذ من أحد شيئاً ، ولو كانت تعلم ذلك لأشاعته وسط تجمعاتها على المدينة ، ولقد كانوا حريصين على الحرب النفسية لأصحاب محمد ﷺ أكثر مما هم حريصون على القتال ، ولكن الصحابة علموا أنه (صلة بين الخلق والحق الذي يصح به وجودهم ، والنور الذي يبصرون به غايتهم) [٢] ، فبماذا يفسر لنا المستشرقون تأليب أهل الكتاب هذه الأحزاب (وعلى المسلمين يوم بدأوا يقيمون جماعتهم على عبادة الواحد الحق) [٣] ؟ لقد ورث هؤلاء المستشرقون(عقد الاباء والأجداد) [٤]، فأولئك تألبوا مع الوثنية والمنافقين ، وهؤلاء تألبوا مع جنود الغزاة للبلاد الإسلامية ، وكلهم راموا إطفاء نور الله بأفواههم وأيديهم ، ولم ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً ، .

فبماذا يفسر لنا المستشرقون انضمام أهل الكتاب للوثنية الجاهلية في الصد عن سبيل الله ؟ (فإذا كان للمشركين عذر لجهلهم معنى النبوة والرسالات ، فأي عذر

---

(١) فقه السيرة ، للشيخ الغزالي ، ص٣٠، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الرابعة : ١٤٠٩هـ، تحقيق : الألباني .

(٢) نفس المصدر : ص ١٩. ولعلمهم أن صدق نبوته ﷺ جاء من كل طريق وعلى لسان كل فريق ، الفتح : ٤١/١ .

(٣) نفس المصدر : ص ١٧ .

(٤) من مقدمة الأستاذ : عمر عبيد حسنة ، لكتاب : الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ، إسماعيل الكيلاني ، ص ٥ ، مكتبة الأقصى الإسلامية ، الدوحة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٧هـ .

كان لليهود ، وهم من أهل الكتاب ، ويدركون معنى البعث والنبوة) [(١)] ، مع أن الله أخذ عليهم عهده (في التوراة أن يبينوا للناس أمر محمد ﷺ أنه رسول ، وأنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة أنَّه نبي الله) [(٢)] زد على ذلك أن أكثر اليهود المعاصرين للرسول ﷺ يقرون أنه نبيٌّ مبعوث ، إلا أنه مبعوث إلى غيرهم [(٣)] ، فلذلك لبَّسوا الحق بالباطل ، وهم يعلمون أنه مبعوث إليهم وإلى جميع الأمم [(٤)] ، مع الذُكر أنَّ اليهود كانوا يستفتحون به على الذين كفروا ، ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ ، وكانوا على معرفة بصفته حيث يجدونها في كتبهم ، بل كانوا يقولون (اللهم ابعث هذا النبيَّ الذي نجده مكتوباً عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم) [(٥)] (والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد -ﷺ - عندهم في الكتب المتقدمة متواترة

---

(١) التعامل التجاري مع اليهود في الإسلام ، د/ فاورق مَسَاهِل ، ص ٧ ،مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٥ هـ وهو كُتَيِّبٌ جدير بالاطلاع والدراسة ، وفَّقَ الله صاحبه لما يحبه ويرضاه .

(٢) تفسير الطبري : ١ / ٥٥٧ ، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

(٣) انظر ، نفس المصدر : ٥٦٨/١ .

(٤) انظر نفس المصدر : ٥٧٢/١ .

(٥) المصدر السابق : ٣٣٥/٢ ، وآثار استفتاح اليهود بالرسول ﷺ يتقوى ضعفها ببعض فترقى إلى مرتبة الحسن لغيره، انظر : تفسير الطبري ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : ٢٣٢/٢ - ٢٣٦ .

وانظر : السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية : ص ١٢٣ ، وهذا ثابت تاريخياً أن أهل الكتاب كانوا يستفتحون أي يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث الذي يجدون صفته عندهم في التوراة أهـ ملخصاً من : السيرة النبوية الصحيحة ، للشيخ الدكتور : أكرم العمري ، ص ١٢٠ ، ص ١٢٢ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، الطبعة السادسة : سنة ١٤١٥هـ .

عنهم) [(١)] فإذا تقرر هذا فإنه ما منع اليهود إلا الحسد وضيق الصدر والجمود على ما كانوا عليه من عقائد باطلة ، وأخلاق منحطة وعادات سيئة [(٢)] ، فلذلك (كانوا أول من كفر بهذا النبي يوم ظهر فيهم ، واقترب منهم) [(٣)] وقرر أن الإختلاف في أي شئ فإن مرده إلى الله ورسوله ﷺ ، وهذا يعني أن هذا الدين صارت له دولة في المدينة ، وهنا أبدوا أخلاقهم اللئيمة وأرادوا محو هذا الدين من نفوس أهل المدينة [(٤)] ، ولاسيما أنهم تسامعوا بما أصاب أهل بدر من القتل ، وكذلك رأوا رسول الله ﷺ قدم المدينة غانماً موفوراً ، فهنا بغوا وقطعوا العهد ، وأظهروا الحسد والبغي ، وتكلّفوا (الجدل العقيم رغبة منهم في الصد عن سبيل الله) [(٥)] مما كان سبباً في كشف القرآن لمخازيهم ، ولوعلم رسول الله ﷺ أنه تلميذ لهم لابتعد عن إثارة سخط اليهود وعدائهم ولتودد إليهم ، ولَمَا تعرض لعقائدهم وحياتهم وأخلاقهم ، ولا سيما إذا علمنا أن المدينة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية رحمه الله ، ٣٦٦/٢ ، تحيق : علي ابن حسن بن ناصر وأخويه ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ ، وانظر : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، لأبي شهبة ، رحمه الله ، ١/ ٢٥٤ ، دار القلم : دمشق ، الطبعة الثانية : ١٤١٢ هـ .

(٢) انظر السيرة النبوية ، لأبي الحسن الندوي ، ص ٢٠٥ ، دار الشروق ، جدة ، الطبعة العاشرة : سنة ١٤١٥هـ .

(٣) فقه السيرة ، للغزالي ، مصدر سابق ، ص ١٤٣ .

(٤) انظر الجامع الصحيح للسيرة النبوية ، د/ سعد المرصفي ، ص ٢٤٣ ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، مؤسسة الريان ، بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٥هـ ، وانظر عن بنود الصحيفة التي كتبها رسول الله ﷺ بين المسلمين واليهود من السيرة النبوية الصحيحة ، للعمري ، ص ٢٨٢ - ٢٨٥ ، وقد مال المؤلف إلى ثبوتها وأن ورودها من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة، ص٢٧٥ ، وهناك ثمانية أحاديث تثبت أصل الصحيفة والكتابة بين المهاجرين والأنصار ويهود المدينة ، انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، مصدر سابق ، ص ٣١٤ .

(٥) السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية ، ص ٣١٨ ، وانظر : العُمَري : ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

النبوية كانت في طريقها إلى النشوء والتكوين ، فالعقل يقضي أنه لابد من المهادنة وسط اليهود الأقوياء الأغنياء ، ولكن الرسول ﷺ بَلَّغ ما أنزل إليه في ذكر تاريخ اليهود (الماضي الملئ بالأحداث من محاربة الأنبياء ودعواتهم والاجتراء على قتلهم ، وعنادهم وصدهم عن سبيل الله ، و افتراء على الله ، وشره للمال ، وأخذهم للربا وقد نهوا عنه ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وأكلهم السحت ، وتحريفهم التوراة ، وحبهم الزائد للحياة) [(١)] كل هذا جابههم به ﷺ ، مما ينقض كلام المستشرقين أنه أخذ منهم ، كيف يعقل هذا ؟ وهذا رسول الله ﷺ يناديهم ويهزهم هزاً عنيفاً حين قال لهم ﷺ " يا معشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئتكم بحق ، فأسلموا . قالوا : ما نعلمه - قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار " [(٢)] ، تهديد بَيّنٌ أمره ، فلو كان تلميذاً لهم فهل يتكلم معهم بهذا الخطاب، وهو يعلم أنهم سيكسرون ظهره بمواجهته بهذه التلمذة ؟ زد على ذلك أنه ﷺ كرر لفظة " لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق " فهل هؤلاء القوم البُهُت (بضم الموحدة والهاء ، وهو الذي يُبْهِتُ السامع بما يفتريه عليه من الكذب) [(٣)] يسكتون له ، ولا يذكرونه بسالفه وتلمذته ؟

إن هذا لا يسكت عليه من سجيته الغدر والكذب والفجور [(٤)] ، فالحاصل أن يهود المدينة ناصبوا رسول الله ﷺ العداء من أول يوم اجتمعوا به ، حيث انطلق من غار ثور ليلة الإثنين أول يوم من ربيع الأول ، ووصَل قباء في الثامن منه ، ثم وصل المدينة في الثاني عشر منه [(٥)] ، وهنا أتاه الناس وفيهم أحبار يهود ، وكانوا لا يعرفونه إلا

---

(١) السيرة النبوية ، للندوي ، ص ٢٠٥ .

(٢) البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، رقمه : ٣٩١١ .

(٣) فتح الباري : ٢٧٣/٧ .

(٤) انظر : فتح الباري : ٢٥٣/٧ .

(٥) انظر فتح الباري : ٢٤٤/٧ ، وانظر روايات ثانية من السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص ٢٨٤. وانظر : السيرة النبوية للشيخ أبي شهبة ، رحمه الله : ٤٩٦/١. وبعد تأمل في ألفاظ الروايات غلب على ظني أن خروج الرسول ﷺ من مكة يوم =

بصفته ، ولو تتلمذ عليهم من قبل ، لقالوا مرحباً بتلميذنا الذي كان يتردد علينا ، ولكنهم لم يقولوا هذا مما نقطع به يقيناً راسخاً لا نرتاب فيه أن النبي ﷺ لم يأت المدينة بعد أن كبر [١] ، حتى الأنصار أنفسهم طفق من جاء منهم (ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّلَ عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله عند ذلك) [٢] ، فلو كان الأنصار يعرفونه متردداً على يهود أكانوا يحيون ـ أبا بكر الصديق ـ ؟ إن هذا أمر لا يلتبس إلا على من فقد نزاهته الفكرية ، مع امتطائه (المراهقة الفكرية) التي لُحْمتها التهم الباطلة ، والافتراءات القبيحة [٣] ، والتخيلات ، ولا يعدو المستشرقون واحدة منها . فمن ذلك : لما جاءوا إلى مادة « آمنة » أمِّ النبي ﷺ قالوا : « توفيت بالأبواء ، بين مكة والمدينة في عودتها من زيارة أقارب لمحمد هناك ، وكان محمد عندها في السادسة من عمره ، وهذا الزيارة ، وإن بدت غامضة ، غير أننا لا نملك أسباباً قوية لدحض تفصيلاتها » [٤] ماذا يريدون أن يصلوا إليه ؟ إنهم أعجز من أن يصلوا بأفكارهم وتخيلاتهم المريضة

= الخميس تاريخ ٢٧ من صفر وهي توافق ليلة ٢٨ ثم خرج ليلة الإثنين من مساء الأحد ٣٠ من صفر فيوافق صبحها اليوم الأول من ربيع ، والسير ما بين مكة والمدينة سبعة أيام ، فيوافق دخول قباء يوم ٨ من ربيع الأول ومكث في قباء الثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج منها يوم الجمعة ١٢ربيع الأول ودخل المدينة وبين قباء والمسجد النبوي فرسخ ، والفرسخ ٣ أميال ، والميل ١٧٠٠ م ، والله أعلم ، انظر : فتح الباري : ٢٣٦/٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ . وانظر : العمري : ٢١٨/١ .

(١) بل ثبت بالاستقراء أنه لم يسافرخارج جزيرة العرب بعد زواجه ﷺ ، انظر محمد ﷺ من نبعته إلى بعثته ، ص ٣٥٨ .

(٢) البخاري ، مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه ، رقم الحديث : ٣٩٠٦ ، وانظر فتح الباري : ٢٤٤/٧ .

(٣) انظر : الصحوة الإسلامية في عيون مختلفة ، د/ نعمان بن عبد الرزاق السامرائي ، ص ٣٩ ، ٥٢ ، ٧١ ، دار المنارة ، جدة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٤ هـ ، وهو كتاب جدير بتأمل ما ورد فيه من مناقشات علمية هادئة لكبار « المستنيرين » .

(٤) دائرة المعارف لأئمة المستشرقين ، طبعة الشعب ، ١٠٨/١ .

إلي شئ ، ولكنهم يرمون من طرف خفي ، على أن هذه الزيارة إنما هي : ذهاب أمه به ﷺ إلى يهود المدينة ، فكان ماذا ؟

(إننا لا نأبى على كاتب سيرة أن يستنبط ما شاء ، بعد أن يعرض الوقائع كلها بين يديه جملة لا يستثني حتى يكون أقرب إلى الصواب في حكمه ، أما أن يغيب شيئاً ويكشف عن شئ فتلك ليست حلية الحريص على الحقيقة ، ولا يفعلها إلا مغرض) [1] ، ويرد قولهم السابق ، ما جاء على لسان حبر من أحبار اليهود وهو عبد الله بن سلام * حين قال (لما قدم النبي ﷺ (المدينة) ** انجفل الناس عليه فكنت فيمن انجفل ، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب) [2] ، فهذا الحبر لو كان يعرف النبي ﷺ من قبل ، هل يقول « فلما تبينت وجهه » ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نتحدى المستشرقين أن يأتوا لنا ولو من طرف خفي ، أن الرسول ﷺ زار المدينة بعد زيارته لها مع أمه ، إن هذا القول لا يخرج إلا من ذي عُقَد نفسية أحاطت به ، فجعلته معرَّضاً للأشباح والخيالات ، ولا غرو وهم (أخصائيو التَصَيُّد) *** والمزايدات الفكرية ،

والتأمل في سياق حديث الهجرة يزيد هذا بياناً ، مع العلم أن الذي نادى الأنصار أن رسول ﷺ قد جاء يهودي ، حيث كانوا ينتظرون قدومه ﷺ كل غداة حتى يردهم

---

(١) من تعليق الأستاذ : إبراهيم الأبياري على مادة « آمنة » ، ١/ ١٠٩

* ترجمته في « السير » للذهبي : ٤١٣/٢ .

** هذه اللفظة لم أجدها في سياق رواية عبد الله بن سلام في مسند الإمام أحمد ، وإنما وجدتها عند الإمام ابن حجر في الفتح : ٧ / ٢٥٢ ، ووجدتها عند الإمام الذهبي في « السير » ٢/ ٤١٤ .

(٢) المسند : حديث رقم : ٢٣٧٨١ من مسند عبد الله بن سلام ، وإسناده صحيح ، انظر تخريجه في « السير » : ٤١٤/٢ .

*** لفظة استعرتها من الشيخ الغزالي في كتابه « قذائف الحق » دار القلم ، دمشق، الطبعة الأولى : ١٤١١ هـ .

فهو يستخدم لفظة « أخصائي الشبه » ص ١٣٧ ، لمن ديدنه إثارة الشبهات على الإسلام ، فرأيت أنهم « أخصائيو التصيد الباطل » .

حر الظهيرة .... (فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمرٍ ينظر إليه ، فبصُر برسول الله وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون)[1] ، فلو أن هذا اليهودي المتعصِّب * كان عنده علم بالتلمذة فهل يترك رسول الله ﷺ هكذا يدخل المدينة دون إشارة ولو من بعيد ؟ كان على الأقل أن يقول : هذا صاحبنا « محمد » متى تنبأت ؟ ولكن « الحلس » ** يعلم أنه لو قال هذا لفضح نفسه ، ولمزقته سيوف الأنصار قائلين له : من أول غمضة طرفه ﷺ تكذب ؟

فالحاصل : أن اليهود جابهوا الرسول ﷺ بعدائهم أول مقدمه المدينة ، فكيف يأخذ عنهم ، وقد بدت البغضاء من أفواههم حسداً وبغياً ؟ (ولا شك أن أهل الكتاب ما شاقوا محمداً ﷺ لذاته ...وإنما مشاقتهم له من حيث دعوته إلى مالا يرتضونه *** ديناً ، وهو الدين الصحيح الذي يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكن جحدوه وعادوه لحاجات في نفوسهم)[2] ، فلو كانوا مشائخ له فلماذا حضرت عصابة من اليهود نبيَّ الله ﷺ يسألونه عن أشياء ؟ فقالوا (يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن ، لا يعلمهن إلا نبي ، قال : سلوني عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه ، لئن حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام ، قالوا : فذلك لك ، قال : فسلوني عما شئتم ، قالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن : أخبرنا أي الطعام حرم إسرائل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل ؟ كيف يكون الذكر منه ؟ وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ؟ ومن وليه من الملائكة ؟ قال : فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أخبرتكم لتتابعني ؟ قال : فاعطوه ما شاء من عهد وميثاق [فأخبرهم بذلك كله وهم يقولون] اللهم نعم ....

---

(١) البخاري ، مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه ، رقم الحديث : ٣٩٠٦ .

* قلت هذا لأنه لم يقل يا أهل المدينة ، بل نادى العرب ، حتى نعلم التعصب أنه يظهر من فمه حتى في أوقات لا يستطيع الإنسان ضبط نفسه فيها .

** ما يوضع تحت رحل الدابة ، انظر مادة « حلس » لسان العرب لابن منظور ، ٥٤/٦ .

*** في الأصل « ما يرتضوه »

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم : ٣٧٣/٢ .

قالوا : وأنت الآن حدثنا مَن وليك من الملائكة ؟ فعندها نجامعك أو نفارقك ، قال : فإن وليي جبريل عليه السلام ... قالوا فعندها نفارقك ، لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك ؟ قال : فما يمنعكم من أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا قال [أي ابن عباس] فعند ذلك قال الله عز وجل ﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾) [(١)] ، فلو كانوا يعرفونه تلميذاً لهم فلماذا أتوا سائلين ؟ كان الأولى أن يأتوا ويذكروه بماضي تلمذته لهم ! فجدالهم هذا إنما هو نظير ما كان يجادل آباؤهم أنبياءهم من قبل ، وتبين بهذا حسدهم ، فلقد حسدونا حتى على السلام والتأمين ، قال ﷺ : " ما حسدتكم اليهود على شئ ما حسدتكم على السلام والتأمين " [(٢)] ، وهذا الحديث له قصة أوردها الإمام أحمد عن عائشة قالت (بينا أنا عند النبي ﷺ إذ استأذن رجل من اليهود فأذن له فقال : السام عليك ، فقال النبي ﷺ : " وعليك " قالت : فهممت أن أتكلم ، قالت : ثم دخل الثانية فقال : مثل ذلك ، فقال النبي ﷺ : " وعليك " قال : ثم دخل الثالثة فقال : السام عليك ، قالت : فقلت : بل السام عليكم وغضب الله ، إخوان القردة والخنازير .... قالت فنظر إليَّ فقال : " مه ، إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، قالوا قولاً فرددناه عليهم ، فلم يضُرَّنا شيئاً ، ولزمهم إلى يوم القيامة ، إنهم لا يحسدوننا على شئ كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين ") [(١)] ، إنها النبوة " مه ، إن الله لا يحب الفحش والتفحش "

---

(١) مرويات الإمام أحمد في التفسير ، لحكمت بشير ياسين ، ١/٨٢-٨٣ ، مكتبة المؤيد ، السعودية ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٤هـ ، وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند عائشة برقم : ٢٥٠٢٠

وأخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب الجهر بآمين ، انظره في صحيح ابن ماجه للألباني :١/١٤٢ ، رقم : ٦٩٧ . وانظر تخريجه في مرويات الإمام أحمد في التفسير : ١/٤٢ . وهذا اللفظ لابن ماجه .

(١) المسند ، رقم الحديث : ٢٥٠٢٠ ، بترقيم : محمد سماره وزميليه ، طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، عمَّان ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٣هـ .

وانظر : مرويات أم المؤمنين عائشة في التفسير ، د/ سعود بن عبد الله الفنيسان ، =

فلو كان هذا اليهودي يعلم تلمذة محمد ﷺ عليهم أكان يسكت له ، وهو ﷺ يصفهم بالضلال والحيرة ، ثم يقصم ظهورهم بأنهم أهل حسد ؟ ولا ينكر اليهودي شيئاً من ذلك ، فماذا يقول المستشرقون عن هذه النصوص ؟

بل إن اليهود يسمعونه يحكي عنهم قوله ﷺ " لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ....) [1] ومعناه : (أن بني إسرائيل لما أنزل الله عليهم المن والسلوى نهوا عن ادخارها ، فادخروا ففسد وأنتن ، واستمر من ذلك الوقت) [2] ، أو (معناه لولا أن بني إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أنتن لما ادخر فلم ينتن) [3] فمن أين لرسول الله ﷺ هذا العلم ؟ وكيف نقله وفيه ثلب لهم ؟ إن يهود قاموا على أذية النبي ﷺ حتى مع المنافقين ، لقد خانوا أمانة الله العظمى ، وغدروا بما عهد الله إليهم أنهم إذا جاءهم النبي ﷺ ليؤمنن به ، ولكنهم نقضوا العهد وخانوا ما يعلمونه من صفة محمد ﷺ ! فعن صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قالت : (لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحبَّ إليهما مني ، ولم ألقهما في ولد لهما ولم أهش إليهما إلا أخذاني دونه . فلما قدم رسول الله ﷺ قباء ـ قرية بني عمرو بن عوف ـ غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلِّسَين * ، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس ، فجاءانا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى ، فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما نظر إليَّ واحد منهما ، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو ؟ قال : نعم والله !! قال : تعرفه بنعته وصفته ؟ قال : نعم والله !! قال : فماذا في نفسك منه ؟

=. ص ٢٨ ، مكتبة التوبة ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٣هـ .

(١) البخاري ، أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ، رقم الحديث : ٣٣٣٠ .

ومسلم في كتاب الرضاع ، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر رقم الحديث : ١٤٧٠ / ٦٣ .

(٢) انظر حاشية محمد فواد عبد الباقي على صحيح مسلم « حاشية رقم ٢ : ص ١٠٩٢ .

(٣) فتح الباري : ٣٦٧/٦ .

* الغلس : ما بين طلوع الفجر الصادق إلى صلاة الفجر .

قال : عداوته ما بقيت)[١] ، أمر مهول ! ولنا مع هذه القصة وقفات :

الأولى : لو كان حيي بن أخطب وأخوه يعرفانه من قبل أفليسا في وسعهما أن ينشرا خبره ويفضحا أمره ؟ بماذا يجيب المستشرقون على هذا ؟

الثانية : معرفتهما بنعته وصفته ، وهذا أمر متواتر عندهم[٢] ، إذن هما * لشخص لم يرياه من قبل ، بدلالة أنهما تعرَّفا عليه فعرفاه بنعته وصفته ﷺ ، فكيف يخرج من هذا المأزق المستشرقون ؟ ولا سيما أنهم قالوا : من اليهودية !

الثالثة : سؤال وجواب !

س : فماذا في نفسك منه ؟

ج : عداوته ما بقيت ،

أمر لا يحتاج إلى تأويل ، إذن لا غرابة أن يتبع المستشرقون سنن يهود المدينة ، العداوة ما عاشوا ، لهذا الدين[٣] ! ومن ثم أظهروا روحاً عدائية ضد

---

(١) السيرة النبوية ، لأبي شهبة رحمه الله :٢ / ٤٧ ـ ٤٨ ، قد نقله عن ابن هشام رحمه الله .

وترجمة أم المؤمنين صفية بنت حيي : في السير : ٢/ ٢٣١ .

وقد رجعت إلى سيرة ابن هشام ، بتحقيق د / عمر عبد السلام تدمري ، ص ١٦٠ ، طبعة : دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة : سنة ١٤١٠هـ ، فإذا به (قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حُدِّثت عن صفية بنت حيي ابن أخطب أنها قالت : ...) وعبد الله بن أبي بكر : رجل صدق كثير الحديث ، ويرسل كثيراً، انظر « السير » ٥/ ٣١٥ .

فالحديث بين عبد الله هذا وبين صفية أم المؤمنين واسطة ، مجهولة لا ندري عينه وحاله ، فالحديث يبقى في دائرة الضعف ، والعلم عند علام الغيوب .

(٢) انظر الجواب الصحيح : ٥/ ١٦١ .

* أقصد : النعت والصفة .

(٣) إن الناظر في تصرفات المستشرقين ليأخذنّ عبرة من حالهم حين يصرفون أنفسهم عن معرفة الحق بأنفسهم ، وحين يتثاقلون عن بحثهم للحق إنما هذا فتنة للمسلمين ليعلم الله من يؤمن برسالة محمد ﷺ ممن هو في شك منها وربك على كل شئ حفيظ ، =

المسلمين [١] ، بل وضعوا أيديهم في أيدي المنافقين ، فلقد مَرَّ رسول الله ﷺ على مجلس (أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين ، وفي المجلس عبد الله ابن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمَّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال : لا تغبروا علينا ، فَسَلَّم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول : أيها المرء ، إنه لا أحسن مما تقول : إن كان حقاً فلا تؤذينا به في مجلسنا ، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه . فقال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله ، فاغشنا به في مجالسنا ، فإنا نحب ذلك ، فاستَبَّ المسلمون والمشركون واليهود ، حتى كادوا يتثاورون ، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا) [٢] ، ماذا نستفيد من هذا الحديث ؟

١ ـ أن المشركين واليهود والمنافقين سلاحهم الذي يدفعون به هذا الدين الطعن فيه وفي أخباره ولوكانوا يعلمون أنه منقول من « اليهودية أو النصرانية » لبينوه وأظهروه ، وما ذهبوا ـ عجزاً ـ إلى السباب والشتائم .

٢ ـ قوله « وقرأ عليهم القرآن » لو كان اليهود الجالسون يعلمون أنه تلميذهم * ،

=. فليس لنا من سبيل أن نكره المستشرقين على تحري الحق ، ولكننا نقيم الحجة عليهم أمام هذه النصوص أنهم لم يلتفتوا إليها ، وإن عرفوها فإنهم يَصِمُّون آذانهم عنها ويتخذون سبيل الغي سبيلاً ، بل حرصوا على اتخاذ أي وسيلة تصدهم عن ذلك فهم أصحاب (الغاية تبرر الوسيلة) وما ربك بظلام للعبيد .

(١) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص ٣٧٠ .

(٢) البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ﴾ رقم الحديث : ٤٥٦٦ .

* هناك مبحث عن « التلميذ » في كتاب « قطوف أدبية ، دراسات نقدية في التراث العربي » لعبد السلام هارون رحمه الله ، ص ١٠٢ ـ ١٠٨ ، من منشورات : مكتبة السنة ، القاهرة، الطبعة الأولى : سنة١٤٠٩هـ . وتوصل إلى أنها عربية ، والله أعلم ، وانظر : أثرأهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ، د/ جميل عبد الله المصري ، ص ٢٩ ، من منشورات : مكتبة الدار ، المدينة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٠هـ ، وهو يتكلم عن معنى « لمد » تلميد = تلميذ من معاني (تلمود) .

لردوا عليه ﷺ وقالوا له : يا محمد هذا الكلام أخذته منا ، ولا سيما أنهم وسط المنافقين وحمايتهم ، فلا يردهم عن ذلك شئ ، فلما عجزوا علموا أنه رسول الله ﷺ .

٣ ـ أن دوائر الإستشراق هذه مهمتها : التعاون مع العلمانيين من العرب والغرب في القضاء على هذا الدين ، لعلمهم أنه الحق من الله ، ولو كانوا يعلمون أنه بشري لما فعلوا ذلك ، ولكن حالهم يفضحهم [١] لأنهم يعلمون أن الإسلام يحمل قوة كامنة وسلطاناً قاهراً في ذاته ، فلذلك يسعون على إطفائه [٢] ، بدلالة أنهم قالوا بعد قتل المشركين في بدر ، (هذا أمرٌ قد توجَّه ، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا) [٣] ، وهكذا المنافقون لو كانوا يعلمون « تلمذته » ليهود ، لنبشوه وأخذوه من أفواه « شياطينهم » * ولكن شياطينهم تُرْمَى بشهب الوحي المنزل على رسول الله ﷺ فلذلك سكتوا وخرسوا ، فبماذا يجيب المستشرقون عن هذه الحادثة ؟

فلو أن المستشرقين استقرؤوا حال النبي ﷺ كما استقرأه ـ هرقل عظيم الروم ـ لوصلوا إلى ما وصل إليه هذا الطاغية حين قال (وهذه صفة نبي قدكنت أعلم أنه خارج) [٤] ، وما قال هذا إلا أنه كان مطّلعاً عليه من الإسرائيليات الطافحة بأخبار النبي ﷺ [٥] ، فكيف عموا وصموا عن هذا ؟ بل إن هرقل (عرف من الكتب أن لا أمة بعد هذه الأمة ، ولا دين بعد دينها) [٦] فلذلك قال : (يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد ، وأن يثبت لكم ملككم) [٧] فكيف يصرفون وجوههم عن هذا الحديث وقد مرَّ عليهم عندما صنعوا (المعجم المفهرس) الذي موّلته

---

(١) استفدته من : تفسير السعدي : ٣٠١/١ . ومن صفوة الآثار والمفاهيم ، ٤٨٧/٤ .

(٢) انظر الظلال : ٤٩٢/١

(٣) نفس الحديث في البخاري ، رقم : ٤٥٦٦ .

* أقصد أن اليهود شياطين المنافقين .

(٤) البخاري كتاب الجهاد ، باب ، دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة ، رقم الحديث : ٢٩٤١ .

(٥) الفتح : ٢١٩/٨ .

(٦) الفتح : ٢٢٢/٨ .

(٧) البخاري ، كتاب التفسير ، رقم : ٤٥٥٣ ، باب ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ﴾

(مؤسسات حكومية رسمية معروفة بنشاطها في خدمة الإستعمار الغربي ، وفي حرب الإسلام والمسلمين) [١] فكيف غفلوا أو تغافلوا عن هذا الحديث الذي يكاد يكون متواتراً [٢] ؟ إن هذا حسرة عليهم ، وحجة عليهم عند الله في اليوم الآخر ، يعذبون به [٣] ، وذلك أن الرسول ﷺ كان يقص قصصاً جرت على الأمم السابقة من غير زيادة ولا نقصان ، وهذا لا يخلو من أحد أمرين ، إما أن يكون قد حضرها وشاهدها أو ذهب إلى محالها فتعلمها من أهلها ، فهنا يصدق كلام المستشرقين ، ولكن هذا قد علم وتيقن أنه ما كان ولا صار ، فأولياؤه وأعداؤه يعلمون عدم ذلك ، فتعين الأمر الثاني، وهو أن هذا جاءه من قبل الله ووحيه وإرساله ، فثبت بالدليل القطعي صحة رسالته ، مما تبيَّنه - هرقل طاغية الروم - وكذلك مما تبيَّنه المستشرقون أنفسهم ، ولكنهم جحدوها ظلماً وعدواناً ، وقد علموا أنه ما طرق العالم منذ خلقه الله مثل هذا الكتاب علماً وهدىً وبياناً ، ومع ذلك اتبعوا أهواءهم ، ولم يلتفتوا إلى الحق الذي جاء به ، ولم يقبلوا عليه ، لأنهم (سدُّوا على أنفسهم أبواب الهداية وطرقها ، وفتحوا عليهم أبواب الغواية وسبلها ، فهم في غيهم وظلمهم يعمهون ، وفي شقائهم وهلاكهم يترددون) [٤] ، ولقد علم اليهود والمشركون والغرب في زماننا وتسامع كل أعداء محمد ﷺ تحدي القرآن الجن والإنس أن يأتوا بمثله ، فهل استطاعوا ؟ (إنه أغرب تحد في التاريخ ، وأكثره إثارة للدهشة ، فلم يجرؤ أحد من الكتَّاب في التاريخ الإنساني - وهو بكامل عقله ووعيه - أن يقدم تحدياً مماثلاً ، فأن مؤلفاً ما لا يمكن أن

---

(١) رؤية إسلامية للإستشراق ، د/ أحمد عبد الحميد غراب ، ص ٨٦ .

(٢) انظر : جامع الأصول : ١١/٢٧١ ، حيث ذكر المواضع التي أخرجها البخاري ، وكذلك مسلم والترمذي .

وذكر الإمام ابن حجر أن الطبراني أخرجه ، الفتح : ١/٤٥ .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح : ١/٢٨٢ ، أنه حديث مشهور ، وانظر تخريجه في ١/٢٨٥ - ٢٨٦ من تحقيق الجواب الصحيح ، فقد أجادوا وأفادوا .

(٣) انظر الظلال : ٦/٣٦٨٩ ، وانظر : رؤية إسلامية للإستشراق ، ص ٩١ .

(٤) تفسير السعدي ، رحمه الله : ٤ / ٢٥ ، عند آية ٥٠ من القصص ، وانظر قبلها ، ص ٢٣ ، فقد استفدت منه التعقيب على قصة هرقل ، .

يضع كتاباً يستحيل على الآخرين أن يكتبوا مثله ، أو خيراً منه ... فمن الممكن إصدار مثيل من أي عمل إنساني في أي مجال ، ولكن حين يدعى أن هناك كلاماً ليس في إمكان البشر الإتيان بمثله ، ثم تخفق البشرية على مدى التاريخ في مواجهة هذا التحدي ، حينئذ يثبت تلقائياً أنه كلام غير إنساني ، وأنها كلمات صدرت عن صميم المنبع الإلهي DIVINEOREGIN ، وكل ما يخرج من المنبع الإلهي لا يمكن مواجهة تحدياته) [١] .

لقد علم هرقل هذا تماماً وعرفه كما يعرف أبناءه وكذلك المستشرقون ، لكن ماذا نفعل بالحسد ؟ إن هذا التحدي الذي يعلمه المستشرقون دليل قاطع وبرهان ساطع أنه جاء من خارج نفس محمد ﷺ لا من داخلها [٢] ، ولكنهم حائرون : لا يدرون أينسبونه إلى تعليم البشر ، أم يرجعون به إلى « الإيحاء النفسي » أم يجمعون له بين النسبتين فيقولون كما قال إخوانهم الذين كفروا من قبل ﴿ **معلم مجنون** ﴾ الدخان : آية ١٤ ، وكل هذا الباطل لا جديد فيه (وإنما هو الرأي الجاهلي القديم ،لا يختلف عنه في جملته ولا في تفصيله . فقد صوروا النبي ﷺ رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق فهو إذاً شاعر . ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيراً على حواسه حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه . وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته ووجداناته فهو إذاً الجنون أو أضغاث الأحلام . على أنهم لم يطيقوا الثبات طويلاً على هذه التعليلات ، فقد اضطروا أن يهجروا كلمة « الوحي النفسي » حينما بدا لهم في القرآن جانب الأخبار الماضية والمستقبلة * فقالوا لعله تلقفها من أفواه العلماء

---

(١) الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، دار البحوث العلمية ، دون الإشارة بمحل الطباعة ، الطبعة الرابعة : سنة ١٤٠٣هـ ، لكن غلب ظني أنها الكويت . تعريب : ظفر الإسلام خان ، مراجعة وتحقيق د/ عبد الصبور شاهين .

(٢) انظر النبأ العظيم ، د/ محمد عبد الله دراز ، ص ٣٩ .

* وهذا ما أثبته البروفسور موريس بوكاي يقول « لاجدال بوجود تشابه بين الأخبار التوراتية والأخبار القرآنية بمناسبة مواضيع أخرى ، وبخاصة المواضيع المتعلقة بالتاريخ الديني) ص ١٨٣ ، ويقول : ص ١٨٤ « إن هناك ظاهرة تشابه بين بعض الأخبار القرآنية والمعتقدات التي تعود إلى أزمنة متقدمة وسابقة بلا شك على التوراة » =

في أسفاره * للتجارة فهو إذن قد علمه بشر . فأي جديد في هذا كله ؟ أليس كله حديثاً معاداً يضاهئون به قول جهال قريش ؟ وهكذا كان الإلحاد في ثوبه الجديد صورة منسوخة بل ممسوخة منه في أقدم أثوابه ، وكانت غذاء هذه الأفكار المتحضرة في العصر الحديث مستمداً من فتات الموآئد التي تركتها تلك القلوب المتحجرة في عصور الجاهلية الأولى ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾ البقرة : آية : ١١٨.

وإن تعجب فعجب قولهم مع هذا كله إنه كان صادقاً أميناً ، وأنه كان معذوراً في نسبة رؤاه للوحي الإلهي ، لأن أحلامه القوية صورتها له وحياً إلهياً ، فما شهد إلا بما علم، وهكذا حكى الله عن أسلافهم حيث يقول ﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ سورة الأنعام : آية ٣٣ ، فإن كان هذا عذره في تصوير رؤاه وسماعه فما عذره في دعواه أنه لم يكن يعلم تلك الأنباء لا هو ولا قومه من قبل هذا ** ، بينما هو قد سمعها بزعمهم من قبل ؟ فليقولوا إذاً افتراه ليتم لهم *** بذلك محاكاة كل الأقاويل. ولكنهم لا يريدون أن يقولوا هذه الكلمة لأنهم يدعون الإنصاف والتعقل ، ألا فقد قالوها من حيث لا يشعرون) [1] ، (وإنما أرادوا أن يدلوا بكل الفروض

=. ولكنه فَنَّد أن يكون القرآن أخذ من التوراة والإنجيل ، وذلك لورود الأساطير في التوراة مما يفهم منه المداخلة البشرية أما القرآن فأخباره (منذ أكثر من ١٤ قرناً تبدو خالية من أية مداخلة بشرية » ص ١٨٤ ، وكذلك الأستاذ : مصطفي فوزي غزال في « فضائح الكنائس » ص ١٦٩ ، ثم بين أنهما لو كانا مصدرهما واحداً لتشابها تماماً وكلنا يعرف أن هناك فروقاً كثيرة بينهما .

* بل سفرتان فقط يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح : ١/ ٤٠٠ (ولا سافر قبل نبوته إلا سفرتين سفرة وهو صغير مع عمه أبي طالب لم يفارقه ، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم ، وسفرة أخرى وهو كبير مع ركب قريش ، لم يفارقهم ، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب » أهـ .

** يشير رحمه الله إلى آية هود: ٤٩ ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ .

*** أي المستشرقون .

(١) نقلت هذه الدرر من « النبأ العظيم » د/ محمد عبد الله دراز ، ص ٦٧ .

والتقادير مغمضين على ما فيها من مُحال وناب ونافر ، ليثيروا بها غباراً من الأوهام، في عيون المتطلعين إلى ضوء الحقيقة ، وليلقوا بها أشواكاً من الشك في طريق السائرين إلى روض اليقين) [١] ودليل أوهامهم قولهم في مادة « بحيرا » (والثاني عبارة عن أحاديث سرجيوس مع الشاب محمد في صحراء يثرب) * ، إنهم قوم لا يستحون من الكذب ، إن عمر النبي ﷺ لما قدم المدينة ثلاثة وخمسون عاماً [٢] ، وهذا العمر قد تجاوز حدَّ الكهولة ، حيث إنها (من أربع وثلاثين إلى إحدى وخمسين) [٣] فكيف يكون شاباً ؟

هذا الوهم الأول ، بل الكذبة الطامة ، والكذبة الشمطاء قولهم في صحراء يثرب ، إن المدينة كانت تعتبر مساحة توسعة المسجد النبوي اليوم ، فأين صحراؤها إن شرق المدينة حرة وغربها حرة وشمالها وادي العقيق ، وجنوبها نخل بني سلمة في قباء ، أوهام وخيالات وأشباح يقذف بها هؤلاء المحققون ، . والوهم الثاني ، بل الكذبة الفاضحة قولهم في مادة « بعل » (ومن المرجح أن محمداً [ﷺ] قَصَدَ بـ « بَعْل » « بَعَلَ » كما سمعها في قصة من قصص التوراة ، (سفر الملوك الأول ، الإصحاح ١٨) إن هذا القول يقتضي أمرين :

الأول : أن محمداً ﷺ يعرف العبرانية السريانية ، وهذا ينقضه أمره لزيد بن ثابت أن يتعلم السريانية ، فقد جاء في مسند : زيد بن ثابت عند الإمام أحمد من طريقين :

أولهما : قال : حدثنا عبد الله ، حدثني ** أبي ثنا جرير عن الأعمش عن ثابت ابن عبيد قال : قال زيد بن ثابت : قال لي رسول الله ﷺ : " تحسن السريانية ؟ إنها

---

(١) النبأ العظيم ، ص ٦٨ .

* وكلمة « الثاني » يقصدون بها الأجزاء التي ألفها « إشوعيب » أو « سرجيوس » .

(٢) السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية ، ص ٢٨٤ .

(٣) لسان العرب لابن منظور : مادة « كهل » .

** في الكتابة لا تكتب « قال » لكن تنطق عند قراءة السند، وهو عرف تعارف عليه أهل الحديث ، انظر فتح الباري : ١/٦٤ .

تأتيني كتب " قال : قلت : لا . قال " فَتَعَلَّمْهَا " فتعلمتها في سبعة عشر يوماً "[1].

ثانيهما : قال حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا سليمان بن داورد ثنا عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن خارجة بن زيد أن أباه زيداً أخبره أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة ، قال زيد : ذهب بي أبي إلى النبي ﷺ فأعجب بي ، فقالوا : يا رسول الله هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشر سورة ، فأعجب ذلك النبي ﷺ وقال : " يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي " . قال زيد : فتعلمت كتابهم ما مَرَّت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته ، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتب "[2]) . فلو كان الرسول ﷺ يعرف السريانية هل يأمر أحد أتباعه أن يتعلمها ، ومن المعلوم عرفاً أن القارئ لنفسه ليس كمن قرأ له غيره ، فليُتَأَمَّلْ هذا .

الثاني : أن يكون الكتاب المقدس أو التوراة وحدها قد كتبت بالعربية ، يقول شيخ الإسلام مجيباً على هذا لإشكال (وكان قومه [ﷺ] يعلمون أنه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا غيرهم ، ولم يكن ، بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ممن يتعلم هو

---

(١) المسند : رقم :٢١٥٧٦، ٢٣٤/٥ . وانظر الحكم عليه في حاشية « السير » ٤٢٩/٢ حيث قال إسناده صحيح .

وبمناسبة ذكر السريانية ، هناك نص في البخاري يؤكد أقدمية العربيه على السريانية ، وهو ما جاء في حديث ابن عباس عن هاجر وإسماعيل وإبراهيم عليهم السلام حيث قال بعدما ذكر نزول جرهم فقال (فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشَبَّ الغلام ، وتعلم العربية منهم) البخاري ، أحاديث الأنبياء، باب يزفُّون : النسلان في المشي ، رقم الحديث : ٣٣٦٤ .

وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير : ٢٤٥/٢ ،

(٢) المسند ، رقم الحديث : ٢١٦٠٧ ، ٢٣٨/٥ ، وانظر الفتح : ١٣ / ١٨٦ فقد تكلم على أسانيده كلاماً جميلاً ، وذكر من طرقه عند أبي يعلى بزيادة (إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا عليَّ وينقصوا فتعلَّم السريانية) ثم قال رحمه الله : ١٣ / ١٨٦ والمعروف أن لسانهم العبرانية فيحتمل أن زيداً تعلم اللسانين لاحتياجه إلى ذلك أهـ .

منه * ، بل ولا كان يجتمع بأحد منهم يعرف اللسان العربي ، ولا كان هو يحسن لساناً

---

* لقد رجعت إلى كتب السيرة التالية لعلي أجد ذكراً لأهل الكتاب في مكة فلم أجد إلا قيناً لا يعرف لسان التخاطب إلا بقدر حاجته ، مع العلم إن إسناد إثباته ضعيف ،

١ ـ السيرة النبوية لابن هشام تحقيق : د/ عمر عبد السلام تدمري .

٢ ـ السيرة النبوية للشيخ الدكتور/أكرم العمري حتى إنه قال : ١/١٣٠ (ونحن نعلم أن مكة لم يكن فيها يهود) .

٣ ـ السيرة النبوية للشيخ الدكتور / أبي شهبة .

٤ ـ السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي .

٥ ـ صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي ، دار النفائس ، الأردن ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٥هـ ، تقديم د/ عمر سليمان الأشقر ،

٦ ـ رحمة للعالمين ، للقاضي محمد سليمان سلمان المنصورفوري ، تعريب : مقتدي حسن ياسين الأزهري ، الدار السلفية ، الهند ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٠ هـ .

٧ ـ عصرالخلافة الراشدة ، محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين ، د/أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٤هـ .

٨ ـ الجامع الصحيح للسيرة النبوية ، د / سعد المرصفي ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، مؤسسة الريان ، بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٥هـ .

٩ ـ حياة محمد ﷺ، محمد حسين هيكل، الطبعة الثالثة عشرة مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ، (١٩٦٧م) .

١٠ ـ السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية ، د/ مهدي رزق الله أحمد .

١١ ـ محمد ﷺ من نبعته إلى بعثته ، محمد الصادق عرجون .

١٢ ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات د/ عبد الحليم محمود ، شيخ الأزهر، محمد رسول الله لآيتين دينيه ، سليمان إبراهيم ،ترجمة : د/عبد الحليم محمود ، د/محمد عبد الحليم . دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، طبعة (١٩٨٥هـ) .

١٣ ـ أثرأهل الكتاب في الفتن والحروب في القرن الأول الهجري ، د/ جميل عبد الله المصري ، مكتبة الدار ، المدينة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٠هـ .

١٤ ـ عبقرية محمد للعقاد ،

دعك من رجوعي الكثير لفتح الباري ، وشرح النووي عل مسلم ، وزاد المعاد ، =

غير العربي ، ولا كان يكتب كتاباً ولا يقرأ كتاباً مكتوباً ...ولكن المقصود هنا ذكر ما في القرآن من أنه كان يخبرهم بالأمور الماضية خبراً مفصَّلاً لا يعلمه أحد إلا أن يكون نبياً أو من أخبره نبي ، وقومه يعلمون أنه لم يخبره بذلك أحد من البشر ، وهذا مما قامت به الحجة عليهم ، وهم مع قوة عداوتهم له وحرصهم على ما يطعنون به عليه لم يمكنهم أن يطعنوا طعناً يقبل منهم ، وكان علم سائر الأمم بأن قومه المعادين له ، المجتهدين في الطعن عليه ، لم يمكنهم أن يقولوا : إن هذه الغيوب علمها إياه بشر ، فوجب على جميع الخلق أن هذا لم يعلمه إياها بشر ...وقومه تقر بذلك ، ولم يتعلم من أحد غير قومه ، ولهذا زعم بعضهم أنه تعلم من بشر ظهر كذبه لكل أحد ....فأن جميع أهل بلده وقومه يعلمون أن هذا ظلم له وزور ، ... فأن في القرآن من الأسرار ما لا يعلمه بشر إلا بأعلام الله إياه ، فأن الله يعلم السر في السموات والأرض ... إذا كان قومه المعادون وغير المعادين له مقرين بأنه لم يجتمع بأحد يُعَلِّمُه ذلك صار هذا منقولاً بالتواتر ، وكان مما أقر به مخالفوه مع حرصهم على الطعن لو أمكن .

وقد أخبر بالغيوب المستقبلة ، وهذه تقوم بها الحجة على من عرف تصديق ذلك الخبر ....فأخبر أنه لا يقدر الإنس والجن إلى يوم القيامة أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، وهذا الخبر قد مضى له أكثر من سبعمائة سنة * ، ولم يقدر أحد من الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن .....

ولما زعموا أن هذا القرآن هو ألّفه : قال تعالى ﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ الطور : ٣٣ - ٣٤ ، ثم تحداهم بعشر ... ثم بسورة واحدة .... فعجز جميع الخلق أن يعارضوا ما جاء به .، ثم سجل على جميع الخلق العجز إلى يوم القيامة بقوله ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن

=. وما فعلت ذلك إلا لأقيم على نفسي الحجة وعلى هؤلاء الغشاشين أنهم قوم بُهْت وسماعون للكذب ويقولون الإثم بل دجَّالون ، والدجال سمي كذلك (لأنه يغطي الحق بباطله) الفتح : ١٣ / ٩١ . ، وأخيراً تاريخ مكة للأزرقي ، فلم أعثر على ذلك من قريب ولا بعيد .

* بل قد مضى له ألف وأربعمائة وستة عشر عاماً ولم يستطع أحد الإتيان بمثله ، ونقول إلى يوم القيامة .

لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ الإسراء : ٨٨ ... والأمر كذلك فأنه لم يقدر أحد من العرب وغيرهم مع قوة عداوتهم وحرصهم على إبطال أمره بكل طريق وقدرتهم على أنواع الكلام أن يأتوا بمثله) [١] ، فماذا يريد هؤلاء المستشرقون ؟ إنهم في أبحاثهم يكسرون عنق الحقائق كسراً ، ويصادمونها عناداً وجهلاً ، والتاريخ المقروء الذي استقرأه علماء الإسلام وغيرهم لم يخرجوا منه إلا بسفرتين إلي الشام وعمره اثنتا عشرة سنة والأخرى تجارة لخديجة ، إلا إذا جعلنا ذهابه مع أمه زائراً أخوال أبيه سفرة وعمره آنذاك ست سنوات [٢] ، فنجعلها واحدة فتصبح ثلاثاً ، ونتحدى ثم نتحدى المستشرقين أن يأتوا برابعة ، ولهم ذلك إلى أن يأتي قوله ﷺ : " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله ، [وفي رواية] حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله) [٣] ، وإلى قوله ﷺ : " والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها " [٤] وإلى قوله ﷺ : " ليس بيني وبينه - يعني عيسى عليه السلام - نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين * كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس علي الإسلام فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويهلك الله في زمانه الملل

---

(١) نقلت هذه الدرر من الجواب الصحيح : ١/ ٤٠٠ - ٤٢٧ مع الإكتفاء بالشاهد منها .

(٢) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص ١١٠ ، ص ١١٩ ، ص ١٣٢ .

(٣) البخاري كتاب الجهاد ، باب قتال اليهود ، رقم الحديثين : ٢٩٢٥ ، ٢٩٢٦ .

(٤) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، رقم الحديث : ٣٤٤٨ .

* فيهما صفرة خفيفة أهـ عون المعبود : ١١/ ٤٥٥ ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة: سنة ١٣٩٩هـ . ومعه شرح الحافظ ابن قيم الجوزيه .

كلها إلا الإسلام ... الحديث) [(١)]، .

الحاصل بيننا وبينهم حتى نزول عيسى بن مريم فيحكم بيننا وبينهم ، كيف لا ؟ ومن صفة نزوله أنه يكون (حكماً مقسطاً) وبنزوله (يهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام) ومن بين الملل اليهودية والنصرانية التي يزعم المستشرقون أن عبد الله ورسوله ﷺ أخذ منهما ، فلو كان آخذاً منهما ، فلماذا ينزل عيسى يحكم بشريعة الله التي أنزلها على عبده ورسوله محمد ﷺ ؟

وإن من العجب أن الغرب يؤمن (بعودة المسيح ونزوله إلى الأرض ليقتل اليهود والمسلمين ، وكل من لا يدين بدينهم في معركة هرمجدون) [(٢)] ، وأعجب منه أن اليهود يؤمنون بخروج الدجال ، وعند خروجه يُقْتَلُ النصارى والمسلمون [(٣)] ، .

والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا يتعاون المستشرقون اليهود والمستشرقون النصارى على حرب الإسلام ؟ والضرورة العقلية تقضي أن يكون النصارى (أكثر تقرباً إلى المسلمين وتعاوناً معهم ، تبعاً لإتفاق الطائفتين في الإيمان بمسيح الهدي عليه السلام وعداوتهما لمسيح اليهود) [(٤)] .

---

(١) الإمام أحمد في مسند أبي هريرة ، حديث رقم : ٩٢٤٣ ، والإمام أبو داود ، كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ، ٤٣٠٢ ، ترقيم عبد الرحمن محمد عثمان ، وانظر : شرح السنة للإمام البغوي ، ١٥ / ٨١ ، وانظر فتح الباري : ٤٩٣/٦ ، حيث ذكر أن إسناده صحيح . وانظر صحيح أبي داود للألباني :٣ / ٨١٥ ، . ولفظة « ليس بيني وبينه نبي» أخرجها الإمام البخاري في أحادث الأنبياء ، باب قول الله ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ رقم الحديث :٣٤٤٢ . وهذا متواتر أي نزول عيسى، انظر عون المعبود: ١١ / ٤٥٧ ـ ٤٦٤ .

(٢) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، تأليف الشيخ الدكتور : سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، ص ٢٦ ، مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٤هـ .

(٣) انظر نفس المرجع والصفحة .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

ومعركة « هر مجدون » أو « سهل مجدون » سهل صغير في فلسطين تقع عنده المعركة الفاصلة بين النصارى والوثنيين (المسلمين) ص ٣٣ من المصدر المذكور آنفاً. =

ليس هناك من جواب لهذا السؤال إلا العلم المبطّن لدى اليهود والنصارى [(١)] أن هذا الدين هو عدوهما المشترك ، فمن ثم يسعون حثيثاً إلى إطفاء نوره ويأبى الله ذلك .

ونسأل المستشرقين ومن ورائهم الغرب النصراني واليهودي ، إذا كان حقاً ما تقولون فلماذا تسعون حثيثاً إلى تطبيع العلاقات بين المسلمين واليهود ؟ وبصورة أوضح لماذا تحرصون حرصاً شديداً على إبعاد كل الآيات التي تمس عقائد اليهود والنصارى ؟

إن هذا مشكل ، كيف يزعمون أنه محرف ،ثم يخافون من آيات الكتاب المبارك التي بَصَّرت المسلمين بكفر اليهود والنصارى ؟ بل يطالبون جميع الدول الإسلامية بحذف أي آية تفضحهم ، ما هذا الذعر ؟ إذا كان ديناً ملفقاً فلماذا يخافون هذا

=. وقد ناقشها المؤلف مناقشة علمية هادئة من ص ٣٢ -٤٢ . حيث توصل إلى أن النصر للإسلام والمسلمين " تعال يا مسلم يا عبد الله ورائي يهودي فاقتله " .

(١) هذاإذا ما علمنا أن اليهود يرون - عيسى - نجاراً ابن نجار ،وانه ابن غير شرعي حملته أمه وهي حائض ، مضلّل الشعب ، الرجل الذي شنق ، مجنونٌ مخبولٌ، ساحر مشعوذ ، وثني ، مدفون في جهنم ، يسوع مات كبهيمة ودفن في كومة قذر حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة ، معبود كإله بعدما قتله أتباعه ،

أما تعاليمه : كذب هرطقة ، تعاليم مستحيلة الإدراك .

أما المسيحيون فهم : خدّام الأوثان ، ديانة عربية وثنية ، عبد ة النجوم والكواكب ومن هذه الألقاب ، فيا ترى كيف اجتمع اليهود والمسيحيون علي ضرب الإسلام وأهله ؟ ما السر في ذلك ؟؟؟

من أراد أن يراجع ما ذكرت فعليه بكتاب (فضح التلمود ، تعاليم الحاخامين السرية) بقلم الأب : آي ، بي ، براناتيس ، إعداد : زهدي الفاتح ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٣هـ من ص ٥٥ إلى ص ٧٥ .

وانظر : أمريكا وإسرائيل دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل ، د/ محمد معروف الدواليبي ، ص ٤٢ ، الدار الشامية ، بيروت ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ .

الخوف الشديد الذي أظهرته وسائل إعلامهم المرئية والمسموعة والمقروءة ؟ سؤال سهل ، لكن الإجابة معروفة لدى المستشرقين * ! إنهم يعرفون الإسلام كما يعرفون أبناءهم .

والحاصل أن كلمتهم مبهمة ، وكذلك « أخذ » كلمة لا ضابط لها إلا أن يعنوا به السماع ، وهذا في حد ذاته أشد إبهاماً وإيهاماً وأعمق في الغموض ، فأين سمع ومتى سمع ؟ وكيف سمع ؟

وإذا كان ذلك كذلك فلماذا حصروا السماع في شخصه ﷺ ؟ مع العلم القطعي من حقائق التاريخ أن هذا لم يكن ، بل غمَّضوا أعينهم عن هذا تعامياً فقالوا « أخذ » وهذا يقتضي الذهاب إلى المأخوذ عنه صباحاً مساءً ، إذن النتيجة ظهور أمره ، وفشو خبره بين أهله وقومه ، فالتلمذة يلزمها الذهاب والإياب إلى الشيخ ، فإذا كان ذلك كذلك فكيف خفى أمره على أهله وقومه ؟ وإلى متى يستطيع أن يتخفى عن أنظارهم؟ مع العلم أنه لبث فيهم أربعين حجة لا يخفى عليهم حاله ، وهو بأبي وأمي ﷺ كان راعي غنم يرعاها على قراريط لأهل مكة يعين بها عمه ، ويدفع عن نفسه ذلة الطلب من غيره ، وطلب العلم كما هو معروف عادة يتطلب وقتاً طويلاً وأمداً بعيداً وسفراً شاقاً فليخبرونا عن رحلة له قام بها ﷺ قاصدا ذلك ، فليخبرونا أين ومتى وكيف أخذ الرسول ﷺ من اليهودية والنصرانية ؟ نتحداهم ثم نتحداهم أن يجيبوا على ذلك !

---

* استفدت هذه الفكرة من شريط للشيخ سلمان بن فهد العودة اسمه « التطبيع » وانظر مقال ضد الطبع والتطبيع ، د/ عبد الله عمر سلطان ، في مجلة البيان ، عدد : ٧٨ ، ص ٧٣ ، ذو القعدة ١٤١٥هـ ،

وانظر عن تدنيس اليهود للقرآن حيث جعلوا بعض صفحاته ورق (تواليت) ويضعونه في الحمامات ويدوسونه بالأقدام في الملاعب ، انظر هذا ومثله كثيراً من ص ٢٠ ـ ٣٧ من كتاب « مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية » د/ محمد عثمان شبير ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولى : ١٤١٠هـ

ونقل الكاتب ص ٣١ عن « بيغن » وعن « رابين » قولهما : إن عدونا اللدود الذي يهدد مستقبل إسرائيل وشعبها هو الإسلام» فإذا كان مشوهاً وآخذاً فلماذا يلجأوون إلى تدنيسه وإلى هذه التصريحات .

لكنها في الجملة شهادة من أعدائه أنه دين الحق ولو كره الميطلون . وانظر منه ص ٤٠ حذف آيات الجهاد .

ونتحداهم أن يجيبوا على هذا السوال وهو : أين أخذ رسول الله ﷺ من اليهودية والنصرانية ، في مكة ؟ أم في المدينة ؟ أم في الشام ؟ أم في اليمن ؟ نتحداهم ثم نتحداهم على ذلك [1] فليحدودوا لنا الزمان والمكان اللذين أخذ فيهما رسول الله ﷺ من اليهودية والنصرانية ،

إنهم لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً إلا إذا جعلوا أستاههم مكان وجوههم ، و وجوههم مكان أستاههم كما فعل إخوانهم الذين كفروا من قبل ، فقد أخبرنا السيد المبارك ﷺ بقوله " قيل لبني إسرائيل ﴿ ادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ فبدلوا يزحفون على أستاههم ، وقالوا حبة في شعيرة) [2] ، استهزاء بالله حيث بدلوا السجود بالزحف ، وقالوا حنطة بدل حطة [3] ،

فنتحدى المستشرقين أن يخترعوا قرية أومدينة أوغيرها أخذ فيها رسول الله ﷺ ن اليهودية والنصرانية لأنهم إن فعلوا ذلك فقد جاءوا شيئاً إداً ، ومع ذلك نتحداهم .

وهم يعلمون أن كل ذلك لم يحصل ولكنهم يكتمون الحق كما كتمه الذين من قبلهم ، فعن ابن عباس قال : (جاء مالك بن الصيف وجماعة من الأحبار فقالوا : يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : بلى ، ولكنكم كتمتم منها ما أُمِرْتُم ببيانه ، فأنا أبرأ مما أحدثتموه . قالوا : فأنا نتمسك بما في أيدينا من الهدى والحق ، ولا نؤمن بك و لا بما جئت به ، فأنزل الله ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ [4] ، فهذا إدعاء ومتشبع بما لم يعط ولبسوا

---

(١) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني ، ٢/٤٢١ - ٤٢٣ ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ولم يذكر عام طباعتها .

(٢) البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً ﴾ (سورة البقرة) رقم الحديث : ٤٤٧٩ ، وباب ﴿ وقولوا حطة ﴾ سورة الأعراف ، رقم الحديث : ٤٦٤١ .

(٣) انظر الفتح ٨/٣٠٤ .

(٤) انظر تفسير الطبري : ١٠ / ٤٧٤ . وانظر سيرة ابن هشام : ٢/٢٠٩ .
وانظر الفتح : ٨/٢٦٩ حيث قال إسناده حسن .

ثوبي زور * .

الحاصل أن العداوة مستكنة في صدورهم وقلوبهم وعقولهم ، ولا يستطيع هؤلاء المستشرقون الوصول إلى أغراضهم إلا بالإدعاء فاسمعهم يقولون (إن اليهود كانوا يشكلون قوة خطيرة في الجزيرة العربية) [1] ، وهذا كذب وافتراء بدلالة أنهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا باسم النبي ﷺ لما يهزمهم الأنصار ، بل كانوا مستضعفين لا همَّ لهم إلا التحريش بين الأوس والخزرج ، وهم هنا يثبتون على أنفسهم أنهم دائماً يستندون إلى مجرد الظنون والخيالات [2] ودليله أنهم قالوا في مادة « أبو بكر » (إنه كان صديق النبي قبل البعثة ، وكان من أوائل من أجابوا دعوته ، ولكن ما يؤكده البعض من أنه كان أول من أسلم من الرجال أمر مشكوك فيه) هكذا بدون مستند علمي ولا عقلي . وقالوا في مادة « التفسير » (ويذهب النقاد المحدثون ** إلى أنه لا أمل في العثور في هذه التفاسير على أخبار صحيحة عن

---

* سمعت أن هذا حديث في شريط للشيخ سلمان العودة بعنوان « عشرون كلمة للمرأة » ثم بحثت عنه فإذا هو حديث في مسلم انظره جامع الأصول : ١٠/ ٦٠٠ ، والإمام النووي ينقل عن الخطابي أن معناه (أنه كالكاذب القائل مالم يكن) شرح النووي : ١٤ / ١١١ . وصدق رحمه الله إنها لواقعة على هؤلاء المستشرقين وإخوانهم الذين كفروا من قبل .

(١) نقلته بحرفه ولفظه من مجلة منار الإسلام ، السنة : ٢٩ ، العدد : ١١ (١٩٧١م) ص ٧٥- ٧٦ ، مقال : المستشرقون والقرآن الكريم ، د/ رمضان عبد التواب .

(٢) انظر البيان ، ع : ٣٦ ، ص ٥٨ ، رجب ١٤١١هـ ، انظر : الجواب الصحيح : ٣٦٦/٢ .

** لقد فسروا مَنْ هؤلاء النقاد المحدثون في نفس المادة فقالوا (جولد سيهر ولا منسي وغيرهما) جهالات تدمي القلب . إنهم هم الناس ، ولكن مع ذلك لا يكونون أهلاً لكلمة « الناس » فالناس حقيقة عند الإطلاق هم المسلمون (لأن الإطلاق يحمل الكامل ، ولا كمال في غير المسلمين) الفتح : ٥٤/١. فإذا تقرر هذا فنحن بحمد الله عثرنا على أخبار صحيحة عن أسباب نزول القرآن ، إذن فهم لا يستحقون أن يطلق عليهم الناس .

أسباب نزول القرآن وإذاعته في الناس)

إن القوم استمرأ كل واحد منهم الكذب . وقالوا في مادة « الحديبية » (وكان هذا الوادي المحل حوالي الهجرة مركزاً لعبادة يقوم بها أهل تلك الناحية ، وكان فيها بئر وشجرة مقدسة) كذب لا يستحون منه ، كيف وهم لم يستحوا من الله حين قالوا في مادة « الله » (الكائن الأعلى عند المسلمين) أوليس بأعلى عندهم وانظر إلى ظلمهم وزورهم حين قالوا في مادة « التوحيد » (والخلاصة أن التوحيد هو القول بأن لا إله إلا الله أو القول بالحلول) أهذه هي الخلاصة أن تخيرني بين هذا وبين هذا ؟ أهذا منهج بحث لعنهم الله وأخزاهم * . ومن أبرع الكذب الذي وقفت عليه قولهم في مادة « التحريف » (ومما يستوقف النظر أن خصومه استطاعوا أن يتهموه بتبديل ما أوحي إليه (سورة يونس الاية ١٦) [1]

وشهدوا على أنفسهم حين قالوا في مادة « الإنجيل » (ترجم نصارى العرب الإنجيل عن اليونانية والسريانية والقبطية ، والترجمة التي عملت عن اليونانية تمت في عهد متقدم جداً كما يدل على هذا قدم المخطوطات الخاصة بها مكتبة الفاتيكان ... * والتي يرجع عهدها إلى القرن الثامن الميلادي .. ويذكر ابن العبري أن هناك ترجمة أقدم من هذه الترجمات ... بين سنتي (٦٣١ و ٦٤٠) . فأذا كان ذلك كذلك فمتى سمع الرسول ﷺ ولاسيما إذا علمنا أنه (توفي يوم ٨ يونيو سنة

---

* ومن أراد أن يطلع على مراوغتهم واحتيالاتهم فليرجع - إن شاء - مادة « أحمد » ﷺ . هل فعلاً التوحيد : حلول ؟

(١) يقصدون بها الاية (١٥) كما قال « المعقب » والاية هي قوله تعالى ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله ، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ، إن اتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ فأين الاستطاعة في هذه الآية تأمّلها هل تجد شيئاً مما قالوا ، أم إنه الكذب الذي لا يستحي منه صاحبه .

* في هذا الفراغ كلمات إنجليزية لم أتبينها ولم أستطع معرفتها حتى أنقلها لكنها هكذا (Museo Borgiano arab ١٣ Propa ganda)

٦٣٢ م)[١] ؟ وقالوا بعدما ذكروا أن محمداً ﷺ (كان قد اعتمد على اليهود في مكة) ورأى العداء من يهود مكة (هناك هداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبي العرب إبراهيم ، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم ، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام)[٢]

أليس هذا كذباً صراحاً ؟ وهل وجد فعلاً في مكة يهود ؟ وهل إبراهيم يهودي[٣] ؟ وصدق الله ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا

---

(١) من كلام الأستاذ محمد عرفة في تعليقه على مادة « إنجيل »

وانظر أحمد ديدات في كتابه ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ ص ٤٠ قال « ومن ألزم اللزوميات أن تعلم أنه لم تكن هناك نسخة عربية موجودة في القرن السادس الميلادي عندما عاش محمد ودعا إلى سبيل الله) أهـ .

وانظر : محمد السعدي ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

(٢) مادة « إبراهيم » من دائرة المعارف لأئمة المستشرقين الذين يدعون إلى النار .

(٣) حتى الغلام النصراني الذي قيل عنه إنه موجود في مكة اضطربت الروايات في اسمه فقيل إنه « جبر » وقيل « بلعام » وقيل « يعيش » وقيل « يسار » بل اضطربوا في تحديد من ألحدوا إليه فقيل « سلمان الفارسي » وقيل « رجل كاتب ارتد عن الإسلام » بل صرحت بعض الروايات أن اسمه « بلعام » أو « جبر » على اختلاف منهم في اسمه أسلم وحسن إسلامه .

وبعضهم قال إن إثبات هذه الرواية دونه خرط القتاد ، وهي رواية ضعيفة من جهات عديدة .

انظر : تفسير الطبري ، ١٧ / ٢٩٨ ـ ٣٠١ ، وانظر تفسير البغوي : ٤٤/٥ .

وانظر : السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية ، ص ١٧٠ ، وانظر : كتب حذر منها العلماء ، ٣٥٧/١ ، وانظر حاشية رقم (٣) في الجواب الصحيح : ٤٠٤/١ .

لكن الإمام ابن حجر في الفتح :٥٨٣/٦ ذكر عن عائشة أن يهودياً سكن مكة ، فلما ولد الرسول سأل أهل مكة هل ولد لكم ولد الليلة فقالوا لا نعلمه ... فلما جاءوا إلى آمنة وأخرجت وليدها ورأى العلامة خرمغشياً عليه وقال : ذهبت النبوة من بني إسرائيل أهـ ، وقلت هذا من باب الأمانة العلمية

من بعده أفلا تعقلون ﴾ آل عمرن : ٦٥ ، ألا يوجد عندهم عقل ؟ (أفلا تحجزكم عقولكم عن ادعاء ما يخالف الحقيقة والواقع ، لأنه كذب مكشوف لا يصدر إلا عن سفاهة واضحة ، إذ كيف يكون السابق تبعاً للاحق ؟ والمتقدم تبعاً للمتأخر ؟ فهذا كذب مكشوف لا يقبله إلا فاقد الشعور والإحساس ... يا معشر الحمقى وضعاف العقول إذ حاججتم فيما لكم به علم ، من مخالفة شريعة التوراة والإنجيل لشريعة القرآن ، فكيف تحاجون فيما ليس لكم به علم من ادعائكم أن شريعة إبراهيم مخالفة لشريعة محمد ﷺ وموافقة لشريعتكم ، وهذا قول على الله بغير علم ، وكذب وقح ليس على المسلمين فحسب ، بل على رب الناس أجمعين) [١] .

وقالوا في مادة « بحيرا » الذي عولوا عليه في مهاوشاتهم كلها حين زعموا أن الرسول ﷺ أخذ منه *بأنه (راهب ملحد منبوذ يدعى سرجيوس) وأكدوا هذا المعنى حين قالوا ـ بعدما ذكروا أقسام المؤلَّف أنه ثلاثة أقسام ـ (وقد ورد في الجزء الثاني كيف لقن سرجيوس محمداً ﷺ عقيدته وشرائعه وأجزاء من القرآن وذلك بقصد أن يجعل العرب يعترفون بإله واحد ، ومن الواضح أن هذا الجزء من الكتاب يراد به إظهار محمد أنه نبي تلقى وحيه من راهب ملحد) ** فكيف يعقل أن هذا الدين جاء

---

(١) صفوة الآثار والمفاهيم : ١٥١/٤ ـ ١٥٢ .

* يراجع مناهل العرفان ٤٢١/٢ ـ ٤٢٣ فإنه نفيس جداً .

** بل أكَّد هذا المعنى قسيس مصري أسلم يدعى « إبراهيم » في جلسة معه في شهر رجب من سنة ١٤١٥هـ وكان معي شهود منهم د/ستر بن ثواب الجعيد ، فسألته فقال : نعم بل إنهم يقولون عنه « زير نساء » أخلاقه منحلة هذه اللفظة رنَّت جرس حروفها سمعي ، والله خير وأبقى ، وكان اللقاء في ١٤١٥/٧/١٩هـ ما بين الساعة ١٥ : ٨ ـ ٤٥ : ١٠ .

ثم هل بمقدور لقاء ـ مشكوك فيه ـ بين صبي صغير وراهب أن يكون أساساً لعقيدة شاملة وسلوك إنساني ومنهج حياة مفصَّل، غيَّر مجرى تاريخ البشرية رأساً على عقب ؟ ثم ألم يسأل المستشرقون أنفسهم أين أثر الراهب في مجتمعه النصراني الممزق الذي تنازعته الفتن والأهواء ؟ ألم يسأل المستشرقون أنفسهم كيف يكون للراهب بحيرا هذا التأثير المزعوم على محمد ﷺ في لقاء ساعة ولا يكون له أثر على قومه النصارى =

من راهب ملحد ؟

بل أكدوا في مادة « الجنة » أن معلمي محمد * مجهولون ، لأنهم لما علموا تورطهم في هذه الكذبة الكبرى ، ليس هناك من خلاص إلا أن قالوا في المادة المذكورة ما نصه وحروفه (ولا بد أن يكون محمد ** أو معلموه المجهولون قد رأوا بعض التصاوير أو بعض قطع الفسيفساء المسيحية التي تصور حدائق الفردوس ، وأولوا صور الملائكة كما لو كانت صور الولدان و الحور) وهكذا ينتهي بهم المطاف أن معلمي محمد ﷺ مجهولون بل من تأمَّل في قولهم هذا يجد أنه يشير أن هؤلاء المعلمين ليسوا مسيحيين ، بدلالة أن الرؤية من هؤلاء المجهولين عارضة فنقلوها إلى محمد ﷺ . لقد نزَّلوا أنفسهم منزلة أدنى من منزلة سفهاء قريش *** ، .

وبعد فقد طوَّفْنا كثيراً - ولله الحمد والمنة - في الآيات المباركات ، والأحاديث الشريفة ، ومررنا على السيرة النبوية ، وعلى أقوال علمائنا الأفاضل ، وعلى أقوال هؤلاء « الشُحَّاذ الغشاشين » فتبين لنا مكانة الفرض الذي بنيت عليه البحوث الإستشراقية كلها وأنها أسست على جرف هار من الإشاعات لا تطمئن عليها الأقدام ، فكانت النتيجة أن (تلقوا بالتسليم والقبول كل ما سمعوه من أفواه الأدعياء والدجالين ، وشاعت بينهم هذه الروايات وتوارثوها حتى أصبحت سنناً

=. الذي أمضى عمره كله معهم؟ بل أين أثره في رجال قريش الذين يمرون به ؟ الشئ المحقق أننا لا نجد ذكراً على الإطلاق للراهب بحيرا في مصادر تاريخ الروم ، وسائر المصادر النصرانية أهـ العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول ﷺ ، رسالة ماجستير سنة ١٤١٤ هـ ، خميس بن صالح بن محمد الغامدي ، مركز البحوث ، جامعة أم القرى ، ص ٨٧ - ٩٠ .

* ﷺ .

** ﷺ، لأني تأكد لي أنّه عند ذكر اسمه بدون الرسالة يتأكد الصلاة والسلام عليه، وعند ذكره بالرسالة يستحب ولكن ليست مثل الأولى . وقلت هذا بحثاً وتأملاً وفاءً لحق هذا السيد المبارك ﷺ .

*** لأن قولهم ﴿ يعلمه بشر ﴾ (لم يقل هذا أحد من عقلائهم [قريش] المعروفين) الجواب الصحيح : ١/٤٠٦ .

مقدسة) [١] وتبين لنا أن استمرار الضغائن لهذا الدين واتساع شقتها إنما كان بتأثير الوراثة وتلقين كل جيل عقيدته للناشئين فيها ، وصاحبت هذه الضغائن افتراضات مبنية على افتراضات لا تصف الحق ولا تريده ، بل أشاعت مفاهيم مضلِّلة ، أجاد عرضها وفرضها على العقل الغربي الملحدون منهم ، ومن يتمسح بمسوح الدين الكهنوتي من القسس والرهبان والحاخامات ، حيث لَقَّوا ظهورهم أمانة البحث التي تقتضي إثبات الأقوال وصحتها من مصادر الإسلام ، ولكنهم جفوا ذلك لما رأوا الأدلة تصفعهم ، فمن ثم ولوا وجوههم وعقولهم وأبحاثهم وأنفسهم إلى امتطاء الافتراءات والأكاذيب التي دلَّلت على سوء نواياهم وخبث مقاصدهم ، وأثبتوا على أنفسهم أنهم إنما يتلقون الإسلام أو يعرفون الإسلام أشباحاً وخيالات [٢] ، لكنها مع تطاول الزمن وطول الأمد عليهم رأوا أن هذا أعظم سبب يدفعون به وصول الدين الإسلامي إلي عقول الغرب ، فاستفادوا بذلك تحصين أنفسهم وبلبلة ثوابت الدين في عقول أبناء المسلمين ، بل يدعون إلى (عمليات البطش والتصفية للصحوة الإسلامية ودعاتها وشبابها في غير مكان من عالمنا الإسلامي المعاصر) [٣] بل يدعو الرئيس الأمريكي السابق « ريتشارد نيكسون » عقيب اللقاءالتاريخي بين « ريجان » و « غورباتشوف » إلى

---

(١) الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، للأستاذ الدكتور الشيخ / محمد عبد الله دراز ، ص ١٠٩ و، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية : سنة ١٣٩٠هـ .

(٢) انظر كريسي موريسون ، مصدر سابق ، ص ١٣٩، ١٥٢ . وانظر، الدين بحوث ممهدة ، مصدر سابق ، ص ١١٣ ـ ١١٤ ، وانظر : دراسات في السيرة النبوية ، مصدرسابق ، ١٦١ ، ١٧٠ ، وانظر حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، ص ٦١ .

(٣) أزمة المثقفين في ديار الإسلام ، جمال سلطان ، ص ٧٦ دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٤هـ ،

وانظر : عداء اليهود للحركة الإسلامية ، زياد أبو غنيمة ، ص ١٨ـ ٣٩ حيث قال : ص ٣٦ (إن أخطر ما يتهدد مستقبل إسرائيل هو استيقاظ الروح الإسلامية من جديد) سمعه من راديو إسرائيل ، الساعة العاشرة والربع من مساء يوم الخامس من أيلول (١٩٧٨م) ، طبع هذا الكتاب في دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، مع اتفاق دار الفرقان ، الأردن ، بدون عدد الطباعة وسنتها .

أنه (يجب على روسيا وأمريكا أن تعقد تعاوناً حاسماً لضرب الأصولية الإسلامية) [١] فهل هذه « التشنجات » يكون من ورائها علم بأن الإسلام أخذ من اليهودية والنصرانية ؟ بل حالهم يقول بصراحة إن حبل الإستشراق الذي لحمته الكذب بدت جريمته تفضح وتكشف ويزال غطاؤها عندما ظهر الإسلام اليوم مقبولاً بين أوساط كل أنواع الناس ، بل أصبح (عنصر جذب) [٢] .

الحاصل من هذا كله إذا كان مزيَّفاً فلماذا اتفقت القوى جميعاً في هذا العصر على محاربة الإسلام وأهله ؟ وبعدها نخلص إلى الآتي :

١ ـ أن المستشرقين ينكرون نبوة محمد ﷺ ، ومن ثم فالقرآن بشري من صنعه ﷺ ، وبنوا على هذا أن الإسلام ليس وحياً إلهياً ، بل هو إصلاح إجتماعي عند من يمدحون الإسلام ونبيه ﷺ ، فهذا أقصى حد بلغوه .

٢ ـ إذا كان كذلك ـ عند المستشرقين ـ وهو كذلك * فمن أين لمحمد ﷺ الحق واليقين في مسألة التثليث ، وألوهية المسيح ، وصلبه ، وأنه هو الله ؟ كل هذا أبطله القرآن كلام الله عز وجل .

٣ ـ نتحداهم أن يأتونا بدليل على أن استحلال لحم الخنزير ، وغيره مما حرمه الله ولم يبحه المسيح ، وإسقاط الختان ، والصلاة إلي المشرق ، وزيادة الصوم ونقله من زمان إلى زمان ، واتخاذ الصور في الكنائس ، وتعظيم الصليب ، واتباع الرهبانية ، والثالوث ، وألوهية المسيح . فليأتوا لنا بدليل واحد فقط أن هذا منصوص عن عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام [٣] ، وإننا إذ نقول لهم هذا لعلمنا أنهم عاجزون عن ذلك ، إذن ما لهم ولإلقاء الشبهات على دين قامت عليه السموات والأرض ، وأنه الحق من الله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون .

أما هم فهم على دين ابتدعوه ليس منقولاً (عن أحد من الأنبياء ولا من الحواريين ، وهم يجوزون لأكابر أهل العلم والدين أن يغيروا ما رأوه من الشرائع ،

---

(١) القدس الوعد الحق والوعد المفترى ، مصدرسابق ، ص ٤٠ .

(٢) انظر الصحوة الإسلامية في عيون مختلفة ، مصدر سابق ، ص ٣٩ .

* أقصد به إنكارهم نبوة النبي ﷺ

(٣) انظر الجواب الصحيح : ١٨/٣ ، ٢٩ .

ويضعوا شرعاً جديداً ، فلهذا كان أكثر شرعهم مبتدعاً ، لم ينزل به كتاب ولاشرعة نبي) [١]

٤ ـ أنهم يعلمون حقيقة ويسمعون أن صوت القرآن مماثل للذي كان ينزل على أنبياء بني إسرائيل ، ويعلمون أنه لا يوجد في القرآن نص مأخوذ من الكتاب المقدس ، ويعلمون أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من صنع بشر مهما بلغ هذا البشر من العلم والمعرفة والحكمة ، وأن القول بغير هذا يعتبر استخفافاً بالعقول وطمساً لمعالم الحق والحقيقة [٢] .

٥ ـ أنهم يرون ثبوت كتابة النبي ﷺ ، ويحَاجُّون في أمية الرسول ﷺ وأنه تلقى العلم على الأحبار والرهبان ، وهذا ينقضه أن أميته لم يعارضه فيها أحد من معاصريه ، ولا شك أنه يستحيل على رجل في مكة أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه قومه ، فهو أمي لا شك في ذلك ولا مدّخل في إثبات ما يخالف هذه القضية بل العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي ، وقد اعترف العالم كله بأنها يعجز فكر بني الإنسان عن الاتيان بمثلها لفظاً ومعنى [٣] .

٦ ـ لو كانت أبحاثهم علمية حقة لما اختلفتْ ولما تعارضت ، وهم لم يعثروا خلال أبحاثهم الطويلة على خبر واحد يؤيدون به زعمهم وهواهم ، فانتهوا إلى التشكيك والسب والشتم ، وهذه حيلة العاجز ، فلما لم يستطيعوا أن يطعنوا في القرآن طعنوا في صاحبه * ﷺ ، فبحوثهم التاريخية قُضِيَ عليها بالعقم إذ سخِّرت لنظرية ورأي سابقين [٤] .

٧ ـ الوسوسة غلبت على عقولهم فأخذوا يهرفون بأشباح وخيالات عن الإسلام ، ولو تأمل المتأمل في نفسه لوجد (أن هذا الكتاب الإلهي خال من أية خطة سابقة على وجوده ، مرسومة على نفس نسق المناهج الإنسانية ، وأن كل سورة من سوره منفصلةٌ

---

(١) المصدر السابق : ٣/ ٣٠ .

(٢) انظر : د/ رسلان ، مصدر سابق ، ص ١٤٠ ، ١٤٢، ١٤٣ .

(٣) انظر آيتين دينيه، مصدر سابق ، ص ١٦ .

* المنزَل عليه ﷺ ، انظر في هذا : حياة محمد ، لمحمد حسين هيكل ، ص ٤٣ .

(٤) دينيه ، مصدر سابق ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٥٦ .

عن غيرها ، وخاصةٌ بحادثة وقعت بعد الرسالة ، طيلة فترة تزيد على عشرين عاماً ، وأنه كان من المستحيل على محمد أن يتوقع ذلك ويتنبأ به) [١] .

٨ ـ تأكد لنا من خلال عرض الايآت والأحاديث وبعض وقائع السيرة (أن جهل الغرب بحقيقة الإسلام وبسيرة النبي في مقدمة ما يدعو إلى هذه الخصومة ، والجهل ولا ريب من أعقد أسباب الجمود والتعصب وأشدها استعصاءً) [٢] .

٩ ـ لابد أن نعلم أن الغرب عرته « موجة الإلحاد » فأثّرت في تكوينهم النفسي والعقلي ، لذلك فقضايا الدين التي تحدثهم عن اليوم الآخر غائبة تماماً في أذهانهم ، فضلاً عن أن (الدين لا يقوم بأي دور يذكر في تكوين آراء الناس ووجهات نظرهم في كثير من قضايا الساعة) [٣] ، والمقصود أن الغرب لا يؤمن بمتعلقات الوحي ، فمن ثم لا نستغرب كثرة شكهم وافتراضاتهم وترددهم وذلك حاصل بسبب موت أرواحهم ، وأنهم ليست عندهم الرغبة في أن يعرفوا شيئاً عن دين صحيح يجيب على أسئلة نفوسهم [٤] ، .

١٠ ـ المتأمل في آيات التحذير من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء والأحاديث

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٧ ، انظر ترجمة دينيه (أ) د/ رسلان ، ص ١٥٣ ،(ب) تعريف د/ عبد الحليم محمود به في مقدمة كتابه من ص ٧ إلى ص ٥٨ .

(٢) حياة محمد ، محمد حسين هيكل ، مصدر سابق ، ص ١٢ ، ص ٦٠ .

(٣) يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة ، جيمس باترسون ، بيتركيم ، نقله إلى العربية د / محمد بن سعود البشر ، ص ١٥٧ ، الطبعة الأولى ، الرياض : سنة ١٤١٤هـ .

(٤) انظر : محمد السعدي ، مصدر سابق ، ص ١٢٧ ، حيث ذكر عدم ورود ذكر الآخرة في التوراة ، يقول (وبشكل عام فإن اليهودية تركز على الأعمال في الحياة الدنيا ، ولا تهتم كثيراً بشأن اليوم الآخر (أهـ ص ١٢٩ .

وانظر: جيمس باترسون المصدر السابق ،ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، وهذا الكتاب جدير بالقرأة والتأمل فلقد فضح بالأرقام والوثائق العالم الغربي وفي مقدمته أمريكا أنهم لا خلق لهم إلا بقدر ما يأتيهم بالدولار وهو خلق نفعي .

وانظر : صابر طعيمة مصدر سابق ، ص ٢٧ ـ ٢٩ . وانظرتهافت العلمانية ، د / عماد الدين خليل ، ص ٧٩، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، بدون عدد الطباعة.

التي تنهى عن سلوك سبيلهم أمر يقود الإنسان إلى رفض سماع هذه الفرية فضلاً عن نشرها أو الرد عليها ، وذلك أن الإنسان إذا حذَّر من شئ ثم أخذ منه فإن هذا خيانة للروح والنفس قبل أن تكون خيانة للأتباع ، فكيف إذا كان الحال أنه بتطلعه إلى جهة الكعبة يثبت على أن نفسية محمد ﷺ تأبى أن تساوي هؤلاء في الجهة فضلاً عن مساواتهم في العقائد الموروثة البالية ؟ وبالتأمل في تاريخ عدواة المشركين واليهود والنصارى لهذا الدين ، حيث كان يقوم جدال محتدم بين الفريقين (ومع ذلك فإنه لم يزعم أحد - فيما نعلم - من أعداء المسلمين أن القرآن مقتبس كله أو بعضه من التوراة أو الأناجيل أو الأراء المسيحية إلا في هذه العصور المتأخرة ، حينما ضعف شأن الدول الإسلامية مادياً ، وقام المستشرقون وفي أعقابهم المبشرون بالهجوم العلمي على المسلمين بعد أن وضعوا أيديهم على أكثر بلاد الإسلام) [1]، ومع ذلك فكتاباتهم لا تخلو من : ١ - العجلة واالسطحية .

٢ - تكلف المعاني البعيدة التي يثريها الخيال االمريض والغرض الدفين .

٣ - تحميل الألفاظ والروايات ما لا تحتمل .

٤ - افتراض ما لم يثبت بالدليل التاريخي [2] .

أضف إلى ذلك أنهم يحملون فكر الإنتصار للنصرانية وهدم معاقل الدين ، فلذلك يتخيرون المداخل التي ينفذون منها إلى عرض أفكارهم بالصورة التي تحتمل أوجها عدة ، وساعد ذلك الإستعلاء الحضارى الناهض والفتي ، بينما المجتمع المسلم ألفَ مراوحة الاجترار مما جعل منه غير قابل لمجابهة هذا التحدي ، وذلك لتناحر العالم الإسلامي فيما بينه ، بل كان عوناً للجنود البريطان والفرنسيس ، فاستسلم لقضايا الإستشراق وأصبح غير قادر على التقرير والتميز ، فلم يعُدْ في مكنته التحرر من ضغط التبعية الفكرية لهذا النتاج الذي فجَّره العقل الأوربي ، المعزَّز من الجهالة العامة بالقيم القرآنية الأصيلة ، والغبش المتراكم [3] اللذين أصابا الأمة الإسلامية لتفريطها في دينها المبارك .

---

(١) من تعليق الشيخ العلامة « أحمد شاكر الهاشمي القرشي » على مادة « إنجيل » .

(٢) انظر جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي ، للأستاذ جمال سلطان ، ص ١٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص٦٦ ، ص ٧١ ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ .

هذا ولو استعرضنا الأحاديث التي تنهى عن التشبه باليهوود والنصارى أو تدعو إلى مخالفتهم لطال بنا المقام * ، ولكن حسبنا شهادتهم أنفسهم حين شهدوا لرسول الله ﷺ أنه لم يترك شيئاً يفعله اليهود والنصارى إلا خالفهم فيه .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت . فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ، إلى آخر الآية ، فقال رسول الله ﷺ " اصنعوا كل شئ إلا النكاح " فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه .... » [1]

---

* وهذا في حد ذاته يكون أهلاً لدراسة وجمع هذه الأحاديث حتى يتبين من خلالها أن المستشرقين جهلاء جهلاً مطبقاً بمصادر الإسلام الصحيحة أو يتجاهلون المصادر الصحيحة .

انظر جامع الأصول : ٤/ ٧٦٦ ، ٨٠٣ ، ٥ / ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٤٤٦، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٦/٣١٣ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٦٠٩ ، ٧/٢٤١ ، ٣٩٣ ، ١٠/١٩٦ - ١٩٨ .

وقد ورد حديث يدل على أن القتل لمن يشتم النبي ﷺ ، جامع الأصول : ١٠/٢٥٧ - ٢٥٨ . حتى ولو كان غير مسلم ، فمن لهؤلاء المستشرقين ؟ لكن الأمة غائبة ، نتابع الموضوع التي ورد فيها النهي عن التشبة بهم ..... انظر : ١٠/ ٦٣٠ ، ١١/٥٢٥.

(١) الإمام مسلم ، كتاب الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ، رقم : ٣٠٢ .

مسند الإمام أحمد من حديث أنس رقم : ١٢٣٣٩ ، ورقم : ١٣٥٦١ .

وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب الطهارة ، باب مؤاكلة الحائض ومجامعتها .

وأشار إليه الترمذي في كتاب الطهارة ، باب ما جاء في مؤاكلة الحائض وسؤرها بقوله (وفي الباب عن عائشة وأنس)ثم بينه المباركفوري أنه الحديث نفسه ، تحفة الاحوذي : ١/٤١٦ .

وانظر : مستخرج الطوسي على جامع الترمذي، تحقيق ودراسة : د/أنيس الأندونوسي ، ١/٣٥٨ .

وأخرجه الإمام النسائي ، كتاب الحيض والاستحاضة، باب ما ينال من الحائض، وتأويل قول الله عز وجل ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ . =

وهنا نصل إلى فساد هذا الإدعاء الجرئ الظاهر البطلان ، كيف ظهر من أناس رزقوا جلداً في البحث عن المساوئ ؟ ولكنهم لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لما أشربوا من بغض لهذا الدين وأهله ، وأظهر لنا بعض ما تتبعناه من السيرة النبوية المباركة العبث الشائن الذي هو وليد الهوى واستسهال الإسقاط النفسي على حوادث مشرقة شاهدة على نبوة هذا النبي المبارك ﷺ ، جرَّهم إلى ذلك قياس الإسلام على حال الصراع بين الكنيسة والعلم ، بين الدين والدنيا حتى يصلوا إلى إيجاد الغربة بين المسلمين وبين دينهم ولقد علموا أنهم إن نجحوا في ذلك قادوا الأمة إلى الجهل وإلى الجفوة وإسقاط سلطان الدين من النفوس ، ولكن يأبى الله ذلك والغيورون على هذا الدين ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون [1]

١١ ـ مما يؤيد أنهم يتجاهلون أو يصمون آذانهم ويجعلون على قلوبهم أكنة حديث سؤالات وفد نجران للرسول ﷺ عن « أخت هارون » فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران ، قال : فقالوا أرأيت ما تقرؤون ﴿ يا أخت هارون ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال : فرجعت فذكرت لرسول الله ﷺ فقال : " ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم " [2] فكيف يذهب لقوم إلى مثل هذا السؤال ؟ ويتركون ما يدفعون به حجته ونبوته لو كانوا يعلمون أنه

=. وأخرجه ابن ماجة في كتاب الطهارة ، باب ما جاء في مؤاكلة الحائض وسؤرها ، دون ذكر « ما يريد هذا الرجل ..... الخ » وانظر شرح السنة : ٢/١٢٥ ـ ١٢٦ وأطلت في تخريجه لأنه من أحاديث المعجم المفهرس فكيف عموا وصموا عنه : انظر مادة « حيض» من المعجم المفهرس ، ٥٣٤/١ ، دار الدعوة استانبول ، سنة (١٩٨٨م)

(١) استفدت هذا الكلام النفيس من « الغارة على التراث الإسلامي » للأستاذ جمال سلطان ، مركز الدراسات الإسلامية ، بريطانيا ، سنة ١٤١٢هـ ، ص ١٥٩ ، ص ١٦٠، ١٦٢ .

(٢) أخرجه مسلم والترمذي ، انظر : جامع الأصول ، كتاب التفسير : ٢ / ٢٣٦ ، رقم الحديث : ٧١٤ .

وانظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٨٧ ، وانظر : مرويات الإمام أحمد في التفسير : ١٤٩/٣.

أخذمنهم [(١)] ؟ إنه العجز البيِّن الذي كشف أنهم لا يملكون مثقال ذرة أو أدنى من ذلك في إثبات ما يدعيه هؤلاء المستشرقون ، فنصارى نجران غالبهم منعهم الإباء أن يتفوهوا بالكذب الذي قذف به هؤلاء المستشرقون ، وقد علم قطعاً أنه إذا كان أخبار أهل الكتاب لا تقبل ، فمن باب أولى ما يفترونه على هذا الدين [(٢)] ، بل قد علم عادة ونظراً وعرفاً وأمانة أن الإنسان السويَّ يتأكد في حقه التوقف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها بما يقع في الظن ، فإذا كان ذلك كذلك فما القول في أمر قد وضح شأنه وبان رشده ؟ هل يجوز أن أجزم فيه بما يقع في الظن من تخيلات وافتراضات بنيت على افتراضات لا أول لها ولا آخر [(٣)] ؟

ولو قاموا مثنى وفرادى ثم تفكروا ما سر حفظ هذا الكتاب المبارك مع حفظ قضية التوحيد التي وثقت توثيقاً عميقاً مع كل خطرة نفس تخطر في قلوب البشر ، ومع كل حدث من أحداث الكون المادي ، فبقيت هذه الأمة ـ بقدر الله ومشيئته ـ تحافظ على صفاء توحيدها فترة طويلة من الزمن وتنشره في الآفاق ، ولا يزال يُبْعثُ بعثٌ يحيون ما أماتته الأمة من أمور دينها ما تخالف الليل والنهار حتي تقوم الساعة، وإذا نظرنا إلى الأمة اليهودية لوجدنا أنها حرفت كتابها بتصوراتها الوثنية الهابطة ، وكذلك الحال للأمة النصرانية تقبلت الوثنية وتمسكت من بعد تحريف كتابها بعقيدة أبعد ما تكون عن التوحيد ، وبعد هذا وذاك لا يستحي المستشرقون المكافحون بالعداوة أن يزعموا أن محمداً ﷺ قد أخذ عقيدة التوحيد عن اليهود والنصارى ، إن هذا لشئ عجاب [(٤)] ، بدلالة أن اليهودية والنصرانية لم تكونا محل أخذ ورغبة حتى ممن توجهوا

---

(١) انظر الجواب الصحيح : ١/٢٢٦ .

(٢) انظر الفتح : ٥/٢٩٢ .

(٣) انظر الفتح : ٨/١٧٠ .

(٤) انظر رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، ١٣٨ ـ ١٣٩ ، للشيخ محمد قطب .

وعلى هذا لوكان نسخة محرفة أو مشوهة لضاعت أصوله كما ضاعت أصول التوراة والإنجيل ولعفى عليها الزمن ، فماذا يفعل المستشرقون أمام هذه المعجزة ؟ وهو أنه لم يظفركتاب من الكتب السماوية بما ظفر به القرآن الكريم ، من ثبوته ثبوتاً قطعياً بطريق التواتر الذي يدرأ كل شك ويدفع كل ارتياب ، ويدل علي أن الصحابة تلقوه من فيه =

إليها فهؤلاء الأحناف ورقه بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل وأمثالهما قرأوا النصرانية واليهودية وتفهموهما ولكنهم اتجهوا يبحثون عن الحنيفية ملة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، لعلمهم - بعد تنقلاتهم في بلاد الشام - إن الحنيفية غير النصرانية وغير اليهودية [(١)] وهذا ما وضحه منطوق حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري رحمه الله حينما قال: إن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويَتَّبِعُه ، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني . فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله . قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنى أستطيعه ؟ فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى ، فذكر مثله فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال : ما أفر إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأنى أستطيع ؟ فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله . فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج ، فلما برز رفع يديه فقال : اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم *) وصدق الهادي المهدي رسول الله

= ﷺ ولقنوه مَنْ بعدهم من التابعين ، ثم نقله عن التابعين الأمم المتعاقبة والأجيال المتلاحقة أمة بعد أمة ، وجيلاً إثر جيل ، إلى أن وصل إلينا ، ولا تزال الأمة تتعاهده وترويه وتنقله لمن بعدها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا مصداق قوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ أهـ من مقال للشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله واسمه « مصدر القراءات الوحي لا الرسم » مجلة منبر الإسلام ، العدد : ٩ ، السنة : ٢٩ ، سنة ١٣٩١هـ ، رمضان المبارك ، ص ٢٥ .

(١) انظر أثر أهل الكتاب ، ص٤٦ ،٤٧ ،مصدر سابق ، وانظر الجواب الصحيح : ١٦/٣ ، وانظر سير أعلام النبلاء : ١٣٢/١ .

* هكذا في أصل صحيح البخاري : إني أشهد أني ..وفي فتح الباري : ١٤٥/٧ (اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم) ، الحديث أخرجه البخاري في كتاب مناقب =

السيد المبارك ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى فقال ﷺ ذات يوم في خطبته : " ألا إنَّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني ، يومي هذا ، كل مال نحلته عبداً ، حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم . وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب) "[1] . (وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل فرفع عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ ، فبعثه رحمة للعالمين ، ومحجة للسالكين ، وحجة على الخلائق أجمعين ، وافترض على العباد طاعته ومحبته ، وتعزيزه وتوقيره ، والقيام بأداء حقوقه ، وسد إليه جميع الطرق ، فلم يفتح لأحد إلا من طريقه ، وأخذ العهود والمواثيق بالإيمان به واتباعه على جميع الأنبياء والمرسلين ، وأمرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين .

أرسله الله بالهدى ودين الحق .. فختم به الرسالة ، وهدى به من الضلالة ، وعلّم به من الجهالة ، وفتح برسالته أعيناً عمياً وآذاناً * صماً وقلوباً غلفاً ، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت بها القلوب بعد شتاتها ، فأقام بها الملة العوجاء ، وأوضح بها المحجة البيضاء ... أرسله على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب ، حين حرِّفَ الكلم وبدلت الشرائع ، واستند كل قوم إلى أظلم ** آرائهم ، وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم ، فهدى الله به الخلائق ،

=. الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، رقم الحديث : ٣٨٢٧ .

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ح : ٢٨٦٥ .

والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند عياض بن حمار رضي الله عنه ، ح : ١٧٤٥١ ، ١٨٣٠٢ يقول الإمام النووي رحمه الله (والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله ﷺ ، والمراد ببقايا أهل الكتاب : الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل) أهـ ١٧/١٩٧ - ١٩٨ .

* في الأصل هكذا« وآذنا » فشككت أنه جمع ثانٍ لأُذُن ، فلما رجعت للسان العرب مادة « أذن » قال « والجمع آذان لا يكسر على غير ذلك » أهـ ١٣/١١ . فلذلك أصلحتها.

** من الظلام ويحتمل الظلم بعينه . والله أعلم .

وأوضح به الطريق ، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور) [(١)] ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال : " إن المغضوب عليهم اليهود ، وإن الضالين النصارى) [(٢)] وذلك أن (كل عاقل ليعجب ممن * عرف دين محمد ﷺ وقصده الحق ، ثم اتبع غيره ، ويعلم أنه لا يفعل ذلك إلا مفرط في الجهل والضلال ، أو مفرط في الظلم واتباع الهوى ....

ومن استقرأ أحوال العالم تبين له أن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمة أعظم من إنعامه بإرساله - ﷺ - وإن الذين ردوا رسالته هم من قال الله فيهم :

﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ إبراهيم : ٢٨ .

......فيقال لليهود : أنتم أذل الأمم ، فلو قدِّر أن ما أنتم عليه دين الله الذي لم يبدل ، فهو مغلوب مقهور في جميع الأرض ، فهل تعجبون من أن يبعث الله رسولاً يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ...... منصوراً ظاهراً بالحجة والبيان والسيف و السنان ؟ ...

ويقال للنصارى : أنتم لم تخلصوا دين الله الذي بعث به رسله من دين المشركين والمعطلين ... ففيكم من ضعف سلطان الحجة ، وضعف سلطان النصرة ، ما يظهر به حاجتكم إلى قيام الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، فالعجب منكم ، كيف تعدلون عما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة ،إلي ما فيه شقاؤكم في الدنيا ولآخره هذا هو العجب ؟ ليس العجب ممن آمن بما فيه سعادة الدنيا والآخره وفي خلافه شقاوة الدنيا والآخرة) [(٣)]

وصدق شيخ الإسلام - ابن تيمية - إن الغرب اليوم في شقاء مهين وضياع

---

(١) نقلت هذه الدرر من مجموع الفتاوى لابن تيمية النميري ، ١٩ / ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسند عدي بن حاتم ، ح : ١٩٣٢٩ ، وانظر جامع الأصول : ٧/٢ ، وانظر فتح الباري حيث نقل عن ابن أبي حاتم قوله (لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً) أهـ ٨ / ١٥٩ ، وقد حسَّن إسناده ابن حجر في نفس الجزء والصفحة آنفاً ، وانظر مرويات الإمام أحمد في التفسير : ٣٩/١ - ٤٠ .

* في الأصل « من » .

(٣) الجواب الصحيح : ٨٨/٥ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ .

مستكين ، فمن تأمل في حياتهم وحياة العالم كله تأملاً يرجو من ورائه إيجاد حل لهذا الشقاء والنكد المهين ليستيقن في قرارة نفسه أنهم ليسوا على شئ ، وأنهم مفتقرون إفتقاراً لازماً للتوحيد الذي يعطي القلب إطمئناناً ، والصدر إنشراحاً ، والعقل تنويراً ، والنفس إستقراراً ، ويريح الإنسان ألم الضياع والتشتت الروحي ، وصدق الله ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ الحج : ٣١ .

وليس ذلك كله إلا في الهدى الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ ، ولقد علم ذلك صحابته ﷺ ، فهان عليهم مفارقة أوطانهم وأبنائهم ، والخروج عن أموالهم ، ورفيع جاههم ، بل كانوا يبيعون أنفسهم وأرواحهم ذوداً عن حياضه ، وحباً له حبّاً خالط أجسامهم ودماءهم ولحومهم وعظامهم وكل شئ منهم ، بل كان مراد أحدهم أن يفوز بالشهادة من أجله ، بل كان ينظر إلى سنان الرمح يخرج من صدره فيقفز فرحاً وهو يقول : فزت ورب الكعبة [1] ، نعم : دعاة حتى آخر قطرة من دمائهم ، فهل يَعقِلُ هذا أبناء القردة والخنازير ؟

هل يمكن لجمع يبلغ مائة ألف وأربعة عشر ألف صحابي أن يتدينوا بدين مسروق مختلس ؟ هل يعقل هذا ؟ هل يمكن أن يدينوا لدين أصله مفترى ؟ إن هذا لشئ عجاب !

لماذا هؤلاء العرب لم ينظروا إلى هذا الدين الجديد مثلما نظروا إلى اليهود ، حيث كانوا يرونهم أحقر الناس وأذلهم ؟ (إن من عرف حال هؤلاء الصحابة لا يعتريه أدنى ارتياب في أنهم كانوا على إعتقاد راسخ ، ويقين ثابت بأن هذا الكتاب وحي سماوي عن الله تعالى لا دخل لأحد من البشر فيه بوجه من الوجوه ، وأنهم لو أحسوا بأنَّ لأحدٍ دخلاً فيه في أية ناحية من نواحيه بزيادة أو نقص أو ذكر أو حذف أو وضع كلمة مكان أخرى ، أو حرف في موضع آخر ، فيكون بذلك عرضة للآراء المختلفة ،

---

(١) انظر الخبر في السيرة النبوية لابن هشام ، حديث بئر معونة ، ٣/ ١٤٠ .وقد فسره الإمام البخاري بأن الرجل : حرام بن ملحان ،كتاب المغازي ، حديث رقم : ٤٠٩١ ، وفيه أنه قال : الله اكبر ، وفي روايه انه نضح بالدم على وجهه . انظر البخاري ، حديث رقم ٤٠٩٢ .

والمذاهب المتباينة ، لما رضيت نفوسهم الأبية باتباعه ، والإذعان لقوانينه *وأحكامه لأن نفوسهم طبعت على تعشق الإنطلاق والحرية ، ومقت التقيد والعبودية) [١] ، ومن تأمل سر القراءات يجدها بنفسها تحمل الحقيقة التاريخية التي لا يرقى إليها شك على صدق نبوة محمد ﷺ ، وعلى رفض الزعم الذي قذف به مرتزقة الغرب الكافر زعماً يتنافى مع قضايا العقل ، ولا يتلاقى مع قوانين المنطق ، ولا يستسيغه الفكر الناضج السليم .

إذ بتعدد اللهجات ضاعت أصول التوراة والإنجيل ، فلماذا لم تضع أصول القرآن وقد قرئ بقراءات متنوعة لا تناقض فيها ولا تنافر بل بعضها يفسر بعضاً ؟ إن هذا في حد ذاته لآية قاطعة وحجة دامغة على أن هذا القرآن وحي إلهي يؤفك عنه من أفك [٢] .

فعلى هذا : كيف استطاع رسول الله ﷺ وهو بشر مثلنا ـ أن يلائم بين لهجات متناقضة يباين بعضها بعضاً ، ويوحِّدها في نص مقروء متلو كلٌّ يقرؤه بلسانه ولا يعارض الآخر بل يفسره ؟ هذه واحدة ! والثانية : فلنتخيل كم يحتاج جمع كلمات من مختلفي الألسن ـ على حد زعمهم ـ من الجهد والوقت حتى يؤلف بعضها على بعض ، لا تناقض بينها ولا تعارض ولا تنافر ؟ إن كل لهجة تكلفه جهداً ووقتاً يغطيان عمر الرسالة بل أزيد ، إننا لو فكرنا أن نقبل قول هؤلاء الشذاذ المرتزقة لكان حاصل ذلك

---

* الباحث يرى أن لا تطلق على شرائع القرآن ، لأن القوانين الأصل فيها التغير والتبدل حسب المصلحة النفعية ، أما شريعة ربي فهي لعبادة الذين يعلمهم ﴿ ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير ﴾ وقلت هذا حرصاً وأنفةً أن نسقط مثل هذا اللفظ على كلام الرحمن ، وإلا فالشيخ القاضي ـ يعلم الله ـ أنّي أكن له من الحب والتقدير ما الله سائلني عنه يوم القيامه ، كيف لا ؟ وهوخادم القراءات ونزيل المدينة النبوية رحمة الله عليه ، حتى إني سمعت عنه أنه مستجاب الدعوة ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأن يلحقني به غير مفتون بعد طول عمر صالح وعمل صالح .

(١) نقلت هذه الدرر من مقال سابق للشيخ القاضي رحمه الله ، مجلة منبر الإسلام ، العدد: ٩ ، السنة : ٢٩ ، ص ٢٣ ، رمضان المبارك سنة ١٣٩١هـ .

(٢) نفس المصدر ، العدد : ٢ ، صفر الخير سنة ١٣٩١هـ ص ٧٧ .

أن محمداً رسول الله ﷺ جمعهم في صعيد واحد وأخذ يستقرئهم واحداً واحداً حتى يوائم بين لهجاتهم وألسنتهم ، إن هذا لمن قام وتأمل وفكَّر فوق طاقة البشر ، وبناءً عليه فإن الباحث يطالب هؤلاء المرتزقة ومن ورائهم الغرب الكفار كله أن يعدوا نجوم السماء وذرات تراب الأرض ، فإذا أحصواذلك ننظر هل نصدقهم أم لا ؟ [(١)]

وبعد فلو أجرينا مقابلة بين ما في التوراة واالإنجيل * وبين ما في القرآن لوجدنا أنه الفرقان ويكفي أن الذي أنزل عليه (أن أمته لو وزنت به لمال بهم ﷺ) [(٢)] هذا من حيث صاحبه ، أما الكتاب المبارك فتكفيه آيةً وعلامةً أنه من عند الله الهيبة التي تقع عند تلاوته ، والخشية التي تلحق سامعه ... مع تيسير حفظه لمتعلميه وتسهيل سرده لتاليه ، مع أنه قد تحدى به النبي ﷺ العرب ، وهم أفصح الناس لساناً ، وأشدهم اقتداراً على الكلام ... فهو باق خالد مع استمرار الإعجاز ، وأشهر ذلك تحديه اليهود أن يتمنوا الموت فلم يقع ممن سلف منهم ولا خلف من تصدى لذلك ولا أقدم ، مع شدة عداوتهم لهذا الدين وحرصهم على إفساده والصد عنه ، فكان في ذلك أوضح آية وأبين علامة على أنه تنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين [(٣)] .

وبعد : فمن تأمل ما في إرسال محمد ﷺ من الحكم والمصالح لوجد أنه

---

(١) إن لي في هذا سلفاً كلام ربي المبارك يقول الرب جل شأنه ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ الأعراف : ٤٠ ، وسواء الجمل المعروف أو الحبل الذي تربط به السفينة فقد علقهم على مستحيل ، ولن يكون ، إذن لن يغفر الله لهم .
وقلت هذا قهراً لأني مكثت أربع سنوات صباح مساء أقرأ في كلام المستشرقين في دائرة معارفهم وكلامهم المترجم ، فلم أجد إلا كلاماً أوهن من بيت العنكبوت تستحي منه عجائز جبال السراة .

* أقصد بهما اللذين نزلا على نبيهما عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام : ١ / ١٩١ ، ولقد حسن إسناده الشيخ الألباني في سلسلة الأحادث الصحيحة ، ح : ٣٧٣، ١٠٢/١ وهو من كلام أحد الملكين اللذين نزلا لشق صدره وأخرجا منه علقتين سوداوين .

(٣) انظر الفتح : ٥٨٣/٦ .

(أعظم مما كان في إرسال موسى والمسيح ، والذي حصل به من صلاح العباد في المعاش والمعاد أضعاف ما حصل بأرسال موسى والمسيح من جهة الأمر والخلق ، فأن في شريعته * من الهدى ودين الحق مما في الشريعتين المتقدمتين ، وتيسير الله من اتباع الخلق له واهتدائهم به مالم يتيسر مثله لمن قبله ، فحصل فضيلة شريعته من جهة فضلها في نفسها ، ومن جهة كثرة من قَبِلَها ، وكمال قبولهم لها . بخلا ف شريعه من قبله ، فأن موسى - ﷺ - بعث إلى بني إسرائيل ، وكان فيهم من الرد والعناد في حياة موسى وبعد موته ، ما هو معروف ....

ولم تكن شريعة التوراة في الكمال مثل شريعة القرآن ، فأن القرآن فيه ذكر المعاد ، وإقامة الحجج عليه وتفصيله ، ووصف الجنة والنار مالم يذكر مثله في التوراة ، وفيه من ذكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء ، مالم يذكر في التوراة ، وفيه من ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته ، ووصف ملائكته وأصنافهم ، وخلق الإنس والجن ، مالم يفصل مثله في التوراة ، وفيه من تقرير التوحيد بأنواع الأدلة ، مالم يذكر مثله في التوراة ، وفيه من ذكر أديان أهل الأرض ، مالم يذكر مثله في التوراة ، وفيه من مناظرة المخالفين ، وإقامة البراهين على أصول الدين ، مالم يذكر مثله في التوراة ، مع أنه لم ينزل كتاب من السماء أهدى من القرآن والتوراة ، وفي شريعة القرآن تحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث ، وشريعة التوراة فيها تحريم كثير من الطيبات عليهم ، حرمت عليهم عقوبةً لهم ، وفي شريعة القرآن من قبول الدية في الدماء ، مالم يشرع في التوراة ، وفيها من وضع الآصار والأغلال التي في التوارة مايظهر به أن نعمة الله على أهل القرآن أكمل .

وأما الإنجيل ، فليس فيه شريعة مستقلة ، ولا فيه الكلام على التوحيد وخلق العالم وقصص الأنبياء وأممهم ، بل أحالهم على التوراة في أكثر الأمر ، ولكن أَحَلَّ المسيح بعض ما حرم عليهم ، وأمرهم بالإحسان والعفو عن الظالم واحتمال الأذى ، والزهد في الدنيا ، وضرب الأمثال لذلك .

فعامة ما امتاز به الإنجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة ، والزهد المستحب ، وتحليل بعض المحرمات ، وهذا كله في القرآن ، وهو في القرآن أكمل ، فليس في التوراة والإنجيل والنبوات ما هو من العلوم النافعة والأعمال الصالحة إلا

---

* ﷺ .

وهو في القرآن ، أو ما هو أفضل منه ، .

وفي القرآن من العلوم النافعة والأعمال الصالحة من الهدى ودين الحق ما ليس في الكتابين ، لكن النصارى لم يتبعوا لا التوراة ولا الإنجيل بل أحدثوا شريعة لم يبعث بها نبي من الأنبياء ... وفيها شئ كثير مخالف لشرع الأنبياء ، وصاروا إلى كثير من دين المشركين ، الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى ، وكذبوا رسله ، فصار في دينهم من الشرك وتغيير دين الرسل ما غيروا به شريعة الإنجيل ، ولهذا التبست عند عامتهم شريعة الإنجيل بغيرها ، فلا يعرفون ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقرَّه ، ولا ما شرعه مما أحدث بعده .... والمسيح لم يأمرهم باستحلال كل ما حرمه الله في التوراة من الخبائث كالخنزير وغيره ، فاستحلوا الخبائث المحرمة وغيروا شريعة التوراة والإنجيل ، .... ولم يأمرهم أن يعظموا الصليب ، ولم يأمرهم بترك الختان ... ولا بسائر ما ابتدعوه بعده ، [ولو قيل] هب أن شريعه الكتابين كانت كافية ، فأنما ذاك إذا كانت محفوظة معمولاً بها ، ولم يكن الأمر كذلك ، بل كانت قد درس كثير من معالمها ....

والوقت الذي بعث الله فيه محمداً ـ ﷺ ـ لم يكن بقي أحد مظهراً لما بعث الله به الرسل قبله ، فبعثه على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل و أحوج ما كان الناس إلى رسول ، كما في صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب " [1] .

وكان الناس حين مبعث محمد ـ ﷺ ـ إما أميين لا كتاب لهم ، يشركون بالرحمن ، ويعبدون الأوثان ، وإما أهل كتاب قد بدلوا معانيه وأحكامه ، وحرفوا حلاله وحرامه ، ولبسوا حقه بباطله ، كما هو الموجود ، فلو أراد الرجل أن يميز له أهل الكتاب ما جاءت به الأنبياء مما هم عليه مما أحدثوه بعدهم ، لم يعرف جمهورهم ذلك ، بل قد صار الجميع ـ عندهم ـ ديناً واحداً .

فبعث الله ـ تبارك وتعالى ـ محمداً ـ ﷺ ـ بالكتاب الذي أنزله عليه مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً ، فميز به الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ،

---

(١) ح رقم : ٢٨٦٥ .

والغي من الرشاد) [١] .

وهنا يتبين لنا أن قلوب المستشرقين والغرب من ورائهم اشتملت على فساد العلم وفساد القصد ، وقد علم شرعاً وعرفاً أنهما مدار إعتلال القلوب وأسقامها (ويترتب عليهما داءان قاتلان ، وهما الضلال والغضب ، فالضلال نتيجة فساد العلم ، والغضب نتيجة فساد القصد ، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها) [٢] فلذلك ندعوا في صلاتنا ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ ، فهل المستشرقون لم يسمعوا بصلاة المسلمين هذه ؟ أتحداهم أن ينفوا ذلك .

وأخيراً إن الصرامة والجدِّيَّة والشمول والإحاطة والإخلاص وجذوة الإيمان ، كل هذه متطلبات لابد منها للمسلم الذي يواجه هذه الأخبار المفتراة (والنجش الفكري) وننظر إليها على أنها كتابات ثقيلة مظلمة لم يكتب لها أن تدب الحياة فيها إلى ساعتنا هذه [٣] ، وذلك أنها خرجت من عقول زادها ظلاماً شرب ما حرم الله في التوراة والإنجيل وأكل ما حرمتهما الشريعتان فباؤوا بغضب على غضب ، لمحاجتهم أمراً ظهرت دلائله وعلاماته ، فهو النهار إذا تجلى ، والصبح إذا تنفس ، وصدق الشاعر :

وليس يصح في الأذهان شئ   إذا احتاج النهار إلى دليل .

والله حسبنا ونعم الوكيل يجمع بينناوبينهم،ثم يفتح بيننا بالحق،هو الفتاح العليم.

---

(١) نقلت هذه الدرر التي بلغت نفاستها قاموس البحر من الجواب الصحيح : ٥/ ٧٠ - ٧٨ مع تصرف يسير جداً . وهنا أستفيد درساً :أن شيخ الإسلام بالمقابلة بين القرآن وبين ما سبقه أظهر حقيقة اليهودية والنصرانية وبَيَّن أنهما محرفتان بكلام جرئ لا إلتواء فيه ، فلو أننا فعلنا ذلك لما تجرأ أصحاب الخنزير والمنخنقة أن يرموا بأخبار مفتراة على هذا الكتاب المبارك ودينه القويم ورسوله الأمين ﷺ .

(٢) تهذيب مدارج السالكين لعبد المنعم صالح العلي العزي ، ١ / ٧٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة : ١٤١٤هـ .

(٣) انظر جهادنا الثقافي ، مواقف وإشارات ، لجمال سلطان ، ص ٦، ص ١٢، مركز الدراسات الإسلامية ، بريطانيا ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٤هـ .

المطلب الثالث :

تعقيب على الردود في مسألة أن مصدر القرآن شعرٌ لامرئ القيس - كما زعموا -

أولاً : إن العنقاء لأقرب إلى الحقيقة من ثبوت هذه الأبيات لأمرئ القيس ، وذلك أن سيماء الجاهلية بينها وبين هذه الأبيات بعد المشرقين والمغربين ، وذلك أن المستشرقين أنفسهم وجدوا في قرارة أنفسهم أن أحداً لن يقبل منهم هذه الدعوى ، ليقينه أنها خرافة خرجت عن غير تعقل ولا بصيرة ، فلذلك قدَّموا بين يدي قذفهم بهذا الهراء الآتي :

« من الحكايات المتداولة في عصرنا الحاضر * » « ومع أنه يمكن أن تكون هذه الرواية كاذبة ، لأن امرأ القيس توفي سنة ٥٤٠ م ، ولم يولد محمد إلا في سنة الفيل أي سنة ٥٧٠ م » .... « فأذا ثبت أن هذه الأبيات لامرئ القيس حقيقة » وبعد هذا الحزق يطالبون العلماء المسلمين (بأن يقيموا الدليل على أن هذه الأبيات مأخوذة ومقتبسة من القرآن وأنها ليست من نظم امرئ القيس) وبعدها يختمون كلامهم بقولهم « إن هذه الأبيات ليست كل ما يعترض به المعترضون ، لأن ما تقدم من الأسانيد كاف عندهم لتأييد هذه القضية) [(١)] .

لو نظر العاقل المنصف إلى هذه الإدعاءات لوجد أنها تحمل مغالطات وآفات يؤتى المدِّعي من قبلها إن لم يفطن لها ، وذلك أنهم رموا اليقين بشكهم ، والأصل بقاء ما كان على ما كان ، فالأصل عدم ثبوت نسبة هذه الأبيات للعصر الجاهلى فضلاً عن ثبوت نسبتها لامرئ القيس ، فعلى هذا مَنْ مِن الفريقين أحق بأقامة الدليل : الباقي على أصله أم الطارئ عليه ؟

إن نسبة هذه الأبيات لامرئ القيس دعوى تحتاج إلى بينات ودلائل تقوم عليها ، فإذا كان هذا أمراً يصعب على أذهان الأعاجم فكيف يلقون وهماً وخيالاً ، ويجعلونه

---

* هكذا نقل العقاد عن د/ سنكلر تسديل صاحب كتاب « مصادر الإسلام » انظر ص ٥١ من « مطلع النور » وعرف به في كتاب « إبراهيم أبو الأنبياء » ص ٤٥ أنه « من أشد المتعصبين قدحاً في الإسلام »

(١) انظر : ص ٥٢ ، ٥٣ من « مطلع النور » .

قاعدة مسلمة زعموا أن لها أسانيد تكفي في ثبوت هذه الدعوى ؟

ثانيا : إذا كان ذلك كذلك فليرونا إسناد هذه الأبيات ، ويدلونا على مصدرها ، ومن تَقَدمَّهم في نسبة هذه الأبيات لامرئ القيس ، أي : فليضعوا أعيننا وأيدينا على سالف لهم ذكر أن هذه الأبيات لامرئ القيس ، ولو كانت ثابتة بنفسها تاريخياً أنها لامرئ القيس لذكروا إسنادها ومصدرها ، ومن سبقهم في ذلك ، وهم لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً ، وذلك أن الوحي نزل على الرسول ﷺ (سنة : ٦١١م) [(١)] وقد أقروا أن وفاة امرئ القيس (سنة ٥٤٠) [(٢)] ، فيا ترى كيف بقيت هذه المدة التي تزيد على احدى وسبعين سنة لا تعرف بين العرب ، حتى جاء محمد ﷺ وتذكَّرها عندما طلبت منه قريش آية نبوته فانشق القمر [(٣)] ، هل يعقل هذا ؟ إن المقام من قريش مقام تحد وإعجاز فما يمنعهم عند سماع هذه الآيات التي تهددهم وتتوعدهم أن يقولوا بملء أفواههم : قف يا محمد ، هذه من أبيات امرئ القيس ؟ الأمر محيرٌ فعلاً من جرأة هؤلاء المستشرقين على الكذب ، أليست بضاعة العاجزين عن التثبت والتحقق يصبح قليلها كثيراً ، وصغيرها كبيراً ، ولا سيما حين يتعرضون لحياة رسول الله ﷺ [(٤)].

ولو أتينا إلى النقد الداخلي لوجدنا هذه الدعوى يتهاوى أسها ، كيف ذلك ؟

---

(١) انظر دينيه ، مصدر سابق ، ص ١٠٨ .

(٢) انظر مطلع النو ر ص ٥٢ ، وانظر توثيق ذلك في : معجم الشعراء في لسان العرب ، د/ ياسين الأيوبي ، ص٧٠، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعه الثانيه (١٩٨٧م) . وانظر : الأعلام للزركلي : ١١/٢

(٣) يقول شيخ الإسلام في الجواب الصحيح : ٤١٤/١ (وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الأخبار ، وكان النبي - ﷺ - يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار ، مثل الجمع والأعياد ، ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والإعتبار، وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره) أهـ فعندما كان يسمع الناس هذا فلماذا لم ينقل ولو مرة واحدة أن هذه الآيات من شعر امرئ القيس ؟ وذكر ابن حجر : ان إنشقاق القمر وقع بعد السنه العاشرة من المبعث ١٩٤/٧

(٤) الإسلام في عصر العلم ، محمد بن أحمد الغمرواي ، ص ١٤٣ .

نعم : ما اسم ابنة امرئ القيس [1] ؟ وكيف عرفت أن فاطمة بنت رسول الله ؟ لماذا لم تذكر بنات الرسول الأخريات ؟ أين وجدتها تقرأ ؟ ومتى كان ذلك ؟ إن العاقل يناشدهم أن يُعْمِلُوا عقولهم قبل أن يقدموا على أي افتراض يجعلهم مذلة ومعرة ومهزلة بين الباحثين ، وألا يلجأ أحدهم إلى الاستدلال بأمر قام على كذبه الحس ، قبل أن يفحصه النقد والتمحيص ، .

وإذا تأمل الناظر إلى دعواهم يجد حاصلها أن الرسول ﷺ أخذها من امرئ القيس مباشرة ، وتفرَّد بروايتها [2] رسول الله ﷺ ، هذا ينقضه إذا علمنا ميلاد رسول الله ﷺ ، إذ كان (سنة : ٥٧٠م) ، وهم أنفسهم قد توجسوا خيفة من ذلك ، فهنا قطعاً لا يستقيم لهم الإستدلال بأخذها مباشرة [3] ، وهنا يلزمهم البحث العلمي أن يجيبوا على هذه الأسئلة : من أين أتت هذه الأبيات ، وما مصدرها ، وكيف أتت؟

إنها أسئلة تُحْجِمُ قدم البحث العلمي عن الوصول إلى إجابتها ، وتعجز عنها ، وذلك أن التجربة والإستقراء كشفا أن هذه الأبيات لا تكون أهلاً أن تنسب إلى العصر

---

(١) انظر خبره في البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله ، ٢٠٣/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـ بإشراف : د/ أحمد أبو ملحم وأصحابه .

(٢) معناه : لِمَ اختص محمد ﷺ وحده بأخذ هذه الأبيات ؟ انظر :تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، للشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص ٢٩ ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٩هـ ، مكتبة الأقصى ، عنيزة .

(٣) أخرج الإمام أحمد في مسند أبي هريرة ح : ٧١٢٤ بسنده قيل عن رسول الله ﷺ « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار » وتكلم على الحديث الإمام ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية : ٢٠٣/٢ ، وقد روى هذا الحديث عن هشام ـ هكذا في البداية والنهاية ـ والصواب هشيم السِّير : ٨ / ٢٨٩ ـ حيث إن من تلاميذه الحسن عرفة ـ فروى عن هشيم جماعة كثيرون منهم الحسن بن عرفة ...... وهو منقطع رديئ ولا يصح من وجه آخر عن أبي هريرة أهـ كلام ابن كثير ، وقد ضعفه الشيخ ناصر الألباني في ضعيف الجامع رقم : ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، الطبعة الثالثة : ١٤١٠ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

فكيف يأخذ عن هذا الضال ؟

الجاهلي ، فإذا كان ذلك كذلك - وهو كذلك - فمن العبث تحديدها بعينها أنها لشاعر آثاره محفوظة ، وأخباره بين العرب مشهورة ، والخطأ الذي وقع فيه المستشرقون هو تلقي (الحكايات المتداولة في عصرهم الحاضر) على أنها ثابتة [1] ، وزادهم ظلمات ترددهم حيث جعلوا أنفسهم أمام الخصم مهزومين نفسياً ومغلوبين حجة ، وذلك أنهم علّقوا ثبوت هذه الأبيات فيما يستقبل من الزمان * ، أليس هذا هزؤا بالمسلمين ؟ وذلك أن لسان حال المستشرقين يقول : هَلُمَّ أيها المسلمون ابحثوا عن هذه الأبيات ؟ وهم إذ يتظاهرون باحتياط « بارد » لا حياة فيه ولا حقيقة ، ليوهموا ضعفة المسلمين أن ذلك ثابت وحق ، ليس للبلاد الإسلامية المقهورة الحق بأن يطالبوهم بثبوت ذلك ، بل الغرور الأوربي والإستعلاء جعلاهم يطالبون المسلمين بإثبات هذه الأبيات ، وبأن يقيموا الأدلة على أنها مقتبسة من القرآن الكريم وأنها ليست من نظم امرئ القيس (لا إله إلا الله) ماذا يريد هؤلاء القوم ؟ إنهم يعلمون كذب هذه الأبيات كما يعلمون كذب من قال إن الإبن مقدم على الأب ، وسواءً صدقوا أم كذبوا أنهم لم يتبينوا ثبوت هذه الأبيات ، فهذا في حد ذاته وسيلة عجز وفقر لازمين لهم ، وقد علم قطعاً (أن مالم يتبين ولم يستيقن ، فليس بعلم ، وإنما هو ظن ، والظن لا يغني من الحق شيئاً) [2] ، وكان سبب هذا الفرض والخيال كون امرئ القيس سابقاً زمناً على المصطفى ، فإذا ثبتت هذه الأبيات له فالضرورة العقلية تقضي أن محمداً ﷺ أخذ من امرئ القيس ، وهذا استدلال تجهيلي ، وعقم لا مطمع في شفائه ، لأن قاعدة السابق واللاحق في أذهان المستشرقين تمتد إلى غير نهاية ، ولا تتصل بما يمسكها أن تزول إلا إرادة هؤلاء

---

(١) ولا يبالون إذا كان فيه طعن للإسلام والمسلمين ، ومن غريب الأخبار أن هناك مستشرقاً علاه الإكتئاب والحزن عندما علم ووجد بعد نشره كتاب « نقائض جرير والفرزدق » أن هناك بيتاً من الشعر فيه خلل في وزن البيت لم يحققه ، فإذا كانوا جادين في أبحاثهم لهذه الدرجة أفلا يبذلون عشر معشار أو أقل في التحري والتثبت في سيرة المصطفى ﷺ ؟ انظر القصة في كتاب الأعلام للزركلي في ترجمة المستشرق : (أنتوني آشلي بيفان ١٢٧٥ - ١٣٥٣ هـ) ٢٤/٢ .

* والإجابة يقيناً أنها لم تثبت .

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ٦٣/٤ ، الطبعة الخامسة : ١٤١٤هـ بدون ذكر مكان الطباعة ، واسم المطبعة .

المستشرقين ، وذلك أنهم شكوا في ثبوت الشعر الجاهلي ، ولو أنهم قاموا وتفكروا في أنفسهم ، واتخذوا شكهم هذا وسيلة إلى اليقين لكان خيراً لهم ، ولاستقام لهم المنهج الذي زعموا أنهم يدعون إليه وهو أنه (ألا يقبل المرء أمراً على أنه حقيقة إلا إذا قامت الدلائل البينة على صحته) [(١)] ، لأن مؤدى هذه الدعوى أن القرآن يمثل عشر معشار الشعر الجاهلي ، أو أقل من ذلك ، وبناء عليه كان بوسع العرب أن يأتوا بمثله ـ بضاعتهم ردت إليهم ولا سيما أنه تحداهم أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه ، فلماذا لم يأت العرب بمثل ذلك ، بل كتبوا على أنفسهم العجز وهو يناديهم صباح مساء ؟ فبماذا يفسر المستشرقون هذا العجز من العرب ؟

وكذلك إذا نظرنا إلى قولهم هذا إن هذه الأبيات مصدر من مصادر القرآن ، فبناء عليه له مصادر أخرى غيرها ، وهذا ما يحمله كتاب « مصادر الإسلام » [*]

وبعد : فهم على الرغم من تعظيمهم قدر أبحاثهم بوصفها أنها آتية من النقاد المحدثين ، فأنهم لم يبرزوا لنا فكرة جديدة ، فالعرب أذكى منهم حين أشاعوا عنه ﷺ أنه شاعر ، كاهن ، مسحور ، ولم يقولوا أبداً إنه أخذ من الشاعر الفلاني ، وفي الجملة لا أدري لماذا لم يشيروا إلى المصدر الذي أخذوا هذه الأبيات منه [(٢)] ، بالرغم إنهم أحاطوا (بثروة من الكتب والنصوص ، مالم يحط به كثيرٌ من علمائنا اليوم) [(٣)] ولا شك أن غلوهم في تحري أسباب الاختلاق على القرآن ، هو الذي قادهم إلى هذا المنهج ، فالتقطوا من بطون كتب ـ هم عينوها مصادر لهم ـ جميع ما فيها مما يتعلق بالإختلاق ، وهذا ينبني عليه سؤال نطرحه عليهم وهو: هل لكم سلطان على التاريخ ، فتقدِّمون وتؤخرون ، وتثبتون وتنفون ، وتصححون وتخطئون ؟

هل عندكم إحاطة بالشعر الجاهلي ـ الذي تشكون فيه ـ فحصل لكم علم أن هذه الأبيات لامرئ القيس ؟ نحن وإياهم نستنطق الوقائع في هذه الأبيات ونستشهد التاريخ ، وبعد ذلك نسألهم : أين موضع هذه الأبيات سواءً من ديوان الشاعر أو

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ، مصدر سابق ، ص ٤٠٣ .

* لمؤلفه سنكلر تسديل ، انظر مطلع النور ، ص ٥١ .

(٢) إن هذا ولا شك دليل عجز ، وخوف من انكشاف الحقائق .

(٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، د/ مصطفى السباعي ، ص ١٨٩ .

ديوان قبيلته ؟ [١]

وبعد : فإن المستشرق يعتقد من البداية بطلان نبوة محمد ﷺ ، ويركب هذا الباطل في بحوثاته كلها ، فلذلك يحول بينه وبين لقاء الحق (فمهما اجتهد المستشرق في بحثه بعد ذلك ، فإن تلك المقدمة الباطلة التي بدأ بها كافية وحدها أن تضله ، وتخرج به من زور وباطل إلى زور وباطل ، ومهما اجتهد في الإنصاف بعد ذلك ، فتلك المقدمة التي اعتقد كافية وحدها لإقحامه في أقبح الظلم ، وحمله على أكبر الإثم وأي إثم أكبر من تكذيب نبي الله وخاتم الرسل عليه صلوات الله وسلامه من البدء ، بغير نظر ولا تمحيص ، وتلوين حقائق التاريخ كلها بما يلائم ذلك التكذيب) [٢] ،

---

(١) لقد استفدت هذه الأسئلة من : عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ، د/عثمان عبد المنعم عيش ، ص ١٨ ، الطبعة الأولى : ١٣٩٦ هـ ، مكتبة الأزهر ، القاهرة ، دار الحمامي للطباعة ، القاهرة .

وكذلك « مصادر الشعر الجاهلي » مصدر سابق ، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٦ .

ولقد رجعت إلى ديوان امرئ القيس ، بتحقيق : حنا الفاخوري ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ فلم أجد لها ذكراً حتى تفعيلتها لم أجدها بين الأبيات التي أواخرها حرف « الراء » انظر : ١٥٦ ، ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢٣٠ ، وكذلك طبعة دار صادر ، بيروت ، بدون تحقيق فلم أجد . ولكنني آليت على نفسي أن أقطع الشك باليقين وعرضتها على من له خبرة بالعروض فقالوا : أتصدق أنها لامرئ القيس ؟

وكذلك رجعت إلى « امرؤ القيس حياته وشعره » للأستاذ : سليم الجندي ، دار الهجرة ، بيروت ، دمشق ، الطبعة الثانية : ١٤٠٨ هـ فلم أجد لها ذكراً .

ورجعت إلى ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص ١٥٤ـ١٦٧ ولاسيّما القصيده التي أظن أنها تشبه تفعيلتها فلم أجد ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة : ٥ سنة (١٩٩٠م) وهو يدل على استرسالهم في الكذب .

(٢) نقلت هذه الدرر من « الإسلام في عصر العلم » للأستاذ محمد أحمد الغمرواي ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ، (١٩٧٨م) بدون عدد الطباعة.

فمهما بذل الباحث من بيان الحقائق والدلائل وإظهارها لهم بغية الوصول إلى الحق فلن يتبعوا سبيل الرشد ، وحسبنا أن الله يكتب ما يمكرون ويبيتون .

وهكذا اتضح لنا القلق وعدم الاستقرار من كتابات المستشرقين ، وسببها العالم الذي ينتسبون إليه ، عالم الصناعة ، الذي تسبب في قتل الدين وتدهور الإنسان النفسي ، واكتسح العقل المعتقدات الدينية الكنسية * ، فمن هنا أرادوا أن يضموا الإسلام إلى الكنيسة ، ولكنهم صُدموا بحفظ أصوله ، فكان لزاماً عليهم أن يستنجدوا بشياطينهم من الجن والإنس ... فأذاعوا بهذه الشائعات طمعاً في تفتيت هذا الدين ، فَضَلَّ سعيهم ، فرجعوا مدحورين مذؤومين وأُتْبِعوا بشهب اليقين أن هذا الدين غير دينهم الكهنوتي ، فأبلسوا ، ولكن أعادوا الكرة مدعين أن أوربا لما نَحَّت الكنيسة تفجرت عبقرياتها وانطلقت إلى ميادين الحياة ، وهاهي تتحكم في مصير المسلمين ، إذن فليفعل المسلمون مثلهم ... ولا سيما أن الغرب وجد ديناً كهنوتياً سرعان ما ذاب أمام التجربة العلمية ، فظنوا أن الإسلام كذلك ....وما دروا أنهم ساووا بين الحي والميت ، وبين الأعمى والبصير وبين الظل والحرور ، هل يستويان مثلاً ؟

وخالص الكلام : أنهم قاسوا الغائب على الشاهد فظهر كذبهم وافتراءاتهم ، وبعضهم علم أن الغائب إلهيٌّ محفوظ الأصول ، ولكن مع ذلك كتم الحق ، وكان أولى أن ينطق به [1] ، ومع هذا أو ذاك فالغرب الكافر ولّى ظهره لدينه وفارقه جملة وتفصيلاً إلا بقايا حياة أقرب إلى الوثنية من الدين الإلهي المنزل على عيسى ، وبعد هذا استنكفوا وصُرِفوا عن الدين الحق دين الإسلام ، فلما رأوا أنهم فارقوا دينهم أحبوا أن يدعونا معهم إلى الهلاك والشقاء ، فكان هذا الإفك المختلق الذي قذفوا به من مكان بعيد ، على هذا القرآن المبارك الذي أخبر عنه عبد الله ورسوله ﷺ بقوله : " إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن

---

* الواقع أنني استفدت من كتاب « الإنسان ذلك المجهول » ألكسيس كاريل بعض العبارات ، تعريب شفيق أسعد فريد ، ولا سيّما صفحات ، ١١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٣ ـ ٥٤ . مكتبة المعارف ، بيروت، طبعة : سنة ١٤٠٧هـ بدون عدد الطباعة .

(١) هذا يذكرنا بقاعدة ذكرها ابن حجر رحمه الله في الفتح : ١ / ٥٢٧ مفادها « إذا ثبت الخبر بطلت معارضته بالقياس اتفاقاً» فما القول في أمر أطبق عليه الناس فهو عين اليقين ، وهو لا يزول بالشك .

أطلقها ذهبت " [١] . وفي لفظ " واستذكروا القرآن فإنه أشدُّ تفصياً من صدور الرجال من النعم " [٢] وهذا يحسُّه من يحفظه ، حيث تراجع السورة أول الشهر ، فلا يأتي آخر الشهر إلا وأنت تشعر أنها مستعصية عليك ، ولقد أقسم على ذلك رسول الله ﷺ بقوله : " تعاهدوا هذا القرآن ، فوالذي نفسُ محمد بيده ، لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها " [٣] وإنما أقسم النبي ﷺ لأنه خبر مقطوع بصدقه ومبالغة في تثبيته في صدور سامعيه [٤] ....فمادام هذا حاله فبماذا يفسره لنا لمستشرقون ؟ ... فهل يملك راهب ملحد أن يأتي بكلام هذا حاله ؟ وهل يملك يهودي أعجمي اللسان أن يأتي بكلام هذا حاله ؟ وبماذا يدفع المستشرقون كلمة « أنزلنا وما يشتق منها ، نَزَلَ وأُنْزِل ، وأَنْزَل وما يشبهها [٥] » ؟ بل ما الذي يجيبون به على قوله تعالى ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ الكهف آية : ١ ؟ بل ماذا يفعلون بكلمة ﴿ عبده ﴾ الذي نزل عليه القرآن ؟ هل محمد رسول الله ﷺ عبدٌ وملك يمين لأحد من اليهود أو النصارى ؟ حاشاه ثم حاشاه أن يكون السيد المبارك الذي هو خيار من خيار * أن يكون كذلك ، بل هم عبيده وخدمه لو كانت هناك أمة ترفع راية الجهاد حتى يعطوا الجزية عن يد وهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده ، حديث رقم : ٥٠٣١ ، ومسلم برقم : ٧٨٩ .

(٢) نفس المصدر ، والكتاب والباب ، حديث رقم : ٥٠٣٢ . زاد مسلم « بعقلها » انظره في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضائل القرآن وما يتعلق به ، حديث رقم : ٧٩٠ .

(٣) أخرجه البخاري في نفس الكتاب والباب إلا أنه قال " فوالذي نفسي بيده .... الحديث ... برقم : ٥٠٣٣ ، ومسلم في نفس الكتاب والباب ، برقم : ٧٩١ .

(٤) انظر فتح الباري : ٨٣/٩ .

(٥) لقد حاولت أن أعدها من المعجم المفهرس فرأيت ذلك أمراً يطول ، لكن انظر ص ٨٦٦ ، ٨٧٠ .

* جاء بها حديث ذكره شيخ الإسلام في إقتضاء الصراط المستقيم : ١ /٣٨٣ ، تحقيق : د / العقل ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، وذكر محققه أنه يقوى بمجموع شواهده ، وأصله في مسلم كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ ، حديث رقم : ٢٢٧٦ .

صاغرون ، أَلَا فإنهم قد علموا أنه نبي ولكنهم قوم لُدٌّ يدعون الباطل ولا يقبلون الحق * ،ولو اننا رجعنا الى وزن كل بيت لوجدنا ان تفعيلات كل بيت تختلف عن الاخر مع ظهور الخطأ اللغوي كما في «لحاظٍ فاتكٍ» بينما الصواب ان يقال فاتكه وكذلك إنكسار الشطر كما في «فتركني كهشيم المحتظر» مما يدلنا على نفي ثبوتها للشعر الموزون فضلاً عن نسبتها للشعر الجاهلي .



---

* انظر فتح الباري : ١٣/١٨١ عند قوله ﷺ : " أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم " من كتاب الأحكام ، باب الألد الخصم .

الفصل السادس :
شبهاتهم حول الصحابة

المطلب الأول :

تمهيد بين يدي الشبهات على الصحابة إلى نهاية الشبهات

المطالب الثاني :

الشبهة الأولى وجوابها

المطلب الثالث :

الشبهة الثانية وجوابها

المطلب الرابع :

الشبهة الثالثة وجوابها

المطلب الخامس :

الشبهة الرابعة وجوابها

المطلب السادس :

حكاية عن بلال رضي الله عنه

المطلب السابع :

الشبهة أو الحكاية السادسة

المطلب الأول :

تمهيد بين يدي الشبهات على الصحابة إلى نهاية الشبهات

إن المتأمل في أخبار هؤلاء القوم يجدها :

١ ـ أنها لا تكون أهلاً أن يطلق عليها لفظ « شبهات » بل هي خيالات وأوهام .

٢ ـ أنها جاءت من أناس أرواحهم ميتة ، وحياتهم شك واضطراب (وما أضيع الحياة بغير خلق وثيق وطبع سليم) [١] .

٣ ـ جاءت أخبارهم عارية عن السند والبرهان .. فلهذا لا نلقي لها بالاً ، ولا نطيل الوقوف عندها .

٤ ـ إنه لمن العجز والضعة أن نتنزل معهم في هذه الشباهات ، وهم لا يؤمنون بديننا جملة وتفصيلاً ، فأول شئ يؤمنون ويعترفون بالإسلام ، وبعدها نحتكم إلى البراهين فيما بقي ، أما والحال أنهم منكرون ذلك ، فلا أرى فائدة تحصل من وراء مناقشتهم ، بل هو جهد ضائع ، ومحاولة عقيمة ، ولا سيما في أيامنا هذه .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) الكلمات الأخيرة للعقاد ، ص ١٠٣

المطلب الثاني :

الشبهة الأولى وجوابها :

يقولون إن أموال الصحابة كثرت من غنا ئم القتال أي (أنها قد اجتمعت كلها من غنائم القتال)[١] .

هل هذه شبهة أم (وهم الواهمين)[٢] . ولماذا يحصرون أموال الصحابة وجمعها (من أنفال القتال)[٣] . وأيهما أقرب إلى العدل أخذ أموال الناس بالباطل أم أخذه من الكافر الذي صَدَّ عن سبيل الله ، وتقوى بهذا المال لضرب الضعفاء عن أن يدخلوا في الإسلام ؟ فأيهم أقرب رشداً من يأخذه ليتقوى به على سحق شعوب عُزَّل من السلاح ، أم ذاك الذي يزيل الحواجز بغية أن يوصل النور إلى الناس ؟ وهنا ألا يسأل المستشرقون أنفسهم ماذا فعلت شركة الهند الشرقية مع الشعوب الشرقية عندما أخذت أموالهم بالحيلة ، تأخذ منهم المواد الخامة لتصنيعها ثم تصدرها بثمن يثقل كاهل الشعوب المغلوبة[٤] .



---

(١) عبقرية عثمان ، ص ٩٩ . إنهم يريدون من وراء ذلك انتشار الإسلام ـ كما زعموا ـ بالسيف .

(٢) عبقرية عثمان ، ص ٩٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٠٠ .

(٤) انظر نفس المصدر ، ص ٩٩ . وانظر ما يقال عن الإسلام، ص ١٢٤ . حيث ذكر أن غناء الشركات الأوربية والأمريكية إنما جاء عن طريق النخاسة ، فلماذا يقبلون هذا مصدر ثروة ، وهو ـ من حيث النظر ـ سوء وخيانة لرسالاتهم التي قالوا عنها أنها جاءت لهداية خلق الله الذين لم يبلغوا مبلغهم من العلم والارتقاء ، انظر ص ٢٢ من داعي السماء ، بلال مؤذن الرسول .

المطلب الثالث :

الشبهة الثانية وجوابها :

قالوا عن علي (أنه ينصح الناس ، ولا ينتفع بالنصيحة) [١] ه

هل رأوه ؟ هل عايشوه ؟ هل عندهم من سند بذلك ؟ بماذا ينصح عليٌّ ؟ هل ينصح بالدين ؟ قد أنكروه أنه ليس وحياً ، إذن ما الفائدة من إلقاء هذه الشبهة ؟ ما الغرض من قولهم هذا ؟ وإلى أي شئ يريدون أن يصلوا إليه ؟ هل علي حقيقة أم خيال ؟ إذا كان حقيقة فما دينه ؟ النصرانية ؟ آليهودية ؟ إذا كان كذلك ـ وحاشاه من ذلك ـ فهذه هي أخلاق اليهود والغرب كله أسقطت على هذا الصحابي الجليل ، علموا ولم يعملوا ، وأخيراً (لا شك أن علياً كان من العاملين بما يقولون ، ومن المنتصحين بما ينصح الناس) [٢] ، وإنه لمن الخير أن ينتفع الناس بنصح إمامهم ، وليس من شرط أن يعمل بما نصح ، ولا سيما إذا كان مستحباً ، أما إ ن كان واجباً فهم فيه سواء [٣] .



---

(١) عبقرية الإمام علي ، ص ١٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(٣) نفس المصدر والصفحة . إن هذه الفرية نفسها ألقوها على نبي الله سليمان ، حيث زعموا أن حكمته لغيره ، فيا ترى أيهما أولى بالدفاع نبي الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أم علي ؟ انظر أول صفحة ١٤٩ من هذا المصدر ، .

فكيف نعجب ؟ ولماذا نعجب ؟ وقد تجرؤوا على مقام النبوة ، ألا يتجرؤون على الصحابة ؟ وبينهما بعد المشرقين والمغربين .

المطلب الرابع :

الشبهة الثالثة وجوابها :

ـــــــــــــــــــــــــــــــ

(شك بعض المؤرخين من الأوربيين في اتصال المودة بين الصفيِّين قبل الدعوة المحمدية بزمن طويل) (١)

هل أبو بكر حقيقة أم خيال ؟ فإذا كان حقيقة ثابتة ، فيا ترى هل يريدون أن ينفوا معرفة الصديق برسول الله ﷺ ؟ وماذا يرتبون عليه ؟ ألا فليشكوا ما شاؤوا ليست هذه أولى شكوكهم ، أما الصلة فقد تواترت بها الأخبار ، واليقين لا يزول بالشك ، ولا ندري ماذا يريدون من وراء هذا ؟

وبماذا يفسرون لنا سرعة استجابة الصديق للرسول ﷺ ؟

وهل يمكن أن يؤمن رجل برجل بغير معرفة سابقة بين الرجلين ؟

وهل الشك يبني عليه علم ، وهل تنسف القواعد به من أصولها ؟ (٢)



---

(١) عبقرية الصديق ، ص ١٠٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

المطلب الخامس :

الشبهة* الرابعة وجوابها :

ooooooooooooooooo

قالوا عن عمر رضي الله عنه (الخليفة عمر المستعمر العربي) [(١)]

١ ـ يبدأ العقاد رده ، أنه إذا علمنا سبب هذه التسمية زال عجبنا ، إن سبب هذه التسمية (كانت قضية فلسطين ، إحدى المناسبات في تاريخ الخليفة عمر رضي الله عنه) [(٢)] .

٢ ـ لو نظرنا إلى من كان سبب تسمية عمر بهذا اللقب لزال العجب إنه : (المبشر الفرنسي المتعصب ، (بيرلامنس) الذي خلق ** قصة الثالوث المتسلط على دولة الإسلام الأولى ، من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة) [(٣)] .

٣ ـ إنهم يريدون من وراء ذلك أن الرسول ﷺ (لم يكن يفكر قط في الدعوة إلى دينه خارج الجزيرة العربية ، وأن الخليفة عمر بن الخطاب هو موجه الإسلام إلى العالم بوحي من ضرورات السياسة) [(٤)] .

٤ ـ إن المستشرقين يعلمون (أن محمداً عليه السلام كان رسول رب العالمين إلى جميع العالمين : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾) [(٥)] ، سبأ آية : ٢٧ .

٥ ـ إننا نطالب المستشرقين بأن يثبتوا لنا أنهم يؤمنون بوجود الله ، ويثبتوا لنا

---

*إننا هنا نتنزل معهم أنها شبهة ، ومن نظر إليها وجدها حكماً ألقى على الخليفة الراشد .. وكل أخبارهم محاكمة عاجلة ، وأوامر حضورية وإسقاطات نفسية من أولها إلى آخرها .

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ٥٧ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

** اختلق .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٨ . وذكر العقاد أيضاً أن مصدر الإشاعة : الأمير كايتاني الإيطالي .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٧ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٥٨ .

أنهم يؤمنون بالوحي وبعدها نعْلمهم (أن رب الناس وملك الناس : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾)[١] . الفتح :آية : ٢٨ .

ويترتب على هذا أننا لا نقبل منهم أي اعتراض مادام أنهم ماديون ملا حدة لا يؤمنون بدين ولا يعرفون للروح معنى ، قوم علمانيون جملة وتفصيلاً ... والمتأمل في إيطاليا التي خرج منها من يتهم عمر بهذا اللقب يجد أنها (التي ناصبت الكنيسة العداء ، وحجزت البابا في الفاتيكان ، كانت تبني جميع سياستها الإستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين)[٢] . وكذلك أيضاً فرنسا دوله علمانية في بلادها نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج ، فهم خصماؤها في الداخل ، وفي نفس الوقت أصدقاؤها الحميمون في مستعمراتها[٣] ، فأذا كانت دولة مَصْدَري الإشاعة (الأمير كايتاني الإيطالي ، والمبشر الفرنسي المتعصب بيرلامنس) هكذا ، فيا ترى من حيث النظر العقلي ، من أولى بهذا اللقب ، عمر الفاروق أم المستشرقون الرهبان الذين صُودِرَتْ أموالهم في بلادهم وأخرجوهم منها (ثم تحتضنهم في الخارج ليحققوا لها شهواتها الإستعمارية)[٤] ؟

٦ ـ لقد لفت العقاد نظرنا إلى أمر مهم يجب أن يكون في الحسبان ، ذلكم أن مرادهم بهذا (تزييف الحاضر المعلوم ، .... وأن يكون المقصد من « التحقيق العلمي » * أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان بعض الطوارئ العارضة التي لم يقصد إليها نبي الإسلام إلا انقياداً لمطمع عاجل من مطامع الاستعمار .... ويدل على هذا عمق أغوار الدعاية التي تحيط بهذه القضية ، ولا تتورع عن تسخير العلم

---

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ٥٨ .

(٢) التبشير والإستعمار في البلاد العربية ، ص ٣٤ .

(٣)انظر التبشير والإستعمار في البلاد العربية ، ص ٣٤ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٧٠ . وهذه (الدَّخلة) بين ردود العقاد ، مهمة لبيان حال دولتي مصْدَرِي الإشاعة الإيطالي ، والفرنسي . فأذا عرفنا حالهما ، عندها تيقنا أن الأمر حاصله التعصب ، وأنهم يرمون البريئين من ذلك بأدوائهم وشهواتهم النفسية .

* هكذا وضعها رحمه الله بين قوسين ، سخرية واستهزاء ، فينزل عليها منزلة تصغير الاسم فقد يكون للتحقير وقد يكون للمداعبة .

والتاريخ لتأصيل علاقة العبريين بفلسطين من عهد إبراهيم الخليل ....حيث اشتبكت دعاوى التبشير بمساعي سياسة الدول والحكومات)[١] ، إذن فلا حق للمسلمين في فلسطين ، ولاغرابة أن يعود الحق لأهله ... وبعدها ننتظر (الخبر اليقين من قرطاس مطوي في بيزنطة أو في غيرها)[٢] يُثبت أحقية دعوى الإسرائيليين وترفض رفضاً تاماً دعاوى المستعمرين العرب كما زعموا .

٧ ـ لقد وقع هؤلاء المستشرقون في غلط عظيم بَعْد مقصدهم لـ (تبرير) رجوع المتهودين إلى فلسطين ، ذلكم هو قياس الفاروق عمر على (بولس) ، وهذه مقارنة (سطحية) لماذا ؟ لأن (بولس) نقض دعوة عيسى ابن مريم جملة وتفصيلاً ، حيث جعل الوثنية مكان التوحيد ، فأصبح مؤسس دين وشريعة تخالف تماماً ما كان عليه عيسى بن مريم ، أما عمر الفاروق فهو مجرد مبلّغ وداعية لهذا الدين الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام وآله الأطهار ، حيث قضى النبي ﷺ بين ظهراني أصحابه أكثرمن عشرين سنة (ولم يُبْقِ بقية لأحد من أصحابه ، يتمم رسالته أو يعلم المسلمين ركناً من أركان الدين لم يحفظوه من آيات القرآن ومن سنة رسوله)[٣] ، إذن فـ (المقارنة هنا ...بين حالتين متناقضتين)[٤] .

وبعد : فلا حاجة إلي الإطالة في بيان جهل المستشرقين بالموضوع الذي تصدوا له .... وكان عليهم أن يرجعوا إلى مصادر الإسلام لا إلى مصدري الإشاعة (كايتاني و لامنس)[٥] .

---

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص٥٩ ، وقد تصرفت فقط في التقديم والتأخير ، والواقع أن هذه كلمات دقيقة وبعد نظر تتسم بمراقبة مقاصدهم ومظان شبههم في آرائهم ودعاواهم ، ولاسيما أنه رحمه الله ذكر في نفس الصفحة أن عدد المجلة ظهر في شهر مارس الذي ظهر فيه المقال عن (الخليفة المستعمر) قد تحلت صفحته الأولى بصورة النبي (موسى واضع الشريعة) حيث سوغوا في هذا المقال هجرة العبريين من مظالم وادي النيل إلى أرض الميعاد ، .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٦١ .

(٥) انظر : نفس المصدر ، ص ٥٨ ـ ٦١ .

ثم يختم العقاد بهذه الكلمات التي بلغت نفاستها قاموس البحر وهي أنه لابد أن (نعلم أن دخول الإسلام إلى فلسطين لم يكن فلتة من فلتات المصادفة العشواء ، ولكنه كان نتيجة منتظرة لمقدمات مقررة ، وجواباً من القدر على عناد بني إسرائيل ، ووفاءً لوعد الله خليله إبراهيم ، مع أبناء له غير أبنائه الذين تنكروا لكل نبي من ذريته الصالحة ، من قبل موسى وهارون إلى ما بعد عيسى والحواريين) [1] ....

وإن كان هناك من كلمة ، فيا ترى ماذا تعني كلمة « الإستعمار » ؟ إنها تعني خراب البلاد ، وخراب الأخلاق والعقول ، ذلكم الخراب الذي تشهد آثاره بلاد المسلمين، فيا ترى هل عمر الفاروق كذلك ؟ وعندها نترك الإجابة لذمة التاريخ [2] .



(١) نفس المصدر ، ص ٦١ .

(٢) انظر : بلال بن رباح ، داعي السماء ، ص ٢٦ .

المطلب السادس :

حكاية عن بلال رضي الله عنه :

ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ ﻫ

قالوا (إنه تلقى من أمه كلمات التوحيد ، كما كان يفهمه المتدينون والمتدينات بالمسيحية من أبناء الحبشة ، وأنه من ثم أسْرِعَ إلى تلبية الدعوة المحمدية حين جهر بها النبي عليه السلام برسالة التوحيد) (١)

إذن شهد (بعض الإفرنج) * أن رسالة الرسول ﷺ رسالة التوحيد ، فيا تري من أين أتى بها ، وجزيرة العرب تعج بمظاهر الشرك والوثنية ؟ وهل يستطيع فرد من أفراد هذه الجزيرة أن يهتدي إلى هذا التوحيد ؟ إن هذا الإعتراف يَصِمُ المستشرقين أنهم في افتراءاتهم لا يعتمدون على مصادر المسلمين الأصلية ، ويكشف لنا (سوء النية الذي نشف عنه أقوال الكثيرين من المستشرقين) (٢) ، ومع هذا أو ذاك ، فأن الإخبار عن إيمان المتدينين والمتدينات من أبناء الحبشة بالتوحيد أقرب إلى سطحية التفكير والخيال أو أخذ الأمور بمقياس واحد (٣).

وينهي العقاد قوله عن هذه الحكاية أنه (حسبان بعيد ، لأن الأحباش في ذلك الزمن ، إنما كانوا يفهمون المسيحية على نحو أقرب إلى الوثنية) (٤). فكيف يرحبون برسالة التوحيد ، وقد تناخروا عند ملكهم عندما سمعوا من المسلمين كلمة الله ألقاها إلي مريم ، وليس إلهاً و ليس ثالث ثلاثة ؟ (٥)

---

(١) داعي السماء ، بلال مؤذن الرسول ، ص ٩٨ .

* هكذا ذكرهم العقاد ، في نفس الصفحة ، ولم يذكر لنا أسماءهم .

(٢) داعي السماء ، ص ١٨٢ .

(٣) انظر : عبقرية عمر ، ص ٣٢ . بل أخذوه بالنظر الضيق والفكر المحدود ، ص ٤٠ نفس المصدر .

(٤) داعي السماء ، ص ٩٨ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٩٨ .

وهذا صدق لمن تأمله بعين العقل،بعيداً عن « التشنجات » وانفعال العواطف التي تؤدي بصاحبها إلى الكذب الصراح ، والأمر الكبار .

ولو أن المستشرقين عرفوا الإنصاف لما خلطوا بين التثليث والتوحيد ولعلموا أن الإسلام هو وحده جاء بالتوحيد ، بعدما غشيت العالم غاشية الوثنية والجهل بالله [1].



(١) انظر ، حقائق الإسلام ، ص ١٠٥ .

المطلب السابع :

الشبهة أو الحكاية السادسه :

oooooooooooooooo

إن وصول الخلافة إلى أبي بكر ، إنما كان نتيجة مؤامرة بين عائشة وأبيها [١]

١ ـ يبدأ العقاد ـ رحمه الله ـ ردوده ، إن هذه الحكاية مزعومة (وليس لها سند من التاريخ ، ولامن التفكير القويم ، ولامن المعهود في أخلاق الرجال والنساء الذين عزيت إليهم تلك المؤامرة بغير بينة قاطعة ولا ظن راجح) [٢].

٢ ـ إن هذه الحكاية من حكايات الفروض والأقاويل التي يخوضها المستشرقون ، و(ليس في شئ رواه الرواة عن الخلافة بعد النبي عليه السلام كلمة واحدة ترجح تلك الفروض والأقاويل ، سواء كان قائلها ممن أسرعوا إلى بيعة الصديق أو تباطئوا في بيعته ، أو قضوا حياتهم ولم يبايعوه) [٣] .

٣ ـ إن الصحابة كانوا على دين قويم ومحبة عظيمة لرسول الله ﷺ، وليس في شئ من خلائقهم (التي عهدها الناس في حياة النبي [ﷺ] أو بعد وفاته ما يأذن لمتوهم أن يتوهم فيهم التآمر على خلافته وهو بقيد الحياة ، دون أن يطلعوه على جليلة أو دقيقة مما يفكرون فيه) [٤]

٤ ـ من تأمل سيرة أبي بكر يجد أنه ليس فيها (ما ينم عن طمع في السطوة ، وحرص على زَهو الملك) [٥] .

٥ ـ إن استخلاف رجل بعد رسول الله ﷺ (قد وقع منهم جميعاً موقع المفاجأة التي لم يتدبروا فيها إلا بعد وقوعها ، ولم يبرموا فيها الرأي على نحو من الأنحاء

---

(١) انظر عبقرية الصديق ، ص ٢٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٥ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٥ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٥ .

قبل اجتماع الأنصار بسقيفة بني ساعدة) [١] ومن تأمل الحوادث والروايات التاريخية يجد أنها تدل على نقيض ما ذهب إليه هؤلاء الغربيون الذين يسقطون مفاهيمهم النفسية على واقع المسلمين الأوائل ، فالاغتيالات والمؤامرات والكذب والخيانة ، هذه كلها نتائج (دبلوماسية) الغرب ، فمن الشين أن يؤتى بها وتسقط على مجتمع الطهر والصدق والأمانة .

٦ - قد علم تاريخياً أن عائشة ترددت كثيراً في إبلاغ الأمر الذي يقول فيه " مروا أبا بكر فليصل بالناس " فقالت عائشة رضي الله عنها (لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك ، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، ولاكنت أرى أنه يقوم أحد مقامه إلاتشاءم الناس به ، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر) *

فهل هذه التي تخشى على أبيها أن يتشاءم به الناس ، أو أن لا يحبه الناس أبداً لقيامه مقام رسول الله ﷺ ، تكون متآمرة مع أبيها ؟ إنها عجلة مع سوء نية قد عهدناها عند هؤلاء القوم ، فلا غرابة [٢] ، .

ويتساءل العقاد - رحمه الله - هل كل المؤرخين المحدثين على صواب فيما يروونه ؟ ثم يجيب - رحمه الله - (إنهم لعلى خطأ في كل تقدير قدروه) [٣] ، ولو جاريناهم على هذه الفرية وعلى هذا الخيال الذي تخيلوه لما أنصَفْنا التاريخ ، ولما أنصفنا مجتمع الطهر والعفاف الذي لا يعني أؤلئك المستغربين [٤] ، وهنا يظهر لنا إيغال المستشرقين في التوهم ، وإلا فكيف يشبه السابق اللاحق ، ومصطلحات الإنقلاب ، والمؤامرة السياسية محدثات ؟ فأين دل هذا على شئ فأنما يدل على النشأة المعوجة التي نشأها هؤلاء المستشرقون ، وليس لأحد أن يحجر على أحد أن يتخيل ،

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥ .

* الحديث أخرجة البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته : ح رقم : ٤٤٤٥.

(٢) انظر : عبقرية عثمان ، ص ١٠٨ .

(٣) عبقرية الصديق ، ص ١٣٧ .

(٤) انظر نفس المصدر ، ص ١٤٧ ، وانظر : فاطمة الزهراء ، ص ٢٤ وأنهم يزنون بميزانين وينظرون بعينين ، ويختلقون أسباب التشويه والتحريف .

لكن إذا تخيل وأطلق لنفسه العنان ، فليتخيل على شئ يقبل الخيال ، لكن يتخيله على واقع تحيط به الأدلة من كل وجه ، فهو خيال مضلل ، وفي نفس الوقت هو خيال إسقاطات نفسية متأثر بحال بيئته التي يعيش فيها ، فهنا يصدمه الواقع الذي تخيله ، ويأباه العقل السليم (١) .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) نفس المصدر ، ص١٤٣ ، وقد أعرضت عن سفاسف وتفاهات زعموا أنها تقدح في جيل الطهر والعفاف ، ذلكم قولهم عن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، أنها لم تتزوج قبل سن ١٨ سنة ، لأنها كانت محرومة من الجمال . انظر ، ص ٢٥ ، فاطمة الزهراء وكذلك قولهم عن عائشة لعبة صغيرة بين يدي رجل كبير يدللها ولا تفاهم بينه وبينها ، انظر ، ص ١٠٤ عبقرية الصديق ، ويعقب العقاد على هذا الكلام بأنه كلام مقلوب ، يبحث عن العبوب ، ولا عيوب ، وإنما العيب هو في الإسفاف ، وهم بهذا يضمون جهالة إلى جهالاتهم ....وليس بنا حاجة إلى الإطالة معهم ، ولكننا ننبه أن جهلهم (عبرة للمعتبرين فيما يصنعه العقل بنفسه حين يمسخه مرض الأهواء ، فيفتري على العلم والدين ما تأباه أمانة العلم ، ويعافه أدب الدين) انظر هذا الكلام النفيس ، ص ٢٧ ، فاطمة الزهراء ، .

الفصل السابع :

وتحته مطلبان

المطلب الأول :

تمهيد .

المطلب الثاني :

شبهتهم على حال المسلمين مع القضاء والقدر :

المطلب الأول :

تمهيد :

قبل البدء بأخبارهم عن المسلمين واستسلامهم للقدر كما يزعمون ، وأن المحاولة لا تجدي شيئاً في إصلاح شئونهم أو تغيير حياتهم ، نسأل المستشرقين أسئلة :

أولاً : هل هم أنفسهم يؤمنون بالقضاء والقدر ، وأن كل شئ يحدث في هذا الكون تحت علم الله ومراقبته سبحانه لأعمال خلقه دقيقها وجليلها ، صغيرها وكبيرها ، سرها وعلانيتها ، أم أنهم ماديون لا يؤمنون إلا بما تقع عليه حواسهم ؟ ولا سيما أنهم يرجعون كل شئ إلى الطبيعة ، والطبيعة مخلوقة ، فأيهما أزكى وأطهر للإنسان إرجاع ما يحدث له للطبيعة ، أم لخالق الطبيعة ؟

ثانياً : هل فهموا معنى القضاء والقدر في الإسلام ؟

ثالثاً : هل أخذوا هذا التصور عن استقراء واستقصاء في حياة المسلمين في شرق الأرض وغربها ، أم أنهم رأوا (شريحة) من المجتمع ثم عمموا ذلك على حياة المسلمين في كل بقاع الأرض ؟ أليس هذا خطلاً فكرياً ؟

رابعاً : إذا كانوا لا يؤمنون بأرجاع الحوادث إلى ما فوق الطبيعة ، فلماذا يلزموننا بشئ لا يؤمنون به ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لماذا يلزموننا بشئ لا نعرفه ، ولم نسمع به إلا في أوهام هؤلاء الكفار الذين إن ماتوا على ما هم عليه كانوا من أصحاب النار [1] ؟ فلا دين عيسى أقاموا ولا دين موسى حفظوا ، ضاع دينهم فضاعت عقولهم ، فما ذنبنا معهم ؟ سؤال حار فيه من تأمَّل حالهم وأقوالهم وبالله التوفيق .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) يفيدنا الأستاذ الدكتور عبد الله الجبوري في مقدمة كتابه « فقه الإمام الأوزاعي » أن شبهة القضاء والقدر قديمة أثارها النصارى مع المسلمين ، ١ /٩٣ ، مطبعة الإرشاد ، بغداد سنة ١٣٩٧هـ ، الجمهورية العراقية وزارة الأوقاف ، إحياء التراث الإسلامي ، الكتاب رقم « ٢٧ » فانظر بارك الله فيك ، حتى شبههم ليسوا فيها أصلاء ، بل سبقهم غيرهم إليها .

المطلب الثاني :

شبهتهم على حال المسلمين مع القضاء والقدر :

تذهب كلماتهم هنا وهناك عن هذه المسألة ثم تصب في قول واحد ، حاصله (**أن الإيمان بالقضاء والقدر ، هو علة جمود المسلمين**) [١] .... فالإسلام يناقض العمل والسعي في سبيل الحياة ، لأنهم فهموا (من الإسلام أنه التواكل وتسليم الأمر إلى الله ، بغير حاجة إلى الحول والقوة ، لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله) [٢] .... إذن فالمسلم في فهمهم (يستسلم للحوادث ، ولا يرى أن المحاولة تجديه شيئاً في إصلاح شأنه أو تغيير قسمته) [٣] ، ودائماً تمر بهم في رحلاتهم * (كلمات منقولة عن التركية مثل كلمة : « قسمت » وكلمة « مكتوب » وكلمة « مقدر » يرددونها بالألفاظ محرفة عن ألسنة العامة في البلاد التي يرحلون إليها) [٤]

إذن الخلاصة : الإسلام استسلام للقسمة والمكتوب ، وهو شئ لا يوافق العقل ولا يساغ في منطق التفكير [٥] والعقاد ـ رحمه الله ـ عندما يبدأ بالنقض يبدؤه بكلمة جامعة مانعة ، فهو هنا يبدأ كلامه :

قد علم من حال الإسلام أنه (يأبى على المسلم أن يُسلِّم للظلم أو يُسلِّمَ للتحكم من الناس ، أو من صروف الحياة) [٦] فأيهما أولى بالاستسلام من يأبى الظلم ويستنكف

---

(١) حقائق الإسلام ، ص ٢٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٧٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٨٩ .

* وهنا ـ العقاد ـ يلفت نظرنا إلى شئ مهم ، وهو أن الذي يزعم أنه يقطع المسافة مشياً على أقدامه ، يجب أن نضع عليه أكثر من علامات استفهام ، ولا سيما إذا دخل بلدان المسلمين ، فهو « صيَّاد » و « لقاط صور » أكثر من أن يكون ممارساً لهوايته ، بدلالة اعتنائهم به إذا رجع إلى بلاده .

(٤) نفس المصدر ، ص ٨٩ .

(٥) انظر الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٢٤ ، ٢١١ .

(٦) حقائق الإسلام ، ص ٢٧٧ .

عنه أم من رضي بسيطرة الكهان والرهبان التي تسلط الناس على رقاب الناس باسم الدين ، وهم مع ذلك لا يناقشونهم ولا يسألونهم ، لماذا تأخذون من أموالنا ولا تعطوننا الحكمة من وراء ذلك ، بل يخضعون لهم لقولهم : اسمع واعتقد وأنت أعمى، ولا تناقش [١] ؟

وصدق رحمه الله ـ أليس هذا حال الكنيسة ؟ فمن أولى باللقب وألصق به ؟ يرموننا بشئ هم أهله وأحق به . ولذلك يتعجب العقاد من عقول الأوربيين ، كيف يقولون هذا وهم يؤمنون ويعتقدون بدون بصيرة أن الاعتراف بالذنوب لا يمكن أن يقبل إلا عن طريق (الوساطة بين الإنسان وربه) [٢] ؟ أليس هذا دينهم ؟ ومع ذلك يرونه استسلاماً يوافق العقل ، ويساغ في منطق التفكير .

هذا البلاء بعينه والجمود بعينه ، بدلالة أنهم لم يتحرروا من هذه الخرافات إلا عندما اتصلوا بالمسلمين ورأوا حالهم أن لا وساطة بينهم وبين الله خالقهم .، وهم لما خرجوا من الكنيسة جحدوا الكنيسة وصاحب الكنيسة وزادوا أن جحدوا رب العالمين أنه ليس له تصرف في حقوقهم الدنيوية ، فهل يا ترى يريدوننا أن نلحد مثلما ألحدوا ، وننسب كل شئ إلى الطبيعة مثلما فعلوا ؟ هل يريدوننا أن نكون مثلهم ؟ إن الأمر واضح لذي عينين إن الفرق بين ديننا ودينهم كالفرق بين الخالق والمخلوق ، لا يستويان مثلاً ، الحمد لله رب العالمين ، بل أكثرهم لا يعلمون .

ومن ثم أشار العقاد إلى هذا بقوله إن (جهل هؤلاء بالفهم أكبر من جهلهم باللغة)[٣] حيث خلطوا بين فهم بعض المسلمين للقدر ، وبين فهم القدر في ذاته ، وهذامثله كمن يسوِّي بين الحي والميت [٤] ، فأنه عندما ينسب بعض المسلمين للقدر إلى الدين فعندها يُعْلَمُ أنْ ليس له (سند من الكتاب الكريم ، ولا من الحديث

---

(١) انظر : مطلع النور ، ص ١٠١ .

(٢) مطلع النور ، ص ١٠٠ .

(٣) حقائق الإسلام ، ص ٢٧٧ .

(٤) انظر ، منه ، ص٩٠

الباطلة [١] ، (وهي من كلمات القشور التي تجوز على الأسماع بغير عناء) [٢] ، وذلك أن الإنسان في الإسلام (مأمور بأن يعمل في آيات الكتاب وأحاديث الرسول ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾) [٣] وهنا العقاد يشير إلى لفتة مهمة وهي : يا ترى كم وردت لفظة العمل ومشتقاتها في القرآن الكريم ؟ ولما رجعت إلى (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) * وجدت ما أذهلني ، ووجدت ما يصعب معه إيراد كل الآيات التي حثت على العمل في هذا البحث ، فيا ترى أين هم من هذا ؟

وبعد : فأن القدر في الإسلام (سر الله في خلقه) [٤] ، فليس للإنسان إلا ما سعى ، (بل إن خلاصةُ كله موقوف عليه) [٥] وهم عندما أوردوا إشكالهم وأخبارهم انطلقوا من إبطال وجود الله ، وانطلقوا من تفسير العالم على أنه « مادي » يغير بعضه بعضاً ، دون إرادة ولا حكمة ، بل هي مصادفة عمياء ، وهم عندما فسَّروا العالم بالمصادفة لم يَدع لهم مجالاً للإشكال والسؤال ، فلما رأوا حال المسلمين لم يستطيعوا أن يجمعوا بين ما يعتقدون وبين ما يسمعون من كلمات المسلمين ، فلم يكن في وسعهم إلا أن اتهموا المسلمين بالجمود ، ومن تأمل حالهم يجد أنهم هم أنفسهم جمدوا على تفسير « ديناميكي » ومصادفة عمياء ، فأرادوا أن يلحقوا المسلمين بهم ، وهذه

---

(١) انظر ، ما يقال عن الإسلام ، ص ٤٢ .

(٢) حقائق الإسلام ، ص ١٥٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٤ . والآية من سورة التوبة آية : ١٠٥ .

* لمحمد بن فؤاد عبد الباقي له ترجمة في الأعلام : ٦ / ٣٣٣ ، ولاسيما أن د / مصطفى فهمي ، ذكر في مقدمة هذا المعجم المفهرس ، أن أول من طرق ذلك « فلوجل المستشرق الألماني » فياترى ألم يمر بمادة « عمل » ؟ فأين يذهبون .

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة، الطبعة الثالثة : سنة ١٤١١هـ. والكتاب بحاشية المصحف الشريف .

(٤) انظر العقيدة الطحاوية شرح وتعليق الشيخ الألباني ، ص ٣٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ .

(٥) حقائق الإسلام ، ص ٢٤ .

هي سر عقدة الاستعلاء ، وحاصل مرادهم : دعوة المسلمين إلى التحرر من كل شئ وأن يفعلوا مثلما فعلوا [١] وهذا لا يستقيم مع حال الإسلام المعروف بالنظام والإرادة والحكمة ، .

ومن تأمل بعض أقوال الأوربيين عن المصادفة يجد أنها تعني عندهم (مرادفة لمعنى الفوضى والخبط في الظلام ، تهدم اليوم ما تبنيه ،وتبني ما تهدمه) [٢] ومن هنا ظهرت الفوضى في أخلاقهم حتى غدت مصالح نفعية يتقلبون مع شهواتهم ، فتراهم يبنون اليوم شيئاً ثم غداً يبدو لهم أن هذا يعارض شهواتهم فيهدمونه * ، فتقلباتهم تدور مع شهواتهم وجوداً وعدماً ...فأذا صح هذا في بلاد أوربًا التي هربت من الكنيسة ورب الكنيسة فلا يصح إطلاقه من كل وجه على الإسلام ، وذلك أن القول بأن القدر علة جمود المسلمين ، لا فرق بينه وبين أن علة الشهوات هي سر تقلب الغرب ، فالاستسلام للقدر يعاب به الإسلام إن كان هذا هو فهمه ، ولكن والحال أن هذا فهم بعض المسلمين ، فكيف يؤاخذوننا به ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن فهم الإستسلام خاص ببعض أفراد المسلمين لكن الاستسلام للشهوات يسود الغرب كله ، فيا ترى أي الفريقين خير مقاماً وأحسن اتجاهاً ** ، حتى ممن عجز من المسلمين ؟ لأن القول بالمصادفات والتقلبات لا يتأتى بغير وجود النظام الذي ينبغي أن تقاس إليه تقلبات ومصادفات الفوضى [٣] فالقول بالمصادفة وأنها سر نهضة أوربا ـ أي الابتعاد عن الدين ـ (ليست أقرب الحلول ، ولا أضمن المواقف ، وليست هي كما

---

(١) انظر الإسلام دعوة عالمية ، ص ٢١٣ .

(٢) القرن العشرون ، ما كان وما سيكون ، ص ٦٦ .

* كنت قد قرأت للدكتور/رشدي فكار ، مقالاً عن الفوضى والمصالح النفعية في بلاد أوربا ، وحيل بيني وبين تدوين رقمه وتاريخه من مجلة الفيصل وهو مقال أحسست منه الصراحة والصدق ، وهما يأتيان من المعايشة لهؤلاء القوم .

** المفاضلة هنا بين فهم بعض المسلمين للقدر ، وبين جريان الغرب وراء الشهوات النفسية

(٣) انظر ، القرن العشرون ، ص ٦٦. بل يذكر العقاد رحمه الله في نفس الصفحة أن هذا هو الإرتجال الأعمى بعينه ، والفرض غيرالمعقول بعينه .

يحسب أصحابها أمانة علمية تنتهي عند حدود المعرفة الإنسانية ، ... ومن جزم بهذا الرأي بغير دليل قاطع ينفي ما عداه ، فليس له أن يسمي ذلك أمانة علمية ، وإن كان من العلماء الأمناء ... لأن الأمانة العلمية تقضي علينا أن نطرق كل باب من أبواب التفسير ولا نغلق باباً منها بغير برهان) [١] ... إذن الخلاف بيننا وبينهم كما رآه العقاد هو أننا ننسب الحوادث إلى الله عزو جل ، بينما هم لم يهتدوا إلى ذلك ، فليس لهم حلٌّ إلا القول بالمصادفات ، وهنا جاءهم الخلط بين النور والظلمات ، وبين الظل والحرور ، هل يستويان مثلاً ، بل أكثرهم لا يعقلون . وهنا يلفت العقاد أنظارنا إلى شئ مهم ، ذلكم أن الغربي عندما يطلق مثل هذه الأفكار المخذولة ، إنما ينطلق من مسسيحيته الوثنية التي هي قائمة أساساً على إنكار الدين ونبذه من الحياة ، ليس له إن يتدخل في شئونهم ، وهنا نقطة « الافتراق » بيننا وبين هؤلاء الوثنيين .

فالغرب يدعونا إلى الفوضى والاستغناء عن السماء ، وليس لنا إلى ذلك سبيل ، لأن الفوضى هلاك ودمار ، والاستغناء عن السماء حيرة واضطراب ، تؤديان (إلى تبلبل في الخواطر ، يعود على صاحبه بسخريةٍ أمرَّ وأنكي لأنهم يحلون المشكلة بمشكلات ، ويخرجون من تيه إلى أتياه) [٢] ، فلا يقرون على حال ، أما المسلم فقد وحَّد جهته فهي أمان وسلام ... ومن الغريب أنهم يرون عقيدة المسلم تؤدي إلى الحيرة ، أما الثالوثية [التثليث] فلا تؤدي إلى الحيرة ، بل إلى الرقي والاستغناء عن خالق السماء ، بل مجرد ذكر اسمه يعيب البحث العلمي ، ويجعله غير معقول ومقبول النتائج لإدخال الدين فيه ، ..... فإذا لم يكن هذا انتكاس الموازين فلا أدرى بعده ما انتكاس الموازين ؟ [٣] ، فعقدة سماع القضاء والقدر يذكرهم بالكنيسة ، وهم لا يريدون سماع ما يذكرهم بها ، لماذا ؟ لأنهم قد عانوا من الاستسلام لها والجمود على قراراتها ، فمن ثم رأوا أن كل ما ينسب إلى الدين مسبة ومعرة ، وهم هنا ظالمون لأنفسهم ، وظالمون لغيرهم ، وإلا فقد علموا أن عقيدة القدر عند المسلمين تعني « فلسفة » إقدام

---

(١) القرن العشرون ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(٢) الإسلام دعوة عالمية ، ص ٢١٢ .

(٣) انظر الفكر الإسلامي الحديث ، وصلته بالإستعمار الغربي ، ص٥٣ . وقد ذكر هذا الكلام عن المستشرق الفرنسي « رينان » ، وانظر : الإتجاهات الوطنية : ٣١٢/١ .

في الحياة ... لا يُقدم ولا يؤخر عمرك إلا بأذن الله [١] ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جـائـر .



(١) انظر محمد المبارك ، مصدر سابق ، ص ٣٧ . وانظر الإتجاهات الوطنية . ١/٣١٢ .

الفصل الثامن :

وتحته مطلبان

المطلب الأول :

تمهيد لعالم الغيب .

المطلب الثاني :

حكايات عن عالم الغيب ، وردود العقاد عليها .

المطلب الأول :

تمهيد لعالم الغيب .

إن كلمة خصوم الإسلام تشمل المستشرقين ، والمستغربين ، و الماديين الذين ينكرون عالم الغيب ، ولا يؤمنون ولا يقتنعون إلا بما أيَّده الحس والتجربة ، وما سوى ذلك فهو أوهام [١] ، فهذا حال الماديين ، أما المستغربون فنظراً إلى عدم تزودهم بالوحيين لم يستطيعوا أن يقفوا أمام مظاهر حضارة الغرب ، فلذلك ظنوا أن الانتساب إلى عالم الغيب مسبة ومعرة ، فمن ثم قلَّدوا ملاحدة الغرب بدون علم ولا بصيرة .

أما المستشرقون فهم وإن تبادر إلى الذهن أنهم على بقايا روح من دين ، فمع ذلك قد غرقوا في أفكار بيئاتهم وعصرهم اللذين عصفا بيقينهم مما أدى بهم إلى (تبلبل الأفكار) [٢] ، ولا سيما أن معظمهم كان موجوداً في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين الميلادي ، هذا العصر الذي كان يتسم بالشك والإنكار [٣] حيث توصل علماء هذا العصر إلى أن الكنيسة ناقضت العقل بتعاليمها ، فـ (هي تطبيق غير صحيح للدين الصحيح) [٤] فعلى هذا ترتب عليه إنكار مسمى الأديان التي تنسب للإله ، أو التي حصرت تفسير ما وراء الطبيعة على تعاليمها ، فأذا كانت تعاليمها ناقضت العقل في الطبيعة المحسوسة ، إذن ما تدعيه من تفسير لما وراء الطبيعة أشدُّ تناقضاً وأكثر وهماً ، فهي خيالات لا حقيقة لها يخدع بها (بابوات) الكنيسة السذَّجَ حتى يَدِرُّوا عطفهم وأموالهم عليهم .... فمن ثَمَّ شرد الأوروبيون عن الكنيسة وربها .، وارتدت إلى آثار الحضارة الإغريقية التي من أعظم خصائصها : (الإيمان بالمحسوس ، وقلة التقدير لما لا يقع تحت الحس . [مع] شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام الزائد بمنافعها

---

(١) انظر الإنسان ذلك المجهول ، ص ٥٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٤ .

(٣) انظر : عقائد المفكرين في القرن العشرين ، ص ٢٢ .

(٤) نفس المصدر ص١٦ .

ولذائذها) [١] .... فمن ثمَّ انحطت أوربا أخلاقياً وعقلياً * ، بل كانت أسرع الأمم إلى البربرية والهمجية ، فجمدت على الحس واستحلت بجمودها إنكار عالم الغيب الذي شمل العصر كله ، وفقدوا بذلك هدوء العقول الشرط الضروري للبحث والمقارنة ، فغاصوا إلى آذانهم في المادية البحتة ، وأعرضوا عن كل محاولة كانت بإمكانها أن توصلهم إلى الحق والحقيقة ، ولكنهم وقفوا عند الإنكار ، واستسهلوا بكل جرأة أو مجازفة القول : (بديناميكا) الحياة ، وأن ليس وراءها مدبِّر ولا مقدِّر ، وقد علم (أن محاولة تبذل ، مهما كانت مرتبكة أو يكتنفها الفشل من بعض جوانبها ، أفضل من عدم إجراء أية محاولة على الإطلاق) [٢] ، وعلى كل حال فمهما وُثِق بالعقل فإنه عاجز عن تفسير الحياة وحوادثها [٣].

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ، للسيد أبو الحسن الندوي، ص١٥٧، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : ٦ سنة ١٣٨٥هـ .

* أي كثرت الشكوك والوساوس فيما وراء الطبيعة .

(٢) الإنسان ذلك المجهول ، ص ١٠ ، وانظر ص ٤٠ ، ص ٦٤ .

(٣) انظر نفس المصدر ، ص ٢٢ .

المطلب الثاني :

حكايات عن عالم الغيب ، وردود العقاد عليها .

(تدور) كلمات هؤلاء المنكرين وتصب في (**حسبان النظر فيما وراء المادة فضولاً ، يوشك أن يخل بكرامة العلماء ، ويخرج بهم من نطاق العلوم**) [١] . لماذا ؟ **لأن الله لو كان حقيقة لظهر لنا عياناً** [٢] .

وبعد التأمل في كلام العقاد نتج منه ثلاثة عناصر :

أولها : أسباب إنكار عالم الغيب وتتمثل عنده في :

١ ـ (الاستغراق في الحياة المادية والميل إلى الإباحية ، والانطلاق مع الشهوات الرخيصة) [٣] أي التحلل من قيود أخلاق الدين ، وذلك لا يتم إلا بأنكار عالم الغيب ، فلا إله والحياة اهتبال فرصتها .

زد على ذلك إيمانهم بحيوانية الإنسان [٤] .... مما صادفت شهوات مفتوحة واستعجال الحياة الدنيا .

٢ ـ ويلفت نظرنا ـ الأستاذ العقاد ـ رحمه الله ـ إلى سبب يغفل عنه كثير من الباحثين ، ذلكم هو « رسل الصهيونية » إنهم (يقدِّسون المادة ، ويعظمون متاعها تعجيلاً بخراب المجتمع ، وتمكيناً لدسائسهم من النجاح في سبيل السيطرة عليه .... يعلمون أن قداسة الأديان وضنانة النفوس بالمثل العليا هي الحائل بينهم وبين تسخير العالم لما يشتهون ، وتغليب سلطانهم عليه بسلاح المادة والمال ، وما وراءهما من الشهوات والمطامع) [٥] ... ويؤيد كلامه ـ رحمه الله ـ بمصادرة كتاب « الإنسان

---

(١) القرن العشرون ، ص ١٠٨ ، وانظر : التفكير فريضة إسلامية ، ص ١٢٠ .

(٢) انظر الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ٢٥ .

(٣) بين الكتب والناس ، ص ٥٤٠ .

(٤) انظر ، مذاهب فكرية معاصرة ، ص ٢٦٦ ، للشيخ محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ـ القاهرة ، الطبعة : ١ سنة ١٤٠٣هـ .

(٥) بين الكتب والناس ، ص ٥٤٤ .

المجهول * (حين تجاوبت به الأندية العلمية والدينية سنوات ، وقيل إن وطأته على مذاهب الإنكار قد حملت دعاتها على تطويقه بسد خفي من المصادرة ، فوقفت نشره عند حد محدود) [١] ، ولأنه قد فضح الماديين حين ادعوا أنهم عن طريق العلم والتجربة يستطيعون معرفة كل شئ ، فأثبت « كاريل » أنها دعوى مُسْرِفة ** ، حيث إن دراسات العلماء عن الإنسان غير كافية (وأن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في الغالب) [٢] ، وإنه لمن الخطل الفكري أن ندرج حياة الإنسان وتصرفاته تحت الحس والتجربة ، لأن له عالماً (ميتافيزيقياً) يصعب تفسير مبدإ حياته دون التعرض لها ودون التعرض لنواحيه العقلية [٣] ، فإذا كان جهلنا مطبقاً بحقيقة الإنسان ، وهم يعاينونه وينظرونه فبأي حق ينكرون عالم الغيب [٤] ؟ وعلى هذا تأتي النتيجة الحتمية وهي أن الجهل بالإنسان (يقتضي أن يظل الإنسان لاصقاً بالله ـ سبحانه ـ قريباً منه ، ملتجئاً إليه ، مهتدياً بمنهجه الذي يضعه له عن علم وحكمة ، وألا يغتر بفتوحات العقل والعلم في عالم المادة) [٥] .

فعلى هذا نصل إلى أن أساطين اليهود وراء تدمير حياة الإنسان بالإلحاد واتخاذ العلم إلهاً مكان الله جل جلاله ، واتخاذه سبحانه وراءهم ظهرياً ، وشاهده ما جاء في « البروتوكول الرابع عشر » ما نصه (حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ، لن نبيح قيام أي دين غير ديننا .. ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ،

---

* تأليف « ألكسيس كاريل ، ت (١٩٤٤م) » انظر ص ٦ من مقدمته .

(١) عقائد المفكرين ، ص ٦٩ .

** استفدته من حاشية البروتوكولات ، ص ١١٨ ، وسيأتي معنا التعريف بها من حيث الطباعة ومكانها .

(٢) ص ١٩ أي من الإنسان ذلك المجهول .

(٣) انظر ، ص ٥٢ من الإنسان ذلك المجهول .

(٤) انظر : الإسلام ومشكلات الحضارة الغربية ، سيد قطب ، ص ١٧ ، ص ٢٤ .

وانظر : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، محمد قطب ، فصل « ما الإنسان » ص ٢٤ ، المجموعة الإعلامية ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٣ .

وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي أثمار ملحدين) [١] .

٣ ـ من الأسباب إلحاح في الإنكار واضطراب في النفوس والقلوب ، فتلج في الإلحاد ، مما يسبب آفة الفاقة الروحية ، فتضطرب وتضطرب لأنها تريد الوصول إلى الحقيقة ، فيزيدها حرقة ولظى ، وقد يصل ، وقد لا يصل ، لأنه ربما ينتحر إذا لم يَجِدْ عَوْناً ، فهذا سبب من أسباب إنكار عالم الغيب [٢] ، والله أعلم .

ثانيها *: منشأ إنكار عالم الغيب . أو بالأصح لماذا لاقت رواجاً بين الباحثين الماديين؟

يبدأ العقاد ـ رحمه الله ـ إجابته على هذا السؤال ، بأن أكبر خطأ وقع فيه الماديون المتحجرون هو إغلاق باب التفكير والتدبر في ظواهر الحياة ، واستسلموا للتعطيل والمصادفة ، مع العلم أن المنكرين (الذين أغلقوا الباب ..... أقل من المنكرين الذين تركوه مفتوحاً ، ولم يروا من أمانة العلم والبحث أن يغلقوه ويصروا على إغلاقه وهم لا يعلمون ما يأتي به الغيب) [٣] ثم يخلص إلى أن منشأ الشبهة يتمثل فيما يلي :

١ ـ أنهم حصروا العلم والتصديق على التجارب الحسية ، وهذه التجارب تزيد العقل حيرة واضطراباً ، وليست الكلمة الفاصلة ، لأنها افتراضات وظنون ، يلغي بعضها بعضاً أو تتوقف صحة بعضها على صحة سواها ، والنتيجة معلومة ، حيث لا يقوم عليها ركن ثابت من أركان الإيمان ، والثقة بالوجود المطلق والحياة السرمدية [٤] .

٢ ـ أنهم جعلوا براهين الشك قواعد مسلمة يبنون عليها ما يشاؤون من الإثبات

---

(١) الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة : محمد بن خليفة تونسي، ص ١٥٢ ، تقديم الأستاذ : عباس العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة : ٦ سنة ١٤٠٢هـ .

(٢) انظر بين الكتب والناس ، ص ٥٤٤ .

* أي من العناصر .

(٣) عقائد المفكرين ، ص ٦٥ ، وانظر كتاب « الله يتجلى في عصر العلم » تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ، إشراف : جون كلوفر مونسما ، ترجمة : د / الدمرداش عبد المجيد سرحان ، راجعه وعلق عليه : د / محمد جمال الدين الفندي ، عالم المعرفة ، بيروت ، بدون عدد الطباعة ، ص ٣٩ ، بعنوان « الكشوف العلمية تثبت وجود الله » .

(٤) انظر :" الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٦٤ ـ ١٦٦ .

والنفي [١] ، وهذا ولا ريب سذاجة ظاهرة ، لأن (إنكار الغيب المجهول قضية تحتاج إلى مئات البراهين والشواهد ...وذلك أن الظواهر تخفي وراءها من أسرار الوجود ما هو أعمق وأبعد أمداً من كل ظاهرة تتكشف للعقول ، ولا تزال قابلة للمزيد من التكشف كلما تقدم الإنسان في وسائل الإظهار والتدقيق . وآخر الكشوف العلمية أو الصناعية هو بذاته آخر الأدلة على سذاجة المنكرين وجمهرة الماديين الملحدين) [٢] .

٣ ـ أنهم أوغلوا في معرفة المحسوسات ، فأحاط بهم الغرور من جراء تجديد الكشوفات ، فلذلك استنتجوا أنه لو كانت أمور الغيب حقيقة لكان في وسعنا أن نجدها مثلما وجدنا هذه الكشوفات الجديدة ، وهذه فئة أمعنت في الهروب عن الكنيسة ، فلجوا في المعاندة ، وأصابهم شرهٌ في تفسير الظواهر فلذلك أرادوا أن يثبتوا للكنيسة أنهم في غنى عنها حين أدعت أنها وحدها تملك تفسير الظواهر ، وسواء هذا أو ذاك فهناك من كبار الباحثين العلميين (في العصر الحاضر يرجعون إلى الغيب كلما أوغلوا في العلم بالمحسوسات) [٣] .

***ثالثها* : ردود العقاد ـ رحمه الله ـ تتمثل في الآتي :**

١ ـ (إن العقل الإنساني لا يصاب بآفة أضر له من الجمود على صورة واحدة يمتنع عنده كل ما عداها ، فإما أن تكون الأشياء عنده كما تعودها وكرر مشاهدتها وإما أن تحسب عنده في عداد المستحيلات) [٤] ، إذن فهم قد عَطَّلُوا قدراتهم العقلية، ورضوا بالمحسوس ، ولو علموا أن من الكمال العقلي الإيمان بشئ لا تدركه الحواس ، ومن عجزه رفض ذلك لما أسَرُوا أنفسهم في ضيق المحسوسات ، وبهذا أهدروا كرامة الإنسان ، وأنكروا على إثرها الروح ، ومن المعلوم أن (الإيمان بالروح أول خطوة صحيحة في طريق الإنسانية) [٥] .

٢ ـ إن إنكار عالم الغيب يؤدي إلى التناقض ، و(متى ينتهي التناقض إلى

---

(١) انظر : الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ٢٧ .

(٢) ما يقال عن الإسلام ، ص ٢٢٠ .

(٣) القرن العشرون ، ص ٥٢ .

* أي العناصر .

(٤) التفكير فريضة إسلامية ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

(٥) بلال داعي السماء ، ص ٧٩ .

وفاق ؟) [١] ، ولا سيما إذا كان ردَّة نفسية ، فأنه يعلوه البُهْرُ * ، ويتمادى به الهروب وتتجارى به شهوة النَّفْس حتى يوقع عقله في تمزق وقبول للطعن في الدين من هنا وهناك ، وكان لزاماً عليه وهو الباحث العلمي أن يقيم عقله حتى يسمع الأقوال المتضاربة فيحكم بينها ، بدل أن يحكم بحيرة واضطراب ، لأنه ساعتها لا يحق له أن يجعل من حيرته حَكَماً على الآخرين ، وهو متعدد الآراء والتغيرات ، لأنه غير ثابت ، وعدم الثبوت سلب وافتقار . والمفتقر عقلياً وروحياً لا يصلح أن يكون حكماً [٢].

٣ ـ إن التعويل على المصادفة هدم للنظام ، ونسف لقواعده التي يؤمن بها من استيقن أن الحياة لا تمشي إلا بنظام ، فمن هنا رفض كثير من العلماء (الاعتماد على المصادفة التي لا تعقل في تفسير ظواهر الكون والحياة) [٣] .

٤ ـ لقد أتِى المنكرون من القياس الباطل ، وهو أن العالم غير المحسوس يجب أن يخضع للتجارب الحسية ، كما خضع لها العالم المحسوس ، فأن لم يخضع لها فالنتيجة معلومة وهي أنه ليس موجوداً ، وهذا مرض عقلي ولا شك لأنه يؤدي في نهايته إلى تعطيل التفكر والتدبر وإلى رفض تكريم الله عز و جل لابن آدم حين وهبه فطرة الإيمان بالغيب التي تدرك وجوده بغير طريق دائرة الحس ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن تعطيل الإيمان بالغيب فيه المساواة بالحيوان الذي من طبيعته إدراك الوجود بالنظر أو السمع أو الشم أو الذوق أو الحس ، أضف إلى ذلك أن العالم غير المحسوس (فوق عقل الإنسان ، لأنه محدود ، وعالم الغيب مطلق غير محدود) [٤] ،

---

(١) بين الكتب والناس ، ص ١٥٩ .

* من (بهر) أي تتابع النَّفَسِ من الإعياء ، وبالفتح المصدر ، لسان العرب ، ٨٢/٤ .

(٢) انظر : بين الكتب والناس ، ص ٦٣٤ ، ص ٦٣٥ .

(٣) عقائد المفكرين ، ص ٦٤ .

(٤) التفكير فريضة إسلامية ، ص ١٢٠ ، وانظر ص ١٤ ، ١٥ من كتاب التوحيد ، للصف الثاني ثانوي ، وزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ .
وانظر : الإتجاهات الوطنية ، ٢٩٠/٢ ، ٢٩١ ، حيث ذكر كلاماً نفيساً ما نصه :
أن (من أظهر الأمثلة على عجز العقل البشري تخيلاً ، وإدراكاً واستنتاجاً ، أن القسمة في منطقه لا تقبل إلا أن يكون العالم محدوداً أو غير محدود.... ولا يستطيع أن يتصور =

وعلم منه أن الإيمان بالغيب لا يخل بكرامة العلماء ، وليس هو ضد العقل ، لأن الإيمان بالغيب تحتاج النفس إلى معرفته ، بل يشعر الإنسان أنَّه بحاجة إلى عقيدة الإيمان بالغيب التي تسد فراغ روحه ، ومن ثم يعلم أن معرفتها (شريفة لا يمنعها العلم الصحيح ، ولا يعارضها التفكير السليم) [1] (وتزداد الحاجة إلى الإيمان بذلك المجهول المغيب عن العقول كلما اتسع نطاق العلم ، وتعلم العلماء كيف يتأدبون بأدب العلم الصحيح) [2] .

٥ ـ ثم يخلص بنا العقاد ـ رحمه الله ـ إلى هذه الكلمات النفيسة وهي : (إن الإنكار نفي ، والنفي لا يزداد ولا ينتظر الزيادة ، وإنما تكون الزيادة في جانب الإثبات والتقرير ، فما كان محاولة غامضة في زمن من الأزمان يصبح محاولة واضحة في زمن آخر ، ثم يصبح محاولة ناجحة أو متفائلة بالنجاح في زمن يليه ، ثم ينتقل من المحاولة الضعيفة إلى محاولة قوية ، ومن المحاولة المتفرقة إلى المحاولة المجتمعة ، ومن المحاولة جملة إلى الثبوت والقرار على وجه من الوجوه . فقد انتهى إنكار المنكرين عند النفي الحاسم ووقف عنده فلا مزيد عليه . أما العقيدة فهي التي تحاول وتجتهد وهي التي تفتح الأبوب الجديدة باباً بعد باب ... ولا تقف عند الغاية التي لا طريق بعدها ، كما فعل المنكرون) [3] والعاقبة لها بأذن الله .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

= وجود قسم ثالث يخرج عن هذين القسمين ، ثم هو في الوقت نفسه لا يستطيع أن يتصور أيّاً من القسمين ، زماناً أو مكاناً ، ذلك لأنه لا يستطيع أن يتصور حدوداً للعالم ـ بدءاً أو نهاية ـ ليس وراءها شئ على الإطلاق ، ولو كان هذا الشئ فراغاً ، ولا يستطيع أن يتصور شيئاً لا حدود له ولا أول له ولا آخر . ومن هذا المثل الصغير ـ وغيره كثير ـ يتبين عجز العقل البشري) أهـ .

(١) القرن العشرون ، ص ١٢١ .

(٢) ما يقال عن الإسلام ، ص ٢٢٤ .

(٣) عقائد المفكرين ، ص ٤ .

الفصل التاسع :

وتحته مطلبان

المطلب الأول :

تمهيد بين يدي الجهاد الإسلامي .

المطلب الثاني :

حكايتهم عن الجهاد وانتشار الإسلام .

المطلب الأول :

تمهيد بين يدي الجهاد الإسلامي

إن الغرب ينطلق في تعامله مع الإسلام أنه ليس إلهياً ، إنما هو بشري مؤسسه رجل اسمه محمد ﷺ .

والعقل يقضي أن مادام مؤسسه بشراً فَعَلام يتعبون أنفسهم .. ويجندون مراكزهم ووسائلهم ومفكريهم وأتباعهم لحربه وتشويهه ؟

إن المسألة لمن تأملها يسيرة ، كيف ذلك ؟ لقد انطوت أنفسهم على بشرية الإسلام إذن فهم يشتركون مع مؤسسه في الجنس البشري ، فإذا تقرر هذا فأن في إمكانهم الإتيان بمثل ما جاء به محمد ﷺ لأنهم بشر ، وهو بشر ﷺ .... السؤال : فلماذ عجزوا وماالذي أعجزهم ؟ وما الذي حال بينهم وبينه ؟ أليسوا سادة العالم كما يقولون ؟ أليسوا تكلفوا بأبلاغ رسالة الرجل الأبيض ؟ نعم * : لقد رأينا رسالتهم بدت واضحة في تخريب البلاد والعباد ، وإفساد العقول والأرواح . ولكن نخلص من عجزهم إلى برهان قاطع وحجة دامغة على صدق رسالة عبد الله ورسوله محمد ﷺ . ونخلص منه أن الإسلام قوة ، عرف ذلك أعداء الإسلام بناءً على الدراسات التي قام بها المستشرقون والمبشرون ، عرفوا أن قوة جند الإسلام (أساسها ومنبعها عقيدة الجهاد التي زرعها الإسلام في قلوبهم) [1] وتيقن علمهم نتيجة للدراسات التي أجراها كبار المبشرين والمستشرقين أن الجهاد أحد شعائر الإسلام الكبرى (التي حفظت للأمة كيانها ومجدها ، التي أزالت العوائق المادية والمعنوية من طواغيت ونظم أرضية أزالتها من طريق الدعوة حتى أخذ الناس حريتهم في الدينونة لله رب العالمين على منهج هذا النبي الخاتم محمد ﷺ ، فدخلوا في دين الله

---

* هنا للتوكيد لا للإجابة ، ورأيت الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ يكثر منها في سير أعلام النبلاء ، تقريراً ومتابعة للكلام .

(١) افتراءات حول غايات الجهاد ، د/ محمد بن نعيم ياسين ، ص ٥ ، دار الأرقم ، النُّقْرَة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ .

أفواجاً) [١] علم هذا الاستعمار علم اليقين ، وأن الروح الجهادية هي التي تقف أمام مطامعهم في غزو الشعوب من أجل استعبادها وامتصاص خيراتها ، وهي التي تحول بين أهدافهم التوسعية واستكبارهم في الأرض بغير الحق ، فعاشوا حياتهم يستحلون أموال المسلمين ويغتصبون أملاكهم ... ولكن مع الاستعلاء الظاهر كانت تقض مضاجعهم صرخات النداء للجهاد الإسلامي ، وهم يعلمون علم اليقين ماذا تعني هذه الصرخات ؟ إنهم يعلمون أن كل شبر في العالم الإسلامي ممزوج بدماء الصحابة والمجاهدين ، فمن هنا ألّبوا كل شياطين الإنس والجن بأن يمدوهم بشبهات ينسى معها المسلمون الجهاد المقدس صمَّام أمان المسلمين وإيمانهم [٢] ، ويكتفون بالردود والجدران تحيط بهم ، والسقف من فوقهم ، ونسوا أن صوت النبال والسهام ونطق الرصاص وضرب السيوف وطعن الرماح وصفير الرياح وغبار المعارك هذه كلها مجتمعة تذود عن حياض الأمة الكفرة والمنافقين ، وإن كان للسان جهادٌ ، فجهاده البيان والحجة والبرهان ، ولكن لابد من بِيضِ السيوف وطعن الرماح حتى يعلم الذين كفروا أي منقلب ينقلبون . ولو قام مفكرو المسلمين وتفكروا فيما يفعله (المستعمرون) بالمسلمين لما ألقوا بالاً لهذه الحكايات ، ولأدركوا أن (الاستعمار) أحق بالهمجية والوحشية وألصق بهما ، ولكن نظراً للضعف الذي أحاط بالمسلمين ، والوهل [٣] الذي عرى عقولهم حسبوا أن كلام المستشرقين جنود الصليب غاية الحقيقة وقصوى الوثيقة ، فمن هنا تراجعوا عن الهجوم ، واتخذ بعضم الدفاع منهجاً وتركوا جنود الصليب يفعلون ما يفعلون ببلاد المسلمين من القتل والتشريد والتجويع والإذلال ، هذا كله لا يغيب عن ذاكرة ، ولا تنسى صدى أصوات المسلمين أذن واعية ، والغرب يدرك أن الجهاد سر قوة المسلمين فمن هنا نعلم أن (الغرب المستعمر لا يخشى إلا القوة ، ولا يحترم إلا

---

(١) أهداف الجهاد وغايته ، د/ علي العلياني ، ص٥ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ .

(٢) انظر : د / محمد بن نعيم ياسين ، ص ١٥ ، وانظر : خطر اليهودية العالمية ، مصدر سابق ، ص ٣٩٩ ، ٤٠٢ .

(٣) الوهم والفزع ، مادة « وهل » لسان العرب .

القوة) [1] ، ولذلك فصلاح الدنيا والدين معقود بالجهاد ، وفي تركه ذهاب سعادة الدارين أو نقصها ، ومتى اهتم الناس بالجهاد صلح دينهم ودنياهم ، وإلا اضطربت الأمور عليهم [2] .

إن الجهاد هو معقد الولاء والبراء ومظهر عزهم وتمكينهم ، ولقد فَقِهَ الرعْيلُ الأول من أصحاب الرسولﷺ أن الجهاد هو معقد الولاء والبراء ، فزخرت حياتهم بالمواقف الجهادية (التي علمت البشرية كيف ينتصر الولاء للإسلام على كل ما حفلت به الدنيا من الجواذب والمغريات) [3] ، فلذلك حرص أعداء الله على إضعاف هذا المفهوم (في حياة الأمة الإسلامية ، وكسر الحاجز النفسي بين المسلم والكافر) [4] ، وبالله ما أصدق شيخ الإسلام ابن تيمية النميري (٦٦١ ـ ٧٢٧ هـ) حين قال (ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف) [5] ، فمن هنا أصبح أعداء الله لا يطيقون سماع كلمة « نظارة الجهاد » مما جعلهم يشرِّعون لأتباعهم تسمية ذلك بالدفاع الذي يوحي بأنه مغزو لا غازٍ لمن تأمل هذا اللفظ ، وفوق هذا يُشْعِرُ هذا اللفظ بالضعف والمذلة والاستكانة ، مما كان سبباً في (تفتيت الوحدة الإسلامية) [6] ، وكان سبباً في وصم كل نداء للجهاد بأنه (بقية من بقايا الرجعية وأثر من آثار التخلف) [7] ، أما الإفساد في البلاد والعباد فهو تقدم (واستعمار) وراجت هذه الدعايات (حينما طال على المسلمين الأمد وقست قلوبهم ، ونسوا أو تناسوا ما لأجله بعثهم الله على كثرة من الناس وتوافر من بين أمم الأرض وهو قوله : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

---

(١) خطر اليهودية العالمية ، عبد الله التل ، مصدر سابق ، ص ٤٠٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٨ / ٣٥٤ ، ٣٦١ .

(٣) تحكيم الشريعة ودعاوى العلمانية ، ص٩١ ، د/صلاح الصاوي ، دار طيبة ، الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٥) مجموع الفتاوى :٢٨ / ٢٦٤ .

(٦) لورنس العرب ، مصدر سابق ، ص ٦٤ . وانظر : محمد بن نعيم ياسن ، مصدر سابق، ص ١٧ .

(٧) تحكيم الشريعة ودعاوى العلمانية ، ص ٩٤ .

بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران آية : ١١٠ ، وصاروا يعيشون حياة لاهية دنيئة ، حياة مَنْ لا يعرف نبياً ولا يؤمن برسالة ولا وحي ، ولا يرجو حساباً ولا يخشى معاداً ، وأشبهوا الأمم الجاهلية التي خرجوا يقاتلونها بالأمس ، عادوا فقلدوها في مدنيتها واجتماعها وسياستها وأخلاقها ومناهج حياتها .... وفي كثير مما مقتها الله لأجله وخذلها ، وابتلى المسلمون بتأثير الحضارة الغربية والدعايات الشرقية أصبحت بلادهم مالاً سائباً لا مانع له . وأصبحت دولهم فريسة لكل مفترس وطعمة لكل آكل ...) [1]

وبعد فلو أردنا أن نعدد بعض غايات الجهاد لظهر لنا منها ما يلي :

١ - نشر التوحيد . ٢ - تحرير الإنسان من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد ، ومن ضيق الأديان إلى سعة الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة .
٣ - إزالة الحواجز التي تفتن الناس عن الدين الحق . ٤ - إختيار العقيدة الصحيحة .
٥ - حماية دار المسلمين من شر الكفر . ٦ - إرهاب الكفرة وإذلالهم .
٧ - كشف المنافقين . ٨ - تمحيص المؤمنين من ذنوبهم .
٩ - نصر إخواننا في كل مكان . ١٠ - قتال من نكث من الكفار ومن طعن في الدين [2] .....

---

(١) نقلت هذه الدرر من الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة ، سماحة الشيخ عبد الله ابن محمد بن حميد ، ص ٤٥ - ٤٦ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، مكتبة العلم ، جدة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ . وانظر: قل هو من عند أنفسكم ، محمد سرور بن نايف زين العابدين، ص ٨٨ ، ٨٩ ، سلسلة دراسات في السيرة النبوية ، رقم (٢) دار الأرقم ، بريطانيا ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ .

(٢) انظر الحياة السياسية عند العرب ، محمد بن حامد الناصر ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ، مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ هـ ، وانظر الجهاد في سبيل الله ، أبو الأعلى المودودي ، حسن البنا ، سيد قطب ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٤٠٣هـ ، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، رقم (٢) . وانظر : جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ص ٩ ، دار ابن القيم ، الدمام ، سنة ١٤١١ هـ بدون عدد الطباعة . وانظر للحق والحقيقة من كلام خير =

ولو نظرنا إلى أبرز ما يؤخذ على الحروب (الاستعمارية) لوجدنا أنها تتمثل في ثلاثة أمور :

١ ـ أنها تبيح المباغتة بالهجوم ، بل تعتبرها براعة عسكرية .... فقد يعقدون معاهدة صداقة وعدم إعتداء مع أعدائهم ثم تأخذهم على غرة لتجهز عليهم دون مشقة ولا عناء .

٢ ـ هلاك وإهلاك المدنيين ، حيث يأتي العدو على القرى والمدن ويهلك الحرث والنسل .

٣ ـ نظرتها للمعاهدات على أنها دائماً لمصلحة الأقوى ، حيث يستبيحون نقضها ، مما ينتفي معها الأخلاق والثقة ... بخلاف الإسلام الذي لم يبح حروب المباغتة ، ويحصر الحرب في ميدان القتال ، ويحرم قتل العجزة من مدنيين وغيرهم إلا إذا حاربوا ، ويفرض على المسلمين الوفاء بالعقود والعهود [(١)] .

ولعل أكبر أثر ترتب على ترك الجهاد هو « العلمانية » وظهورها وفي هذا يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري (فمشروعية الجهاد لإقامة الحكم الإسلامي ، والإطاحة

= الخليقة ، للشيخ عبد الرحمن الدوسري ، مصدر سابق ، ص ١٣١ ـ ١٥٢ ، وانظر : أهداف الجهاد وغايته ، د / علي العلياني ، مصدر سابق ، ص ٥١ ـ ٦٨ . وانظر : الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ص ٥٢٤ ، مطبعة سفير ، الرياض ، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣ هـ ، وانظر الرسول القائد ، لواء ركن محمود شيت خطاب ، ص ٣٩ ـ ٤٠ ، دار الفكر ، بيروت ، ط : ٤ : سنة ١٣٩٤هـ ، وانظر : محمد بن نعيم ياسين ، ص ١١٥ ، ص ١٢٣ .

(١) أهـ ملخصاً من : الجهاد في الإسلام ، محمد شديد ، ص ١٤٦ ـ ١٥١ ، دار التوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ .

وشاهده أن الحروب الإستعمارية تبرم عهداً ثم تنقضه ، وهاهي بريطانيا ، حيث عقدت عهداً مع العرب أنهم إذا قاتلوا معها تعطيهم حقوقهم ولكن نكثت بالوعد والعهد ، وفي هذا يقول « لورنس العرب » (ولقد ساعدت على حبك المؤامرة ...... وخاطرت لإيماني أن وقوف العرب إلى جانبنا هو عامل حيوي لتحقيق أملنا بانتصار سريع ، بخس الثمن في الشرق ، والأفضل لنا أن ننتصر وننكث بوعدنا من أن ننكسر) ص ٦٩ ـ ٧٠ ، وانظر حقائق الإسلام ، ص ٢٤٧ حيث أفاد أن أوربا تبيح الهجوم من غير علة ولا بلاغ .

بكل حكم قومي في كل زمان ومكان ، ولما ترك الجهاد الشرعي عاد الحكم القومي بل الحكم العلماني إلى أكثر أقطار الأرض) "[1] ، فكان لزاماً عليه أن توجد قوة تدافع عن الحق وتكفل الحرية لكل الناس ، وتحافظ على أمن العالم وسلامته وإسلامه وسلامه ، والانتصار للحق في كل مكان .... وكان لابد لهذه القوة الإيمان بالحق ، وقوة النفوس ، وقوة الإعداد ، ولا يحث على هذا إلا كتاب الإسلام الخالد ، فمن هنا أوغر قلوب المستشرقين الحاقدين فقذفوا ما قذفوا [2] والله خير وأبقى .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، وانظر الحياة السياسية عند العرب ، ص ٢٩٥ ، مصدر سابق .

(٢) انظر : محمد شديد ، مصدر سابق ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ، وانظر تحكيم الشريعة ودعاوى العلمانية ص ٩٥ ـ ٩٦ .

المطلب الثاني :

حكايتهم عن الجهاد وانتشار الإسلام .

ملخص كلامهم عن انتشار الإسلام أمران :

الأول : الاعتماد على السيف ، وأنه دين قتال . يكره الآخرين على الدخول في الإسلام ، حيث الصبغة الحربية قد لازمته طوال فتوحاته [١] .

الثاني : الاعتماد على (أوصاف النعيم السماوي في الاخرة) [٢] ، وبعد التأمل لهذين الأمرين ، يخبرنا العقاد أنَّ سبب هذه الإشاعات مجئ (الاستعمار) الأوربي إلى الهند والصين وشواطئ الأطلسي بالقوة في القرن التاسع عشر للميلاد ، فوجد الإسلام منتشراً ولا يزال ينتشر هناك ، (وحاول المبشرون المؤيَّدُون بقوة الاستعمار وأموال الحكومات والجماعات الدينية أن يدركوه فلم يستطيعوا ... أن يقنعوا بدعايتهم القوية الغنية عشر العدد الذي دان بالإسلام بغير دعاية منتظمة ولا إغراء) [٣] ، ويخبرنا العقاد بقولٍ أسخف من القول الذي يرى أن سبب انتشار الإسلام النعيم السماوي ، ذلكم القول الذي يتعلل به المبشرون لإخفاقهم ونجاح الإسلام هو إباحة تعدد الزوجات ، إن القول بالاعتماد على النعيم السماوي أهون من القول بتعدد الزوجات ، لماذا ؟ لأن إباحة التعدد خرافة تبطلها التجربة ، وذلك أن الإسلام يحرم الخمر ، وهي أيسر منالاً من التعدد ، ولا يصدهم ذلك عنه ، وقد تَتَيَسَّرُ الخمر لكل أفريقي يريدها ، ولا يَتَيَسَّرُ له التعدد كما يريد ، والمبشرون حين يذكرون هذا التعليل

---

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ٣١ ، ص ١٨ ، ص ١٠٩ ، ص ١٢٨ ، وانظر : الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٧ ، ١٣٤ ، ص ١٣٦ ، وانظر حقائق الإسلام ، ص ١٨ ـ١٩ ، وانظر عبقرية محمد ، ص ٢٩ ـ ٣٠ . وانظر الفلسفة القرآنية ، ص ٩٥ .

(٢) ما يقال عن الإسلام ، ص ٣١ .

(٣) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٢٨ ، بل يزيده بياناً أن سبب كره الغرب للجهاد هي تلك الأزمات التي وقع فيها الاستعمار بعد الصدمات التي لقيها ويلقاها من أبناء الإسلام ، فلذلك شَنُّوا ما شَنُّوا لعلمهم (أن خطر الإسلام باق لا ينقضي بانقضاء الأيام وينظرون إلى أخطار الأعداء الآخرين فيشعرون بضعفها إلى جانب الخطر الإسلامي المقيم) ص ١٣١ ، وقبلها ص ١٣٠ ، نفس المصدر .

فأنما يذكرونه (للاعتذار عن إخفاقهم إلى أصحاب التبرعات ، ولكنهم يعلمون أنَّ[ـه] عذر واهن ، فيبحثون عن عذر غيره يرددونه اليوم ، وقد يرون أنه أوفق للأحوال الحديثة ...) [1] .... فإذا كان إخفاق المبشرين وصل إلى ما وصل إليه حالهم الذي يجعلهم يتحلون الأعذار أمام أصحاب التبرعات ، فلماذا يرمون الإسلام ويلقون عليه خيبتهم ونكوصهم ؟

إن الأفريقي قريب من الفطرة ، فلذلك لا يصدق أن واحداً يساوي ثلاثة ، وأن الثلاثة تساوي واحداً ، إلا إذا جعل رأسه مكان رجليه ، فهنا يصير مثل الغرب الذي تعود على رؤية الشئ المعكوس .

والأمر الثاني : أليس المبشرون يدعون إلى الغفران وعالم الملكوت وإلى الحياة وإلى التخليص ذلك كله تجده عند يسوع المخلص ؟ أليس هذا الذي يرددونه في إذاعاتهم الصليبية ؟ إنه عالم سماوي ولا ينكره إلا جاهل يعلم أنه جاهل ، فكذلك الإسلام يدعو إلى عالم سماوي ، إذن هما متماثلان ، السؤال : فلماذا استجاز المبشرون المستشرقون أن يفرقوا بين متماثلين ؟ أوليسا الدعوتان روحانيتين ؟ * وهنا يقول العقاد : إن هؤلاء درسوا تاريخ الإسلام فأنكروه بعد أن عرفوا خباياه ، فصيروا أنفسهم أذناب فتنة مسخرين يهرفون بما لا يعرفون ، ويقترفون الكذب الصراح وهم لا يبالون ما يفعلون ، فهم باحثون للبيع (دراهم معدودات ، من كل باذل مال ، ولابد أن يكون بيعاً رخيصاً وصفقة خاسرة ، لأنها صفقة جهل يصطفق عليها جهلاء) [2] ، فهذا الإسقاط النفسي جعلهم يرمون المجاهدين بأنهم يجاهدون من أجل جمع المال لأنهم كان يَعْتَورِهُمُ العوزُ ، فإذا كان هذا مبلغ علمهم في تفسير اندفاع المجاهدين ، فماذا يقولون عن إشهار العالم الأوربي الحرب على العالم الإسلامي في حروبه الصليبية في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد وفي القرن السابع عشر ؟ إن الغرب يزنون بميزانين ،

---

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٢٩ ، وانظر قبلها ، ص ١٢٨ .

* أعتذر سلفاً عن مقارنة معارج الروح في الإسلام بجانب الوثنية الصليبية ، لكنه من باب الجدل .

(٢) الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ٦٩ ، وانظر قبلها ص ٦٨ .

وليس لهم ميزان واحد يزنون به الحقوق جميعاً على سواء [1] ، فلماذا جعلوا ذلك من باب جمع المال وهذا ليس كذلك ، مع العلم أن الاستعمار كان قاصداً بلسان الحال والمقال لجمع المال ، أما المجاهدون فتأتيهم الغنائم عرضاً طارئاً ، فما الذي جعل القصد بريئاً ؟ وما الذي جعل الطارئ العارض قصداً مقصوداً ؟

ليس هناك إجابة إلا الكيل بمكيالين ! ولأن هذه الإشاعات (لا تعقل في قسطاس العدل أو في منطق الواقع) [2] ولأن الذين أشاعوها سَدَرُوا مع الجهل ، ولم يشعروا بويلاته وبلاياه ، ولاسيما أنهم قالوا : إن سبب انتشار الإسلام في أدغال أفريقيا ما جاء به الإسلام عن أحكام الرقيق (التي جلبت إلى الإسلام من دخل فيه ... طلباً لراحة الجسد وهرباً من مظالم السادة ومتاعب التسخير) [3] . إن هذا الكلام ينقض ما بنوه من علل لانتشار الإسلام ، فكيف نجمع بين انتشار الإسلام بالسيف الذي يعني ـ كما توهموا ـ الحرب الهجومية التي لا تقبل عذراً ولا رجاءً ؟ وبين انتشاره بما جاء به الإسلام في أحكام الرقيق التي تعني السِّلْم ؟

إن هذا التناقض يدمغ حجتهم حيث يعود بنا إلى الأصل في حمل السيف ، أنه لا يحمل إلا إذا وقف أمام بيان الإسلام مَنْ وقف من الطواغيت * سواء كانوا صغاراً أم كباراً ، سواء كانوا أفراداً أم جماعات أم منظمات وهيئات .

(فهذا حق السيف كما استخدمه الإسلام في أشد الأوقات حاجة إليه ، حق

---

(١) انظر : حقائق الإسلام ، ص ٢٥١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(٣) بلال بن رباح ، داعي السماء ، ص ٨٩ .

* يعجبني كلام ابن القيم في تعريف الطاغوت وهو (الطاغوت : كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها ، رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله و إلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت ، وعن طاعتة ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته) أهـ إعلام الموقعين ، مصدر سابق ، ١/ ٥٠ .

السيف مرادف لحق الحياة ، وكلما أوجب الإسلام فإنما أوجبه لإنه مضطر إليه أو مضطر إلى التخلي عن حقه في الحياة وحقه في حرية الدعوة والإعتقاد) [١].

ثم ينتقل بنا العقاد إلى لفتة مهمة وهي أن دراسات الغرب تؤكد على قوة الإسلام وخطره ، وأنه (أبقى على الزمان ويوشك أن تزداد خطراً مع اليقظة والتقدم . وأن يزداد الاستعمار ضعفاً مع التخاذل بين حكوماته وشعوبه ، فلا تحالف معه علي غرض من الأغراض المتبادلة بين الفريقين ، وقد يكون خطر المادية والإلحاد على المبشرين أكبر وأعنف من خطر الدين الإسلامي ، لأنه دين إيمان بالله والقيم الروحية على أية حال ، ولكن خطر المادية والإلحاد حركة مولية لا تعيش ولا يمتد بها العمر ـ إذا عاشت ـ كما يمتد بالإسلام) [٢] ، فلذلك اتجهت دراساتهم بعد خبرة ميدانية إلى الافتراء على معالم الدين الإسلامي ، وكذلك تتجه دراساتهم إلى كيفية صد ازدياد عدد المسلمين في أوربا ، وما أخبارهم مع المسلمين بخاف على كل ذي لب ، فلو كانت دعاياتهم تفلح لأفلحت وسط ديارهم ، ولكن مع ذلك ينتشر بدون سيف ، فيا ترى من يحمل السيف في أوربا حتى يقبل عليه من يقبل ؟ لا أحد ، ولكننا ندع الإجابة لدراساتهم التي أنفقوا عليها ما أنفقوا ، حيث أوصلتهم أن الإسلام سيزداد ، وأن التطرف الصليبي أيضاً سيزداد ، ولكن يظهرون ذلك ويخفون هذا ، ومع هذا فإن أبحاثهم وصلت إلى ترجيح فرص انتشار الإسلام على فرص العقائد الأخرى دينية كانت أو اجتماعية [٣] .

ثم ينتقل بنا العقاد إلى أنه شهد شاهد من الغرب على سخافة ما زعمه قومه ،

---

(١) حقائق الإسلام ، ص ٢٣١ .... ولقد وقفت عند كلمة أو مضطر إلى التخلي عن حقه في الحياة) فلم أتبين ماذا يريد بها ؟ وفي الجملة هذا القول يذكرني بقول عمرو بن براقة الهمْداني :

وكنت إذا قوم غزوني غزوتُهم	فهل أنا في ذايال همدان ظالمُ .
متى تجمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً	وأنفاً حميّاً تجتنبك المظالمُ .

أهـ صفة جزيرة العرب ، مصدر سابق ص ٦١ . وكأن العقاد قصد بها أن لا خيار للإسلام إلا إيجاب القتال أو التخلي عن حقه في الحياة .

(٢) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٣١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٨٩ .

ذلكم هو (توماس كارليل) * الذي (ينتهي بزعم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والغثاثة ، ولا يرتضي أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ فإنه أضعف من أن يحسب من الأكاذيب التي تحتاج إلى تصحيح وهو أظهر بطلاناً من أن يبطل بالمناقشة ، لأن القائل به سواءٌ ومن يقول : إن رجلاً واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليبعث فيهم الخوف من سيفه ـ وحده ـ ويسوقهم كرهاً إلى اعتقاد ما ينكرون ، فيعتقدونه ويثبتون عليه ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين) [١] وهذه (صورة غير معقولة ، يرفضها خيال المتخيل ، قبل أن يرفضها إدراك المتأمل) [٢] فأنى لرجل وحده يشهر السيف على أمة كاملة تعاديه وتنكر دعواه ؟ فمتى حمل السيف والحال هذه ؟ [٣]

فهل حمل السلاح لاسترداد كل أرض مغصوبة أخرج منها المسلمون من ديارهم عنوة وبغياً يُعَدُّ مخالفاً للحضارة الفاضلة ، بل يعد مما لا ترضاه هذه الحضارة ؟ [٤] ، فإذا كان الغرب يبيح ذلك اليوم ، فلماذا يعد في حق الإسلام همجية ولا يعد في حق الغرب همجية ؟ بل إن الغرب أخذ بقانون دولة الرومان الذي ينص على أن (من جاورك فهو عدوك تخضعه أو يخضعك ، وتبدأ الحرب متى استطعت أو يبدؤك هو بالحرب متى استطاع) [٥] ، فلماذا لا يعد هذا الفعل همجية وحرباً من أجل المال ! بينما جهاد الإسلام همجي ويعد عدواناً ؟ زد على ذلك أن قانون الإخضاع طُبِّق على

---

* مؤرخ إنجليزي (١٧٩٥ ـ ١٨٨١) انظر : الإسلام في تصورات الغرب ، ص ١٥٣ .

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ١١٠ ، وانظر : حقائق الإسلام ، ص ٢٢٧ ، ويقرر هذه المعاني (البروفسور شبروك وليامز) حيث نص أن الدعوة إلى الإسلام تعني : فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجورون عليه ، وإغاثة المعوزين والمحرومين ، وبذل الحياة نفسها في سبيل الصراط المستقم ، ص ١١١ ، ما يقال عن الإسلام ، ويقرر أيضاً هذا «باول شمتز» في كتابه « الإسلام قوة الغد العالمية » ص ١٢٣ .

(٢) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٧ .

(٣) انظر نفس المصدر والصفحة .

(٤) انظر : مايقال عن الإسلام ، ص ١٩ .

(٥) حقائق الإسلام ، ص ٢٤٩ ، وانظر : الإتجاهات الوطنية : ٢/٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

أشده في معاملاتهم (لبلاد المسلمين ، لأنهم أفردوها بعداء فوق كل عداء) [١] ، حيث شنت الدول الاستعمارية حرباً لا هوادة فيها و (لا نظير لها ولا مسوِّغ لها غير شريعة العداء الدائم في جميع الأحوال [٢] ، فعلى أي أساس يبنون أحكامهم ، لماذا يجيزون لهذا ، ويمنعون ذلك ؟ ولماذا يستنكرون على شعب من شعوب العالم الإسلامي أن ينظر إلى الغرب نظرته إلى محارب يقتص منه ؟ كيف لا ؟ وهو الذي بدأ بسفح الدم وإزهاق الأرواح ؟ ولماذا لا يجعلون هذا ـ وهو دخول الغرب بلاد المسلمين ـ إكراهاً لهم على دين لا يريدونه ، ومذهب غاية أمره انسلاخهم من دينهم ؟ فلماذا يجعلون إزالة الطواغيت كرهاً وإكراهاً ، ويجعلون دخول الغرب تقدماً ومدنية ؟ إن في هذا كله ، ليس للغرب عذر (إلا الأثرة العمياء التي تجيز لصاحبها أن يقتحم بلاد غيره ، ثم لا يفهم من اقتحام بلاده بعد ذلك إلا أنه عدوان بغير سابقه وبغير حجة) [٣] وبعد هذا فلماذا يحصرون العدوان على شريعة الإسلام وحدها ؟ [٤] ولماذا لا يعدون حملة تأديبية واحدة من حملات العصور الحديثة يحملها قوم مسلحون على قوم عزل يذودون عن حقوقهم ، همجية وكرها وإكراهاً ؟ وإن (لفيها من البطش والتعذيب ما لم يحدث قط نظير له في جميع الحروب التي نشبت بين النبي عليه السلام وبين أعداء له

---

(١) حقائق الإسلام ، ص ٢٤٩ .

(٢) نفس المصدر والصفحة ، إن ذلك كله ينطلق من منطلق الحرية والوصاية على الشرق وأهله ، فمن هنا ظهرت المصالح الشخصية المتصارعة ، وكذلك أطلقت (حركات التنصير خارج بلادهم لتكون ممهدة للجيوش الزاحفة بظلمها وعدوانها ،أو لإطلاق المستشرقين ليسوِّغوا الضلال ، ويوفروا التأويل الكاذب ، ويدخلون التحريف الفاسد ، ويطلقوا الحجة المريضة ثم بعد ذلك كله يستغلون السلطة والإعلام لينصروا ديناً على دين ، ومذهباً على مذهب ، ويطلقوا الحرية المتفلتة لهذا ويحجروها على ذلك ، فيتناقضوا مع دعوى يزعمونها وزخرف كاذب يظهرونه . حرية كاذبة مريضة هذه التي يدعونها ، وفتنة واسعه يلهبون بها الأرض وينشرون بها الفساد) أهـ مجلة الفيصل ، ع : ١٩٨ ، ص ٣١ ، ذو الحجة ، سنة ١٤١٣هـ .

(٣) حقائق الإسلام ، ص ٢٥١ .

(٤) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٨ .

ولدينه) [1] ثم نخلص من كلام العقاد إلى الآتي :

١ ـ (أيُّ إرهاب وأي سيف ؟ ... إنما يصدق ـ لو صدق * ـ [لو كان هذا] في بداءة عهدالإسلام ، [أما والحال أن] الذين دخلوا في الدين الجديد [كانوا] يتعرضون لسيوف المشركين ، ولا يعرضون أحداً لسيوفهم ، [فهذا] أظهر بطلاناً من أن يبطل بالمناقشة) [2] .

٢ ـ (إن جانب الإسلام هو جانب الإقناع لمن أراد الإقناع ... [و] لم يحتكم إلى السيف قط إلا في الأحوال التي أجمعت شرائع الإنسان على تحكيم السيف فيها [فكان] السلاح آخر الحيل) [3] .

٣ ـ لو كان الإسلام دين إكراه فلماذا (أجاز للأمم أن تبقى على دينها ، مع أداء الجزية أو الطاعة للحكومة القائمة ، وهو أهون ما يطلبه غالب من مغلوب) [4] .

٤ ـ لو كان الإكراه مقصد الإسلام لما استمع سلاطين الأتراك للفتاوى الشرعية التي نهتهم أن يقتلوا أهل الذمة أو المخالفين الذين يقبلون أداء الجزية بعد تخييرهم بينها وبين الإسلام ، ولا سيما أن السلاطين كانوا أقوياء في ممالكهم ، (ولا سيما أيام الفتوح التي أضافت إلى قوتهم عظمة المجد وخيلاء الظفر والسطوة) [5] .

٥ ـ (من كان لا يعرف غير شريعة السيف فما حاجته إلى بيان لكل حالة من حالات السلم والحرب بأحكامها وواجباتها وحدودها وتبعاتها ، لا حاجة به إلى حد من هذه الحدود ما دام معه السيف الذي يجرده متى استطاع ، .... فأنّما يبحث عن تلكم الحدود من يضع السيف موضعه ، ويأبى أن يضعه في موضع المسالمة والإقناع ، كذلك كانت شريعة الإسلام منذ وجب فيه القتال ، ولم يوجبه إلا البغي والقسر والعنت

---

(١) عبقرية محمد ﷺ ، ص ٥٨ .

* قولهم بالسيف .

(٢) عبقرية محمد ، ص ٢٤ ، ٢٩ ، و : ما يقال عن الإسلام ، ص ١١٠ . وقد دمجت بينهما مع إدخال ما يوضحه .

(٣) عبقرية محمد ، ٣١ ، ٣٣ .

(٤) عبقرية محمد ، ص ٣٣ .

(٥) حقائق الإسلام ، ص ٢٥٠ .

والإخراج من الديار) "[١] وبعد فإننا نصل إلى هدم هذه الإشاعة الكاذبة من أن الإسلام دين السيف ، وكذبها أظهره أصحابها فضلاً عن غيرهم "[٢]



(١) هذه الدرر من نفس المصدر ، ص ٢٤٦ . وانظر : دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين ، د / جميل بن عبد الله بن محمد المصري ، ص ٣٩ ، ص ٧٧ ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة : ١ : سنة ١٤١١هـ سلسلة : بحوث في التاريخ الإسلامي ، رقم (٣) .

(٢) انظر الفلسفة القرآنية ، ص ٩٥ .

الفصل العاشر :

وتحته مطلبان

المطلب الأول :

تمهيد بين يدي الرق .

المطلب الثاني :

حكاياتهم حول الرق وردود العقاد عليها .

المطلب الأول :

تمهيد بين يدي الرق .

إن المتأمل في أحوال أوربا في القرن التاسع عشر وأواخر القرن الثامن عشر الميلاديين ليجد العجب العجاب ، يجد أن دول الحضارة تتاجر بالرقيق ، وياليتها تجارة على وجه مشروع ، بل كانوا يسرقون الزنوج المسلمين من أفريقيا ، ويسوقونهم عبيداً تلهبهم السياط ليعملوا في مزراع البيض ، فتسحق إنسانيتهم ، وتنتهك أعراضهم ، ويصبحون ملكاً مباحاً لظلم الأوربي الأبيض ... وهنا ضاعت الحرية التي نادى بها (فولتير : ١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) و (جان جاك روسو : ١٧١٢ ـ ١٧٧٨) * ، ولكنها حرية للبيض الأوربيين فقط وعلى رأسهم (المتهوِّدون) فالحرية هي التي جعلت البيض يرتكبون أبشع المظالم وأوسع جرائم الأرض ، يطوي ذلك كله تحت أستار الدعاية الزاهية والسلطة القاهرة ، كل ذلك كشفته الرواية الشهيرة (جذور : قصة عائلة أمريكية) للكاتب (أَليكْسْ مُوري بالْمَرْهيلي ١٩٢١ ـ ١٩٩٢) حيث حكى لنا صورة حضارة الرجل الأبيض ، ملخصها : أن أسرة مسلمة أفريقية ابتليت بخطف ابنها ، حيث ذهب يلعب على شاطئ النهر فاختفى ولم يظهر له أثر بعدها ، وكان ذلك سنة (١٧٧٦) ، حيث أبحرت به وبمن معه سفينة بحرية اسمها (لُورْدْلُونجْيِيه) ، من نهر جامبيا حتى وصلت إلى مرفأ (أنابوليس) في أمريكا يوم (٢٩ سبتمبر ١٧٧٦م) وهكذا اختفت الحرية الإنسانية التي مرت عبر التاريخ وحفلت بكل المآسي والآلام حتى إن البيض كانوا دائماً يعلنون عن وصول شباب من أفريقيا (من أجود وأصح الأصناف) ** فما الفرق بينهم وبين جاهلية العرب ؟ حين كانوا يعتبرون الإنسان سلعة من سقط المتاع ، واليوم أوربا لا تعترف بالملونيين أن لهم حقوقاً ، بل البلاد

---

* كتب عن (روسو) د/ محمد حسين هيكل ، تحت عنوان (جان جاك روسو حياته وكتبه) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية : (١٩٦٥م)

** تجد هذا كله في : مجلة الفيصل ، عدد : ١٩٨ ، ذو الحجة سنة ١٤١٣ هـ ، ص ٣٣ ، والعدد : ٢٠١ ، ربيع الأول : سنة ١٤١٤هـ ، ص ٢٢ ـ ٢٥ .

الأوربية (ملك للرجل الأبيض ويجب أن تظل كذلك) [١] ، بل ما زالت العنصرية قائمة على أشدها [٢] ، إن كل واحد من كل عشرة محكوم عليهم منذ ساعة الميلاد بأن يظلوا طوال حياتهم مواطنين من الدرجة الثانية ، مواطنين خاضعين لأبشع ضروب الكبت والاضطهاد والمهانة (لقد انتهى الرق بوصفه امتلاكاً للعبيد ، ولكنه ما يزال بوصفه نظاماً طبقياً ، وإنما يقصد به اليوم إلى إبقاء الملونين في مركز أدنى من ذلك الذي يتمتع به البيض ، ويتوسل إلى ترسيخه بطرائق مختلفة) [٣] ، من ذلك : فصل أطفال البيض عن أطفال الزنوج ، وهذا من فقرات دستور ولاية (ميسيسيبي) ، زواج شخص أبيض من شخص زنجي ، يعتبر غير شرعي وباطلاً ، توزيع منشورات تقر المساواة بين البيض والسود يعاقب عليها القانون [٤] ، وهنا نصل إلى حقيقة وهي أن الغرب خلط بين الإسلام الذي مصدره القرآن والسنة الصحيحة ، وبين عمل المسلمين وأفهامهم للقرآن والسنة الصحيحة ، فمن هنا حصل الفهم المعكوس لحقائق الإسلام [٥] .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) أعمدة الإستعمار الأمريكي ومصرع الديمقراطية ، مصدر سابق ، ص ٢٥٧ ، فصل (مأساة الزنوج) وهو من كلام عضو مجلس الشيوخ الأمريكي (جيمس بيرنز) في (٢٥ آب ١٩١٩م) .

(٢) انظر : يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة ، مصدر سابق ، ص ١٩٩ ـ ٢٠١ .

(٣) أعمدة الإستعمار الأمريكي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٤) انظر من ص ٢٦١ ـ ٢٨٢ نفس المصدر .

(٥) الفكر الإسلامي الحديث ، وصلته بالإستعمار الغربي ، ص ١٩١ ، وانظر محمد المبارك ص ٦٢ .

المطلب الثاني :

حكاياتهم حول الرق وردود العقاد عليها .

يحصر العقاد ـ رحمه الله ـ حكاياتهم كلها حول : دهشتهم واستنكارهم لإباحة الإسلام الأسر ، وقت الحرب ، إنهم يندهشون من هذا ، وكأن الإسلام جاء بخارقة من خوارق الفلك ، أو أتى بواقعة بينة البطلان بذاتها وغير قابلة للوقوع [١] .

يبدأ العقاد ـ رحمه الله ـ ردوده بأنه يجب على كل قارئ أن يعلم أن الغرب ومن بينهم المستشرقون إذا كتبوا فإن كتاباتهم لا تخلو عن الآتي :

١ ـ يكتبون لإثبات شئ ونفي شئ مع العلم أنهما متحدا المخرج والمدخل ، ولكنهم بمراهقتهم الفكرية يثبتونه لذاك وينفونه عن ذاك ، بلا أي مستند عقلي ولا نص من النصوص . فيعمون أبصارهم عما يحدث في الحروب الإستعمارية في بلاد المسلمين ، من كل أنواع الكبت والتشريد والتقتيل والإحراق والتدمير ، يتغاضون عن هذا كله وينظرونه من أضيق طرف العين ، بينما إذا حدث في الإسلام شئ لا يقارب ذلك بل لا يحدث أبداً مثلما وقع في الحروب الإستعمارية كبَّروا وفتحوا أعينهم واستعانوا بكل مكبِّرات المكر والخبث والدهاء إلى الإسلام وما يقع في فتوحاته وقالوا هذا همجية لا تناسب الحضارة الفاضلة ، فعيونهم راضية عن كل عيوبهم ساخطة على

---

(١) انظر : حقائق الإسلام ، ص ٢١٨ ، وانظر : إبراهيم أبو الأنبياء ، ص ١٩١ . المصيبة التي لا تصدق أن تجار الرقيق ـ وكانت تؤيدهم إنجلترا ـ طلبوا من رجال الدين المسيحي مبرراً لتجارة الرقيق فأسعفوهم بنصوص من التوراة (وبمقتضى هذه الفتوى كان استعباد الزنوج واجباً عند الأوربيين ، لأنهم من سلالة يافث بن نوح الذي كتب على ذريته الاسترقاق كما تزعم ذلك أسفار العهد القديم) أهـ ص ١٣٨ من كتاب « حتى لا تخدع » د/عبد الودود شلبي ، دار الشروق ، القاهرة ـ بيروت ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠١هـ . .
ومن الطرائف : أن (إبراهيم لنكولن) عندما طالب بتحرير الأرقاء كان مصيره القتل غيلة وغدراً ص ١٣٩ ، نفس المصدر ، ومن الطرائف :أن الرقيق كان يشحن في قاع السفن تحت البضائع خوف التفتيش في المرفأ ، وفي عرض البحار تقابلهم نقالات يتم عليها البيع والتوزيع في الخارج ، وهذه الحظائر تحت حماية الفرنسيين والإنجليز سادة المستشرقين ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ نعم إن الغرب تعوَّد على رؤية الشئ المعكوس .

الإسلام فيبدون العيوب والمساوئ .

٢ ـ لا يفتحون عيونهم للحقيقة حيث تكون .

٣ ـ لا يبذلون جهداً في طلب الحقيقة قبل أن يوجههم إليها المخالفون والمختلفون ، وخلاصة أفكارهم أنهم يأبون جمع الحقائق إذا وجدوا شيئاً توهموه أنه خارقة الخوارق بفهمهم العليل وبما يصطحبونه من سوء النية والفهم المعكوس [(١)] .

ثم يناقش العقاد المستشرقين ، ماذا تقصدون بالرق ؟ هل هو البيع والشراء في العبيد ؟ هل هو خطف أطفال غير المسلمين وتعبيدهم ؟ هل هو استدراج أطفال غير المسلمين بكل المغريات حتى يصطادوهم ويذهبوا بهم حيث يريدون ؟ هل الرق يعنون به التمييز العنصري ؟ هل الإسلام يدعو إلى الرق بنص آية أو حديث أو أثر عن صحابي أو تابعي أو عالم من علماء المسلمين ؟ أم ماذا يقصدون به ؟ [(٢)] إنهم يقصدون إباحة (الأسر واستبقاء الأسرى ، إلى أن يتم الصلح بين المتحاربين على تبادل الأسرى أو التعويض عنهم بالفداء والغرامة وهذا هو كل ما أباحه الإسلام من الرق أو من الأسر ، على التعبير الصحيح) [(٣)] ، وبعد التأمل يصل بنا العقاد إلى نتيجتين : الأولى : (أن الإسلام شرع العتق ولم يشرع الرق) [(٤)] فهل عند المستشرقين كلام غير هذا ، جملة واضحة لا غموض فيها ولا التباس إنها النهار الذي لا يحتاج إلى دليل ، فإن طُلِبَ فهو العمى والغلُّ والحقد والكذب والحسد لاغيره ، .

الثانية : إن الإسلام لم يكن بدْعاً في الرق ، فهل عندهم كلام غير هذا ؟ إن الإسلام جاء ونظام الرق (شائع بين الأمم المعروفة في القارات الثلاث [(٥)] ، ينتشر بين أمم الحضارة وقبائل البادية) [(٦)] .

---

(١) انظر : إبراهيم أبو الأنبياء ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٢) انظر : حقائق الإسلام ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، حيث فهمت من هاتين الصفحتين فحوى إشارة من كلام العقاد ، وانظر ص ٢١٥ . ص ٢٢٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢١٨ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢١٥ .

(٥) آسيا ، أفريقيا ، بلاد الصليب [أوربا] .

(٦) حقائق الإسلام ، ص ٢١٦ .

فهل ينكرون أنه كان موجوداً في اليهودية والمسيحية ومذاهب فلاسفة اليونان ، بل في جميع العالم قبل دعوة الإسلام ؟ فمادام أن الحالة هذه في العالم كلة يوم مبعث الدعوة الإسلامية فأي شئ يستغرب فيها والحالة هذه ؟ "[١] إذن فلله در العقاد ـ رحمه الله ـ حيث سَبَرَ وقسَّم حتى وصل إلى أن الرق بجميع صوره معروف قبل الإسلام ، فلماذا يحصرون الطعن في الإسلام ؟ ولماذا يختارون الإسلام أنه هو الهمجية والغلظة ؟ فعندها تبطل دعواهم أن الإسلام جاء بالرق أو أعان عليه ، لماذا ؟ لأن (الرق كان مشروعاً قبل الإسلام في القوانين الوضعية والدينية بجميع أنواعه : رق الأسر في الحروب ، ورق السبي في غارات القبائل بعضها على بعض ، ورق البيع والشراء ، ومنه رق الاستدانة أوالوفاء بالديون) [٢] ، إذن فعيب الإسلام بالرق تفريق بين متماثلين ، وحاصل التفريق : الهوى والحسد والكِبْرُ والكذب ، وعلم منه أن خطف الأطفال واستدراجهم والتمييز العنصري وسوق النخاسة من فتوحات الحضارة الغربية لاغير . **ونخلص** من كلام العقاد ـ رحمه الله ـ إلى :

١ ـ أن الإسلام حرَّم الرق جميعاً ولم يبح منه إلا ما هو مباح الآن .

٢ ـ أنَّه جاء بشرع وأحكام في معاملة الأرقاء والأسرى لم تصل إليها قوانين الدول الإستعمارية ، منها : أن الإسلام فرض على الدولة فكاك رعاياها حيث جعل من مصارف الزكاة انفاقها (في الرقاب) أي فكاك الأسرى ، وأن يحسب للأسرى حق من الفئ والغنيمة كحق غيرهم من المقاتلين .

٣ ـ فضلاً عن الوصاية بالمملوكين ، حيث كانت من آخر وصايا النبي ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى وصيته " بالصلاة وما ملكت أيمانكم " [٣] دعك من الدعوة إلى (تعميم العتق وتعجيل فكاك الأسرى ، أنه جعل العتق كفارة عن كثير من

---

(١) نفس المصدر ، ٢١٥ ـ ٢١٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢١٥ . أما السبر والتقسيم فهو مبني على أحد أمرين :
أحدهما : حصر أوصاف المحل، . ثانيهما : إبطال ما ليس صالحاً للتعليل .. فيتعين الباقي وهو المعبَّر عنه بالسبر أهـ ملخصاً من مذكرة في أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ، ص ٣٠٨ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٩هـ .

(٣) انظر في صحيح الجامع رقم الحديث : ٣٨٧٣ .

الذنوب ، كالقتل الخطأ والحنث باليمين ومخالفة قَسَم الظهار) [١] .

٤ ـ يقارن العقاد بين ما شرعه الإسلام في أحكام الرق والأسر وبين ما جاء في شريعة العهد القديم [٢] ، حيث نقل العقاد من الإصحاح العشرين ، كتاب التثنية في العهد القديم ما نصه :

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفُتِحَتْ لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير وتستعبد لك » ثم يواصل النقل من الإصحاح الثالث عشر من كتاب التثنية ما نصه : « فضرباً تضرب بحد السيف وتحرم بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار * ... المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك ، فتكون تلّاً إلى الأبد لا تبنى بعده .... » [٣] السؤال : هل يوجد عند المستشرقين ما يدفع هذا ؟ وهل يوجد في وصايا كتاب الله ورسوله ﷺ مثل هذه ؟ مما جعل العقاد ـ رحمه الله ـ يتندر بمثل قوله : (وأحرى بعرب الجاهلية أن يكونوا في قسوة بني إسرائيل أو أشد منهم قسوة « يدهم على كل إنسان ، ويد كل إنسان عليهم » كما قيل في العهد القديم) [٤] وبعد هذا يصل بنا العقاد إلى بيت القصيد بعدما رأى الغرب أن الإسلام سابق له في كل الأحكام والمعاملات فيقول رحمه الله بعد سؤال فحواه : ماذا يقول

---

(١) حقائق الإسلام ، ص ٢٢٠ ، وانظر قبلها : ٢١٧ ، ٢١٩ .

(٢) حيث يخلص العقاد أنه لا وجه للمقارنة بين ما يلقاه الأرقاء في البلاد الإسلامية من حسن المعاملة وبين ما يلقاه المختطفون في الأمريكتين وبلاد أوربا ، انظر ص ١٢٧ ، ما يقال عن الإسلام . إذن فأوربا تنفذ وصايا الكتاب المقدس .

* هذا ما رأيته في فلم عمر المختار وحربه ـ رحمه الله ـ مع إيطاليا البرابرة ، حيث كان الجنود الطليان يجمعون كل ما يوجد لدى المسلمين ثم يحرقونها وبعد هذا يقتلون الشباب الأقوياء ! أليست هذه وصايا الكتاب المقدس ؟ فأين يذهبون ؟ .

(٣) حقائق الإسلام ، ص ٢٢٢ مع العلم أن الإسلام نهى عن قتل النساء والصبيان والكف عمن لم يقاتل ، انظر فتح الباري : ١٤٨/٦ ، وانظر : السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية ، ص ٤٧٣ .

(٤) حقائق الإسلام ، نفس الصفحة المشار إليها آنفاً .

المنكرون المتعصبون عن الإسلام ؟ يقولون (إن الدعوة برمتها تلفيق رجل دجال . ولا ندري كيف تسيغ عقولهم أن يكون الرسول الدجَّال أرفع أدباً وأشرف خلقاً وأبر بالإنسانية الضعيفة من الرسل الصادقين المصدَّقين) [١] ، وهذا هو ما فَطَّر قلوبهم ، فإذا لم يجدوا ما يؤيِّدون به الدعوى ، رجعوا إلى خطهم الأعرج الملتوي فقالوا إن هذا إلا إفك مبين ؟ فهل هناك فرق بينهم وبين كفار قريش ؟ اللهم لا [٢] .

ثم ينهي العقاد كلامه بهذه الكلمة النفيسة :

(ولا يخطر على البال أن الرق نظام مهجور في العصر الحديث ...فإن الواقع أن الرق على أصوله التي أنشأته عصور الهمجية باق إلى القرن العشرين ، وسيبقى بعدها ما بقيت الحروب [من] إجلاء سكان البلاد المغزوة من ديارهم ، إلى أمد أو إلى غير أمد . فالأسير اليوم هو الرقيق الأول بعينه) [٣] .

وهكذا طوف بنا العقاد ـ رحمه الله ـ حتى وصل بنا إلى نقطتين مهمتين :

أولاهما : أن الإسلام جاء وقد ترسخت أصول الرق في المجتمع فأصبح اقتلاعه دفعة واحدة من أعسر الأمور ، ولكنه جاء بأحكام تعتبر نصاً صريحاً (في عالم الروح يحسب للدين الإسلامي وحده بين سائر الأديان) [٤] لم تصل إليها الشرائع القانونية .

---

(١) حقائق الإسلام ، ص ٢٢٣ . وبالله ما احكم هذا الكلام لو لم يكن إلا هو ناقضاً لكذبهم لكفى فتأمله معي بارك الله فيك .

(٢) لقد أعاد العقاد الكلام نفسه في كتاب ما يقال عن الإسلام من ص ١٢٣ ـ ١٢٧ ، إلا أنه قال ص ١٢٤ أن أوربا لم تصل إلى مبادلة الأسرى إلا في العصور المتأخرة ، بينما سبقها إلى ذلك الإسلام ، ولا عجب فهو علم الله عز وجل . وفي الجملة فـ (الأمر في أسرى الكفرة من الرجال إلى الإمام يفعل ما هو الأحظ للإسلام والمسلمين) وهو قول الجمهور، انظر فتح الباري : ٦/١٥١ ـ ١٥٢ .

(٣) المرأة في القرآن ، ص ٩٨ ، وانظر منه ، ص ٧٥ ، ١٠٣ ، وانظر عن التمييز العنصري من نفس المصدر : ص ١٠١ ـ ١٠٣ ، وانظر : عبقرية محمد ﷺ ص١٣٠ ـ ١٣١ . وانظر : الفلسفة القرآنية ص ٨٩ ـ ٩٣ من المجلد الرابع موسوعة عباس العقاد الإسلامية ، وانظر : الديمقراطية في الإسلام ، ص ٩٨ . وانظر بلال بن رباح ، داعي السماء ، ص ٦١ ـ ٦٢ .

(٤) بلال بن رباح ، ص ٨٥ .

ثانيهما : أنه (لم تسلم أمة قط من إقرار نظام الرق) [1] فلماذا يعاب الإسلام وحده ؟ إنه الغرض والكذب ! نعم إنهم قوم بهت قد تعودوا على رؤية الشئ المعكوس .



(١) نفس المصدر ، ص ٨٢ .

الفصل الحادي عشر :

وتحته مطالب

المطلب الأول :

تمهيد بين يدي تعدد الزوجات .

المطلب الثاني :

حكايات تعدد الزوجات .

المطلب الثالث :

تعدد زوجات النبي ﷺ .

المطلب الأول :

تمهيد بين يدي تعدد الزوجات .

إن نظرة واحدة إلى حال الغرب تغنينا رداً ونقضاً لكل ما تلوكه ألسنتهم ، فهم أباحوا المرأة أن تكون (منديلاً) يمتخط به وينتَشفُ به ، أباحوا أن تكون عشيقة وصديقة ومتنفساً يقضي منها الرجل حاجته ثم يغادرها إلى أخرى ، لا رباط ولا وثاق ولا مسئولية ... إن السبب هو الحضارة الغربية حيث جعلت الناس ينسلخون (من الضوابط الخلقية الثابتة ، وألقت حبالهم على غاربها ، وجعلتهم عبيداً لأنفسهم غير مسئولين أمام أحد) [١] ، وكان عاقبة أمرهم أن عَفَتْهم من القيود ، فلذلك هم لا يطيقون المسئولية ، فرتعوا مع شهواتهم من شذوذ وبغاء واغتصاب للصغار والكبار والذكور والإناث [٢] ، أليسوا يعيشون هذا الواقع ؟ تفلُّتٌ من قيود ، يلهثون وراء الشهوات بجميع أصنافها ، فماذا كان ؟ لقد كانت الحرية المطلقة ، ولقد وصل علم الحياة إلى (أن تصميم الإنسان لا يسمح له بتحمل الحرية الكاملة ، وأن الشئ الذي يناسب الإنسان ليس الحرية بلا حدود ، بل « الترويض المنظم ») [٣]

وبعد هذا : هل تجمل منا الردود على شبهات قوم غاصوا إلى آذانهم في وحل الفواحش ما ظهر منها وما بطن ؟ إن الفواحش يرونها عملية « بيولوجية » * مثلها مثل العرق أو المخاط ، حتى أصبح من المستغرب أن تستقر عيناك على اثنين متعانقين ، نعم : لقد أصبحوا وأمسوا مع شهواتهم ، فهل مثل هؤلاء نقيم لهم وزناً أو نسمع لهم ؟ إنما يسمع لهم من ابتلى بهزيمة نفسية وفهم معكوس فأخذ يدافع دفاع

---

(١) الإسلام والمدنية الحديثة ، أبو الأعلى المودودي ، ص ٣٦ ، الدار السعودية ، جدة ، الطبعة التاسعة سنة ١٤٠٧هـ .

(٢) انظر وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، السنة الأولى سنة ١٤٠١هـ شعبان، العدد : ٥ د/ حسان محمد حسان .

(٣) الشريعة الإسلامية وتحديات العصر، وحيد الدين خان ، ص٢٢ ، دار النفائس ، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ ، بدون عدد طباعة .

* وظيفة جسم الإنسان .

الذليل المنهزم الذي خارت قواه الروحية ، ولو قام ونظر وتفكر في حال القوم لوجد أنهم هم الأولى بالدفاع عن واقعهم الذي أشبهوا به بهيمة الأنعام ، بل هم أضل ، إن القوم انتكست موازينهم ، فهل نصير مثلهم ونتطلب الدفاع عن الفطرة والأصل ؟ لقد خرجوا هم بأنفسهم عن الأصل ، فالأولى أن نردهم لا أن نسمع لهم ونقيم لهم وزناً ، .

ونخلص بعد هذا إلى الآتي :

١ ـ أن الإسلام ليس بدعاً في التعدد .

٢ ـ هل يلزم من التعدد مهانة المرأة ؟

٣ ـ أيهم ينبني عليه إهانة المرأة وهضم حقوقها أن تكون مسئولاً عنها أم أن تقضي حاجتك ثم تغادرها إلى أخرى .

٤ ـ لقد جاء الإسلام والتعدد ظاهرة اجتماعية ولكن قيده بالعدل والقوة على الباءة والنفقه .

٥ ـ إن واقع أوربا هو الواقع الذي يهضم فيه حقوق المرأة حيث أضحت من سقط المتاع .

٦ ـ هل منعهم لتعدد الزوجات جاء به دين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أم أنه قانون بشري وهوى متبع بغية التفلت من القيود ، والسعي وراء الشهوات والتنقل طلباً للتنوع شهوة لا غير .

٧ ـ الأمراض النفسية والعصبية والجسمانية ، أليست هذه كلها ترزح في بلاد أوربا ؟ بلى ولكن أكثرهم لا يعقلون .

وبعد : فهم أولى بأن يُطَهِّروا بيوتهم ويدافعوا عن حالهم ، وليس أهل الطهر والعفاف الحشمة والوقار [(١)]

---

(١) انظر شبهات في طريق المرأة المسلمة في العالم الإسلامي ، عبد الله الجلالي ، ص ١٠ ـ ٢٥ ، دار الصميعي ، الرياض ،الطبعة : الثانية ، سنة ١٤١٢هـ . وانظر : حقوق النساء في الإسلام ، محمد رشيد رضا ، تحقيق الشيخ الألباني ، ص ٦٠ ـ ٦٣ ، ص ١٤٧ ـ١٥٩ ، المكتب الإسلامي بيروت ـ دمشق ، بدون تاريخ ولا عدد طباعة . وانظر : سلسلة الرسائل المدنية رقم (٩ تعدد الزوجات وتحديد النسل ، الشيخ عطية بن محمد سالم ، ص٦١ ـ ٩٧، مكتبة دار التراث ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ . =

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

=. وانظر : تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن عبد الله بن حميد ، ص ٧٧ ـ ٨٤ ، حيث ذكر حفظه الله في طاعته ، ص٨٢ أن امرأة كندي رئيس أمريكا السابق اعترفت أنه كان لزوجها بين / ٢٠٠ إلى ٣٠٠ / صديقة ، مكتبة المنارة ، مكة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ .

ومن أعجب ما رأيت كتاب جدير بالاقتناء وهو « المرأة في شارع الحرية الخلفي » للأستاذ / محمد بن أحمد معبِّر . من منشورات دار جرش ، خميس مشيط ، سنة ١٤٠٩هـ ، بدون عدد طباعة .

المطلب الثاني :

حكايات تعدد الزوجات .

يبدأ العقاد ـ رحمه الله ـ كلامه عن مكانة المرأة قبل الإسلام فإذا بها (لا نصيب لها من مبادئ الحرية والإعتراف بالحقوق) [1] ويتكلم عن اليونان والرومان والهنود والحضارة المصرية حيث (انفردت بإكرام المرأة وتخويلها حقوقاً « شرعية » قريبة من حقوق الرجل) [2] ثم ذكر تاريخ المسيحية الوثنية وأنهم كان يتناقشون فيما بينهم عن جبلة المرأة ، هل هي روح أو جسد أم ماذا ؟ (وغلب على آرائهم أنها خلو من الروح الناجية ، ولا استثناء لإحدى بنات حواء ... غير السيدة العذراء أم المسيح) [3] ، ثم ذكر التوراة وعقَّب بتعقيب جميل ، أنه لا يتضح بطلان دعوى أن الإسلام أخذ من اليهودية (كما يتضح من المقابلة بين مركز المرأة في حقوقها الشرعية كما نَصَّت عليها كتب التوراة ، ومركز المرأة في حقوقها الشرعية التي قررها الإسلام بأحكام القرآن) [4] ، ثم ذكر في شريعة التوراة أن البنت تخرج من ميراث أبيها إذا كان له عقب من الذكور . وأن البنت التي لا ترث لا يجوز لها أن تتزوج من سبط آخر ، وهكذا يتبدي لنا أن ما جاء به الإسلام من حقوق مشروعة للمرأة (لم يسبق إليها في دستور شريعة أو دستور دين) [5] ثم تكلم عن المرأة في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام فإذا بها أسوء حالاً وأحط قيمة إلا عند نفر قليل ، فجاء الإسلام ورفعها من المهانة ، وفوق هذا رفع عنها لعنة الخطئية الأبدية ووصمة الجسد المرذول هذه الخطيئة التي توارثتها المسيحية الوثنية حتى القرن السادس عشر الميلادي [6] .

ثم ينتقل بنا إلى أن تعدد الزوجات كان معروفاً في الشرائع المدنية عامة قبل

---

(١) المرأة في القرآن ، ص ٤٩ ، مع تحفظي من كلماته هذه .

(٢) ص ٥٠ .

(٣) ص ٥٠ .

(٤) ص ٥١ .

(٥) ص ٥٣ .

(٦) ص ٥٣ ، ص ٧٤ .

الإسلام والشرائع الدينية ، فهذه اليهودية تبيح تعدد الزوجات بمشيئة الزوج حسب رغبته واقتداره ، فهذا داود وسليمان جمعا بين مئات الزوجات والإماء ، ولم يلحق بهما اللوم ، فلماذا ألحق اللوم بالإسلام وخص به ؟

وهذه المسيحية لم يرد في كتبها نص صريح بتحريم تعدد الزوجات ، بل إن المسيحي ـ حق المسيحي * ـ ينبغي أن تكون له عدة زوجات ، بل يرى (أن تعدد الزوجات نظام إلهي مقدس) [1] .

فمادام أن الحالة فماذا يضير الإسلام ؟ هل جاء بأمر كبَّار ؟ إن الغرب الوثني هو الذي فارق دين عيسى عليه الصلاة والسلام ، حيث علم تاريخاً (أن المسيح لم ينشئ الكنيسة ولم يُرِدْها) [2] ، بل هم الذين أتوا بتعاليم لم توجد قط في تعاليم عيسى [3] حتى تعاليم « الخلاص » أمر ظهر بعد عيسى ، حيث عاش كثير من الأتباع على أمل أن يرجع عيسى مخلصاً لهم من هذه الحياة ، فعاشوا سنين عديدة ولم يَعُدْ عيسى ، لكن فكرة الخلاص ترسمت في قلوبهم [4] ، إذن هي تعاليم (مختلفة نبعت قبل كل شئ من رصيدهم الفكري والروحي ، متمشية مع عواطفهم ونزعاتهم) [5] ، فإذا كانوا قد فارقوا دينهم واتبعوا أهواءهم فهل لهم علينا من سبيل ؟

إذن فحكايات المستشرقين (من الأوهام الشائعة بحكم العادة أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي أباح تعدد الزوجات بين الأديان الكتابية ، وهذا وهم قد سرى إلى الأخلاد بحكم العادة) [6] ثم أخذ ـ العقاد ـ يقرر حكمة الإسلام في التعدد بأنها :

إما مرض عضال تصاب به الزوجة ، وإما امرأة قريبة للزوج لا يأويها غيره ، فهو أحسن من الغريب ، وإما كثرة النساء وقلة الرجال ، فهل يتركن للفساد وأن يعرضن

---

* هكذا في ص ٧٥ حيث نقلها عن « وسترمارك » .

(١) المرأة في القرآن ، ص ٧٥ ، وانظر قبلها ٧٢ ، ٧٤ .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ، مصدر سابق ، ص ١٦٦ .

(٣) انظر منه ، ص ١٦٧ .

(٤) منه ، ص ١٦٩ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(٦) الفلسفة القرآنية ، ص ٦٢ ، وانظر المرأة في القرآن ، ص ٦٢ ، ٦٩ .

شرفهن للمهانة . ثم ينتهي بقوله (والواقع أن التشريع الذي يحرم تعدد الزوجات لا يحد من حرية الرجل) [١] ، وقد علم أن مقاصد الشرع (تفرض لأحوال الضرورة كما تفرض لأحوال الإختيار) [٢] فلا يدع الأعراض نهبة للطامعين فيها ، فحفظ للمرأة كرامتها رغم أنف من ينقد الإسلام بفهم معكوس مريض ، إنه يريد أن نتبع الشهوات ونميل ميلاً عظيماً ، وإلا قد علم عقلاً أن صون كرامة البنت وحفظ حريتها أولى من أن تكون كل يوم في حضن رجل ، فالاختصاص مطلب شرعي ، والتوحّدُ مثمرة أوراقه معروفة أصوله وفروعه ، أما هذا الذي يريدونه ، فلا ندري لمن ننسب الولد إن حملت هذه من سفاح [٣] ، ؟

ثم يجري المقارنة بين الأسس القرآنية وأسس معاملة المرأة في الحضارة الحديثة ، فإذا بالأخيرة ينتج منها الفوضى والضياع إنهم يريدون أن يهدموا المجتمع ، ويثيروا المرأة على قداسة البيت وحصانة الأسرة ، مما يكون سبباً في تشرذم المجتمع وكثرة أولاد البغايا ، فمن يرعاهم ؟ ومن يشرف على توجيههم ؟ إنهم أداة هدم يوماً من الأيام ، وهذه حال أوربا تشهد بذلك ، أما الإسلام فهو يريد أن يقيم مجتمعاً متماسكاً ، حيث أعطى المرأة وظيفتها الخالدة في رعاية الكرائم ورعاية أمل الأمة * ، فهذه (وظيفتها التي يصلح عليها البيت والمجتمع ، ما استقام نظام البيت ونظام المجتمع) [٤] .

وأخيراً فوضى الحرية والديمقراطية آخر المراحل التي وصلت المرأة إليها ، حيث

---

(١) المرأة في القرآن ، ص ٧١ ، وانظر قبلها ص ٧٠ ، وانظر ص ٧٢ ، وانظر عائشة ، الصديقة بنت الصديق ، ص ٨٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٧٦ - ٨٠ .

* الكرائم : البنات ، وأمل الأمة : الشباب .

(٤) المرأة في القرآن ، ص ١٠٦ ، وانظر الكلمات الأخيرة للعقاد ، ص ١١٤ ، وانظر عن منزلة المرأة في مطلع العصر الحديث ، ص ١٠٩ من : المرأة في القرآن حيث لم تبرح منزلة لا تفضل ما كانت عليه في الجاهلية ، بل قد تفضلها المرأة في الجاهلية ، وذكر بيعها في أسواق إنجلترا بشلنين سنة (١٧٩٠م) ...

أصبحت العشيقة والصديقة* ومباءة كل من جاء « ولغ » فيها ، فهذا أقصى ما يريدونه من التقدم والحضارة [١] .

ثم ينتهي المطاف إلى معاشرة الخليلات ، فأيهم أولى بالتقدم والحضارة من يحمل الإنسان المسئولية أم من يجعله حراً طليقاً من القيود ، كل يوم مع بائعات الهوى ؟ أهذا مبلغ علم أوربا ، إن أوربا عفت أبناءها وبناتها من القيود ، فماذا نرى اليوم ؟ نرى معاشرة (الخليلات ، وهن أقدر على التبديد والإفساد) [٢] ثم يختم كلامه بهذه الكلمات التي بلغت نفاستها قاموس البحر يقول : (إن تعدد الزوجات لخير من البغاء المكشوف ، فقد قبلت المرأة الأوربية مشاركة الخليلات المعترف بهن ، وقبلت مشاركتهن في الخفاء ، وأصبحت هذه المشاركة نظاماً إجتماعياً مقرراً لا معنى - بعد قبوله وتقريره - للاعتراض على تعدد الزوجات الشرعيات ، فهو على الأقل أصون للآداب ، وأكرم للنسل ، وأجمل بمنزلة المرأة من مهانة الإبتذال ، وأصلح للاعتراف به في علاقات المجتمع وقوانين الأخلاق) [٣] ثم يقول رحمه الله : إن هذا هو حكم الإسلام (حكم قائم على الواقع الذي لا يتغير اليوم ولم يتغير قط ، ولن يتغير في الغد مهما تتغير أحكام الشرائع وأقاويل أصحاب الأقوال والآراء . وكل حكم قائم على إنكار الواقع أو المغالطة فيه فهو جهالة تنكشف لا محالة في يوم من الأيام ، وإن لم تنكشف كانت كالداء المكتوم أوبل ما يكون وهو مجهول) [٤] ، وقد علم عادة وعرفاً أن الباطل

---

*يعدون الخليلات بعيداً عن المسئوليه ويرونه تقدماً ، ويستغربون تعدد الزوجات ويرونه همجية وتأخراً .

(١) انظر المرأة في القرآن ، ص ١١٠ ، ص ١٣٤ . وانظر : الفلسفة القرآنية ، ص ٥٧ ، حيث ذكر أن المرأة إذا زاحمت الرجال في المصانع فهو إيذان باختلال الموازين مما ينتج منه اختلال نظام الأسرة والبيت ، وانظر منه ، ص ٦١ ، وانظر مثله في : الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٢) عبقرية محمد ﷺ ، ص ١١٥ ، وهي كلمة عالية ونفيسة ، لا شك أنهن بائعات التبديد والفساد .

(٣) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٥٠ .

(٤) الصديقة بنت الصديق ، ص ٨٣ .

لا تقوم له قائمة ، لأنه يضع المذاهب والآراء ثم يقسر الحقيقة على موافقتها ، فأولى للناس أن يرجعوا إلى الفطرة ، وحينها (سلام في العالم الصغير ـ عالم البيت والأسرة ـ وسلام في العالم الكبير) [1] .



(١) المرأة في القرآن ، ص ١٣٧ ، وانظر المصدر السابق ، ص ٨٤ .

المطلب الثالث :

تعدد زوجات النبي ﷺ .

« إن المفسد متى لم ينقطع شره إلا بالقتل فأنه يقتل »[1] ، إن هؤلاء مفسدون ، وقد استفاض عنهم الفسوق والآثام والعصيان واستحلاله ، فهؤلاء لا يمكن الرد عليهم إلا بالسيف ، لتعريضهم بحق النبي ﷺ[2]

وعندها أكتفي بقول العقاد - رحمه الله - (إن الرجل [ﷺ] الذي توهموه * ذلك التوهم لم يكن مجهولاً قبل زواجه ولا بعد زواجه فتخبط فيه الظنون ذلك الخبط الذريع . فمحمد [ﷺ] كان معروف الشباب قبل قيامه بالدعوة ... كأشهر ما يعرف فتى من قريش وأهل مكة . كان معروفاً من صباه إلى كهولته فلم يعرف عنه أنه استسلم للذات الحس في ريعان صباه ، ولم يسمع عنه أنه لها كما يلهو الفتيان حين كانت الجاهلية تبيح ما لا يباح ... بل عرف بالطهر والأمانة واشتهر بالجد والرصانه . وقام بالدعوة بعدها لم يقل أحد من شانئيه والناعين عليه والمنقبين وراءه عن أهون الهنَّات : تعالوا يا قوم فانظروا هذا الفتى الذي كان من شأنه مع النساء كيت وكيت يدعوكم إلى الطهارة والعفة ونبذ الشهوات . كلا ... لم يقل أحد هذا قط من شانئيه وهم عديد لا يحصى ، ولو كان لقوله موضع لجرى على لسان ألف قائل)[3] إن هؤلاء انقادوا لشهواتهم فهي تقودهم لا يقودونها ، ومن كان كذلك فهل له أن يرمي بآثامه غيره ، ولا سيما معدن الطهر والتطهير سيد ولد آدم ﷺ ، وما قادهم إلى ذلك إلا تفلتهم من

---

(١) مجموع الفتاوى : ٣٤٦/٢٨ .

(٢) الواقع أني أقدم رجلاً وأؤخر أخرى عند ذكر السيد المبارك النبي ﷺ ، ولا أدري ماذا أقول ، ولقد شعرت بالحرج يملأ عليَّ كل ذرة من ذرات جسمي أن أجعل عرض رسول الله ﷺ مساومة بيننا وبن هؤلاء (المعربدين)الزناة ، الذين يصبحون ويمسون على الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

* قالوا عنه « رجل غلبته لذات حسه » ص ١٠٧ عبقرية محمد ﷺ .

(٣) عبقرية محمد ﷺ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، وانظر منه : ١٠٤ - ١٠٨ - ١١٣ . وانظر : المرأة في القرآن : ص ٨٥ - ٨٨ ، وانظر : الإسلام دعوة عالمية ، ص ١١٥ .

القيود وركبوا الحرية في نقد كل شئ ، وقد علم قطعاً أن الحرية المطلقة فوضى واضطراب ، بل هي قريبة من الموت ، فليس لهم إلا ما يخزيهم في الدنيا والاخرة ، لكن أين الأمة التي تقيم ذلك ؟ فهم قوم عبث وفي عبث ، ومن كان هذا حاله فمن أين تأتيه المهابة ، وهل يستحقها ، كلا ولا كرامة [(١)] .

ثم يذكر العقاد ـ رحمه الله ـ أن غاية ما يرمون إليه من وراء رميه ﷺ بغلبة لذائذ الحس له هو : (التشكيك في دعوته المباركة ودينه القويم) [(٢)] ثم يخلص العقاد إلى الآتي :

١ ـ أن للإسلام خصوماً محترفين وخصوماً ينكرونه على قدر جهلهم به وبسيرته ﷺ ، ثم يفسر هاتين الطائفتين بأن خصومه المحترفين هم (جماعة المبشرين الذين اتخذوا القدح في الإسلام صناعة يتفرغون لها ويعيشون منها) [(٣)] ، وأما خصومه (من غير زمرة المبشرين فأكثرهم يخاصمونه على السماع ولا يعنيهم أن يبحثوه) [(٤)] ، فهؤلاء يوجه إليهم السؤال : هل رجعتم إلى مصادر الإسلام أم أنكم تلقفتم ما سمعتم، فأين عقولكم ؟ وسواء هؤلاء وأولئك المبشرون جميعاً أصلهم : سماع الإشاعات .

٢ ـ إن جلاء الحقيقة في هذا الأمر (أهون شئ على المسلم العارف بدينه المطلع على سيرة نبيه) [(٥)] .

٣ ـ إن المتأمل في زواج النبي ﷺ يجد أنه (حجة لا حجة مثلها في الدلالة على صدق دعوته وإيمانه برسالته وإخلاصه لها في سره كأخلاصه لها في علانيتة) [(٦)] .

٤ ـ أن المبشرين كانت لهم مهاراتهم الرخيصة في ترويج زواج النبي ﷺ على الذين يسهل عندهم شيوعها وسهولة تقبلها ، حيث كانوا يزيفون قصصاً محرفة عن

---

(١) الكلمات الأخيرة للعقاد ، ص ١٥ ، ص ٤٧ ، ص ١٠٣ .

(٢) حقائق الإسلام ، ص١٨٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٨٩ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٨٩ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٩٠ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١٩٧ .

النبي ﷺ [(١)] .

٥ ـ لو نظرنا وبحثنا (عن بواعث الزواج النبوي كلها لم نجد بينها غير باعثين اثنين كان لهما الأثر الأول والأخير في إختياره عليه السلام لكل زوجة من زوجاته : وهما مصلحة الدعوة والمروءة العالية) [(٢)]

ثم يختم العقاد بهذا التعقيب النفيس : (وعلم الله ما كانت براءة محمد [ﷺ] من فريتهم مرتهنة بجلاء الحقيقة في مسألة الزواج والزوجات .فأن أحداً يفقه ما يتفوه به لا يسيغ أن يقول إن عملاً كالذي قام به محمد [ﷺ] يضطلع به رجل غارق في لذات الحس مشغول بشهوات الجسد . ولئن كان كذلك ثم استطاع أن يتم دعوته في حياته وأن يبقيها تامة قوية لخلفائه ليكونن إذن آية الآيات على تكوين من الخلق لا يدانيه تكوين . ولسنا نعتقد أن ديناً رفيعاً يسول للمتدين به أن يفتري الأباطيل على خلق الله ، وأقبح من ذلك في شرع الدين الرفيع أن يكون الافتراء على الناس سبيلاً إلى التبشير بكلمات الله .

ولكن المبشرين المحترفين لا يدينون بالله ولا بالناس ، وإنما يدينون بعبادة الجسد الذي ينكرونه ذلك الإنكار ويؤمنون به في أعمالهم وأقوالهم أخس الإيمان) [(٣)] .

ولقد صدق رحمه الله ـ هذا حال المبشرين إنهم يعبدون الجسد فهم يبيتون ويصبحون على الاثام .

وبعد : إن جلاء الحقيقة في هذا الأمر ، واضح حاله ، بَيِّنٌ طريقهُ ، حقيقة سرت مع الليل وأصبحت مع النهار (تَلَمَّسُهِا الحواس وتستيقنها النفوس) [(٤)] ومع ذلك أبى

---

(١) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٦٩ .

(٢) حياة قلم ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٣) حقائق الإسلام ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ وهي كلمات عالية نفيسة ولا سيما عن المبشرين الذين يعبدون الجسـد ، ولكن هنا كلمتين لم أتبينهما وهما قوله « ولئن كان كذلك » وقوله « بالله ولا بالناس » فلعل الأولى من باب التنزل للخصم ، والثانية أنهم لا يوقرون الله ولا الناس والله حسبنا ونعم الوكيل .

(٤) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحي بن محمد بن حسن زمزمي ، ص ٤١٧ .

هؤلاء إلا لدداً ومكابرة للحق ، ومعارضة له ، بغير سبب إلا أنه خالف معتقدهم وهواهم ، فما وسعهم إلا أن لجوا في عتوٍّ ونفور (دون تدبر للحقائق ، أو عدل في النظر والتفكير) [(١)] ، وقد علم من حال هذا أن من لا يقين عنده في نفسه ، فلا يقين لأخباره وأحكامه ، فإن وجدت فـ (إنما توجد في الأذهان لا في الأعيان) [(٢)] .



---

(١) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحي بن محمد بن حسن زمزمي ، ص ٤١٧ .

(٢) الرد على المنطقيين ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٤٤٥ ، وانظر قبلها ص ٣١٢ ، نشر : إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٢هـ

الفصل الثاني عشر :

وتحته مطلبان

المطلب الأول :

تمهيد بين يدي شبهاتهم على الحدود والمعاملات .

المطلب الثاني :

حكايات حول الحدود والمعاملات .

المطلب الأول :

تمهيد بين يدي شبهاتهم على الحدود والمعاملات ويتلخص في الآتي :

١ - إن الباحث ليربأ بنفسه أن يلتمس حكمة تشريع الحدود وتحريم الربا وجميع الجهالات والغرر والغبن ، لأن ظهور حكمتها نهار لا يحتاج دليلاً ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ما تواتر في أسماع العقلاء وأبصارهم ومخالطتهم للغرب الكافر ، حيث يسمعون ويرون الفوضى والاضطراب والحياة الهمجية التي تعيشها بلاد الغرب ، كل هذا يغنينا عن تلمس الحكم بغية إقناع قوم اتبعوا أهواءهم فضلوا وأضلوا ، وودوا لو نكون مثلهم ، فقد زعموا أنهم اختاروا الحرية المطلقة عن تفكير وبصيرة ، والواقع يشهد عليهم أنهم ما وصلوا إلى هذه الحرية إلا بعد سيلان الدم وتقطيع الأشلاء وعيش تحت القهر والكبت ، فتوالى كبتهم وتوالى حتى ثار دفعة واحدة إلى غير هدى ، فعادوا إلى حمأة آسنة ظهرت آثارها أمراضاً فتكت في أجسامهم وعقولهم وقلوبهم فتكاً يصعب معه أن تبقى هذه الحضارة على ما هي عليه ، وإن العاقل ليرى بنور سنن الله أن بشائر سقوطها بين عشية وضحاها ، وإن غداً لناظره قريب .

٢ - هل ما هم عليه الآن من إباحة الزنا واللواط وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والربا وجميع ما حرم الله لهم به إذن من رسلهم إن كانوا يؤمنون بهم ؟ إن هذا السؤال يجيب عليه سؤال آخر وهو : هل يمكن لعاقل يقدر عقله أن يصدق أن رسل الله الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل يبيحون هذا ؟ اللهم لا . إذن لقد علم تاريخاً (أن المسيحية في مقتبل القرن الثاني ... قد ابتعدت كثيراً عن الأفكار التي جاء بها عيسى والحورايون) [1] ، حيث ترتب على هذا أنْ تَشَرَّبَتْ العقائد والشعائر الوثنية في بطء بطئ ، مما نتج منه عقيدة وشريعة تخالف عقيدة وشريعة عيسى ابن مريم [2] ، ففارقوا دينهم مدعين أن عيسى أذن لهم بأن يعطوا ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر ، بل

---

(١) شارل جينيبير ، مصدر سابق ، ص ١٤٨ .

(٢) انظر نفس المصدر ، ص ١٥٤ .

(زعموا أن ما شرعه أكابرهم من الدين فأن المسيح يمضيه لهم) [١] . (وإذا ما قلنا إن المسيح صَرَّح للحواريين الإثني عشر بسلطة ما - وهذا محل جدل حتى اليوم - فمما لا شك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتي هو من سلطان في التبشير بالتوبة وبحلول مملكة الله) [٢] ، وهذه الكلمة - دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله - فضلاً عن عدم صحتها * ، إلا أنها تركت زمام أمورها إلى توجيهات العابثين التي لا تسلك خطاً تنظيمياً محدوداً معروفاً ثابتاً ، بل تتقلب مع الأهواء النفسية مما ينتج منه (فوضى داخلية) [٣] ، فكان حاصل أمرها وعاقبتها نشوء العلمانية التي تدعو إلى أن يفعل الإنسان ما يشاء ، وأن يذهب حيث شاء ، وأن يمر من حيث شاء ، لا قيد ولا رقيب ، وهذه الفوضى العقلية والجسمية يتلهى بها « الغوغاء » من الشعوب ، مما يكون سبباً في أخذ راحة السادة في إصدار التشريعات التي تُسيِّر هذا القطيع الذي انطلق مع شهواته ، فليصيحوا وليندِدوا أما السلطه التشريعه فهي بايدي من يوردونهم أرسالاً يتصرفون فيهم كيف يشاؤون ، فيضحكون عليهم برمي فتات من دعاوى الحرية التي يزعمونها ، وما يدري هؤلاء الناعقون أنهم مطايا يمتطيها السادة وهم لاهون ساهون سامدون ويحسبون أنهم على شئ . ومن هنا نعلم سر قذف الغرب لحدود الإسلام ومعاملاته فاجتمع القطيع والسادة على حربه ، لأن السادة يوهمون القطيع بهذه الدعاوى التي صادفت نفوساً مفتوحة للشهوات فرددوا مع سادتهم أن الإسلام دين الوحشية والهمجية ، وكلاهما جعلا (من القوانين الرخيصة مثلاً أعلى ، ومن الحياة الغربية شأناً وأي شأن) [٤] ، فلما غاصوا إلى آذانهم في وحل الشهوات لم يطيقوا الطهر والتطهير ، فجاؤوا بما جاؤوا به من الافتراء الكاذب ، ومع ذلك سمع لهم من

---

(١) الجواب الصحيح : ١/ ٣٤٠ .

(٢) شارل جينيبير ، ص ١٦٧ .

* لأنه من المحال أن يترك نبي من أولي العزم التشريع لأهل السفاهة ومن في قلوبهم أهواء وأدواء وشهوات .

(٣) شارل جينيبير ، ص ١٦٩ .

(٤) دراسات إسلامية ونقد كتاب ثورة الإسلام لمؤلفه د / أحمد زكي أبو شادي ، بقلم محمد حسن بن سعيد بنجر، ص١١ ، مطابع الأصفهاني ، جدة ، بدون عدد وتاريخ الطباعة.

سمع من أبناء الإسلام فصدقوا أنه لا يصلح لهذا الزمان ، ولو أن هؤلاء السذج من أبناء المسلمين عادوا إلى تاريخ أوربا ، لوجدوا أن حريتهم المطلقة كانت ردة فعل للكنيسة التي ادعت (أنها القمة العليا المنزهة عن الخطأ في كل ما تقدمه) [(١)] ، ولعلموا أن الكنيسة تعليمات بشرية يعروها ما يعرو البشر من الجهل والظلم ، ولكنهم ركبوا رؤوسهم واستيقنوا أن كل ما يأتي من الغرب لا يناقش ، فوقعوا في مثل ما وقع فيه سادتهم أيام الكنيسة حيث كانوا يعتقدون ولا يناقشون ، لأنه لا يظهر من الكنيسة خطأ ، فمن هنا ضاهوهم في الحال والكلام مما كان سبباً في ظهور كلمات نسمعها من أبناء جلدتنا وممن يتكلمون بلساننا ، فولغوا في المعاصي والشهوات وقالوا هذا ما نريد فكان ما نرى من الضعة والهوان على الله وعلى أبناء الصليب ، ولله در شيخ الإسلام النميري حين قال (إن المعاصي سبب لنقص الرزق والخوف من العدو ، كما يدل عليه الكتاب والسنة ، فإذا أقيمت الحدود ظهرت طاعة الله ، ونقصت معصية الله تعالى ، فحصل الرزق والنصر) [(٢)] والله الموعد * .



---

(١) شارل جنيبير ، ص ١٦٨ .

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ص ٧٧ .

* من أراد أن يرجع لحكم الحدود فعليه بكتاب (أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع » د/ محمد بن حسين الذهبي ، رحمه الله ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ ، دار الإعتصام ، القاهرة .

المطلب الثاني :

حكايات حول الحدود والمعاملات .

يلخص العقاد ـ رحمه الله ـ بأنهم ـ أعداء الدين ـ رددوا أشدَّ الشبهات على : معاملات الشركات والمصارف ، ومعاملات الجزاء والعقاب في القوانين فـ (**تتلخص شبهة المعاملات الإقتصادية في مسألة واحدة وهي الربا ، الذي يقول الناقدون إنه قوام المصارف والشركات . وتتلخص شبهة القضاء والجزاء في حدود السرقة والزنا والخمر**) [1]

وقد زعموا (أنها علة تأخر المسلمين وعجزهم عن الأخذ بأسباب الحضارة ومجاراة الأمم في ميادين الأعمال الاقتصادية والشرائع العملية) [2] .

يبدأ العقاد ـ رحمه الله ـ مناقشته ببيان الحدود . بأنها سميت حدوداً (تنبيهاً إلى حقائق الجزاء والعقاب في الإسلام ، فأنها « حدود » بينة واضحة تقوم حيث قامت أركانها ومقاصدها وتحققت حكمتها وموجباتها . وإلا فهي حدود لا يقربها حاكم ولا محكوم إلا حاقت به لعنة الله) [3] ، ثم يبين مكانتها بأنها (الحق الذي يتساوى فيه أبناء آدم وحواء) [4] وهذا مدخل مهم حيث يلقي في النفوس بأن دعوى القوانين (الكل تحت القانون) دعوى نظرية فقط حيث تختص الطبقة العليا من الدخول تحته كما نشاهده ونسمعه من عبث الديمقراطية في بلاد المسلمين وغيرهم .

ثم يبين العقاد موقف الغرب من الإسلام حيث ذكر أن صدورهم ضاقت حيث (تعودت أن تسمع من جانب واحد ، وتتجه إلى وجهة واحدة) [5] وهذه ملاحظة جديرة

---

(١) حقائق الإسلام ، ص ١٢٣ ، ، وانظر ، ص ١١٦ .

(٢) حقائق الإسلام ، ص ١١٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٢٢ . و(حاقت به لعنة الله) يمكن أن تفهم أنَّ من قربها استحق العذاب أي من ارتكبها ، ويمكن أن تفهم بأن من غيَّرها استحق لعنة الله ومقته ، والله أعلم.

(٤) نفس المصدر ، ص ١٥٤ .

(٥) أفيون الشعوب ص ٦٢ .

بالعناية ، فأن الصدور لا تضيق إلا بذلك ، فمن ثم أصدروا أحكامهم « غيابياً » فلهذا وصفوه بالرجعية والتأخر وعدم التقدمية ، فما دام أمره كذلك ، فالعقاد يتساءل: لماذا (حاربوه بكل وسيلة من وسائلهم الظاهرة والخفية) [١] ويجيب العقاد - رحمه الله - بأنهم فعلوا ذلك لإستيقانهم بعد بحوث طوال وخبرات ميدانية عن الإسلام بأنه (نظام إجتماعي وآداب معيشية في وقت واحد ، وله مبادئ فكرية كالمبادئ التي يسمعونها في العصر الحاضر بالايديولوجي .... تقوم عليها الآداب والعلاقات كما تقوم عليها عقائد الدين ووجهات النظر إلى أصول الحياة ، [فـ] يجد * فيها عقبات في وجه السيادة الأجنبية وعقبات أخرى في وجه العقائد والآداب التي يفرضها على [المسلمين] مخالفة للدين ، ويحاول أن يلغي مبادئـ[هم] الفكرية والخلقية بمبادئ أخرى تناقضها وتهدمها ولا تبقي بقية منها صالحة لمقاومة أو متشبثة بكيان) [٢] ، فالعقاد - رحمه الله - يوجهنا إلى هذه الملاحظة المهمة وهي أن الغرب يخاف كثيراً كثيراً على مصالحه ، من الإسلام ، فهو المنافس الوحيد الذي ينافسه ويزيد عليه بعقائده وشرائعه التي تجمع بين الروح والجسد والدنيا والآخرة .

إذن وضح لدينا أن الدعوى ليست مبنية على علم ، إنما هي مبنية على إشاعة ، وما فعلوا ذلك إلا خوفاً من المنافس الذي إن نزل الواقع دمَّر عقائدهم وآدابهم وتشريعاتهم ، فمن يحمل همَّ الإسلام ** ؟ وهنا نخرج بِلفْتَةٍ مهمة وهي أن القضية قضية (حرب حياة أو موت ، وقد عاش الإسلام وماتت عداوات كثيرة ناصبته الحرب منذ مئات السنين) [٢] وسيعيش الإسلام والغرب وأهله سيكونون في خبر كان ، ولن نسمع لهم ركزاً .

وذلك أنهم ركبوا في هذه الحرب عدة سلبية بنوها على ظن واهٍ وهو : أن الشبهات المادية زلزلت الإسلام من داخله وفتحت بين أهله ثغرة ينفذ منها المهاجم وإن ضعف وضعفت معه حجته وبيناته ، ولا سيما أن سلطان الدين قد ضعف في النفوس ، وشتت

---

(١) نفس المصدر ، ص ٦٥ .

* أي الغرب الكافر يجد في عقائد الإسلام وآدابه عقبات ...

(٢) أفيون الشعوب ، ص ٦٨ .

** استفدته من شريط « من يحمل همَّ الإسلام » للشيخ سلمان بن فهد العودة .

المسلمون ومزقت وحدتهم التي تجمعهم في البلاد ، وهدمت معالم دينهم في بلادهم ، فنظراً لهذا كله ظنوا أنهم بمجرد إشاعاتهم هذه سينقضون الإسلام من أسه وأساسه ، ولكن الحق أنه (إذا انكشفت هذه الرغوة عن زبدتها وعرضت قوى الإسلام وقوى خصومه عرضاً يناسب هذا العصر الحديث ، فالذي يتقدم هو الإسلام ، والذي يرتد ويذعن للحقيقة هو الخصم المستعد للإنصاف)[١] ، ويمضي بنا العقاد ـ رحمه الله ـ إلى زيادة البراهين على أن القضية قضية منافسة لا غير ، وميدان المنافسة ما يقدمه الإسلام والمسيحية للواقع الذي يعيشه الإنسان حيث إن المسيحية لا تعرض على الإنسان (حلاً من الحلول التي تقبل التطبيق في الحياة الدنيا بين وحدة عالمية من جميع العناصر والأقوام)[٢]، ثم يشرح العقاد ويوضح هذا بالنظر إلى النظامين : الرأسمالي والشيوعي ، حيث أن الأول خلاصته (حصر رؤوس الأموال في يَدِ فردٍ واحد أو جملة أفراد ، [بينما] الشيوعية تحصر رؤوس الأموال في يد واحدة وهي يد الدولة ... وهي نهاية شر على الإنسان .... لأن الدولة تصول بالقوة التي لا تقاوم ولا يملكها الأغنياء بالغاً ما بلغ نصيبهم من الثراء . وقصارى الأمر إذا اجتمعت الأموال في أيدي الحكومة أن يصبح الحكام عصبة مستغلة تحل مع الزمان محل الشركات والمصارف الكبرى ، وتصول على الناس بقوة لا تملكها تلك المنشآت)[٣] فضلاً عن أن هذه المعاملات والنظم تسلخ الإنسان من إنسانيته وتصيره آلة مجردة من الحياة مستغرقاً في شئون معاشه يعبد الدرهم والدينار ، حياته هي الفلوس وموته هو الفلوس ، يوالي ويعادي من أجلها ، وليس له وراء ذلك مثقال حبة خردل من خلق أو يقين ، بينما (الإسلام يحول بين الإنسان وبين الإستغراق في شئون المعاش ومطالب الأجساد ، لأنه ينادية إلى حضرة الله * العلي الأعلى خمس مرات في الليل والنهار ، فلا تطغى عليه النزعات المادية وهو يتردد بين عالم الروح وعالم الجسد من الصباح

---

(١) حقائق الإسلام ، ص ٢٩٨ ، وانظر : أفيون الشعوب ، ص ٦٥ .مع تحفظي من :« يناسب هذا العصر الحديث»

(٢) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٤٨ .

(٣) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٤٩ . وهو كلام نفيس كما ترى .

* مقامه سبحانه .

الباكر إلى أن يضمه النوم بين جناحيه) [١] ،إذن الأمر لا يحتاج إلى تعليق ، وهو أن هذه الأنظمة تقتل الروح قبل أن تقتل الجسد ، وتقتل الفرد قبل أن تقتل الجماعة مما نهايتها (تخبط واضطراب) * وآخر مطافها (تدميرالإنسان) * إذن فمن الذي يصادم الواقع الروحي والجسدي والفطري ويخالف المعقول ، معاملات الغرب أم معاملات الدين الإلهي ؟ ومن الذي يوجد في نظامه (معونة الضعفاء والمحرومين والعاجزين) [٢] ؟ وهو ـ رحمه الله ـ يلفتنا إلى لفتة عجيبة قَلَّما ينتبه لها الإنسان وهو يقارن بين معاملات الغرب ومعاملات الإسلام ، ذلكم هو الحق المفروض في معاملات الإسلام ، ألا وهو الزكاة ، فهل يوجد في معاملات أوربا نصيب مفروض للضعفاء والمحرومين والعاجزين [٣] ؟ اللهم لا . إنهم يفضلون الكلاب والقطط والحيوانات على بني الإنسان ، وهاهي حياتهم تفسخت فيها العلاقات الأسرية ، فلا رحمة ولا عطف ولا حنان ، فهل تصلح هذه الأنظمة للواقع ؟ كلا ولا كرامة . إذن فمن يصلح له ؟ إنه الإسلام ، دين الوسطية بين الإفراط والتفريط ، و بين الشيوعية والرأسمالية ، إن الإسلام يحرم على تابعه (الربا الذي يتيح لأصحاب رؤوس الأموال أن يستغلوا جهود العاملين بغير جهد مفيد ... ويطلق السبيل للمنافسة المشروعة ، فلا يقتل في النفوس دواعي السعي والتحصيل ، [فـ] قواعده الخلقية صالحة لإنشاء الوحدة العالمية ، لأنه يسوي بين الأجناس ، ولا يرى للأبيض على الأسود فضلاً بغير التقوى ... ومن هنا يتقرر المستقبل في العالم الحديث لمبادئ الإسلام ، لأنه يقود العالم كله إلى الخلاص بعد فشل رأس المال ، وفشل الشيوعية ، وقصور العقائد الروحية الأخرى عن تدراك أحوال المعاش وتدبير الحلول للجماعات الإنسانية في مشكلات الإجتماع والإقتصاد ، وما يتفرع عليها من مشكلات الأخلاق والآداب) [٤] وبهذا يتبين لنا كذب هذه الصيحة التي تنعي على الإسلام أنه دين جمود وتأخر لتحريمه قروض الربا ، لماذا ؟ لأنه (لم

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

* هذان عنوان فصلين من كتاب الأستاذسيد قطب رحمه الله «الإسلام ومشكلات الحضارة».

(٢) الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ١٢٥ .

(٣) انظر : الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٤٩ .

(٤) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٤٩ .

يمض جيل على هذه الصيحة حتى سمعنا أصحاب قوانين أخرى يصيحون بأن رأس المال كله نكبة على الإنسانية وعائق من عوائق الحرية الكريمة والعمل النافع) [١] (ولكن الإسلام يقيم المجتمع على نظامه ويقرر الحقوق والواجبات بقسطاسه ، ويحيط بشئون الدين والدنيا في حياة الآحاد وحياة الجماعات ، ويتقبل البناء الجديد على قواعد أساسه الخالد دون أن يضطر المسلم إلى إنكار قاعدة من قواعد العبادات فيه والمعاملات) [٢] فعندها شعر الغرب بحرجه البالغ الشديد أمام تعاليم الإسلام في العبادات والمعاملات ، ووجد أنه هو المهيمن وأن التحاكم إليه فطرةٌ وعقلٌ وعادةٌ وشرعٌ ، فما وجدوا شيئاً يقذفونه به إلا أن قالوا وبئس ما قالوا (إنه يعوق أعمال المصارف والشركات ومرافق التثمير والتعمير بما حرمه من الربا في تثمير القروض) [٣] ، فهل هذا صحيح ؟ إن المتأمل في معاملات الإسلام يقضي (أن هذا النقد ليس بصحيح ،لأن الإسلام لم يحرم قط عملاً من أعمال التثمير يخلو من الإضرار بمن يحتاجون القروض ويبرأ من أكل أموال الناس بالباطل في غير عمل مباح ، ولكن هذا النقد على أية حال ينقضي بصوابه وخطئه ، ولاتنقضي رسالة الدين على إطلاقها) [٤] إنه نقد جاء سخيفاً رخيصاً وخيماً ، كيف ذلك ؟ الجواب : إن الغرب بين حالين لا ثالث لهما ، إما جاهلون جهلاً مطبقاً على عقولهم بالإسلام وتعاليمه ، وإما أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم نتيجة دراسات وتقريرات كان يقوم بها جنود (الإستعمار) من المبشرين المحترفين والمستشرقين المرتزقة ، وهم على كلا الحالين بين نارين يصلون بحرِّهما : الجهل والمعرفة ، وكلاهما ظلم وظلام [٥].

فالظلم تعدٍ وبغي وجور ، والظلام لا يُبْصَرُ فيه ولا يهتدي فيه إلى سواء سبيل .

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٦٧ .

(٢) ما يقال عن الإسلام ، ص ٧ .

(٣) التفكير فريضة إسلامية ، ص ١٨٤ . وانظر : الديمقراطية في الإسلام ، ص ٨١ . وانظر : الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٦٧ . مع العلم أن همزة (إنه يعوق ......) كانت في الأصل مفتوحة ، وكسرت هنا بعد قالوا ، وأعوذ بالله من الورع البارد والنفاق الكاذب .

(٤) التفكير فريضة إسلامية ، ص ١٨٥ .

(٥) انظر : حقائق الإسلام ، ص١٨٥ .

وكيف ذلك ؟

ينقلنا العقاد - رحمه الله - وهو يجيب على هذا السؤال إلى الرجوع في أصول التوراة والإنجيل ، فيرى أنه من الظلم والظلام أن تُخْتَصَّ الشريعة الإسلامية بالنقد (كأنها الشريعة الكتابية الوحيدة التي تعرضت للمعاملات ، فإن الشريعة المنسوبة إلى موسى عليه السلام قد تناولت من أمور المعيشة ما هو اليوم من شئون الأطباء ، وتناولت من تشريع الجزاء والعقاب أحكاماً لا يقرها أحد من المؤمنين بها ، وإن كان من المؤمنين بإيحاء الشريعة من الله إلى كليم الله) [1] ، ثم مثَّل بمثال أن عيسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضلهما قد اشتهر عنه قوله (**إن العين بالعين والسن بالسن ، وأن تسمل عين المعتدي وتخلع سنه**) [2] إذن فهي تعني (أن لكل جناية عقوبتها ، وأن الجزاء موافق للبغي والاعتداء) [3] ، أليس هذا هو ما يدعو إليه الإسلام ؟ فما الفرق بينهما ؟ فلماذا ينقد الإسلام ، ولا ينقد هذا ؟ وهل نحمل تبعة الغرب حينما فارق دينه إلى وثنية وشريعة لا يقرها عيسى ابن مريم ؟ ويزيده بياناً أنه جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج ما نصه (**أنه إذا نطح ثور رجلاً فمات يرجم الثور ، ولايؤكل لحمه ، وأما صاحب الثور فيكون بريئاً ، ولكن إذا كان الثور نطاحاً وقد أشْهِدَ على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضاً يقتل**) [4] أليس هذا تشريعاً وحداً من الحدود ؟ فلماذا يغضون الطرف عنه ، ويكبِّرُ عندما يتجه إلى الإسلام ؟

ثم ينتقل بنا - رحمه الله - إلى مقارنة أخرى وهي الربا فيوصي المسلم قبل أن يضع نفسه موضع المتهم المطالب بالدفاع عن دينه ألا يغالطه النقاد المبشرون والمستشرقون ، وليعلم أن المستشرقين (يغالطون أنفسهم حين يختصون الإسلام بالنقد في مسألة الربا - على حين التخصيص - فإن الربا محرم أشد التحريم في اليهودية والمسيحية من

---

(١) حقائق الإسلام ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٩٦ .

(٣) نفس المصدر و الصفحة .

(٤) حقائق الإسلام ، ص ١٢١ ، وانظر الصفحة التي قبلها .

شرائع العهد القديم إلى شرائع الكنيسة في القرون الوسطى إلى شرائع اللوثريين * وأتباعهم بعد عصر الإصلاح .... فجاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج : (**إن أقرضت فضة الفقير الذي عندك فلا تكن كالمرابي**) . وجاء في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية : (**لا تقرض أخاك ربا . ربا فضة أوربا طعام أوربا شئ ما مما تقرض بربا ...**) وقد سرى تحريم الربا في شعب إسرائيل دون غيره إلى ما بعد قيام المسيحية) [١] ثم عقب بعد هذا كلاماً مفاده : أنه لو أخذت أوربا الاستعمارية بهذه الوصايا (لما قامت لها قائمة ولا جمعت ثرواتها الضخمة التي لا تجتمع من تجارة بريئة ولا من ربح حلال) [٢] ولقد صدق رحمه الله .

وبعد هذا العرض ينتقل بنا العقاد ـ رحمه الله ـ إلى قوانين وجدت وفرضت على كرامة الرجولة وكرامة الجندية ، حيث أعلنت (القوانين التي توجبها العقوبة البدنية لمن يخالفون الأوامر أو النظم العسكرية ، وإن لهم مع ذلك لندحة من العقوبات المستطاعة في المعاهد العامة كالحبس والتأخير وتنزيل الرتبة وقطع الأجور والحرمان من أنواط الشرف والفصل من الخدمة . فلو لا أنها حذلقة خاوية لا تفيد أحداً ولا تدل على كياسة صادقة لما جاز في عرف هؤلاء الأدعياء أن تسري عقوبة الجلد في مؤاخذة الجنود ، وأن تمتنع بعد إخفاق الحيل جميعاً في عقوبة النشوز (والسرقة وشرب الخمر ورجم المحصن) [٣] ويصل في النهاية إلى ذكر من يردد أمثال هذه الحكايات فهم أحد ثلاثة :

١ ـ فهناك المتعصب للغرب ، ومعظم هؤلاء (ممن يدينون بالمذاهب الفاشية أو النازية في السياسة والاجتماع)

---

* نسبة إلى (مارتن لوثر) المصلح المسيحي ـ وسمي مذهبه بالبروتستانت الذي انتشر في أمريكا وغيرها ، ويبدو أنه يفرق عن الكاثوليك بأن المسيح ليس إلهاً وإن كان يجيز بنوته لله ، والعلم عند الله .

(١) حقائق الإسلام ص ١٢٤ ـ ١٢٥ . وانظر الصفحة التي قبلهما .

(٢) حقائق الإسلام ، ص ١٢٧.

(٣) نفس المصدر ، ص ١٨٥ ، ويقصد بالنشوز : ترفع المرأة عن زوجها .

٢ ـ (طائفة الماديين الملحدين الذين يدعون إلى هدم المجتمعات القائمة ، ويقولون بأن الأديان كافة عقبة تعترض الإصلاح الإجتماعي)

٣ ـ جماعة « المؤمنين المحترفين » * سماسرة التبشير الذين يتخذون تشويه الإسلام صناعة يستدرون بها الرزق ويتوسلون بها إلى جاه الرئاسة وسمعة الصلاح والتقوى بين المتعصبين والجهلاء في البلاد الأوربية والأمريكية ، وهم على كلٍّ ملاحدة بالدين كله ، ولكنهم يعلمون أنهم يقطعون موارد رزقهم إذا كشفوا عن إلحادهم أو قالوا عن الإسلام قولة حق وإنصاف تمحو عداوة الأعداء وتضعف غيرتهم وحماستهم للحملات التبشيرية في بلاد المسلمين ، فهم كذبة متعمدون منتفعون بالكذب لا يزحزحهم عنه علمهم بالحقيقة ولا هم يسعون إلى علمها برضاهم ، فلذلك أجمعوا على أن الإسلام لا يصلح لهذا الزمن ، وهذا نفي ، وقد علم عقلاً وعادة (أن الذي يتحرى المعرفة لا يصح أن يقف عند النفي ثم يسكت على ذلك ولا يحاول الإثبات ما استطاع) [١] وقد علموا أن الإنسان تعروه النقائص فلا بد له من عقوبات ، وإلا (فخلو التشريع منها قصور يعاب على الشريعة ، ولا يمتنع به الضرر الواقع من تلك النقيصة) [٢]

فهذه الحدود فيها (قمع الطغاة وتخويف من لا يخافون من خالق أومخلوق) [٣]

وبعد هذا يصل بنا العقاد إلى :

١ ـ (من المبادئ المتفق عليها في عصرنا أن الجريمة فساد في نفس المجرم ، وأن العقوبة إصلاح له أو وقاية للمجتمع من فساده) [٤] ، فهذه العقوبات إلهية ، الطعن فيها طعن في منزلها خالق الشر ، و هم مطالبون بأثبات وجوده في أنفسهم ثم إثبات أنه أرسل رسولاً اسمه محمد ﷺ وشرَّع على لسانه شرائع لم تستطع الوصول إليها

---

* هكذا وضعها بين الأقواس وهي سخرية لاذعة للغاية .

(١) إبراهيم أبو الأنبياء ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ، وانظر : ما يقال عن الإسلام : ص ٦ ـ ٨ .

(٢) حقائق الإسلام ، ص ١٨٤ .

(٣) الديمقراطية في الإسلام ، ص ٧١ .

(٤) الفلسفة القرآنية ، ص ١٠٠ .

القرون بعد القرون [١] .

٢ ـ قد علم بالإستقراء أن (العقوبات القرآنية تكفل للمجتمع حاجته التي تغنيه من العقوبات وهي : قيام الوازع ورهبة المحذور) [٢] ، فهل تملك القوانين هذا من قيام الوزاع في النفوس والقلوب أم أنه يمكن التحايل عليها والعبث بها وتأويلها كيفما أراد متبع هواه ؟

٣ ـ ثم ينتهي العقاد إلى أنه على كل عاقل أن يعلم أنَّ البشرية (خير مالها في الإسلام لم يدركه خير مالها في العصر الحديث ، وشر ما يصيبها من الإسلام رحمة ونعمة بالقياس إلى الشر الذي يسلمها العصر الحديث إليه . ولا تزال فضائل العصر الحديث في حاضرها ومآلها دعوى لم يؤيدها ثبوت من حوادث الواقع ولا من مبادئ النظر) [٣] ، ونختم للعقاد بهذه الكلمة النفيسة وهي تعتبر بوابة ردوده رحمه الله فيقول :

(فالدين الذي يضطر المؤمن إلى تغييره مع كل نظام إقتصادي يطرأ على المجتمع أو على العالم كله إنما هو زيٌّ من الأزياء العارضة وليس بالدعامة الروحية التي تكفل للإنسان فضيلة الثبات أمام الطوارئ والغير ، وتفتح له باب الرجاء كلما تطرق إليه اليأس بين نظام فاشل ونظام مرهون بالتجربة أو الشكوك في عقباه إلى حين) [٤] فهل يعلمون ديناً غير الإسلام يكفل للنفس ذلك ؟ وهل يعلمون ديناً أهدى منه سبيلاً ؟ اللهم لا . اللهم لا .اللهم لا .ولكن أكثر الناس لا يعقلون لا يعلمون لا يفقهون .

ولله در شيخ الإسلام ابن تيمية النميري حين قال : (الوسوسة لا تكون إلا من خبل في العقل أو جهل بالشرع ...[وإلا] فكلما استعمل العبد عقله ، وعمل بعلمه، وأخلص في عمله ، وصفا ضميره ، وجال بفهمه في بصيرة العقل ، وذكاء النفس ،

---

(١) انظر : حقائق الإسلام ، ص ١٨٨ .

(٢) الفلسفة القرآنية ، ص ١٠٥ .

(٣) حقائق الإسلام ، ص ١٨٨ .

(٤) ما يقال عن الإسلام ، ص ١٥٧ .

وفطنة الروح وذهن القلب ، وقوَّى يقينه ، ونفى شكَّه ... وتحرَّى ترك الكذب في الأقوال والأفعال ، وصار الصدق وطنه ، وذهب عنه الرياء والعجب ... وقام بحرمة الأدب ... زيد في معرفته وقويت بصيرته) [1] فغالب كتابات المستشرقين تطفح بالوسوسة وتجاهل الشرع الإسلامي ومصادره وهم قادرون على ذلك ، وما كانوا مهتدين فأبلسوا ... ففقدوا عقولهم وصفاء ضمائرهم وتحرِّي ترك الكذب ، فصار الكذب وطنهم وضاهوا إخوانهم الذين كفروا من قبل ، فلا تعجب (من تشابه قلوبهم [و] وقوع الحافر على الحافر ، والخاطر على الخاطر) [2] وإلى الله المصير يومئذ التلاقي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون .



---

(١) درء تعارض العقل النقل ، ٨ /١١ ، ٥١٨ ، تحقيق : د/ محمد بن رشاد سالم رحمه الله ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، وهو كلام نفيس جداً ص ٥١٨ فمن أراد أن يراجعه فعليه به ، والله المولى .

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن القيم ، تحقيق د / علي بن محمد الدخيل الله ، ١/ ٣٦١ ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ، وهو كلام نفيس من ص ٣٤٨ ـ ٣٦٤ ، فراجعه إن شئت ، والله الموعد .

الفصل الثالث عشر :

وتحته مطلبان

المطلب الأول :

منهج العقاد – رحمه الله – في رد الشبهات .

المطلب الثاني :

تقويم العقاد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

المطلب الأول :

منهج العقاد - رحمه الله - في رد الشبهات .

العقاد واسع الاطلاع ولا شك ، فهو يأخذ من هنا وهناك ، لا انتقاء ولا تمحيص ولا تمييز ، والقراءة (ليست هواية تكون علاقتك بها عشوائية ، بل هي غذاء الروح) [١] ، ومن ثَمَّ فعشوائية القراءة كا (لمنبت ، لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى) [٢] ، بل تؤثر على عقل القارىء ، ويخرج بلا شئ ،لأن غاية مقصد القراءة العلم والعمل ، ومن ثَمَّ نستطيع أن نقول : إن منهج العقاد منهج « صحفي » في بداية حياته ، ثم لما عاد الى الكتابة عن الإسلام حاول ان يوضح حقائقه في شتى شئون الحياه السياسيه والإقتصاديه والإجتماعيه وغيرها ، ومثل هذه المحاولة تحتاج إلى تأصيل شرعي مبني على قواعد ومناهج السلف رحمهم الله ، فهو وإن فقد بَعْضَ ذلك يشكر له دحض افتراءات المستشرقين واجتهاده في جمع المعلومات واهتمامه بإبراز الفكرة الجديدة ، حيث يأخذ من هذا ، ويأخذ من ذاك ، فتراه سياسياً ، أديباً ، مفكراً، ومن هو مثله يأتي منه الخطأ هفوة لا قصداً ، فهو ليس برجلِ تاريخ ، ولا رجل حديث ، ولا رجل تفسير ، ولا رجل عقيده متخصص ، وعلى هذا نستطيع أن نفهم أن أخطاءه ليست هدفاً أساسياً في كتاباته ، فهو من هذه الناحية غير متمحض للخطأ يعلمه ثم يعاند عليه ، فإذا رأيناه زلَّ لا نستطيع أن نحاكمه محاكمة من تمحض للشرِّ وأظهر سيفاً مصلتاً على الإسلام وأهله *.

---

(١) القراءة البدء والاستمرار ، يوسف بن محمد العتيق ، ص٣٤ ، دار الصميعي ، الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ .

(٢) كشف الخفاء ومزيل الالباس، عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للعجلوني، ٢٨٤/٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة : ١٤٠٥ هـ ، تعليق أحمد القلاش ، وقد تكلم على الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ، المجلد الأول ، رقم الحديث : ٨ ، وهو في ضعيف الجامع برقم : ٢٠٢٢ .

* كانت هذه خواطر في نفسي منذ قرأت له بعيداً عن سوء الظن به كما بدأت في أول قراءتي عنه ، فلما صحبت كتبه ليلاً ونهاراًساعتها أدركت أن الرجل أحيط بفطرة صعيديَّة مسلمة =

فإذا تقرر هذا فاسمعه يقول (وفوق هذا فأنا شاعر وكاتب وسياسي ... إنني شاعر قبل أن أكون كاتباً ، وقد نظمت الشعر فعلاً قبل محاولتي الكتابة) [١] .... إذن فهو يحمل حب الحرية وتعشقها ، ومثل هذا لا تستطيع أن تزمَّه بزمام ، فهو يذهب هنا وهناك تبعاً (لمزاجه الشخصي) ، ومثل هذا الشخص ليس عدوانياً ، بل تعرف ما يداخله من خلال معاشرته ، وخير مثال على (المزاج الشخصي) لما سئل عن عدم زواجه أجاب بقوله (الزواج قيد ، والفنان أو رجل الفكر يحب أن يظل في حياته الخاصة والعامة طليقاً من أمثال هذه القيود ...) [٢] فهل هذا الكلام صحيح ؟ وقد علم عادة أن الزواج هدوء واستقرار وسكن عقلي وروحي وجسمي ، فهو يوفِّر لك مالا يوفره غيره ، بينما يري العقاد الزواج قيداً من القيود للكاتب والفنان ، ولا ندري ما القيود الأخرى التي تعطل المفكر والفنان ؟ فهل ظهور مثل هذا الكلام منه رحمه الله ، يجعلنا نحكم عليه أنه تعمد الخطأ أم أتى منه (عفو الخاطر) ؟

هذه مقدمة أراها ضرورة لمعرفة **منهج العقاد ونخلص منها إلى الآتي**:

١ ـ أن العقاد كان مهتماً بايصال الفكرة الجديده للقاريء باقرب وسيله .

٢ ـ لم يستعمل الانتقاء والتمييز ، وماذا يقرأ ، وماذا يدع ؟ مما كان سبباً في وقوعه في تصورات كانت محل تأمل ونظر وأخذٍ ورد .

٣ ـ يكفيه أنه ـ أحَسَبُه والله حسيبه ـ كان مخلصاً في ردوده على هؤلاء القوم

=. منعته أن يستمر على الشر وأهله . ثم كان من حسن الحظ أن التقيت الدكتور : رفعت بن فوزي عبد المطلب في صبيحة الأربعاء ٢٨ / ٧ / ١٤١٦هـ . فأكد لي هذه المعاني ، فتقوت نفسي على القول بها ، فمنهجه يشبه منهج اصحاب (الفكر الجوّاب) انظر حوار هاديء مع الغزالي ، سلمان العوده ، ص٥ ، ص٦ ، ط : ١ ، سنة ١٤٠٩هـ بدون اسم المطبعة ومكانها .

(١) جريدة الشرق الأوسط ، عدد : ٥٥١٣ ، (١/١/١٩٩٤م) زاوية الثقافة ، وهي أصلاً مقابلة أجرته « روز اليوسف » مع الكاتب ، ونقلته جريدة الشرق الأوسط تحت عنوان « من التراث الصحفي » وليس لهما مثال إلا مترديـة بجانب نطيحة .

(٢) نفس المصدر .

أصحاب (النجش الفكري) وبعد هذا يمكن أن نستنبط* **منهجه في الردود على النحو التالي :**

١ - عرض الشبهة كما ذكرها أصحابها ، وبعد ذلك يبين سبب الشبهة إن وجد ، أو يذكر مصدرها ، كالمبشرين أو الماديين ، وشبههم دائماً في نظر العقاد - رحمه الله - فوق التصديق وفوق الواقع ، وإنما هي خيال وافتراضات .

٢ - الحكم عليهم بأنهم سخاف العقول ولا يستحون من الكذب ، كما في شبهة أن شعر امرئ القيس مصدر من مصادر القرآن .

٣ - يبين فساد منهجهم في السابق واللاحق ، حيث إنهم جاؤوا لأسبقية اليهودية للإسلام إذن فالنتيجة أنه أخذ منها ، وهذا عبث لأن لازم التاريخ السابق ليس حجة ، لأنه يتردد بين النفي والإثبات ، وقبول الصحة والخطأ ، ويقال هذا** تنزلاً مع الخصم ، وإلا قد أطبقت البراهين والأدلة على خطأ ذلك وأنه افتراض وخيال .

٤ - يتحاكم إلى التاريخ ، فأذا وردت مسألة في الإسلام ، فينظر هل جاء ذكرها فيمن سبق ، فأن جاء فأنه يحكمهم إلى كتبهم أنفسهم ، فيقول لهم : ما تقولون : لقد جاءت كتبكم بتعدد الزوجات والرق والحدود وتحريم الربا ، فأن أي عيب يوجه للإسلام أنتم به أولى وألصق ، وإلا فقد فرَّقتم بين متماثلين . وهذا هوى وتحكم وليس بحثاً علمياً ، ويتبع هذا أنهم أثبتوا على قسيسيهم بدوات الجنون الروحي ، ومع ذلك لم يقولوا هذا صرع أو جنون ، فلماذا عندما أتيتم إلى ذكر رسول الله ﷺ رميتموه بما هو

---

* استخدمت هذه اللفظة لما يترتب عليها من مصلحة تصحيح هذا الاستنباط بعد قراءته ، وللخروج من العهدة أن لازم القول ليس قولاً ، وللخروج من العهدة أن هذا الاستنباط ليس قطعياً ، بل هو يبقى في دائرة الأخذ والعطاء من الباحث وغيره ، وأن الاستنباط فرع من فروع القياس ومبحث من مباحث طرق إثبات العلة انظر مذكرة في أصول الفقه ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢ ، فأذا تقرر هذا فينتج منه أن الفهوم تختلف من شخص لآخر في الاستنباط ، وأحياناً يعمل بالقرينة في إثبات هذا الفهم ، وترجحه على غيره ، إذا لم يوجد نص ، وكذلك الاستنباط يؤتى به مجرداً من موضعه ، وأحياناً يؤتى به وبالموضع الذي أخذ منه ، وسأستعمل كليهما قدر المستطاع . والله يتولى السرائر .

** قبول الصحة والخطأ .

منه براء وإنما في خيالكم .

٥ ـ يعقد المقارنة بين ما يحدث في أوربا من ظهور العشيقات والصديقات وأن ذلك كله خُلُوٌّ من المسئولية ، فأيهما أقرب رشداً وأقرب معقولاً ، التعدد بمسئولية وعقد ورباط أم ذاك الذي هو اجتماع على مجرد الشهوة وقضاء الوطر ؟ وهم عندما يفعلون ذلك ينطلقون من منطلق أن الحرية تعني الخلو من المسئولية أو تعني (الانطلاق من كل مسئولية أي إنه له أن يفعل ما يشاء وألا يسأل عما يفعل .

وهذا أمر لا وجود له في طبائع البشر ، لأن التصرف الذي يصدر عن الإنسان ويتعدى غيره ، لابد وأن يكون صاحبه مسئولاً عنه ، لأن هذا التصرف قد يكون تصرفاً ضاراً ، فهل يقبل أي إنسان أن يصاب بالضرر أو الأذى ولا يكون فاعل ذلك مسئولاً ؟ .... ولولم لو يكن الإنسان مسئولاً لم يكن حراً .... وهنا نجد أن المسئولية والحرية غير متناقضين ، وإنما هما متعاونتان في تحقيق السلام وحسن التعايش بين الأفراد) [١] فهم يحبون الانفلات والتَّمَلُّصَ من القيود الأخلاقية ، واستحبوا الحرية الفردية التي لا يكون لها ضابط وموجِّه فلذلك (انفلتت الحريه الجنسية في أوحال الجريمة والمعصية لا توقفها مسئولية في الدينا ولا رهبة من عذاب الآخرة) [٢] ، وبعد التحليل النفسي وما يترتب على الحرية الجنسية يسأل سؤالاً ـ رحمه الله ـ فأي الفريقين يعيش لشهواته وغمرته لذات الحس ؟

٦ ـ يسحب المعركة إلى ساحة الخصم وقلبه ، فهو يهاجم لا يدافع ، لأنه حتى متى يدافع الإنسان ؟

فهو يقول : أنتم تعيبون على الإسلام أخذ السيوف وأنه دين الدم ، فما تقولون في حروبكم الاستعمارية التي أكلت الأخضر واليابس ؟ إن حروبكم حروب مادة ونهب للخيرات وخراب الديار ، وخراب العقول ، أما الإسلام فهو تحرير الإنسان من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد ، والعقاد ـ رحمه الله ـ في هذه المسألة لم يوافق على أن

---

(١) الإنسان وحريته في الإسلام ، د/ محمود بن محمد بابللي ، ص ١٢٨ ، الطبعة الأولى: سنة ١٤١١هـ ، دار الشبل ، الرياض .

(٢) من مقال : الحرية في ميزان الإسلام ، مجلة الفيصل، للدكتور/عدنان بن علي النحوي، ص ٣١ ، عدد : ١٩٨ ذو الحجة سنة ١٤١٣هـ .

الجهاد شرع للدفاع ، بل شرع لإزالة العقبات عن سبيل الله عز و جل .

٧ ـ لقد رأيت العقاد لا ينحو منحى (التبرير) والتماس العلل والحكم كما في مسألة الرق والحدود والمعاملات ، بل كان واضحاً في الرق أنه جاء عليه الإسلام وهو نظام سائد ، ولكنه جفف منابعه وخفف من الرق بالكفارات ونحوها ، ولم يبق إلا أسرى الحرب وهو أمر شائع بين الحروب دينيِّها ودنيويها ، فما العيب إذن على الإسلام ؟

٨ ـ يذكر الفروق بين معاملات الإسلام ومعاملات الغرب ، حيث الأول يجعل فيها نصيباً مفروضاً للمعوزين أما الثاني فهم يفضلون الكلاب على بني آدم ، فلو كان الدين بشرياً فلماذا اهتدى إلى الزكاة في وسط بيئة يتكالبون على المادة ، ولماذا لم يصل إليها الغرب فيما وصلوا من تنظير وتقنين ؟

٩ ـ يضرب كلام بعضهم على بعض ، ويستشهد بكلام بعضهم في بيان ومدح الإسلام ، هذا وإن كان من باب (شهد شاهد من أهلها) إلا أن لهم غرضاً من وراء هذا المدح ، لكن مع ذلك يستأنِسُ بأقوالهم .

١٠ ـ يجيد السخرية اللاذعة كما في كلمته (المؤمنين المحترفين) .

١١ ـ مدرك لما يحدث في الساحة الأوربية من مساوئ ويستعملها في الهجوم عليهم ، وهذا لو فرَّغ جهده له لرأينا منه العجب العجاب ، وذلك لكثرة اطلاعه واتساع باعه في هذا المجال لكن مَزَّقتِ ذهنه البيئات السياسية والأدبية ، ولكن مع ذلك كان يغلب عليه اللسان الصحفي في الردود ، مما نراها في المراسلات الصحفية أقرب (والتخصص العلمي مطلب ملح يساهم في الإبداع وقوة البناء)[1] .

١٢ ـ يتحاكم إلى المتخصصين كما في شبهة امرئ القيس ، وذلك أن االذي يعرف الخطوط نادراً ما يخطئ ، فما الحال في ذوق أمة بكاملها يأبى ويدفع أبياتهم التي استدلوا بها ؟

١٣ ـ يستعمل النفي القاطع كما في شبهة أخذ الإسلام من اليهودية ، فيقول لهم : كلا بل اليهودية هي التي أخذت من شعائر الإسلام .

١٤ ـ يبين مكانة المستشهد به وأنه خبير في كذا أو أستاذ في كذا حتى يعلم من

---

(١) الكتاب الإسلامي المعاصر ، نظرات نقدية ، أحمد بن عبد الرحمن الصويان ، ص ٧٥ ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٦هـ .

حوله أن المستشهد به ليس نكرة من النكرات .

١٥ ـ يذكر دوافع الشبهة من الحسد ومن الضنك الذي وجدوه وهم يبشرون في أفريقيا ، وكذلك يذكر أنهم يلقون الشبهة مجرد هواية وإلقاء حتى ولو لم تكن مفهومة في ذهن من قذف بها .

١٦ ـ يحاكمهم إلي استسلامهم للكسل والخمول ، فهم يبذلون أقصى جهدهم في معرفة ما يحل مشاكلهم ، لكنهم إذا جاؤوا للإسلام غطوا أعينهم وصمُّوا آذانهم ، فهم بَيَّتُوا نية الكسل وعدم البحث .

١٧ ـ يذكر أنهم يقدمون على النصوص بتصور سابق ، وهذا منهج يؤدي إلى المغالطة .

١٨ ـ يلفت أنظارالمستشرقين إلى سر بقاء الإسلام مصوناً محفوظاً وهو سر تجمع المسلمين عليه وأنه كان صمام أمانهم عند الشدائد ، فلماذا لم يسبروا هذه العلة وسر صمود الإسلام أمام التيارات .

١٩ ـ يحاكم المستشرقين إلى الماديين العلميين الذين أنكروا الأديان كلها ، ثم بعد دراسة وروية رجعوا إلى أنفسهم فكان لزاماً عليهم أن يرجعوا إلى أنفسهم كما رجع هؤلاء .

٢٠ ـ يُكَبِّتُهم أنهم لم يرجعوا إلى المصادر الإسلامية ، بل يخدعوننا بكلمة مصدر عربي ، وقد يكون نصرانياً يتكلم العربية أو يهودياً كذلك ، بل يعتمدون على كتب نقدها المسلمون بأنفسهم .

٢١ ـ يخبر عنهم أنهم يُعَيِّنُون جزئية ثم يعممونها على أهل الإسلام .

٢٢ ـ يبين فساد نطقهم وأن لسانهم خانهم فهم لم يفرقوا بين « صَمَد » و « سماع » وبين « صعيد » و « سعيد » وبين « حافّين » و « حافين جمع حافي » وأن أبا بكر أبو العذراء ، فإذا لم يستطيعوا في هذا فهل يستطيعون أن يفرقوا بين كلام الله وكلام البشر ؟

٢٣ ـ يفضحهم حيث يبين أنهم محترفون من أجل المال ، وبعدها العفاء على البحث العلمي .

٢٤ ـ يقارع الحجة بالحجة ، فكأنه يقول : هاأنذا لم استدل من الكتب أو السنة ، بل نتحاكم إلى العقل ، وبعدها يثبت أنهم يقذفون بها على سُكْرٍ من عقولهم وحقد وضغينة دفينين .

٢٥ ـ أنهم يقفون عند النفي ، والنفي ليس قابلاً للزيادة ، ويخضعون للاستسلام العقلي .

٢٦ ـ يستظهرون الكلمات ويلوون أعناقها ويفسرونها على غير مرادها .

٢٧ ـ يسبون ويشتمون وهذا حيلة العاجز ، ويحيلون على الإشاعات *.

٢٨ ـ في بحوثاتهم يصحبون الاستعلاء الغربي ، وأنهم فوق كل شئ وهذا وهم .

٢٩ ـ يتحكمون في إرث المسلمين ، نظراً لتحكمهم في بلاد المسلمين ، فهم يقولون أحياناً : يمكن أن نسمع من المسلمين رأيهم في شرح دينهم .

٣٠ ـ يخبر عنهم بأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالغيب ، وهذا هو سبب وسوستهم .

٣١ ـ وأخيراً ـ بيننا وبينكم المستقبل ، فقد تكالبتم على الإسلام فكراً وسلاحاً وها هو شامخ ، قد ذهب أعداؤه ، وهو لا يزال ينبوع الحياة وسرَّ قوة المسلمين وصمَّام أمانهم وجامع وحدتهم .

هذا ما استطعت إليه سبيلاً ، في منهجه عن الردود .

أما من حيث هفواته فقد رأيت :

١ ـ لم يرجع إلى الآيات الكريمة وأحاديث السيرة النبوية ، ولعل له ما يعذره أنه تأكد له عدم إيمانهم بالقرآن والسنة ، فهو وإن كان يلتمس له العذر ، لكن التفريط الواضح في إهمالها لا يستحسن في الردود ، لأن في القرآن شفاء من الشبهات او الشهوات ، فأهمال النصوص الشرعية مع توافرها ، والاعتماد على الآراء والعقول البشرية المجردة في الردود من باب احتجاج الظنيات بالظنيات ، وردود البشر بشرية مثلهم إن لم تعتمد على قواطع وبراهين الوحيين (١) .

٢ ـ يأتي بأحاديث ضعاف كما في الديمقراطية في الإسلام ، من ص ٤٧ ـ ٩٠ ،

---

* وبالله ما أصدق الإمام الذهبي حين قال (ومن أحالك على غائب لم ينصفك ، فكيف بمن أحال على مستحيل) السير : ١٣/ ١٢٠.

(١) انظر تفسير السعدي عند قوله تعالى ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ آية ٨٢ ، الإسراء ، ١٢٨/٣ ، وانظر الكتاب الإسلامي المعاصر ، مصدر سابق ، ص ٤٦ ، وانظر : البرهان القاطع في إثبات الصانع ، لابن الوزير ، ص ١١٥ ، ص ١١٧ ، تحقيق مصطفى الخطيب ، ط : ١ ، سنة ١٤٠٩هـ ، دار المأمون ، دمشق .

مثل قوله : " إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن " [1] ومثل : " إن الله يحب العبد المحترف ويكره العبد البطال " [2] وكذلك في كتاب التفكير فريضة إسلامية " فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد " [3] ، وهذا يعذر لأنه ليس متخصصاً في ذلك .

٣ ـ يكثر التكرار فما يقوله في « حقائق الإسلام » يأتي به في « ما يقال عن الإسلام » ، ولعله يرى أن ذلك من المبالغة في الشئ والتحريض عليه ، والتقرير والتوبيخ ، تذكر ما قد بَعُد بسبب طول الكلام ، التوكيد [4] .

٤ ـ يستعمل ألفاظ : المسلمون العصريون ، المسلم العصري ، المفكرون الأحرار ، المتزمتون ، الجامدون المتحجرون ، ومن ذا الذي يسلم من الهفوات [5] ؟ ولكن مع ذلك استعمال هذه الألفاظ أمر مستحدث ، ولا سيما إذا جاءت في الردود فاستعمالها منكر مستبشع [6] فهذا دخل على الكتَّاب المحْدَثين الذين يركن إليهم المسلمون ...فإذا علم ببطلانها ورواها فهو ظالم لنفسه وغرٌّ المؤمنين بحكايته لها .....ولكن مع ذلك لا عتبى على صاحبنا (الصحفي الأديب) [7] ويشكر على مابذله من جهد في دفع غارة أبناء الصليب على ديننا الحنيف ، وإن أي تشكيك في الجهود التي تدفع عن المسلمين الضرر والشرور فإنما هو آت من مرض نفسي ، وضيق في الصدر ، بل هو آت من نفس ترى نفسها أنها الحَكَم ، وأنها التي تملك إصدار الصحة

---

(١) انظر ص ٤٩ .

(٢) ص ٦٣ .

(٣) ص ٨٢ وانظر ص ٨٣ " الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها " انظر ضعيف ابن ماجه للشيخ الألباني ص ١٦، وانظر : تضعيف الحكمة ضالة المؤمن ، ضعيف ابن ماجه ص ٣٤٣ ، حديث : ٩١٢ .

(٤) انظر في هذا : أسرار التكرار في لغة القرآن ، د/ محمود السيد شيخون ، ص ٢١ ـ ٣١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ .

(٥) انظر الإسلام في القرن العشرين ، ص ١٨٤ ، الإسلام دعوة عالمية ١٤٧ ـ ١٥٦ .

(٦) استفدته من السير : ٢٣ / ١٤٣ وهو كلام نفيس لمن أراد أن يراجعه .

(٧) انظر : السيِّر : ٦٠١/٢ ـ ٦٠٢ وهو كلام نفيس .

والخطأ والقبول والرفض . وتجعل نفسها الأصل المتحاكم إليه ، فما وافقها فهو المقبول ، وما خالفها فهو المرفوض ، وإنَّا من أمة من عَمِل مثقال ذرة دَفعاً عن هذا الدين وتأبيداً له فهو المجزي بالإحسان إحساناً ، والتحاكم إلي النيَّة لا إلي أقوال الناس ، فـ (حظ العامل من عمله نيته ، فإن كانت صالحة فعمله صالح ، فله أجره ، وإن كانت فاسدة فعمله فاسد ، فعليه وزره) [1] وعند الله تبلى السرائر ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ ، فينبغي على طالب العلم أن يحذر من أن يجعل (نظره الاجتهادي المحتمل شرعاً قاطعاً ملزماً به يوالي عليه ويعادي ، ولسان حاله يقول : أنا فقط الذي أعرف الأصوب والأصلح) [2] وهذا مزلق نفسي عاقبته الهاوية والعجب وغمط والناس ، والله تعالى أعلم .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) جامع العلوم والحكم : ١ / ٦٤ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٢هـ .

(٢) الكتاب الإسلامي المعاصر ، ص ٥٦ .

المطلب الثاني :

تقويم * العقاد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

إن العقاد - رحمه الله - من الشخصيات التي نالت في عصرنا الحاضر قدراً من الإهتمام بين الباحثين ، خاصة الأدباء منهم ، فأذا رجعنا إلى سيرة العقاد - رحمه الله - نجد أنه قد عرف وخاض قبل إقباله [١] على الكتابة الإسلامية المعارك الأدبية والسياسية ، مما كانت سبباً في تشتيت فكره وانشغاله بما هو فيه ، فعندها لا نستغرب أن تصدر منه كلمات تعد في حقه هفوات غير متعمدة ، ونعتبرها : مجرد خواطر «مفكر جوّاب » ، ليست مثلما يكتبه في مجاله الأدبي ، ولكن نظراً لتلقف بعض الأوربيين سقطات بعض الكتاب المسلمين وإذاعتها ، ومن ثمَّ يبنون عليها مسائل خاطئة يستنبطونها ... فأنه يجب وزن هذه الهفوات بميزان القرآن والسنة الصحيحة اللذين إليهما التحاكم فيما اختلفنا فيه ، وضابطه بفهم السلف الصالح أصحاب القرون المفضلة الأولى المشهود لهم بالخيرية والنصح لهذه الأمة ، وقبل هذا (يجب على المسلم ... أن يتحاشى أن يقول كلمة في الإسلام قبل أن يسأل عنها ويقتلها بحثاً حتى يطمئن قلبه) [٢] ... فأذا نظرنا إلى قراءة العقاد نجدها تركزت في الآداب الأوربية

---

* نكته ، يقول الأستاذ محمد قطب - حفظه الله في طاعته - (يستخدم بعض الكتاب كلمة « تقييم » بدلاً من « تقويم » في معنى الحكم على الشئ لبيان قيمته ، ويستخدمون كلمة « تقويم » فقط بمعنى إزالة العوج ، والحقيقة أن كلا الفعلين واوي الأصل) حاشية رقم (١) ص ١٢ من كتاب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، المجموعة الإعلامية ، جدة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٨هـ وبعد تأمل في تهذيب اللغة للأزهري : ٣٥٦/٩ ، ولسان العرب : ٤٩٦/١٢ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٥ / ٤٣ . والفائق للزمخشري : ٣ / ٢٣٤ - ٢٣٥ وجدتهم ينصون على « تقويم » والله أعلم .

(١) استفدت هذا من مقدمة د / فوقية بنت حسين محمود لكتاب « الإبانة عن أصول الديانة » ص ٥ ، ٧ . دار الأنصار ، القاهرة ، الطبعة الأولى : سنة ١٣٩٧هـ .

(٢) د/عبد المتعال الجبري، شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، ص٧ ، وانظر قبلها ، ص ٦ ، دار الإعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ ولا عدد الطباعة إلا أن في الإيداع جاء تاريخ (١٩٧٦) .

وخاصة الأدب الإنجليزي مما كان له أثر تضارب مؤثرين في داخله وتعارضهما :

الأول : حياة المحافظة في أسوان حيث الصفاء الفطري وقوة الدين في النفوس والمحافظة على تعاليم الإسلام .

الثاني : حياة التجديد الذي اطلع عليه خلال زيارة الأوربيين لأسوان فهي تصبح (مدينة أوربية في الشتاء ، أو كانت هكذا يوم نشأت نشأتي الأولى * ، **فأوربا كلها كانت تتراءى هناك كل شتاء** بملاهيها وأزيائها وعاداتها ومؤلفاتها وفنونها واختلاف أقوامها) [١] ، فلمّا طبع هذا في مخيلته زاده ونماه بالأدب الإنجليزي المعتمد على الفكر والتحرر من الأخلاق والقيود الدينية والعرفية [٢] ... وفي هذه البيئة (نشأ العقاد بطموحه وتوثبه وتمرده على القيم المألوفة المتعارف عليها لدى المصريين في ذلك العصر) [٣] ولكن الفطرة أبت إلا أن تغلب صاحبنا ، لأنها ميراث تولد مع الإنسان وتتربى معه في صباه وكبره ، فيظل طول حياته يبني تفسيراته على الأساس الذي ولد معه لأنه (خرج إلى الحياة وهو مزود بأجهزة الإتصال بهذا الوجود ، والاتصال ببارئ الوجود - سبحانه - عن طريق الاستعدادات الفطرية المودعة فيه . وكان هذا هو الضمان الواقي من الضياع والدمار .. والكائن الذي تتعطل في كينونته أجهزة الإتصال الفطرية بالكون وبارئه .... هو مسخ لا تكتب له الحياة طويلاً ، كما أنه لا يكتب له

---

* المتكلم - العقاد نفسه - رحمه الله - .

(١) « أنا » ص ٢٨ ، وانظر : ص ٤٢ .

(٢) مجلة المعرفة / دمشق ، العدد : ٢٨ ، سنة (١٩٦٤م) ص ١٧٠ .

(٣) عبد الحي دياب ، مصدر سابق ، ص ٧١ ، وانظر «انا» ص٢٤ ، ص٣٣ ولذلك لا غرابة أن نعلم أن التجديد وُلِدَ وبدأ في أحضان العلمنة ومنهم الأستاذ العقاد - رحمه الله - لأن جهود أهل التجديد - الذي هو التمرد على كل ما هو قديم بنص شهادة العقاد نفسه - رحمه الله - ص ٢٤ من كتابه « أنا » - كانت تراقب وتحلل كأدق ما كانت جهود الزعماء السياسيين تراقب وتحلل ..... أهـ ملخصاً ص ١٢٥ ، ص ١٢٦ من الكتاب الفذ : أدب الردة قصة الشعر العربي الحديث ، للأستاذ جمال سلطان ، مركز الدراسات الإسلامية ، بريطانيا ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ ، وقد نقل بعض كلامه السابق المتعلق بمراقبة أوربا للتجديد ، من كتاب د/ محمد حسين هيكل ، « ثورة الأدب » .

الامتداد ككل مولود مسيخ ! ... ومن ثَمَّ يعد ظهور هذه الكائنات ... فلتات عارضة لا يؤبه لها . إن مصيرها محتوم ، ومحدد سلفاً ، كمصير الأمساخ دائماً من المواليد ... إن المعركة الحقيقية لم تكن قط بين الإعتقاد والإلحاد ...ولن تكون .... فالإلحاد يقضي على نفسه بنفسه ... إنه عملية إنتحار ... والإلحاد تقاومه الفطرة والفطرة أغلب) [1] فلذلك يقول العقاد - رحمه الله - (إن مبادئي في الحياة هي المبادئ الدينية على أساسها الأصيل : مبادئ ورثتها من أبوين متدينين لا تفوتهما فريضة في موعدها ... **وتلازمني النظرة الدينية إلى الأشياء ، من حيث أريد ، أو لا أريد** ... فلا تخلو منها نظرتي إلى الكون في عصر العلم ، ولا نظرتي إلى الدراسات الأدبية ، ولا نظرتي إلى قيم الأخلاق أو إلى المعاملات بين الناس ... **وقد يخفى أثر هذه النظرة أو يظهر لأول وهلة ، ولكنه كامن مستقر في طبيعته الخفية وإن تعددت تفسيراته وترجماته على اللسان**) [2] إنه كلام واضح لا إلتواء فيه ...فعلى هذا ينبغي عند الحكم عليه ألا نسقط بيئته الإسلامية الأولى التي تغلغلت في تكوينه النفسي ، لأنها أعادته إلى « اليقظة الإسلامية » بعدما اجتالته شياطين أدب أوربا الملحدون واجتالته السياسة والدخول في أحزابها ، فأصبح

---

(١) نقلت هذه الدرر من : مقومات التصور الإسلامي ، سيد قطب رحمه الله ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ، دار الشروق ، القاهرة - بيروت ، الطبعة الثانية : سنة ١٤٠٧هـ ، وكان سبب اهتدائي إليها بعد كرم الله سبحانه كتاب : فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها ، إعداد / د : أحمد ابن سعد بن حمدان ، ص ١٣ . دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٥هـ .

(٢) بنصه ولفظه من كتاب العقاد : دين وفن وفلسفة ، ص ٧ ، ص ٨ ، وانظر قبلها ، ص ٦ . ويفيد المخرج لهذه المقالات - لم يذكر اسمه - ص ٩ من نفس الكتاب أن هذه محاضرة ألقاها العقاد في إحدى محطات (تلفزيون) إحدى الدول العربية سنة (١٩٦١م) قبيل وفاته بثلاث سنوات . حتى إن العقاد يقول ص ١٢ ، ١٣ إنني لا أغير عادة من العادات إلا ما عرفت سبباً لتغييره أو لمست وجه الحكمة من هذا التغيير ، فلم أغير شيئاً قط لأنه زيٌّ تغير ... ولم انتحل زيّاً قط لأنه زي شاع ...وإنني ألبس الكوفية اليوم كمالبستها في إبان صباي ... إنها عادات ومبادئ لا تخلو من نظام العبادة وصبغة الإيمان أهـ .

عنصراً أصيلاً (في مدرسة اليقظة العربية الإسلامية) [1] ، وهذه تعد من فضل الله عليه حيث لم يعاند أو يلج في الخصومة ، ..... فأذا تقرر هذا فأنه يجب علينا أن لا يفوتنا أن العقاد قبل هذا وبعده كاتب صحفي أديب ، والصحفيون عادة يغلب عليهم (**عدم وضوح الرؤية الإسلامية**) ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إعجابه (بالشيخ محمد عبده ومريديه ... فأعجابي به هو الذي أعظم في نفسي الثقة بسعد زغلول) [2] وكانت خلاصة دعوته (**رفع الحجر عن العقول بإجازة الاجتهاد * لمن**

---

(١) أنورالجندي ، ص ١٩٤ ، اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار ، مصدر سابق ، وقد كان يخبر عنه بأنه (من المدرسة المتحررة التي تُحَكِّم العقل المتجرد والمتحرر من كل المورايث الفكرية والسلوكية في كل شئ ولا تبالي أن تلتقي مع الدين في كل وجهات النظر أو بعضها أو تتعارض معه وتخالفه ، ولكن طه حسين كان أكثر عنفاً وأكثر جرأة في معارضة الدين وفي المجاهرة بما يثير الناس ليلفت إلى نفسه الأنظار) أهـ من كتابه : جيل العمالقة والشوامخ في ضوء الإسلام ، ص ٩ ، دار الإعتصام ، القاهرة ، (١٩٨٥) بدون عدد الطباعة .

(٢) الكلمات الأخيرة ، ص ١٦٢ . وانظر كلامه عنه وعن إعجابه به ص ١٤٥ - ١٤٩ ، الإسلام في القرن العشرين ، بل يطلق عليه لفظ « رجل الدين المتحرر » انظر محمد عبده ، ص ٢٠٨ .

* (ليس هو الاجتهاد كما عرفه الفقهاء استنباطاً من النص وكشفاً وإظهاراً لحكم الله عبره بمفهوم اللفظ لا بخصوص السبب وإنما هو اجتهاد لتخطي النص في المعاملات وبالذات سنة رسول الله ﷺ) أهـ العصريون معتزلة اليوم ، ص١١ -١٢ ، مصدر سابق ، حيث يرى هؤلاء العصريون أن طريقة فهم الحديث كما فهمه السلف طريقة (قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل) فلذلك انطلق هؤلاء العصريون المستسلمون من قواعد ثلاث :

١ - تحريف النصوص ، زاعمين أنهم يؤولونها تأويلاً يقبله الواقع (الغربي الإستشراقي)

٢ - النصوص النقلية [أخبار الآحاد] لا تفيد اليقين ، والمطلوب في أصول الدين اليقين .

٣ - التشذيب ومحاولة ملاءمة العصر [التأويل والتوفيق] أهـ ملخصاً من كتاب الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحي العتمي المعلمي اليماني - رحمه الله رحمة واسعة ونوَّر عليه قبره - الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة » ص ٥ ، ١٨ مطبعة الأشرف ، باكستان ، سنة ١٤٠٢هـ ، بدون عدد الطباعة .

يقدر عليه ، **وتفسير المسائل الدينية تفسيراً يطابق العلم الحديث** [أي] الدعوة إلى الحرية الفكرية) [١] ، وقد اعترف العقاد ـ رحمه الله ـ أن فتاوى هذا الشيخ كانت تلقى (العنت والاصطدام **بجهالة الجامدين ومنافعهم الموروثة في كل قطر من أقطار المشرق والمغرب**) [٢] ، فلذلك تراه يقول وهو يعدد قصص القرآن وعبرها : (من تلك الدروس أن الجمود على التقاليد الموروثة أكبر آفات العقل البشري لأنها تعطل تفكيره وتتركه في حكم الآلة التي تسير على نهج واحد في آثار الآباء والأجداد مع اختلاف الزمن وتبدل الأحوال . ومنها أن العقائد تخالطها أوشاب الزمن فلا تزال بحاجة إلى التهذيب والتطهير كلما ابتعد العهد بينها وبين مصادرها الأولى) [٣] ، ولهذا تراه يستعمل « المجددون المسلمون » ، « الجامدين المتحجرين في فهم الكلمات والحروف » « التطبيقات العصرية » * ... « السلفيون أو المتزمتون » [٤].

إذن (فالشيخ محمد عبده بحق : أستاذ إمام) [٥] إمام من ؟ إمام المدرسة العقلية والاتجاهات العصرانية الذي تلخص إتجاهه في :

١ ـ تأويل أحكام الفقه تأويلاً يتلاءم مع أهواء الحضارة الغربية مثل الفتوى بأخذ الفوائد على إيداع الأمول في صندوق التوفير .

٢ ـ تفسير القرآن تفسيراً يتناسب مع المعارف الغربية في العصر .

٣ ـ رد الأحاديث الصحيحة [٦] .

---

(١) الإسلام في القرن العشرين ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٤٩ .

(٣) الإسلام دعوة عالمية ، ص ١٨٠ ..

* هنا نتذكر كلمات « مريم جميلة » المستشرقة الأمريكية ، تقول (إن البلاد الإسلامية قد وقعت فريسة مصطلحات خاطئة ومنها مصطلح (العصرية) وقد جنى هذا المصطلح على الإسلام جناية كبرى) طرة كتاب شطحات مصطفى محمود ، مصدر سابق .

(٤) انظر ص ١٤٨ ، ص ١٥٣ من كتابه « الإسلام دعوة عالمية » .

(٥) الإسلام في القرن العشرين ، ص ١٤٦.

(٦) انظر مفهوم تجديد الدين ، مصدر سابق ، ص١٤٢ ـ ١٤٣ . وانظر : إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، مصدر سابق ، ٧١٥/٢ ـ ٧٩٨. وانظر : اتجاهات الفكر الإسلامي =

إذن فلقد أعجب العقاد بالإمام محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣) * ويا ليته وقف عند وصيته لأتباع المجددين المصلحين إنهم (يخسرون بالغلو في تعظيم أئمتهم ، ويكسبون لعقائدهم ولأولئك الأئمة كلما وقفوا على حد الاعتدال) [١] ،

وبعد هذا العرض **نصل إلى أن العقاد شابه المدرسة العقلية في :**

١ ـ رد الأخبار الصحيحة النقلية ، فتراه يقول (إن الأحاديث التي يرويها الآحاد لا يجوز أن تخالف أصول الاعتقاد ، لأن الآحاد يجوز عليهم الخطأ والكذب ، ومثل ذلك لا يجوز في العقيدة ، ولا سيما العقيدة التي يقررها الكتاب) [٢] .

٢ ـ إن تفسير الإمام محمد عبده للطير الأبابيل بالجراثيم (قول مأمون على الجواز والترجيح) [٣] ... وأن تفسيرات الإمام (هي فيما نرى ** أحدث أساليب التفسير وأسدها من الوجهة الدينية والبلاغية) [٤] ودعا المدرسين أن ينهجوا في تفسيراتهم منهج الإمام وملاحقته عند مناسباتها ، لأنها أحدث المناهج و (أقدر المفسرين المحدثين على فهم كل مقام من مقامات الوحي الشريف) [٥] ثم يعود وينقض

=. المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ، مصدر سابق ، ٢/ ٦٨١ ـ ٦٩٣ . ومن غرائب العقاد أنه كتب عن أحمد خان ، انظر : ص ١٣٨ ، الإسلام في القرن العشرين ، وأحمد خان هو أبو العصرانية (١٢٣٢ ـ ١٣١٥) انظر ص ١٢٠ ، مفهوم تجديد الدين . وكذلك كتب عن السيد محمد علي من الطائفة القاديانية ، انظر : الإسلام دعوة عالمية ص ١٥٣ ـ ١٥٦ . وله مؤلف عنه اسمه « القائد الأعظم محمد علي جناح » .

* انظر ترجمته في الأعلام : ٦/ ٢٥٢ .

(١) الإسلام دعوة عالمية ص ١٥٦ .

(٢) إبراهيم أبو الأنبياء ، ص ٧٦ . ولا غرابه فقد نزع مبكراً الى العقلانيه ودامت معه .

(٣) الإسلام دعوة عالمية ، ص ٢٠٨ .

** المتكلم العقاد ـ رحمه الله ـ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٩٩ . وانظر عبد اللطيف شراره ، ص١٥ .

(٥) نفس المصدر والصفحة، وقد كان يرفض تفسير القرآن بما يلائم العصر الحديث والنظريات العلمية ، انظر الفلسفة القرآنية ١٥ ـ ٢١ .

كلامه كله بأن تفسيرات الإمام للأبابيل بجراثيم الأمراض (غير مأمون على الجزم والتوكيد ، لأن الحفريات التاريخية قد تكشف لنا غداً عن حجارة من سجيل أصيب بها أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول) [1] ثم يراجع نفسه بأنه فعلاً (تفسير مقبول ولا شك على سبيل الجواز والترجيح) [2] .

٣ ـ إنعدام الولاء والبراء عنده ـ رحمه الله ـ لأنه ينطلق من سياسة مصر للمصريين * ، بل تراه يذم من تولى فحص كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين أنهم (لا يبلغون شأو مؤلف الكتاب) [3] .

٤ ـ يتأول فيمن هو السارق ؟ (هل هو من يسرق مرة واحدة أو من تَعَوَّد السرقة ؟ ... والإشارة إلى النكال وإلى عزة الله في الآية قد تفيد معنى الاستشراء والاستفحال الذي يقضي بالنكال) [4] ، فهذا فهم عصري لأنه تأول أن (الألف واللام) للعهدية الحضورية التي صاحبها تعود السرقة ، بينما الجمهور يرون أنها بمعنى الذي فإذا اكتملت شروط السرقة وانتفاء الموانع وجب القطع [5] . فهذا التأويل العصري رد على العقاد وأمثاله ـ رحمه الله ـ .

٥ ـ له كلام عجيب حول العذاب الأبدي ، وأهل السنة استقر في قلوبهم للمذنبين فئتان أهل الشرك وأهل التوحيد ، فأهل الشرك خالدون فيها أبداً ، وأما أهل التوحيد فيخرجون بعد أن يطهروا من ذنوبهم بالنار ، (فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص) [6]

---

(١) الإسلام دعوة عالمية ، ص ٢٠٧ . إنه « مزاجي فعلاً » !!!

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٠٩ ،

* انظر ضم الصفوف الوطنية مسلمون ونصارى من كتابه « محمد عبده » ص ١٠٧ .

(٣) الجبلاوي ، ص ٩٣ ، مصدر سابق .

(٤) الفلسفة القرآنية ، ص ١٠٢ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ، ٥٢/٢ عند آية : ٣٨ من سورة المائدة .

(٦) كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي ، ص٣٧ ، تحقيق صبري سلامة شاهين ، دار القاسم، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ . ولابن رجب كلام نفيس حول عصاة أمة محمد ﷺ يقول (فأما المتلطخ بشئ من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدس إلا بعد أن يطهر =

يقول (إن المفسرين كادوا ان يجمعوا على إنتهاء عذاب الآخرة إلى الغفران ، وأن الخلود والأبد يفيدان الزمان الطويل ولا يفيدان البقاء بغير انتهاء ... [لـ] أن العذاب تطهير وتكفير ، وأن الأنفس جميعاً تتلاقى في حظيرة الرضوان) [١]

فهل يقصد بهم مذنبي أمة التوحيد ؟ أم ماذا ؟ لقد ذكر هو ـ رحمه الله ـ لفظة (المذنبون بعد الموت) [٢] وهي لفظة عامة تشمل المشرك وعصاة الموحدين ، ثم استدل بقوله ﷺ : " وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ... إلى قوله ﷺ : هؤلاء عتقاء الرحمن " [٣] فهل استدلاله بهذا الحديث أنه يعني عصاة الموحدين ؟ لكن لفظة (وأن الأنفس جميعاً تتلاقى في حظيرة الرضوان) تعكر علينا ذلك ، لأن لفظة « جميعاً » يدخل تحتها المشرك والموحد إلا إذا قلنا إنه يقصد به الأنفس الموحدة ، وسواء هذا أو ذاك فأن الكاتب يجب أن يبتعد عن التعميم والإجمال في أمور العقائد لأن فهوم الناس تختلف باختلاف ما استقر في القلب من حب النقد أو ذمه ، أو من تصيد الألفاظ المجملة أو حملها على محمل حسن ، فلا يمكن هنا أن نحاكم العقاد بمفهومنا ، ولا يتم ذلك إلا بسؤاله وهو قد أفضى إلى ما قدم ، فيبقى الجواب مدفوناً معه عن سؤال : ماذا تقصد بقولك (والأنفس جميعاً) [٤] ؟ .

= في كير العذاب ، فأذا زال منه الخبث صلح حينئذٍ للمجاورة . « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ») ص ٦٧ من نفس الكتاب .

(١) الفلسفة القرآنية ، ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٦ .

(٣) أخرجة البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ حديث رقم : ٧٤٣٩ .

(٤) انظر شرح ابن حجر الفتح : ٤٢١/١١ ورده على من زعم أنهم يخرجون من النار ...إن هذا القول خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول ﷺ وأجمع عليه أهل السنة ، وانظر الأقوال السبعة في هذه المسألة من ص ٤٢١ ـ ٤٢٢ ، وفي الجملة هذه الألفاظ ألا نجعلها سهواً ؟ ولكننا نتحاكم إلى قوله الذي يقول فيه « والسهو على كل حال قصور يحسن اجتنابه » ص ١٦٤ ، بين الكتب والناس .

٦ ـ موقفه من الصحابة من حيث الجملة موقف أهل الإسلام من صحابة نبيهم ﷺ ، الحب والتقدير والترضي عنهم ، فهم (أول هذه الأمة الذين قاموا بالدين تصديقاً وعلماً ، وعملاً وتبليغاً ، فالطعن فيهم طعن في الدين ، موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين ، و [والطاعن فيهم] إنما كان قصده الصد عن سبيل الله ، وإبطال ما جاءت به الرسل عن الله) [(١)] ، غير أن العقاد وقع لسانه في عرض صاحب رسول الله ﷺ « معاوية بن أبي سفيان » رضي الله عنه وأرضاه . وذلك من وجهين :

الأول : زعم وبئس ما زعم أن (النزاع على الدولة بين علي ومعاوية مرتبط بنشوء الخوارج ونشوء الشيعة ... والقائلين بالرجعة وتناسخ الأرواح ، ومذهب أهل الحقيقة ومذهب أهل الشريعة .... ويستطاع رد الخلاف هنا إلى محور واحد ، وهو الخلاف بين أنصار الواقع وأنصار التغيير ، أو بين أنصار المحافظة وأنصار التجديد حيث كان) [(٢)] ، فيا ترى ، هل معاوية يصنف من أنصار التغيير ؟ وهل علي يصنف من أنصار الواقع ؟ أم أن علياً رضي الله عنه يصنف من أنصار المحافظة ؟ ومعاوية نقيض ذلك حيث هو من أنصار التجديد ؟ هل يقصد بأنصار الجانبين هنا على أهل الشريعة وأهل الحقيقة ؟ أم ماذا يا ترى ؟

نحرر الألفاظ أكثر دقة ليأتي السؤال ، هل النزاع يساوي الخلاف ؟ لقد جاء كلام الله عز وجل بهما جميعاً ، يقول تعالى ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ النساء آية : ٥٩ ، ويقول تعالى : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ الشورى آية : ١٠ ، يقول ابن كثير عن آية النساء السابقة : (وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شئ تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال) [(٣)] ، فمادام أن النزاع

---

(١) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية ، ١/ ١٨ ، تحقيق الشيخ الدكتور ، محمد بن رشاد ابن سالم رحمه الله ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ .

(٢) الإسلام والحضارة الإنسانية ، ص ١٣ .

(٣) سنة ١٤١٠هـ ، مكتبة المنار ، الأردن١/ ٤٦٠ .

يساوي الخلاف ، وما دام أن الدولة وحكم المسلمين بحكم الله من الدين ، إذن فألفاظ الواقع والتغيير ، والمحافظة والتجديد ، كلها على الصحابيين : علي ومعاوية * ، فأيَّة سماجة هذه أن تسقط مفاهيم نفسية غربية النشأة والتكوين على جيل الطهر والعفاف ؟ إن هذه تعتبر لوثة عقلية ، وهفوة مَرَضِيَّةً .

إن هذه الألفاظ (مبتدعة لا أَصل لها في الشرع ، ولا هي صحيحة في العقل) [١] ، ولا أحسبها خرجت من فمه إلا على حين غفلة وذهول ، يشهد بكذبها (الاعتبار حساً وعقلاً) [٢] ، فماذا يعني القديم ، وماذا يعني الجديد ؟

إن الجديد يعني التطور ، والأخذ بأساليب المدنيَّة الحديثة والقوانين المعاصرة وأسلوب الحكم الحديث [٣] .

فمما عرف تاريخاً أن ألفاظ القديم والجديد ، أو التقليد والتجديد ، والمحافظة والتزمت والبدائية ، كل هذه ألفاظ ولدت في البيئة الأوربية عقب الثورة الفرنسية ... ثم وفدت إلى ديار الإسلام ، و(استغلت أقبح استغلال لمحاربة الأخلاق القويمة وباسم التقدم والتطور ولمحاربة الإسلام وتشريعه ونظمه ومثله العليا) [٤] بل العقاد نفسه يعلم (أن التجديد في الإسلام يبدأ من جانب « العلمانيين » أو الدنيويين) [٥] إذن فالجديد يعني : الخروج على الدين وأحكامه ، وتحكيم الهوى ، وهي ألفاظ (أطلقتها الصحف وروجتها وأذاعتها حتى أصبحت هي سبيل الناس المألوف للتعبير عن

---

* ألم أقل لكم : إنه صحفي .

(١) منهاج السنة النبوية : ٢/١٠٧ .

(٢) منهاج السنة النبوية ، ٦ /٣٩٧ . لعل الإعتبار هنا المعرفة والتفكير في حال الواقع ، فواقع هذه الألفاظ ظهر متأخراً ، فهي كاذبة ....

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ، ص ٥٩ .

(٤) محمد المبارك ، مصدر سابق ، ص٧٨ ، ١٩٢ ، وانظر : الاتجاهات الوطنية :٢/٢٠٩ ، وانظر : الفكر الإسلامي الحديث ص ٥٩ .

(٥) كتابه الإسلام في القرن العشرين ، ص ١٨٤ ، وهذه مصيبة أن يعلم هذا اللفظ الممجوج ثم يطلقه على صاحب رسول الله ﷺ .

المذهبين * ، تسمية خبيثة غير بريئة وغير منصفة للحقيقة) [١] ، ولكن مع ذلك لاننسى أن العقاد ـ رحمه الله ـ نشأ في وسط الإعجاب بالغرب ، ووسط الحرية التي لا تقيدها أخلاق [٢]، وبعد هذا ، أي الرجلين نطلق عليه لفظ الجديد الذي عرفنامعناه ، معاوية الصحابي أم العقاد الصحفي؟ ومن أولى بالميزان،معاوية كاتب الوحي أم العقاد كاتب « روز اليوسف » ** ؟ نترك الإجابة لذمة التاريخ .

الثاني ، كتابه « معاوية في الميزان » . يا ترى في ميزان من يحاكم العقاد صحابيَّ رسول الله ﷺ ؟ ما الذي ظهر له من هذا الصحابي حتى يؤلف كتابه هذا ؟ فإذا كان يعتبر معاوية مجدداً ، فلماذا لم يمدحه كما مدح أئمة التجديد المصلحين كما زعم بقوله : (ولم يخدم الإسلام أحدٌ في العصر الحديث كما خدمه المعلمون من طراز أحمد خان وجمال الدين ومحمد عبده) [٣] ، ونسأل العقاد ، بماذا خدموا الدين ؟

---

* القديم والجديد .

(١) الإتجاهات الوطنية ، ٢٠٩/٢ .

(٢) انظر : محمد المبارك ، ص ١٠٣ ـ ١٠٥ .

** إني لأعتذر سلفاً من كل قلبي وعصبي وجوارحي أن أقارن كاتب الوحي بكاتب آخر ساعة .

« والله لمشهد شهده رجل مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم ، ولو عمِّر ما عمِّر نوح » من قول سعيد بن زيد رضي الله عنه ، سير أعلام النبلاء : ١ / ١٠٣ ، ويقول ميمون ابن مهران « ولا تصغينَّ بسمعك إلى هوى ، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه » أهـ السير : ٧٧/٥ . ، ولقد سئل أحد السلف عن معاوية وعمر بن عبد العزيز أيهما أفضل ؟ فقال : والله لقول : ربَّنا ولك الحمد خلف رسول الله ﷺ خير من عمر ومن أيام عمرأهـ ولم أتبين أين موقعها ، والله يغفر لي تقصيري ، فأحببت أن أذكرها ، والعلم رحم بين أهله ، فمن وجدها فليهدها ، والله الموعد .

(٣) الإسلام في القرن العشرين ، ص ١٧١ ، ومن أراد أن ينظر إلى هؤلاء العصرين فلينظر في كتاب « مفهوم تجديد الدين » بسطامي بن محمد سعيد ، فليراجع من ١٢٠ ـ ١٥٠ ، وأحمد خان مفكر هندي أبو العصرانية في العالم الإسلامي عاش ما بين : سنة ١٢٣٢ ـ ١٣١٥ هـ ، ومن أراد أن يطلع على أحوال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده فعليه بالفصل الثالث من كتاب الإسلام والحضارة الغربية د/محمد بن محمد بن حسين رحمه الله ٦٧ =

الجواب : (بإعادة تأويل الدين وتفسير تعاليمه في ضوء المعارف العصرية السائدة)[١] أليس معاوية رضي الله عنه في نظر العقاد مجدداً ومن أنصار الجديد ، وكذلك هؤلاء المصلحون المعلمون المجددون ؟ فلماذا ذم ذاك ومدح هؤلاء ؟ إنه يفرق بين متماثلين في الصفة والدرجة كما زعم . إننا نحاكمه إلى قوله (عرفنا عجباً من العصبية العمياء التي تكيل بالكيلين وتزن بالميزانين في الحادث الواحد والحقبة الواحدة ، إذا وقفوا بين خصمين ... رأيت العجب في المقياس الذي يلتمسون به المعاذير لهذا وينكرونها على الآخر في اللحظة الواحدة)[٢] إذن أليس العقاد كال بكيلين ووزن بميزانيين ؟ أوليس هنا قد شابه الذين رد عليهم ؟

يقول عن معاوية (إلا أننا مع العلم بغيرته الدينية في شعوره وفعاله ، نستطيع أن نعلل جميع أعماله بعلة المصلحة « الذاتية » أو مصلحة الأسرة والعشيرة ، ونستطيع أن نعمم القول بغير استثناء على كل مسعى من مساعيه وكل حيله من حيله وكل مأثره من مآثره ، فنقول إن المصلحة الذاتية ... كافية لتعليلها والقيام بها ، وإنه لم يعارض المصلحة الذاتية بأرادته في حين واحد ، وعارض المصلحة العامة في أحيان)[٣] ، إن هذه الأقوال عند العقاد (تقدير له * وإنصاف للحقيقة التاريخية وللحقيقة الإنسانية كما يراها المجتهد في طلبها وتمحيصها)[٤] نعم : ضع يدك

=.١١٠ ، وهناك وثيقة تقول بخط جمال الدين (يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين ..... بأني أرجو من إخوان الصفا واستدعي من خلان الوفاء أعني أرباب المجمع المقدس المصون .... أن يمنوا عليَّ ويتفضلوا إليَّ بقبولي في ذلك المنتدى المفتخر ، ولكم الفضل ، سنة ١٢٩٢ محرر ربيع الثاني يوم الخميس ٢٣ ، توقيع جمال الدين ، أهـ من ص ٤٠ ، الماسونية تحت الأضواء عبد الجبَّار الزيدي ، مؤسسة الريان ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١ هـ .

(١) بسطامي بن محمد سعيد ، ص ١٢٠ .

(٢) ص ٨ معاويه في الميزان .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٦ .

* أي معاوية كما ذكر في السطرين اللذين سبقا هذا الكلام .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٣ .

وعينيك على لفظة « المجتهد » هل الولوغ في عرض هذا الصحابي يُعَدُّ اجتهاداً [١] ؟ أم أن هذا دخيلة هوى من حيث يريد ولا يريد [٢] ؟ وحاصل هذا الهوى أن العقاد نصب نفسه مجتهداً ، ولو أننا سألناه ما دليلك على ما تقول ؟ وما المثال الذي تثبت به دعواك بأن معاوية عارض المصلحة العامة في أحيان ؟ إنه سيجد ما ينقض دعواه .

إن هذا الكلام الذي ظهر من العقاد يُنَزَّل منزلة الفتوى ، فهل العقاد محل الفتوى ؟ إن العقاد ظاهره ينقض عدالته ، لماذا ؟ لأن الرجل الذي يجلس مع الممثلين والممثلات هدم مروءته جملة وتفصيلاً وأخلَّ بعدالته ، لأن من شروط المفتي (حفظ مروءته ومجانبة الريب والتهم) [٣] ، فكيف إذا انضاف إلى هذا الشرط ، شرط العلم ، وشرط التثبت في الأقوال [٤] ؟ فهل العقاد يعد من العلماء ؟ هل العقاد تثبت من هذا القول ؟ إن مما لا نشك فيه أن العقاد « صحفي أديب » وليس عالماً شرعياً ، وبناءً عليه فقوله ردٌّ ، ومخالف لأهل السنة حيث إن من أصولهم (الإمساك عما شجر بين الصحابة ، فأنه قد ثبتت فضائلهم ، ووجبت موالاتهم ومحبتهم ، وما وقع : منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان ، ومنه ما تاب صاحبه منه ، ومنه ما يكون مغفوراً ، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضا وذماً ، ويكون هو في ذلك مخطئاً ، بل عاصياً ، فيضر نفسه ومن خاض معه في ذلك) [٥] ، فإذا كان هذا فيمن خاض فيما شجر ، بينهم فما الحكم فيمن اتخذ عرض الصحابي غرضاً ؟ ولاسيما أن ماتفوه به العقاد يعد (ظناً محضاً ، والنبي ﷺ قال: " إياكم والظن ،

---

(١) لا تنس أن المدرسة العصرية العقلانية كلهم مجتهدون ، اجتهاداً ليس مقيداً وسط المذهب ، لا ، بل اجتهاداً مطلقاً ، بدلالة أنه وضع معاوية في الميزان .

(٢) انظر : معاوية في الميزان ، ص ١٣ .

(٣) المفتي في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في هذا العصر ، د / عبد العزيز الربيعة ، ص ٢٢ ، دار المطبوعات الحديثة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢١ .

(٥) منهاج السنة النبوية : ٤ / ٤٤٨ _ ٤٤٩ .

فأن الظن أكذب الحديث " [١] ، وهوظن سوء ، وقد علم أن الظن هو (الذي لايستند إلى أصل ، ويدخل فيه ظن السوء بالمسلم) [٢] ، بل إن هذا الكلام من المخاصمة بالسوء ، ومن أصول السلف ووصاياهم : (لا تخاصم فيهم ، وكل أمرهم إلى الله تعالى ، .... فاتق الله وحده لا شريك له .. ولا تهو ولا تشايع ولا تمايل) [٣] وكلام العقاد يرفضه مَنْ لأجله تَشَيَّعَ * يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه (يهلك فيَّ رجلان مفرط في حبي ومفرط في بغضي) [٤] ، وأين يذهب العقاد بقوله ﷺ " وأصحابي أمنة لأمتي ، فأذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون " [٥] ، وهذا الحديث يدلنا على أن الكلام في الصحابة من البدع والحوادث في الدين التي ظهرت بعد صحابة النبي ﷺ [٦] . إذن الولوغ في عرض الصحابي بدعة منكرة ، كيف لا ؟ وقد اتخذه غرضاً * فَشَتَمَه وجَرَحَه بل وَزَنَه بميزان الهوى ، وهذه عجلة أخذها

---

(١) نفس المصدر : ٤ / ٤٧٠ ، وتخريج الحديث هناك ، وقد رواه البخاري برقم : ٦٠٦٤ ، وراه مسلم ، حديث رقم : ٢٥٦٣ .

(٢) فتح الباري : ٥/١٢ .

(٣) شرح السنة للإمام البربهاري ، تحقيق د/ محمد بن سعيد القحطاني ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، دار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ .

* أقصد به هنا الانتصار والحميَّة لا مطلق الشيعة الرافضة .

(٤) السنة لأبن أبي عاصم ، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني ، ٢ / ٤٧٦ ، رقم الحديث : ٩٨٤ ، وإسناده حسن كما قال عنه الألباني ، طبعة المكتب الإسلامي ، دمشق ـ بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ .

(٥) شرح السنة للبغوي : ١٤/ ـ ٧٢ ، تحقيق : زهير شاويش وشعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، دمشق ـ بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ .

(٦) انظر شرح النووي : ٨٣/١٦ .

* هناك حديث " لا تتخذؤا أصحابي غرضاً : ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه " ولكنه ضعيف ، أنظره في صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، رقم ٧٢٥٦ ، ٢٤٤/١٦ ، تحقيق شعيب الأناؤوط ، مؤسسه الرساله ؛ بيروت الطبعه الثانيه ، ١٤١٤هـ

العقاد على المستشرقين ، ولكن العقاد قذف بها دون علم ، وكان يجب عليه (معرفه الحق في ذلك بالبحث والمذاكره ...وإلا رده إلى من هو أعلم منه بحجه يجب المصير إليها ، ويقف المرشد عليها ، والله عند لسان كل قائل وقصده ومجازيه بعمله ، فلا بد من زله قلم وعثره قدم ، ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [يوسف:٧٦]) [١] وأما قوله (أنه عارض المصلحة العامة في أحيان) فلم يفسرها لنا حتى نعرف ضابط المصلحة العامة ، وهذا شأن المستشرقين وتلاميذهم أنهم يذهبون إلى التعميم ، لأنهم لو فسروا لانكشفوا ، وفي الجملة فمعاويه رضي الله عنه : من احسن الناس سيرة في ولايته ، وكان من أحلم الناس ، وأصبرهم على من يؤذيه ، وأعظم الناس تأليفا لمن يعاديه ، والناس كانوا في ولايته رضي الله عنه متفقين يغزون العدو ، ولم يكن من ملوك المسلمين ملك خيراً من معاوية ، ولاكان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاويه ، إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده ، وفضائل معاويه في حسن السيرة والعدل والاحسان كثيرة ، وهل توجد سيرة أحد من الملوك مثل سيرة معاوية ؟ وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " خيارأئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم " [٢] وبعد هذا نصل إلى كذب العقاد حين قال :(جاءت الدولة الأموية في الأندلس بمؤرخين من الأعلام ينصبون الميزان راجحاً لكل سيرة أموية .... من هؤلاء أناس * [من] يضع معاوية في ميزانه فيكاد يحسبه بقية الخلفاء الراشدين ويتمحل المعاذير له في إسناد ولاية العهد إليه مع فسوقه وخلل سياسته وكراهة الناس لحكمه حتى من أبناء قومه) [٣] أليس هذا رجماً بالغيب ؟ أين أسانيد ذلك ؟ ورحم

---

(١) الدرر السنيه في الأجوبه النجدية ،١١٣/٦٩/٩ ، جمع عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الخامسه سنة ١٤١٦هـ ، بدون مكان واسم المطبعة .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب خيار الأئمة وشرارهم ، حديث رقم : ١٨٥٥ . وانظر عن هذا الكلام الذي مضى ، منهاج السنة النبوية : ٤ / ٤٢٩ ، ٤٤٥ ، ٦/ ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٧ .

*مثل ابن خلدون ، كما ذكر هو ص ١٣٢ من كتابه معاوية في الميزان ، .

(٣) معاوية في الميزان ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

الله شيخ الإسلام النميري حين قال (ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله بعد النبيين) [١]، إن العقاد قد شابه الرافضة في منهجهم الذي أصله وأسه وأساسه الكذب في النقليات [٢] ، وهو هنا أظهر بدعته فوجب الإنكار عليه ، وعلى هذا يهجر الكتاب ويصادر فإن لم يكن ذلك تهجر قراءته، ومن هجْره أن لا يؤخذ منه ولا يستشهد به حتى ولو كان كلاماً حسناً [٣] وبعد هذا قد علم شرعاً أن علياً أفضل من معاوية ، ولكن ينبغي على الإنسان أن يتكلم بعلم وعدل ، ويعطي كل ذي حق حقه [٤]. ، وذلك أن العقاد اغتاب معاوية ووقع في عرضه، (واعلم أن كل ما يفهم منه مقصود الذم ، فهو داخل في الغيبة ، سواءٌ كان بكلام أو بغيره ، كالغمز، والإشارة والكتابة بالقلم ، فإن القلم أحداللسانين)[٥] فعلى هذا لقد تكلم العقاد ـ رحمه الله ـ على عرض معاوية من غير علم ولا بصيرة ، وذلك (أن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم ....ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلف بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم ، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله)[٦] فالعقاد بكلامه هذا مثير فتنة ، والقلوب (تنفر إذا سمعت غير الحق) [٧] مما يكون سبباً في إيجاد (الفرقة والخلاف بين

---

(١) المنهاج ،١/٢٢.

(٢) انظر المنهاج : ١/٨.

(٣) انظر عن ذلك منهاج السنة النبوية : ١/٦٣.وإذا قرىء يُقرأ مع الإنكار على مؤلفه .

(٤) انظر المنهاج : ٤/٣٥٨.

(٥) مختصر منهاج القاصدين ، للشيخ الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة ، ص ١٧٠ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وأخيه عبدالقادر ، دارالبيان ، دمشق ، توزيع مؤسسة علوم القرآن، دمشق ـ بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ ، بدون عدد الطباعة .

(٦) التنبيهات اللطيفة على العقيدة الواسطية ، للشيخ ابن سعدي ، تعليق الشيخ ابن باز، تخريج علي بن حسن بن عبد الحميد ، ص ٩٦-٩٧ دار ابن القيم،الدمام ،الطبعة الأولى : ١٤٠٩هـ.

(٧) فتح الباري :١/٢١٩.

المسلمين)[١] ، (ومن سلك طريق الاعتدال عظّم من يستحق التعظيم ، وأحبّه ووالاه ، وأعطى الحق حقه ، فيعظّم الحق ، ويرحم الخلق وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة)[٢] ، ومما يعلم منه أن ما من قوم (يضيفون إلى الصحابة عيباً إلا وهم أعظم الناس إتصافاً به ، والصحابة أبعد عنه)[٣] ، فبناء على هذا لقد جاء العقاد أمراً هو في غنى عنه ، و كان السكوت أليق به مثلما سكت عندما سمع تقارير أجهزة أمن الثورة ترفع عمن يتكلم في الدولة ، ولقد سكت خائفا غير مأجور ، ولو فعل هذا مع الصحابي لكان مأجورا غير مأزور ، حتى وإن علم أن سبّ واحد منهم (لايقدح في الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر)[٤]،ولكنها بدعة ظاهرة مخالفة لأهل السنة.

وبعد فهل نعذر العقاد في كلامه عن معاوية ؟ وهل ننزل عليه قاعدة (المعذرة لأهل الجهل بالحكم إذا كان مما يخفى مثله)[٥] وهل الولوغ في عرض معاويه رضي الله عنه من الأحكام التي تخفى على العقاد ؟ ويترتب عليه سؤال وهو : هل العقاد حَرَصَ على اتباع الحق واجتهد في ذلك ؟ أم أنه رضي بالقعود واستسلم للكسل الذي يعيب به المستشرقين ؟ وهل تَيَسَّرَ للعقاد من يبيِّنُ له خطأهُ وأن هذا فيه جرأة على عرض هذا الصحابي ؟ وهل أقام على هذا ظاناً أنه صواب من القول انتصاراً لعلي بن أبي طالب وأهل بيته[٦] ؟ وفي الجملة هذه الأسئلة تريد إجابات لها حتى نزن كلام

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ، مصدر سابق ، ٢٦٩/٢.

(٢) منهاج السنة النبوية ،٥٤٣/٤, ٥٤٤ .

(٣) نفس المصدر ،٨٧/٢ .

(٤) تقريب الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لابن تيمية ، إعداد ، د/صلاح الصاوي ، ص ٣٢١ ، دار الإعلام الدولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٥هـ .

(٥) فتح الباري : ٥٦١/١ .

(٦) استفدت من كتاب السعدي الإرشاد إلى معرفة الأحكام تحريراً لهذه الأسئلة ص ٥٦٠ المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي المجلد الثاني قسم الفقه ، مركز صالح بن صالح الثقافي ، عنيزة ، ١٤١١ هـ ، وكان السبب بعد الله في إهتدائي لها ، كتا ب نواقض الإيمان القولية والعملية ، د / عبد العزيز العبد اللطيف ، ص ٧٩ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الثانية : ١٤١٥ هـ .

العقاد - رحمه الله - .

وعلى كل حال فقوله « مع فسوقه » هذه الكلمه وإن كانت ترجع على يزيد فأنها تعني مجاهرته بمعاصيه ، وهذه من إشاعات الروافض ، ومع هذا فالذي يجلس بجانب الممثلات وهنَّ يشربن الدخان ، وكاشفات الرؤوس والصدور احق والصق بهذه الكلمه* .

ومع هذا : أرجو ألا يكون العقاد متجرئاً على عرض الصحابي بقوله ولا فعله ، لأن (الجزاء يوم القيامة على ما في القلوب لا على مجرد الظواهر) [1] ، ومع ذلك فمن أظهر بدعة وجبت مناقشته وبيان الحق له ، فإن عاند عزِّر تعزيراً بليغاً يرتدع به ، وهو (التأديب لحق الله أو لآدمي غير موجب للحد) [2] ، فإذا كان كذلك فمن طعن في عرض الصحابي أولى بالتعزير .

٧ - يقول عن كربلاء (هي اليوم حرم يزوره المسلمون للعبره والذكري ، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهده ، ولكنها لوأعطيت حقها من التنويه والتخليد ، لحق لها أن تصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسه وحظاًمن الفضيله) [3] إن

---

* انظر مجموع الفتاوى عن يزيد بن معاوية : ٤٠٩/٣ - ٤١٤ ، ٤٨١/٤ - ٤٨٩ .

(١) منهاج السنة : ١٢٢/٥ .

(٢) الحدود والتعزيزات عند ابن القيم دراسة وموزانة ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، ص ٤٥٩ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة١٤٠٣هـ ، مع العلم أني قد أعرضت عن قول له عن معاوية بأن مقاتلته لعلي من باب التكالب على الدنيا ، ص ٣٤ من معاوية في الميزان ، ويقول عن عثمان (لأننا لا نؤمن بالعبقرية لعثمان رضي الله عنه) ص ١٦٨ ، عبقرية عثمان ، ومن ذا الذي جبرك أن تؤمن أو لا تؤمن ، إن الله الموعد .

(٣) الحسين بن علي ، ص ٨٦ ، ويبدو أن قصد الأضرحة ترسمت في مخيلته ، انظر عن ذهابه مع أناس لم يذكرهم إلى (ضريح ولي الله الذي نقصده لوفاء نذر الفدية والزيارة) أهـ من كتاب «أنا » ص ٤٦ ، عنوان « طفولتي » . فهذه أثرت عليه أسمعه يقول :

إلى الذاهب الباقي ذهاب مجدد ... وعند ثرى سعد مثاب ومسجد .

إلى مرجع الأحرار في الشرق كله ... إلى قبلة فيها الإمام موسد .

يذكر الإمام ابن حجر عن الخليل أن (المثابة مجتمع الناس بعد افتراقهم) الفتح :٥٢١/١=

العقاد دلس على قارئيه بلفظة « يزوره المسلمون » ، ولم يبين من هم المسلمون الذين يفعلون ذلك ؟ .

العقاد يرى أن مشهد كربلاء لم يعط حقه ومستحقه ، ولا أدري ماذا يريد أكثر مما يحصل عنده من البدع والشركيات ؟ إن العقاد يرى أحقية كربلاء أن تكون مزاراً لبني آدم كافرهم ومسلمهم ، .

العقاد تأثر بألفاظ الكنيسة ولا سيما لفظة « القداسة » ، وقد عُلِمَ أن التقديس بوابة الشرك . وبالجملة هذه ألفاظ ، ظاهر وحشتها في القلوب ، والنفرة منها ، وصدق رسول الله ﷺ " الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة " [1] وقوله ﷺ " البر ما سكنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم مالم تسكن إليه النفس ، ولم يطمئن إليه القلب ، وإن أفتاك المفتون " [2] ، ولا شك أن أهل التوحيد ينفرون من هذه الألفاظ ، التي يترتب عليها شد الرحال ، وشد الرحال إليها يتنازعه مقصدان :

الأول : للعبره والذكرى ، والسياحة ، وما يشبه هذه الأمور .

الثاني : للصلاة والدعاء عندها ، والنياحة والبكاء ،مايشبه هذه الأمور . فهنا التنازع يرد إلى غالب مايفعل عندها ، فإن كان الأول فسداً للذريعة وحفاظاً على سلامة التوحيد * فالمنع مقدم على مصلحة السياحة والعبرة والذكرى ، حتى ولو لم يقصد العبادة عندها ، وذلك حسماً وتقليلاً من هذه الظاهره الشيعية ** ، ولاسيما أن

= فلا غرابة أن يجعل من مشهد الشيعة ومزارهم مزار حق ...

(١) إسناده صحيح ، انظرحاشية رقم ٤ من السِّير : ٣/ ٢٤٦ فقد ذكر أنه أخرجه : د ، ت، ن ، جه .

(٢) صحيح الجامع للألباني : ٥٥٧/٢ ، حديث رقم : ٢٨٨١ .

* وذلكم (أن التوحيد سر القرآن ولب الإيمان) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٣٠٩ دراسة وتحقيق : د / ربيع بن هادي المدخلي ، مكتبة لينة ، دمنهور ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٩هـ .

** مع العلم أن قبر ـ الحسين ـ مختلف فيه اختلافاً كثيراً يصل إلى الإنكار على من يزعم معرفة قبره رضي الله عنه ، انظر البداية والنهاية : ٢٠٥/٨ ، ومما قاله رحمه الله (والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا) ص ٢٠٦ .

ذهاب السني فيه تكثير لظل الشيعة وتأييد لما هم عليه ، فأفعالهم عند هذا المشهد يرونها عبادة وتقرباً ، و(هذا من تحكماتهم الباطلة المأخوذة عن غير أصل)[1] ، وهي (مبناها على الكذب والإفتراء ، ولهذا : كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد ، كان إلى الشرك والإبتداع أقرب)[2] ، وذلك أن (هناك عشرات الألوف من الشيعة تزور مراقد الأئمة في إيران والعراق والمدينة المنورة كل يوم وفي آناء الليل وأطراف النهار ...إن العادة جرت للشيعة ومنذ قرون أن تقرأ أمام قبورأئمتها عبارات مطولات اسمها « الزيارة »* التي تجمع بين طياتها مدحاً للأئمة والثناء عليهم والتنديد بأعدائهم ثم قليل من الدعاء) [3] ، فهذا المشهد ابتدعه (الرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء ، وأعظمهم شركاً فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ، ولا أبعد عن التوحيد منهم ، حتي إنهم يخربون مساجدالله ..ويعمرون المشاهد التي على القبور)[4] ، إذن فالرافضة أول من اهتم بهذه المشاهد والبقاع ، ولا عجب فهم (أمة مخذولة ، ليس لها عقل صريح ، ولا نقل صحيح ، ولا دين مقبول ، ولادنيا منصورة .. [فـ] أصل دين المسلمين ، أنه لا تختص بقعة بقصد العبادة فيها إلا المساجد خاصة ، وما عليه المشركون وأهل الكتاب من تعظيم بقاع للعبادة غير المساجد فهو مما جاء الإسلام بمحوه وإزالته ونسخه)[5] ، وتعظيم المشاهد من فعل المبتدعة الذين يعظمون الصلاة عندها ويزدحمون عليها أكثر مما يفعلون في المساجد [6] ، ومن كان هذا حاله ويؤثر ذلك على

---

(١) الفتح : ٤٢٦/٣ .

(٢)اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية ،٧٥١/٢، تحقيق : د/ ناصر العقل ، الطبعة الأولى : ١٤٠٤هـ . مطبعة العبيكان ، الرياض .

* الكاتب وضعها بين قوسين .

(٣)الشيعة والتصحيح ، الصراع بين الشيعة والتشيع ، د/ موسى الموسوي ، ص ٩١ ، عام ١٤٠٨ هـ ، لوس انجلوس ، بدون عدد الطباعة .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ، مصدر سابق ، ٢ / ٧٥١ .

(٥) نفس المصدر ، ٢ / ٨١٥ ـ ٨١٦ .

(٦) انظر نفس المصدر ، ٢ / ٨٤٣ .

بيوت الله فهو منه (سريع الزوال بتوالي الغفلات)[١]، مع العلم أن كثيراً (من المشاهد ، أو أكثرها : كذب ، كالذي بالقاهرة ، على رأس الحسين رضي الله عنه ، فإن الرأس لم يحمل إلى هناك)[٢]، فعلى هذا شد الرحال إلى زيارتها نوع من الشرك ، (ولما كان هذا بدء الشرك ، سدَّ النبي ﷺ هذا الباب ، قال [ﷺ] " لا تتخذوا قبري عيداً ")*، وقد علم أن العيد من العود وهو الرجوع ، مما يفهم منه التكرار ، فعلى هذا يعلم منه أن تعظيم المشاهد (يوجد في الرافضة أكثر مما يوجد في غيرهم ، لأنهم أجهل من غيرهم ، وأكثر شركاً وبدعاً)[٣]، وبعد هذا العرض تبين لنا أن أكثر من يذهب إلى كربلاء الشيعة الرافضة (المسلمون) فعلى هذا سواءٌ قصد بها الذكرى والعبرة أو غيرها فهي ألفاظ غلو ، وقد علم أنَّ (من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل) [٤] ، وما ذلكم إلا أنهم (شرعوا للقبور حجاً ، ووضعوا لها مناسك ..... ولا شك أن هذا : مفارقة لدين الإسلام ، ودخول في دين عبادة الأصنام) [٥] ، وعلى هذا كان أولى للعقاد أن يكتم تباريح شوقه حتى لا تحرك غلواً يتلقفها من بعده فتحدث فتنة [٦] هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان الأولى للعقاد أن يتجنب الألفاظ المجملة التي يتنازعها مرادان أو أكثر ، ورحم الله شيخ الإسلام حين قال (إن كثيراً من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ، ومعان مشتبهة ، حتى تجد

---

(١) الفتح : ١ / ٦٠ ، وهذا ذكره عمن يؤثر زيارة قبره ﷺ .

(٢) الدرر السنية ، مصدر سابق ، ٢ / ١٢ .

* الدرر السنية : ٢ / ٩ . وانظر تخريج الحديث من الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد ، صالح بن عبد الله العصيمي ، ص ٧٨ ، رقم الحديث : ٥٢ ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ . فقد ذكر أنه حديث حسن .

(٣) الدرر السنية ، ٢ / ١١ ، ٤٩ ، ١٨٩ ، ١ / ٢٩٣ .

(٤) رياض الجنة في الرد على أعداء السنة ، ومعه الطليعة في الرد على غلاة الشيعة ، حول القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ ، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، ص ١٧١ ، توزيع دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، ط : ٢ سنة (١٩٨١م) مطبعة المدني ، القاهرة .

(٥) الدرر السنية : ١/ ٤٢٠ .

(٦) استفدته من الإمام الذهبي ، السير : ٥٩٧/٢ .

الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها ، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلاً عن أن يعرف دليله) [(١)] ، وكان أولى له أن لا يسقط اصطلاحات قومه وعادتهم في الألفاظ على مثل هذا الأمر ، فالمزارات وقصد الأضرحة معروف مشهور وسْطَ بعض أهل مصر ، وهنا يسبق قلمه إلى مثل هذه الألفاظ ، ومن المعلوم (أن كثيراً من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ... ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك) [(٢)] ، بل (إن النفوس تميل غالباً إلى ما يكثر ترداده عليها ، ومن ههنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس في هذا الزمان) [(٣)] ، وليعلم (أن لفظ الزيارة للقبور قد صار في عرف الناس متناولاً للزيارة الشرعية المأمور بها ، والبدعية المنهي عنها ، بل كثير منهم إذا أطلق زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، إنما يفهم منها الزيارة البدعية المنهي عنها ، كاتخاذ قبورهم مساجد وأعياداً) [(٤)]

وبهذا نصل إلى أن العقاد ـ رحمه الله ـ لم يتحقق هل هذا المشهد الذي يعمله الشيعة من أجل قتل الحسين ، أم من أجل أنه دفن هناك ؟ أم من أجل تعظيم تلك البقعة فتتخذ مزاراً ؟ أم من أجل إظهار محبة الحسين ؟ أم من أجل العظمة ؟ أم ماذا يا ترى ؟

وبناءً عليه نخلص أن العقاد قد ركب لفظاً موهماً ومحتملاً ، ومع هذا أو ذاك

---

(١) مجموع الفتاوى : ١١٤/١٢ . وكان السبب بعد كرم الله جل جلاله كتاب « الغلو في الدين ، في حياة المسلمين المعاصرة ، دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف ، لعبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ص ٥٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٢هـ ، وهو من أحسن ما كتب في هذا المضمار .

(٢) مجموع الفتاوى : ٢٤٣/١ .

(٣) إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، محمد جمال الدين القاسمي ، تخريج الشيخ ناصر الألباني ، ص ٣٧ ، المكتب الإسلامي ، دمشق - بيروت ، الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٣هـ .

(٤) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٩٣ ، تحقيق : سليمان الغصن ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١١هـ .

فـ (السفر إلى غير المساجد الثلاثة غير مشروع ، كما اتفق على ذلك السلف والأئمة) [١] ، لأن العقاد ذكر أن مشهد كربلاء أهل أن يكون مزاراً ، إذن اجتمع القصد وشد الرحال إليه ، فعلى هذا يكون تعظيماً ، وهو منهي عنه باتفاق العلماء ، لأنه تَضَمَّنَ (محرماً إما من الندب والنياحة المحرمة ، وإما من الشرك والبدع المحرمة) [٢] ، وهذا يؤدي إلى التنازع ، فيقال لك : إنك تقصد كذا ؟ وتقول : لا أقصده ، و هكذا فتجنب الألفاظ الموهمة طمأنينة ، وقولها ريبة ، وقد علم شرعاً أن (كل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين ، سواء كان قولاً أو فعلاً) [٣] فعلى هذا يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة حتى تظهر السنة والشريعة ، وتظهر الألفاظ التي هي أقرب إلى البدعة ، (والبدعة مقرونة بالفرقة ، كما أن السنة مقرونة بالجماعة) [٤] ، وبهذا يتبين لنا أن قوله « المسلمون » * هم الرافضة ، (هؤلاء مجتمعون على خلاف الكتاب والسنة ، مخالفون لما عليه الأمة من أهل السنة والجماعة ، مجمعون على ضلالة) [٥] فعلى هذا بدت الحقيقة أن الرافضة غالبٌ أمرهم وظاهر عند ذلك المشهد ، فوصفهم بالمسلمين لا يغير شيئاً (والحكم يدور مع الحقيقة لا مع الأسماء) [٦] والله تعالى أعلم .

٨ ـ قوله (احتفل المسلمون بالنيروز... فحققوا بذلك أن الإسلام دين العالمين) [٧] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٠٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٤ .

(٣) الاستقامة لشيخ الإسلام ، ٣٧/١ ، تحقيق د/رشاد بن محمد سالم ، الطبعة الثانية ، نشر وتوزيع مؤسسة قرطبة .

(٤) نفس المصدر ، ٤٢/١ ، وانظر قبلها ص ٤١ .

* وإن كان لا يمنع أن بعض أهل السنة ينخدعون بهم ويزورونه معهم ، لكن الحكم للغالب .

(٥) الصواعق المرسلة الشهابية ، على الشبه الداحضة الشامية ، سليمان بن سحمان الحنبلي ، ص٢٩٦ ، تحقيق : عبد السلام البرجس ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى: سنة ١٤٠٩هـ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٣١٤ .

(٧) التفكير فريضة ، ص ١٩٢ .

إن هذا محض افتراء ، بل السلف كانوا ينهون عن ذلك ، وقد علم أن النيروز من أعياد الفرس ، من احتفل به (كان ذريعة إلى إقامة شعار هذه الأيام وإحياء أمرها) [١] ، وسئل شيخ الإسلام عن ذلك ، (فأجاب : الحمد لله لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شئ مما يختص بأعيادهم .... وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : من تأسى ببلاد الأعاجم ، وصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت ، وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة ...بل قد شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب والصحابة وسائر المسلمين أن لا يظهروا أعيادهم في ديار المسلمين ، وإنما يعملونها سراً في مساكنهم ، فكيف أظهرها المسلمون أنفسهم ؟ ... ولا يعاونون على شئ من دينهم ، لأن ذلك من تعظيم شركهم ، وعونهم على كفرهم ، ينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك ...) [٢]

وهل تحقيق أن الإسلام دين العالمين ، لا يكون إلا بالإحتفال بالنيروز ؟ إذا لم تكن هذه هي العصرنة والعقلنة فلا ندري ما العصرنة والعقلنة ؟ ...بل مما يريده الإسلام أن نهجر شعائرهم وطقوسهم (وأعظم شعائرهم أعيادهم المكانية والزمانية ، فيجب على المسلمين هجرها والابتعاد عنها) [٣] .

وقد علم عادة أن (الموافقة في القليل تدعو إلى الموافقة في الكثير) [٤] ... (وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم ، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط ... فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة ، توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي ..[لـ] أن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة ، وموالاة في

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم : ٥٧٧/٢ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٢٥ / ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٣) كتاب التوحيد للصف الأول الثانوي، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية ، الوحدة الثانية ، ص ٤٢ ، طبعة : ١٤١١هـ ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم : ٤٨٦/١ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم : ٤٨٧/١ . وانظر : ٤٢٥ ـ ٤٢٦ ، ٤٤٤، ٤٥٥ ، ٤٧١، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٨٢ .

الباطن ...) [١] فأن دل هذا فإنما يدل على جهل العقاد بأحكام الإسلام ، وفقره في مقاصد الشرع ... وهذا يغلب على المدرسة العقلانية [٢].

٩ ـ ترداده وتكراره لاسم محمد ﷺ ، بدون ذكر الرسالة أو الصلاة عليه ﷺ إلا نادراً ، وهذا (ما نلحظه في كتابات كثير من الباحثين المسلمين من إطلاق لفظة « محمد » كما يستعملها المستشرقون بدون ذكر الرسالة أو الصلاة عليه ﷺ) [٣] ، يقول : « ما تخيلت محمداً » « وكأني بمحمد » ، « ومحمد قد اتقى رؤية طفل يموت لابنته » « أو كان من الحتم أن يكون محمد مثال الآباء » « نبين مزية محمد على جميع السادة » * وهذا مثال وإلا فغالب كتبه من هذا ، والله المستعان .

فضلاً عن أن كل كتبه الإسلاميات التي اطلعت عليها عرت تماماً من الحمدلة وذكر الله وتسميته والصلاة والسلام على رسوله ﷺ ، إلا « الإسلام في القرن العشرين » فقد بدأ كتابه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ** وكذلك « محمد عبده » فقد بدأ بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) *** وكذلك كتابه « حقائق الإسلام وأباطيل خصومه » فقد بدأه بقوله (بسم الله ، وعلى هدى من الإيمان بالله) ****، وما سوى هذه فهو جفاء وجفاف ***** روح ، ومع ذلك نفوض الأمر إلى من هو قائم على كل نفس بما كسبت،

---

(١) نفس المصدر : ٤٨٧/١ ، ٤٨٨ .

(٢) انظر : العقلانيون أفراخ المعتزلة ، العصريون ، علي بن حسن بن عبد الحميد ، ص ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ٢٠٧ ، مكتبة الغرباء ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٣هـ . وخاصة جهله بالولاء والبراء .

(٣) العلمانية ، للشيخ سفر الحوالي ، ص ٥٥٠ .

* كل هذا تجده في عبقرية محمد ﷺ ، ١٢٥ ـ ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ .

** ص ٧ .

*** ص٣ .

**** ص ٥ .

***** انظر التماس ابن حجر للبخاري عندما اعترض عليه المعترضون بعدم ذكر حمده والشهادة ...... فقال ما محصله إن هذا لا يتعين بالنطق والكتابة معاً، فلعله حمد وتشهد نطقاً عند وضع الكتاب ولم يكتب ذلك أهـ الفتح ٨/١ .

وسواء هذا أو ذاك فهذا بخل على المصطفى ﷺ أن يذكر اسمه ولم يصل عليه ، قال ﷺ : " البخيل من إذا ذكرت عنده ، فلم يصل عليَّ " * . وإن كان هناك من مؤاخذة يسيرة فهي أنه رضي أن يدخل الرسول ﷺ تحت مقاييس العظمة البشرية فصار عظيماً (وفاقاً لكل مقياس صحيح يقاس به العظيم عند بني الإنسان في عصور الحضارة)** ، فمنزلة النبوة فوق القياس وقد علم أن القياس أركانه أصل مقيس عليه ، وفرع مقاس ، وعلة جامعة بينهما ، فيا ترى من وضع مقاييس العظمة البشرية ؟ أوَ ليسوا بشراً ؟ بلى ، إذن فعلى أي أساس يقاس نبيٌ من الأنبياء على مقاييس البشر الذين قد يكونون ماديين ، ولأن (الأنبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته ، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه ، فهم يخبرون بمحارات العقول ، لا بمحالات العقول) [1] وبعد فلقد كان لي حديث رسول الله ﷺ " الدين النصيحة " *** منهجاً في معالجة هفوات العقاد ـ رحمه الله عز وجل ـ ، لأن من لم ينصح لعامة المومنين (كان ناقص الدين) [2] ، ومن النصح للعقاد ـ حيث أنه من

---

* أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي ... انظره في صحيح الجامع : ٥٥٧/١ . حديث رقم : ٢٨٧٨ .

** عبقرية محمد ﷺ ص ٥٢ وانظر قبلها ص ١٤٩ .

(١) مجموع الفتاوى :٣١٢/١ . وقد كان سبب اهتدائي إليه بعد كرم الله جل جلاله الشيخ عمر بن سليمان الأشقر ، في كتابه « الرسل والرسالات » ص٣٧ ، مكتبة الفلاح ، الكويت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ . وقد علم من حال الأوربيين أنهم ليسوا على دين عيسى ابن مريم حتى تنطق ألسنتهم بالحكم الذي يحاكم إليه البشر، بل هم صنعوا هذه المقاييس بأنفسهم لأنفسهم ، فمن العجز والفهاهة أن نحاكم إليها النبوة ، لأنها (موهبة من الحق تعالى ، لا حيلة للعبد في اكتسابها ، بل بها يتولد العلم اللدني والعمل الصالح) أهـ من السير : ٩٦/١٦ . وعلى هذا فالأوربيون فقراء في العلوم الإلهية ، وفقراء في العمل الصالح ، فكيف نحاكم من هو متصف بكمال العلم والعمل إلى من هو عارٍ منهما ، فقيرة روحه ، مضطرب قلبه ؟ .

*** أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة رقم الحديث : ٩٥ .

(٢) السير : ٥٠٠/١١ .

عامة المسلمين ـ إحسان الظن به ، وعرض كلماته التي أطلقها على كلام الله ورسوله ثم فتاوى علماء المسلمين وعلى رأسهم صحابة النبي ﷺ ، وكل إنسان ليس معصوماً من الخطأ ... وكان أولى له ألا يطلقها ، لأن إطلاق اللسان في الصحابة (هو داء الدين) * ، وإطلاق اللسان في شئ لم يثبت منه (هو هلاك الدين) * فكلامه في (الإسلاميات) [1] لا يتخذ قدوة ، لأنه (لا قدوة إلا في أهل الصفوة وأرباب الولاية المنوطة بالعلم والسنن) [2] ، (ولو كفَّ عن تلك العبارات [وما يشبهها] وقال بما وردت به النصوص لأجاد ولسلم ، فهو الأولى ، فما في توسيع العبارات الموهمة خير .... [و] الأكمل [في ذلك] الوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة ، وهذا هو مذهب السلف رضي الله عنهم) [3] ، ومع ذلك فالإشفاق على خلق الله واصطحاب حسن النية علامة من علامات الخير للعبد ، وتبييت سوء النية وهوى تَصَيُّد الأخطاء مسلك نفسي خطير إن لم يزم نفسه بالتقوى والحذر من الوقيعة في أعراض المسلمين ، فضلاً عن كونه ظلماً ، حيث جاء بعد عجلة وهجوم على الحكم ، فمن ثَمَّ اتخذت قول الشاعر :

أما والله إن الظلم شؤم ... ومازال المسئ هو الظلوم .

إلى الديان يوم الحشر نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم ،

مطية أركبها ، وأدعو الله بأن يسلمني أن يخاصمني العقاد ـ رحمه الله ـ يوم القيامة في عرضه ، وما أصدق الشاعر حين قال :

إذاما قتلت الشئ علماً فقل به ... ولا تقل الشئ الذي أنت جاهله .

فمن كان يهوى أن يرى متصدراً ... ويكره لا أدري أصيبت مقاتله . **

---

* انظر هذين اللفظين من السير : ٤٨٢/١٧ .

(١) قصدي فيما سوى ردوده على المستشرقين .

(٢) السير : ١٧٩/٢٢.

(٣) السير : ٤٦٤/٢١ .

** استفدتها من كلام الدكتور : محمد الخضر الناجي في دروسه على الأجرومية ، فاتخذتها شعاراً ، ولا سيما أننا في زمن الشعارات ، وعند الله تبلى السرائر ، فيارب سترك .

فبناء عليه يشكر للعقاد ـ رحمه الله ـ على ما بذل من جهد ورد على خصوم الإسلام ، وله عند الله المثوبة مع احتساب النية واستحضارها ، والأصل في المبدأ لا في المنتهى * ، وإن بدر منه هفوات فنسقط عليه قول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ وهو مذهب أهل السنة كما ذكر رحمه الله ، ذلكم هو قوله :

(إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ، ومعصية وسنة وبدعة : استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة بحساب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجمع له من هذا وهذا ... هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة ...) [١]

وعرض كلمات العقاد على الكتاب والسنة ثم فتاوى أهل الديانة والأمانة من باب النصيحة ومن باب تطهير أفكار الناشئة مما يعلق بها من الواردات بحجة أن فلاناً قد قال ... فعندها ، لابد من التحذير من كل كلمات موهمة محتملة ، لتجَلّى ويفهم المراد منها ثم يسقط عليها الفتوى المنوطة بالعلم والسنن ، لا بالاعتراضات والقدح العاريين عن ذلك ، لأن الاعتراض بذلك (ليس بعلم ولا فيه منفعة) [٢] ، والله خير وأبقى يقص الحق وهو خير الفاصلين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

---

* الإنسان إذا كان الباعث له على أي عمل الدِّينَ فهو الخير ، واستدامة النية منزلة من منازل السائرين إلى الله ، فإذا طرأ طارئ الرياء فالحكم للبداية لا لهذا الطارئ إلا أن يجاريه ويستفحل عليه ، انظر :مختصر منهاج القاصدين ، ص ٢٢٥ ، و (وصفاء القصد تجريده لطلب المقصود له لا لغيره .... ويراد به : خلوص القصد من كل إرادة تزاحم مراد الرب تعالى) أهـ تهذيب مدارج السالكين ، ٢/٩٠٥ .

(١) مجموع الفتاوى : ٢٨ / ٢٠٩ ، وانظر فتواه عن الغيبة : ٢٨ / ٢٢٢ ـ ٢٣٦ .

(٢) نقض المنطق ، لابن تيمية ، ص ٢٥ ، وانظر : مجموع الفتاوى : ٢٨ / ٢٣٣ . وبالله ما أصدق الإمام البخاري حين قال « أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني أغتبت أحداً » السير : ١٢/٤٣٩ ، ومن الذي يستطيع أن يضمن على نفسه ما ضمنه البخاري من الوقيعة في أعراض المسلمين ، فيارب غفرانك ورضوانك استرنا بسترك الجميل واجعل من وراء سترك ما ترضى به عنا ، وصلِّ اللهم على محمد وآله وأصحابه وسلِّم .

الخاتمة

الخـــــاتمـــــة

اللهم (يا رب كيف أطيق شكراً ، وأنت الذي تنعم عليَّ ثم ترزقني على النعمة هذا الشكر ، ثم تزيدني نعمة بعد نعمة ، فالنعمة منك يارب ، والشكر منك ، فكيف أطيق شكرك يارب) [1] ،

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، ثم أما بعد :

فقد علم لغة أن من معاني الختم الآخر الذي لا يعقبه شئ أي (هو بلوغ آخر الشئ) [2] وعلى هذا كان رسول الله ﷺ خاتم النبيين أي (لا نبي بعده ...وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ) [3] ، إذن هو يقين في يقين بل هو عين اليقين ، وبما أن الأمر كذلك ، فخاتمة هذا البحث لا تعني أنه لا يمكن دخول غيرها فيها ، بل هي خواطر واستنباطات قابلة للزيادة والنقصان ، جاءت عقيب رحلة مع هذا البحث ، وهذا القول لم يأت خوف نقد بل هو خاطر ألم بصاحبه فأحب أن ينفثه ، والله عليم بذات الصدور ، **فأهم ما جاء في هذا البحث الآتي** :

١ ـ أن حملة « نابليون بونابرت » كانت بذرة التغريب في بلاد المسلمين ، مما نتج منه الإزدواجية الفكرية والعلمانية أي فصل الدين عن الحياة ، وكانت سبباً في الصراع بين الأصالة الإسلامية والجديد الغربي أو ما يسمى بـ (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية) .

---

(١) مطالع السعد بكشف مواقع الحمد ، للإمام ابن القيم ، تحقيق : فهد بن عبد العزيز العسكر ، ص ٤٣ دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٤هـ .
وانظر : مرويات الأمام أحمد في التفسير ، ٣ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣ وفي لفظ وإن كان فيه ضعف عن الحسن البصري قال: قال نبي الله داود عليه السلام :إلهي لو أن لكل شعرة مني لسانين يسبحان الليل والنهار والدهر كله ما قضيت حق نعمة » أهـ ، انظر كلا المصدرين ، الأول ص ٤٢ ، والثاني : ٣/٤٤٣ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، مادة « ختم » ٢/٢٤٥ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٣/٤٦٠ ، عند آية ٤٠ من الأحزاب ، ومن معجزات هذا القرآن أنها لم ترد إلا مرة واحدة .

٢ ـ كانت بداية محاولة إنشاء وطن قومي للمتهودين الذين هم من سلالة الخزر .

٣ ـ تبين من البحث أن المستشرقين من جنود (الإستعمار) الذي هو في حقيقته استبداد واستعباد واستخراب العقول والأرض الذي يمتطي (الوعود الكاذبة والنفخ بأزدهار الحياة ، مع تمدد الفساد وفتح طرق الضلال)[1] .

٤ ـ تبين من البحث أن المستشرقين لقبوا بهذا الاسم نتيجة دراساتهم عن الشرق الإسلامي وأهله خاصة ، ثم الشرق عامة .

٥ ـ تبين من البحث أن المستشرقين يبنون أقوالهم على إشاعات وأوهام وأكاذيب سطرتها عقولهم المخمورة وقلوبهم الحاقدة الموسوسة ، وصدورهم المحصورة ، مما كان سبباً في عدم رجوعهم للمصادر الإسلامية ، وإن رجعوا فهم يغطون الحقيقة بأيديهم وأرجلهم .

٦ ـ تبين من البحث تحكمهم في المصادر التي يأخذون عنها ، وكان ذلك نتيجة « السطو والقرصنة » التي اجتاحت مخطوطات البلاد الإسلامية ، فأذاعوا بأباطيل (جمع أبطولة) لا تروج إلا عند ضعاف العقول من المسلمين .

٧ ـ تبين من البحث أنهم يجادلون بالباطل ، ومن كان هذا حاله فليس له إلا السيف ، ولا يتم ذلك إلا بمراجعة المسلمين دينهم الداعي إلى الجهاد الذي من مقاصده أن يكون « الله أكبر » .

٨ ـ تبين من البحث أن رد شبهاتهم على (الفروع) فيه تنزل معهم ومجاراة لهم ، لأنهم جحدوا رسالة رسول الله ﷺ وما جاء به من البينات * ، فالأولى أن تكون المعركة اللسانية في ثبوت رسالة الرسول ﷺ من نفيها .

٩ ـ تبين من البحث أن ردود العقاد كانت إلى الهجوم أقرب منه إلى الدفاع ،

---

(١) الرد على المخالف من أصول الإسلام ، بقلم بكر عبد الله أبو زيد ، ص٩ ، دار الهجرة، الدمام ، سنة ١٤١١هـ بدون عدد طباعتها .

* انظر ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لأبي عبد الله محمد ابن الوزير ، ص٤٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ .

فـ (موقف الدفاع ـ دائماً ـ موقف ضعف) [1] ونهايته التسليم للخصم وسيطرته على المدافع .

١٠ ـ تبين من البحث أن ردوده كانت عقلية ... ولكن مع هذا كان يحاكم القوم إلى كتبهم وأقوالهم .

١١ ـ استعمل ـ رحمه الله ـ المقارنة ، حيث بَيَّنَ مساوىء تشريعات الغرب وأماط اللثام عنها ، ثم ذكر محاسن تشريعات الإسلام وفضائلها .

١٢ ـ تبين من البحث أن العقاد قبل أن يكون كاتباً إسلامياً ، كان كاتباً صحفياً أديباً متأثراً بالمدرسة الغربية المتحررة من قيود الدين والأخلاق ، مما كان له أثر في عدم وضوح الرؤية الإسلامية ، ولازمه القلق في ضبط مصطلح « الحرية » .

١٣ ـ تبين من البحث أن العقاد وصل بفطرته إلى إثبات وجود الله عز وجل ، وإلى تفرد الله بالكمال والجلال والجمال ، وأن ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وأن صفاته معلومة المعنى مجهولة الـ (كيف) .

١٤ ـ تبين من البحث أن العقاد ـ رحمه الله ـ استعمل ألفاظاً محتملة موهمة ، مما تكون سبباً في إحداث فتنة بين مؤيديه ومخالفيه ، ومع ذلك فقد كان يستعمل ألفاظاً هي محض افتراء كما في مسألة « النيروز » .

١٥ ـ تبين من البحث أن حسن الظن بالمسلمين مطلب شرعيٌ خاصة الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يعفو عنا وعنهم ... أي إن اصطحاب حسن النية * للذين لم يتمحضوا للشر أمر مقصود لذاته ، فنفوض أمرهم إلى الله ، ومنهم العقاد فقد تبين من البحث بعد رحلة معه استغرقت من مساء الثلاثاء ١٤١١/١٢/٦هـ إلى ظهر الأربعاء ١٤١٦/٨/٥هـ ، أنه لم يتمحض للشر ، هكذا أحسبه والله حسيبه .

١٦ ـ تبين من البحث أنه أخطأ كثيراً حين وقع في عرض معاوية رضي الله عنه ،

---

(١) ضوابط للدراسات الفقهية ، سلمان العودة ، ص ٢٨ ، دار الوطن ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ .

* وبالله ما أصدق الشاعر حين قال :

ومراد النفوس أهون من أن ... نتعادى فيه وأن نتفانى .

وكان أولى له أن يتبع الحق فيقول بعلم ويحكم بعلم دون حظ من حظوظ النفوس .

١٧ ـ أن السكوت في أمر لم يُتَبَيَّنْ أسلم وأحكم ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾ آية ٣٦ ، الإسراء .

١٨ ـ تبين من البحث إخلاصه ورغبته ـ والله حسيبه ـ في رد أوهام المستشرقين .

١٩ ـ تبين من البحث أن العقاد صاحب غيرة على الإسلام فها هو يسأل هذا السؤال :

(فهل نحن أقل منهم [الأوربيين] غيرةً على لغتنا لغة القرآن الكريم !!!) [١] ، والله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



(١) نقلتها بعلامات تعجبها من « الكلمات الأخيرة للعقاد » ص ١٢ .

التـــوصـــيـــات

١ ـ قراءة إسلاميات العقاد ، ومعرفة السابق واللاحق من كلامه ثم وضعها في ميزان الإسلام .

٢ ـ عمل ملحق أو تخصيص المجلات الإسلامية زاوية للإستشراق .

٣ ـ إصدار « دورية » إما شهرية أو نصف حولية أو حولية تُعنى برصد المستشرقين وإصداراتهم .

٤ ـ دراسة إمكانية وضع مادة دراسية مستقلة عن الإستشراق في الدراسات العليا عامة متخصصها وغير متخصصها .

٥ ـ استقراء الآيات التي ذكرت أهل الكتاب والأحاديث النبوية ومحاوراتهم وأسئلتهم مع الرسول ﷺ .



المـــــراجـــــع :

١ - أباطيل الأباطيل ، حسني شيخ عثمان ، مكتبة الصديق ، الطائف ط ١ سنة ١٤٠٩هـ .

٢ - الإبتعاث ومخاطره ، د. محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، بدون تاريخ الطباعة وعددها .

٣ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، د. فهد بن عبد الرحمن الدومي ، ط١ سنة ١٤٠٧هـ بدون مكان الطباعة ، (طبع بأذن من رئاسة البحوث) .

٤ - اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ، د. حمد بن صادق الجمال ،ط عالم الكتب ، الرياض، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .

٥ - الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، الشيخ الدكتور محمد بن محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٧ سنة ١٤٠٥هـ .

٦ - آثار البلاد وأخبار العباد ، القزويني ، دار بيروت ، بيروت سنة ١٣٩٩هـ ، دون عدد الطباعة .

٧ - أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي ، د. يوسف عز الدين دار الصافي للثقافة والنشر ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ ، سلسلة النقد والدراسات الأدبية رقم ٣ .

٨ ـ أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ، د. جميل عبد الله المصري ، مكتبة الدار ، المدينة ،ط ١ سنة ١٤١٠هـ.

٩ ـ أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع ، د. محمد بن حسين الذهبي رحمه الله ، دار الإعتصام ـ القاهرة ، ط ١ سنة ١٣٩٨هـ

١٠ ـ الأحزاب السياسية في الإسلام ، صفى الرحمن المباركفوري دار الصحوة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ .

١١ ـ أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام غاي كار ، ترجمة سعيد جزائرلي ، مراجعة بدوي ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٥ سنة ١٤٠٣هـ .

١٢ ـ أخبار مكة ، محمد بن عبد الله أحمد الأزرقي رحمه الله ، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس ، بيروت ، دون ذكر السنة وطباعتها .

١٣ ـ اختاروا أحد السبيلين الدين أو اللادينية ، الدكتور : محمد نصر رئيس وزراء أندونوسيا سابقاً ، الدار السعودية ـ جدة ، ط ٤ سنة ١٤٠٣هـ .

١٤ ـ اختصاص القرآن بعودة الرحيم الرحمن، لمحمد بن عبد الواحد المقدسي. تحقيق : عبد الله يوسف الجديع ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤٠٩هـ .

١٥ ـ اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ، لواء : أحمد عبد الوهاب ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ .

١٦ ـ أخطار على المراجع العلمية لأئمة السلف ، بقلم الشيخ / عثمان ابن عبد القادر الصافي ، دار الفاروق ـ الطائف ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ

١٧ ـ الأخوة الزائفة ، القصة المذهلة للمكائد والدبلوماسية الخبيثة لإخضاع البشرية والسيطرة عليها ، لـ « جاك تَنيٍّ » عضو مجلس الشيوخ الأمريكي ، ترجمة : أحمد اليازوري ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط ٥ سنة ١٤٠٨هـ .

١٨ ـ أدب الردة قصة الشعر العربي الحديث ، لجمال سلطان مركز الدراسات الإسلامية ، بريطانيا ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

١٩ ـ الأدب العربي من الإنحدار إلى الإزدهار ، د. جودة الركابي ، ط : دار الفكر سنة ١٤٠٢هـ ، بدون عدد الطبعة .

٢٠ ـ أدب نجيب محفوظ ، وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب . د. السيد أحمد فرج ، دار الوفاء ، النصورة ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ .

٢١ ـ أزمة العصر ، للشيخ الدكتور . محمد بن محمد بن حسين ، دار عكاظ ، جدة ، سنة ١٣٩٩هـ .

٢٢ ـ أزمة المثقفين في ديار الإسلام ، جمال سلطان ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .

٢٣ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، للشيخ العلامة د. محمد بن محمد أبو شهبة مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ٤ سنة ١٤٠٨هـ .

٢٤ ـ أسرار التكرار في لغة القرآن ، د. محمود السيد شيخون مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٣هـ .

٢٥ ـ الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، د. صابر طعيمة ، عالم الكتب ، بيروت ط ١ سنة ١٤٠٦هـ .

٢٦ ـ الإسلام بين العلماء والحكام ، للشيخ عبد العزيز البدري رحمه الله دار القلم ـ الكويت ، ط ٢ سنة ١٤٠٦هـ .

٢٧ ـ الإسلام الدين الفطري الأبدي ، للعلامة أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤٠٥هـ .

٢٨ ـ الإسلام على حلبة الصراع (دارسة لأوضاع العالم المعاصر) للأستاذ / أحمد الشريف ، دار المجتمع ، جدة ، ط ١ سنة ١٤١٣هـ .

٢٩ ـ الإسلام في عصر العلم ، محمد أحمد الغمرواي دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ، سنة (١٩٧٨م) ـ بدون عدد طباعة .

٣٠ ـ الإسلام في وجه التغريب ، مخططات التبشير والإستشراق للأستاذ أنور الجندي ، دار الإعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ وبدون عدد طباعة .

٣١ ـ الإسلام قوة الغد العالمية ، باول شمتز ، ترجمة د: محمد شامة مكتبة وهبة ، عابدين ، القاهرة ، سنة (١٩٨٣م) بدون عدد الطباعة .

٣٢ ـ الإسلام وأوضاعنا القانونية ، عبد القادر عودة الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، سنة ١٤٠١ بدون عدد الطباعة .

٣٣ ـ الإسـلام والتـحديات الجديدة ، د. محـمـد عـمـارة سلسة معارف إنسانية رقم (٤) ندوة الثقافة والعلوم ، دبي ، ط ١ (١٩٩٣م) .

٣٤ ـ الإسلام وحاجة البشر إليه ، د. رفعت فوزي عبد المطلب سلسة بحوث إسلامية رقم (١٦) ، دار السلام ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٦هـ .

٣٥ ـ الإسلام والقضية الفلسطينية ، لعبد الله ناصح علوان ، مكتبة المنار ـ الأردن ، ط ٢ سنة ١٤٠٣هـ .

٣٦ ـ الإسلام والمدنية الحديثة ، أبو الأعلى المودودي ، الدار السعودية ، جدة ط ٩ سنة ١٤٠٧هـ .

٣٧ ـ الإسلام ومستقبل البشر ية ، د. عبد الله عزام ، مكتبة المنار ، الأردن ط ٢ سنة ١٤٠٢هـ .

٣٨ ـ الإسلام ومشكلات الحضارة ، سيد قطب ، طبعة دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط ٨ سنة ١٤٠٣هـ .

٣٩ ـ الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، تعريب : ظفر الإسلام خان ، مراجعة وتحقيق د. عبد الصبور شاهين ، دار البحوث العلمية ، دون محل الطباعة « غالب ظني أنها الكويت » ، ٣٤٥/١ .، ط ٤ سنة ١٤٠٣هـ

٤٠ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم رحمه الله ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، بدون عدد طباعة وتاريخها.

٤١ ـ أعمدة الإستعمار الأمريكي ومصرع الديمقراطية في العالم الجديد، فيكتور بيرك ، البرت كان ، تعريب منير البعلكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٩٨٠م ، بدون عدد الطباعة .

٤٢ ـ افتراءات حول غايات الجهاد ، د. محمد بن نعيم ياسين ، دار الأرقم ، النَّقْرَة ، ط١ سنة ١٤٠٤هـ .

٤٣ ـ الله يتجلى في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الأمريكين ، إشراف : جون كلوفر مونسما ، ترجمة : د. الدمرداش عبد المجيد سرحان ، راجعه وعلق عليه : د. محمد جمال الدين الفندي ، عالم المعرفة ، بيروت ، بدون عدد الطباعة .

٤٤ ـ امرؤ القيس حياته وشعره ، لسليم الجندي ،، دار الهجرة ، بيروت ، دمشق ، ط ٢ سنة ١٤٠٨هـ .

٤٥ ـ أمريكا وإسرائيل دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل ، د. محمد معروف الدواليبي ، الدار الشامية ـ بيروت ، دار القلم ـ دمشق ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ .

٤٦ ـ الإنسان ذلك المجهول ، ألكسيس كاريل ، تعريب / شفيق أسعد فريد ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط سنة ١٤٠٧هـ ، بدون عدد الطباعة .

٤٧ ـ الإنسان وحريته في الإسلام ، د. محمود بن محمد بابلي ، دار الشبل ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١١هـ .

٤٨ ـ الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة ، الشيخ العلامة / عبد الرحمن بن يحي العتمي المعلمي اليماني رحمه الله ، مطبعة الأشرف ، باكستان ، سنة ١٤٠٢هـ ، بدون عدد الطباعة .

٤٩ ـ أهداف الجهاد وغايته ، د. علي العلياني ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١١هـ .

٥٠ ـ الإيضاح والتبيين لما وقع في الأكثرون من مشابهة المشركين ، الشيخ حمود بن عبد الله التويجري ، مطابع العبيكان ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٤٠٥هـ.

٥١ ـ البداية والنهاية ، لابن كثير رحمه الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤٠٥هـ ، بإشراف د. أحمد أبو ملحم وأصحابه .

٥٢ ـ البرهان القاطع في إثبات الصانع ، لابن الوزير ، تحقيق مصطفى الخطيب ، دار الماجشون ، دمشق ، ط ١ سنة ١٤٠٩هـ .

٥٣ ـ تأثر اليهودية بالأديان القديمة ، د. فتحي الزغبي ، رسالة دكتوراة لم تطبع .

٥٤ ـ تاريخ الحركة القومية وتطوير نظام الحكم في مصر ، عبد الرحمن الرافعي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٤ سنة ١٣٧٤هـ .

٥٥ ـ تاريخ الدولة العثمانية ، تأليف محمد فريد بك المحامي ، تحقيق د. إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ سنة ١٤١٣هـ

٥٦ - تاريخ الشعر العربي الحديث ، أحمد قلّش ، دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٣٩١هـ ، بدون عدد الطباعة .

٥٧ - تاريخ عجائب الآثار ، الجبرتي ، ط دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .

٥٨ - تاريخ الفكر الأوربي الحديث الجزء الخامس .، رونالد ستدومبرج ، ترجمة أحمد الشيباني ، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر

٥٩ - التبشير والإستشراق ، أحقاد وحملات على النبي ﷺ ، المستشار : محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ، الزهراء للإعلام العربي ، ط١ سنة ١٤١١هـ .

٦٠ - التبشير والإستعمار في البلاد العربية ، د. عمر فروخ ، مصطفى خالدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ٣ سنة ١٩٨٦م .

٦١ - التبشير والإستعمار في نيجريا ، رسالة ماجستير ، ج/ أم القرى ، فرع العقيدة ، خضر مصطفى النيجيري ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية.

٦٢ - تجديد الفكر الإسلامي ، جمال سلطان ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

٦٣ - تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين ، د. محمد أمحزون ، دار طيبة ، الرياض ، ومكتبة الكوثر ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٥هـ .

٦٤ - تحكيم الشريعة ودعاوي العلمانيين ، د . صلاح الصاوي ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

٦٥ ـ تربية الإسلام ، وإدعاءات التحرر ، للشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله ، بدون مكان الطباعة ، ط ١ سنة ١٤٠٦هـ .

٦٦ ـ الترويح التربوي ، رؤية إسلامية ، خالد بن فهد العودة ، دار المسلم ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .

٦٧ ـ تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامة ، أنور الجندي ، دار ابن زيدون ، بيروت ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ .

٦٨ ـ التصوف المنشأ والمصادر ، لإحسان إلهي ظهير ، من منشورات ترجمان السنة ، لاهور ، ط ١ سنة ١٤٠٦هـ .

٦٩ ـ التطلع إلى الأمام ـ سيرة ذاتية ، جورج بوش ، ترجمة جورج خوري ، مركز الكتاب الأردني ، (١٩٨٨م) ، بدون عدد طباعة .

٧٠ ـ التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط ٧ سنة ١٤٠٨هـ .

٧١ ـ التطوير بين الحقيقة والتضليل ، د. جمال بن عبد الهادي ، أ. علي لبن، دار الوفاء ، المنصورة ، سنة ١٤١١هـ ، بدون عدد طباعة .

٧٢ ـ التعالم وأثره على الفكر والكتاب ، لبكر بن عبد الله أبو زيد ، دار الراية ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٤٠٨هـ .

٧٣ ـ التعامل التجاري مع اليهود في الإسلام ، د. فاروق مَسَاهِل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤٠٥هـ .

٧٤ ـ تعدد الزوجات وتحديد النسل ، الشيخ عطية بن محمد سالم ، مكتبة التراث ، المدينة المنورة ، ط ١ سنة ١٤٠٨هـ .

٧٥ ـ تغريب الألقاب العلمية ، للشيخ أبو زيد ، دار الراية ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٤٠٩هـ .

٧٦ ـ التفسير الإسلامي للتاريخ ، محمد قطب ، المجموعة الإعلامية ، ط ١ سنة ١٤٠٨هـ .

٧٧ ـ تقنية التجسس ، غرهام يوست ، ترجمة الرائد : إلياس فرحات ، دار الحرف العربي ، دار المناهل ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤١١هـ .

٧٨ ـ تقويم نظرية الحداثة ، د. عدنان رضا النحوي ، دار النحوي ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

٧٩ ـ تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن عبد الله بن حميد ، مكتبة المنار ، مكة ، ط١ سنة ١٤١٢هـ .

٨٠ ـ التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الإسلام خان ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٧ سنة ١٤١٠هـ .

٨١ ـ تهافت العلمانية ، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ ، بدون عدد الطباعة .

٨٢ ـ تهافت قبل السقوط وسقوط صاحبه ، سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية رقم (٤) ، عبد المجيد صبيح ، دار الوفاء ، المنصورة .

٨٣ ـ تهذيب مدارج السالكين ، لعبد المنعم صالح العلي العزي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٥ سنة ١٤١٤هـ .

٨٤ ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ سنة ١٤٠٥هـ .

٨٥ ـ التوراة تاريخها وغاياتها ، المؤلف مجهول ، ترجمة وتعليق : سهيل ديب ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٦ سنة ١٤٠٦هـ .

٨٦ ـ التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، أ . موريس بوكاي ، ترجمة الشيخ حسن خالد ، المكتب الإسلامي ، ط٢ سنة ١٤٠٧هـ .

٨٧ ـ التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية ، عدنان السيد حسن ، دار النفائس ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ .

٨٨ ـ تيارات عقدية وثقافية في الأدب الجاهلي ، د. صالح آدم بيلو ، مطابع الصفا ، مكة ، سنة ١٤٠٩هـ ، بدون عدد طباعة .

٨٩ ـ تيسير الفقة ، الجامع للاختيارات الفقهية ، لابن تيمية ، د. أحمد موافي ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ سنة ١٤١٣هـ .

٩٠ ـ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، للسعدي ، مكتبة الأقصى / المطابع الوطنية ، عنيزة ، ط ٢ سنة ١٤٠٩هـ .

٩١ ـ ثقافة الضرار ، جمال سلطان ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ سنة ١٤١٣هـ .

٩٢ ـ الجامع الصحيح للسيرة النبوية ، د. سعد المرصفي ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، مؤسسة الريان ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤١٥هـ .

٩٣ ـ جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤١٢هـ .

٩٤ ـ جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي ، جمال سلطان ، مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

٩٥ ـ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤٠٣هـ .

٩٦ ـ جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين ، للشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، دار ابن القيم ، الدمام ، سنة ١٤١١هـ ، بدون عدد الطباعة .

٩٧ ـ الجهاد في الإسلام ، محمد شديد ، دار التوزيع ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٩هـ .

٩٨ ـ الجهاد في سبيل الله ، أبو الأعلى المودودي ، حسن البنا ، سيد قطب ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ٥ سنة ١٤٠٣هـ ، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية رقم (٢)

٩٩ ـ **جهادنا الثقافي ، مواقف وإرشادات** ، جمال سلطان ، مركز الدراسات الإسلامية ، بريطانيا ، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .

١٠٠ ـ **جهالات عصر التنوير قراءة في فكر قاسم أمين وعلي عبد الرازق** ، محمد جلال كشك ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ .

١٠١ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** ، لابن تيمية رحمه الله ، تحقيق / علي بن حسن بن ناصر وأخويه ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ سنة ١٤١٤هـ .

١٠٢ ـ **جيل العمالقة والشوامخ في ضوء الإسلام** ، أنور الجندي ، دار الإعتصام ، القاهرة ، سنة (١٩٨٥م) ، بدون عدد الطباعة .

١٠٣ ـ **حاضر العالم الإسلامي** ، لوثرروب ستودارد ، ترجمة : عجاج نويهض مع حواشي شكيب أرسلان ، دار الفكر ، بيروت ، القاهرة ، ط ٤ سنة ١٣٩٤هـ .

١٠٤ ـ **حتى لا تخدع** ، د. عبد الودود شلبي ، دارالشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط ٣ سنة ١٤٠١هـ .

١٠٥ ـ **الحجاب** ، لأبي الأعلى المودودي رحمه الله ، دار الفكر ، بيروت ، بدون عدد الطباعة ولا تاريخها .

١٠٦ ـ **الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام** ، منير محمد نجيب ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط٢ سنة ١٤٠٣هـ .

١٠٧ ـ الحركة الفكرية ضد الإسلام ، د. بركات دويدار ، دار التراث العربي ، القاهرة ، ط ٢ سنة ١٩٨٠م .

١٠٨ ـ الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالإستعمار والصهيونية العالمية ، محمد فهمي عبد الوهاب ، دار الإعتصام ، سنة (١٩٧٩م) بدون عدد طباعة .

١٠٩ ـ الحسبة في الإسلام ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : سيد بن محمد أبي سعدة ، دار الأرقم ، الكويت ، ط ١ سنة ١٤٠٣هـ

١١٠ ـ حقوق النساء في الإسلام ، محمد رشيد رضا ، تحقيق : الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، بدون تاريخ ولا عدد طباعة .

١١١ ـ الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن العظيم والسنة النبوية ، لمحمد بازمول ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٥هـ .

١١٢ ـ الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة ، د. فؤاد زكريا ، دار الفكر ، القاهرة ـ باريس ، ط ١ سنة (١٩٨٦م) .

١١٣ ـ حكم الإسلام في الإشتراكية ، عبد العزيز البدري رحمه الله ، المكتبة العلمية ، ط ٤ سنة ١٣٩٧هـ .

١١٤ ـ الحكمة في الدعوة إلي الله ، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، مطبعة سفير ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٤١٣هـ .

١١٥ ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط سنة ١٣٩٧هـ ، بدون عدد الطباعة .

١١٦ ـ الحوار مع أهل الكتاب ، أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة ، خالد بن عبد الله القاسم ، دار المسلم ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .

١١٧ ـ حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون ، عبد الحليم خفاجي ، دار القلم ، الكويت ، ط ٤ سنة ١٤٠٧هـ .

١١٨ ـ حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، المجموعة الإعلامية ، جدة ، ط ١ سنة ١٤٠٨هـ .

١١٩ ـ الحياة السياسية عند العرب ، محمد بن حامد الناصر ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

١٢٠ ـ حياة محمد ﷺ ، محمد حسين هيكل ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط ١٣ (سنة ١٩٦٧م) .

١٢١ ـ خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث ، الأستاذ أنور الجندي ، دار الإعتصام ، دار العلوم للطباعة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٣٩٥هـ .

١٢٢ ـ خصائص جزيرة العرب ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار الجوزي ، الدمام ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

١٢٣ ـ الخطر اليهودي ، بروتوكلات حكماء صهيون ، ترجمة : محمد خليفة تونسي ، تقديم الأستاذ : عباس العقاد ، دارالكتاب العربي ، بيروت ، ط ٦ سنة ١٤٠٢هـ .

١٢٤ ـ الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ، إسماعيل الكيلاني ، مقدمة الأستاذ / عمر عبيد حسنة ، مكتبة الأقصى الإسلامية ، الدوحة ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ .

١٢٥ ـ دراسات إسلامية ونقد كتاب ثورة الإسلام لمؤلفه د. أحمد زكي أبو شادي ، بقلم : محمد حسن بن سعيد بنجر ، مطابع الأصفهاني ، جدة ، بدون عدد وتاريخ الطباعة .

١٢٦ ـ دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، د. عمر بن عبد العزيز عمر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة (١٩٧٥م)

١٢٧ ـ دراسات في السيرة النبوية ، محمد سرور بن نايف زين العابدين ، دار الأرقم ، برمنجهام ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ .

١٢٨ ـ دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ، إعداد : محمد السعدي ، نشر دار الثقافة ، قطر ، ط ١ سنة ١٤٠٥هـ .

١٢٩ ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، بدون مكان الطباعة واسم المطبعة ، ط ٥ سنة ١٤١٤هـ .

١٣٠ ـ الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة ، الشيخ / عبد الله بن محمد بن حميد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، مكتبة العلم ، جدة ، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .

١٣١ ـ دفاع عن أبي هريرة ، عبد المنعم صالح العلي العزي ، دار القلم ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٣٩٣هـ .

١٣٢ ـ دفاع عن ثقافتنا ، جمال سلطان ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

١٣٣ ـ دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين ، د. جميل بن عبد الله بن محمد المصري ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤١١هـ ، سلسلة بحوث في التاريخ الإسلامي .

١٣٤ ـ دور الدول الإشتراكية في تكوين إسرائيل ، الوثائق السرية ، د. إبراهيم الشريقي ، مطابع الشركة العامة للطباعة (بيرل) ، ط ١ سنة ١٣٨٧هـ .

١٣٥ ـ الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، للأستاذ الدكتور الشيخ / محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ، ط ٢ سنة ١٣٩٠هـ .

١٣٦ ـ ديوان امرئ القيس ، تحقيق : حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤٠٩هـ .

١٣٧ ـ ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٥ سنة (١٩٩٠م) .

١٣٨ ـ رحمة للعالمين ، للقاضي محمد سليمان المنصورفوري ، تعريب : مقتدي حسن ياسين الأزهري ، الدار السلفية ، الهند ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ .

١٣٩ ـ الرد على المنطقيين ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، نشر : إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، ط ٤ سنة ١٤٠٢هـ .

١٤٠ ـ الرسالة السبعينية بأبطال الديانة اليهودية ، للجد الأعظم الذي أسلم : إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي ، تحقيق عبد الوهاب طويلة ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ .

١٤١ ـ رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، مطبوعة مع المتنبئ ، لمحمود شاكر ، ط دار المدني ، جدة ، مكتبة الخانجي ، مصر ، سنة ١٤٠٧هـ

١٤٢ ـ الرسول القائد، لواء ركن محمود شيت خطاب ،. دار الفكر ، بيروت ، ط٤ سنة ١٣٩٤هـ .

١٤٣ ـ الرسالة المحمدية ، سليمان الندوي ، مكتبة الفتح ، دمشق ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ سنة ١٤٠٩هـ .

١٤٤ ـ الزهد والرقائق ، لابن المبارك ، تحقيق وتعليق : أحمد فريد ، دار المعارج ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٥هـ .

١٤٥ ـ سبيل النجاة من شؤم المعصية ، محمد بن عبد الله الدويش ، دار الوطن ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٤١٦هـ .

١٤٦ ـ سقوط الجولان ، خليل مصطفى ، دار النصر ، مصر ، (١٩٨٠م) ، بدون عدد طباعة .

١٤٧ ـ السلام مع إسرائيل ، هاني أحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

١٤٨ ـ سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية رقم (٣) المؤامرة على التعليم والمعلم ، حسن جودة ، محمد خفاجة ، جميل عبد الهادي ، أحمد العدل وزملاؤهم ، دار الوفاء ، المنصورة ، سنة (١٩٩٣م) بدون عدد الطباعة .

١٤٩ ـ السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية ، إعداد الأستاذ : محمد قربان نيازملا ، نشر وتوزيع مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، ط ١ سنة ١٤٠٨هـ .

١٥٠ ـ سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، أنور الجندي ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، بدون سنة ولا عدد طباعة .

١٥١ ـ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : بشير عيون ، دارالبيان ، دمشق ، ط سنة ١٤٠٥هـ .

١٥٢ ـ سيد قطب الأديب الناقد ، لعبد الله الخباص ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط ١ سنة (١٩٨٣م)

١٥٣ ـ سيد قطب الشهيد الحي ، لصلاح عبد الفتاح الخالدي ، عالم الكتب ، الرياض ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ط٢ سنة ١٤٠٥هـ ، دراسات حول سيد قطب وفكره رقم (١) .

١٥٤ ـ سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد ، صلاح الخالدي ، دار القلم ، بيروت ، دمشق ، الدار الشامية ، ط١ سنة ١٤١١هـ .

١٥٥ ـ سيرة ابن هشام ، بتحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ سنة ١٤١٠هـ .

١٥٦ ـ السيرة النبوية ، لأبي الحسن الندوي ، دار الشروق ، جدة ، ط ١٠ سنة ١٤١٥هـ .

١٥٧ ـ السيرة النبوية الصحيحة ، للشيخ الدكتور : أكرم العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، ط ٦ سنة ١٤١٥هـ .

١٥٨ ـ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، لأبي شهبة رحمه الله ، دار القلم ، دمشق ، ط ٢ سنة ١٤١٢هـ .

١٥٩ ـ السيرة النبيوية في ضوء المصادر الإسلامية ، دراسة تحليلية ، د. مهدي رزق الله أحمد ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

١٦٠ ـ السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني ، للأستاذ وليد الأعظمي ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١ سنة ١٤٠٨هـ .

١٦١ ـ شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، الأستاذ : أنور الجندي ، ط المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ .

١٦٢ ـ شبهات في طريق المرأة المسلمة في العالم الإسلامي ، عبد الله الجلالي ، دار الصميعي ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٤١٢هـ .

١٦٣ ـ شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق : بشير بن محمد عون ، دار البيان ، دمشق ، ط ١ سنة ١٤٠٥هـ .

١٦٤ ـ الشريعة الإسلامية وتحديات العصر ، وحيد الدين خان ، دار النفائس، بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ ، بدون عدد طباعة .

١٦٥ ـ الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية ، د. عمر سليمان الأشقر ، دار الدعوة ، الكويت ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦هـ .

١٦٦ ـ شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم ، د. عبد المتعال الجبري ، دار الإعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ ولا عدد طباعة إلا أن في الإيداع جاء تاريخ (١٩٧٦م) .

١٦٧ ـ شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، سلسلة أعلام العرب رقم (٢١) ، أحمد الشرباصي ، نشر المؤسسة المصرية ، بدون تاريخ ولا عدد طباعة .

١٦٨ ـ شهود يهوة ، التطرف المسيحي في مصر، أبو إسلام أحمد عبد الله ، بيت الحكمة ، القاهرة ، سنة (١٩٩١مم) ، بدون عدد طباعة .

١٦٩ ـ الشيوعية منشأً ومسلكاً ، دندل جير ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط ٢ سنة ١٤٠٣هـ .

١٧٠ ـ الصحافة المصرية وموقفها من الإحتلال الإنجليزي ، د/ سامي عزيز ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، سنة ١٣٨٨هـ ، بدون عدد الطباعة ، من منشورات الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة .

١٧١ ـ الصحافة والأقلام المسمومة ، أنور الجندي ، دار الإعتصام ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٠هـ .

١٧٢ - الصحوة الإسلامية في عيون مختلفة ، د. نعمان بن عبد الرزاق السامرائي ، دار المنارة ، جدة ، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .

١٧٣ - الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، د. فؤاد زكريا ، دار الفكر ، القاهرة ، ط ٢ سنة (١٩٨٧م) .

١٧٤ - صحيح السيرة النبوية ، إبراهيم العلي ، تقديم : د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، ط ١ سنة ١٤١٥هـ .

١٧٥ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار العربية ، أبو الحسن الندوي ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة ٥ سنة ١٤٠٥هـ .

١٧٦ - صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، منشورات اليمامة ، الرياض ، بدون عدد طباعة ، سنة ١٣٩٧هـ .

١٧٧ - صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم ، الشيخ عبد الرحمن الدوسري ، مكتبة دار الأرقم ، الكويت ، ط ١ سنة ١٤٠١هـ .

١٧٨ - الصليب وهم أم حقيقة ، أحمد ديدات ، ترجمة : إبراهيم خليل أحمد ، دار المنار ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ .

١٧٩ - صناعة الحياة ، سلسلة إحياء فقه الدعوة ، محمد أحمد الراشد ، دار المنطلق ، الإمارات العربية المتحدة ، ط ٢ سنة ١٤١٢هـ .

١٨٠ - ضعيف الجامع ، للشيخ ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ سنة ١٤١٠هـ .

١٨١ ـ طريق الوصول إلى العلم المأمون بمعرفة القواعد والضوابط والأصول ، للشيخ السعدي رحمه الله ، دار الوطن ، ط ١ سنة ١٤١٥هـ .

١٨٢ ـ عداء اليهود للحركة الإسلامية ، زياد أبو غنيمة ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، دار الفرقان ، الأردن ، بدون عدد الطباعة وسنتها .

١٨٣ـ عصر الخلافة الراشدة ، محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين ، د. أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم ، المدينة ، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .

١٨٤ ـ العصريون معتزلة اليوم ، سلسة نحو عقلية إسلامية رقم (١) ، مصطفى يوسف كمال ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط١ سنة ١٤٠٦هـ .

١٨٥ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، العلامة محمد طاهر التنير رحمه الله ، نشره وعلق عليه ونقحه وقدم له : محمد بن إبراهيم الشيباني ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، ط ١ سنة ١٤٠٨هـ .

١٨٦ ـ العقلانية هداية أم غواية ، عبد السلام البسيوني ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

١٨٧ ـ عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ، د. عثمان عبد المنعم عيش ، مكتبة الأزهر ، القاهرة ، دار الحمامي للطباعة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٣٩٦هـ

١٨٨ ـ العقيدة الطحاوية ، شرح وتعليق الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ١ سنة ١٣٩٨هـ .

١٨٩ ـ العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول ﷺ ، رسالة ماجستير سنة ١٤١٤هـ ، خميس بن صالح بن محمد الغامدي ، مركز البحوث ، ج . أم القرى .

١٩٠ ـ العلمانية [نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة] ، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ط سنة ١٤٠٢هـ .

١٩١ ـ عودة الحجاب ـ القسم الأول ، جمع وترتيب : محمد بن أحمد إسماعيل المقدم ، دار طيبة ، الرياض ، ط ٤ .

١٩٢ ـ عون المعبود ومعه شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ، دار الفكر ، بيروت ، ط٣ سنة ١٣٩٩هـ .

١٩٣ ـ الغارة على التراث الإسلامي ، جمال سلطان ، مركز الدراسات الإسلامية ، بريطانيا ، سنة ١٤١٢هـ .

١٩٤ ـ الغارة على العالم الإسلامي ، إل شاتليه ، لخصها ونقلها إلى العربية : محب الدين الخطيب ، مساعد الالباني ، الدار السعودية ، جدة ، ط٣ سنة ١٤٠٠هـ .

١٩٥ ـ الغرب في مواجهة الإسلام ، معالم ووثائق جديدة ، سلسلة دراسات منهجية للإستشراق ، مازن مطبقاني، مكتبة ابن القيم ، المدينة المنورة ، ط١ سنة ١٤١٠هـ .

١٩٦ ـ الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ، ماضية وحاضرة ، منصور عبد العزيز الخريجي ، دار الصميعي ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٣هـ .

١٩٧ ـ الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، د. عبد الستار فتح الله سعيد ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ٤ سنة ١٤٠٨هـ .

١٩٨ ـ الغزو من الداخل ، جمال سلطان ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ سنة ١٤١٢هـ .

١٩٩ ـ فتاوى إسلامية ، جمع وترتيب : محمد عبد العزيز المسند ، دار الوطن ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٤١٤هـ .

٢٠٠ ـ الفتاوي المهمات ، للشيخ محمود شلتوت ، استخراج : علي بن حسن بن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

٢٠١ ـ الفصل في الملل والنحل ، ابن حزم ، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر ، د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، سنة ١٣٩٧هـ .

٢٠٢ ـ فضائح الكنائس والباباوات و القسس والرهبان والراهبات ، جمع وإعداد : مصطفى فوزي غزال ، منشورات دار الوفاء ، جدة ، بدون عدد طباعة .

٢٠٣ ـ فضح التلمود ، تعاليم خاميين السرية ، بقلم الأب : آي ، بي ، براناتيس ، إعداد : زهدي الفاتح ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤٠٣هـ .

٢٠٤ ـ فطرية المعرفة وموقف المسلمين منها ، إعداد : د. أحمد بن سعد بن حمدان ، دار طيبة ، الرياض ، ط١ سنة ١٤١٥هـ .

٢٠٥ ـ فقه الإمام الأوزاعي ، الأستاذ الدكتور / عبد الله الجبوري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، الجمهورية العراقية وزارة الأوقاف ، إحياء التراث الإسلامي ، رقم الكتاب (٢٧) ، سنة ١٣٩٧هـ .

٢٠٦ ـ فقه السيرة ، للشيخ الغزالي، تحقيق : الألباني . ، دار القلم . دمشق ، ط ٤ سنة ١٤٠٩هـ

٢٠٧ ـ الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ، محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ سنة ١٣٨٩هـ .

٢٠٨ ـ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ، د. محمد البهي ، الفيصلية ، مكة ، ط ٦ (١٩٧٣م) بدون تاريخ هجري .

٢٠٩ ـ الفكر الإسلامي المعاصر ، د. غازي التوية ، دار القلم ، بيروت ، ط٣ سنة (١٩٧٧م) .

٢١٠ ـ فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، صالح بن عبد الله العبود، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤٠١هـ .

٢١١ ـ القائد إلى تصحيح العقائد ، الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني ، بتعليق الشيخ / محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٢ سنة ١٤٠٢هـ .

٢١٢ ـ القاديانية دراسات وتحليل ، البهائية نقد وتحليل ، الشيعة والتشيع ، فرق وتاريخ ، الأستاذ : إحسان إلهي ظهير ، نشر إدارة ترجمان السنة ، لاهور .

٢١٣ ـ القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، الشيخ الدكتور : سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط١ سنة ١٤١٤هـ .

٢١٤ ـ قذائف الحق ، الشيخ الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ سنة ١٤١١هـ .

٢١٥ ـ القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة على هامش القرآن الكريم ، إشراف ومراجعة وتدقيق شيخ القراء في الديار الشامية الشيخ : محمد كريم راجح . ، دار المهاجر ، المدينة ، ط١ سنة ١٤١١هـ .

٢١٦ ـ القراءات في نظر المستشرقين والملحدين ، الشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي رحمه الله ، بتقديم فضيلة الشيخ الدكتور : عبد العزيز القارئ ، مكتبة الدار ، المدينة النبوية ، سنة ١٤٠٢هـ .

٢١٧ ـ القرآن الكريم ، دراسة منهجية جديدة لمباحث القرآن الحكيم ، د. صلاح الدين بسيوني رسلان ، دار الثقافة ، مصر ، بدون عدد الطباعة ، سنة (١٩٨٤م) .

٢١٨ ـ القرآن والعربية من تراث لغوي مفقود ، أبي زكريا الفراء ، صنعه الدكتور : أحمد علم الدين الجندي ، من مطبوعات معهد البحوث ، ج : أم القرى ، سلسلة بحوث اللغة العربية وآدابها ، سنة ١٤١٠هـ .

٢١٩ ـ القراءة البدء والاستمرار ، يوسف بن محمد العتيق ، دار الصميعي ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

٢٢٠ ـ قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ، د. زكريا سليمان بيومي ، ط. عالم المعرفة ، جدة ، ط١ سنة ١٤١١هـ .

٢٢١ ـ قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد ، أحمد منصور ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤١٥هـ .

٢٢٢ ـ قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر (١٧٩٨ ـ ١٩٤٥م) ، عادل أبو عمشة ، دار الجيل ، بيروت ، دار عمار ، عمَّان ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ .

٢٢٣ ـ قطوف أدبية ، دراسات نقدية في التراث العربي ، عبد السلام هارون رحمه الله ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٩هـ .

٢٢٤ ـ قل هو من عند أنفسكم ، سلسلة دراسات في السيرة النبوية رقم (٢)، محمد سرور بن نايف زين العابدين ، دار الأرقم ، بريطانيا ، ط١ سنة ١٤١٣هـ .

٢٢٥ ـ القواعد الجامعة والفروق والتقاسيم النافعة ، الشيخ ابن سعدي ، مركز صلح بن صالح الثقافي بعنيزة ، ط سنة ١٤١١هـ ، بدون عدد الطباعة .

٢٢٦ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن ، الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله ، مطابع الصائغ الفنية ، بموافقة إدارة البحوث العلمية ، سنة ١٤٠٨هـ .

٢٢٧ ـ قوى الشر المتحالفة [الإستشراق . التبشير . الإستعمار] وموقفها من الإسلام والمسلمين ، محمد محمد البرهان ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ٢ سنة ١٤٠٨هـ .

٢٢٨ ـ كانت لنا أيام في صالون العقاد ، أنيس بن منصور ، المكتب العصري الحديث ، القاهرة ، الأسكندرية ، ط ٢ سنة ١٤٠٤هـ .

٢٢٩ ـ الكتاب الإسلامي المعاصر ، نظرات نقدية ، أحمد بن عبد الرحمن الصويان ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٦هـ .

٢٣٠ ـ كتاب التوحيد ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : صبري سلامة شاهين ، دار القاسم ، الرياض ، ط١ سنة ١٤١٥هـ .

٢٣١ ـ كتاب التوحيد ، للصف الثاني الثانوي ، وزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، ط٢ سنة ١٣٩٩هـ .

٢٣٢ ـ الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر ، الشيخ / أحمد شاكر رحمه الله ، دار الكتب السلفية ، القاهرة ، بدون عدد الطباعة ، سنة (١٩٨٦م)

٢٣٣ ـ كتب حذر منها العلماء ، مشهور بن حسن آل سلمان ، تقديم الشيخ / بكر أبو زيد ، دار الصميعي ، الرياض ، ط١ سنة ١٤١٥هـ .

٢٣٤٥ ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس ، عما اشتهر على ألسنة الناس ، العجلوني ، تعليق : أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤ سنة ١٤٠٥هـ .

٢٣٥ ـ كشف الشبهات عن المشتبهات ، الشوكاني ، تحقيق: عادل السعيدان، مكتبة الحرمين ، الدمام ، بدون تاريخ الطباعة وعددها .

٢٣٦ ـ الكنز المرصود في قواعد التلمود ، مقدمة د. حسن ظاظا ، ترجمة د. يوسف نصر الله ، دار القلم ، دمشق ، دارة العلوم ، بيروت ، ط١ سنة ١٤٠٨هـ .

٢٣٧ ـ لعبة الجاسوسية العالمية ، رؤساء أمريكا ، ف. م سيرج ، تعريب : علي هودو ، دار الفارابي ، بيروت ، بدون عدد الطباعة سنة (١٩٨٦م)

٢٣٨ ـ للحق والحقيقة من كلام خير الخليقة ، الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله ، تحقيق : مصطفى الشلبي ، طبعة دار المحمدي ، جدة ، ط١ سنة ١٤١٥هـ .

٢٣٩ ـ لورنس العرب عليى خُطى هرتزل . تقارير لورنس السرية ، زهدي الفاتح ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٣ سنة ١٤٠٦هـ .

٢٤٠ ـ ما أصل الإنسان ، إجابات العلم والكتب المقدسة ، موريس بوكاي ، ترجمة مكتب التربية العربي لدول الخليج ، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط ١ سنة ١٤٠٦هـ .

٢٤١ ـ ماذا خسر العالم بأنحطاط المسلمين ، السيد أبو الحسن الندوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٦ سنة ١٣٨٥هـ .

٢٤٢ ـ ما هو اسمه ، الشيخ ديدات ، مكتبة أبو القاسم ، جدة ، ط ١ سنة ١٤٠٩هـ .

٢٤٣ ـ ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ ، أحمد ديدات ، ترجمة وتعليق : إبراهيم خليل أحمد ، دار المنار ، القاهرة ، ط ٢ سنة ١٤٠٩هـ .

٢٤٤ ـ مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٧ سنة (١٩٨٨م) .

٢٤٥ ـ متن الألفية لابن مالك في النحو والصرف ، محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، دار طيبة ، مكة ، بدون تاريخ ولا عدد طباعة .

٢٤٦ ـ المتواري على أبواب البخاري ، ابن المنير ، تحقيق علي بن حسن عبد الحميد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دار عمار ، الأردن ، ط ١ سنة ١٤١١هـ .

٢٤٧ ـ مجلة الأمة القطرية ، العدد (٣١) رجب سنة ١٤٠٣هـ.

٢٤٨ ـ مجلة البيان ، تصدر من المنتدى الإسلامي ، لندن .

٢٤٩ ـ محاكمة فكر طه حسين ، أنور الجندي ، دار الإعتصام ، القاهرة ، بدون سنة ولا عدد طباعة ولكن انتهى الكاتب منه في غرة محرم سنة ١٤٠٤هـ

٢٥٠ ـ محمد رسول الله آيتين دينيه وسليمان بن إبراهيم ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ، د. محمد عبد الحليم ، دار الكتاب اللبنانبي ، بيروت ، سنة (١٩٨٥م) ، المجموعة الكاملة لمؤلفات د.. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر .

٢٥١ ـ محمد ﷺ رسول الإسلام ، البروفسور : ك . س . راما كرشتاراو (هندوسي) ، مكتبة القاسم ، جدة ، ط١ سنة ١٤٠٩هـ .

٢٥٢ ـ محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن ، إبراهيم خليل أحمد ، دار المنار ، القاهرة ، ط سنة ١٤٠٩هـ .

٢٥٣ ـ محمد ﷺ من نبعته إلى بعثته ، الشيخ الدكتور / محمد صادق عرجون رحمه الله ، الدار السعودية ، جدة ، بدون عدد طباعة ، سنة ١٤٠٣هـ .

٢٥٤ ـ مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية ، د. محمد عثمان شبير ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط سنة ١٤١٠هـ .

٢٥٥ ـ المختار من أدب العقاد ، عبد االلطيف شرارة ، منشورات الفاخرية ، الرياض ، ودار الكاتب العربي ، بيروت ، (١٩٨٢) بدون عدد الطباعة .

٢٥٦ ـ مختصر الأحكام ، مستخرج الطوسي على جامع الترمذي ، تحقيق ودراسة د. أنيس الأندونوسي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة النبوية ، ط١ سنة ١٤١٥هـ .

٢٥٧ ـ مختصر سنن أبي داود وشرحه معالم السنن مع تهذيب الإمام ابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة ، بدون عدد طباعة ولا تاريخ .

٢٥٨ ـ المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، دار الإعتصام ، القاهرة ، بدون عدد طباعة ولا سنتها .

٢٥٩ ـ المدخل إلى الثقافة الإسلامية ، الشيخ الدكتور : محمد بن رشاد سالم رحمه الله ، دار القلم ، الكويت ، ط ٩ ينة ١٤٠٩هـ .

٢٦٠ ـ مذاهب فكرية معاصرة ، الشيخ محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٣هـ .

٢٦١ ـ مذكرة في أصول الفقه ، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٩هـ .

٢٦٢ ـ مراجعات لسانية ، د. حمزة بن قبلان المزيني ، من منشورات النادي الأدبي بالرياض ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ .

٢٦٣ ـ المرأة في شارع الحرية الخلفي ، الأستاذ محمد بن أحمد معبَّر ، من منشورات دار جرش ، خميس مشيط ، بدون عدد طباعة ، سنة ١٤٠٩هـ .

٢٦٤ ـ مرويات الإمام أحمد في التفسير ، حكمت بشير ياسين ، مكتبة المؤيد ، السعودية ، ط١ سنة ١٤١٤هـ .

٢٦٥ ـ مرويات أم المؤمنين عائشة في التفسير ، د. سعد بن عبد الله الفنيسان ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط١ سنة ١٤١٣هـ .

٢٦٦ ـ مستشرقون سياسيون ، جامعيون ، مجمعيون ، نذير حمدان ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ط ١ سنة ١٤٠٨هـ .

٢٦٧ ـ المستشرقون والتراث ، د. عبد العظيم الديب ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ٢ سنة ١٤٠٨هـ .

٢٦٨ ـ المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها ، د. عابد السفياني ، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، ط ١ سنة ١٤٠٨هـ .

٢٦٩ ـ المسند ، ترقيم محمد سمارة وزميليه ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، عمّان ، ط ١ سنة ١٤١٣هـ .

٢٧٠ ـ المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ، د . محمد علي البار ، الدار السعودية ، جدة ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ .

٢٧١ ـ المسيحية نشأتها وتطورها ، شارل جينيير ، ترجمة : عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، سنة (١٩٨١م) ، بدون عدد طباعة .

٢٧٢ ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، د. ناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، مصر .

٢٧٣ ـ المعاصرة في إطار الأصالة ، أنور الجندي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ .

٢٧٤ ـ معالم في الطريق ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط ١٠ سنة ١٤٠٣هـ .

٢٧٥ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ٣ سنة ١٤١١هـ .

٢٧٦ ـ معجم المناهي اللفظية ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ سنة ١٤١٠هـ .

٢٧٧ ـ معركتنا مع اليهود ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط ٦ سنة ١٤٠٣هـ .

٢٧٨ ـ معركة الإسلام والرأسمالية ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط ٩ سنة ١٤٠٣هـ .

٢٧٩ ـ معركة التقاليد ، الشيخ محمد قطب ، دار لشروق ، بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ ، بدون عدد الطباعة .

٢٨٠ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق د. مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، مراجعة الأستاذ : سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٦ سنة (١٩٨٥م)

٢٨١ ـ مفهوم تجديد الدين ، بسطامي محمد سعيد ، دار الدعوة ، الكويت ، ط ١ سنة ١٤٠٥هـ .

٢٨٢ ـ مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ، محمد العبده ، طارق عبد الحليم ، دار الأرقم ، الكويت ، ط٢ سنة ١٤٠٦هـ .

٢٨٣ ـ مقرر التوحيد للصف الأول الثانوي ، تأليف الشيخ صالح الفوزان ، المملكة العربية السعودية ، ط سنة ١٤١١هـ .

٢٨٤ ـ مقومات التصور الإسلامي ، سيد قطب ، دارالشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ .

٢٨٥ ـ من آفاق الإستشراق الأمريكي المعاصر ، مازن مطبقاني ، مكتبة ابن القيم ، المدينة المنورة ، سلسلة دراسات منهجية للإستشراق رقم (١) سنة ١٤٠٩هـ ، بدون عدد الطباعة .

٢٨٦ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد بن عبد العظيم الزرقاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، بدون تاريخ طباعتها .

٢٨٧ ـ من تباشير النهضة في العالم الإسلامي ، د. محمد ضياء الدين الريس ، دار الأنصار ، القاهرة ، ، ط ٣ سنة ١٤٠١هـ .

٢٨٨ ـ من معين السيرة ، صالح أحمد الشامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، عمّان ، ط٢ سنة ١٤١٣هـ .

٢٨٩ ـ المنهزمون ، دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة ، يوسف العظم ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ط ٤ سنة ١٤٠٢هـ .

٢٩٠١ ـ المواجهة بين الإسلام والعلمانية ، د. صلاح الصاوي ، الآفاق الدولية للأعلام ، القاهرة ، ط١ محرم سنة ١٤١٣هـ .

٢٩١ ـ المؤامرة على المرأة المسلمة ، تاريخ ووثائق ، د. السيد أحمد فرج ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ .

٢٩٢ ـ الموسوعة السياسية ، رئيس التحرير د. عبد الوهاب الكيالي وإخوانه ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ سنة (١٩٧١م) .

٢٩٣ ـ موقف الإسلام من بناء الكنائس ، أحمد بن عبد العزيز الحصين ، مكتبة المعلا ، الكويت ، ط ٢ سنة ١٤١٥هـ .

٢٩٤ ـ موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها [جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديماً وحديثاً] ، د. محمد بن مطر الزهراني ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ط١ سنة ١٤١١هـ .

٢٩٥ ـ موقف العقل والعلم من رب العالمين ، الشيخ مصطفى صبري ، دار إحياء الترااالعربي ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤٠١هـ .

٢٩٦ ـ النبأ العظيم ، نظريات جديدة في القرآن ، د. محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ، ط ٢ سنة ١٣٩٠هـ .

٢٩٧ ـ نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها ، أحمد بن عبد الرحمن الصويان ، سلسلة : المعالم (١) ، دار النشر الدولي ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٤١٤هـ.

٢٩٨ ـ نحن والحضارة الغربية ، أبو الأعلي المودودي ، الدار السعودية ، جدة ، سنة ١٤٠٤هـ .

٣٩٩ ـ النزعة النصرانية في قاموس المنجد ، د. إبراهيم عوض، دار الفاروق، الطائف ، ط سنة ١٤١١هـ .

٣٠٠ ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، د. علي سامي النشار ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٧ سنة (١٩٧٧م)

٣٠١ ـ نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر ، د.عز الدين الأمين ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ سنة ١٣٩٠هـ .

٣٠٢ ـ النصرانية في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، إعداد / محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، ج الملك عبد العزيز ، كلية الشريعة ، مكة ، سنة ١٣٩٧هـ.

٣٠٣ ـ نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة ، د. مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، الأسكندرية ، ط ١ يسنة ١٤٠٨هـ .

٣٠٤ ـ نظرات إسلامية في الموسوعة العربية الميسرة ، د. إبراهيم عوض ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط ١ سنة ١٤١٥هـ .

٣٠٥ ـ نفثات داعية ، الشيخ عبد الرحمن الدوسري ، نشر مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٤٠٤هـ .

٣٠٦ ـ نقض المنطق ، ابن تيمية ، تحقيق : الشيخ /محمد بن عبد الرازق حمزة ، والشيخ / سليمان بن عبد الرحمن الصنيع ، تصحيح : محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة ، سنة ١٣٨٠هـ ، بدون عدد الطباعة .

٣٠٧ ـ النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة ، مصطفى صبري ، تحقيق د/ مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ط ٢ سنة ١٤٠٩هـ .

٣٠٨ ـ الهزيمة النفسية عند المسلمين ، عبد الله خاطر ، المنتدى الإسلامي ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

٣٠٩ ـ هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ ، ديدات ، ترجمة : نورة أحمد النومان ، مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي ، الجيزة ، ط ١ سنة (١٩٨٧م) .

٣١٠ ـ هلم نخرج من التيه ، الشيخ محمد قطب ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٥هـ .

٣١١ ـ واقعنا المعاصر ، الشيخ محمد قطب ، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ .

٣١٢ ـ ودخلت الخيل الأزهر ، محمد جلال كشك ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون سنة الطباعة ولا عددها .

٣١٣ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، د / حسان محمد حسان ، السنة الأولى شعبان سنة ١٤٠١هـ العدد (٥)

٣١٤ ـ الوصية بالأشهر العربية ، سعيد بن عبد العظيم ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، بدون عددد الطباعة وتاريخها .

٣١٥ ـ اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار ، الأستاذ أنور الجندي ، دار الإعتصام ، القاهرة ، بدون ذكر تاريخ الطباعة وعددها .

٣١٦ ـ اليهود في مسرحيات شكسبير وباكثير ، د. عدنان محمد وزان ، الدار السعودية ، جدة ، ط١ سنة ١٤١٠هـ .

٣١٧ ـ اليهود في الوطن العربي ، داود عبد الغفور سنقرط ، دار الفرقان ، الأردن ، ط١ سنة ١٤٠٣هـ .

٣١٨ ـ يهود اليوم ليسوا يهوداً ، بنيامين فريدمان ، ترجمة : زهدي الفاتح ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤٠٣هـ .

٣١٩ ـ يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة ، جيمس باترسون ، بيتركيم ، نقله إلى العربية : د. محمد بن سعود البشير ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .



★ ملحق المراجع ★

٣٢٠ ـ أباطيل وأسمار ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٢ سنة (١٩٧٢م)

٣٢١ ـ الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ، الشيخ / عبد الرحمن الدوسري ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٤٠٣هـ .

٣٢٢ ـ أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام ، دراسة مقارنة على ضوء الإسلام ، محمد الناصر ، دارالرسالة ، مكة المنكرمة ، ط ١ سنة ١٤١٣هـ .

٣٢٣ ـ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، د. عمر إبراهيم رضوان ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٣هـ .

٣٢٤ ـ أزمة الحوار الديني ، جمال سلطان ، دار الوطن ، الرياض ، سنة ١٤١٢هـ ، بدون عدد طباعه .

٣٢٥ ـ أزمة الفكر الصهيوني المعاصر ، د. محمد ربيع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٢ سنة (١٩٧٩م)

٣٢٦ ـ أساليب الغزو الفكري ، د. علي جريشة وزميليه ، دار الإعتصام ، القاهرة ، سنة (١٩٧٨م) ، بدون عدد طباعة .

٣٢٧ ـ الإستشراق ، الذرائع ، النشأة ، المحتوى ، د. السيد أحمد فرج ، دار طويق ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .

٣٢٨ ـ الإستشراق والمستشرقون وجهة نظر ، د.عدنان محمد وزان ، سلسلة دعوة الحق ، العدد ٢٤، ربيع الأول ١٤٠٤هـ ، السنة الثالثة ، رابطة العالم الإسلامي.

٣٢٩ ـ الإسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ، ترجمة : د/ عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، سنة (١٩٨٤م) ، بدون عدد طباعة .

٣٣٠ ـ الإسلام في تصورات الغرب ، د. محمود زقزوق ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، دار التوفيق النموذجية ، الأزهر ، ط١ نة ١٤٠٧هـ .

٣٣١ ـ الإسلام والتغريب الثقافي ، د. عبد القادر طاش ، مؤسسة آسام ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٣هـ .

٣٣٢ ـ الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد محمد حسين رحمه الله ، دار الرسالة ، مكة ، ط ٩ سنة ١٤١٣هـ .

٣٣٣ ـ الإسلام والمستشرقون ، نخبة من علماء المسلمين ، عالم المعرفة ، جدة ، ط ١ سنة ١٤٠٥هـ .

٣٣٤ ـ أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، صالح بن عبد الله بن حميد ، دار المنارة مكة ، جدة ، ط١ سنة ١٤١٥هـ .

٣٣٥ ـ إعجاز القرآن ، الباقلاني ، تحقيق : د. السيد أحمد صقر، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، ط ٣ سنة (١٩٧١ م)

٣٣٦ ـ الإعلام الإسلامي ، وخطر التدفق الإعلامي الدولي ، د. مرعي مدكور ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٩هـ .

٣٣٧ ـ الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ، عبد الله التل ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ط ٢ ، بدون تاريخ الطباعة .

٣٣٨ ـ أيعيد التاريخ نفسه : دراسات لأحوال العالم الإسلامي ، محمد العبده ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، سنة ١٤١١هـ ، بدون عدد طباعة .

٣٣٩ ـ التغريب طوفان من الغرب ، لواء أحمد عبد الوهاب ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤١١هـ .

٣٤٠ ـ جذور البلاء ، عبد الله التل ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٣٩٨هـ .

٣٤١ ـ جذور العلمانية ، د. السيد أحمد فرج ، سلسلة نحو عقلية إسلامية ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ٣ سنة ١٤٠٧هـ .

٣٤٢ ـ حكم الجاهلية ، الشيخ أحمد شاكر ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ .

٣٤٣ ـ الحوار وآدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحي بن محمد بن حسن زمزمي ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، رمادي للنشر ، الدمام ، ط ١ سنة ١٤١٤هـ .

٣٤٤ ـ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط ٧ سنة ١٤٠٢هـ .

٣٤٥ ـ دراسات قرآنية ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط٢ سنة ١٤٠٠هـ .

٣٤٦ ـ رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر ، يوسف العظم ، الدار السعودية ، جدة ، ط ٢ سنة ١٤٠١هـ .

٣٤٧ ـ الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ، نذير حمدان ، دار المنارة ، جدة ، ط ٢ سنة ١٤٠٦هـ .

٣٤٨ ـ رؤية إسلامية للإستشراق ، د. أحمد عبد الحميد غراب ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، ط ٢ سنة ١٤١١هـ .

٣٤٩ ـ السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية ، د. مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، الأسكندرية ، ط٢ سنة ١٤١١هـ .

٣٥٠ ـ السنة ومكانتها في التشريع ، د. مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٣٩٨هـ .



الـــفهـــارس :

❀ فهرس الأحاديث والآثار ❀

الحديث أو الأثر	رقم الصفحة

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

❁ فهرس كتب الحديث والتفسير واللغة والفرق والعقائد ❁

١ ـ الاستقامة ، ابن تيمية ، تحقيق : د/ محمد بن رشاد سالم ، رحمه الله ، الطبعة الثانية ، نشر وتوزيع مؤسسة قرطبة ، الهرم .

٢ ـ إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، محمد جمال الدين القاسمي ، تخريج الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق ـ بيروت ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٤٠٣هـ .

٣ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، مطبعة المدني القاهرة ، سنة ١٤٠٠هـ ، بدون عدد طباعة .

٤ ـ اقتضاء الصراط المستقيم ، لمخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية ، تحقيق : د/ناصر العقل ، مطبعة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة١٤٠٤هـ.

٥ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، المباركفوري ، أشرف على تصحيحه : عبد الوهاب عبد اللطيف ، راجع أصوله : عبد الرحمن بن محمد عثمان ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٧هـ .

٦ ـ ترتيب القاموس المحيط ، الطاهر الزاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، بدون عدد الطباعة .

٧ ـ ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، ابن الوزير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٤هـ .

٨ ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٠هـ .

٩ ـ التنبيهات اللطيفة على العقيدة الواسطية ، عبد الرحمن السعدي ، تعليق الشيخ ابن باز ، تخريج علي بن حسن بن عبد الحميد ، دار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٩هـ .

١٠ ـ تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق : عبد السلام هارون رحمه الله ، مراجعة : محمد علي النجار ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، وفي آخر مجلد . ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٦هـ .

١١ ـ جامع الأصول ، ابن الأثير ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ .

١٢ ـ جامع البيان عن تأويل القرآن ، الطبري ، تحقيق : الشيخ السيد أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، توزيع دار التربية والتراث ، مكة ، الطبعة الثانية .

١٣ ـ الحدود والتعزيرات عند ابن القيم ، دراسة وموازنة ، بكر أبو زيد ، المكتب الإسلامي ، دمشق ـ بيروت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٣هـ .

١٤ ـ الرد على المخالف من أصول الإسلام ، بكر أبو زيد ، دار الهجرة ، الدمام ، سنة ١٤١١هـ ، بدون عدد الطباعة .

١٥ ـ رياض الجنة في الرد على أهل السنة ، ومعه الطليعة في الرد على غلاة الشيعة ، مقبل بن هادي الوادعي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، توزيع دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، الطبعة الثانية سنة (١٩٨١م)

١٦ ـ السنة ، ابن أبي عاصم ، تخريج الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق ـ بيروت ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٠هـ .

١٧ ـ سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبي ، تحقيق وإشراف : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، سنة ١٤١٢هـ .

١٨ ـ شرح السنة ، للإمام البربهاري ، تحقيق : د / محمد بن سعيد القحطاني ، دار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٨هـ .

١٩ ـ شرح السنة ، البغوي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، وزهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، دمشق ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٣هـ .

٢٠ ـ شرح المسند ، أحمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، بدون تاريخ .

٢١ ـ الشيعة والتصحيح ، الصراع بين الشيعة والتشيع ، د/ موسى الموسوي ، سنة ١٤٠٨هـ ، لوس أنجلوس ، بدون عدد الطباعة .

٢٢ ـ صحيح مسلم ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، بدون عدد طباعة وتاريخها .

٢٣ - **صحيح مسلم بشرح النووي** ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤٠١هـ ، بدون عدد طباعة .

٢٤ - **الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية** ، سليمان بن سحمان الحنبلي ، تحقيق : عبد السلام البرجس ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى : سة ١٤٠٩هـ .

٢٥ - **ضوابط للدراسات الفقهية** ، سلمان العودة ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٢هـ .

٢٦ - **الفائق في غريب الحديث** ، الزمخشري ، تحقيق : علي البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر مكتبة البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخها .

٢٧ - **فتح الباري** ، الإمام ابن حجر العسقلاني، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح : الشيخ ابن باز ، دار الفكر ، بيروت ، أشرف على طبعه : محب الدين الخطيب ، بدون عدد وتاريخ الطباعة .

٢٨ - **فتح القدير** ، الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ ، بدون عدد الطباعة .

٢٩ - **في ظلال القرآن** ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة التاسعة ، سنة ١٤٠٠هـ .

٣٠ ـ **قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق** ، ابن تيمية ، تحقيق : سليمان الغصن ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١١هـ .

٣١ ـ **العقلانيون أفراخ المعتزلة** ، علي بن حسن بن عبد الحميد ، مكتبة الغرباء ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٣هـ .

٣٢ ـ **لسان العرب** ، ابن منظور ، دار الفكر ، بيروت ، دار صادر ، بيروت ، بدون عدد وتاريخ الطباعة .

٣٣ ـ **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم** ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الريان للتراث ، دار الحديث ، الأزهر ، طبعة سنة ١٤٠٧هـ ، بدون عدد طباعة .

٣٤ ـ **الماسونية تحت الأضواء** ، عبد الجبار الزيدي ، مؤسسة الريان ، بيروت ، الطبعة الثالثة : سنة ١٤١١هـ .

٣٥ ـ **مجموع الفتاوي** ، ابن تيمية ، دار عالم الكتب ، الرياض ، سنة ١٤١٢هـ ، بدون عدد طباعة .

٣٦ ـ **مختصر منهاج القاصدين** ، أحمد ابن قدامة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وأخوه ، دار البيان ، دمشق ، توزيع مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ـ بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ ، بدون عدد الطباعة .

٣٧ ـ **مشكاة المصابيح** ، الإمام التبريزي ، تحقيق : ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، دمشق ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٥هـ .

٣٨ ـ **مطالع السعد بكشف مواقع الحمد** ، ابن القيم ، تحقيق فهد بن عبد العزيز العسكر ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الأولى : سنة ١٤١٤هـ .

٣٩ ـ **معالم التنزيل** ، البغوي ، حققه وخرجه : محمد عبد الله النمر ، عثمان ضميرية ، سليمان الحرش ، دار طيبة ، الرياض ، سنة ١٤٠٩هـ ، بدون عدد الطباعة .

٤٠ ـ **المفتي في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في هذا العصر** ، د/ عبد العزيز الربيعة ، دار المطبوعات الحديثة (أظنها الرياض) الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٨هـ .

٤١ ـ **منهاج السنة النبوية** ، ابن تيمية ، تحقيق : د/ محمد بن رشاد سالم ، رحمه الله ، الطبعة الأولى : سنة ١٤٠٦هـ ، بدون مكان الطباعة .

٤٢ ـ **نيل المآرب في تهذيب شرح عمدة الطالب** ، تهذيب : الشيخ عبد الله آل بسام ، مطبعة النهضة الحديثة ، مكة ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ .

٤٣ ـ **معجم مقاييس اللغة** ، ابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون رحمه الله ، دار الكتب العلمية ، إيران ، بدون عدد وتاريخ الطباعة .



❁ فهرس كتب العقاد ❁

١ ـ إبراهيم أبو الأنبياء ، العقاد، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون عدد وتاريخ الطباعة .

٢ ـ أبو الشهداء ، الحسين بن علي ، العقاد، المكتبة العصرية ، بيروت .

٣ ـ أحمد أمين حياته وأدبه ، عامر العقاد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٧هـ .

٤ ـ الإسلام دعوة عالمية (١٩٧٠م) ، العقاد. ، تحرير : محمود أحمد العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٥ـ الإسلام في القرن العشرين ، العقاد، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة (١٩٦٩م) .

٦ ـ الإسلام والحضارة الإسلامية (طبع في ١٩٧٣م) ، العقاد، تحرير: الحساني حسن عبد الله ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٧ـ أفيون الشعوب ، تحرير : الحساني حسن عبد الله .، المكتبة العصرية ، بيروت

٨ ـ أنا (١٩٦٤م) ، العقاد، تحرير : طاهر الطناحي ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٩ ـ بين الكتب والناس ، العقاد، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة (١٩٦٦م) .

١٠ ـ التفكير فريضة إسلامية (١٩٦١م) ، العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة (١٩٧١م) .

١١ ـ الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد ، د/ نعمات أحمد فؤاد ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون عدد طباعة .

١٢ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، العقاد، تقديم : أنور السادات ، المكتبة العصرية ، بيروت .

١٣ ـ حياة قلم (١٩٦٤م) ، العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة (١٩٦٩ م)

١٤ ـ داعي السماء ، بلال مؤذن الرسول ﷺ ، العقاد، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية .

١٥ ـ الديمقراطية في الإسلام ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

١٦ ـ سارة ، العقاد، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة (١٩٦٩م)

١٧ ـ سعد زغلول ، العقاد، مطبعة حجازي ، سنة (١٩٣٦م) ، بدون عدد الطباعة ويظهر أنها الأولى .

١٨ ـ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

١٩ ـ الشيوعية والإستعمار ، العقاد، المكتبة العصرية .

٢٠ ـ عباس العقاد ناقداً ، عبد الحي دياب ، الدار القومية ، القاهرة ، سنة ١٣٨٥هـ ، بدون عدد الطباعة ، المكتبة العربية تصدرها الثقافة والإرشاد القومي، تقديم : د/ محمد غنيمي هلال .

٢١ ـ أعلام الأدب المعاصر ، رقم (٥) ، سلسة بيوجرافية نقدية ببليوجرافية ، عباس محمود العقاد ببليوجرافيا . ، د/ حمدي السكوت ، مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دار الرافعي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٣هـ .

٢٢ ـ عبد الرحمن الكواكبي ، العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت (١٩٦٩ م) بدون عدد طباعة .

٢٣ ـ عبقرية الإمام علي ، العقاد، المكتبة العصرية ، بيروت .

٢٤ ـ عبقرية الصديق ، العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٥ ـ عبقرية عثمان ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٢٦ ـ عبقرية عمر ، العقاد ، نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

٢٧ ـ عبقرية محمد ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٢٨ ـ عقائد المفكرين في القرن العشرين ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٢٩ ـ العقاد ، أحمد عبد الغفور عطار ، تهامة للنشر ، الكتاب السعودي رقم ١٠٩ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٠هـ .

٣٠ ـ العقاد الرجل والقلم ، أحمد ماهر محمود البقري ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، سنة (١٩٧٢م) بدون عدد طباعة .

٣١ ـ العقاد في معاركه السياسية ، سامح كريم ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سة (١٩٧٩م) .

٣٢ ـ الفصول ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٣٣ ـ فلاسفة الحكم في العصر الحديث ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٣٤ ـ في صحبة العقاد ، محمد طاهر الجبلاوي ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، دار الجيل ، بيروت . ، سنة (١٩٦٤م) ، بدون عدد طباعة .

٣٥ ـ القرن العشرون ما كان وما سيكون ، العقاد، المكتبة العصرية ، بيروت .

٣٦ ـ الكلمات الأخيرة للعقاد ، جمع : عامر العقاد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٢هـ .

٣٧ ـ لمحات من حياة العقاد ، عامر العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .، الطبعة الأولى ، سنة (١٩٦٨م) .

٣٨ ـ ما يقال عن الإسلام (١٩٦٣م) ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٣٩ ـ مجلة المعرفة ، دمشق ، العدد : ٢٨ ، ١٩٦٤/٧.

٤٠ ـ محمد عبده (١٩٦٣م) ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٤١ ـ المختارات من أدب العقاد ، بقلم : عبد اللطيف شرارة ، منشورات لفاخرية ، الرياض ، الكاتب العربي، بيروت ، سنة (١٩٨٢م) ، بدون عدد الطباعة.

٤٢ ـ المرأة في القرآن ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٤٣ ـ المسيح ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٤٤ ـ مطلع النور ، العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٤٥ ـ معارك العقاد السياسية ، عامر العقاد ، دار الجيل ، بيروت ، سنة (١٩٧٣م) ، بدون عدد الطباعة .

٤٦ ـ موسوعة عباس العقاد الإسلامية ، شخصيات إسلامية ، المجلد (٣) ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٤٧ ـ موسوعة عباس العقاد الإسلامية ، القرآن والإنسان ، المجلد (٤) ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٤٨ ـ هذه الشجرة ، العقاد، المكتبة العصرية ، بيروت .

٤٩ ـ يسألونك ، العقاد، المكتبة العصرية ، بيروت .، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠١هـ .



فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة



تم بحمد الله